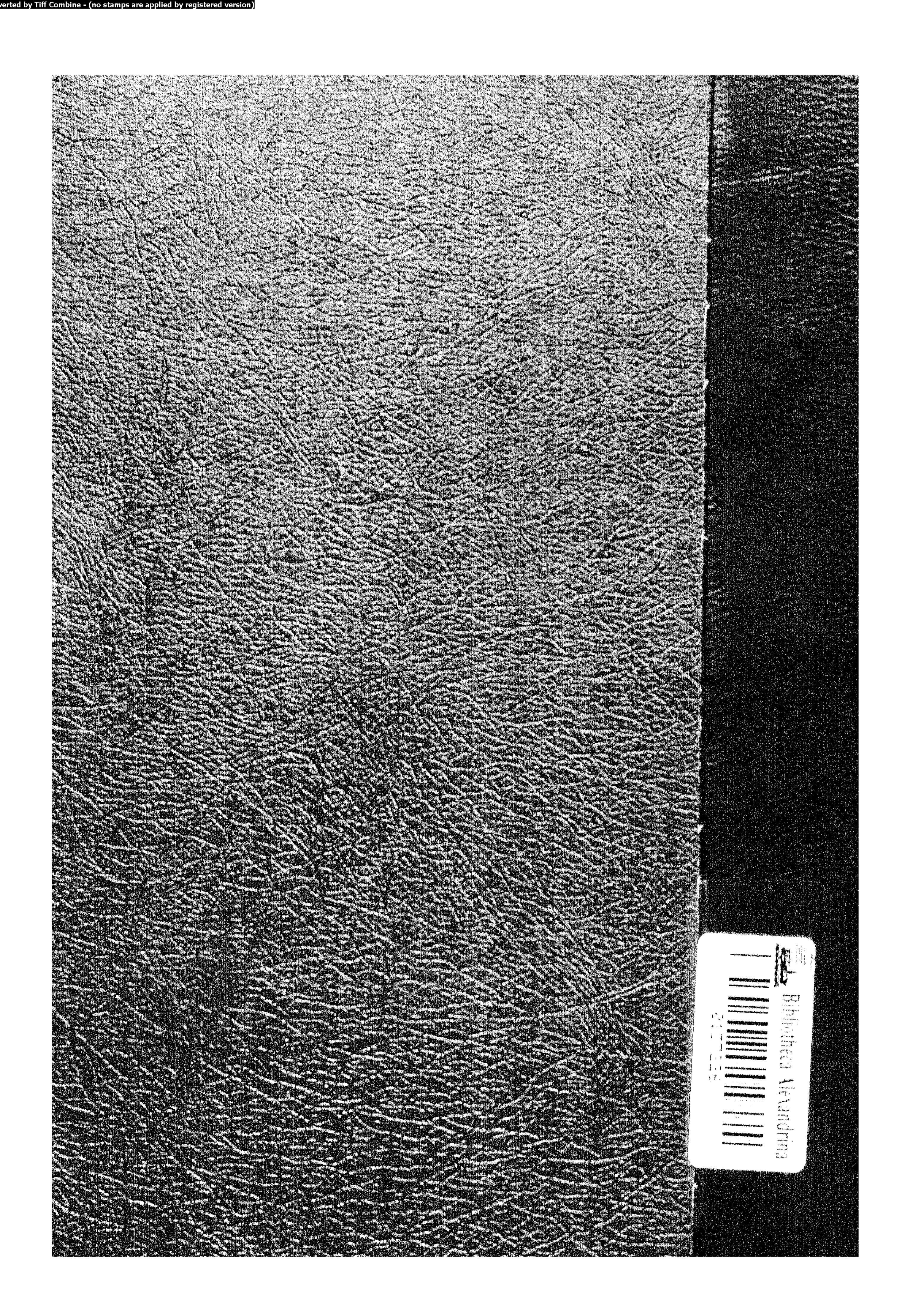

Bibliotheca Alexandrina







جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
« لجنة إحياء التراث الإسلامي »

حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور

تأليف
جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي
المتوفى سنة ٨٧٤ هـ

الجزء الأول

تحقيق
الأستاذ فهيم محمد شلتوت

القاهرة
١٤١١هـ - ١٩٩٠م



بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم لجنة إحياء التراث

الحمد لله حق حمده ، والصلاة والسلام على من لا نبى بعده ، صلاة وسلاما دائمين إلى يوم الدين ، وبعد :

فهذا هو الجزء الأول من كتاب : « حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور » لابن تغرى بردى . ومؤلفه مؤرخ مصرى عرفناه من خلال كتابه : « النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة » وهو مطبوع فى ستة عشر جزءاً بدار الكتب المصرية ، ويعدّ من أهم المصادر التاريخية ، التى عالجت تاريخ مصر ومايدور فى فلكها من البلاد العربية .

أما هذا الكتاب الذى نقدم الجزء الأول منه اليوم لقراء العربية ، وعشاق تراثها الخالد ؛ فقد أراد به ابن تغرى بردى أن يكون ذيلا على كتاب شيخه تقى الدين أحمد بن على المقريزى : « السلوك لمعرفة دول الملوك » .

وقد ابتدأ ابن تغرى بردى كتابه بحوادث سنة ٨٤٥ هـ ، وانتهى فيه بذكر حوادث اليوم الثانى عشر من المحرم سنة ٨٧٤ هـ ، ومات بعد تأليفه بحوالى عام ؛ إذ توفى فى اليوم الخامس من ذى الحجة سنة ٨٧٤ هـ .

والكتاب صورة صادقة لمشاهدات مؤلفه ، فلم يعتمد على النقول من كتب المؤرخين ؛ لأنه يحكى ما شاهده بنفسه ، وما عاشه من أحداث ، وما رآه من صروف الدهر وتقلبات الزمن ، بالملوك والخلفاء ، والجند والأمراء ، والعامة والخاصة من الرعية والعلماء .

ويختلف هذا الكتاب عن كتاب : « النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة » فى شىء مهم جدا ؛ إذ كان غرض المؤلف فى كتابه : « النجوم الزاهرة » الإطناب فى تراجم الملوك ، أما ما يذكر به من الوقائع فإنه يكون على سبيل الاستطراد وتكثير الفوائد لاغير ، كما ذكر هو بنفسه (النجوم الزاهرة ١٥ / ٤٤٩) .

أما كتابه : « حوادث الدهور » فإنه يهتم بذكر الحوادث على تتابع الأعوام والشهور والأيام ، وفيه التفاصيل التى لا توجد فى كتاب النجوم الزاهرة . وهذا الجزء الأول الذى نقدم له اليوم يحتوى على الوقائع والأحداث والوفيات للسنوات من ٨٤٥ هـ إلى ٨٦٠ هـ .

وأما محققه فهو العالم الفاضل الأستاذ فهيم محمد شلتوت ، ذو الباع الطويل فى تحقيق التراث العربى ، وقد أعجب بابن تغرى بردى منذ زمن بعيد ، واشتغل بشىء من مؤلفاته ، فحقق بعض أجزاء « النجوم الزاهرة » ، كما حقق كتابه : « الدليل الشافى على المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى » ، ونشره بالسعودية قبل عدة سنوات .

واليوم يقدم لنا الأستاذ شلتوت هذا الجزء الأول من كتاب : « حوادث الدهور » محققا مجلوا بالطريقة التى تعودناها منه ، والتى تتميز بالدقة والصبر والجلد فى معالجة النصوص وتحقيقها .

وقد كان المستشرق « بوبر » Popper مدرس اللغة العربية فى المدرسة الكلية الكاليفورنية [جامعة كاليفورنيا] بأمريكا ، قد نشر مختصرا لهذا الكتاب فى أربعة أجزاء فى الفترة من سنة ١٩٣٠ م إلى سنة ١٩٤٢ م ، بعنوان : « منتخبات من حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور » ، وهى عبارة عن منتخبات مما لم يرد ذكره فى « النجوم الزاهرة » ، وكأن « بوبر » Popper كان يريد باختصاره هذا أن يذيل به على نشرته هو للنجوم الزاهرة ؛ ولذلك نراه يحذف بعض الأخبار التى وردت بكتاب : « حوادث الدهور » ؛ أو يبترها ؛ لوجود مايقاربها فى « النجوم الزاهرة » على الرغم من اختلاف التفاصيل .

ونشرة « بوبر » هذه ، بالإضافة إلى ما بها من عيوب ، عزيزة المنال نادرة الوجود ؛ ولذلك أسندت اللجنة تحقيق الكتاب إلى الأستاذ شلتوت ، ليخرج لنا نصه كاملا لأول مرة ، ويحققه على نسخه التى وصفها فى تقديمه للكتاب .

ولجنة إحياء التراث الإسلامى ، وهى تقدم اليوم هذا العمل الجليل للقراء ، تذكر للأستاذ شلتوت اهتمامه البالغ بإخراج النص إخراجا يشهد له بالبراعة والنفوق ، كما تذكر لأعضاء اللجنة حرصهم على المراجعة الدقيقة لمسائل الكتاب والحوادث التى تناولها ، ويسعدها أن تشكر السيد الدكتور أحمد عبد المجيد هريدى أحد أعضائها ، على اهتمامه بمراجعة النص على النجوم الزاهرة .

وإننا حين نقدم اليوم للقراء الكرام الجزء الأول من هذا الكتاب الطيب ، لنرجو أن نتمكن من إخراج ما تبقى من أجزائه فى المستقبل القريب . والله ولى التوفيق .

مقـــرر اللجنة
أ . د . رمضان عبد التواب

رئيس اللجنة
عبد المنعم محمد عمر

بســـم الله الرحمـــن الرحـــيم

مقدمة المحقق

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين ، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين . وبعد :

فقد شاء الله أن أعايش مؤلفنا جمال الدين أبا المحاسن يوسف بن تغرى بردى فترة طويلة فى تأريخه لمصر وما يدور فى فلكها من أقطار العالم العربى والإسلامى ؛ حيث قمت بتحقيق الجزء الثالث عشر من موسوعته التاريخية المسماة بالنجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، وشاركت العالمين الجليلين الدكتور جمال محمد محرز فى تحقيق الجزء الرابع عشر من تلك الموسوعة ، والدكتور جمال الدين الشيال فى تحقيق الجزء السادس عشر منها ، وصدرت الأجزاء الثلاثة تباعا عن الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر فى السـنوات ١٣٩٠ ، ١٣٩١ ، ١٣٩٢ هـ (١٩٧٠ ، ١٩٧١ ، ١٩٧٢ م) .

ثم قمت بتحقيق كتابه« الدليل الشافى على المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى ، وصدر فى جزءين عن مركز البحث العلمى وإحياء التراث الإسلامى بجامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية فى سنة ١٤٠٠ (١٩٨٠ م) .

وكان المجلس الأعلى للشئون الإسلامية قد تفضل بإسناد تحقيق كتابه حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور إلىّ ، وقدمت الجزء الأول منه محققا منذ عشر سنوات تقريبا ، ولكن شاءت ظروف الطباعة ، وخطة المجلس فى النشر ، المبنية على أولويات وضعتها لجانه الموقرة ، أن يُقَدَّم هذا الجزء إلى الطباعة فى عامنا هذا .

وإذا كان الوفاء يقضى علىّ أن أذكر الفضل لأربابه وذويه فإننى أجد لزاما علىّ أن أذكر بالفضل وعظيم التقدير والإجلال لجنة إحياء التراث بالمجلس الأعلى

للشئون الإسلامية،رؤساءها ومقرريها وأعضاءها ، من انتقل منهم إلى رحاب ربه ورضوانه ، ومن بقى يرابط فى ثغور العلم ويجاهد فى إحياء تراثه ، ويقدم للأجيال ثمار المعرفة،والدأب فى سبيل نشر التراث الإسلامى والعربى . وأشهد الله أننى أدين لهم جميعا بالزمالة الكريمة الحانية الوقورة ، بل بالتلمذة بين أيديهم ، والتخلق بما تخلّقوا به من الأخلاق العالية ، وما تعلمته منهم من روح التسامح ، وحسن الجدل ، وتواضع العلماء ومجانبة الهوى ، وتأكيد ركائز المناهج الأصيلة التى تنبع من ثقافة عالية ، وخبرة نادرة ، وكل فضيلة يزينها العَالِمُ وتزينه ، فالله يجزيهم عنى خير ما يجزى به الصِّدِّيقين والصالحين والأبرار من عباده .

كتاب حوادث الدهور
فى مدى الأيام والشهور

هذا الكتاب ألفه أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى ذيلا على كتاب «السلوك لمعرفة دول الملوك» لتقى الدين أحمد بن على المقريزى ، شيخ المؤرخين وعمدتهم فى عصره ؛ لأنه أراد أنْ يحيى سنة تكملة مؤلفات السابقين [١] .

وقد ابتدأه بسنة خمس وأربعين وثمانمائة ، وانتهى فيه إلى أوائل سنة أربع وسبعين وثمانمائة أى قبيل وفاته بشهور ، ومتجاوزا فيه ما انتهى به كتابه النجوم الزاهرة بما يقرب من سنتين .

ويُعَدُّ هذا الكتاب سجلا صادقا لجهد المؤلف النابع من ذاتيته ومن إبداعه ، ولم يعتمد فيه على نقول من الآخرين ، لأنه بمثابة صورة ناطقة لمشاهداته ، وثبت صادق لمسموعاته ، يحكي كافة التفصيلات لحوادث الحقبة التى تناولها بالتأريخ ، وعايش فيها الزمان والمكان والرجال : خلفاء وملوكا ، وأمراء وأجنادا ، وعلماء وعامة ورعية ، والخصب والرخاء ، والقحط والغلاء ، والصحة والوباء ، والفتن والصفاء ، وما اعترى الدولة من تقلبات الدهر وصروفه .

فقد عاصر السلطان الملك الظاهر أبا سعيد جقمق (٨٤٣ ـــ ٨٥٨ هـ) والملك المنصور عثمان بن جمقمق (٢١ من محرم ٨٥٧ ـــ ٨ ربيع أول ٨٥٨هـ) والسلطان الملك الأشرف إينال العلائى (٨٥٨ ـــ ٨٦٥ هـ) والملك المؤيد أحمد ابن إينال (١٤ جمادى الأولى سنة ٨٦٥ هـ ـــ ١٨ رمضان ٨٦٥ هـ) والملك الظاهر أبا سعيد خشقدم المؤيدى (٨٦٥ هـ ـــ ٨٧٢ هـ) والملك الظاهر يلباى الإينالى

---

(١) مقدمة المؤلف .

المؤيدى ، والملك الظاهر تمربغا الظاهرى (٨٧٢ هـ) وصدرا من سلطنة الأشرف قايتباى المحمودى الظاهرى .

والكتاب يورد الأحداث تفصيلا ، ويذكر جزئيات أضرب عن ذكرها المؤلف فى كتابه النجوم الزاهرة ، ولكنه كان يشير فيه على القارىء بالرجوع إليها فى كتاب الحوادث ؛ لكونه محل ضبط الحوادث ، أما ما يذكره فى النجوم فهو على سبيل الاستطراد وذكر الأمور المهمة لا غير ، وأما جميع الوقائع ففى الحوادث ، تطلب فيه [1] .

ومن هنا تجىء أهمية كتاب حوادث الدهور ؛ لأن التفصيلات تمثل الانطباع الأول تجاه الأحداث ، وتعطى الصدى المباشر قبل أن تتدخل العوامل المختلفة فتغير هذا الانطباع ، ومن هنا أيضا تأتى أهمية الأحكام التاريخية على أحداث العصر .

ولعل هذا هو مادعا المستشرق وليام بُبَّر William Popper أن يلتقط التفصيلات التى لم ترد فى كتاب النجوم الزاهرة ،ووردت فى حوادث الدهور ، وأن ينشرها فيما أسماه « منتخبات من حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور ... وهى مشتملة على كل الأخبار والتراجم التى ما أدخلها المؤلف فى تاريخه المسمى النجوم الزاهرة » فى أربعة أجزاء صدرت فى الفترة من ١٩٣٠ — ١٩٤٢م . ولكنه بعمله هذا أفقد الكتاب طبيعته وشخصيته ، وجَرَّده من ميزتيه اللتين أشار إليهما المؤلف فى مقدمته لحوادث الدهور ، وهما إطنابه فى الحوادث ، وتوسطه فى تراجم الوفيات ؛ لتكثر الفائدة [2] .

وكتاب حوادث الدهور يأخذ مكانه بين المطولات التاريخية ؛ لأنه أرخ لحقبة تزيد قليلا عن تسع وعشرين سنة ، متوخيا عرض الحوادث بجزئياتها وتفصيلاتها ، فلم يترك شيئا يلجىء القارىء إلى طلبه فى كتاب آخر من كتبه ، ويبدو ذلك واضحاً من كثرة الإشارات فى النجوم الزاهرة (الجزء الخامس عشر والجزء السادس عشر) إلى أن جزئيات الحوادث التى لم ترد فيه إنما هى موجودة فى كتاب« حوادث الدهور ».

---

(١) وانظر : النجوم الزاهرة ١٥ : ٣٦٣ ، ٤٤٩ ، ٤٥٦ — ١٦ : ٧١ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ٩٥ ، ١٠٢ ، ١٢٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٧١ ، ٢٧٥ وغير ذلك .

(٢) حوادث الدهور ص ٢٦ .

ويمتاز هذا الكتاب بصدق لهجة مؤلفه فى معالجة الأحداث التى عاصرها ، وسلاسة أسلوبه ، وبعده عن السجع الذى التزمه كثير من المؤرخين فبعد بهم عن طبيعة كتابة التاريخ . ولكنه عمد إلى استخدام تعبيرات العصر التى استفاضت فى لغة المؤرخين وغيرهم . كأخْلَعَ وأصْرَف .

واتبع فيه المؤلف طريقة تأليف كتاب السلوك فجعله حوليا . يتحدث فيه عن أخبار الحول وما جرى فيه من الأحداث . ثم يتبع ذلك بالترجمة لمن توفى فيه من الأعلام وهكذا . وهذه الطريقة تختلف كثيراً عن طريقة تأليف كتاب النجوم الزاهرة ؛ فإنه يؤرخ لعصر كل ملك من نشأته إلى وصوله للملك إلى ما جرى فى فترة ملكه من الأحداث حتى عزله أو وفاته أو تنازله عن الملك لأحد أبنائه ، ثم يعود فيترجم للأعلام الذين توفوا فى عصره سنة فسنة ، وكثيرا ما يُصَدِّر السنة بأهم الأحداث التى جرت فيها على سبيل الاختصار .


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نسـخ الكتـاب

تضم دار الكتب المصرية نسختين من هذا الكتاب، وهما معتمدنا فى هذا التحقيق :ـ

إحداهما مصورة عن نسخة أيا صوفيا ، ومحفوظة بالدار تحت رقم ٢٣٩٧ تاريخ.وتتكون من مجلدتين ، فى كل مجلدة مائتا لوحة، مسطرة الورقة ٢٤ سطرا ، بخط نسخى واضح ، نسخها محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الوهاب البهاء بن على بن شافع الإخميمى الأنصارى الخزرجى ، وفرغ منها فى اليوم الرابع والعشرين من شعبان سنة ٨٩٨ هـ، وقد نسخها عن نسخة بخط تلميذ المؤلف محمد بن أحمد بن محمد الطنتدائى الشافعى التى فرغ منها فى حياة المؤلف فى حادى عشرين ربيع الآخر سنة ٨٦١ هـ . وهى تمثل النصف الأول من الكتاب ، وتقف بالأحداث خلال سنة ٨٦١ هـ . ومن هذه المصورة ميكروفيلم بمعهد المخطوطات برقم ٢٢١ تاريخ

والثانية مصورة عن نسخة الفاتيكان ، ومحفوظة فى دار الكتب المصرية تحت رقم ٢٤٠٤ تاريخ تيمور . وتتكون من ثلاث مجلدات وورقتين فى غلاف ، وتقع فى ٤٧٦ لوحة ، مسطرة الورقة ٢٦ سطرا بخط نسخى مقروء ولكنها أقل وضوحا من السابقة ، وتنتهى بالأحداث فى المحرم من سنة ٨٧٤ هـ . وهى بذلك تشمل الكتاب كله ، لكن بها خروم كثيرة فى المجلد الأول ، وليس بها ما يستدل به على ناسخها .

وهناك نسخة فى مكتبة برلين برقم ٩٤٦٢ . وقد أشارت دار الكتب المصرية فى صدر نسخة تيمور رقم ٢٤٠٤ تاريخ إلى أنه تمت مقابلة بعض ورقاتها من حوادث سنة ٨٤٨ هـ على مثيلاتها من نسخة برلين فتبين التطابق التام بين النسختين ، وكأن نسخة تيمور قد صورت عن نسخة برلين . وفى هذا الكلام بعض الوهم حيث إن

نسخة تيمور لوحاتها ٤٧٦ لوحة ، وهى تساوى ٢٣٨ ورقة وهو عدد أوراق نسخة مكتبة الفاتيكان رقم ٧٢٧ عربى . أما نسخة برلين فعدد أوراقها ١٥٨ ورقة .

وهناك نسخة أخرى بالمتحف البريطانى رقمها ٢٣٢٩٤ إضافات ، وعدد أوراقها ١٥٣ ورقة تنتهى بحوادث سنة ٨٦٠ هـ أيضا . وتتفق قراءاتها مع نسخة أياصوفيا فى كثير من المواضع ، ولعلهما نقلتا عن أم واحدة .

* * *

ومن معالم منهجنا فى تحقيق هذا الجزء من الكتاب . أننى وثقت أحداثه وتراجمه بالمراجع التى أرخت للحقبة التاريخية التى بين أيدينا . وعرفت بالأمكنة والمواضع مستعينا بكتب البلدان والخطط ، كما عرفت بالمصطلحات من مصادرها كصبح الأعشى ، ومفيد النعم ، وغيرهما

وأننى اعتمدت على النسختين الموجودتين بدار الكتب وجعلت أولاهما أصلا . ورمزت إلى الثانية بحرف « ت » واستعنت بها — مقابلة — مع إثبات الفروق بينها وبين الأصل .

وقد ضبطت الأعلام بالشكل وكذلك بعض المصطلحات الوظيفية وفقا للمصادر والمراجع التى استعنت بها ، وبخاصة كتاب النجوم الزاهرة طبعة دار الكتب وهيئة الكتاب . ورقمت المتن ترقيما يتفق مع المنهج الذى سار عليه القسم الأدبى بدار الكتب فى تحقيق النجوم الزاهرة .

وبالجملة فقد حرصت على أن يكون هذا الكتاب من حيث الضبط والتحقيق على صورة كتاب النجوم الزاهرة ما أمكن ذلك .

* * *

مؤلف الكتاب

هو جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى البشبغاوى الظاهرى ، ولد فى القاهرة فى بيت الأمير منجك اليوسفى ، وهو أحد القصور الشامخة التى أقامها أمراء المماليك بجوار مسجد السلطان حسن — وذلك فى حدود سنة اثنتى عشرة وثمانمائة تقريبا كما يقول تلميذه وصديقه وناسخ مؤلفاته أحمد بن حسين التركمانى المعروف بالمرجى [1] ، أو فى شوال — تحقيقا — سنة ثلاث عشرة وثمانمائة تقريبا ، كما يقول السخاوى [2] ، ويوافقه ابن إياس فى مولده [3] . ولكن المؤلف يقول عن نفسه : أنا أصغر الجميع — يعنى إخوته — ومولدى بعد سنة إحدى عشرة وثمانمائة تخمينا [4] .

وكان أبوه من القادة المشار إليهم بالبنان فى عهد الملك الناصر فرج بن برقوق ، تولى أتابكية العساكر بالديار المصرية . ثم تولى نيابة الشام ، وكان فارسا مقداما مغوارا فى عهد الملك الظاهر برقوق ، وفوق ذلك فقد كان من بين طبقته وأقرانه يمتاز بخلق حسن واستقامة على الجادة ، وصدق فى النصح ، وذكاء فى تصريف الأمور ، وسياسة تدل على حنكة وخبرة بشئون الدولة فى السلم والحرب .

وقد ولد له ابنه هذا فى القاهرة ، وفى المحرم من سنة أربع عشرة وثمانمائة، ولّاه الملك الناصر فرج نيابة الشام باقتراح أمرائه الخارجين عليه حتى يتم الصلح بينهم . ولم يطل عمره حتى يكفل ولده برعايته ، فقد وافاه الأجل فى دمشق فى السادس عشر من المحرم سنة خمس عشرة وثمانمائة ، ويحدثنا أبو المحاسن يوسف

---

(١) مقدمة النجوم الزاهرة جـ ١ : ١٠ ، ١٨ ، ٢٦ . وانظر (دائرة المعارف الإسلامية ترجمة خورشيد وآخرين ١ : ٥٩٤) .

(٢) الضوء اللامع ١٠ : ٣٠٥ — ٣٠٨ .

(٣) بدائع الزهور فى وقائع الدهور ٣ : ٤٦ .

(٤) النجوم الزاهرة ١٤ : ١١٨ . ط الهيئة العامة للتأليف .

عن اشتداد المرض على والده ، وزيارة السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق له ، واستشارته إياه فى أمر الأمراء المنشقين عليه ، وما أشار به الوالد عليه . والموقف المتعصب للناصر فرج ، ثم يقول : ثم طلبنا الملك الناصر فرج أنا وإخوتى ، فأحضرونا بين يديه ، وكنا ستة ذكور ، فقبلنا يده — وأنا أصغر الجميع — فسأل عن أسمائنا ، فقيل له ذلك ، ثم تكلم الأتابك دمرداش المحمدى عن لسان الوالد بالوصية علينا . فقال السلطان : هؤلاء أولادى وإخوتى وأصهارى . ما هذه الوصية فى حقهم ؟ ! كل ذلك والوالد ساكت قد أسنده مماليكه لا يتكلم . فلما قام الملك الناصر قال الوالد : أودعت أولادى إلى الله تعالى ، واستعنت به فى أمرهم . فنفعنا ذلك غاية النفع ، ولله الحمد . مع ما أخذ لنا من الأموال التى لا تدخل تحت حصر عند هزيمة الملك الناصر من الأمراء ودخوله إلى دمشق (١) .

وبعد أن يُتّم الصبىُّ ضمته إليها أخته زوج قاضى القضاة الحنفى ناصر الدين ابن العديم ، فنشأ فى بيت علم ، وتولاه قاضى القضاة برعايته وتربيته تربية إسلامية . لكنه لم يطل به الأجل فتوفى فى ربيع الآخر سنة ٨١٩ هـ ، ثم تزوجت أخت أبى المحاسن بشيخ الإسلام قاضى القضاة جلال الدين عبد الرحمن البلقينى الشافعى ، فواصل تربيته على المنهج الإسلامى ؛ مما كان له أعظم الأثر فى تكوين شخصية أبى المحاسن ، ويحكى أبو المحاسن ذلك فيقول : تولّى تربيتى رحمه الله تعالى ومات ولم يخلف بعده مثله ، فى كثرة علومه وعفته عما يرمى به قضاة السوء (١) .

وقد أثْبَتَ من ترجموا له أنه حفظ القرآن ، ومختصر القدورى فى فقه الحنفية ، وألفية ابن مالك ، ومنطق إيساغوجى ، وأنه لازم شيوخ عصره وعلماء زمانه ؛ فقرأ

---

(١) النجوم الزاهرة ١٣ : ١٣٨ ، ١٣٩ ط الهيئة العامة للتأليف .

(١) النجوم الزاهرة ١٤ : ٢٣٧ .

عليهم الفقه والنحو والتفسير والحديث ، والعروض ، وعلم الهيئة ، وبعض فنون الطب ، والبلاغة والأدب ، والتاريخ .

وقالوا : إنه برع فى فنون الفروسية كلعب الرمح ، ورمى النشاب ، وسوق البرجاس ، وقيادة المحمل ، ولعب الكرة ، وأنه ألَّم بقدر كبير من فنون الموسيقى .

ووصفوه بحسن العشرة ، وتمام العقل ، ولطف المذاكرة ، وصدق النقد ، والشجاعة فى إصدار الأحكام ، وأدب التعبير .

وقد عشق فن التاريخ واشتغل به ، وتتلمذ على كبار رجاله فى عصره . مثل عمدة المؤرخين تقى الدين المقريزى ، وقاضى القضاة بدر الدين العينى ، وابن الفرات ، وزين الدين الزركشى وغيرهم ، وبعد وفاة البدر العينى كان المنتهى إليه فى فن التاريخ . وقد قيل:إن البدر البغدادى قال فى جنازة البدر العينى : خلا لك الجو . إشارة إلى أنه تفرد بهذا الفن بعده .

وقد ذكره السخاوى فى الضوء اللامع [١] بقوادح عددها وبالغ فيها ، ولو لم يكن هذا شأن السخاوى مع أقرانه من العلماء ، وأقران شيخه الحافظ الشهاب بن حجر لكان له فى ذلك وجه ، ولكن السخاوى تناول المقريزى [٢] والبدر العينى [٣] وكثيرا من الفقهاء الحنفية فى عهده بقوادح جعلت كثيرا من الباحثين المنصفين يتوقفون فى قبولها أو تصديقها .

وعلى طريقة السخاوى فى الخروج من تبعة الأحكام فإنه ينسبها إلى مجهلين ؛ فيقول فى مؤلفنا « بل سمعت غير واحد من أعيان الترك ونقادهم العارفين بالحوادث والذوات يصفونه بمزيد من الخلل فى ذلك . وحينئذ فما بقى ركون لشىء مما

---

(١) الضوء اللامع : ١٠ : ٣٠٥ ترجمة رقم ١١٧٨ .

(٢) الضوء اللامع : ٢ : ٢٣ .

(٣) الصوء اللامع : ١٠ : ١٣١ — ١٣٥ .

يديه [١] » ولعل ما تركه أبو المحاسن من مصنفات كانت موضع تقدير علماء الشرق والغرب من قديم تدفع عن مؤلفنا هذا النقد القاسى الذى وصل إلى حد تجريد أحكامه التاريخية من شيء يمكن الركون إليه .

وكما ذكرت فى صدر التقديم فإننى عايشت أبا المحاسن فى أكثر من كتاب ، وقد وجدته فى طفولته ذكياً نبيها جريئا ، ووجدته فى نضجه يقول الحق ولا يخشى فيه لومة لائم ، ويلتزم الاحتشام والأدب فى تعبيراته ويمتاز بسلاسة أسلوبه وعدم التكلف فيه ، كما يلتزم التوثيق فى قوله عن غيره . ويقول هو فى تقديمه للمنهل الصافى « وإذا ذكرت فيه حكاية ماضية ، أو واقعة فى القرون الخالية ، أسندت ذلك إلى ناقله ، وربطت جوادها فى معاقله ؛ لأخرج عن العهدة فى النقل ، على ما يقتضيه العقل [٢] » .

وكلمة الحق عنده فوق كل اعتبار ، فهو يقولها حتى فيمن يعزه ويجله ، فهو مثلا يقول فى زوج أخته قاضى القضاة ناصر الدين بن العديم : كان عالما فطنا مع طيش وخفة [٣] . وينقل رأى أستاذه المقريزى فى السلطان الملك المؤيد شيخ وقوله : إلا أنه كان بخيلا مسيكا ، يشح حتى بالأكل ، لحوحا غضوبا ، نكدا حسودا ، معيابا فحاشا سبابا ... الخ . ثم يقول بعد هذا الرأى المصادم له : وكان يمكننى الردّ عليه فى جميع ما قاله بحق ، غير أننى لست مندوبا إلى ذلك ؛ فلهذا أضربت عن تسويد الورق وتضييع الزمان [٤] .

ويناقش شيخه الحافظ شهاب الدين بن حجر فى نسبة السلطان الملك الأشرف برسباى بالدقماقى فيقول : وسبب سياقنا لهذه الحكاية أن قاضى القضاة شهاب الدين

---

(١) الضوء اللامع : ١٠ : ٣٠٨ .
(٢) المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى ١ : ٣ ط دار الكتب
(٣) النجوم الزاهرة ١٤ : ١٤٣ .
(٤) النجوم الزاهرة ١٤ : ١١٠ .

ابن حجر — رحمه الله — نسبه أنه عتيق دقماق . وليس الأمر على ما نقله ، وهو معذور فيما نقله لبعده عن معرفة اللغة التركية ، ومداخلة الأتراك ، وقد اشتهر أيضا بالدقماقى ، فظن أنه عتيق دقماق . ولم يعلم أن نسبته بالدقماقى كما أن نسبة الوالد رحمه الله — بالبشبغاوى ، والملك المؤيد بالمحمودى، والأمير نوروز بالحافظى ، وجكم نائب حلب بالعوضى ، ودمرداش بالمحمدى ، وغيرهم . وقد وقفت على هذه المقالة فى حياته على خطه ، ولم أعلم أن الخط خطه ؛ فإنه — رحمه الله — كان يكتب ألوانا ، وكتبت على حاشية الكتاب ، وبينت خطأه ، وأنا أظن أن الخط خط ابن قاضى شهبة . وعاد الكتاب إلى أن وقع فى يد قاضى القضاة المذكور ، فنظر إلى خطى وعرفه ، واعترف بأنه وهم فى ذلك . وكان صاحبنا الحافظ قطب الدين محمد الخيضرى حاضرا فذكر لى ما وقع ، فركبت فى الحال ، وهو معى وتوجهنا إلى السيفى طوغان الدقماقى — وهو من أكابر مماليك دقماق — وسألته عن الملك الأشرف سؤال استفهام . فقال : هو عتيق الملك الظاهر برقوق ، وقدمه أستاذنا إليه . ثم حكى ما حكيته من سبب إرساله ، ثم عدنا ، وأرسلت خلف جماعة من مماليك دقماق ؛ لأن غالبهم كان خدم عند الوالد بعد موت دقماق ، فالجميع قالوا مثل قول طوغان الدقماقى ، فتوجه قطب الدين المذكور ، وعرفه هذا كلّه ؛ فأنصف غاية الإنصاف ، وأصلح ما عنده . ثم ذاكرت أنا قاضى القضاة المذكور فيما بعد ، وعرفته أن دقماق قدمه فى أوائل أمره إلى الظاهر ... الخ [١] .

وهكذا يستوثق المؤرخ ، وهكذا يكون الأدب فى الاعتذار عن شيوخه الذين يجلهم .

وقد اشتهر مؤرخنا بأنه يعمق الإحساس بالمنهج التاريخى الذى سار عليه من قبل المؤرخون المسلمون ، فنجد عنده التتبع والدقة والأمانة وصحة الإسناد ،

---

(١) النجوم الزاهرة ١٤ : ٢٤٣ — ٢٤٥ .

والاستنباط ، ووجهة النظر الخاصة ، ولقد عصمته تقاليد المدرسة التاريخية الإسلامية ومميزاتها من التقوّل على الأبرياء أو انتقاص المبرزين ، أو الإسفاف فى التعبير ، أو الغض من الأقران ، أو تعمد الكذب لسبب من الأسباب ؛ لذلك كان علما من أعلام المؤرخين والتاريخ ومبرزا بين عمده الذين أقاموا صرحه فى العصر الوسيط .

* * *

وقد صنف أبو المحاسن :

١ — كتاب النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، فى ستة عشر جزءا ، صدر عن دار الكتب المصرية والهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر . وصدرت طبعة منه فى سبعة أجزاء بتحقيق المستشرق وليم بُبِّر ، وترجم بعضه إلى اللغة اللاتينية ، وإلى اللغة التركية ، ويعتبر من أهم المصادر التاريخية التى عالجت تاريخ مصر وما يدور فى فلكها من بلاد العرب .

٢ — كتاب الكواكب الباهرة من النجوم الزاهرة ، وهو اختصار لكتاب النجوم الزاهرة ، قال المؤلف : إنه اختصره حذرا من أن يختصره غيره على تبويبه وفصوله ، واقتدى فى ذلك بجماعة من العلماء المؤلفين من مثل الذهبى والمقريزى .

٣ — المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى ، وقد استوعب فيه ذكر الأعيان المشهورين ابتداء من دولة الترك من حكم السلطان المعز أيبك التركمانى (٦٤٨ هـ) إلى سنة ٨٦٠ هـ . وقد نشر المستشرق جاستون فييت فى سنة ١٩٣٢ م مختصرا لتراجمه مع ذكر مصادر لبعض الترجمات وقد حقق المرحوم الأستاذ أحمد يوسف نجاتى الجزء الأول منه فى سنة ١٣٧٥ هـ (١٩٥٦ م) وتقوم الهيئة المصرية العامة للكتاب بتحقيقه حاليا . وقد صدر جزءان منه .

٤ ــ الدليل الشافى على المنهل الصافى : وهو اختصار للمنهل ، يقول المؤلف : فقد ألفت هذا المختصر ، وجعلته لتاريخنا المسمى بالمنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى كالديباجة له ، ورتبته على ترتيبه من أوله إلى آخره ، لا يخل عن التاريخ المذكور بترجمة واحدة ، واختصرت التراجم جدا ؛ ليكون الناظر فى ذلك التاريخ بهذا المختصر على بصيرة ، ويعلم من أول الأمر أن الذى يطلبه هو موجود فى المستوفى أم لا ، وهل هو فى أول الكتاب أو فى آخره .

وقد صدر هذا الكتاب محققا فى جزءين عن مركز البحث العلمى وإحياء التراث الإسلامى بجامعة أم القرى بمكة المكرمة .

٥ ــ حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور : وهو الذى بين أيدينا الجزء الأول منه وكان للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية فضل إصداره بإشراف لجنة إحياء التراث الموقرة .

٦ ــ مورد اللطافة فى ذكر من ولى السلطنة والخلافة ، واستفتحه بتاريخ النبى ﷺ ، ثم الخلفاء الراشدين ، ثم من جاء بعدهم من الخلفاء . منه نسخ فى كثير من مكتبات أوربا وتركيا وتونس ، وطبع فى كمبردج سنة ١٧٩٢ م .

٧ ــ منشأة اللطافة فى ذكر من ولى الخلافة ، وهو تاريخ لمصر من أقدم أزمانها إلى سنة ٧١٩ هـ ومنه نسخة فى باريس .

٨ ــ نزهة الرائى فى التاريخ ، وهو تاريخ مفصل على السنين والشهور والأيام ، فى عدة مجلدات ، منها الجزء التاسع فى إكسفورد ، يؤرخ لحوادث ٦٧٨ ــ ٧٤٧ هـ .

٩ ــ البحر الزاخر فى علم الأوائل والأواخر : منه جزء فى باريس من سنة ٣٢ ــ ٧١ هـ .

١٠ــ البشارة فى تكملة الإشارة للذهبى [١] .

١١ــ حلية الصفات فى الأسماء والصناعات : مرتبا على حروف المعجم ، يشتمل على مقاطيع وتواريخ وأدبيات .

١٢ــ كتاب فى الموسيقى .

* * *

وقد أدى فريضة الحج أكثر من مرة وجاور فى بعضها [٢] .

وذكرت المصادر أنه داخل الملوك والسلاطين ، وكان قريبا من قلوبهم ، ولم يُصَبْ بأى أذى من واحد منهم ، سواء بالمصادرة أو العقوبة ، بل إنه كان يحضر مجالس المشورة فى بلاط بعض السلاطين ؛ حيث كانوا يقدرون له رأيه وخبرته ، وكونه كان ربيب بيت قيادة وسياسة وعلم ودين . رغم أنه لم يل وظيفة من وظائف الدولة .

وفى سنة ٨٧٠ هـ ابتنى لنفسه تربة بالقرب من تربة الملك الأشرف إينال ، فى ظاهر القاهرة خارج باب النصر ، وحبس عليها أوقافا جليلة للصرف عليها وعلى أرباب الوظائف المختلفة بها ، كما أوقف كتبه التى حازها شراء أو ميراثا أو تأليفا ، وأودعها خزانة الكتب بهذه التربة ، وجعل لها خازنا ، ورتب له سكنا خاصا به ، وراتبا من أوقافه ، وترك وقفية تُعدُّ وثيقة من أهم الوثائق التاريخية الأثرية التى يحتفظ بها ضمن المجموعة الأرشيفية

(١) الإشارة إلى وفيات الأعيان والمنتقى من تاريخ الإسلام . للذهبى .
(مقدمة التاريخ الكبير للدكتور عبد الهادى شعيرة ١ : ٢٩)

(٢) النجوم الزاهرة ١٦ : ٣٧٨ .

الثمينة ، والغنية بمحكمة الأحوال الشخصية بالقاهرة ، وهى مقيدة تحت رقم ١٤٧ محفظة ٢٣٠ [١] وهى تتضمن معلومات قيمة للغاية ، وحقائق فريدة عن المؤرخ أبى المحاسن وأسرته ، توضح مركزه الأدبى والاجتماعى .

وقد مرض أبو المحاسن فى آخر عهده بالقولنج ، ولازمه المرض قرابة عام من حياته ، واشتد عليه فى أواخر رمضان من سنة وفاته ، وظل فى كرب منه ثلاثة أشهر إلى أن توفاه الله فى يوم الثلاثاء خامس ذى الحجة سنة أربع وسبعين وثمانمائة (٥ يونية سنة ١٤٧٠ م) ودفن فى اليوم التالى بتربته المشار إليها سابقاً .

وبذلك طوى علم من أعلام التاريخ ، وعمود من عمده الذين شادوا صرحه على منهج المدرسة التاريخية الإسلامية ، فأثابه الله عن الأمة الإسلامية خيرا .

وإنا لنرجو أن يكون الجهد الذى بذل فى تحقيق هذا الجزء موضع القبول . والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل .

فهيم محمد شلتوت

مكة المكرمة فى ١٦ من المحرم سنة ١٤٠٧ هـ

(٢٠ سبتمبر سنة ١٩٨٦)

---

(١) الدكتور عبد اللطيف إبراهيم : وقفية ابن تغرى بردى صـ ١٨١ — ٢٢٢ هـ مجموعة أبحاث عن المؤلف ابن تغرى بردى . ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤ م .



حوادث الدهور

في مدى الأيام والشهور



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ مقدمة المؤلف ﴾

الحمد لله مدبِّر الدهور، ومدوّل الأيّام والشّهور ، المانّ بكرمه ، المتفضل بإحسانه ، حمدًا كثيرا كما ينبغى لعظيم شأنه ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله سيّد البشر ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أبى بكر الصديق ، ومن بالتاريخ أمر[1] وعلى بقيّة الصّحابة أجمعين ، وعلى التّابعين إلى يوم الدين .

أما بعد ، فلمَّا كان شيخنا الإمام الأستاذ العالم العلاّمة المفنّن ، رأس المُحَدِّثين ، وعُمدة المؤرّخين تقىّ الدين أحمد بن على المقْريزىّ [2] الشّافعىّ ، أتقن من حرّر تاريخ الزّمان ، وأضبطَ من ألَّف فى هذا الشأن.وأجلُّ تحفة اخترعها ، وعُمدة ابْتَدعَها ، كتابهُ المسمى بِـ « السّلوك فى معرفة دُوَل الملوك [3] » قد انتهى فيه إلى أواخر سنة أربع وأربعين وثمانمائة ، وهى السنة التى تُوُفّى فيها . ولم يأت بعدَه من يُعَوَّلُ عليه فى هذا الفن ، ولامن يُرْجَع إليه ، إلا الشيخ الإمام العالم العلامة قاضى القضاة بدر الدين محمود العَيْنى الحنفى[4] ؛ فأردتُ أن أعلَمَ حقيقةَ أمْرِه فى هذا المعنى ونظرتُ فيما يَعْلَقُه فى تلك الأيام ، فإذا به كثير الغلطات والأوهام ، وذلك لِكِبَر سنّه ، وآخْتِلاَط عَقْلِه وذِهْنِه ، بحيثُ إنّ الشّخص لايمكنه الفائدة من ذلك إلاّ بعد تَعَب كثير ، لاختلاف الضبط وعدم التحرير .

---

(١) يشير إلى الخليفة عمر بن الخطاب ، فهو أول من دون الدواوين .

(٢) ترجم له المؤلف فى وفيات سادس عشرين رمضان سنة ٨٤٥ هـ من هذا الجزء صـ ٣٩ .

(٣) كتاب السلوك فى معرفة دول الملوك ـــ حقق منه المرحوم الدكتور محمد مصطفى زيادة قسمين فى ستة أجزاء . وحقق منه الدكتور سعيد عاشور القسمين الثالث والرابع فى ستة أجزاء ضمن حطة نشر مركز تحقيق التراث بدار الكتب .

(٤)هو قاضى القضاة بدر الدين أبو محمد محمود بن موسى العينى . نسبة إلى عين تاب . الشهير بالبدر العينى ، وقد توفى فى ليلة الثلاثاء رابع ذى الحجة سنة ٨٥٥ هـ ، وقد ترجم له المؤلف فى هذا الجزء ، وانظر السخاوى ـــ الذيل على رفع الإصر ٤٢٨ ، ومقدمة المحقق لكتاب السيف المهند فى سيرة الملك المؤيد .

فلما رأيتُ ذلك أحبَبْتُ أن أحْيِى هذه السُّنَّة بكتابة تاريخ يَعْقُب مَوْت الشيخ تَقِيِّ الدين المقريزِىّ وجعلته كالذَّيْل على كتاب« السلوك »المذكور [١] ، وسمَّيْتُه ،

حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور

ورتبته على السِّنِين والشُّهور والأيّام ، وجعلتُ آبتدائِى فيه من افتتاح سنة خمس وأربعين وثمانمائة ، لَكِنْ لم أسْلُك فيه طريقَ الشّيخ المقريزىّ فى تطويل الحوادث فى السنة ، وقِصَر التراجم فى الوفيات ، بل أطْنَبْتُ فى الحوادث وأوْسَعْتُ فى التَّراجم ، لتَكْثُرَ الفائدةُ من الطَّرَفَيْن ، وما وَجَدْتَهُ مختصرا من التراجم فى هذا التَّعْليق رَاجِعْ فيه كتابَنَا المسمى بـ « المنهل الصّافى والمُسْتَوفِى بعد الوافى [٢] » ، فإنِّى هُنَاك شَفَيْتُ الغُلَّة ، وأزَحْتُ العِلَّة — والله أسألُ أن يوفِّقَنى لما يُرْضِيه ، ويُعِينَنى على ما شَرَعْتُ فيه ، إنَّهُ المُيَسِّرُ لكلِّ عَسير ، وهو عَلَى مايشاء قدير ، وبالإجابة جَدير ، وهو حَسْبِى ونعم الوكيل .

---

(١) يفهم من هذا أن المؤلف سبق السخاوى صاحب التبر المسبوك ،فى التذييل على كتاب السلوك .

(٢) كتاب المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى . حقق الجزء الأول منه المرحوم الاستاذ يوسف نجاتى . ونشرته دار الكتب ، كما حقق الجزء الثانى ولكنه لم ينشر حتى الآن . وتعتزم دار الكتب نشر بقية الأجزاء ونشر الأستاذ فيت فهرسا له باسم تراجم المنهل الصافى . طبع ضمن منشورات المجمع العلمى المصرى .

﴿ سنة خمس وأربعين وثمانمائة ﴾

استهلّت هذه السنة وسلطان الديار المصرية ، والأقطار الحجازيّة والبلاد الشاميّة الملكُ الظّاهر أبو سعيد جَقْمَق العلائى الظّاهِرىّ (١) .

والخليفةُ : المعتضدُ بالله أبو الفتح داود (٢) ، وهو مريض .

القضاةُ : الشافِعىُّ قاضى القضاة ، حافظُ العصر ، شهابُ الدّين أحمد بن حَجَر العَسْقَلانى (٣) .

والحنفى : قاضى القضاة ، سعد الدين سعد بن الديرىّ (٤) .

والمالكى : قاضى القضاة ، بدر الدين محمد بن التَّنَسِىّ (٥) .

والحنبلى : قاضى القضاة ، بدر الدين محمد بن عبد المنعم البغدادىّ (٦) .

ومُحْتَسِبُ القاهرة (٧) الشيخ بدر الدين محمود العَيْنِى .

---

(١) الملك الظاهر أبو سعيد جقمق تولى السلطنة فى يوم الأربعاء تاسع عشر ربيع الآخر سنة ٨٤٢ هـ ، وخلع نفسه من السلطنة لولده الملك المنصور عثمان فى نهار الخميس الحادى والعشرين من المحرم سنة ٨٥٧ هـ ، ومات ليلة الثلاثاء ثالث صفر سنة ٨٥٧ (النجوم الزاهرة ــ ج ٧ ذ ١ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ط كاليفورنيا) والظاهرى نسبة إلى الملك الظاهر برقوق .

(٢) انظر ترجمته فى وفيات سنة ٨٤٥ هـ من هذا الجزء .

(٣) انظر ترجمته فى وفيات سنة ٨٥٢ هـ من هذا الجزء ، وقد ترجم له السخاوى فى (الذيل على رفع الإصر ٧٥ ــ ٨٩) .

(٤) هو سعد بن محمد بن عبد الله بن سعد بن أبى بكر بن مصلح بن أبى بكر ــ أبو السعادات النابلسى ، ولد فى الرابع عشر من رجب سنة ٧٦٨ هـ ، ومات فى الثامن من ربيع الآخر سنة ٨٦٧ هـ (السخاوى الذيل على رفع الإصر ١٢٧ ــ ١٤٠) .

(٥) هو محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن عطاء الله بن عواض بن نجابن أبى الثناء محمود بن نهار بن مؤنس ابن حاتم بن نيلى بن جابر بن هشام بن عروة بن الزبير بن العوام رضى الله عنه ، ولد بعد سنة ٧٧٠ هـ بالإسكندرية ، ومات فى ليلة ثالث عشر صفر سنة ٨٥٣ هـ (السخاوى ــ الذيل على رفع الإصر ٢٣٩ ــ ٢٤٥) وانظر ترجمته فى هذا الجزء فى وفيات هذه السنة ص ١٨١ .

(٦) هو محمد بن محمد بن عبد المنعم البغدادى ، ولد فى جمادى الأولى سنة ٨٠١ هـ بالقاهرة ، ومات فى سابع جمادى الأولى سنة ٨٥٧ هـ (السخاوى ــ الذيل على رفع الإصر ٣٤٩ ــ ٣٥٥) وانظر وفيات هذه السنة فى هذا الجزء .

(٧) محتسب القاهرة : هو الذى يتولى الأمر والنهى فيما يتصل بالمعايش والصنائع ويتصرف بالحكم والتولية فى القاهرة والوجه البحرى بتمامه عدا الإسكندرية . ويراقب الأسعار ، ويعمل على توفير الغذاء وما أشبه ، ويراقب معلمى الصبية ومعلمى السباحة ورؤساء الصنائع والحرف (القلقشندى ــ صبح الأعشى ٤ : ٣٧) .

الأمـــــراء : أتابَك [١] العساكر: يَشْبُك السُّودُونِى المُشِدّ .
وأمير سلاح [٢] :الأمير تِمْرَاز القَرْمَشِىّ الظَّاهرىّ بَرْقُوق .
وأمير مجلس [٣]: الأمير جَرِبَاش الكَرِيمِىّ الظَّاهِرِىّ بَرْقوق المعروف بقَاشق .
والأمير آخور الكبير [٤]: الأمير قَرَاقَجَا الحَسَنِىّ الظّاهرى بَرقوق .
ورأس نَوبْة النُّوب [٥] : الأمير تَمُرْ بَاىْ التَّمُرْ بُغَاوِىّ
وحاجب الحجّاب [٦] : الأمير تِنِبَك البُرْدُبَكّى الظّاهِرِى بَرْقُوق .
والدَّوَادَار الكبير [٧] : الأمير تَغْرِى بَرْدى البَكْلَمُشِىّ المُؤْذِى .
ورأس مقّدمى الألوف [٨]: المقام الناصرى محمد ابن السلطان الملك الظاهر جَقْمَق .
جماعة أخر ، وجميع أرباب الوظائف من المذكورين وغيرهم من أمراء الألوف [٩] ، وعدتهم اثنا عشر أميرا ، بنصف ماكان فى سالف الأعصار .

---

(١) أتابك : ويقال أطابك . ومعنى اللفظ أمير أب . والمراد أبو الأمراء ، وهو أكبر المقدمين فى الدولة بعد النائب الكافل ، واللقب يشعر بعلو المقام (القلقشندى صبح الأعشى ٤ : ١٨) .

(٢) أمير سلاح : هو الذى يتولى أمر سلاح السلطان ، ويقدمه له فى المواكب الرسمية (القلقشندى صبح الأعشى ٥ : ٤٥٦) .

(٣) أمير مجلس : هو الذى يتولى أمر مجلس السلطان وتنظيمه وترتيب الجلوس فيه ، ويتحدث على الأطباء والكحالين ومن على شاكلتهم ، وكانت الوظيفة أكبر قدرا من إمرة سلاح (القلقشندى صبح الأعشى ٤ : ١٨ ، ٥ : ٤٥٥) .

(٤) الأمير آخور الكبير : هو المشرف على اسطبلات السلطان ومافيها من دواب (القلقشندى صبح الأعشى ٤ :١٨) والوظيفة أحدثها الظاهر بيبرس البند قدارى (النجوم الزاهرة ٧ : ١٨٥ ط . دار الكتب) ولفظ الكبير هنا لتمييزه عن الأمير آخور الثانى الذى يلى هذا فى الرتبة .

(٥) رأس نوبة النوب : هو الذى يحكم على المماليك السلطانية ويأخذ على أيديهم وينفذ أوامر السلطان فيهم (القلقشندى صبح الأعشى ٤ : ١٨ ، ٥ : ٤٥٥) والوظيفة أحدثها الملك الظاهر بيبرس (النجوم الزاهرة ٧ : ١٨٥ط . دار الكتب) .

(٦) حاجب الحجاب : هو الذى يشير إليه السلطان فى مجالسه ، ويقوم مقام النائب ، وإليه أمر الواردين على باب وأيضا عرض الجند ومأأشبه (القلقشندى صبح الأعشى ٤ : ١٩) .

(٧) الدوادار الكبير : هو الذى يتولى تبليغ الرسائل والأوامر عن السلطان ، ويعرض الأوراق عليه ، ويأخذ توقيعه على عامة المناشير (القلقشندى صبح الأعشى ٤ : ١٩) .

(٨) رأس مقدمى الألوف : هو كبير مقدمى الألوف ، و مقدم الألف كل أمير له تقدمة على ألف فارس ممن دونه من الأمراء على تقارب درجاتهم ، ومرتبته أعلى مراتب الأمراء ، ومن مقدمى الألوف يكون أكابر أرباب الوظائف والنواب (القلقشندى صبح الأعشى ٤ : ١٤) .

(٩) أمراء الألوف : انظر التعليق السابق .

وأما وظيفة أمير جَانْدَار(١) ، فقد أبطلها الملك الأشرف بَرْسْبَاى فى سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة ، عندما أخرج إقْطَاع(٢) الأمير قَرَا مُرَاد خَجَا الشَّعْبَانى الظَّاهرىّ بَرقوق ، ونفاه إلى القُدْس(٣) الشريف ، وهى الآن يتولّاها الأجْنَاد ، فلا حاجة فى ذكر من يليها — إنتهى .

والخَازِنْدَار(٤) الأميرُ قَانِبَك الأشْرَفِى أحدُ أمراء العَشْرَاوات(٥) وهو مريض .

وشَادّ الشّراب خَانَاه(٦) قَانِى بَاى الجَارْكَسِىّ أحد أمراء الطبلخانات(٧) .

والزَّرَدْكَاش(٨) :الأميرُ تَغْرِى بَرْمُش السَّيْفى(٩) يَشْبُك بن أَزْدَمُر .

ونائب القلعة(١٠) :الأمير مَمْجُق النَّوْرُوزِىّ .

---

(١) أمير جاندار : هو الذى يستأذن للأمراء عند دخولهم للخدمة ، أو فى أيام المواكب ، أوعند الجلوس بدار العدل ، ولايأذن إلا لمن يثق به ، وإليه تنفيذ العقوبات ، ويطوف بالزفة حول السلطان ، وجاندار مركب من لفظين فارسيين :جان بمعنى الروح ، ودار بمعنى ممسك والمراد الحافظ للسلطان (القلقشندى صبح الأعشى ٤ : ٢٠ ، ٥ : ٤٦١)

(٢) إقطاع : هو ما يقطع ويعطى من الأراضى الزراعية الحراجية للأمراء والجند وغيرهم لا ستغلالها ودفع الخراج عنها ، وعرفت فى العصر العثمانى باسم الالترام ، هامش (النجوم الزاهرة ٨ : ٩ ط . دار الكتب) .

(٣) القدس : لفظ غلب على مدينة بيت المقدس — وهو المسجد الأقصى . قيل بناها سليمان ، عليه السلام — وفتحت فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، وبنى على الصخرة المقدسة مسجدا ، ثم شيده الوليد بن عبد الملك على ماهوعليه الآن بقبابه الأربع . وانظر (القلقشندى صبح الأعشى ٤ : ١٠٠ — ١٠٢) .

(٤) الخازندار : هو المتولى شئون خزائن الأموال السلطانية وما فيها من نقد وقماش وغيرهما ، وهو من مقدمى الألوف ويتحاسب فى هذه الأمور مع ناظر الخاص (القلقشندى صبح الأعشى ٤ : ٢١) .

(٥) أمراء العشراوات أو العشرات : هم الطبقة الثالثة فى رتبة الأمراء ومنهم صغار الولاة والكشاف ونحوهم .وانظر (القلقشندى صبح الأعشى ٤ : ١٥) .

(٦) شاد الشراب خاناه : هو المتحدث فى أمر الشراب خاناه السلطانية وما عمل لها من السكر والمشروب والفواكه وغير ذلك (القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ٢١) .

(٧) أمراء الطبلخانات : هم الطبقة الثانية من الأمراء ، ويلون أمراء المئين مقدمى الألوف ، ولكل واحد منهم أربعون فارسا إلى ثمانين ، وتكون منهم الرتب الثانية من أرباب الوظائف والكشاف ، وأكابر الولاة (القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ١٥) .

(٨) الزردكاش : هو صانع السلاح بخزانة الزرد . هامش (النجوم الزاهرة ١٢ : ٢١٧ ط . دار الكتب)

(٩) السيفى : اصطلاح يعنى النسبة إلى سيف الدين الموضح بعده ، وهو هنا الأمير سيف الدين يشبك من أزدمر الظاهرى برقوق . ولد ببلاد الجركس ، وظهرت شجاعته فى وقعة تيمورلنك سنة ٨٠٣ هـ ، وأسر ثم فر وعاد إلى مصر ، وبعد مقتل الناصر فرج بن برقوق انضم إلى نوروز الحافظى ، فلما تمكن منه المؤيد شيخ قتله سنة ٨١٧ هـ (السخاوى — الضوء اللامع ١٠ : ٢٧٠) .

(١٠) نائب القلعة : النائب هو الذى يتولى الحكم فى النيابة المضافة إليه ، فى كل ما يحكم فيه السلطان ، فهو نائب عنه ، وأعلى النواب النائب الكافل (القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ١٦) .

والأمير آخور الثانى[١]: الأمير جَرِبَاش المحمدى الناصرى فَرَج المعروف بكُرْد .

ورأس نَوْبَة الثانى : الأمير يَلخَجَا مِن مَامِشْ النَّاصِرِىّ السَّاقِى .

٤- والحاجبُ الثانى : الأميرُ سُودُون /السُّودُونِى الظَّاهِرِىّ بَرقوق .

والدَّوَادَار الثانى : الأميرُ دُولاَتْ بَاىْ المحمودى المؤيَّدىّ .

والزِّمّام[٢] والخَازِنْدَار : الأمير صَفِىُّ الدين جَوْهَر القَنْقَبَائى الحَبَشِىّ .

ومقدّم المماليك السلطانية[٣] : الأمير عبد اللطيف المَنْجَكِىّ الرُّومِىّ المعروف بالعُثْمانِى ونائبه جَوْهَر المَنْجَكِىّ .

ووَالِى القاهرة[٤] : الأمير قَرَاجَا العمرىّ .

مباشرو الدّولة : كاتبُ السِّر[٥] : القاضى كمال الدين بن البَارِزِىّ .

وناظرُ الجيش[٦] : القاضى مُحبُّ الدين بن الأَشْقَر .

والوزير[٧] : الصاحب كريم الدين بن كاتبُ المناخ .

---

(١) لفظ الثانى الذى يتبع بعض الوظائف يدل على أن صاحب الوظيفة مسبوق فيها بأول أو بكبير مثل الأمير آخور الثانى والأمير آخور الكبير .

(٢) الزمام : بتشديد الزاى والميم ، لقب للذى يتحدث على ستارة باب السلطان أو الأمير من الخدام الخصيان ، وهو الموكل يحفظ الحريم ، وأصل اللفظ زنان وحرفته العامة إلى زمام (القلقشندى ـــ صبح الأعشى ٥ : ٤٥٩ ، ٤٦٠) .

(٣) المماليك السلطانية : هم الطبقة الأولى من الأجناد ، وأعظمهم شأنا ، وأشدهم قربا من السلطان ، وأكثرهم إقطاعا ، ومنهم تؤمر الأمراء ويترقون فى الرتب ، وعددهم يزيد وينقص وفق رغبة السلطان (القلقشندى ـــ صبح الأعشى ٤ : ١٥) .

(٤) والى القاهرة : هو الذى يحكم فى القاهرة وضواحيها ، وهو أكبر الولاة وأعلاهم رتبة (القلقشندى ـــ صبح الأعشى ٤ : ٢٣) .

(٥) كاتب السر : هو الذى يقرأ الرسائل للسلطان ، ويعد أجوبتها ، ويأخذ توقيعه عليها ، ويشرف على تسفيرها ، ويصرف المراسيم ، ويشارك الوزير فى بعض أعماله ، ويتحدث على البريد وشئون القصاد ، وله ديوان خاص يسمى ديوان كاتب السر أو ديوان الإنشاء (القلقشندى ـــ صبح الأعشى ٤ : ٣٠) وأول من أحدث هذه الوظيفة المنصور قلاوون (النجوم الزاهرة ٧ : ٣٣٢ ط . دار الكتب) .

(٦) ناظر الجيش : هو المتحدث فى أمر الإقطاعات فى مصر والشام ، والكشف عنها ، ومشاورة السلطان بشأنها ، وديوان الجيش أول ديوان وضع فى الإسلام على عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وله أتباع كصاحب ديوان الجيش ، وكتابه وشهوده ، وصاحب ديوان المماليك ، وكاتب المماليك وشهودهم (القلقشندى ـــ صبح الأعشى ٤ : ٢٠ ، ٢١) .

(٧) الوزير : ووظيفته من الوظائف الديوانية (المدنية) وهى أجلها وأرفعها ، ولكنها تأخرت لما أحدثت وظيفة النيابة ، وصار شاغلها كناظر المال لايتعدى الحديث فيه (القلقشندى ـــ صبح الأعشى ٤ : ٢٨ ـــ ٢٩) وانظر (السيوطى ـــ حسن المحاضرة ٢ : ١٩٣) بتحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم .

والأُسْتَادَار (١) : الأمير قيـزْطُوغَان

ونظر الخاص (٢) : الصاحب جمال الدين يوسف بن كاتب جَكَم .

ونائب كاتب السرِّ: القاضى شرف الدين الأشقر .

وناظر الدولة (٣) : الصاحب أمين الدين إبراهيم بن الهَيْصَم .

وناظر ديوان المُفْرَد (٤) : القاضى زين الدين يحيى الأشقر .

وناظر الإسطبلات (٥) السلطانية: القاضى تقىّ الدين بن نصر الله .

وكـاتب المماليك (٦) فَرَج بن ماجد بن النَّحال .

نواب البلاد (٧) : نائب الشام الأمير جُلُبَّان السَّيفى إينَال خَطَب المعروف بالأمير آخور ، ونائب حَلب (٨) : الأمير قانِبَاى الحَمْزَاوِىّ ، ونائب طَرَابُلُس (٩) الأمير

(١) الأستادار : هو المتحدث فى أمر بيوت السلطان كلها ، ويتصرف بأمر السلطان ، ويحكم فى غلمانه وباب داره (القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ٢٠) وتضبط بكسر الهمزة رعاية لأصل اللفظ الفارسى . ولكن استقر ضبطها فى كثير من الكتب بضم الهمزة . وقد جرى على ذلك محققو النجوم الزاهرة فى أجزائه كلها ماعدا الجزء الخامس عشر .

(٢) ناظر الخاص : وناظر الحواص الشريفة ، وهو المتحدث فيما هو خاص بمال السلطان ، وهو كالوزير فى قربه من السلطان وتصرفه ، ويرجع إليه فى تدبير الأمور وتعيين المباشرين (القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ٣٠) .

(٣) ناظر الدولة.ويتحدث مع الوزير فيما يتحدث فيه ، ويشاركه فى الكتابة والتوقيع ، ويقال له ناظر الدواوين المعمورة والصحبة الشريفة . (القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ٢٩ ، ٣٠) .

(٤) ناظر ديوان المفرد : هو المشرف على الديوان الخاص بما أفرد للخليفة أو السلطان من الأراضى للصرف منها على المماليك من جامكيات أو كسوة (القلقشندى — صبح الأعشى ٥ : ٤٥٧) .

(٥) ناظر الإسطبلات السلطانية : هو المباشر للإسطبلات السلطانية والمتحدث على أنواع الخيول وكافة الدواب وعليقها وعدتها ، ومالها من الاستعمالات والإطلاقات ، وكل مايباع لها أو منها ، وأرزاق المستخدمين بها (القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ٣٢) .

(٦) كاتب المماليك : ويتبع ديوان الجيش ويعرض على ناظر الجيش (القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ٣١) .

(٧) النواب : هم الذين يحكمون فى نياباتهم فى كل ما يحكم فيه السلطان ، وانظر (القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ١٦ ، ١٧ ، ٢٤) .

(٨) حلب : مدينة جليلة من قواعد الشام القديمة ، وبها نهران ؛ قويق والساجور ، وعظمت فى دولة بنى حمدان ، ثم زادت عظما فى الدولة الأتابكية ، ونائبها من أكابر المقدمين منذ الدولة الناصرية محمد بن قلاوون ، وتلى نيابة دمشق فى الرتبة ، وتتصل أعمال حلب ببلاد الروم (القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ١١٦ — ١١٩) .

(٩) طرابلس : كانت تسمى تربوليس أى المدن الثلاث ، وكانت زاهرة فى عهد الرومان ، وفتحها العرب سنة ١٧ هـ ثم استولى عليها الصليبيون سنة ٥١٣ هـ بعد حصار طويل ، ثم استولى عليها المنصور قلاوون سنة ٦٨٨ هـ ودمرها ، وبنى على أنقاضها مدينة جديدة ، والمدينة الحالية تقع على ساحل بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) على بعد ٦٧ ك م من بيروت شمالا بانحراف إلى الشرق ، وعلى بعد ٣ ك م من صيدا شمالا إلى الغرب . هامش (النجوم الزاهرة ١٢ : ٦٠ ط . دار الكتب) .

بَرْسبَاىْ النَّاصِرِىّ الحاجب ، ونائب حَمَاة[١] الأمير بُرْدُبَك الجَكَمِى العَجَمِى الأَعْور ، ونائب صَفَد[٢] الأَمِير قَانِى بَاى الأَبُو بَكْرِى النَّاصِرِىّ المعروف بالبَهْلَوَان ، ونائب غَزَّة[٣] : الأمِير طُوخْ الأَبُو بَكْرِى المُؤَيَّدِىّ ، ونائب الكَرَك[٤] الأمير مَازِى الظَّاهرى بَرْقُوق ، ونائب مَلَطْيَة[٥] : الصاحب خليل بن شاهين الشَّيْخِىّ ، ونائب القُدس : الأمير طُوغَان العُثْمَانى ، ونائب حِمْص[٦] : الأمير يَبْغُوت مِن صَفَر خَجَا المُؤَيّدِىّ المعروف بالأَعْرَج .

- المحرم : أَوّله الأحد ، لم يقع فيه شيء من الحوادث .
- وكذلك صفر .
- شهر ربيع الأوّل : أَوَّله الأربعاء .

فى يوم السبت رابعه استقرّ الشيخ على الخُرَاسَانى فى حِسْبَة القاهرة بعد عزل قاضى القضاة بدر الدين العَيْنِى .

وفى أوّل هذا الشهر أوفى النيلُ ستّة عشر ذراعا ، ونزل المقام الناصرى محمد ابن

---

(١) حماة : مدينة كبيرة من قواعد الشام ، لها قلعة حصينة ، وتقع على نهر العاصى ، والسواقى ترفع الماء منه إلى البساتين وبركة الجامع (ياقوت ــ معجم البلدان ٢ : ٣٣٠ ، ٣٣١) .

(٢) صفد : مدينة بالجليل الأعلى من فلسطين (المنجد ــ اعلام الشرق والغرب ٢٠٦) وتشرف على بحيرة طبرية ، وجعلها الظاهر بيبرس مركزا للجيش الذى يحفظ البلاد الساحلية . هامش (النجوم الزاهرة ١٢ : ١١٧ ط . دار الكتب) .

(٣) غزة : مدينة على مرتفع من الأرض على طرف الرمل بين مصر والشام قرب ساحل البحر ، وكانت تتبع الشام تارة ، وتارة أخرى تعد ولاية مستقلة تتبعها البلاد الساحلية (القلقشندى ــ صبح الأعشى ٤ : ٩٨ ، ٩٩) .

(٤) الكرك : مدينة محدثة البناء ، كانت ديرا ثم وسعه رهبانه حتى صار مأوى للنصارى ، ثم صار قلعة ، وتقع بأطراف الشام من نواحى البلقاء (المملكة الاردنية الهاشمية حاليا) على سن جبل بين أيلة وبحر القلزم وبيت المقدس (القلقشندى ــ صبح الأعشى ٤ : ١٥٥) و (ياقوت ــ معجم البلدان ٤ : ٣١٢) .

(٥) ملطية : مدينة شمالى حلب ، وأعلى نهر الفرات ، وهى قاعدة الثغور ، وتعد من بلاد الروم أو من بلاد الشام ، عمرها أبو جعفر المنصور سنة ١٣٩ هـ وفتحها الناصر محمد بن قلاوون فى المحرم سنة ٧١٥ هـ (ياقوت ــ معجم البلدان ٤ : ٦٣٣ ، ٦٣٥) و (القلقشندى ــ صبح الأعشى ٤ : ١٣١) .

(٦) حمص : إحدى مدن الشام وقواعده ، ويشرب أهلها من نهر العاصى ، ولها قلعة حصينة ، وتقع بين دمشق وحلب ، واسمها القديم سوريا ، وهى جيدة الهواء (ياقوت ــ معجم البلدان ٢ : ٣٣) و (القلقشندى ــ صبح الأعشى ٤ : ١١٢) .

الملك الظاهر جَقْمَق من قلعة الجبل حتى عدّى النيل ، وخلّق المِقْيَاس[١] ، ثم عاد وفتح خليج السد[٢] ، وركب وطلع / إلى القلعة ، وخلع عليه والده خِلْعَةً ٥ عظيمة على العادة ، وفى هذا المعنى يقول الشيخ صلاح الدين خليل بن أَيْبَك الصَّفَدِى[٣] — رحمه الله [البسيط] .

قَالُوا عَلاَ نيل مصر فى زِيَادَتِه حَتَّى لَقَدْ بَلَغَ الأَهْرَامَ حِينَ طمَا
فَقُلْتُ هَذَا عَجِيبٌ فِى بِلاَدِكُمُ مِنَ ابْنِ سِتَّةَ عَشْرٍ يَبْلُغُ الهَرَمَا

وفى يوم الخميس تاسعه استقرّ سُليمانُ بن المتوكّل على الله أبى عبد الله محمد فى الخلافة ، وبُويعَ بحضرةِ السّلطان ، وفُوّض عليه التشريف على العادة ، وذلك بَعَهْدٍ من أخيه المُعْتَضِدِ داود — رحمه الله .

وفى يوم الخميس سَلْخِه استقرّ قاضى القضاة عز الدين بن عبد العزيز البغدادىّ الحنبلىّ قاضى قضاة الحنابلة بِدِمَشْق ، عِوضًا عن القاضى زين الدين بن مُفْلح ، بحكم عزله .

- شهر ربيع الآخر : لم يقع فيه شىء .
- جمادى الأولى : أوّله الأحد .

فى يوم الاثنين سادس عشره خَلَعَ السلطانُ على الشريف على بن حسن بن عَجْلاَن باستقراره أميرَ مَكَّة المشرّفة بعد عزل أخيه الشريف بَرَكَات بن حَسن بن عَجْلاَن ، وعَيَّن السلطانُ معه مائةً وخمسين مَمْلُوكًا من المماليك السلطانية ، وتقدّمهم

---

(١) المقياس : عمود من الرخام أبيض مشمس ، وهو مقسم على اثنين وعشرين ذراعا ، وكل ذراع مقسم إلى أربعة وعشرين قسما متساويا تعرف بالأصابع ماعدا الاثنى عشر ذراعا الأول فإنها تقسم على ثمان وعشرين إصبعا لكل ذراع (المقريزى — الخطط ١ : ٥٩) وتخليق المقياس هو دهنه بالحلوق وأنواع الطيب من المسك والعنبر وما أشبه .

(٢) خليج السد : هو خليج القاهرة المعروف بالخليج المصرى ، وهو الذى كان يفتح سده عند الفيضان ، والسد يقع قريبا من فم الخليج ، ومكان الخليج اليوم شارع بورسعيد (الخليج المصرى سابقا) هامش (النجوم الزاهرة ج ١٢ : ٨٢ ط . دار الكتب) .

(٣) هو الشيخ الإمام البارع الأديب المفنن صلاح الدين ابو الصفاء خليل بن عز الدين أيبك بن عبد الله الأيبكى الصفدى المتوفى فى ليلة عاشر شوال سنة ٧٦٤ هـ (النجوم الزاهرة ١١ : ١٩ — ٢١ ط . دار الكتب) و (المنهل الصافى ٢ : ٦٥ وما بعدها) .

الأمير يَشْبُك الصُّوفى المُؤيّدى ، أحد أمراء العَشَرَات ورأس نَوْبَة ، لمساعدته على أخيه بَرَكات بن حسن .

وكان سببُ عَزْل بَرَكات المذكور عدم حضوره إلى بَيْنَ يَدَىْ السلطان بالدِّيَار المصرية .

● جمادى الآخرة : أوّله الثلاثاء .

فى يوم الخميس رابع عشرينه سافر الشريف على إلى محلّ ولايته بمكّة المشرّفة وسافر معه الأمير يَشْبُك الصُّوفىّ بمن معه من المماليك السّلطانية .

● شهر رجب : أوّله الأربعاء .

فى يوم الاثنين سادسه قَدِمَ إلى ظاهر القاهرة الأميرُ بَرْسْبَاىْ النّاصِرِى فَرَج نائب طَرَابُلُس ، ونزل السلطانُ الملكُ الظّاهِرُ جَقْمَقُ وتلقّاه من المطعم[١] خارج القاهرة [وخلع عليه][٢] على العادة .

وفى يوم الثلاثاء سابعه قبض السلطان على الأمير قيزْ طُوغَان العلائى الأُسْتَادار ، وعلى زَيْنِ الدين [يحيى][٢] الأشْقَر ناظر دِيوَان المُفْرَد ، وسلّمهما للأمير دُولاَتْ بَاىْ المحمودىّ الدَّوَادَار الثانى .

وفى يوم الخميس سادس عشره استقرّ الأميرُ زين الدين عبد الرحمن بن الكُوَيْز أُستادارًا عِوَضًا عن قِيزْ طُوغَان ، واستقرّ زينُ الدين الأشقرُ / على عادته فى نَظَرِ دِيوان المُفْرَد ، وأُنْعِمَ على الأمير قِيزُ طُوغَان بإمْرَة مائة[٣] [وتقدمة ألف][٢] بمدينة حلب ، وخرج فى يوم السبت خامس عشرينه .

٦

---

(١) المطعم : المراد به مطعم الطير ، وكان يقع فى الريدانية (المنطقة التى بها — حاليا — جبانة الخفير بالعباسية) وكان به الطيور المدربة على الصيد من البازى والكواهى والصقور . هامش (النجوم الزاهرة ١٠ : ١٧١ ، ١٢ : ٤٥ ط . دار الكتب) .

(٢) الإضافة عن (النجوم الزاهرة ١٥ : ٣٥٠ ط. الهيئة المصرية العامة) .

(٣) إمرة مائة : وتكون الطبقة الأولى من الأمراء ، وعدة كل منهم مائة فارس ، وربما زاد الواحد منهم العشرة والعشرين ، وله تقدمة على ألف فارس ممن دونه من الأمراء ، ويقال عادة أمير مائة ومقدم ألف (القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ١٤) .

وفى يوم الاثنين سابع عشرينه استقرّ الأمير شهاب الدين أحمد بن أمير على ابن الأتَابَك إينال اليُوسُفِى ، أحَدُ الأمراء العشرات فى نيابَة الإسكندرية [١] بعد عَزْل الأمير أَسَنْبُغَا النَّاصِرِىّ الطَّيَّارىّ عنها ، وقدومه إلى القاهرة من جملة مقّدمى الألوف بها .

● شهر رمضان ، أوّله السبت ، فيه قدم إلى القاهرة الشيخ شمس الدين الخافى الحنفى من مدينة سَمَرْ قَنْد [٢] ، قاصدا الحجّ فى هذه السنة ، وهو أحدُ أعيان فقهاء القان شاه رُخّ [٣] بن تَيْمُورْ لَنْك وولده أُلُوغ بَك [٤] صاحب سَمَرْقَنْد ، ولمّا طلع إلى السلطان أقبل عليه وأكرمه ، وأنعم عليه بأشْيَاء كثيرة .

● شوّال ، أوّله الاثنين .

فى يوم الخميس ثامن عشره برز أميرُ الحاج الأمير تَغْرِى بَرْمُشْ اليَشْبُكِىّ [٥] الزَّرَدْكَاش بالمحمل إلى بِرْكة الحاجّ [٦] دفعة واحدة ، وكانت العادة أنّ أمير حاج المحمل يبرز إلى الريدانية [٧] ، ثم يتوجه فى ثانيه إلى بركة الحَاجّ فبطل ذلك ،

---

(١) الإسكندرية : هى أكبر ثغور مصر ، وكان أسمها عند قدماء المصريين « راكوتى » وعند اليونان «راكوتسى» وكان العرب يسمونها « راقودة » ومحلها القديم حى كوم الشقافة ، وهى من أجل موانى البحر الأبيض المتوسط . بناها الإسكندر الأكبر سنة ٣٣١ ق . م ، وكان لها فنار يبلغ ارتفاعه ٤٠٠ قدم على جزيرة فاروس التى عليها طابية قايتباى الآن وفتحها عمرو بن العاص مرتين سنة ٢١ ، وسنة ٢٥ هـ ، واهتم المقريزى بها فى خططه فأطال الحديث عنها فى ج ١ : ١٤٤ ، وكذلك على مبارك فى خططه حيث خصص لها الجزء السابع بكماله وانظر هامش (النجوم الزاهرة ج ١٢ : ٢٢٩ ـــ ٢٣١ ط . دار الكتب) .

(٢) سمرقند : قصبة بلاد الصغد فيما وراء النهر ، وحاليا مدينة بجمهورية أزبكستان السوفييتية ، دخلها سعيد بن عثمان سنة ٥٥ هـ (ياقوت ـــ معجم البلد ٢ : ١٢١) و (المنجد ـــ أعلام الشرق والغرب ٢٦٢) .

(٣) هو القان معين الدين شاه رخ بن تيمورلنك ـــ ملك الشرق وسلطان ماوراء النهر ، وخراسان ، وخوارزم وعراق العجم ، ومازندران ، ومملكة دلى من الهند ، وكرمان ، وأدربيجان (السخاوى ـــ الضوء اللامع ٣ : ٢٩٢) .

(٤) هو ألوغ بك بن طورغاى بن شاه رخ ، ولد سنة ٧٩٦ هـ ، وقتل بأمر ابنه عبد اللطيف على يد عبد فارسى بعد محاكمة صورية فى عاشر رمضان سنة ٨٥٣ هـ (دائرة المعارف الإسلامية محلد ٢ : ٥١٣ ـــ ٥١٧) و (ابن العماد ـــ شذرات الذهب ٧ : ٢٧٥ ـــ ٢٧٧) .

(٥) أى المنسوب إلى يشبك من أزدمر الزردكاش (النجوم الزاهرة ٧ : ١٢١ ط . كاليفورنيا) .

(٦) بركة الحاج : أو بركة الحجاج ، محلها اليوم قرية البركة من قرى مركز شبين القناطر بمحافظة القليوبية ، شرقى المرج ، وكانت تعرف أيضا ببركة الجب وبركة جب عميرة نسبة إلى عميرة بن غنم التجيبى ، وكان يبرز إليها الحجاج عند خروجهم من مصر إلى مكة المكرمة (المقريزى ـــ الخطط ١ : ٤٨٩) .

(٧) الريدانية : كانت تطلق على بستان أنشأه ريدان الصقلى خادم العزيز بالله الفاطمى ، وتشمل المنطقة التى بين الحسينية ومصر الجديدة بما فيها الوايلى والعباسية وثكنات الجيش على حانبى شارع الخليفة المأمون ومشية البكرى.هامش (النجوم الزاهرة ١٢ : ٢ ط . دار الكتب) و (المقريزى ـــ الخطط ٢ : ١٣٩) .

وأميرُ الرَّكْب الأوّل الأمير يُونُس الآقْبَائى المعروف بالبّواب أحدُ أمراء العشرات .

وفى يوم الثلاثاء ثالث عشرينه قبض السلطانُ على الأمير جانِبَك المَحْمُودِى المؤيّدى أحد أمراء العشرات ورأس[1] نَوْبَة ، وحبسه بالبُرْجِ[2] من قلعة الجَبَل وأنعم بإقطاعه على خير بك المؤيدى أحد الدَّوَادَارِيّة .

وفى يوم الاثنين تاسع عشرينه حُمل جَانِبَك المحموديّ المقدّم ذكره إلى ثغر الإسكندرية ليحبس بها .

● أمر النيل فى هذه السنة : كانت القاعدة — أعنى الماء القديم — عشرة أذرع ونصف ، مبلغُ الزيادة عشرون ذراعا وخمسة عشر إصبعا .

* * *

---

(١) جاء فى (النجوم الزاهرة ٧ : ١٢٢ ط . كاليفورنيا) « وكان السلطان قصد قبضه قبل ذلك فخشى عاقبة خشداشيته ، فلما زاد جانبك المذكور عن الحد فى التكلم فى الدولة ومداخلة السلطان فى جميع أموره بعدم دربة وقلة لياقة مع حدة وطيش وخفة وسوء خلق أمسكه فى هذا اليوم وقصد بذلك حركة تظهر من خشداشيته المؤيدية فلم يتحرك ساكن بل خاف أكثرهم وحسن حالهم مع السلطان ، وانكف أكثرهم عن مداخلة السلطان » .

(٢) البرج : هو سجن كان موجودا وهدم فى الدولة العلية التركية . هامش (النجوم الزاهرة ١٠ : ٢٣ ط . دار الكتب) .

(٣) قلعة الجبل : وهى قائمة على مرتفع متصل بجبل المقطم ، وتشرف على القاهرة ومصر والنيل من الشرق والجنوب وكان موضعها يعرف بقبة الهواء ، وقد بدأ بناءها صلاح الدين الأيوبى وأتمها العادل أبو بكر بن أيوب ، وصارت دار الملك فى مصر ، وقد زاد فيها ملوك الترك مبانى عديدة . وانظر (المقريزى — الخطط ٢ : ٢٠٠ ومابعدها) .

﴿ ذكر من مات من الأعيان فى هذه السنة ﴾

تُوُفِّى الخليفةُ أميرُ المؤمنين المُعْتضِدُ بالله أبو الفتح داود ابن الخليفة المتوكّل على الله [أبى عبد الله][١] محمد ابن الخليفة المُعْتَضِد بالله أبى بكر ابن [الخليفة][١] المُسْتكفى بالله أبى الرّبيع سليمان ابن [الخليفة][١] الحاكم بأمر الله أبى العباس أحمد بن الحسين بن أبى بكر بن على بن الحسين ابن الخليفة الرّاشد بالله منصور ابن الخليفة المُسْتَرْشِد بالله الفضل ابن الخليفة المُسْتَظْهِر بالله / أحمد ابن الخليفة المُقْتَدِى بالله عبد الله ابن الأمام ذَخِيَرةِ الدين محمد ابن الخليفة القائم بأمر الله عبد الله ابن الخليفة القادر بالله أحمد ابن الموفق طلحة ابن الخليفة[٢] المتوكل على الله جَعْفَر ابن الخليفة المُعْتَصِم بالله محمد ابن الخليفة الرَّشِيد [بالله] هارون ابن الخليفة المَهْدِىّ [بالله] (١) محمد ابن الخليفة أبى جَعْفَرٍ المنصور عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس العباسِىّ الهاشِمِىّ المصرىّ[٣]؛ فى يوم الأحد رابع شهر ربيع الأول ـــ بعد مرض تَمَادَى به مُدَّة ـــ وحضر السلطانُ الملكُ الظّاهرُ جَقْمَق الصلاةَ عليه بمصلاّةِ المُؤْمِنِىّ[٣] تحت قَلْعَة الجَبَل ، ودُفِن بالمَشْهَد النَّفِيسِى[٤] وكانت مدة خلافته تسعا وعشرين سنة وأَيَّامًا ، فإنه بُويِعَ

٧

---

(١) الإضافات من (النجوم الزاهرة ٧ : ٢٧٦ ط . كاليفورنيا) .

(٢) ورد فى هامش اللوحة « الأمير إسحق بن المقتدر بالله جعفر بن المعتضد بالله أحمد بن أبى أحمد الموفق بن المتوكل ـــ سقط هذا من النسب ولعله سهو من الكاتب » وقد قابلت هذا النسب على ماجاء (بالنجوم الزاهرة ٧ : ٢٧٦ ، ٢٧٧ ط . كاليفورنيا) ولم ترد هذه الزيادة .

(٣) مصلاة المؤمنى : أنشاها الأمير بكتمر بن عبد الله المؤمنى ، وأنشأ بجوارها سبيلا وذلك حوالى سنة ٧٢٥ هـ وجددها السلطان الغورى سنة ٩٠٩ هـ ، ولاتزال بقاياها قائمة فى أول شارع السيدة عائشة تحت قلعة الجبل (على مبارك الخطط ٥ : ١٢٣) وهامش (النجوم الزاهرة ج ١٢ : ٣٢٨ ط . دار الكتب) .

(٤) المشهد النفيسى : هو ضريح السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم . توفيت فى سنة ٢٠٨ هـ ، وكان الضريح منزلالها فشق فيه قبرها ، وأول من بنى على قبرها عبيد الله بن السرى بن الحكم أمير مصر سنة ٢١٠هـ وجدد القبة الخليفة الحافظ لدين الله فى سنة ٥٣٢ هـ . وأول من أنشأ المسجد المجاور للضريح الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٤ هـ ، والمشهد من الأماكن التى قيل بأن الدعاء يستجاب عندها (المقريزى ـــ الخطط ٢ : ٤٣ ومابعدها) و هامش (النجوم الزاهرة ١٢ : ٥٤ ط . دار الكتب) .

بالخلافة بعد القبض على أخيه المستَعين بالله العَبَّاسى فى يوم الخميس سادس عشرين ذى الحجة سنة ست عشرة وثمانمائة ، واستمرّ فى الخلافة دَهْرًا ، وطالت أيّامُه ، وتسلطنَ فى خلافته عِدَّةُ سلاطين وكان المُعْتَضِدُ بالله خَليقاً بالخلافة ، سَيّدَ بنى العباس فى زمانه ، أهلاً لها بلا مدافعة ، وكان كريما عاقلا ، ديّناً خَيِّراً ، حلو المحاضرة كثير الصدقات والبر للفقهاء والفقراء ، وكان يحب مُجَالَسَةَ العلماء وأهل الفضل ، وكان جَيّد الفهم ذكيّا ، وكان يجتهد فى السَّير مع ندمائه وجلسائه على قاعدة الخلفاء ، فيضعفُ موجودُه عن إدراك مايقصده ، فبسبب ذلك حمل جملةً من الديون ، وكان له محاسن شتى ، أعرفه قديما وحديثا ، فإنه كان قد تزوَّج بزوجة الوالد بعد موته ـــ السِّت قمر بنت الأمير دَمُرْداش[1] ـــ وكان بينها وبين والدتى محبّة مستمِرّةٌ إلى الممات ـــ رحمهما الله .

وتُوُفِّى الشيخُ الأديبُ المقرِىء المُفَنِّنُ شمسُ الدين محمد المعروف بابن زين النحريرى[2] ، فى مستهلّ شهر ربيع الأوّل وكان قد مدح النبّى ـــ ﷺ بما يُنِيفُ على عشرة آلاف قصيدة ، وكان من الشعراء المعدودة ، وشِعْرُه كثير بأيدى الناس ، وكان يستحضرُ القراءات السَّبع وكان به صَمَمُ عظيم حتى لايكاد يسمع / الطبول العظيمة ، ومع ذلك كان إذا قرأ عليه أحدٌ القرآن يرد عليه الغلط ـــ رحمه الله تعالى .

٨

وتُوُفِّىَ القاضى زينُ الدين عبد الرحمن الحنفى أحدُ نّواب الحكْم فى يوم السبت الحادى والعشرين من شهر رجب ، وكان مشكور السيرة .

وتُوُفِّىَ الشيخُ محب الدين الأوجاقى[3] الحنفى ، فى يوم الاثنين لسبع بَقَيْن

---

(١) دمرداش : بضبط هذا الاسم بفتح الدال وضم الميم وسكون الراء ، كما يضبط بكسر الدال والميم وسكون الراء . والأول أصح لأن الاسم محول عن تمرطاش . وتمرطاش بفتح التاء وضم الميم وسكون الراء .

(٢) هو محمد بن أحمد بن عمر بن محمد بن عمر النحريرى ـــ المعروف بالمسعودى الشافعى ، ولد سنة ٧٥٦ هـ (ابن العماد ـــ شذرات الذهب ٧ : ٢٦٤ ـــ ٢٦٥) و (النجوم الزاهرة ٧ : ٢٧٧ ط . كاليفورنيا) .

(٣) هو محمد بن أحمد بن عز الدين . المحب أبو عبد الله القاهرى ، ويعرف بابن الأوحاقى ، ولد سنة سبعين وسبعمائة أو التى قبلها ودفن بتربة الشريف أحمد الحسينى بجوار ضريح الإمام الشافعى (السخاوى ـــ الضوء اللامع ٩ : ٤٩ ، ٥٠) وينسبه السخاوى لمذهب الشافعية ـــ و (النجوم الزاهرة ج ٧ : ٢٧٧ ط . كاليفورنيا) .

من شهر رجب ــ بعد مرض طويل ــ وكان مشكور السيرة ، وعنده فضيلةٌ وتَديّن ، وكان قليل الاجتماع بالناس ، ولهم فيه اعتقاد ومحبّة ــ رحمه الله .

وتُوفِّى الشيخُ الإمامُ العالم المتقنُ ، عمدةُ المؤرخين ورأسُ المحدثين تقىُّ الدين أحمد بن على بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن تَمِيم ابن عبد الصَّمَد المقريزىّ[1] الشافعىّ ، مؤرخُ الدّيار المصرية ، فى يوم الخميس سادس عشر شهر رمضان ، ودُفِنَ من الغَدِ بمقبرةِ الصُّوفيّة[2] ــ خارج باب النصر[3] ــ وقد وهم قاضى القضاة بدر الدين محمود العَينِىُّ فى تاريخ وفاته وقال ماصورته " وتُوفِّى الشيخُ تقىُّ الدين أحمد المقريزىّ فى يوم الجمعة التاسع والعشرين من شعبان ، وكان مشتغلا بكتابة التاريخ وضرب الرَّمل "قلت : لايُسمع كلامُ الأقران فى أقرانهم ، وأما التَّبايُن الذى كان بينهما فمعروف ــ رحمهما الله تعالى .

قَلتُ : سألت الشيخ تقىَّ الدين المذكورَ عن مَوْلِدِه فقال : بعد الستّين وسبعمائة بسنِّيات ، وكان مَوْلِدُه بالقاهرة ، وبها نشأ ، وتفقّه على مَذْهَبِ أبى حنيفة ، وهو مذهب جّده لأمّه الشيخ شمس الدين محمد بن الصَّائِغ الحنفى ، ثم تحوَّل شافعيًّا لأمْرٍ اقتْضى ذلك ذَكَرَهُ لِى ، ثم اشْتَغَل فى مَذْهَب الشّافعى ــ رضى الله عنه-وسمِعَ الكثيرَ من الحديث على الشيخ بُرْهَان الدين إبراهيم بن أحمد التنائى ، ومن ناصر الدين محمد بن على الحراوى ، والشيخ بُرْهان الدين الآمدى ، وشيخ الإسلام سراج الدين البُلْقِينىّ ، والحافظ زين الدين عبد الرحمن العِرَاقِى ، والهَيْتمى ، وسمع بمكّة من ابن سُكّر ، والنّشَاوِرىّ وغيرهما ، وأجاز له الشيخ شهاب الدين الأذرعى ، والشيخ

(١) ترجم له المؤلف فى (النجوم الزاهرة ج ٧ : ٢٧٧ ــ ٢٧٩ ط . كاليفورنيا) و (المنهل الصافى ١ : ٨٣ / ب) و (السخاوى ــ الضوء اللامع ٢ : ٢١ ــ ٢٥) وقد ذكر السخاوى أنه قرأ له أن تصانيفه زادت على مائتى مجلدة كبارا ، وأن شيوخه بلغت ستمائة نفس .

(٢) مقبرة الصوفية : مكانها اليوم المقابر المعروفة بحبانة باب النصر هامش (النجوم الزاهرة ١٠ : ٣٣٦ ط . دار الكتب) وقد انشأها صوفية الصلاحية سعيد السعداء على قطعة أرض قدر فدانين من ميدان القبق ، وأداروا عليها سورا من الحجر ليدفن فيها من يموت منهم ثم أضافوا إليها قطعة من تربة قرا سنقر سنة ٧٩٠ هـ وأصبحت مزارا (على مبارك ــ الخطط ٢ : ٧١) .

(٣) باب النصر : أحد أبواب سور القاهرة الذى بناه جوهر الصقلى ، وقد اندثر فقام بدر الجمالى ببناء سور جديد ونقل إليه باب النصر الحالى قريبا من مصلى العيد الذى يقع خارج القاهرة من شمالها (المقريزى ــ الخطط ١ : ٣٨٠) .

بهاء الدين أبو البقاء ، والشيخ جمال الدين الإسنوى وغيرهم ، وكان إمامًا فاضلاً
٩ بارعا مُتْقِنًا مُفَنِّنا ضَابِطا ديِّنًا خيِّرا ، منقطعا عن الناس ، هذا مع الدين / المتين ،
وكثرة الأَوْرَاد والتهجّد فى الليل وصيام النهار ، وكان حُلْو المحاضرة ، فَكِهَ المُنَادَمِة
لاسيّما إذا ذاكَرَهُ الشخص بالتاريخ وأيام السّلف من القرون الماضية ، فكان أُعجوبَةً
فى ذلك ، وكان مُعَظَّماً فى الدّول ، مبجلا عند الأكابر إلى الغاية ، كان إذا دخل
بيت الصاحب بدر الدين بن نصر الله ناظر الخواص جلس بينه وبين ابنه الأمير صلاح
الدين محمد بن نصر الله أستادار العالية — على تيهٍ كان فى بنى نصر الله — أفنى
عمره فى كتابة التاريخ والتصانيف ، وله المصنّفات المفيدة النافعة فى عدّة فنون يضيقُ
هذا المختصر عن ذكرها ، استوعبناها فى تاريخنا المسمى بـ « المنهل الصافى
والمستوفى بعد الوافى » وكان بينى وبينه صحبة أكيدة ، ومحبة زائدة ، وقرأت عليه
كثيرا من مصنفاته ، وبه انتفعتُ ومنه استفدتُ ، وهو الذى حبّبنى فى هذا الشّأن ،
وسمعتُ عليه كتاب « فضلِ الخيل » تأليف الحافظ شرف الدين الدّمياطىّ بكماله ،
وغيره ، وأجازنى بجميع مايجوز له وعنه روايته ، وبجميع مصنّفاته .

وتولّى حِسْبَة القاهرة غير مرّة ، وأوّل ولايته لها من قبل الملك الظاهر
بَرْقُوق [١] فى شهر رجب سنة إحدى وثمانمائة ، إلى أن عُزِل بقاضى القضاة محمود
العَيْنِى ، وهو أوّل ولاية العَيْنى أيضا لحسبة القاهرة فى ذى الحجة من السّنة ، ثم
وليها بعد ذلك ، وسُئِل بقضاء دِمشْق فى الدّولة الناصرية فَرَج [١] فامتنع ، وكان
كثير الفضائل لولا تعصُّبٌ كان فيه على السّادة الحنفية ، وكان ينسبُه بعض الناس

---

(١) هو السلطان الملك الظاهر أبو سعيد سيف الدين :برقوق بن آنص العثمانى اليلبغاوى الجركسى. تولى الملك فى تاسع عشر رمضان سنة ٧٨٤ هـ وعزل بالملك المنصور حاجى سنة ٧٩٠ هـ ثم عاد للسلطنة مرة أخرى فى سنة ٧٩٢ هـ وتوفى ليلة الجمعة خامس عشر شوال سنة ٨٠١ هـ (النجوم الزاهرة ج ١١ : ٢٢١ — ٣١٨ ، ج ١٢ : ٣ — ١٦٨ ط . دار الكتب) .

(١) ابتدأت سلطنة الناصر فرح بن برقوق فى شوال سنة ٨٠١ هـ وانتهت بقتله فى قلعة دمشق فى صفر سنة ٨١٥ هـ . وتخللها سلطنة أخيه عز الدين عبد العزير بن برقوق لمدة سبعين يوما فى سة ٨٠٨ هـ (النجوم الراهرة ج ١٢ : ١٦٨ ، ج ١٣ : ١٩٨)ط . دار الكتب والهيئة العامة للتأليف والنشر وفى طبعة بير ص ١٣٩ : « وسُئل بقضاء مستوفى الدولة الناصرية فرج فامتنع » .

إلى الميل لمذهب الظّاهر (١) — والله أعلم بالباطن — لأنّه كان يُعظّم ابن حَزْمٍ (٢) المغربى إلى الغاية ، وليس فى ذلك مايُعاب ، لأن ابن حزمٍ كان رجلاً حافظاً عالماً ، ولو كان ظاهريًّا لم يُنكر فضلُه — انتهت ترجمة المقريزى باختصار ، وقد ذكرناها فى المنهل الصافى مطوّلة ، وذكرنا تصانيفه — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّى قاضى القضاة بالإسكندرية جمالُ الدين عبد الله [بن] الدمَامِينى (٣) الإسكندرى المالكى بها فى يوم الأحد رابع ذى القعدة ، وتولّى عِوَضَه قاضى الإسكندرية محمد بن عامر المالكى أحدُ نُوَّاب الحُكم بالقاهرة ، وكان / القاضى ١٠ جمالُ الدين هذا مُعظَّما فى بلده ،مشهورا بالسَّمَاحة والكرم ، إلا أنه كانت بضاعتُهُ فى العلم مُزْجَاة — رحمه الله تعالى .

---

(١) مذهب الظاهر : هو الذى يقول بالظاهر ونفى القياس العقلى وقد وضعه داود بن على بن خلف الأصبهانى ، وكان من الظاهرية حلق كثير فى المغرب فى أواخر القرن السادس للهجرة . (البستانى — دائرة المعارف ١١ : ٤٠٨) .

(٢) هو أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهرى . ولد سنة ٣٨٤ هـ وتوفى سنة ٤٥٦ هـ . وكان عالم الأندلس فى عصره ، وأحدأئمة الإسلام . ولدبقرطبة وكانت له ولأبيه من قبله رياسة الوزارة وتدبيرالمملكة . فزهد فيها وانصرف إلى العلم والتأليف ونقم عليه العلماء والفقهاء بسبب نقده لهم ، وتمالأوا عليه وأجمعوا على تضليله فأقصىوطرد . روى أنه ألف نحو أربعمائة مجلد تشمل قريبا من ثمانين ألف ورقة . وانظر (الزركلى — الأعلام) .

(٣) هو عبد الله بن محمد بن محمد بن عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن سليمان بن جعفر بن يحيى بن حسين ابن محمد بن أحمد بن أبى بكر . الجمال أبو محمد القرشى المخزومى الدمامينى الأصل السكندرى المالكى (السخاوى — الضوء اللامع ٥ : ٥٣) و (النجوم الزاهرة ج ٧ · ٢٧٩ ط . كاليفورنيا) .

﴿ سنة ستٍّ وأربعين وثمانمائة ﴾

استهلّت هذه السنة وسلطانُ الدّيار المصرية الملك الظّاهر أبو سعيد جَقْمق ، والخليفةُ المُسْتَكْفى بالله أبو الرّبيع سُلَيْمان ، وباقى أرباب الدَّولة على ماتقدّم فى العام الماضى .

● المحرّم ، أوّله الجمعة .

ففى يوم السبت تاسعه ، به استقرّ الشيخُ على المالكىّ — القادم من دِمَشْق قبل تاريخه — قاضِى قضاة الإسكندرية .

وفى يوم الاثنين خامس عشرينه سافر جماعة كثيرةٌ من المماليك السّلطانيّة وغيرهم إلى الغَزَاةِ[1] فى سبيل الله تعالى ، وعليهم عدةٌ من الأمراء .

● صفر ، وأوّله الأحد .

ففى يوم الاثنين تاسعه وَلِىَ قضاءَ الحنفّية بدمَشق شخصٌ من ذريّة أبى حنيفة ، يقال له حَميدُ الدين ، عوضا عن قاضى القضاة [شمس الدين] الصَّفَدِى بحكم عزله .

وفى يوم الاثنين سادس عشره وقعت فتنةٌ عظيمةٌ ، وهو أن جماعةً من المماليك السلطانيه الجُلْبَان[2] الذين بالأطباق[3] من قلعة الجبل صعد منهم طائفة كبيرة سطح الأطباق ، ورجموا الناس ، ومنعوا الأمراء والخاصّكية[4] من الدخول إلى الخدمة

---

(١) يقصد المؤلف غزوة رودس . وانظر (النجوم الزاهرة ح ٧ : ١٢٩ ط . كاليفورنيا) .

(٢) المماليك السلطانية الجلبان : هم المشترون أو المجلوبون باسم السلطان لشخصه . عن تعليق الدكتور محمد مصطفى زيادة على (المقريزى — السلوك ١ : ٧٣٦) .

(٣) الأطباق : هى الدور التى أنشأها السلطان محمد بن قلاوون لنزول المماليك الصغار ، وخصص لكل جماعة منهم دارا ، ووضع لهم نظاما خاصا لمعيشتهم ، وجعل عليهم رؤساء ومشارين يتولون تربيتهم وتعليمهم وتدريبهم على الفروسية وغيرها . والأطباق كلها كانت داخل نطاق قلعة الجبل . هامش (النجوم الزاهرة ٩ : ٩٢ ط . دار الكتب) و (المقريزى — الخطط ٢ : ٢١٣) .

(٤) الخاصكية . هم المماليك والأمراء الذين يدخلون على السلطان فى أوقات خلواته وفراغه ، وينالون من ذلك مالا يناله أكابر المقدمين ، ويحضرون طرفى كل نهار فى خدمة القصر والإسطبل ، ويركبون لركوب السلطان ليلا ونهارا ، ولا يتخلفون عنه ، ويتميزون عن غيرهم فى الخدمة بحملهم السيوف ، ولباسهم الطرز الزركش ، ولهم الرزق الواسعة والعطايا الجزيلة . هامش (النجوم الزاهرة ج ٧ : ١٧٩ ، ١٨٠ ط . دار الكتب) .

السلطانية ، وأفحشوا فى ذلك ، وبلغ الملكَ الظاهرَ الخبرُ فأرسل إليهم بالأمير الطواشى عبد اللطيف العثمانى الرّومى مقدّم المماليك السلطانية فى عمل مصالحهم ، فأبوا وصمّموا على إقامة الفتنة ، وطلبوا مالا يمكن عمله ، واستمرّوا على ما هم عليه بحيث إنهم منعوا الناس من الدخول إلى السلطان إلّا النادر ، وصار أمرهم فى زيادة – على أن المماليك القرانيص[1] الذين بالقاهرة عليهم فى الظّاهر ، وعِلْمُ الباطن إلى الله – واستمرّوا على ذلك إلى ليلة الأربعاء ، كسروا باب الزَّرَدْخَاناه السلطانية وأخذوا منها شيئا كثيرا من السلاح الهائل ، وبلغ السلطانَ ذلك ، فطلب المماليكَ القرانيص إلى عنده من باب السّلسلة[2] ، وندبهم لقتال مماليكه الجُلْبَان ، فمنعهُ مَن حضر من الأمراء ، وخوّفوه عاقبة ذلك ، وأيضا لم توافقه القرانيص على ما نَدَبهُم إليه ؛ لمعرفتهم أنه مايهون عليه ذلك فى آخر الأمر ، كل ذلك والمماليك الجُلْبَان على حالهم من منْع الناس من طلوع القلعة ، حتى إن السلطان طلب كَاتبَ سِرِّهِ القاضى / كمال الدين بن البارِزِىّ فلم يقدر على الطّلوع من باب المُدَرّج[3] – أحد أبواب القلعة – فأراد الطّلوع من باب الميدان الذى تحت القلعة ، ففطن به بعضُ المماليك الجُلْبان والقرانيص وضربه بالدبوس[4] أراد هلاكه بذلك ، فأنجده بعضُ من حضر وخلّصه حتّى ساق فرسَه والدّم على ثيابه ؛ من شجّة أصابته بالدبوس ، وطلع إلى القلعة على هيئة مُزْعِجَة .

١١

(١) القرانيص : حمع قرناص : وهم طائفة من الأحاد فى رتبة أمراء الخمسات . وهم القديمو الهجرة والمرشحون للإمريات ، وظلوا بهذا الإسم طول العصر المملوكى وكذلك العثمانى (الدكتور إبراهيم على طرخان ـــ النظم الإقطاعية ٥٠٠) .

(٢) باب السلسلة : هو باب القلعة الموحود حاليا بميدان صلاح الدين ، وعرف قديما بباب الإسطبل وباب الميدان ثم باب العزب نسبة إلى طائفة تسمى العزبان ـــ وظيفتهم المحافظة على القلاع ـــ والباب الحالى جدده الأمير رضوان كتحدا العرب الحلفى سنة ١١٦٠ هـ وبداخله مسجد أحمد بن كتحدا العزب ، وقد أنشاه سنة ١١٠٩ هـ ويشمل على بقايا مصلى وسبيل المؤيد شيخ المحمودى . هامش (النجوم الزاهرة ج ٩ : ٩٩ ، ج ١٢ : ٢٩٧ ط . دار الكتب) .

(٣) باب المدرج : هو أقدم الأبواب العمومية وأعظمها بقلعة الجبل . أنشاه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب مع القلعة فى سنة ٥٧٩ هـ . وبطل استعماله وسد الطريق الذى كان يوصل بينه وبين حوش القلعة بسبب وجود الباب الجديد الذى أنشأه محمد على الكبير سنة ١٢٤٢ هـ . بجوار الباب القديم . وانظر هوامش المرحوم الأستاذ محمد رمزى على (النجوم الزاهرة ج ٧ : ١٩٠ ، ج ٩ : ١٨١ ط . دار الكتب) فهناك وصف كامل لأبواب القلعة المجاورة لهذا الباب .

(٤) الدبوس : آلة حربية وصفها القاموس المحيط بأنها هراوة مُدَمْلَكَةُ الرأس وفى طرفه مايشبه الإبرة من النحاس. وانظر هامش الدكتور جمال الشيال ، على (ابن واصل ـــ مفرج الكروب ١ : ١١٧) .

ووقع منهم فى حقِّ أستاذهم الملك الظاهر جَقْمَق من الشّناعة والبهدلة مالا مزيد عليه ، واستمرّ ذلك إلى يوم الجمعة عشرينه سكنت الفتنةُ ؛ لاختلاف وقع بينهم .

● شهر ربيع الأوّل . أوّله الثلاثاء .

فى يوم الخميس عاشره قدِمَ إلى القاهرة الأميرُ مَازِى الظاهرى بَرْقُوق نائب الكَرَك ومعه تقدمة هائلة قدّمها إلى السلطان ، وأنزله السلطانُ بالميدان [1] وأكرمه .

وفى يوم الاثنين رابع عشره ، أوفى النيلُ ستّة عشر ذراعا ، ونزل المقام الناصرى محمد ابن السلطان الملك الظاهر جَقْمَق من القلعة فى وجوه الدولة حتى عدّى النيل وخلّق المقياس ، ثم فتح خليج السّد على العادة ، وركب إلى القلعة وخلع عليه والدُه — على العادة — فوقانى [2] بطراز ذهب ، وفى هذا المعنى يقول ابن النقيب [3] مضمِّنا [البسيط] .

لله يوم الوفا والناسُ قد جُمِعُوا كالرّوض تطفو على نهرٍ أزاهِرُهُ
وللوفاء عمودٌ مِن أصابعِهِ مُخَلّقٌ تملأ الدنيا بشائرُهُ

وفى يوم الاثنين حادى عشرينه ؛ استقرّ السّيفىّ قَرَاجَا الظاهرىُّ جَقْمَق الخازندارُ الصّغيرُ خازنداراً كبيراً عوضا عن الأمير قانِبَك الأشرفىّ ، بحُكْمِ مرضه بداء الأسد [4] — عافانا الله مما ابْتَلَى به كثيرا من خَلْقِهِ .

وفيه أيضا ، استقرّ ابن الحاضرىّ فى قضاءِ الحنفيّة بحلب ، عوضا عن محبِّ الدين بن الشِّحْنَة بحكْم عَزْلِه بعد أن مكث مدّةً فى القضاء .

وفى يوم الاثنين حادى عشرينه أيضا ، ندبَ السلطانُ الأميرَ تَغْرِى بَرْمُش السّيفىّ

(١) الميدان : هو الذى أنشأه الناصر ابن قلاوون تحت القلعة وأجرى له الماء وغرس فيه الأشجار والنخيل ولعب فيه الكرة ويطلق عليه الميدان والميدان الأسود وقره ميدان ، وميدان القلعة . ومكانه اليوم ميدان صلاح الدين ويقال له المنشية (د/ عبد الرحمن زكى — القاهرة ١١٢) .

(٢) الفوقانى : نوع من الفرجيات أو الجبة مع اختلاف بسيط (قاموس دوزي) .

(٣) هو ناصر الدين أبو محمد حسن بن شاور بن طرخان الكنانى ، ويعرف بابن الفقيس وبابن النقيب الشاعر المشهور . مات سنة ٦٨٧ هـ ودفن بسفح المقطم (النجوم الزاهرة ٧ : ٣٧٦ ، ٣٧٧ ط . دار الكتب) .

(٤) داء الأسد : هو الجزام لأنه إذا أصاب الوجه جعله أشبه بوجه الأسد (المحقق) . وانظر :التبر المسبوك ٤٢

يشْبُك من أَزْدَمُر الزردْكَاش أن يجهّز حالَه ويتوجّه إلى حصار قَيْسَاريّة[١] ومعه آلات الحرب والحصار من المكاحل[٢] والماجيق[٣] وغيرها ، وأعطاه خمسمائة دينار ، وسافر بعد أيّامٍ إلى أن وصل إلى حَلب ثم عاد إلى الدّيار / المصرية من غير ١٢ أن يتوجه إلى قَيْسَارِيّة ولا غيرها .

● شهر ربيع الآخر ، أوّله الأربعاء .

يوم الأحد ثاني عشرة ، قدم الأمير سُودُون المحمدّى من مكّة المشرّفة إلى القاهرة وهو مُجرَّح فى مواضعَ مِن بدنه ، من قتالٍ كان بين الشريف على صاحب مكّة ، وبين أخيه بَرَكَات .

وفى ليلة الخميس ثالث عشرينه قُبض على جماعة من مماليك الأمير تغرى بردى البَكْلَمُشِىّ المُؤْذى الدوادار الكبير ؛ لأنهم كانوا قصدوا قَتْل أُستاذِهم المذكور ، وحاصروه فى هذه الليلة إلى أن أصبح النهار ، وبلغ السلطان ذلك فأرسل إليه جماعة من الرءوس النوب ، فمسكوا منهم جماعةً كبيرة وضربوهم ضربا مُبَرّحاً . ثم أرسلهم أستاذُهم تَغْرِى بَرْدِى المذكور إلى حبس المَقْشَرَة[٤] مع وإلى القاهرة

وفى يومالأحد سادس عشرينه أمسكَ السلطانُ الزّينىّ عبد الرحمن بن الكُوَيْز الأستادار وعزله عن الأستاداريّة ، وفيه استقرّ ابن الرسّام ناظر جيش حلب عوضا عن القاضى زين الدين عمر بن السَّفّاح بحكم عزله.

---

(١) قيسارية : هى قيسارية الروم ، وتقع على نهر قاراصو أحد فروع نهر قزل ارمك ، وكانت عاصمة بنى سلجوق بآسيا الصغرى (ياقوت : معجم البلدان ٤ : ٢١٤) .

(٢) المكاحل : هى المدافع التى يرمى عنها النفط ، وهى أنواع ، فمنها مايرمى بأسهم عظام تخترق الحجر ، ومنها مايرمى بكرات من حديد زنتها مابين عشرة أرطال إلى مايزيد على مائة رطل،هامش (النجوم الزاهرة ١٢ : ٢٢٧ ط . دار الكتب) .

(٣) المناجيق : جمع منجنيق ، وهو آلة خشبية لها دفتان قائمتان بينهما سهم طويل رأسه ثقيل وذنبه خفيف وفيه تجعل كفة المنجنيق التى يوضع فيها الحجر تجذب حتى ترتفع أسافله على أعاليه ثم يرسل فيرتفع ذنبه الذى فيه الكفة فيخرج الحجر أو النفط فما أصاب شيئا إلا أهلكه ، هذا واللفظ فارسىمعرب . هامش (النجوم الزاهرة ١٢ : ٢٢٧ ط . دار الكتب) .

(٤) حبس المقشرة : هو سجن من أشنع السجون وأضيقها ، يقاسى فيه المسجون من الغم والكرب مالا يوصف . أصله مكان كان يقشر فيه القمح بجوار باب الفتوح ، ومن جملته برج من أبراج سور القاهرة ، وعندما هدمت خزانة شمائل لبناء جامع المؤيد شيخ تعين هذا البرج والمقشرة لسجن أرباب الجرائم (على مبارك ــ الخطط ٢ : ٨) .

وفى يوم الاثنين ثامن عشرينه ، استقرّ زين الدين يحيى الأشقر ناظر ديوان المفرد - المعروف بقريب ابن أبى الفرج - أستاداراً عوضا عن الزّينى عبدالرحمن؛

ولّما تولّى زينُ الدين المذكور الأستاداريّة استمرّ على لبسِه أولا - بعمامةٍ وفرجيّة - لكنّه نُعِت بالأمير .

وفى هذه الأيام استقرّ محمد الصغير نديمَ السلطان وجليسَه ، فيانفسُ جِدّى إنّ دَهْرَكِ هازل .

قُلْتُ : [الكامل]

خَلَت الرقاع من الرِّخا خِ ففرزنتْ فيها البيادق [1]

وتصاهلت عُرْج الحمير فقُلْتُ : من عُدْمِ السوابِق [2]

وفيه خلَع السلطانُ على الأمير آقْبَرْدِى المُظَفَّرِىّ الظاهرىّ بَرْقُوق - أحد أمراء العشرات ورأس نَوْبة ، وندبَهُ إلى التوجّه إلى مكّة المشرفّة ، وصحبته من المماليك السلطانيّة نيّف على خمسين مملوكا ، ليستعين بهم الشريف على صاحب مكّة علَى من خالفَهُ .

وفيه استقَرّ الأميرُ الطّواشىُّ عبدُاللطيف المَنْجَكِىّ ثمّ العثمانى مُقدّمُ المماليك السلطانية أميرَ الركبِ الأوّل من الحجّاج ، وأمّا أمير المحمل فهو الأمير تَنِبَك حاجب الحجاب كما تقدّم ذكره .

● جمادى الأولى ، أوّله الخميس .

١٣ فيه / قَبَضَ السلطانُ على الأمير جَوْهَر التّمْرَازِىّ الخازِنْدَار ، ورسَمَ [3] عليه عند الأمير تغرى بَرْمُش الجلالى الفقيه نائب القلعة ، بل كان السلطان رسَمَ بأن يُحبَس بالبُرْج حتى شُفعَ فيه ، وطُلِبَ منه مال كثير .

---

(١) أى خلت رقاع الشطرنج من الرخاخ - جمع رخ - وهى المعروفة بالطوابى جمع طابية ، فصارت البيادق - جمع بيدق ، وهى العساكر - فرزانا أى وزراء : والمعنى أنه لم يعد هناك أكابر تتولى الأمور فى الدولة فتولتها الأصاغر .

(٢) السوابق أى الخيل السابقة وتليها عادة المصلية .

(٣) رسم عليه : أى وضعه تحت المراقبة والحوطة .

وفيه أيضا ، استقرّ الطواشى فَيْرُوز الرّومىّ النَّوْرُوزِىُّ رأسَ نَوْبة الجَمَدَارِيَة خَازِنْداراً عوضا عن جَوْهَر المذكور .

وفى يوم الجمعة تاسعه ، سافر الزينىُّ عبدُالرّحمن بن الكُوَيز إلى القُدْس مَنْفِياًّ بعد أن أُخِذَ منه شىءٌ كثير من الذهب .

وفى يوم الأحد حادى عشره استقرّ القاضى نورُالدين على بن سالم أحد نوّاب الحكم الشافعية فى قضاء صَفَد .

وفى يوم الأحد ثامن عشره ، طلب السلطانُ خازندارَ الأمير تَغْرِى بَرْمُش نائب حلب – كان-ودَوَاداره ، ورأسَ نوبته وضَرَبَهم ضَرْباً عظيماً ثم أمر بنَفْيِهم إلى البلاد الشاميّة ، ثم أمر السلطانُ كاتبَ المماليك أن يمحُوَ اسم اثنى عشر مملوكا من المماليك السلطانيّة الذين كان عيّنهم إلى مكّة المشرّفة ؛ لعدم حضورهم يوم العَرْض ؛ ثم شَفَع فيهم بعضُ الأمراء فردّهم إلى ماكانوا عليه أوّلا .

وفى يوم الاثنين سادس عشرينه ، خَلَع السلطانُ على الأمير الطواشى فَيْرُوز النَّورُوزِىّ الخازندار ، واستقرّ زَمّاما مضافا إلى الخازندارية ، بعد عزل هلال الطواشىّ الظاهرى بَرْقُوق .

● جمادى الآخرة ، أوّله السبت .

ففى يوم الأحد ثانيه خُلِعَ على علاءِ الدّين على بن آقْبَرْسْ ناظر الأوقاف باستقراره فى مشيخة خانقاه قَوْصُون[١] التى بالقرافة الصغرى[٢] عوضا عن القاضى مُعِين الدين عبداللطيف ابن القاضى شرف الدين الأشقر نائب كاتب السر بغيْر طريق شرعى .

وفى يوم السبت ثامنه وصلت تقدمةُ الأمير جُلُبّان نائب الشّام . وقُدِّمَتْ إلى

(١) خانقاه قوصون : أنشأها الأمير سيف الدين قوصون الساقى الناصرى سنة ٧٣٠ هـ وهى جامعه القائم حاليا بشارع القلعة ، ويسميه العامة بجامع قيسون ، وانظر هامش (النجوم الزاهرة ج ٩ : ٩٥ ط . دار الكتب) .

(٢) القرافة الصغرى : هى جبانة الإمام الشافعى . هامش (النجوم الزاهرة ج ٧ : ٢٧٤ ، ج ١٢ : ٢٧٦ ط . دار الكتب) .

السلطان ، وكانت تشتمل على أشياء كثيرة ، منها خيول نحو مائتى فرس ؛ منها ثلاثة بسروج ذهب وكنابيش[١] زَرْكش ، وعشرة مماليك ، وعشرة آلاف دينار – على ما قيل – وأشياء كثيرة من الصّوف والفِرَاء والثياب البعلبكى[٢] ، والمخمّل والقسى .

وفى يوم الخميس ثالث عشره استقرّ الأمير إينَال العلائى الناصِرى دَوَادَاراً كبيرا بالديار المصريّة بعد وفاة الأمير تَغْرِى بَرْدِى / المؤْذِى البَكْلَمُشىّ . ١٤

● شهر رجب ، أوّله الاثنين .

ففى يوم الاثنين ثانى عشرينه ، خُلعَ على قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن حَجَر باستقراره فى مشيخة قبّة الإمام الشافعى[٣] بعد عزل الشيخ علاءالدين القَلْقَشَنْدِىّ .

وفى يوم الخميس خامس عشرينه ، حضر جماعةٌ من عرب نَجْد إلى القاهرة ، وكان السلطان أرسل يطلبهم ليُوَلّى كبيرهم إمْرَةَ المدينة النّبوية ؛ فإنّهم أَهْلُ السُّنّة ، وكان قصدُ السلطان إقماعَ الرّافضة[٤] ، وأنزلهم السلطان بالميدان وأكرمهم ، فلم يتم للسلطان ما أراد لغرض بعض أهل الدولة .

● شعبان ، أوّله الثلاثاء .

ففى يوم السبت [خامسه][٥] رَسَمَ[٦] السلطانُ بنفى الأمير سُودُون السُّودُونى الحاجب إلى

---

(١) كنابيش : جمع كنبوش ، وهو البرذعة أو السرج للحصان . هامش (السجوم الزاهرة ج ٧ : ١١١ ط . دار الكتب)

(٢) الثياب البعلبكى : أى القطنية البيضاء ، وكانت تنسب إلى بعلبك . وهى من المدن القديمة فيها آثار عجيبة . (ياقوت ــ معجم البلدان) وتتبع حاليا لبنان .

(٣) قبة الإمام الشافعى : أنشأها السلطان الملك الكامل فى سنة ٦٠٨ هـ ، وحددها السلطان قايتباى ثم السلطان الغورى ثم أمير اللواء على بك الكبير دفتر دار مصر سنة ١١٨٥ هـ هامش المرحوم محمد رمزى على (النجوم الزاهرة ٦ : ٢٢٩ ط . دار الكتب) .

(٤) الرافضة : فرقة من الشيعة قيل سموا بذلك لأنهم تركوا زيد بن على ؛ فقد كانوا بايعوه ثم طلبوا منه أن يبرأ من الشيخين أبى بكر وعمر فأبى فتركوه وارفضوا عنه (تاج العروس ٥ : ٣٤) وهم الذين جعلوا الإمامة بعد الرسول لعلى ثم أختلفوا فى الإمامة اختلافا كبيرا حتى بلغت فرقهم ثلاثمائة فرقة والمشهور منها عشرون أولها الإمامية (دائرة معارف البستانى ٨ : ٤٨٩) .

(٥) ولم يذكر المؤلف تاريخ هذا اليوم من الشهر ولم يؤرخ لأيام أخرى فيه.والإضافة عن (النجوم الزاهرة ج ١٥ : ٣٥٥ ، طبعه الهيئة) .

(٦) رسم السلطان : أى قرر

قُوص[١] ، ثم شُفِعَ فيه ، فرسم بتوجّهه إلى طَرَابُلس على إقطاع هيّن ، ثم شُفعَ فيه ثانيا ، فأَقام بالقاهرة .

وفيه حضرت قُصّادٌ من عند أولاد شاه رُخّ بن تَيْمُورلَنْك ، فعمل لهم السلطان الخِدمة بالقصر الكبير[٢] من القلعة ، وأبطل خدمة الإيوان[٣] .

● شوّال ، أوّله السبت .

ففى يوم الاثنين ثالثه خلَعَ السلطان على الشريف أبى القاسم بن حسن بن عَجْلاَن بإمرة مكّة ، عوضا عن أخيه على بن حسن بن عَجْلاَن بحكم القبض عليه وعلى أخيه إبراهيم بن حسن بن عجلان بمكّة المشرّفة ؛ قبضَ عليهما الأميرُ تِمْرَاز البَكْتَمُرِىّ المؤيّدىّ أحد الدَّواداريّة المعروف بالمُصَارِع .

وفى يوم الاثنين سابع عشره برزَ أميرُ حاجّ المحمل الأمير تَنِبَك البُرْدَبَكّى الظاهرىّ بَرْقُوق حاجب الحجّاب بالمحمل إلى بركة الحجاج ، وأمير الركب الأوّل الأمير الطواشىّ عبداللطيف المَنْجَكّى العثمانى مقدّم المماليك السلطانية .

وفى يوم السبت تاسع عشرينه استقرَّ قاضى القضاة بدرُ الدين محمود العَيْنِى مُحْتَسِبَ القاهرة عوضا عن يَرْعَلى الخُرَاسَانى ، بحكم عزله وتوجّهه إلى الحجاز .

● ذو القعدة ، أوّله الاثنين .

فيه قدم الأميرُ أَركَمَاس الظاهرىّ الدَّوادار الكبير – كان – من ثغر دِمْيَاط[٤]

(١) قوص : مدينة جليلة بصعيد مصر وتقع على الشاطئ الشرقى للنيل ، وكانت عاصمة الأعمال القوصية وبها الدور الفائقة. ويسكنها العلماء والتجار وذو والأموال إلا أنها شديدة الحر (القلقشندى — صبح الأعشى ٣ : ٣٩٧) .

(٢) القصر الكبير : هو القصر الأبلق الذى أنشأه السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٣ هـ (على مبارك — الخطط ٢ : ٢٠٨) و (النجوم الزاهرة ج ٩ : ٣٦ وهامشها ط . دار الكتب) .

(٣) خدمة الإيوان : الإيوان هو المعروف بدار العدل . أنشأه المنصور قلاوون . وجدده أبنه الأشرف خليل ، ولذلك عرف بالقاعة الأشرفية ، وهدمه الناصر محمد بن قلاوون ثم أعاد بناءه سنة ٧٣٠ هـ فزاد فيه وأنشأ عليه قبة جليلة ونصب فى صدره سرير الملك ، وعمل أمامه رحبة فسيحة ، وكان الملوك يجلسون فيه لنظر المظالم لذلك سمى بدار العدل ، ومكانه — حاليا — جامع محمد على بالقلعة ، وأما الرحبة فمكانها الحوش الواقع تجاه الوجهة البحرية الشرقية للجامع . هامش (النجوم الزاهرة ج ١٢ : ٦ ط . دار الكتب) .

(٤) دمياط : من ثغور مصر القديمة ، وتقع على الشاطئ الشرقى لفرع النيل المسمى باسمها قبل مصبه فى البحر الأبيض المتوسط بحوالى ١٥ ك م . هامش (النجوم الزاهرة ١٢ : ٤٠ ط . دار الكتب) وهى حاليا عاصمة محافظة دمياط .

بطلب من السلطان ، وتمثّل بين يَدَيْه ، وأَخْلَع عليه السلطان كامليّة [١] بفرو سمّور بمقلب سمّور ، ورسم له بأن يقيم بالقاهرة بطالا [٢] وأذِنَ له بالرّكوب والنزول إلى حيث شاء .

١٥ وفى يوم الإثنين خامس عشره رسم / السلطان لقاضى القضاة شهاب الدين ابن حَجر بلزوم بيته .

وفيه استقرّ القاضى تقى الدين عبدالرّحمن بن تاج الدين بن نصرالله فى نظر الإسطبل السلطانى ، عوضا عن شمس الدين نصرالله الشهير بالوزّة .

وفى يوم الخميس [٣] أُعيد قاضى القضاة شهاب الدين بن حجر إلى القضاء على حاله .

وفى يوم الاثنين تاسع عشرينه خُلع على القاضى بهاء الدين محمد[بن عمر] [٤] بن حجّى باستقراره ناظر الجيش بالديار المصرية ، مضافا إلى ما بيده من نظر جيش دِمَشْق ، عوضا عن القاضى محبّ الدين بن الأشقر بحكم عزله وتوجّهه إلى الحج ، وذلك بمالٍ كبير بذلَه ابن حجّى فى ذلك .

● ذو الحجّة ، أوّله الثلاثاء .

ففى يوم الاثنين رابع عشره خلَعَ السلطان على الأمير طُوغَان العثماني نائب القُدْس — كان — بإعادته إلى نيابة القدس على عادته بعد ماكان صودر ونفى إلى حلب .

● أمر النيل فى هذه السنة :

كانت القاعدة — أعنى الماء القديم — ثمانية أذرع وخمسة أصابع ، وكان مبلغ الزيادة عشرين ذراعا وواحدا وعشرين إصبعا [٥] .

---

(١) كاملية بفروسمور: الكاملية ثوب ضيق الأكمام يلبس فوق القباء ، به فتحة من منتصف الظهر حتى أسفل حافة الذيل (ماير — الملابس المملوكية ١٤ . والترجمة للأستاذ صالح الشيتى) وقد يبطن بفرو السمور وتعمل له قلابات من الفرو أيضا فيقال كاملية بفرو سمور بمقلب سمور .

(٢) بطالا : أى بدون وظائف مرضيا عنه يتنقل حيث يشاء دون حجر عليه .

(٣) لم يذكر المؤلف تاريخ هذا اليوم من الشهر . على أنه مرخميسان بين يوم الاثنين خامس عشره وبين يوم الاثنين تاسع عشرينه القادم ، وأحدهما ثامن عشره والثانى خامس عشرينه فهو أحدهما .

(٤) الإضافة عن (النجوم الزاهرة ج ٧ : ١٢٨ ط . كاليفورنيا) .

(٥) ورد فى هامش اللوحة « حاشية · الصواب ثلا ثة وعشرين إصبعا » .

﴿ ذكر من تُوُفِّى من الأعيان فى هذه السنة ﴾

تُوُفِّى الشيخُ الإمامُ العالم العاملُ الصالحُ نورُ الدين عبادة بن على بن صالح ابن عبد المنعم بن سراج بن نجم بن فضل الزِّرزَاوِى[1] المالكى المعروف بالشيخ عبادة شيخ المالكية وعالمها بالديار المصرية فى يوم الجمعة سابع شوّال ، وصلّى عليه صاحبه المعتقد مدين[2] بجامع الأزهر ، وكَثُر أسف الناس عليه ، ومات ولم يخلف بعدَه مثلَه علما وزهْداً وعبادةً وورعا ، ومولده فى جمادى الأولى سنة ثمان وسبعين وسبعمائة ببلد زِرْزَا[3] ، وقرأ القرآن بها ، ثم انتقل إلى القاهرة ، وحفظ عدّة مختصرات فى مذهبه ، ثم أقبل على طلب العلم ، ولازم علماء عصره حتى برع وصار هو إمام وقته ووحيد دهره فى المنقول والمعقول مع الصّلابة فى الدين ، والورع المتين ، وانتهت إليه رئاسة العلم بالقاهرة فى زمانه ، وكان قد طلب الحديثَ فى مبدأ أمره ، وسمع الكثير — وقد استوعبنا جماعة كبيرة من مشايخه فى ترجمته فى تاريخنا « المنهل الصافى » لأنه مُعَدّ[4] للتراجم / لاغير ، وكان رحمه الله ١٦ يلزم طريق السَّلف من التقشّف وعدم الترداد للناس ، وصحب الشيخ مدين فى آخر عمره فزاد تقشّفهُ وورعُه ، وكان رحل إلى مكة واليَمَن فى شبيبته .

وتولّى عدّة تداريس فى الديار المصرية ، وتصدّى للإشغال سنين ، وانتفع به غالب الطلبة من كلّ مذهب ، ولما مات قاضى القضاة شمس الدين البُسَاطىّ المالكى طلبَهُ السلطانُ إلى المنصب فامتنع أشدّ امتناع حتى قال السلطان للقاضى كمال الدين

(١) له ترجمة فى (السخاوى — الضوء اللامع ٤ : ١٦ — ١٨) و (النجوم الزاهرة ج ٧ : ٢٧٩ — ٢٨١ ط . كاليفورنيا) .

(٢) له ترجمة فى (السخاوى — الضوء اللامع ١٠ : ١٥٠ — ١٥٢) وقد ولد سنة ٧٨١ هـ .

(٣) زرزا . بالكسر ثم السكون وزاى أخرى ، قرية من الصعيد الأدنى بينها وبين الفسطاط يومان ، وتقع غربى النيل . (البغدادى — مراصد الاطلاع ٢ : ٦٦٢) .

(٤) « ورد فى هامش اللوحة « فى الأصل معتد وصوابه معد » وأدرج الصواب فى المتن .

البارزىّ كاتب السرِّ : قل له ، السلطان يقول لك هو وَلِيَ السلطنةَمغصوبا ، وهو أيضا يولّيك القضاء غصبا. فلما سمع ذلك قال : حتى أستخيرَ الله . وتسحّب من وقته وسافر من القاهرة ولم يعد إليها حتى ولى قاضى القضاة بدر الدين التّنّسىّ المنصب .

قلت : هكذا تكون العلماء والزّهّاد ، واستمرّ على ما هو عليه من الإشغال والاشتغال بالعبادة إلى أن تُوفِّى – رحمه الله وعفا عنا وعنه .

وتُوفِّىَ قاضى القضاة عزُّ الدين عبدالعزيز بن العز البغدادىّ[١] الحنبلى قاضى قضاة الحنابلة بالديار المصرية ثم بدمشق ، وبها تُوفِّىَ فى أواخر هذه السنة ، وتولّى عوضه القضاء ابن مُفْلح على عادته ، وكان القاضى عزالدين هذا ، قد وَلِيَ القضاءَ بالديار المصرية بعد عزل شيخ الإسلام محبّ الدين أحمد بن نصرالله البغدادى مُدَّةَ أشهر فى الدولة الأشرفيّة بَرْسْبَاى[٢] ، ولمّا وَلِىَ صار يتقشف فى ملبسه ومركبه ، وبَقِىَ فى غالب أوقاته يَمْشِى على أَقْدَامه فى الشوارع لقضاء حوائجه ، وإذا ركب بغلته أردف ولَده خلفه ، وفى بعض الأحيان يُرْدِفُ عبدَه أيضا ، وأشياء كثيرة من هذا النموذج ، ورَقَّ حتى رَكّ[٣] ، واستمرّ على ذلك حتى عزله السلطانُ وأعاد قاضى القضاة محب الدين المذكور ثانيا ، وكانت ولايته القضاء بمصر والشام من غير سَعْى ، وكان فيه سلامة باطن فى الظاهر مع معرفةٍ ودهاءٍ ومكر ، وكان عارفا بالفقه وفروعه ، وله مشاركة فى عدة فنون حسب الحال ، وكان بينه وبين والدى[٤] صحبة ومحبة ، وكان يلازم الوالد فى كل يوم إذا كان فى القاهرة ، وكان الوالدُ يَسْتجوِدُه ، ويعجبُه ما يفعله من هذه الأشياء ، واستمرّت الصحبة بيننا أيضا بعد وفاة / الوالد إلى أن سافر إلى دمشق ومات بها – رحمه الله تعالى ، وعفا عنا وعنه . ١٧

(١) له ترجمة فى (النجوم الزاهرة ج ٧ : ٢٨١ ط . كاليفورنيا) .

(٢) الدولة الأشرفية برسباى : ابتدأت هذه الدولة بتولى السلطان الأشرف برسباى الدقماقى السلطنة فى ثامن ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وثمانمائة بعد خلع السلطان محمد بن ططر ، واستمرت سلطنته حتى عهد لابنه بالسلطنة فى آخر نهار السبت ثالث عشر ذى الحجة سنة ٨٤١ هـ (النجوم الزاهرة ج ٦ : ٥٥٣ ، ٧ : ١ ط . كاليفورنيا) .

(٣) رك ـــ الرجل : قل علمه وعقله (محيط المحيط) .

(٤) أى والد المؤلف . وهو الأنابك تغرى بردى من بشبغا نائب الشام ، وقد توفى يوم الخميس سادس عشر المحرم سنة ٨١٥ هـ ودفن بتربة الأمير تنم الحسنى خارج دمشق بميدان الحصى . (النجوم الزاهرة ج ١٣ : ١٤٢ ط . الهيئة المصرية العامة للكتاب) .

وتُوُفِّى جمالُ الدين عبد الله أخو شهاب الدين الأذرعى [١] الشافعى الإمام بالقاهرة فى يوم الاثنين سابع عشر شوال ، وكان عاريا من كل علم وفن — عفا الله عنه .

وتُوُفِّىَ الشيخُ الواعظُ جمالُ الدين السُّنباطى [٢] الشافعى، أحد نُوّاب الحُكْم الشافعية فى يوم الخميس تاسع عشرين شهر رمضان عن نحو الثمانين سنة ، بعد مرض طويل ، وكان قد تَرَكَ الحُكْم قبل ذلك بمُدّة ، وكان له مدّة سنين يعمل المواعيد [٣] فى المساجد والرُّبُط [٤] ، وكان على وعظه أنس ، ولكلامه موقع فى النفوس – وكان يقرأ علىَ كرسى بين يدى شيخ الإسلام قاضى القضاة جلال الدين عبدالرحمن البُلْقِينِىّ الشَّافعى فى صبيحة كل يوم جمعة ، ثم لمّا يسكت من القراءة يبدأ قاضى القضاة جلال الدين فى عمل الميعاد ، ويستمر السُّنباطى هذا جالسا على الكُرْسِىّ إلى أن يَفْرغ قاضى القضاة جلال الدين ، وكنتُ أحضر الميعادَ فى كل يوم جمعة لصهارة كانت بينى وبين قاضى القضاة جلال الدين رحمه الله .

وتُوُفِّى الصاحبُ بدر الدين حسن بن نصرالله بن حسن بن محمد الإدكوى ثم الفُوّىّ ثم المصرى [٥] كاتب سِرّ الديار المصرية وناظر جيشها وخاصّها ووزيرها وأستادارها ومحتسبها فى يوم الثلاثاء سلخ شهر [ربيع] الأول [٦] ، ودفن بتربته بالصحراء عند ولده صلاح الدين محمد بن نصرالله ، وكان أصل الصاحب بدر الدين هذا من قرية إدكو [٧] من قرى المزاحميتين [٨] بالوجه البحرى ، ثم انتقل

---

(١) هو عبد الله بن الحسن بن على بن محمد بن عبد الرحمن . الجمال الدمشقى الأصل القاهرى الأدرعى (السخاوى — الضوء اللامع ٥ : ١٧) و (النجوم الزاهرة ج ٧ : ٢٨١ ط . كاليفورنيا) .

(٢) له ترجمة فى (ابن العماد — شذرات الذهب ٧ : ٢٥٩) و (النجوم الزاهرة ج ٧ : ٢٨٢ ط . كاليفورنيا) .

(٣) المواعيد يفهم من كل المواطن التى ورد فيها هذا الاصطلاح أنها تعنى دروس الوعظ المرتبة وفقا لمواعيد سابقة .

(٤) الربط : جمع رباط ، وهى المساكن الملحقة بالمساجد لسكنى الفقراء وأهل طريق الله . هامش (النجوم الزاهرة ج ١٢ : ١٠٩ ط . دار الكتب) وانظر (د / إبراهيم على طرخان — النظم الإقطاعية ٤٨٣) .

(٥) ترجم له (النجوم الزاهرة ج ٧ : ٢٨٢ ط . كاليفورنيا) .

(٦) إضافة يقتضيها السياق وهى واردة فى النجوم الزاهرة ٦ : ٢٨٢ كاليفورنيا .

(٧) إدكو : اسمها الأصلى إتكو بالتاء ، وهى بلدة قديمة قرب رشيد ، وتتبعها إداريا وتقع على الجهة الجنوبية من بحيرة مريوط (محمد رمزى — القاموس الجغرافى للبلاد المصرية ق ٢ ج ٢ : ٢٩٨) .

(٨) المزاحميتين : عمل غربى فرع رشيد يجاور خليج الإسكندرية من الجهة الشمال إلى البحر الرومى ، وبعضه بالبر الشرقى من النيل ، وحاضرته مدينة فوه (القلقشندى — صبح الأعشى ٣ : ٤٠٣) .

والده إلى فوّه وولد له بها الصاحبُ بدرُ الدين هذا فى ليلة الثلاثاء ثالث عشر ربيع الأوّل سنة ست وستين وسبعمائة ، وبها نشأ وباشرفيها بالطالع والنازل ، ودخل القاهرة فقيرا مملقا . حكى لى من لفظه ، أنه لما قَدِمَ القاهرة جعله قاضى القضاة ناصر الدين التَّنَسِيّ موقِّعاً[1] ، فحسده الناس على ذلك أمداً كبيرا .

قلت : ثم خدم الصاحب بدرالدين شاهداً فى ديوان الأمير أرْغُون شاه أمير مجلس فى الدولة الظاهرية برقوق نحو الشهرين ، وعُزِل ، ثم انضمّ إلى دَوَادَار الأمير بَكْلَمُش العَلائى أمير سلاح / فَحَسُنَ حالُه عنده ، ثم ترقّى فى الخِدم حتى وَلِى نَظَرَ الجيوش بالديار المصرية فى الدولة الناصرية فرج،ومن يومئذ أخذ أمْرُهُ فى نموّ إلى أن باشر عدَّة وظائف سنية حسبما ذكرناه مفصّلا فى « المنهل الصافى » حتى لم يترك وظيفةً من الوظائف حتى باشرها ، حتى كتابة السِّرِّ ؛ فإنه باشرها فى آخر عمره بعد موت ولده صلاح الدين محمد فى أواخر سنة إحدى وأربعين وثمانمائة إلى أن عَزَلَهُ الملكُ الظاهر جَقْمَق بالقاضى كمال الدين بن البارِزِىّ فى أوائل سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة ، ثم بطل ولزم داره إلى أن اختلط عقلُه قبل موته بمُدّة سنين ، وبالجملة إنه كان من أعيان رؤساء الديار المصريّة لولا حِدَّة كانت فيه وبادرة ، وكان مُنْهَمِكاً فى اللّذات ، وكان يتغالى فى المأكل والمشرب ، وكانت صفته شيخا جميلا ، طوالا مليح الشّكل والشبيبة ، كريما جوادا ، وعنده شهامة وإقدام على الملوك — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّى الأميرُ سيفُ الدين تَغْرى بَرْدِى بن عبدالله البَكْلَمُشِىّ[2] الدَّوادار الكبير ، المعروف بالمُؤْذى ، فى يوم الثلاثاء حادى عشر جمادى الآخرة بعد مرض طويل ، وصُلِّى عليه بمصلاّة المؤمنى ، وحضَر السلطانُ الملكُ الظاهر جَقْمَقُ الصلاة

---

(١) الموقع : هو الذى يكتب المكاتبات والولايات فى ديوان الإنشاء السلطانى (القلقشندى ــ صبح الأعشى ٥ : ٤٦٥) .

(٢) له ترجمة فى (النجوم الزاهرة ج ٧ : ٢٨٤ ــ ٢٨٦ ط . كاليفورنيا) .

عليه ، وغالبُ أعيان الدولة ، ودُفِنَ بتربة الأمير طَيْبُغَا الطَّوِيل بالصَحراء ، وطَيْبُغَا المذكور هو أستاذ الأمير بَكْلَمُش أستاذ تَغْرِى بَرْدِى هَذَا ، ولما مات أستاذه بَكْلَمُش صار تَغْرِى بَرْدِى هذا من جُملة المماليك ، وتَرَقَّى حتى صار من جملة أمراء العشرات فى الدولة الناصرية فرج ، واستمرّ على ذلك حتى قدم الأميرُ شيخُ المحمودىّ أتابك المستعين بالله إلى الديار المصرية - بعد قَتْل الملك الناصر فرج - فأخرج إقطاعه ثم أعاده بعد مُدَّةٍ من سلطنته ، واستمّر تَغْرِى بَرْدِى على إمرته كآحاد الأجناد دَهْراً طويلا لا يُؤْبه إليه ، حتى إننى كنتُ إذا رأيته فى الدولة الأشرفية أحسبه من جملة الأجناد ، إلى بعد سنة ثلاث وثلاثين أنعم عليه الملك الأشرف[برسباى][1]بإمرة طَبْلَخَانَاه ، وكان جَعَلَه قبل ذلك بمدّةٍ يسيرة من جملة رءوس النوب ، ثم صار رأس نَوْبَة ثانيا بعد سنيّات / ، فلما وُلِّىَ هذه الوظيفة ، ومسك العصاة فى يده ، صار يضربُ هذا ، ويَنْهَرُ هذا ، ويَدْفَعُ هذا ، وأظهر ما كان خفياً عن الناس من شهرته بالمُؤْذِى ، والملوك تُحِبُّ من يفعل ذلك بين أيديهم لإقامة الناموس فلم يكن غير سنين إلا وأنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية ، واستمرّ على ذلك إلى أن نقله الملكُ الظاهِرُ جَقْمَق إلى حجوبيّة الحجّاب بالديار المصرية بعد انتقال الأمير يَشْبُك السُودُونى إلى إمرة مجلس بعد أَقْبُغَا التّمْرَازِىّ فى سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة ، فلم تطل مُدّته حتى جعله دَوَادارا كبيرا بعد نفْى الأمير أَرْكَمَاس الظّاهِرِىّ بَرْقُوق إلى ثغر دِمياط ، ولمّا وَلِىَ الدّوادارية عظُم أمرُه وتضاخم . وسلك طريق السلف من الحُرْمة وإقامة الناموس - لا فى كثرة المماليك والسّماط - وقصده الناس لقضاء حوائجهم ، وعظم فى الدولة ونالته السعادة ، وعمّر مدرسته[2] التى بالشارع بالقرب من صليبة[3] جامع ابن طولون ، وجعل فيها خطبة ومدرسا ، وشيخا وصوفية ،ووقف عليها أوقافا كثيرة .

١٩

---

(١) الإضافة للتوضيح .

(٢) مدرسة تغرى بردى المؤذى : يقول على مبارك فى الخطط ٢ : ١١٥ « درب جميزة برأسه جامع تغرى بردى المؤذى ، ويعرف بجامع المؤذى ، أنشأه وجعله مدرسة ، وقرر فى مشيختها العلامة القلقشندى وذلك فى سنة أربع وأربعين وثمانمائة ، ولما توفى دفن بها » .

(٣) الصليبة : خط ينتهى إليه شارع القاهرة الأعظم خارج القاهرة ، وكان على شكل صليب ولذلك سمى بالصليبة ، وصليبة جامع ابن طولون لقربها منه . هامش (النجوم الزاهرة ٩ : ١٦٣ ط . دار الكتب) .

وكان عارفا بالأحكام ، ويقصدُ فى أحكامه خلاصَ المظلوم من الظالم ، ولا يسمع فى ذلك رسالة مُرسل كائناً من كان ، وكان يكتب الخط الذى يقارب المنسوب[١] ، ويتفقه ويذاكر بأشياء من التواريخ ويسأل الأسئلة من الفقهاء ، وكان عفيفاً عن القاذورات ، إلا أنه كان سبّاباً فحّاشاً فى لفظه ، قلّ أن يتبسم ، وكان معتدل القدّ ضخما ، مدوّر اللحية ، عبوسا ، وفى لقبه ما يُغنى عن ذكره ، وكان يُنْسَبُ إلى التتر ، وهو رومىّ الجنس — رحمه الله تعالى وعفا عنا وعنه .

وتُوُفِّى الأميرُ سيفُ الدين أَيْتَمُش بنُ عبدالله الخضرىّ الظاهرىّ[٢] — بعد أن تعطّل فى بيته سنين من بياضٍ[٣] ابتُلِىَ به — فى آخر ليلة السبت العشرين من شهر رجب ، ودُفِنَ فى تربة الأمير قُطْلُوبَك بالصحراء ، وكان أصله من مماليك الملك الظاهر بَرْقُوق ، وممن صار من جملة الدّوادارية فى الدولة الناصرية فرج ، ثم تأمّر عشرة فى الدّولة المؤيّديَّة / شيخ[٤] ، ودام على ذلك إلى أن وَلِى الأستادارية فى أوائل الدولة الأشرفية بَرْسْبَاى فلم ينتج أمرُه فيها وعُزِلَ بعد مُدَّة يسيرة ، واستمرّ على إمرة عشرة سنين ، إلى أن ابتُلِى فأخرج الملك الأشرف إمرتَه وجعَله بطّالا ، ونفاه غير مرّة إلى القُدس وغيره ودام على ذلك ، إلى أن تسلطن الملك الظاهر جَقْمَق فداخله أَيْتَمُش المذكور وتقرّب إليه إلى الغاية ، فلم يكن إلا أياما قلائل وسَئِمهُ الملكُ الظاهرُ جَقْمَق ومقته ثم نفاه إلى القُدْس ، ثم رسَمَ بعوده وٱنْقَمَعَ بعد ذلك ، ولزم داره حتى تُوُفِّى كما تقدم ذكره .

وكان ضخما للقِصَرِ أقرب ، كثّ اللحية ، فحّاشاً سباباً سريع الحركة مقداما ، وعنده بَطْشٌ وجَبَرُوت ، ويتفقّه ويعفّ عن المسكرات ويبرّ طلبة الجامع الأزهر سِرًّا وبالجملة كانت مساوئه كثيرة ولم أدر ما أقول فيه — غفر الله لنا وله .

(١) الخط المنسوب : هو ذو القاعدة ، ويرجح المرحوم الدكتور محمد مصطفى زيادة أنه الخط بعامة (المقريزى — السلوك) و (النجوم الزاهرة ج ٧ : ٢٠٩ ط . دار الكتب) .

(٢) له ترجمة فى (النجوم الزاهرة ج ٧ : ٢٨٦ — ٢٨٨ ط . كاليفورنيا) .

(٣) البياض : هو مرض البرص .

(٤) الدلولة المؤيدية شيخ : ابتدأت بتولى السلطان المؤيد شيخ المحمودى سلطنة البلاد فى مستهل شعبان سنة ٨١٥ هـ ، وانتهت بوفاته فى الثامن من المحرم سنة ٨٢٤ هـ (البدر العينى — السيف المهند . آخر مقدمة المحقق) . و (النجوم الزاهرة ج ٦ : ٣٢٣ ط . كاليفورنيا ، ج ١٣ . ٢٠٦ ط . الهيئة العامة للتأليف) .

وتُوُفّى الأميرُ ناصرُ الدين محمد(١) بك بن دُلْغادِر صاحب أُبُلسْتَين(٢) وأمير التُرْكُمَان فى أوائل جمادى الآخرة ، وقيل إنه قُتِل عَلى فراشه ، والأوّل أصح ، كان أوّل أمره من جُمْلة أمراء حلب لَمّا كان الوالد نائبا بها ، ثم ترقّى حتى صار نائباً لأُبُلسْتَيْن على عادة آبائه وأجداده ، ولما وليهَا طغى وتجبّر ، وخرج عن طاعة ملوك مصر إلى أن أباده الملكُ الأشرفُ بَرْسْبَاى ، وحصل لناصر الدين بك مِحَنٌ من كثرة من يُجرَّدُ إليه من قِبَل الملك الأشرف ، ولم تزل العداوة بينهما إلى أن تُوُفِّى الملكُ الأشرف وآل الأمر إلى سلطنة الملك الظّاهر جَقْمَق ، فأظهر ناصرُ الدين بك هذا الطاعة له ، وقدم الديار المصرية فى سنة ثلاث وأربعين[وثمانمائة](٣) ولبس خلعته ، وأكرمه الملك الظاهر غاية الإكرام ، وتزوّج ابنته التى كان تزوّجها الأتابَك جانبك الصّوفى لمّا كان هارباً عنده ، ثم عاد إلى بلاده بعد أن أنعم عليه الملك الظاهر بأشياء كثيرة ، واستمر بأُبُلسْتَيْن إلى أن تُوُفِّى وأراح الله المسلمين منه ، وكان كثير الشَّر والفِتَن ، ووقع فى أيّامه حروب كثيرة بتلك البلاد ، وكان ظالما جبّارا مُسْرِفا على نفسه – عامله الله بما يستحق .

★ ★ ★

---

(١) له ترجمة فى (النجوم الزاهرة ج ٧ : ٢٨٨ ط . كاليفورنيا) . والإضافة منه .

(٢) أبلستين : مدينة ببلاد الروم (ياقوت – معجم البلدان ١ : ٩٣) وهى فى شرق قيصرية ، وتعد من الثغور ، وترسم « البستان » كما جاء فى تهجئة جهان نما (لسترنج – بلدان الخلافة الشرقية ١٧٣) .

(٣) الإضافة للتوضيح .

٢١

﴿ سنة سبع / وأربعين وثمانمائة ﴾

استهلت هذه السنة والسلطانُ الملك الظّاهر أبو سعيد جَقْمَق العلائى الظاهرىّ ، والخليفةُ أمير المؤمنين المستكفى بالله أبو الربيع سليمان ، وباقى القضاة وأرباب الدولة على ما تقدّم ذكره فى سنة خمس وأربعين ، إلا الدّوادار الكبير ، فإنه الأمير إينَال العلائى الناصرىّ ، وليها بعد الأمير تَغْرِى بَرْدى المتقدم ذكره .

● المحرّم : أوّله الخميس .

ففى يوم الجمعة ثانيه أمر السلطانُ بحبس الفرنج الذين قدموا من رُودِس[١] ، وجماعة أخر من النصارَى فى المَقْشَرة ، فحبسوا الجميع بها .

وفى يوم السبت عاشره استقرّ القاضى سراج الدين عمر بن موسى الحمْصِىّ الشافعى فى قضاء طَرَابُلس بعد عزل القاضى شهاب الدين ابن الزّهرىّ ، وأضيف إليه نظر جيشها .

وفى أوائل المحرم ، نُقِلَ القاضى جمال الدين يوسف البَاعُونى الشافعىّ من قضاء حلب إلى قضاء دِمشْق بعد عزل القاضى شمس الدين محمد الوَنَائى ، وتولّى قضاء حَلَب القاضى شمس الدين بن الجزرىّ .

● صفر : أوّله الجمعة .

ففى يوم الثلاثاء ثانى عَشَره استقرّ يَرْعَلِى الخُرَاسانى فى حِسْبَة القاهرة مضافا على حسبة مصر القديمة بعد عزل قاضى القضاة بدر الدين محمود العينى عنها .

---

(١) رودس : جزيرة تقع حيال الإسكندرية فى البحر الرومى بين جزيرة المصطكى وجزيرة إقريطش ، وامتدادها من الشمال إلى الجنوب بانحراف نحو خمسين ميلا ، وعرضها نصف ذلك ؛ وهى فى الغرب من جزيرة قبرص بانحراف إلى الشمال ، وبعضها للفرنج وبعضها لصاحب اسطنبول ، ومنها يجلب العسل الطيب العديم النظير ، ولصاحبها مكاتبة تخصه عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية (القلقشندى ـــ صبح الأعشى ٥ : ٣٧٠ ، ٣٧١) .

● شهر ربيع الأوّل: أوّله الأحد .

ففى يوم الاثنين سادس عشرة خرجت الغزاة من القاهرة ونزلت فى المراكب من ساحل بُولاق[١] وتوجّهوا إلى ثغر الإسكندرية ودِمْيَاط ، ومنهم من تَوجّه إلى الإسكندرية فى البرّ ، والجميع قصدهم غزو رُودِس[٢] ، وقيل : تسمى أُريدِس والأوّل أشهر ، وكان الغزاة جمعا كبيرا إلى الغاية من الأمراء والخاصّكيّة والمماليك السلطانية وكان رأْس العسكر فى هذه السنة أيضا الأمير إينال العلائى الناصرى الدَّوَادار الكبير ، وكان فى العام الماضى أيضا هو والأمير تَمُرْبَاى رأس نَوْبَة النُّوَب رءوس العسكر أيضا لمّا غزوا قَشْتيل[٣] وأخذوها – انتهى .

٢٣ وكان فى هذه السنة مع الأمير إينال / من الأمراءالأمير يَلْخَجَا السّاقِى الناصرىّ ثانى رأس نوبة ، ومن العشرات جماعة كثيرة ، منهم الأمير برْمش اليَشْبُكِي الزَّرَدْكَاش ، والأمير تَغْرِى برْمُش الجَلالىّ المؤيّدى الفقيه نائب قلعة الجبل ، وهو مستمرٌ على وظيفته ، ورسم للأمير يُونُس العلائى أن يجلس بباب القلعة حتى يعودَ تَغْرِى بَرمش المذكور من الغزو ، والأمير سُودون الإينالِّى المؤيّدىّ المعروف بقَرَاقَاش أحد أمراء العشرات ورأس نَوْبَة ، والأمير تَمُرْبُغَا الظاهرى جَقْمَق ، والأمير نُوكَار

(١) بولاق : فى سنة ٦٨٠ هـ انحسر النيل عن جانب المقس من الجهة العربية عند ميدان باب الحديد ، وظهر فى محراه بجوار الشاطىء القديم حزر من الرمل ، وصارت أرض هده الجرر تتسع وتنضم إلى بعضها حتى أصبحت جزيرة واحدة كبيرة اتصلت من بحريها بجزيرة الفيل ، ومن قبليها بأرض اللوق ، ثم طرح عليها النهر فربت وارتفعت أرضها عن مسوب ماء النيل بسبب ماكان يتركه عليها من الطمى سويا ، وأصبحت أطيانها صالحة للزراعة والسكنى ، و . سنة ٧١٣ هـ صرح السلطان الناصر محمد بن قلاوون بالعمارة والبناء فيها ، فتسابق الأمراء والحند والكتاب والتحار والعامة فى البناء وأنشأوا على البيل الدور والقصور والبساتين ، وتكون من مجموع دلك بلدة بولاق ، وحتى سنة ١٨٥٨ م كانت هذه البلدة صغيرة على النيل ولم تتجاوز مبانيها المنطقة التى تحد اليوم من الشمال بشارع السبتية ، ومن الجنوب بشارع اسطبلات الطرق ، ومن الشرق بشوارع سدى العليمى ، وعلوة الحجاج وتل نصر ووابور النور ، وكانت الأرض التى بين بولاق القديمة وبين شارع رمسيس (الملكة نازلى سابقا) كلها أرضا زراعة وبساتين لم تحدث فيها المبانى إلا فى زمن الخديو إسماعيل . ومن ذلك الوقت أخذت بولاق تتسع فى العماره حتى اتصلت مبانيها بمدينة القاهره (هامش المرحوم الاستاذ محمد رمزى على النجوم الزاهرة ٧ : ٣٠٧ ط دار الكتب ،) وكان ساحلها ميناء نهريا تقلع منه سفن الأسطول وترسو فيه عند قدومها من الغزو .

(٢) جاء فى هامش اللوحة « حاشية : قال المؤلف رحمه الله تعالى : هذه الوقعة فى هذا الشهر أعنى ربيع الأول ، ولكن ليست السنة سنة سبع وأربعين وإنما كانت الوقعة فى شهر ربيع الأول من سنة ثمان وأربعين ، ولكن وقع الوهم فى المسودة التى بيضت منها هذه النسخة ، وقد ذكرتها مثبوتة فى سنتها فى غير هذه النسخة ، وهى سنة ثمان وأربعين ، فلتراجع هناك » هذا . وانظر النجوم الزاهرة ج ١٥ : ٣٦٠ .

(٣) قشتيل . أو قشتيل الروح ـــ تعنى الحصن الأشهب ـــ وهى جزيرة صغيرة قرب ساحل آسيا الصغرى الجنوبى هامش (الدكتور إبراهيم طرحان على النجوم الزاهرة ١٥: ٣٥٢ ط . الهيئة العامة للكتاب) .

الناصريّ ، والأمير تِمْرَاز النَّوْرُوزيّ المعروف بتعريص ، والسيفى يَشْبُك الفقيه المؤيديّ . وفيها تأمر بعد موت تمرْاز النَّوْرُوزِيّ أحد الباشات[١] من جُرْحٍ أصابه فى رُودِس ، وجماعة أخر من أعيان الخاصّكيّة ، كل منهم مقدم على غراب[٢] ومعه جماعة من المماليك السلطانية فى هذه الغَزْوَة تزيد على ألف مملوك ، هذا خارج عمن توجّه من المُتَطَوِّعة من الفقهاء والفقراء وأولاد الناس[٣] . وأُضيف إليهم أيضا جماعة من الأمراء الشامية كما فعل الملك الأَشْرَفُ بَرْسْبَاى فى غزوة قُبْرُس ، ورسم لهم بأن يتوجّهوا الجميع من ساحل طَرَابُلُس وَيَنْضَافُوا إلى العسكر المصرى ، ويتوجّهوا إلى رُودِس بأجمعهم عسكرا واحدا ، ففعلوا ذلك ، وسافر الجميعُ فى البحر المالح بعد أن أقاموا بثغرى الإسكندرية ودِمياط أيّاما لعمل مصالحهم ، وحصل منهم غاية الضرر بطول إقامتهم فى الثغور المذكورة ، وكان يوم سفرهم من الثغر الإسكندرى فى يوم الخميس حَادى عشر ربيع الآخر ، وسافروا بالأمن والسلامة إلى أن وصلوا بَرّ رودِس ونزلوا عليها بالقرب من مدينتها بالخيم ، وأخذوا فى حصار أسوارها ، ونصبُوا المناجيق والمكاحِلَ على أبراجها ، وأخذوا فى القتال فى كل يوم ، هذا ومنهم فِرْقَةٌ كبيرة تَفَرَّقت فى قُرَى رُودِس وبساتينها وضياعها ينهبون ويَسْبُون ، واستمروّا على ذلك أيّاما كثيرة ، على أن أهل رُودس تأهَّبُوا للقتال والحصَار ، وحصّنوا أبراج رُودِس بالآلات والسّلاح والمقاتلة وصار القتال بينهم فى كل يوم / ، وقُتل من الطّائفتين خلقٌ كثير إلى الغاية ، على أن جماعة من عسكر المسلمين استمرّوا فى المراكب مع الأمير يَلْخَجَا ، كما رسم السلطان أن يكون باشا فى البحر لحفظ المراكب ، وكان فى ذلك مصلحة ، فإنه طَرَقَهُم فى بعض الأيّام ...

٢٣

(١) الباشات : جمع باش أو باشا . اللفظ تركى يعنى الرؤساء والقادة (قاموس تركى ١ : ٢٦٥ ط إستنبول ١٣١٧ هـ)

(٢) غراب : نوع من المراكب أخذه العرب عن القرطاجيين والرومان ، وسمى بهذا لأن مقدمه يشبه رأس الغراب أو الطائر ، ويمثل فى الماء الطير فى الهواء ، ويحمل الغزاة ويسير بالقلع كما يسير بعدد من المجاذيف لايتجاوز ١٨٠ مجذافا ، ومزود بجسر من الخشب يهبط على مركب العدو ويمر على ظهره الجند فيتقاتلون بالأساليب البرية (الدكتورة سعاد ماهر . البحرية فى مصر الإسلامية ٣٥٩ ـــ ٣٦٠) .

(٣) أولاد الناس : يقصد بهم الأجناد الذين ليسوا من المماليك . وإنما هـم أبناء المصريين أوغيرهم الذين لم ينشئوا مماليك لدى سلطان أو أمير (المحقق) وقيل هم أولاد المماليك .

جماعةٌ من الفرنج فى المراكب وحصل بين الفريقين قتال عظيم ، ونصر الله المسليمن وغَنِمُوا منهم وسَبَوْا ، كل ذلك وحصار رُودِس على حاله عمَّال فى كل يوم إلى أن وقع للمسلمين فى بعض الأيام محنة قُتل فيها جماعة من الفُرْسَان الأعيان ، وهو أنهم كانوا فى كنيسة تجاه رُودِس ، وكان بينهم وبين العسكر مخاضةٌ فى البحر المالح ، وبينهم وبين رُودِس طريق سالكة على البَر ، وتعبّأ الفرنجُ لتبييت هؤلاء المسلمين إلى أن أمكنتهم الفرصةُ خرجوا عليهم حين غفلة وطرقوهم بالسّيوف وغيرها ، وكان المسلمون فى أمن من جهة أهل رُودِس وغالبهم جالس بلا سلاح ، وهم أيضا فى قلّة والفرنج فى كثرة ، فلما وقَعت العين فى العين قام المسلمون إلى السلاح فمنهم من وصل إلى سلاحه ، ومنهم من قُتل قبل أخذ السلاح ، ومنهم من ألقى بنفسه إلى الماء ونجا بنفسه ، وهم القليل ، على أنه قُتل من الفرنج جماعةٌ كبيرة، قتلوهم[١] من قُتَل من المسلمين لمّا عاينوا الهلاك ، فلما أن وقع العايط[٢] قام كل واحد من العسكر إلى نجدة هؤلاء ، فلم يصل إليهم أحدٌ حتى فَرَغَ القتال وقُتل من قُتل إلاّ أنّ بعض الخاصّكية لحق جماعةً من الفرنج قبْل دخولهم إلى مدينة رُودِس ووضعوا السَّيف فيهم .

وكنت قد وصفتُ هذه الواقعة وغزوة قشتيل مبسوطة فى مسودة ضاعت مِنّى فى جملة مسودّات فاحتجت إلى اختصارها على هذه الصورة ، وكذلك أشياء كثيرة من سنة خمس وست وأربعين ، وكان من قتل من أبطال المسلمين نيفا على عشرين نفسا – أثابهم الله الجنة بِمَنِّهِ وكرمه – ودام القتالُ بعد ذلك فى كل يوم أيّاماً كثيرة إلى أن طال عليهم الأمر ، ومدِينة رُودِس لا تزداد إلّا قوة ؛ لكثرة مقاتليها وكثرة الميرةِ التى بها ، فاجمع المسلمون على العود ، وركبوا المراكب / وعادوا إلى أن وصلوا إلى ثغر الإسكندرية ودِمياط ، ثم قدموا إلى ساحل بُولاق فكانت غزوةُ العام الماضى – أعنى غزوةَ قَشتيل التى أخربوها وسبوا أهلَها – أبهجَ من غزوةِ هذه السنة ، ولله الأمرُ من قبل ومن بعد . ٢٤

(١) فى النجوم الزاهرة ج ٧ : ١٣٥ ط . كاليفورنيا « قتلتهم فرسان المسلمين قبل أن يقتلوا »
(٢) العايط : هو الصائح أو المنادى (محيط المحيط) والمراد هنا الصياح وضجيج المعركة .

وكان وصولُهُم إلى القاهرة فى يوم الخميس ثانى عشر شهر رجب من السنة[١]

● شهر ربيع الآخر : أوّله الاثنين .

ففى يوم السبت سادسه أُوْفَى النيل ستة عشر ذراعا ، ونزل المقامُ الناصرىّ محمد ابن السلطان حتى خلّق المقياس وفتح السّد على العادة ، ثم ركب وطلع إلى القلعة وخُلِع عليه على العادة ، وفى هذا المعنى يقول النّصير المُنَاوِىّ [الكامل] .

النّيـــلُ قَـــالَ وَقَوْلُـــهُ إذْ قَـــالَ مِـــلءُ مَسَامِعِـــى
فِـى غَيْـظِ مَـنْ طَـلَبَ الغَـلاَ عَـمَّ البـلاَدَ مَنَافِعِـــى
وعيونُهُـم بعــدَ الوفـــا قَلَّعْتُهـــا بأصابِعِـــى

● جمادى الأولى ، أوّله الثلاثاء ، فيه قدم القاضى زينُ الدين عمرُبن السّفاح إلى القاهرة ، والأمير حَطَطْ الناصرىّ نائب قلعة حَلَب ، وغريبٌ أستادارُ السلطان بحَلَب ؛ بطلب من السّلطان ، فلما حضروا بين يدى السّلطان رسم عليهم الأمير تَغْرِى بَرْمُش نائب القلعة وأمَرَه بمحاسبتهم ، وأمره أن يحتفظ بهم أو يحبسهم بالبُرْج ، فأخذهم تَغْرِى بَرْمُش عنده وطلب منهم الأموال التى تصرَّفوا فيها من مال تَغرِى بَرْمُش نائب حلب لما عصى وخرج على السلطان ، وكان ما طلبه السلطانُ من ابن السَّفّاح مبلغ ثلاثين ألف دينار ، ومن حَطَطْ خمسين ألف دينار ، ومن غَريب قريبا من ذلك ، وداموافى الترسيم عند تَغْرِى بَرْمُش مدَّةٍ طويلة حتى،أخذ منهم مبلغا كبيرا .

وفى يوم السبت خامسه استَقَرّ ابن الرَّسّام كاتب سِرِّ حَلَب وناظر جيشها وناظر قلعتها عوضا عن ابن السفاح بحكم عَزْلِهِ ومصادرته ، واستقرّ شاهينُ الطُوغَانى الأشقر دَوادَار ٢٥ السلطان / — قديما — والدوادار الثالث الآن — فى نيابة قلعة حلب عوضا عن حَطَطْ المذكور بحكم عزله ومصادرته .

وفى يوم الخميس سابع عشره استقر القاضى أمين الدين عبد الرحمن بن الدّيرىّ فى نظر الحرمين القُدْس والخليل عليه السلام بمال وَعَدَ بِهِبعد وفاة غَرْسِ الدين خليل السَّخاِوىّ .

وفى يوم الاثنين ثامن عشرينه استقر القاضى عزالدين بن البُسَاطى المالكى فى قضاء دمشق عوضا عن يحيى المغربى بحكم عزله .

(١) أى سنة ٨٤٨ هـ ، وهو مكان الواقعة الصحيح

● جمادى الآخرة : أوله الأربعاء .

ففى يوم السبت رابعه عُزِلَ ابنُ البُسَاطى عن قضاء دمشق .

وفى يوم الأربعاء ثامنه قدم إلى القاهرة القاضى زينُ الدين عبدالباسط بن خليل من دمشق بعد أن احتفل الناسُ بملاقاته ولم يتأخّر أحد من أعيان الدولة عن الخروج له ، وكان لقدومه يوم مشهود ، وطلع إلى القلعة وقبّل الأرض بين يَدَىْ السلطان ، ومعه أولادُه ، ثم تقدّم وباس رِجْلَ السلطان ، فقال له السلطان : « أهلا » وكررهَا بصوت خفى ، و لم يَزِدْهُ على ذلك ، ثم ألبسهُ كاملية بيضاء بسمُّور بمقلب سمور ، وأخلع على أولاده كل واحد كاملية سّمور بطوق عجمى ، ونزل إلى داره المعروفة به .

وفى يوم الجمعة عاشره قدّم الزينى عبدالباسط تقدمته على أربعة وأربعين قفصا من أقفاص الحمالين ، مشحونة بالهدية ، مردومة بأنواع الفراء والصّوف والمخمّل والشُّقَق الحرير والسلاح وطبول بازات [١] مذهبة، وخيول نحو مائتى فرس وأربعين فرساً – منهم إكديش [٢] خاص – بسروج ذهب وبذْلات [٣] ، وعِبْى [٤] حرير ، ومنها عشرة خيول عليها بُرْكُسْتُوانات [٥] ملونة وسروج [٦] مغرقة ، ومنها ثمانية بسروج سُذّج [٧] برسم الكرة ، وبغال ثلاثة أقطار [٨] وجمال بخاتى [٩] قطار واحد .

---

(١) طول بازات : نوع من الطبول بوجه واحد . وأصله أنه كان يضرب عليه لتنزل الصقور من الجو (البيطرة ط المجمع العلمى بدمشق) (والمصايد والمطارد لكشاجم ط . العراق) من إملاء الأستاذ صالح الشيتى .

(٢) إكديش : كلمة فارسية تطلق على الحيوان الذى يجمع بين فصيلتين بعامة ، ثم أطلق عند العرب على الخيل من فصيلتين . هامش الدكتور مراد كامل، على (ابن عبد الظاهر — تشريف الأيام والعصور ٩٩) .

(٣) بدلات : جمع بدلة . وهى أكسية كالكنابيش وأغطية ظهور الخيل ، وكثيرا ماتكون مذهبة أو مجوهرة أو بالميناء . وانظر هامش المحقق على (النجوم الزاهرة ج ١٣ : ١٣٣ ط . الهيئة العامة للتأليف) .

(٤) العبى : حمع عباءة أو عباية بلغة العامة . وهى الأكسية الساترة لأكثر الحصان . (المحقق) .

(٥) بركستوانات : جمع بركستوان . واللفظ فارسى . وهو كسوة مزركشة تكسى بها الخيول والفيلة . هامش (النجوم الزاهرة ١٢ : ٢٦٢ ط . دار الكتب) .

(٦) سروج مغرقة : أى مغشاة بالذهب أو الفضة أو عير هما .

(٧) سروج سذج : أى بدون نقوش أو زركشة أو تدهيب .

(٨) أقطار : جمع قطار . وهو الجماعة من الماشية يسير بعضها خلف بعض فى حط مستقيم . وانظر (دكتور إبراهيم طرخان — النظم الإقطاعية ص ٥٠١) .

(٩) جمال بخاتى : هى الإبل الخراسانية وهى ضخمة ذات سنامين ، ووبرها أسود وتستعمل فى أسفار الشتاء (محيط المحيط) .

وفى يوم الاثنين عشرينه قدم الأمير الوزير خليل بن شاهين الشيخى نائب مَلَطْيَة ، وخلع عليه خلعة الاستمرار ، وقدم هديته .

وفى يوم الاثنين سابع عشرينه وصل إلى القاهرة قَاصدُ القان معين الدين شاه رُخّ بن تَيْمور لَنْك ، وقاصد جهان شاه بن قَرَا يُوسف صاحب تِبْرِيز[١] .

٢٦ / ● شهر رجب : أوله الجمعة .

فى يوم الاثنين رابعه استقر الأمير خليلُ بن شاهين أتابَك حلب عوضا عن الأمير قِيزْطُوغان العلائى الأستادار ، واستقرّ قِيزْطُوغان المذكور نائب مَلَطْيَة عوضه .

● شهر شْعبان ، وشهر رمضان لم يقع فيهما شيء .

● شوّال ، أوّله الأربعاء . ففى يوم السبت ثامن عشره برز الأمير شادبَك الجَكَمِىّ أحد مقدّمى الألوف وأمير حاج المحمل بالمحمل إلى . بِرْكَة الحجاج ، وأمير الركب الأوّل الأمير سَونْجبُغا اليُونُسّى الناصرىّ فرج أحد أمراء العشرات ورأس نَوْبة .

وفى يوم الأربعاء ثانى عشرينه خُلع على القاضى محب الدين بن الأشقر بوظيفة نظر الجيوش المنصورة على عادته قديما، عوضا عن القاضى بهاء الدين محمد بن حجّى بحكم عزله وعَوْدِهِ إلى دمشق ناظر جيشها ؛ فإنها كانت بيده مضافا إلى جيش مصر .

وفى يوم الأربعاء تاسع عشرينه خُلعَ على بدر الدين محمد بن فتح الدين صدقة المحّرقى باستقراره فى نظر الجَوَالى[٢] عوضا عن والده بحكم ضعفه وكبر سنّه ، واستقرّ أيضا فى جيمع وظائف والده .

وفى يوم الخميس سلخة قَدّم القاضى بهاء الدين بن حجّى إلى السلطان تقدمة هائلة تشتمل على خمسة وأربعين قفصا من أقفاص الحمالين ما بين ثياب بعلبكى وقِسِىّ وأنواع الفراء والصوف وغير ذلك .

---

(١) تبريز : أشهر مدن أذربيجان ، وبها كرسى بيت هولاكو ، وكانت عاصمة إيران ، ويقال أيضا توريز (القلقشندى ـــ صبح الأعشى ٤ : ٣٥٧) .

(٢) نظر الجوالى : هى وظيفة يتولى شاغلها شئون مايؤخذ من أهل الذمة من الجزية المقررة على رقابهم كل سنة (القلقشندى . صبح الأعشى ٣ : ٤٦٢) .

● ذو القعدة، أوله الجمعة

ففى يوم الاثنين رابعه خلع على القاضى بهاء الدين بن حجى خلعة الاستمرار بنظر جيش دمشق ونظر قلعة دمشق .

وفى يوم الأحد رابع عشرينه نزل السلطان من قلعة الجبل وسار حتى وصل إلى بولاق ثم عاد ، حتى علم الناس أنه طيب ، وكان قد توعك توعكا هينا فأشيع بضعفه .

● ذو الحجة : أوّله الأحد .

ففى يوم الاثنين ثانيه وصل الأمير جُلُبَّان نائب الشام ونزل السلطانُ إلى ملاقاته بمطعم الطَّيْر على المسطبة بالرّيدانية ، وتَلَقّاهُ وأخلع عليه خلعة الاستمرار .

وفى يوم الثلاثاء ثالثه قدَّم الأمير جُلُبَّان تقدمته إلى السلطان تشتمل على عدّة حمالين منها سَمُّور[١] خمسة أبدان[٢] ووَشْق[٣] بدنان وقَاقَم[٤] خمسة أبدان وسِنجَاب[٥] / خمسون بدنا، وقرضيّات[٦] خمسون قرضية، ومخمل ملوّن أربعون ثوبا ، ومخمل أحمر وأخضر وأزرق حلبى خمسون ثوبا ، وصوف ملَوّن مائة ثوب ، وثياب بعلبكى خمسمائة ثوب، وبطائن خمسمائة ثوب ، وقِسِى[٧] حلقة

٢٧

---

(١) السمور : حيوان برى يشبه ابن عرس ، ولكنه أكبر منه ، ولونه أحمر مائل إلى السواد ، يتخذ من جلده فراء ثمينة ، وربما أطلق السمور على جلده — كما هنا — (المنجد : ٣٥٠) .

(٢) أبدان : جمع بدن وهو الدرع القصيرة أو القميص لاكمين له ، وقد يلبسه النساء (محيط المحيط) وأرجح أن المراد هو القطعة الكاملة من جلد أو فرو الحيوان بكماله .

(٣) الوشق : دابة تتخذ منها الفراء الجيدة ، وهو من فصيلة السنوريات على شكل عناق الأرض إلا أنه أكبر منه قليلا (المنجد ص ٩٠٢) .

(٤) قاقم : حيوان جميل الوجه يشبه ابن عرس وأكبر منه تفوح منه رائحة كريهة . وتصنع من جلده فراء جيدة ثمينة . واللفظ غير عربى (المنجد ص ٦٤٧) .

(٥) سنجاب : حيوان أكبر من الجرد له ذنب طويل كثيف الشعر يرفعه صعدا ، ويتسلق الشجر بسرعة ، ويضرب به المثل فى خفة الحركة ، وتتخذ منه فراء زرقاء رمادية ، ومنه اللون السنجابى . واللفظ فارسى (المنجد ص ٣٥٤) .

(٦) قرضية : لعل المراد المقرض . وهو حيوان يشبه ابن عرس وأكبر منه ، ولونه أبيض مائل إلى الصفرة يتخذ منه فراء ثمين (المنجد ص ٦٢٠) .

(٧) قوس حلقة : لعله القوس الذى يوتر بلولب وهو الذى يرمى السهام الخطائية المنسوبة لأمة الخطا وهم ترك الصين .

ثلاثمائة قوس منها خمسون خاص،وطبول باز مذهبة عشرة ، وسيوف خمسون سيفا ، وخيول مائتا رأس منها واحد بسرج ذهب وكُنْبُوش ، وبغال ثلاثة أقطار ، وجمال أربعة أقطار ، وعشرون ألف دينار ـــ على ما قيل .

●أمر النيل فى هذه السنة : كانت القاعدة – أعنى الماء القديم – ستة أذرع وعشرون إصبعا ، وكان مبلغ الزيادة في هذه السنة تسعة عشرذراعا وثلاثة وعشرين إصبعاً .

* * *

﴿ ذكر من مات فى هذه السنة من الأعيان ﴾

تُوُفِّى الشيخُ شمسُ الدين محمد [بن حسن] الحنفى (١) المعتقد فى أوائل شهر ربيع الأول، وهو فى حدود الثمانين سنة ، ودُفِنَ بزاويته خارج قنطرة طُقُزْدَمُر (٢) خارج القاهرة، وكان رجلا ديّنا خيّرا يعمل المواعيد الهائلة ويعلم الناس ويسلّكهم، وأفنى عُمْرَه فى العبادة والعلم ، وكان فى مبدأ أمره فقيها يُقْرِىء المماليكَ بأطباق القلعة ، ثم فتحَ له حانوتا يبيع فيه الكُتُب ، ثم ترك ذلك كلّه وانقطع عن الناس بالكلية ، وعُرِفَ بالخير والدِّيانة ، وكانت الأكابر تتردّد إليه، وكان بينه وبين الوالد صحبة وهو أتابَك العساكر ، وصحب بعده جماعة كبيرة ، وكان بينه وبين الأمير طَطَرْ صحبة أكيدة ، وله فيه اعتقاد عظم إلى الغاية ، حتى إنه لما تسلطن أنعم عليه بإقطاع هائل ، وجعله رِزْقَةً (١) مُحْبَسَةً على زاويته ، وأعطاه مبلغا كبيرا من الذهب؛ مع دولة الملك الظاهر طَطَر اليسيرة. وكان الشيخ شمس الدين سَمْحاً يَبْذُلُ ما فى يده للفقراء فى إطعام طعام وإيصال معروف لهم ، وكانت زاويته مشحونة بالفقهاء والفقراء ، ودام على ذلك سنين إلى أن تُوُفِّى ، اجتمعتُ به غيرَ مَرَّةٍ ، فكانت له محاضرة حسنة ومذاكرة حلوة ، إلا أنه كان لا يَقُومُ لأحد يَقْدُم عليه كائنا من كان ، حتّى ولا قاضى القضاة ، وعِيبَ عليه / ذلك ، وكان مليح الشكل مُنَوَّر الشيبة ، بشوشا فصيحا ، والناس فيه على قسمين ، ما بين معتقد إلى الغاية ، وما بين منتقد إلى الغاية — رحمه الله .

٢٨

---

(١) له ترجمة فى (النجوم الزاهرة ج ٧ : ٢٨٨ ، ٢٨٩ ط كاليفورنيا)

(٢) قنطرة طقزدمر : وكانت تقع على الخليج الكبير بخط المسجد المعلق ، يتوصل منها إلى بر الخليج الغربى حيث حكر الأمير طقزدمر الحموى نائب السلطنة أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وهذه القنطرة كانت تسمى بقنطرة درب الجماميز (على مبارك ــ الخطط ٣ : ١١) .

(٣) الرزقة : واحدة الرزق . وهى الأطيان التى أعطاها الخلفاء والسلاطين لبعض الناس بمقتضى حجج شرعية أو تقاسيط ديوانية، ورزقة بلا مال أى بدون خراج، بمعنى أنها تكون معفاة من الضرائب. وانظر (دكتور ابراهيم طرخان ــ النظم الإقطاعية ٤٨٤) .

وتُوُفِّىَ الأميرُ تِمْرَازُ بنُ عبد الله النَّوْروزىّ أحد أمراء العشرات ورأْس نَوْبَة، من جُرْح أصابه فى حصار رُودِس ، فحُمل إلى أن مات بالقُرْب من ثغر دِمْيَاط ، ودُفِنَ به فى أواخر جمادى الآخرة أو أوائل شهر رجب ، وكان الأمير تِمْرازُ هذا يعرف بتعريص ، وهو من مماليك الأمير نَوْرُوز الحافظى نائب الشام ، وتأمَّر فى الدولة الظاهرية جَقْمَق ، وكان متجمِّلا فى ملبسِه ومَرْكَبِه ، وعنده كَرَمٌ وحِشْمَةٌ ، وكان كبير اللحية حسن الشكل. رحمه الله .

وتُوُفِّى الشيخ الإمام العالم العلامة زين الدين أبوبكر بن إسحاق بن خالد الكَخْتَاوِىّ الحنفىّ ، المعروف بالشيخ باكير، شيخ الشيوخ بخانقاه شيخون، فى ليلة الأربعاء ثالث عشرين جمادى الأولى ، وصُلِّى عليه من الغد بمصلّاة المؤمنى تحت القلعة ، وحضر السلطانُ الصلاةَ عليه ، ودُفِن فى الفَسقِيّة بجامع شَيْخُون ، واستقرّ عوضه الشيخ الإمام العلامة كمال الدين محمد بن الهُمَام ، وكان الشيخ باكير إماما بارعا مَفَنِّنا فى عدّة علوم غير أنه كان فى لسانه شبه لكنة .

[1] [وتوفى المقام الناصرى محمد بن السلطان الملك الظاهر جقمق فى ليلة السبت ثانى عشرين ذى الحجة بقلعة الجبل ، وحضر والده الصلاة عليه ، ودفن بتربة عمه جاركس.

---

(١) يوجد بياض فى لوحة ٢٨ بمقدار نصفها الأسفل وبياض بلوحة ٢٩ بمقدار النصف الأعلى، والبياض يشمل بقية ترجمة الشيخ الإمام زين الدين أبى بكر بن إسحق بن حالد الكختاوى الحنفى المعروف بالشيخ باكير ، وبداية ترجمة المقام الناصرى محمد بن السلطان الملك الظاهر جقمق ، وبينهما ترجمة فتح الدين صدقة المحرقى، وغرس الدين خليل السخاوى. وهذا السقط موجود أيضا فى نسخة «ت» ولذلك اقتضى الأمر تكملة الترجمتين هنا فى الهامش — مع تعريف بسيط — من كتاب النجوم الزاهرة ج ٧ ابتداء من اللوحة ١٨٣ — نسخة استنبول — رقم ١٣٤٣ تاريخ دار الكتب، وإثبات ترحمة صدقة المحرقى، وغرس الدين خليل « مع سكون وعقل زائد يؤدى ذلك إلى عدم الانتصاف فى أبحاثه، ومع هذا كان تقريره للطلبة فى غاية الحسن والفصاحة ، ومحضول أمره أنه كان عالما مفيدا للطلبة، غير بحاث مع أقرانه من العلماء ، وكان مليح الشكل منور الشيبة ظاهر اللون ، وقورا معظما عند الخاص والعام ، وكان مولده بمدينة كختا فى حدود السبعين وسبعمائة رحمه الله تعالى .

وتوفى فتح الدين صدقة المحرقى ناظر الجوالى ليلة الخميس سلخ شوال ودفن خارج باب الجديد من القاهرة وكان عاميا فى زى فقيه لم أعرفه إلا فى دولة الملك الظاهر جقمق ، لأنه كان بخدمته ورقاه فى سلطنته .

وتوفى غرس الدين خليل السخاوى ناظر الحرمين القدس والخليل عليه السلام فى ليلة العاشر من جمادى الأولى وكان أيضا من أطراف الناس، وهو أحد من خدم الملك الظاهر جقمق أيام إمرته ولازم خدمته الى أن تسلطن فقربه وولاه نظر الحرمين ، وعده الناس من الأعيان فلم تطل مدته ومات، وكان يتدين فى صلاته وعبادته إلا أنه كان عاريا — سالبه كلية .

القاسمي المصارع تجاه القلعة . وأمه الست قراجا بنت أرغون شاه أمير مجلس الملك الظاهر برقوق][1] / وكان عاقلا سيوسا عارفا مدبّرا حريصا متجمّلا فى مماليكه وحشمه ، ٢٩ يسير على قاعدة السلاطين فى ركوبه وجلوسه ويُخاطَبُ فى ركوبه للصيد أمير شِكار[2] ، و[يخاطب[3]] غيره بالسلطان ، ولقّبهُ جماعة من الشعراء بالملك الناصر فى تَخَلُّص[4] قصائدهم ، وكان أهلا للسلطنة بلا مدافعة ولو تسلطن لما اختلف عليه اثنان ،

وتوفى المقام الناصرى محمد ابن السلطان الملك الظاهر جقمق فى ليلة السبت ثانى عشرين ذى الحجة بقلعة الجبل بعد مرض طويل ، وصلى عليه من الغد بباب القلة من قلعة الجبل ، وحضر والده الصلاة عليه ، ودفن بتربة عمه جاركس القاسمى المصارع التى حددها مملوكه قانى باى الجاركسى عند دار الضيافة تجاه سوق القلعة ، ومات وهو فى حدود الثلاثين تخمينا ، وأمه الست قراجا بنت الأمير أرغون شاه أمير مجلس الملك الظاهر برقوق ، وكان مولده بالقاهرة وبها نشأ تحت كنف والده وحج وسافر مع والده إلى آمد فى سنة ست وثلاثين ، واشتغل اشتغالا يسيرا حتى برع فى المعقول وشارك فى المنقول ، وسار فى فنون كثيرة من العلوم ، ساعده فى ذلك جودة ذهنه وحسن تصوره وعظيم حفظه حتى صار معدودا من العلماء . ولا نعلم أحدا من أبناء جنسه من ابن أمير ولا سلطان وصل إلى هذه الرتبة غيره قديما ولاحديثا بل ولا فى الدولة التركية قاطبة من المشاهير أولاد الملوك ، هذا مع المحاضرة الحسنة والمذاكرة اللطيفة ، والنوادر الطريفة ، والاطلاع الزائد فى أخبار السلف وأيام الناس ، وكان يسألنى عن مسائل دقيقة مشكلة فى التاريخ على الدوام ، لم يسألنى عنها أحد من بعده إلى يومنا هذا .

وأما حفظه للشعر باللغتين التركية والعربية فغاية لاتدرك ، وكان مجلسه لايبرح مشحونا بالعلماء مشايخ الاسلام يتداولونه بالنوبة ، فكان لقاضى القضاة شهاب الدين بن حجر وقتا يحضر فيه فى كل جمعة مرتين، ولقاضى القضاة سعد الدين الديرى الحنفى وقتا غير ذلك يحضر فيه فى الجمعة مرتين ، وأما العلامة شمس الدين الكافيجى الحنفى ، والعلامة قاسم الحنفى فكانا يلازمانه فى غالب الأوقات ليلا ونهارا ، وأما غير هؤلاء من الطلبة الأعيان فكثير يطول الشرح فى ذكرهم ومع هذه الفضيلة والرياسة الضخمة والترشيح للسلطنة [كان] متواضعا بشوشا هينا مع حسن الشكالة وخفة الروح والميل إلى الطرب على قاعدة الصوفية والعقلاء

وكان لايمل من المحاضرة والمذاكرة بالعلوم والفنون ، وكان رميه بالنشاب فى غاية الجودة ، ويشارك فى ملاعيب كثيرة ، ولولا سمن كان اعتراه وكره هو ذلك وأخذ يتداوى فى منع السمن بأشياء كثيرة ربما كان بعضها سببا لهلاكه مثل شرب الخل على الريق ومنع أكل الخبز سنين ، وكثرة دخوله الحمام حتى إنه كان غالب جلوسنا معه فى الخلوة فى مسلخ الحمام الذى ابتناه بطبقة العور من القلعة ، وبداخله فى الحرارة ، وأشياء غير ذلك ، وكان بينى وبينه صحبة قديمة وحديثة ومحبة زائدة ، ثم صار بيننا فى أيام والده صهارة فإنه تزوج بنت الأتابك آقبغا التمرازى ، وهى بنت كريمتى . ولم يفرق بيننا إلا الموت — رحمه الله تعالى — ولقد كان حسنة من حسنات الدنيا خليقا للملك والسلطنة »

(١) الإضافة عن حوادث الدهور طبعة بير ص ١٤١

(٢) أمير شكار : هو الذى يتحدث فى شأن الجوارح السلطانية من الطيور وغيرها والصيود وأحواش الطيور ، ورتبة صاحبها أمير عشرة (القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ٢٢) .

(٣) إضافة لإيضاح النص .

(٤) التخلص عند البلغاء . يطلق على اتيان المادح اسمه فى المدح ، وعلى الانتقال مما افتتح به الكلام إلى المقصود مع رعاية المناسبة . انظر : التهانوى ، كشاف اصطلاحات الفنون ٤٣٢ .

لِما كنتُ أعرفه من هّمَته ومعرفته ، وكان يحب اللَّهْو والطَّرَب على قاعدة العُقلاء والرؤساء من الملوك ، مع إقامة الناموس والحرمة لشهامة كانت فيه . وكانت غالب الأمراء وأعيان الخاصّكية يترقب سلطنته يوما بيوم ، ولو مَلَكَ لسار على قاعدة عظماء الملوك لما كنتُ أعلمهُ منه – وأنا أخبَر بحاله من غيرى – لصحبة كانت بيننا قديمة ، ثم صارت بيننا صهارة لما تزوّج بنت كريمتى بنت الاتابك آقْبُغَا التِّمْرَازِىّ نائب يعَشْق ، وكنتُ أنا تولَّيْتُ تربيتها وعمل شِوَارها[1] بعد موت والدها ، فتاكّدت الصُّحبة لذلك ، وفى الجملة كان أجَلَّ أولادِ السَّلاطين وأولاد الناس / الذين أدركناهم – رحمه الله تعالى[2] . ٣٠

* * *

---

(١) الشوار : متاع البيت المستحسن (المنجد) أو جهاز العروس كما تسمية العامة فى مصر .

(٢) ذكر ابن تغرى بردى فى كتابه النجوم الزاهرة ١٥ : ٥٠٤ :

« ومن أجله صنفت هذا الكتاب من غير أن يأمرنى بتصنيفه ، غير أنى قصدت ترتيب هذا الكتاب من ذكر ملك بعد ملك ، أنه إذا تسلطن ، أختم هذا الكتاب بذكره بعد أن أستوعب أحواله وأموره على طريق السيرة » .

﴿ سنة ثمان وأربعين وثمانمائة ﴾

استهلت هذه السنة والسلطان والخليفة على حالهما كما تقدم فى السنة الماضية ، وكذلك القضاة وأرباب الوظائف . والأسعار متوسطة .

وسعر الدينار مائتا درهم وخمسة وثمانون درهما فى الصَّرْف ، وتسعون فى المعاملة ، والإفْرَنْتى [١] بأنقص من الأشرفى [٢] بخمسة دراهم فى الحالتين ، والمثقال الذهب بثلاثمائة وثلاثين وخمسة وثلاثين ، والدرهم من الفضة بأربعة وعشرين درهما من الفلوس ، وكل درهم من الفلوس بثمانية أعداد مخلوطة بالنحاس وغيره ، وكان سعر القمح فى وسط السنة الماضية بثلاثمائة درهم الإردب ، ثم هو الآن بمائتى درهم الإردب ، فما دونه ، وبقيّة الأسعار رخيصة ، غير أن الطاعون كان ابتدأ فى أوائل ذى الحجة من السنة الخالية ،وقد فشا الآن فى أوائل هذه السنة ،فنسأل الله حُسْنَ الخاتمة بمنّه وكرمه .

● المحرم : أوّله الاثنين . فيه فشا الطاعون وصار يزيد فى يوم وينقص فى آخر إلى أن أخذ فى التزايد ،وبلغ من يموت فى كل يوم أكثر من ثلاثمائة نفس .

وفى يوم الجمعة ثانى عشره ، ركب المُحْتسب يَرْعَلِى الخراسانى وكَبس المعاصر بساحل بُولاَق ، فتكاثرت العبيد عليه ورجموه ،وكادوا يقتلونه عدماً ، ولولا أنه التجأ إلى بيت القاضى كمال الدين كاتب السرّ لكان هلك .

● صفر: أوّله الأربعاء . فيه تزايد الطاعون حتى بلغ من يموت فى كل يوم أكثر من خمسمائة نفس ، وكان غالب من يموت الأطفال والخدم .

---

(١) الإفرنتى : أى الدينار الإفرنجى أو المشخص ـــ لأن عليه صورة شخص ـــ أو الدوكات كما تسمى فى بعض الأحيان ، وهو عملة ذهبية ضربت فى البندقية ،لذلك عرفت فى الشرق باسم سدقى (الدكتور عبد الرحمن فهمى ـــ النقود العربية ٩٥ ، ٩٦)

(٢) الأشرفى ـــ هنا ـــ : هو الدينار المنسوب إلى الأشرف برسباى ، وهناك أشرفى قايتباى ، وأشرفى غورى ، وأشرفى عثمانى ، لكن أشهرها وأجودها هو الأول ، وانظر (دكتور إبراهيم طرخان ـــ النظم الإقطاعية ٢٥٦) .

وفى يوم الخميس ثانيه استقر ابن ظهير ناظرَ الأوقاف عوضاً عن علاء الدين بن آقْبَرْس بحكم عَزْله .

وفى يوم الثلاثاء حادى عشرينه نَفَى السلطانُ كِسْبَاىْ الشِّشْمَانِى المؤيّدىّ أحد الدّواداريّة الصِّغار إلى صَفَد ، وفيه أيضا نفى شاهين أحد المماليك السلطانية .

وفى آخر الشهر تناقص الطاعون .

٣١ ● شهر ربيع الأوّل : أوّله الجمعة . فيه نَفَى السلطان يُونَسَ / الأمير آخور ، وفى هذه الأيام خفّ الطاعونُ من القاهرة وكثُر فى ضواحيها .

وفى يوم الأحد ثالثه ، ضربَ السلطان القاضى أبا البركات محب الدين الهيتمىّ أحد نوّاب الحُكْم الشافعيّة ، وحبسه بحبس المَقْشَرَة ؛ لا لأمر اقتضى ذلك ، ولما بلغ ذلك قاضى القضاة ابن حجر ، عَزَلَ نَفْسَهُ ، ثم أعاده السلطانُ بعد ذلك وأطلقَ أبا البركات المذكور من الحبس .

وفى يوم السبت تاسعه نَفَى السلطانُ سُودُونَ مملوك طُوغَان أميرآخور-كان - إلى حَلَب ، قلتُ : ولو أبعد به لكان أحسن .

وفى يوم السبت سادس عشره ، نفى السلطانُ الأميرَ سُودُونَ السُّودُونى الحاجب إلى قوص،وأنعم بإقطاعه على الأمير أَلْطُنْبُغَا المعلم اللفّاف الظاهرىّ بَرْقُوق المعزول عن نيابة الإسكندرية قبل تاريخه زيادةً على ما بيده ، وهذه ثالثُ نَفْيَةٍ نفاها السلطانُ لسُودُون المذكور .

[ثم فى يوم السبت المذكور خرجت الغزاة من القاهرة][1] وفى هذه الأيام أمر السلطانُ بِنَفْى الشيخ شمس الدين محمد بن العطار الحنفى أحد الصوفية بخانقاه شيخون إلى ملَطْية ، وخرج إلى أن وصل إلى خانقاه سِرْيَاقُوس[2] ثم تكلّم فيه فعاد

(١) إضافة للتنبيه ، فهنا كان يجب إيراد غزوة رودس ، التى مر ذكرها ص ٥٩ ، وانظر هامش (٢) ، وما ذكره المؤلف .

(٢) خانقاه سرياقوس : أنشأها الناصر محمد بن قلاوون قرب بلدة سرياقوس وبدأ عمارتها فى ذى الحجة سنة ٧٢٣ هـ وافتتحت فى جمادى الآخرة سنة ٧٢٥ هـ (المقريزى ــ الخطط ٢ : ٤٢٢) والخانقاه : دار ينزل فيها الصوفية ويتفرغون للعبادة وهى فارسية . وسرياقوس بلدة مصرية قديمة ، وهى الآن من قرى مركز شبين القناطر التابع لمحافظة القليوبية . وتقع على شاطىء ترعة الإسماعيلية الشرقى فى شمال القاهرة وعلى بعد ١٨ ك م منها . هامش (النجوم الزاهرة ج ١٢ : ٥٦ ط دار الكتب) .

إلى القاهرة على حاله ، وكان سبب هذه القضية شمس الدين الكاتب ؛ فإنه كان واسطة سوء عند الملك الظاهر جَقْمَق ، وأما شمس الدين بن العطّار فإنه من خيار الناس ومن أعيان فقهاء الحنفية .

● شهر ربيع الآخر : أوّله السبت ، وقيل الجمعة .

ففى يوم الاثنين ثالثه ، خلع السلطانُ على الأمير سُودُون المحَّمدِىّ أحد أمراء العشرات باستقراره فى نيابة قلعة دِمَشْق ، بعد نقل الأمير جَانِبَك الناصِرىّ منها إلى حجوبيّة حجّاب دِمَشْق بعد موت الأمير سُودون النَّوْرُوزِىّ — رحمه الله .

وفيه استقرّ الأمير قَانْصُوه النَّوْرُوزىّ – الذى خرج على الملك الظاهر جَقْمَق فى نَوْبة إينال [١] الجَكَمىّ ، ثم اختفى مُدَّةً وظهر بالأمان – فى نيابة مَلَطْيَة بعد عزل الأمير قيزْطُوغان عنها ، وقدومه إلى حلَبَ أتابَكاً بها ،عوضا عن الصاحب خليل ابن شاهين بحُكْمِ عَزْله ونَفْيه .

وفيه أيضا أمر السلطانُ الأميرَ شاد بك الجَكَمىّ ، والأمير طوخ من تِمْرَاز المدعو بُيْنِى بَازق – أعنى غليظ الرقبة وكلاهما أمير مائة ومقدّم ألف بالديار المصرية – بالسفر إلى بلاد الصعيد لدفع فساد العربان . وكان قبل تاريخه أرسل السُلطان الأمير أَيْتَمُش من أزوباى المؤيّدىّ أستادار [٢] الصّحبة ومعه خمسون مملوكا من المماليك السلطانية إلى الصَّعِيد أيضا ، فضعف أَيْتَمُش بمن معه عن قتالهم ، وهم عَرَبُ الكنوز [٣]

٣٢

وفى يوم السَّبت خامس عشره استقرّ الأمير سُودُون البُرْدْبَكىّ – أميرُ خَازِنْدار وأحدُ الحجّاب – فى نيابة ثغر دِمْيَاط ، وخُلعَ عليه فى يوم الاثنين عوضا عن السّيفىّ

(١) إينال الجكمى : له ترجمة فى (السخاوى — الضوء اللامع ٢ : ٣٢٧) وكانت النوبة المشار إليها هى خروجه على طاعة السلطان حقمق فى سنة ٨٤٢ هـ . ثم قبض عليه وقتل . ودفن بتربته التى أنشأها بالقرب من جامع كريم الدين قبلى دمشق .

(٢) أستادار الصحبة : هو الذى يتحدث على المطبخ ويشرف على الطعام والمشى أمامه والوقوف على السماط ، والعادة أن يكون أمير عشرة (القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ٢١) .

(٣) عرب الكنوز : هم بنو الكنز ، وهم من عرب قبيلة ربيعة ، ونسبوا إلى بلاد الكنوز ، وهى النوبة الشمالية ، وتقع بين شلال أسوان وبين شلال وادى حلفا ، وهذه المنطقة تشمل حاليا الشلال ، ودابوت ، ودرهميت ، ثم قرى مركز الدر ، ثم بعض قرى مركز وادى حلفا بالسودان . هامش (النجوم الزاهرة ج ٧ : ١٨٨ ط دار الكتب)

طُوغَان السّيفى آقْبَرْدِى المِنْقَار، بحكم عزله وتوجّهه إلى البلاد الشّاميّة على إمرة .

وفى يوم الثلاثاء ثامن عشره استقرّ الأميرُ دُولاَت باى المحمودى المؤيّدىّ الدّوادار الثانى ناظِرَ جامع الأزهر .

وفيه أوفى النيلُ ستّة عشر ذراعا ، ونزل المقامُ الفخرىّ عثمان ابنُ السلطان الملك الظّاهرى جَقْمَق من قلعة الجبل،وبين يديه أعيانُ الدّولة من الأمراء وغيرهم حتى عدّى النيل وخلّق المقياسَ ، وعاد فَتح الخليجَ ، وركبَ وطلعَ إلى القلعة ، وخلع والدهُ عليه فوقانى بطرز ذهب على العادة ، وفى هذا المعنى يقول بعض الشعراء : [الكامل]

واهاً لهـذا النيـل أىّ عجيبـة ... بِكْـر بمثْـل حَديثهـا لايُسمَـعُ
يَلقى الثّرى فى العام وهو مسلّم ... حتى إذا مامُـلَّ عـاد يـودِّعُ[1]
مُسْتَقْبَلٌ مثـل الهـلال فَدهْـرُه ... أبدا يَزِيدُ كما يُرِيد ويَـرْجِـعَ

● الجمادان : لم يقع فيهما شىء .

● شهر رجب : أوّله الأربعاء .

ففى يوم الخميس ثانيه وصلت إلى القاهره عدّة رؤوس ــ على رمَاح ــ من العَرَب أهْلِ الكُنُوز .

وفى يوم السّبت رابعه وصلَ إلى القاهرة الأميرُ بُرْدبَك العجمىُّ الجَكَمِىّ نائب حَمَاة ، وطلع إلى القلعة ، فلمّا تمثّل بين يدى السلطان وقبَّل الأرضَ نَهَرَه السلطانُ وأمرَ بالقَبْضِ عليه ، فأُمسِكَ وحُبِسَ بالقلعة ، ثم أُرسِلَ إلى الإسكندرية ، لِمَا وقَع منه فى حَقّ أهل حماة ، وسببُ ذلك أنه كان وقع بينه وبين أهلِ حماة كلامٌ بسبب أمْرٍ مَّا،فأفحش بُرْدبَك هذا عليهم فى القول ، فنفرت قُلوُبُهم منه حتى عَظُم ذلك بينهم ووقع القتالُ ، فركب بُرْدْبَك هذا بمماليكه عليهم وقاتلهم حتى قَتَل منهم جماعةً كبيرة أكثر من مائة وعشرين / نفساً ، قتل غالبهم صبْراً ولم يُقْتَل من جماعته غير ٣٣

(١) فى الأصل « حتى إذا ماعاد وهو مودع » وهنا من (نهاية الأرب للنويرى ١ . ٢٦٥)

أربعة أنفس أو أقل ، ولمّا وقع منه ذلك عَصَى وخرجَ عن الطاعة ، ونزل فى برّية حماة أياما فلم ينتج أمرُه ، فأرسل سأل نائب الشام الأمير جُلُبَّان فى الأمان ، فسأل نائب الشام السلطانَ فى ذلك ، فأرسل إليه (١ بالأمان ، فحضر ، وتولّى من بعده نيابة حماة الأميرُ قَانِى بَاى الأبو بكرى الناصرىّ ١) فرج ، المعروف بالبَهْلَوان نائب صَفَد ، وتَوَلّى صَفَد بعد قَانِى بَاى الأمير يَبْغُوت مِن صَفَر خَجَا المؤيّدىّ الأعرج نائب حمص .

وفى يوم الاثنين سادسة خُلِعَ على الأمير تَنَم من عبد الرزّاق المؤيدىّ المعزول عن حسبة القاهرة باستقراره فى نيابة الإسكندرية بعد عزل الأمير أَلْطُنْبُغَا اللّفاف عنها ، وحضر أَلْطُنْبغا المذكور على إقطاعه ، وقد زاده السلطانُ عِدَّةَ زيادات ، وجعله كالمقدَّمين بالديار المصرية ، وأمر بأن يَسْكُنَ فى بيت الأمير نَوْرُوز الحافظىّ الذى فى الرُّمَيْلة (٢) تجاه مصلّاة المؤمنى .

● شعبان : أوّله الخميس .

فى يوم الاثنين ثانى عشره وصل الأميرُ على بَاى الأشرفى إلى القاهرة ، وكان على باى المذكور من حين قبض السلطان عليه وحَبَسَهُ ثم أطلقه بطَّالا بالبلاد الشامية لم يحضر إلى القاهرة .

وفى يوم الاثنين تاسع عشره قَدِمَ إلى القاهرة القاضى بهاء الدين محمد بن حجّى ناظر جَيْش دِمشْق ، وطلعَ إلى السلطان وأخلع عليه كاملية بسمّور .

وفى يوم الثلاثاء حادى عشرينه قُدّمت إلى السلطان تقدمةُ الأمير قانى باى الحمزاوىّ نائب حَلَب صحبة دَوَادَاره السيفى تَغْرِى بَرْمُش ، وكانت تشتمل على مائة رأس من الخيول ، وعِدّة أقفاص حَمالين ، فيها من أنواع الفراء والصوف الملوّن والمخمّل والبَعْلَبَكّى وغير ذلك .

(١ـ١) مابين الرقمين ساقط من نسخة « ت »

(٢) الرميلة : هى ميدان صلاح الدين حاليا تحت القلعة ، وقد وردت فى الأصول '' الرملة '' وسيصير تصحيحها إلى '' الرميلة '' دون التعليق عليها .

وفى يوم الخميس[١] قَدِمَ إلى القاهرة قاصدُ القان مُعين الدين شَاه رُخّ بن تَيْمُور لَنك ومعه فى خدمته نحو المائة نفر ، ومعه أيضا أتباع كثيرة وكان معه آمرأةٌ عجوز من نساء تيَمْوُر لَنْك ، قَدِمَت برسْم الحج إلى بيت الله الحرام ، أقامت بدِمَشْق لتتَوجّهُ[٢] صُحبة الحاج الشّامى، ومع القاصد المذكور كسوة الكعبة التى من جهة شاه رُخّ ، وكان القاصد الذى قَدِمَ القاهرة فى العام الماضى قد آستأذن السلطان فى ذلك ، واعتذر أنَ شاه رخّ نَذَر على نفسه أنه يكسو الكَعْبة كما كان ذكر للملك الأشرف بِرْسْبَاى ، وكان ذلك / سببا لضَرْب قُصَّادِه والإهانة لهم من الأشرف ، ولما ٣٤ استأذن القاصدُ الملك الظاهِرَ جَقْمَق فى العام الماضى أُذِنَ له فى ذلك ، وقال هذه قُرْبَةٌ لانمنعها ويجوز أن يَكْسُوَ الكعبةَ كائن من كان ، وعظم ذلك على المصريّين إلى الغاية ، ونزل القاصد المذكورُ فى بيت جمال الدين الأستادار إلى يوم الاثنين حادى عشر شهر رمضان على ماسيأتى .

● شهر رمضان: أوّله الجمعة ، فيه طلع القاضى بهاءُ الدين بن حجى ،لِيَلِىَ وظيفة نظر الجيوش بالديار المصرية .فلم يتمّ له ذلك .

وفى يوم الاثنين حادى عَشْرِه طلع قصّادُ شاه رُخّ بن تَيْمور لَنْك المتقدم ذكرهم إلى القلعة ، وكان السلطان قد احتفل لطلوعهم ، ونادى أنّ أحدا من أجناد الحلقة[٣] لايتأخر عن الطلوع ، وعمل السلطان الخدمة بالحوش السلطانى ، فلما مثلوا القصّاد بين يَدى السلطان ومعهم التّقْدمَةُ والكسوة أمر السلطانُ بإدخال مامعهم إلى البحرة[٤] لئلا يفطن أحد بذلك ، ثم إن السلطان كلّم القصّادَ ورَحّب بهم ، وعادوا إلى أن وصلوا إلى[٥] باب القلعة أخذتهم الرّجْمُ من العامة والسّبُّ واللّعن ، واستمرّوا خلفهم وهم على ذلك إلى أن وصلوا بيتَ جمال الدين الأستادار حيث هو سكنهم نزل فى الحال

(١) فى (النجوم الزاهرة ح ٧ : ١٣٧ ط . كاليفورنيا) " يوم الخميس خامس عشر شعبان "
(٢) فى الأصول « تتوجه » وماهنا من النجوم الزاهرة ٧ : ١٣٧ ط كاليفورنيا
(٣) فى نسخة ت « أن أحدا من أجناد المماليك والحلقة السلطانية »
(٤) البحرة : هى القبة التى أنشأها السلطان الملك المؤيد شيخ المحمودى فى الحوش السلطانى بقلعة الجبل ، وكانت تطل على القرافة ، وجاءت فى غاية الحسن (النجوم الزاهرة ١٤ : ٧٧ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب) .
(٥) فى ت « إلى أن دخلوا باب القلعة »

من المماليك السلطانية [١] الذين بالطباق [١] مقدارُ ثلاثمائة مملوك ، وانضاف إليهم جماعةٌ كثيرةٌ من العوامّ ، وكبسوا على القُصّاد المذكورين فى بيت جمال الدين ونَهَبُوهم حتّى أخذوا كل شىء كان معهم ، وكان شيئا كثيرا ، وأفحشوا فى ذلك حتى أخذوا خيولهم وبغالهم ، وكان ما أخذ لهم شىء كثير إلى الغاية من الذّهب والفصوص والشّقق الحرير والمخمّل والمِسْك وأنواع الفَرْو وغير ذلك ، ولولا أن الأمير يَلْخَجَا الرأس نَوْبة الثانى كان سكنه بالقصر بجوار بيت جمال الدين المذكور فركب وأنجدهم حتى وصل أيضا إليهم الدَّوَادار الكبير إينَال العلائى ، والأمير تَنبَك حاجب الحجاب ، [٢] ويَرْعلى الخُرَاسَانِىّ المُحْتَسِب ، ومنصُور الطَّبْلاوىّ والى القاهرة [٢] ، ومسكوا جماعة من العامة وغيرهم ، وأخذوا منهم شيئا كثيرا مما نهبوه وإلا كان الأمر أعظم من ذلك ، ولما بلغ السلطان الخبرُ غضب غضبا شديدا ، وأمسك جماعة من العامة وضربهم بالمقارع وأبدع فيهم ، وقطع أرزاق بعض المماليك السلطانية الذين استضعفهم كأولاد / ؛ الناس ومأأشبه ذلك ، وأما المماليك الجُلْبان فلم يكلّمهم البتة ، وأعطى السلطان القصّاد شيئا كثيرا ، وطيّب خَوَاطِرهَم ، وسكن أمرُ الكسوة . ٣٥

وفى أواخر هذا الشهر نفى السلطانُ الأميرَ آقْطُوَه المؤُسَاوِىّ الظاهرىّ بَرْقُوق أحد أمراء الطَّبْلَخَانَات إلى طَرَسُوس [٣] ، ثم شُفِع فيه فتوجّه إلى دمشق بَطَّالا .

● شوّال : أوّله الأحد .

ففى يوم الثلاثاء عاشره خلع السُلطان على القاضى سراج الدين عمر بن موسى الحِمْصِىّ الشافعى باستقراره فى قضاء الشافعية بحَلَب عوضا عن ابن الجزرىّ بحكم عزله .

وفى يوم الاثنين سادس عشره ورد الخبر على السلطان من خَوَنْد كَار مراد بك

(١-١) مابين الرقمين من ت

(٢-٢) مابين الرقمين وارد فى هامش اللوحه بعد كلمة " حاشية "

(٣) طرسوس : مدينة بثغور الشام (حاليا بتركيا) ويقال كان بها دور لأهالى الأمصار الإسلامية ينزلها أهلها إذا وردوها (الكرخى المسالك والممالك ص ٤٧)

ابن عثمان متملك بلاد بُرصا[١] وغيرها من بلاد الرّوم أنه وقع بينه وبين طائفة من بنى الأصفر[٢] قتالٌ عظيم لم يُشهد مثله فى هذه الأيام حتى إنه قُتِل من المسلمين أكثر من عشرة آلاف نفس ، وأما من بنى الأصْفَر فخلائق لاتحُصى ، وفى آخر الأمر نصر الله المسلمين على بنى الأصفر،وأسروا منهم وقتلوا وسبوا وغنموا ولله الحمد ، وقبضَ ابنُ عثمان المذكور على خمسة من عظماء بنى الأصفر المذكورين من الذين إليهم الحلُّ والعقد فى ممالكهم ، وأنه أسَرَ أكثر من عشرة آلاف أسير ، وغنم المسلمون منهم أموالا كثيرة إلى الغاية .

وفى يوم الخميس تاسع عَشْرِهِ برزَ أميرُ المحمل الأمير تَمُرْبَاى التَّمُرْبُغَاوىّ رأس نوبة النُّوَب بالمحمل إلى بِرْكَة الحجاج ، وأمير حاج الرّكب الأوّل الأمير قَانَم التاجر المؤيّدى أحد أمراء العشرات .

وفى هذه السنة أبطل السلطانُ الرَّمَّاحة الذين يلعبون فى دَوَرَان المحمل فى شهر رجب[٣] من كل سنة ، فعظُم ذلك على الناس إلى الغاية ، وتم ذلك ، وقد كان أبطله السلطان فى رجب [٣] ووعد أنه يعمله فى شوّال عند خروج الحاج فلم يفعل ، فتحقّق الناسُ بطلانه .

● ذو القَعْدة ، أوّله الاثنين .

فيه استقرّ محبُّ الدين بن الشّحنه قاضِىَ قُضاة حلب الحنفية ، وكاتب سرّها ، وناظر الجيوش بها[٤] بمال كبير بذله فى ذلك .

قلتُ : وهذا لسوء حظّ أهل حلب ، وبذنوب سلفت منهم .

وفى يوم الثلاثاء سادس عشره قَدَّمَ زين الدين يحيى الأستادار إلى السلطان تقدمة هائلة تشتمل على ثلاثمائة رأس من الخيول العربية .

---

(١) برصا : مدينة كبيرة فى شمال بلاد الروم ، وهى مقر مملكة أولاد عثمان جق ، وخارج ربضها يمر نهر ككدار ونهر منرباشى ، والأخير يشق المدينة ويمر فى جامعها (القلقشندى ــ صبح الأعشى ٥ : ٣٤٣) .

(٢) بنو الأصفر : هم الروم ، والأصفر هو ريم بن العيص (القلقشندى ــ صبح الأعشى ٤ : ٣٣٢) .

(٣ - ٣) مابين الرقمين ساقط من ت .

(٤) فى ت « وفيه استقر عبد الله الكاشف على عادته بمال كثير بذله فى ذلك . قلت وهذا بسوء حظ أهل بلبيس بذنوب سلفت منهم » .

وفى يوم الخميس خامس عشرينه / قَدِمَ القاضى زينُ الدين عبد الباسط بن خليل الدمشقى (١) من دِمَشْق إلى القاهرة بطلب من السلطان ، وهذه ثانى مرّة قدمها فى الدّولة الظاهريّة جَقْمَق . ٣٦

وفى يوم السبت سابع عشرينه طلعَ الزينى عبد الباسط إلى السلطان وقبّل الأرض بين يدى السلطان ، وخلع عليه كامليّة بفرو سمّور بمقلب سمّور .

وفى يوم الاثنين تاسع عشرينه قدّم الزينىّ عبد الباسط تقدمة إلى السلطان ، وكانت تشتمل على شىء كثير، وهى من الخيول أربعون فرسا ، منها عشرة مشدودة بسروج مغرَّقَة ، ومنها أربعة بسروج ذهب ، وثلاثون حمالا بأقفاص مردومة مابين سمّور ووَشَق وقَاقَم وسِنْجاب وصوف ومخمل وبَعْلَبَكِّى وغير ذلك ، ومبلغ كبير من الذهب فى أكياس اختلف فى قدره .

● ذو الحجة : أوّله الأربعاء .

ففى يوم الخميس سادس عشره خرجت من القاهرة تجريدةٌ (٢) إلى البحيرة ومقدّم العسكر الأمير قَرَاخَجَا الحسنى الظاهرىّ بَرْقُوق الأمير آخُور الكبير وصحبته ستة من الأمراء وجماعة كبيرة من المماليك السلطانية .

وفى يوم الثلاثاء حادى عشرينه قدم قاصد مُرَاد بَك بن عثمان متملّك بلاد الروم ومعه جماعة من الأسرى الذين قبض عليهم من بنى الأصفر حسبمَا ذكرناه آنفا وكان لدخولهم القاهرة يوم مشهود ، وحَكَى القاصِدُ ماتقدّم ذكره ، وأن ابن عثمان المذكور أرسل بمثل هؤلاء الأسرى إلى جماعة من ملوك الأقطار .

أمر النيل فى هذه السنة : كانت القاعدة - أعنى الماء القديم - ستة أذرع وخمسة عشر إصبعا ، وكان مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا وأربعة (٣) عشر إصبعا .

---

(١) هـذا اللفظ مضاف من ت

(٢) التجريدة : جماعة من الخيالة لا رجالة فيها ــ بقصد السرعة فى أداء مهمتها . هـامش (النجوم الزاهرة ١٣ : ٢٠ ط . الهيئة العامة للتأليف) .

(٣) ورد فى هـامش اللوحة « حاشية : صوابه تسعة عشر ذراعا وتسعة عشر إصبعا »

﴿ ذكر من مات[١] من الأعيان فى هذه السّنة ﴾

تُوُفِّى الواعظ شمسُ الدين محمد الحموى [٢] خطيبُ الجامع الأشرفى بَرْسْبَاى[٣] فى يوم الأربعاء الثالث من ذى القعدة ، وكان يعظ الناسَ فى الأماكن ، ويعمل المواعيد الحسنة البليغة ، وعليه قبول من العامة ، وكان فصيحا فى خطبه ، غير أنه قليل البضاعة مِنَ العلم ، على أنه كان يستحضر الكثير من التفسير والحديث النبوى رحمه الله تعالى .

٣٧ وتُوُفِّى الأميرُ / الطواشى فيروز بن عبد الله الرومى الجاركَسِىّ [٤] الساقى فى يوم الأربعاء رابع عشر شعبان ، ودفن فى مدرسته[٥] التى أنشأها بالقرب من داره عند سوق القِرَب ، كان أصله من خدام الأمير جَاركَسْ القاسمىّ المُصَارِع ، وترقّى من بعده حتى صار ساقيا فى[٦] أواخر الدولة الناصرية فرج ، ثم فى [٦] الدولة المؤيدية شيخ ، ودام على ذلك إلى الدولة الأشرفية بَرْسْبَاى ، وحظى عند الأشرف فى أوائل دولته ، ثم انحط قدره ونفاه إلى المدينة ، ثم عاد بعد مدةّ وتولى وظيفة السقاية ثانيا ، واستمر على ذلك إلى ان غضب عليه فى مرض موته بعد أن وسّط[٧] الطّبيبَين ابنَ العفيف وخِضْرًا ، وأخرجه من السقاية ، فلزِمَ فيُروز داره

---

(١) فى ت « توفى »

(٢) له ترجمة فى (النجوم الزاهرة ح ٧ : ٢٩٥ ط كاليفورنيا) والإضافة عنه وعن ت

(٣) الحامع الأشرفى برسباى أنشأه السلطان الأشرف برسباى إبان دولته ، ولا يزال موجودا تقام فيه الشعائر بشارع المعز لدين الله الفاطمى فى المنطقة التى تقع بين تقاطعة مع شارع الموسكى وتقاطعة مع شارع الأزهر . وانظر (على مبارك ــ الخطط ٢ : ٢٣) .

(٦) له ترجمة فى (السجوم الزاهرة ح ٧ : ٢٩٥ ط . كاليفورنيا) .

(٥) مدرسة فيروز الرومى : وتقع بدرب سعادة بجوار المنجلة عن يمين الذاهب من حارة المنجلة إلى الحمزاوى أنشأها الأمير فيروز الجركسى ، وتعرف بجامع فيروز ، وانظر (على مبارك ــ الخطط ٦ : ١٣) .

(٦ – ٦) مابين الرقمين ساقط من ت

(٧) وسطه : أى قتله تعذيبا بشقه نصفين من الوسط ،

والطبيان هما : حضر والعفيف الأسلمى . انظر : السجوم الراهره ١٥ : ٥٠٧ .

مترقبا للتوسيط إلى أن مات الأشرف ، وكان سبب غضب الأشرف عليه فى هذه المرة أنه كان قد قوى عند الأشرف أنه دسَّ عليه السّم ، وأن الأطباء لاينصحونه فى العلاج ، فبينما هو فى بعض الأيام إذ دخل عليه فَيْروز هذا بمغلى ليشربه ، فقال الأشرف لفَيْروز : اشرب منه الشِّشْنِى [١] ، فامتنع فَيْرُوز من الشرب ، لأنه كان صائما ، فلما رأى الأشرف توقُّف فَيْروز عن الشّرب تحقّق ماكان ظَنّه ، واتهم فَيْروز هذا فيمن اتّهمه ، ولولا كان له أجل لكان وسَّطه مع الأطباء أيضا ، واستمرّ فَيْروز هذا ملازماً لداره إلى أن تسلطن الملك الظاهر جَقْمَق طلبه وولاّه الزِّماميّة عوضا عن الأمير جَوْهَر الجُلُبّانى، بعد عزله ومصادرته فى أحد الربيعين من سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة ، فظنّ فَيْرُوز هذا أنه لايُعْزَل من هذه الوظيفة فى هذه الدّولة البتة ، فلم يكن غير شهر وهرب الملك العزيزُ من قاعة البربرية من دور الحريم السلطانية ، ولم يعلم فَيْروز بذلك ، وبلغ السلطان تسحّب الملك العزيزيوسف ، فكاد يهلك ، وطلب فَيْروز هذا وأوسعه سبًّا ، ثم عزله بَجْوهَر الخازندار القَنْقَبَائى ، وذلك فى أوائل شهر رمضان من السنة ، ولزم فَيْروز داره خاملا إلى أن تُوُفِّى ، رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّى الأمير حمزة [٢] بن قَرَايُلُك عثمان المدعو قرايلُك بن طُرْعَلى صاحب ماردين [٣] وغيرها / من دِيَار بكر [٤] بن وائل فى أوائل شهر رجب من هذه السنة ، ووصل الخبرُ بموته إلى القاهرة فى يوم العشرين من شعبان ، وكان غير مشكور السيرة ، على قاعدة التركُمان [٥] كأبيه وإخوته ، وقد أخرب غالب مُدُن ٣٨

(١) الششنى : والششة ، هى أن يشرب الساقى من مشروب السلطان ويأكل من مطعومه قبل أن يقدمه له اطمئنانا ومخافة أن يكون به سم . (قاموس دوزى) .

(٢) له ترجمة فى (النجوم الزاهرة ٧ : ٢٩٦ ط . كاليفورنيا) . وترجمته كلها ساقط من ت

(٣) ماردين : هى قلعة على جبل بالجزيرة الفراتية تشرف على دنيسر ودارا ونصيبين ، ولاتزال قائمة فى الشرق من الرها . هامش (النجوم الزاهرة ج ١٢ : ٣٠ ، ٣١ ط . دار الكتب) . وتقع حاليا فى تركيا ، وهى محطة حديدية على بعد ٤١١ كم من حلب (المنجد — أعلام الشرق والغرب ص ٤٧٠) .

(٤) ديار بكر : كانت بلادا واسعه تنسب إلى بكر بن وائل بن قيس ، وهى ذات مدن وقرى كثيرة بين الشام والعراق ، وقصبتها الموصل وحران ويمربها دجلة والفرات . هامش (النجوم الزاهرة ٨ : ١١٧ ط . دار الكتب) .

(٥) التركمان : إحدى القبائل التركية وانظر فى أصلهم وفروعهم (البدر العينى — السيف المهند ص ٢٠ وما بعدها تحقيق فهيم شلتوت) .

ديار بكر فى أيّام أبيه قَرَايلُك ، عليه من الله مايستحقه ، وألحق الله به من بقى من ذرّيته ، فإنهم شر عصابة .

وتُوُفِّى الأمير طوخ بن عبد الله الأبو بكرى[١] المؤيّدى نائب غزّة بها قتيلا بيد العُرْبان الخارجة عن الطاعة فى أواخر ذى الحجّة ، وكان أصله من مماليك الملك المؤيّد شيخ وخاصّكيّته ، وممن تأمّر بعد موته بالبلاد الشامية ، كان قد صار أتابَك غَزَّة مُدَّةَ سنين إلى أن نقله الملكُ الظاهر جَقْمَق إلى إمرة مائة وتقدمه ألف بدمشق بعد واقعة الأتابَك إينَال الجَكَمِى ، وقَدِمَ إلى القاهرة وأكرمه السلطان ، ثم توجّه إلى دِمشق فلم تَطُل مُدَّته بها ونقل إلى نيابة غَزّة،بعد الأمير طُوخ مازى الناصرى فى أواخر سنة ثلاث وأربعين ، فقدم إلى غَزَّة وباشر نيابتها إلى أن قُتل فى التاريخ المذكور ، وكان أميرا ضخما جليلا شجاعا معظّماً فى الدُّوَلِ على طمع كان فيه ، وتولّى نيابة غزة من بعده الأمير يَلْخَجَا من مَامِشْ السّاقى الناصرى رأس نوبة ثانى وأحد أمراء الطَّبْلخَانَات بالديار المصرية .

---

(١) له ترجمة فى (النجوم الزاهرة ح ٧ : ٢٩٦ ط . كاليفورنيا) .

﴿ سنة تسع وأربعين وثمانمائة ﴾

استهلت هذه السنة والسلطان ، والخليفة والقضاة كل منهم على حاله .

● المُحَرم : أوّله الجمعة .

فى ليلة الجمعة ثامنه سقطت مئذنةُ المدرسة الفخرية(١) القديمة التى بالقُرب من سوق الرَّقيق(٢) داخل القاهرة ، وقعت على الفُنْدُق الذى بجوارها ، وعلى عدة أماكن ، قُتل فيها عالَمٌ كبير من الخلائق ، ولما بلغ السلطان ذلك وموت هذه الخلائق سأل: من هو ناظر هذا الجامع؟ فقيل له: نور الدين القليوبى أحد نوّاب القاضى الشافعى وأمين الحكم ، فطلبه فى الحال وأمر بتوسيطه فشفعوا فيه ، وكان ممن شفع فيه الأمير إينَال العلائى الدَّوادار ، وذلك بعد أن سبَّهُ ولعنه وألزمه بمال كبير لعمارة المدرسة المذكورة ، ثم التفت السلطانُ إلى قاضى القضاة الشافعى وخاطبه مخاطبة مُنْكِيَةً يُستَحْيى من ذكرها ، وعزله عن القضاء من وقته ، وولّى عوضه الشيخ شمس الدين القاياتى .

٣٩ قلتُ : لايُعاب على الملك الظّاهر ماوقع منه فى حقّ القاضى ومستنيبه؛ فإنّ من شأن القُضَاة عدم الالتفات إلى عمارة الأوقاف والمدارس التى يتولّون أنظارها ، وما أدرى بماذا يعتذرون عن ذلك بين يدى الله تعالى ، وماحجّتُهم عند الله ؟ وهذا الأمر مما يقبح على عامّى جاهل فكيف الفقهاء والقضاة ، وقد شاع ذلك فى الأقطار عن قضاة زماننا حتى إن غالب الناس فى عصرنا صار إذا وقف وقفا على مدرسة أورباط أوذرّية وغير ذلك لايجعل النظر إلا للحاجب أو للدَّوادار أو للزِّمام ، ولايجعل

---

(١) المدرسة الفخرية : قال المقريزى هى فيما بين سويقة الصاحب ودرب العداس . عمرها الأمير فخر الدين أبو الفتح عثمان بين قزل الباروقى أستادار الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر ، وفرغ منها سنة ٦٢٢ هـ (على مبارك ــ الخطط ٦ : ٦٣) .

(٢) سوق الرقيق : وكان يقع بخط المسطاح فيما بين الملحيين ، وسويقة الصاحب ، ومكان هذا السوق عطفة الشيشيى (على مبارك ــ الخطط ٣ : ٣٦) .

نظره لمتعمم قطّ ، لما ثبت عند الناس من عدم التفات المتعمّمين إلى مصالح الأنظار ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

وفى يوم الخميس رابع عشره رسم السلطانُ لقاضى القضاة شمس الدين محمد القاياتى باستقراره فى قضاء الشافعية عوضا عن الحافظ شهاب الدين بن حَجَر ، ونزل إلى داره بغير خلعة بطَيْلَسَانِه [١] ، وبين يديه أكابر الدولة من القضاة والأمراء ، ولما نزل إلى مدرسة [٢] الصالحية لم يسمع الدعوى التى يدّعيها بعضُ رسل الشرع على العادة ، وقال هذه حيلة ، ثم قام وتوجّه إلى داره .

وفى يوم الاثنين ثامن عشره خُلعَ على الأمير يَلْخَجا من مَامِشْ السّاقى الناصرى ثانى رأس نَوْبَة النُّوَب باستقراره فى نيابة غزّة بعد موت الأمير طُوخْ الأبو بكرى المؤيدى .

وفى يوم السبت ثالث عشرينه وصل أمير حاج المحمل بالمحمل إلى القاهرة وهو الأمير تَمُرْباى كما تقدم ذكره فى شوّال من هذه السنة .

وفى يوم الاثنين خامس عشرينه غَضِبَ السلطانُ على الأمير قَراجَا العمرىّ الناصرى أحد أمراء العشرات ، وأمير الحاج الرّجبىّ فى هذه السنة ، والمعزول عن ولاية القاهرة قديما ، وأمر بنفيه إلى حَلَب ، بسبب سوء سيرته فى الحاج وغير ذلك

● صفر : أوّله الأحد .

فى يوم الإثنين ثانيه خلع على مَامَاىْ السّيفىّ بَيْبُغَا المُظفَّرِى أحد الدّوادارية ، ورسم له بأن يتوجّه إلى طرابُلُس ، ويحاسب ناظر جيشها يوسف بن موسى الكَرَكىّ على ماكان تحت يده من تعلّقات السلطان .

● شهر ربيع الأوّل : أوّله الاثنين .

---

(١) الطيلسان : كساء أخضر يلبسه الخواص من المشايخ والعلماء ، وأصله من أكسية العجم (المنجد ص ٤٦٩) . وفى النجوم الزاهرة ١٥ : ٣٦٧ : « بغير خلعة تورعا وعليه طيلسانه » .

(٢) مدرسة الصالحية : تقع بخط بين القصرين تجاه الصاغة ، أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٠هـ ، وهى عامرة وتعرف بجامع الصالح (على مبارك-الخطط ٦ : ٩)

٤٠ في يوم الاثنين ثانى عشرينه سافر زين الدين يحيى الأستدار إلى ناحية بُلَبِيس(١) ومعه جماعة كبيرة من المماليك السلطانية لقتال العرب الخارجة عن الطاعة .

● شهر ربيع الآخر : أوّله الأربعاء .

في يوم السبت ثامن عشره وصل زين الدين الأستادار إلى القاهرة ومعه جماعة كبيرة من العرب .

وفى العشر الأخير من هذا الشهر وَلَدَت امرأةٌ سكنها بالقرب من جامع أحمد بن طولون بنتاً لها رأسان ، رأسُ فوق رأس ، إحداهما بشَعْر والأخرَى بغير شَــعْر .

وفى يوم الاثنين عشرينه خَلَعَ السلطانُ على الأمير شَادْبَك الجَكَمِىّ أحد مقدمى الألوف بالدّيار المصريّة باستقراره فى نيابة حماة،عوضا عن الأمير قانِى بَاى البَهْلَوَان بحكم انتقاله إلى نيابة حَلَب،عوضا عن الأمير قانِى بَاى الحمزاوى،بحكم عزله وانتقاله الى القاهرة على إقطاع الأمير شَادْبَك المذكور أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية .

● جمادى الأولى : أوّله الخميس .

في يوم الخميس خامس عشره نَفَى السلطانُ الأمير عَلى بَاى العجمىّ المؤيّدىّ أحد أمراء العشرات ورأس نَوْبَة إلى صَفَد ، ثم حُوّل إلى دِمَشْق بطَّالا ، وأنعم بإمرته على الأمير جَانِبَك اليَشْبُكىّ والى القاهرة ، وأنعم بإقطاع جَانِبَك المذكور على جماعة من الخاصّكية الأشرفية الذين كانوا بدِمَشْق وغيرها .

وفى يوم الثلاثاء عشرينه خُلِعَ على قاضى القضاة شمس الدين القاياتى الشافعى باستقراره شيخ حانقاة بِيْبَرسْ الجَاشْنَكِير(٢) عوضا عن الحافظ شهاب الدين بن حَجَر .

---

(١) بلبيس : أشهر مدن الشرقية فى ذلك العصر وكانت قاعدة الحوف ومحل إقامة حاكمه ، ويمر بها بحر أبى المنجا ـــ وحاليا هى بندر ومركز يتبع محافظة الشرقية . وانظر (على مبارك ـــ الخطط ٩ : ٧٠)

(٢) خانقاه بيبرس الجاشنكير : وهى من جملة دار الوزارة الكبرى بخط الجمالية تجاه الدرب الأصفر وبجوار جامع سنقر الذى صار مكتب الجمالية . بناها الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الجاشنكير المنصورى سنة ٧٠٦ هـ . وتعرف حاليا بجامع بيبرس (على مبارك ـــ الخطط ٦ : ٥٠) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى يوم السبت رابع عشرينه أرسل السلطان الشريفَ علىَّ بن حسن بن عَجْلان من بُرج القلعة إلى ثغر الإسكندرية ليُحبس بها .

وفى يوم الأحد خامس عشرينه حبس السلطان الأمير بيبرس بن بَقَر شيخ العرب بالوجه الشرقى بالبرج من قلعة الجبل، لأمور نقمها عليه قديما وحديثا .

وفى أوائل هذا الشهر أَوْفَى النيلُ ستة عشر ذراعا ، ونزل المقام الفخرىّ عثمان ابن الملك الظاهر جَقْمَق حتى عدّى النيل وخلّق المقياس ، ورجع فَتَحَ الخليج على العادة ، وعاد إلى القلعة ، وأَخْلِعَ عليه ، وفى هذا المعنى .

٤١ يقول الصفدىّ :/ [المجتث]

لِـم لاَ أُهِيـمُ بِـمِصْرٍ وأَرْتَضيهـا وَأُعشَقْ
ومااتَـرى العيـنْ أَحْلَـى مِـنْ مَائِهـا إنْ تَخَلَّـقْ

● جمادى الآخرة : أوّله السبت

ففى يوم الاثنين رابع عشرينه وصل الأميرُ قَانِى بَاى الحمزاوىّ المعزول عن نيابة حَلَب إلى القاهرة ، وكان قد كثر الكلام فى أمره ، وطلع إلى القلعة ، وأنعم عليه السلطان بإقطاع الأمير شَاذْبَك الجَكَمىّ كما تقدم ذكره .

● شهر رجب : لم يقع فيه شىء .

● شعبان : أوّله الثلاثاء .

فى يوم الخميس ثالثه خَلَع السلطانُ على الأمير إينَال العلاَئى الناصرىّ الدَّوادار الكبير باستقراره أتابَك العساكر بالديار المصريّة، بعد موت الأمير الكبير يَشْبُك السُّودُونى المعروف بالمُشِدِّ ، وآستقرّ الأميرُ قَانِى باى الجاركسىّ شاد الشراب خاناه عوضه دَوَادارًا كبيرا ، واستقرّ فى المُشِدّيّة الأمير يُونُس السّيفىّ آقْبَاىْ نائب الشام أحد أمراء العشرات على إقطاعه ، وأنعم بإقطاع الأمير إينَال العلائى على الأمير شهاب الدين أحمد بن على بن الأتابَك إينَال اليوسفىّ ، وصار أمير مائة ومقدّم ألف ، فإن الأمير قَانِى بَاى الجاركسىّ كان قد أخد إمرةَ مائة وتقدمة ألف زيادة على المُشدّية ، فاستمرّ لمّا وَلِىَ الدَّوادارية على إقطاعه ، ووقع بسبب تولية الأمير إينال أتابكية العساكر

كلامٌ كثير فى الباطن ، لكون السلطان قدّمَهُ على الأمير تِمْرَار القَرْمَشِىّ أمير سلاح ، وعلى الأمير جَرِبَاش الكريمىّ أمير مجلس وعلى الأمير قَرَاقَجاَ الحسنىّ الأمير آخُور الكبير وهؤلاء كلّهم ظاهريّة برقوقية ، ووظائفهم أيضا تقتضى النقل إلى الأتابكية بخلاف الدّوادارية ، ولكن هذا الأمر أراده الله فى الأزل[١] .

وفى يوم السبت خامسه نزل السلطانُ إلى خليج الزعفران[٢] فى مخيمه وأكل السّماط ، ودام هناك إلى قرب الظهر ، ثم ركب ووصل إلى القلعة قريب العصر ، ولم تَنْتَطِح فيها شاتان .

وفى يوم الخميس سابع عشره خلع السلطانُ على الأَتَابَك إينَال العلائى بنظر البِيَمارستَان المنصورىّ[٣] على العادة ، وعلى الأمير قَانِى بَاى الجاركسىّ باستقراره فيما يتعلّق بالدّوادارية الكُبرى من الأنظار[٤] .

● شهر رمضان : أوّله الأربعاء .

ففى يوم السبت حادى عشره استقرّ القاضى /محبُّ الدين بن الأشقر ناظر الجيوش المنصورة فى مشيخة الصرّ غَتْمُشِيّة بعد وفاة ابن التفهنى . ٤٢

● شوّال : أوّله الخميس .

---

(١) ورد فى هـامش اللوحة « حاشية : وكان السبب فى ذلك قايتباى الحركسى حتى أخذ الدوادارية عن إينال » .

(٢) خليج الزعفران : وكان يقع فى أطراف الريدانية (العباسية الحالية) ـــ هـامش و . بوبر على (النجوم الزاهرة ٦ : ٣٥٥ ط . كاليفورنيا)

(٣) البيمارستان المنصورى : أنشأه السلطان المنصور قلاوون من أنقاض قلعة الروضة التى بناها الصالح نجم الدين أيوب كما بنى منها مدرسة بجوار البيمارستان ولايزال موجودا بشارع المعز لدين الله الفاطمى ، وانظر هـامش (النجوم الزاهرة ح ٧ : ١٩٢ ط . دار الكتب) .

(٤) الأنظار : يفهم من كل المواطن التى ورد فيها هـذا الاصطلاح أنها تعنى المعينين للوظيفة وفى انتظار القيام بأعبائها حينما تخلو نهائنا ويخلو إقطاعها ويصدر أمر السلطان بشغلها (المحقق) وقد ورد فى فى (النحوم الزاهرة ٧ : ٤٢٦ ط . كاليفورنيا) « وأنعم على جماعة بخلع الانظار المتعلقة بالوظائف المقدم ذكرها »

(٥) الصرغتمشية : هـى مدرسة أنشأها الأمير سيف الدين صرغتمش الناصرى سنة ٧٥٩ هـ . ، وتقع بشارع الصليبة تجاه جامع الخطيرى ، وهى عامرة مقامة الشعائر وتعرف بجامع صرغتمش . (على مبارك ـــ الخطط ٦ : ٩) .

فى يوم السبت ثالثه وصلت إلى القاهرة تقدمة الأمير محمد بك بن مُرَادْ بَك ابن عثمان على يد قاصده ، وأخبر القاصدُ المذكور أن الأمير مُرَادْبَك نزل لولده هذا عن مملكته وأقامه مقام نفسه ، وأرسل يُعْلِمُ السلطانَ بذلك ، وأن محمداً المذكور يكون تحت نظر السلطان .

وفى يوم الاثنين ثانى عشره قدّمت المغاربة تقدمتهم إلى السلطان، والتقدمة ثلاثون فرسا أكثرها حُجُورَة [1] وأشياء غير ذلك .

وفى يوم السبت سابع عشره برز أمير حاج المحمل الأمير دُولاَتْ بَاى المحمودىّ المؤيّدىّ الدّوادار الثانى بالمحمل إلى بركة الحجاج ، وأمير الرّكْب الأوّل الأمير تَمُرْبُغَا الظاهرىّ ، أحد أمراء العشرات ،وحَجَجْتُ أنا فى هذه السنة بَاشا فى المحمل ، والأميرُ عَلِى باى الأشرفىّ باشا فى الرّكب الأوّل .

● ذو القعدة : أوّله السبت .

وفى يوم السبت خامس عشره قدَّمَ الأمير زين الدين الأستادار إلى السلطان أربعمائة فرس،منها ستون فرسا بسروج مُغَرَّقة ، ومنها أربعون بسروج سُذَّج .

وفيه أيضا توجّهت جماعة من المماليك المفسدين وهم أكثر من عشرين نفرا إلى بيوت النَّصارى لأخذ الخمور منها،فوَثب عليهم الناس ، وأخذت النصَارى فى الدَّفْع عن بيوتهم ، فوَقع بينهم قتال قتلت فيه ثلاثةُ من المماليك إلى سقر .

● ذو الحّجة : أوله الاثنين .

فى هذا الشهر وقعت حادثة غريبة ، وهو أن الغِلْمَان العبيد الذين فى الربيع [2] ببّر الجيزة ومُنْبَابة لَمَّا توجَّهوا بخيول أستاذيهم وأقاموا هناك مُدة يسيرة ، أقاموا من بينهم عَبْدًا وجعلوُه سُلطانا ، وأقاموا له أرْبَاب دَوْلَة وأرباب وظائف ،

(١) الحجورة : جمع حجرة ، وهى إناث الخيل (محيط المحيط) .

(٢) الربيع : هو مكان الرعى ــ وقد يطلق على البرسيم (المقريزى السلوك ١ . ٣٧٣ هامش ١ زيادة) .

وجعلوه يحكم فيهم ماشاء ، ونصبوا له تَخْتًا يَجْلِس عليه، وصار العبدُ المذكور يفعل ماشاء ولايقدر على ردّه أحد ، حتى خالفه رجل آخر من العبيد ، فحَشد كل منهم وتقاتل مع الآخر ، فانتصر الذى تَسلطن ووسَّط من تلك الطائفة جماعة ، ولم يقدر أستاذ العبد المقتول أن يتكلّم ، وقيل إنه توجّه إلى هناك ، وكلّم العَبْد الذى تسلطن ، فمن الناس من قال :/ إنه أراد أن يوسّط المملوكَ صاحب العبد أيضا ، ومن الناس من قال ، إنه أرضاه فى ثمنه ، وبلغ ذلك السلطانَ وأخبروه بأنه وَلَّى نائب الشام ونائب حَلَب ، وهم إلى الآن على حالهم ، فسكت السلطانُ عن ذلك ، وقال بعض أكابر الدَّولة : هذا أمر « فَشْرَوِىّ [١] » إذا فرغ الرّبيع تفرَّق كلُّ واحد إلى حال سبيله ، وإنما فعلوه على طريق المزَاح ، ومشى ذلك وتمَّ ، وهذا شىء لم يُسمَع بمثله فى سالف الأعصار .

٤٣

● أمر النيل فى هذه السنة : كانت القاعدة — أعنى الماء القديم — خمسة أذرع وخمسة عشر إصبعا ، وكان مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعا وتسعة أصابع .

● ● ●

(١) فشروى : الفشار هو الهذيان وليس من كلام العرب وإنما هو من استعمالات العامة ، والعامة تبنى منه فتقول فَشَرْ وفَشَّر (أقرب الموارد) ولعل المراد بالفشروى — هنا هو — التمثيلية التى قام بها العبيد

﴿ ذكر من مات من الأعيان فى هذه السنة ﴾

تُوُفى القاضى شمسُ الدين محمدُ بن إسماعيل بن محمد الوَنَائى [١] الشافعى قاضى قضاة دِمَشْق بالقاهرة فى يوم الثلاثاء سابع عشر صفر ، ودُفِنَ من الغد بالقرافة وصَلَّى عليه رفيقُه قاضى القضاة شمس الدين محمد القاياتى الشافعى، وكان مولده فى شعبان سنة ثمان وثمانين وسبعمائة ببلده ، ثم انتقل إلى القاهرة وطلب العلم ، وحفظ التَّنْبِيه [٢] فى الفقه وعدّة مختصرات أخر، وأقبل على الاشتغال ولازم علماء عصره، وأوّل اشتغاله كان فى سنة سبع وثمانمائة ، وأخذ عن الشيخ سِرَاج الدين الدموشى ، وهو أحد مشايخه ، والشيخ شمس الدين البرماوى ، والشيخ بدر الدين الدَّمَامِينى المالكى ، والشيخ شمس الدين الشَّطَنُوفِىّ ، وحضر دروس العلاّمة الشيخ نظام الدين يحيى السّيرامى الحنفىّ . وقرأ على قاضى القضاة شمس الدين محمد البُسَاطىّ المالكى، ثم على العلاّمة فريد عصره علاء الدين محمد البخارى الحنفى ، ولازمه كثيرا وبه اشتهر . ودأب فى طلب العلم حتى برع فى الفقه والأصلين والعربية والمعانى والبيان ، وتصدى للإفتاء والتدريس سنين عديدة ، وكان أوّلا يتكسّب بتحمل الشهادة بباب القرافة ، ثم ترك ذلك وأقبل على الاشتغال إلى أن وَلِىَ مشيخة التربة التّنْكُزِيّة [٣] بالقرافة، ثم تدريس الفقه بالشيخونيّة ، واستمرّ على ذلك إلى أن طلبه السلطان الملك الظاهر جَقْمَق وولاّه قضاء الشافعيّة بدِمَشْق فى سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة، فَوَلِىَ القضاء وباشره بعفّة ، وعُرِفَ بالصيانة والديانة مُدّة إلى أن عُزِلَ وقَدِمَ

---

(١) هو محمد بن إسماعيل بن محمد أحمد بن يوسف الشمس الونائى — بفتح الواو والنون — نسبة لقرية بصعيد مصر الأدنى — ثم القرافى القاهرى الشافعى ولد ببساتين الوزير من ضواحى القاهرة (السخاوى الضوء اللامع ٧ : ١٤٠ ، ١٤١) ، (النجوم الزاهرة ح ٧ : ٢٩٧ ط . كاليفورنيا) .

(٢) التنبيه : كتاب فى فقه الشافعية ألفه الإمام أبو إسحق إبراهيم بن على بن يوسف الشيرازى الفيروز ابادى . هامش (النجوم الزاهرة ١٠ : ٣٢٤)

(٣) التربة التنكزية : وهى قبة تنكزبغا . أنشأها سنة ٧٦٤ هـ ، وتقع فى القرافة الشرقية ، ورقمها فى سجلات مصلحة الآثار ٨٥ (د . عبد الرحمن زكى — القاهرة تاريخها وآثارها ص ١٢٨) .

٤٤ القاهرة/ ثم وليها مرّة أخرى ، وباشر أيضا مُدّةً إلى أن تُوُفّى بعد مرض طويل فى التاريخ المذكور ــ رحمه الله تعالى .

وتُوُفّى الأميرُ الكبيرُ يَشْبُك الأتابَكى السّودُونى[١] المعروف بالمُشِدّ فى أوائل شعبان من السّنة ، وصُلِّىَ عليه بمصلاة المؤمنى ، وتولّى عوضه أتابَك العساكر الأمير إينَال العلائى الناصرىّ فى يوم الخميس ثالث شعبان، وكان يَشْبُك هذا أصله من مماليك الأمير سُودُون الجَلَب نائب حَلَب فى الدولة الناصرية فَرَج ، وتنقّل من بعده فى الخِدَم حتى اتّصل بخدمة الأمير طَطَر ، وصار عنده شادّ الشراب خاناه، واستمرّ على ذلك حتى تسلطن طَطَر فأنعم عليه بإمرة طبلخاناه ، وجعله شاد الشراب خاناه دفعة واحدة ودام يَشْبُك المذكور مُشِدّا عِدَّة سنين إلى أن أنعم عليه الملك الأشرف بَرْسْبَاى بإمرة مائة وتقدمه ألف بالديار المصريّة بعد سنة ثلاث وثلاثين ، ثم ولّاه حجوبيّة الحجّاب بالديار المصرية أيضا بعد الأمير قَرْقَمَاس الشّعبانى الناصرىّ لمّا وَلِىَ نيابة حلب فى يوم الخميس تاسع عشرين شهر رجب سنة سبع وثلاثين وثمانمائة ، فاستمرّ فى الحجوبيّة إلى أن نقلَه الملكُ الظّاهرى جَقْمَقُ إلى إمرة مجلس فى أحد الربيعيْن من سنة اثنتين وأربعينَ بعد آقْبُغا ــ التّمْرَازىّ بُحُكْم انتقاله إلى إمرة سلاح بعد قَرْقَماس الشّعبانى بحكم انتقاله إلى الأتابَكيّة عوضًا عن الملك الظـاهر جَقْمَق ، فلم تَطُل مدّتُه وصار أمير سلاحٍ بعد أيام ، ونُقل إلى إمرة سلاح عوضا عن آقْبُغَا ، وآقْبُغَا عن قَرْقَماس المذكور بحكم عِصْيانه . فأقام يَشْبُك فى إمرة سلاح أشهرًا ونُقل إلى الأتابكيّة بعد توليةِ الأمير آقْبُغَا التّمْرَازىّ نيابةَ دِمَشْق بعد عِصَيان الأتابَك إينَال الجَكَمِىّ ، وذلك فى أواخر سنة اثنتين وأربعين .

ولما صار يَشْبُك هذا أتابَك العساكر بالديار المصريّة عَظُم وضَخُم ونالته السّعادة ، وطالت أيّامه ، وصارت كلمتُه نافذةً وشفاعتُه مقبولةً عند الملكِ الظاهر جَقْمَق ، وسار على طريق السّلفِ فى الحُرْمَةِ وكثْرة المماليك بحسب الوقت .

(١) نسبة إلى الأمير سيف الدين سودون بن عبد الله الظاهرى المعروف بسودون الجلب المتوفى سنة ٨١٥ هـ (النجوم الزاهرة ١٤ : ١٢٠ ط الهيئة العامة للكتاب)

واستمرّ على ذلك سنين إلى أن مرض فى أوائل سنة سبع وأربعين وثمانمائة ، وطال مرضُه سنين . واختلفت / الأقاويلُ فى مرضه ، فمن الناس من قال إنه اغتيل بالسّم ، ومنهم من قال غير ذلك ، فإنه كان قد حصل له استرخاء فى أعضائه وصار لايطيق حركة يديه ولا رِجْلَيه ، ثم عُوفِىَ قليلا وصار يمشى ، وركب إلى الخدمة غير مرّة،ثم انتكس ولزم الفراش إلى أن مات فى التاريخ المذكور ، وهو فى حدود الخمسين من العمر تقريبا ، وكان أشقَر ، للطّول أقرب ، ساكنا قليل الكلام ، وفى لسانه لكنْة مع عُجْمة ، وكان قليل المعرفة مُهْملاً عاريا من كل فنّ ، مع ظُلْم وشُحٍّ وسوء خلق وطمع زائد ، علمتُ ذلك منه لمّا أخذ إقطاع الأتابَك آقبُغا التمْرازى ، وكنتُ أنا متحدّثاً على تَركةِ آقْبُغا المذكور ، فكنتُ إذا كلّمتُه فى أمر المستَحَقّ مِن الإقطاع لأجْلِ أيتام،يكاد يَخْرُجُ من حال إلى حال ، هذا مع الثَّروَة الزائدة والمُكْنَة العظيمة ، ومات ولم نتخلّص منه ولم نأخذ استحقاق الأيتام إلامن تركته — عفا الله عنه . ومع هذا التمكن العظيم لم يفعل فى حياتِهِ من المعروف مايُذْكَر به من سُبُل ومساجدَ على عادة عظماء الملوك ، بل أنشأ تُرْبَةً بالصحراء بجوار تُربة الأشرف بَرْسْبَاى ولم تكمُل إلى الآن ، ومات ودُفِنَ بها من غير تكملة ، رحمه الله تعالى .

وتُوُفّى الأمير قانِى باى الجَكمىّ (١) حاجبُ الحجاب بحلب — على هيئة نسأل الله حسن الخاتمة— فى أواخرهذه السنة بحلب ، وهو أنه سكر حتّى غلب عليه السُّكْر ونام ، وكان ذلك فى فصل الشتاء ، وعادةُ أهل تلك البلاد يُؤرِّثون (٢) النار بالفحم للدفء ويجعلون ذلك بينهم ، ويدورون حوله ، ففعل ذلك قانِى بَاى المذكور ، ونام هو ومملوكه ، فعظُم الدخّان عليهم فى البيت وهُما من غَلَبة السُّكْر لايستطيعون الحركة فماتا ، وكُتِبَ بذلك محضرٌ،وأرسل إلى القاهرة.وقانِى بایَ المذكور أصله من مماليك الأميرجَكَمْ مِن عوض (٣) المتغلّب على حَلَب فى الدولة

(١) له ترجمة فى (النجوم الزاهرة ج ٧ : ٣٠٠ ط . كاليفورنيا) .

(٢) يؤرثون : أرّث النار:أوقدها (محيط المحيط) .

(٣) انظر قصة الأمير جكم مع السلطان الناصر فرج بن برقوق فى حوادث سنة ٨٠٨ هـ . بالجزء الثالث عشر من (النجوم الزاهرة ط . الهيئة العامة للتأليف) .

الناصرية فرج ، وصار من جملة الخاصّكية سنين إلى أن ولّاه الملك جَقْمَق حُجوبيّة الحجاب بحلب دفعةً واحدة غلطاً ، ولاَمَه على ذلك كلُّ أحد . فلمّا مات على تلك الهيئة،صار يسبُّه ويلعنه،ويلعن من أشار عليه بتوليته ، لأن قانِى بَاى المذكور كان مُهْمِلاً إلى الغاية .

★ ★ ★

﴿ سنةُ خمسين وثمانمائة ﴾

استهلّت هذه السنةُ والسلطانُ والخليفةُ على حالهما ، وكذلك القضاةُ ، ماعدا القاضى الشافعى،فإنه الشيخ شمس الدين محمد القاياتِى ، وأربابُ الوظائف كذلك الأمير الكبير فإنه الأتابَك إينَال العلائِى الناصرىّ ، وَلى الأتابكيّة بعد موت الأتابَك يَشْبُك السُّودُونىّ ، والدّوادار الكبير الأمير قانِى بَاى الجارْكَسىّ ، وليها بعد الأمير إينَال العلائِى ، ونائب الإسكندرية الأمير تَنَم،وَلِيَها بعد الأمير أَلْطُنْبُغَا اللَّفاف ، ونائب غزّة الأمير يَلْخَجَا ، وليهَا بعد طُوخ الأبوبكرى[1] ، وباقى أرباب الدولة على ماهم عليه فى سنة خمس وأربعين .

● المحرّم :أوّله الثلاثاء .

فى يوم الخميس ثالثه خُلِعَ على الأمير الوزير غَرْسِ الدين خليل بن شاهين المعزول عن نيابة مَلَطْيَة قبل تاريخه باستقراره فى نيابة القُدس،عوضا عن الأمير طُوغَان العُثْمَانِى بحكْمْ عَزْلِهِ وتوجّهه إلى حجوبيّة حَلَب بعد موت قَانِبَاى الجَكَمِىّ.وفيه استقرّ القاضى بُرْهان الدين إبراهيم بن الدّيرى فى نظر الجَوَالى،مُضافًا لما بيده من نظر الإسطبلات السلطانيّة،عوضا عن بدر الدين محمد بن المحرقى بحكم عزله .

● صفر : أوّله الخميس

فى يوم الاثنين خامسه استقر القضاة شهاب الدين ابن حجر فى القضاء بعد موت القاياتى .[2]

وفى يوم الثلاثاء سادسه خلع على وَلِىّ الدين السفطى باستقراره فى تدريس قبة الشافعى رضى الله عنه ، بالقرافة عوضا عن القاياتى بحكم وفاته .

---

(١) فى ت « طوخ الأزعرى »

(٢) فى النجوم الزاهرة ١٥ : ٣٧٠ « بعد موت قاضى القضاة شمس الدين القاياتى »

وفى يوم الاثنين سادس عشرينه خُلِعَ على السوبينى باستقراره فى قضاء الشافعية بحلب ، عوضا عن القاضى سراج الدين عمر الحِمْصِىّ بحكم عزله .

● شهر ربيع الأول : أوله السبت .

ففى يوم السبت ثامنه وصل الشريف محمد ابن الشريف بركات بن حسن ابن عَجْلاَن من مكّة إلى القاهرة ومعه تقدمة من عند أبيه إلى السلطان ، مابين خيول وغيرها ، وأقام بالقاهرة إلى سلخ هذا الشهر ، وعاد إلى مكّة وقد أعطاه السلطان أمانا لوالده بركات ، ووعده بكل خير ، وقد آنْبرَم أمْرُه فى ولاية مكّة .

● شهر ربيع الآخر : أوله الاثنين .

فيه خُلِعَ على وَلّى الدين السفطى باستقراره فى نظر / البِيمارِسْتان المنصورىّ ٤٦ عوضا عن القاضى محب الدين بن الأشقر ناظر الجيش بحكم عزله ، وسار السَّفطى فى النظر سيرةً سيّئة ، وهو أنه أُخَذَ مَا لاَ يَستحقه وأعطاه لمن لايستحقه ، وغير ذلك من المساوىء مايطول ذكره[١] ، وحسابه على الله .

وفيه استقر أُسَنْبُغَا مملوك ابن كَلْبَك شادّ الشُّوَن السلطانية فى نيابة بَعْلَبَك ، وهذا شىء لم يُسمع بمثله من أن السلطان يولّى نيابة بَعْلَبَك ، وإنما نيابة بَعْلَبَك مضافة إلى نيابة دمشق يوليّها لبعض مماليكه ، هذا فى زماننا هذا ، وأمّا فى زمان والدى فإنه كان يُولّى أيضا نائبَ القُدس والرَّمْلة ومادونهما .

وفى يوم الخميس رابعه خُلِعَ على القاضى محبّ الدين بن الأشقر خلعة الاستمرار على وظيفة نظر الجيش ، وسبب ذلك أن إبراهيم بن الديرى كان قد سعى فى وظيفة نظر الجيش سَعيًا كثيرا،ووعد بمال كثير نحو مبلغ ثمانية آلاف دينار ليحملها إلى السلطان،وأذْعَن السلطانُ لذلك،وطلع فى هذا اليوم على أن يستقرّ فى وظيفة نظر الجيش ، فأخلع السلطان على القاضى محبّ الدين هذا باستمراره ولم

(١) ورد فى هامش اللوحة « حاشية : أجمع الناس على أن الصفتى كان يحرب الأوقاف ويأخذ منها شيئا لنفسه » .

يلتفت إلى غيره ، ونزل إلى داره فى موكب هائل .

● جمادى الأولى : أوله الثلاثاء

فيه خُلع على القاضى محب الدين بن الشِّحنة باستقراره فى وظائفه - قضاء حلب ، وكتابة سِرّها ، ونظر جيشها - بعد أن حَمَل للسلطان من الأموال والهدايا مايطول الشرح فى ذكره ، وعَظُم ذلك على أهل حَلَب ، فإنه أكثر فيهم المكْسَ عليهم ، وسار فى هذه الوظائف بُحرْمة وافرة .

وفى يوم الجمعة رابعه - الموافق لخامس مسرى - أوْفى النيل ستّة عشر ذراعا ، ونزل المقام الفخْرِى من القلعة[1] حتى عدّى النيل ، وخلَّق المقياس ثم عاد ففتح خليج السّدّ على العادة ، وفى هذا المعنى يقول القاضى شهاب الدين بن فضل الله العمرىّ [الرجز] .

لمصرَ فضلٌ باهرٌ	لعيشها الرغد النضرْ
فى كل يوم تلتقى	ماءَ الحياة والخَضِرْ

وفى العشر الأخير توغّر خاطرُ السلطان على الأمير شادبَك الجَكَمِى نائب حَمَاة ، وعزله عن نيابتها ، وعيّن مكانه لنيابة حماة الأميرَ يَشْبُك بن جانِبكَ المؤيدىّ المعروف بالصّوفى أحد أمراء الألوف بحلب ، وأنعم بإقطاع يَشْبُك المذكور على الأمير على باى المؤيدىّ العجمى ، ويَشْبُك وعلى باى كان السلطان قد نفاهما قبل تاريخه بسنين من القاهرة ، ورسم بأن يتوجه شَادبَك المذكور إلى القدْس بطالا وحُمل تقليدُ[2] الأمير يَشْبُك وتَشْرِيفُه[3] / بنيابة حماة على يد الأمير تَمْرْبُغَا الظّاهِرِىّ جقمق أحد أمراء العشرات . ٤٧

(١) ورد فى هامش اللوحه « حاشية : صبيحة يوم السبت فى ذلك اليوم » .

(٢) التقليد : هو المرسوم الموقع من السلطان بالتعيين فى وظيفة مامن الوظائف (القلقشندى صبح الأعشى ٤ : ٥٢)

(٣) التشريف : هو الملابس المهداة من السلطان إلى كبار الموظفين من الأمراء والكتاب والمتعممين بمناسبة الإنعام عليهم بوظائفهم (القلقشندى - صبح الأعشى ٤ : ٥٢)

وفى هذا الشهر رسم السلطانُ بإطلاق جماعة من المماليك الأشرفية الذين كان قد حبسهم فى أوائل دولته بالبلاد الشّامية ، ورسَمَ بقدومهم إلى القاهرة .

- جمادى الآخرة ورجب ، لم يقع فيهما شىء .

- شعبان : أوله السبت .

فى يوم السبت خامس عشره اتّفق المحابيسُ الذين بحبْس المَقْشَرة وقتلوا السّجّان،وخرجوا الجميع إلى حال سبيلهم .

وفى يوم الثلاثاء ثامن عشره نزل جماعة من المماليك السلطانية الجُلْبَان،وتبعوا زين الدين يحيى الأستادار وضربوه بالدَّبَابيس إلى أن كادَ يهلك،لولا أنه دخل بيت الأمير طُوخ مِن تِمْراز أحد مقدّمى الألوف وإلاَّ كانت ذهبت روحه .

- شهر رمضان : لم يقع فيه شىء

- شوال : أوله الثلاثاء

فى يوم الجمعة رابعه عزل السلطان قاضى القضاة بدر الدين بن التنَسِيّ المالكىّ بسبب حَبْسه لشخص مدّةً طويلة ، ثم أُخلعَ عليه باستمراره .

وفى يوم الخميس سابع عشره برز أميرُ حاجِّ المَحْمَل سَوِنْجُبُغا الناصرىّ أحد أمراء العشرات بالمحمل إلى بِرْكَة الحَــاجّ ، وأمير الركب الأوّل فى هذه السنة الأمير سُمَام الحسنىّ أحد أمراء العشرات أيضا ، وسافرتْ فى هذه السنة أيضا خَوَنْد مُغْل بنت القاضى ناصر الدين البارِزِىّ زَوْجةُ السلطان الملك الظاهر جَقمَق فى الرّكب الأوّل ، وحجّ صحبتها أخوها القاضى كمال الدين محمد بن البارِزِىّ كاتب السر الشريف ومعه جماعة كبيرة من حواشيه ، وكلاهما حجّ بتجمُّلٍ زائد إلى الغاية،وفعل ابن البارِزِىّ المذكور فى هذه السَّفْرَة من المعروف والإحسان مالعله يُذكرُ عنه إلى الأبد .

● ذو القعدة : أوّله الخميس .

ففى يوم السبت ثالثه وصل الأمير إسماعيل بن عمر الهوارىّ من بلاد الصّعيد إلى القاهرة طائعاً،وخلع عليه السلطان خلعةَ الرضى ، وقيّد له فرسا بسرج ذهب وكُنْبُوش زركش .

وفى يوم السبت عاشره خَلَع السلطان على الأمير جانِى بَك اليَشْبُكِىّ أحد أمراء العشرات رأس نَوْبة باستقراره فى ولاية القاهرة،بعد عزل منصور بن الطبلاوىّ على كُرهٍ منه .

٤٨ فى يوم الثلاثاء ثالث عشرة / خُلِعَ على جَانِبَك المذكور باستقراره حاجبا من جملة الحجاب زيادة على ولاية القاهرة .

● ذو الحجة : أوّله الجمعة .

فى يوم الاثنين رابعه خُلع على ابن النُّوَيْرِىّ باستقراره قاضى القضاة الشافعية بَحلب بعد عزل السُّوبينىّ .

وفى يوم السبت ثالث عشرينه [١] وصل مبشّر الحاج أحمدُ بن جانِبَك وأَخْبَرَ بالأمن والسّلامة .

● أمرُ النيل فى هذه السنة: كانت القاعدة ــ أعنى الماء القديم ــ ستةَ أذرع وستة وعشرين إصبعاً وكان مبلغ الزّيادة تسعة عشر ذراعا واثنين وعشرين إصبعا .

(١) هنا كلمة « فيه » زائدة فى الأصول وقد حذفت من المتن

﴿ ذكر من تُوُفِّىَ فى هذه السّنة من الأعيان ﴾

تُوُفِّى العلامة قاضى القضاة شمس الدين محمد بن على بن محمد بن يعقوب القاياتى [١] الشافعى، قاضى قضاة الديار المصرية وعالمها، فى العشر الأخير من محّرم هذه السنة ، وصُلِّى عليه بمصلاّة المؤمنى، وحضر السلطانُ الصلاةَ عليه ، ودفن بتربة الصّوفية خارج باب النصر ، ومولدُه بقايات [٢] فى سنة خمس وثمانين وسبعمائة تقريباً. ثم ٱنتقل إلى القاهرة مع والده وكمل حفظ القرآن العزيز بها ، وحفظ عدّة مختصرات فى مذهبه ، وأقبل على طلب العلم ، وحضر دروس شيخ الإسلام سراج الدين عمر البُلْقينى . وتفقّه بعمِّه ناصر الدين القايَاتى ، وأخذ عن الشيخ بدر الدين الطُنبذى ، والشيخ شمس الدين العِراقى ، والشيخ تقىّ الدين بن العِزّ الحَنْبَلىّ ، والشيخ قُنْبُر العجمىّ ، ونور الدين الأدمى ، والشيخ قطب الدين الأَبَرْقُوهى ، والشيخ هُمام الدين الخُوَارِزْمى والعلامة عزّ الدين بن جَمَاعة فى العلوم العقلية وغيرها والشيخ بُرْهان الدين البَيْجورُى ، وقاضى القضاة وَلِىّ الدين أحمد العراقىّ ، وقاضى القضاة شمس الدين محمد البُسَاطى المالكىّ ، والعَلامة علاء الدين محمد البخارىّ الحنفى ، ولازمه كثيرا ، وبه انتفع، وعُرِف بين فقهاء الدّيار المصرية ، وكان سمع الحديث فى مبدأ أمْرِه من شيخ الإسلام سراج الدين البُلْقِينى ، والحافظ زين الدين عبد الرحمن العراقى ، والشيخ سراج الدين بن الملقِّن وغيرهم، وحدّث ببعض مسموعاته ، وكان أولا يتكسّب بتحمل الشهادة مّدة طويلة بجامع الصالح [٣] خارج بابى زُوَيْلة [٤] ثم

---

(١) هو محمد بن على بن محمد بن يعقوب القاياتى . أبو عبد الله . شمس الدين ولد ببلدة القايات سنة ٧٨٥ هـ (السحاوى ـــ الذيل على رفع الإصر ص ٢٧٨) و (الضوء اللامع ٨ : ٢١٢) و (النجوم الزاهرة ج ٧ :٣٠١ ـــ ٣٠٤ ط . كاليفورنيا) .

(٢) قايات : بلدة من أعمال البهنسا، وهى بمركز بنى مزار محافظة المنيا عربى بحر يوسف قرب الجبل (على مبارك ـــ الخطط ١٤ : ٩٥) .

(٣) جامع الصالح : هو جامع الصالح طلائع بن رزيك أنشأه ليدفن فيه الرأس الشريف للحسين بن على رضى الله عنهما . ولكن الخليفة الفائز بنصر الله الفاطمى لم يمكنه من ذلك . وبنى المشهد الحسينى الحالى ودفن فيه الرأس الشريف وقد أقيمت الجمعة بمسجد طلائع فى سنة بضع وخمسين وستمائة (على مبارك ـــ الخطط ٢ : ٣٣ ، ٣٤)

(٤) ورد فى هامش اللوحة « حاشية : صوابه ، خارج بابى زويلة إلى أن قرر طالبا بمدرسة المؤيد شيخ التى عمرها داخل بابى زويلة » .

ولى تدريس الحديث بالبرقوقية[١] عوضا عن الشيخ نور الدين القِمَنّى فى سنة ثلاثين وثمانمائة /ثم استقرّ فى تدريس الفقه بالمدرسة الأشرفية بِرْسِبَاى ، ثم ولى مشيخة خانقاه سعيد السعداء[٢] بعد موت قاضى القضاة شهاب الدين أحمد الأموى المعروف بابن المحمّرة ، وتصدّى للإفتاء والتدريس سنين ، وانتفع به الطلبة ، وكان بارعا فى فنون كثيرة ، عارفا بالفقه والأصلين ، محققا للفقه وفروعه، إماما فى المعقول وعلمَى المعانى والبيان ، هذا مع الورع والتقشف فى مركبه وملبسه، وكان يمشى على أقدامه فى غالب حوائجه ، وإن أبعد ركــبَ حمارا ، حتى فى يوم طَلَبَهُ السلطانُ ليلىَ القضاءَ طَلع بعد الظهر على حمار ، رأيتُهُ على تلك الهيئة وهو نازل من القلعة ، ثم طلع من الغد وقَبِلَ القضاءَ بعد شروط هيِّنة ، وولى فى رابع عشر المحرم سنة تسع وأربعين ، ولم يلبس تشريف القضاء، بل نزل بَطْيْلَسَانه على فرس وبين يديه أكابر الدولة ، واعتذر بعدم لبسه الخلعة أنها من عند ناظر الخاص . ولما نزل إلى مدرسة الصالحية وقام بعض الرسل ليدّعى على شخص منعه وقال هذه حيلة لأسمعها، ثم ركب وعاد إلى داره وباشر القضاء بعفة . وحسُنت سيرتهُ ، غير أنه أحب وظيفة القضاء إلى الغاية ، وولّى النواب[٣] الكثيرة ، وراعى الناسَ ، وصار يُكرم أرباب الدّولة ، وتعاظم فى سلامه وكلامه ، ومع غزير علمه عِيب عليه فى خطبته لمَّا خطب فى يوم الجمعة وصلَّى بالسلطان، فإنه كان فيه شبهُ لكنة وإمساك عن سرعة الكلام حتى فى دروسه، رحمه الله .

(١) البرقوقية : هـى المدرسة التى أنشأها السلطان الظاهر برقوق وابتدأ فى عمارتها سنة ٧٨٣ هـ وفرغ منها سنة ٧٨٨ هـ ، وتقع فى شارع النحاسين ــ المعز لدين الله الفاطمى ــ عند جامع المارستان المنصورى قلاوون بين مدرستى الناصرية والكاملية . وهى عامرة مقامة الشعائر ولها منارة عظيمة (على مبارك ــ الخطط ٦ : ٤) .

(٢) خانقاه سعيد السعداء : وتقع فى شارع الجمالية تجاه حارة المبيضة . أنشأها السلطان صلاح الدين الأيوبى برسم الفقراء الصوفية سنة ٥٦٩ هـ . وهى عامرة وتعرف بجامع الخانقاه ، وجامع سعيد السعداء ، ومدرسة سعيد السعداء ، والصلاحية . (على مبارك ــ الخطط ٦ : ٨ ، ٥٠) .

(٣) أى أنه أناب عنه بعض النواب ليقوموا بعمله فى القضاء .

وتُوُفّى القاضى بهاء الدين ابن القاضى نجم الدين عمر بن حجى [١] الشافعى الدمشقى، ناظر جيش دمشق بالقاهرة بعد مرض طويل فى ثالث عشرين صفر وكانت وفاته بقاعة البرابخيّة[٢] بساحل بولاق ، وغُسِّل بها وحُمِل إلى أن صُلّى عليه بمصُلاّة المؤمنى من تحت قلعة الجبل ، وحضر السلطان الصلاة عليه ، ودُفن عند قبر القاضى ناصر الدين بن البازِرِىّ تجاه شُبّاك قُبّة الشافعى رضى الله عنه وهو فى حدود الأربعين تخمينا ، وكان وَلِى قضاء الشافعية بدِمَشْق بعد وَفاة والده ، ثم عُزل عنها ، وتولّى نَظَر جيشها مدّة[٣] ، ثم قدم إلى القاهرة وتولى نظر جيشها مدة [٣] أشهر ، مضافا إلى نظر جيش دمشق ، ثم عُزل وعاد / إلى دمشق على نَظر جيشها ونظر قلْعتها ، واستمرّ على ذلك مدّة ، ثم قدم إلى القاهرة ودام بها عند صهره القاضى كمال الدين كاتب السرّ، حتى مرض ومات فى التاريخ المذكور ، وكان شابا جميلا طوالا جسيما طويل اللحية أُصهَبهَا أبيض اللون ، كريما مُفرطا فى الكرم ، مات وعليه جملة كثيرة من الديون أَزْيد من عشرين ألف دينار ، وكان فيه حشمة ورئاسة . على أنه كان قليل البضاعة من العلم بالنسبة إلى والده ـــ رحمهما الله تعالى . ٥٠

وتُوُفّى الشيخ عزّ الدين عبد العزيز[٤] شيخ الصّلاحية[٥] بالقدُس الشّرِيف فى أوائل شهر رمضان ، وتولّى عنه الشيخُ جمال الدين بن عبد الله بن جماعة بمال بذلهُ فى ذلك على ماقيل ، وكان الشيخ عز الدين عالما فقيها فاضلا، ولى نيابة الحكم الشافعية بالقاهرة سنين كثيرة، وكان معدودا من فقهاء الشافعيّة ـــ رحمه الله تعالى .

وتُوُفّى العلاّمَة شهابُ الدين أحمد بن رجب بن طَيْبُغا المجدىّ [٦] الشافعىّ

---

(١) له ترجمة فى (النجوم الزاهرة ٧ : ٣٠٤ ط . كاليفورنيا) . وقد ولد فى سنة ٨١٢ هـ (السخاوى ـــ الضوء اللامع ٨ : ٢٤٢ ، ٢٤٣) .

(٢) البرابخية : منظرة تقع بساحل بولاق (السخاوى ـــ الضوء اللامع ٨ : ٢٤٢ ، ٢٤٣)

(٣ - ٣) مابين الرقمين وارد فى هامش اللوحة .

(٤) له ترجمة فى (النجوم الزاهرة ج ٧ : ٣٠٥ ط . كاليفورنيا) .

(٥) الصلاحية : هى مدرسة أنشأها السلطان صلاح الدين الايوبى للسادة الشافعية بالقدس فى سنة ٥٨٨ هـ (كرد على-خطط الشام : ٦ : ١٢٢ ، ١٢٣) .

(٦) ولد فى العشر الأول من ذى الحجة سنة ٧٦٧ هـ بالقاهرة (السخاوى ـــ الضوء اللامع ١ : ٣٠٠) و (النجوم الزاهرة ح ٧ : ٣٠٥ ط . كاليفورنيا) .

فى ليلة السبت العاشر من ذى القعدة ، وصُلِّى عليه بالجامع الأزهر ، ومولده بالقاهرة فى سنة سبع وستين وسبعمائة ، وبها نشأ وتفقه على مذهب الشافعى رضى الله عنه — ولازم علماء عصره حتى برع فى الفقه والعربية والفرائض والحساب والهيئة والهندسة،وتصدّى للإقراء والتَّدْرِيس سنين ، وآنتفع به الناس ، وكان له مشاركة فى علوم كثيرة لاسيما الفرائض والحساب ، فإنه كان فيهما إمام عصره ، وله مصنّفات كثيرة نافعة — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّى الشيخُ المعتقد يوسف البحيرى[١] الشافعىّ فى ليلة الأحد حادى عشر ذى القعدة ، وصُلِّى عليه بالجامع الأزهر ، وحضرْتُ أنا غُسْلَه ودَفْنَه،وصَلَّى عليه قاضى القضاة بدر الدين العَيْنِي ، وكان بينه وبين العينى عداوة عظيمة من سنين عديدة ، وكان الشيخ يوسف هذا غالب إقامته بالجامع الأزهر مستقبلَ القبلة ، وكان بينى وبينه صحبة أكيدة ، وحججنا معًا فى سنة ثمان وأربعين ، وعاد من الحج متمرضًا إلى أن تُوُفِّى بالقاهرة فى التاريخ المذكور ، وكان آمِرًا بالمعروف ، وفيه تعصب لمن ٥١ يقصده من أرباب الحوائج ، وكانت شفاعته مقبولة / عند أرباب الشوكة ، وكان ديّنا خيرا — رحمه الله .

وتُوُفى الأمير سيف الدين سُودُون بن عبد الله المحمدىّ[٢] نائب قلعة دمشق بها فى أوائل صفر ، وكان أصله من مماليك الأمير سُودُون المحمدى المعروف بِتَلِّى — أعنى مجنون — وبه عرف بالمحمدى على شهرة أستاذه ، ثم تَرَقَّى بعد موت أستاذه حتى صار رأس نَوْبة الجمدارية[٣] فى الدولة الأشرفية ، وأعطاه الأشرف إمرة عشرة ، فامتنع واستمرّ على إقطاعه إلى أن مات الأشرف ، ووقع بين الأتابك جَقْمق وبين الملك العزيز يوسف فانضم سُودُون هذا للعزيز ، فعظم ذلك على جَقْمَق لصهارة كانت بينهما قديما ، فلما تسلطن نفاه ، ثم شفع فيه بعد مُدّة فأعاده وأنعم

---

(١) هو يوسف بن محمد بن ناصر . جمال الدين البحيرى ثم الأزهرى الشافعى ، ويعرف بالشيخ يوسف البحيرى (السحاوى — الضوء اللامع ١٠ : ٣٣٣) . و (النجوم الزاهرة ج ٧ : ٣٠٦ ط كاليفورنيا) .

(٢) له ترجمة فى (النجوم الزاهرة ج ٧ : ٣٠٦ ط . كاليفورنيا) .

(٣) الجمدارية : وظيفة تختص بتلبيس السلطان أو الأمير ثيابه ، وأكثر مايكون شاغلها من الصبيان الملاح الدين يتحلون بالملابس المزركشة (السكى — معيد النعم ٣٥) .

عليه بإمرة عشرة،وولاه نظر مَكَّةَ المشرفة ، وكان وَليهَا فى الدولة الأشرفية،وهَدَم سقف البيت الشريف،وفعل مالا يجوز فعله ، وماكان قصده بذلك إلاَّ مصلحة البيت الشريف ، فوقع خلاف ماقَصَده ، وهو أن البيت كان يدلف[١] قليلا فصار الآن أضعاف ماكان. هذا بعد أن جرّد البيت الشريف عن الكسوة أيامًا ، وكشف السقف وهدمه ، وفعل مالا يجوز فعله حتى إن بعض أعيان مشايخ مَكَّة خرج منها خوفا من حلول العذاب من الله عز وجل،ومن يومئذ صار الطير من الحَمام وغيره يقعد على ظهر البيت الشريف ، وكان أوّلا يحوم حول البيت ولايحط على سقفه ولاعلى جداره لشيء كان مكتوبا عليه ، فلما هدمه سودون المذكور بطل ذلك وصار الطير يحطّ على البيت ويحصل منه الضرر العام ، فكان حال سودون فى هذا الأمر أحق بقول القائل [الخفيف] :

رامَ نَفْعاً فَضَرَّ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ ومِنَ البِرِّ ما يكونُ عقُوقَا

ودام بمكة سنين ، ثم قدم إلى القاهرة ، وتولّى نيابة قلعة دمشق ، فتوجّه إليها وأقام بها مدة وتُوُفِّى . وكان دينًا خيرًا ، وعنده تعاظُم وشَمَم.رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين يَلْخَجَا بن عبد الله من مَامِشْ[٢] الناصرى السّاقى نائب غزة بالقدس الشريف فى أوائل جمادى الآخرة ، وسنة نيف على خمسين سنة[٣] . وكان أصله من مماليك الملك الظاهر بَرْقُوق ، أخذه مع أبويه وأعطاهم لولده سيدى عبد العزيز الذى تسلطن ولُقب المنصور ، ثم بعد موت عبد العزيز المذكور أخذه الملك الناصر / فرج وجعله خاصّكيا، ثم ساقيا ، واختصّ بالناصر إلى الغاية ، وكان إذ ذاك يُضرب بحسنه المثل ، فلما تسلطن الملك المؤيد شيخ عزله عن السّقاية وجعله من جملة الخاصكية ، ،ودام على ذلك معزوزا مكروما إلى أن أنعم عليه الملك الأشرف بَرْسْباى بإمرة عشرة بعد سنة ثلاثين وثمانمائة . ثم جعله من جملة رؤوس النوب ، وتوجه أمير حاج الركب الأول فى سنة أربع وثلاثين ،

٥٢

(١) فى ت « يزلف »

(٢) له ترجمة فى (النجوم الزاهرة ج ٧ : ٣٠٨ ط . كاليفورنيا) .

(٣) ورد فى هـامش اللوحة « لعله تسعين »

ثم أرسله الأشرف فى سنة سبع وثلاثين إلى شَدِّ بندر جدة؛وصحبته الصاحب كريم الدين بن كاتب المناخ لَمَّا عُزِلَ عن الوَزر ، ثم عاد إلى القاهرة ، ولم يزل يَلتَحجا على ذلك حتى أنعم عليه الظاهر جَقْمق بإمرة طبلخاناه ، ثم جعله رأس نوبة ثانيا ثم ولاه بعد سنين ولاية غزة فى أوائل سنة خمسين،فتوجه إليها ودام بها إلى أن حصل له مرض وطال به فأرسَل استعفى ، فأعفى وتوجّه إلى القدس فمات به بعد أيام قلائل ، وكان أميرا جليلا معظما فى الدول ، مليح الشكل مشهورا بالشجاعة والإقدام ، ساق المحمل خاصّكيا ونائبا وبَاشَاعِدَّة سنين تزيد على عشرين سنة ، وكان متجملا فى مركبه وملبسه ومماليكه وسلاحه وبَرَكِهِ[١] . وكان منهمكا فى اللذات مسرفا على نفسه مع سلامَة باطن على قاعدة أبناء جنسه التتار ، وكان كثير من الناس ينسبه إلى الظلم والعسْف[٢] ، وليس كذلك ، إلا أنه كان شديدا على خَدمِه ويحب إظهار الحُرمة ؛فلذلك كان من لايعرفه يقول فى حقه مايقول ـــ سامحه الله وعفا عنا وعنه .

وتُوُفِّى الطواشى صفى الدين جوهر [بن عبد الله] التِّمْرَازِىّ الحبشى[٣] الخازندار-كان-ثم شيخ الخدام بالحرم النبوى ـــ على ساكنه أفضل الصلاة والسلام ـــ فى أواخر هذه السنة ، وقدم خبر موته إلى القاهرة فى ذى الحجة ، وكان أصله من خدام الأمير تِمرَاز الظاهرىّ النائب ، ثم ترقى من بعده فى الخِدَم حتى صار فى الدولة الأشرفية جمدارا كبيرا ، واستمر على ذلك سنين إلى أن ولّاه الملك الظاهر جَقْمَق الخازندارية بعد موت الأمير جَوْهَر القنقبائى ، فباشر الخازندارية بتجمل مع الناس وحشمة ، فلم تطل مدتُه،وعُزل بالأمير فَيْرُوز النَّوْرُوزِىّ الرّومى ، وصودر ثم أطلق بطالا بالقاهرة مُدّة / ، وتولّى مشيخة الحرم النبوى،فتوجّه إلى المدينة الشريفة فى ٥٣

(١) البرك : المتاع من ثياب وقماش وماأشبه . هامش (النجوم الزاهرة ج ١١ : ٥٤ ط .دار الكتـ) .

(٢) ورد بهامش اللوحة « حاشية : وكان أرسله الظاهر إلى ناحية البرلس لقياس أراضيها ، فقاس الأرض والرمال ، وظلم أهلها ظلما فاحشا فاستمر، سامحه الله » .

(٣) له ترجمة فى (النجوم الزاهرة ج ٧ : ٣٠٩ ط . كاليفورنيا) والإضافة منه .

سنة تسع وأربعين ، وأقام بها إلى أن تُوُفِّى بعد أن ضَعُف أياما قلائل فى التاريخ المذكور ، وكان حبشى الجنس مليح الشكل ، وفيه كرم وحشمة مع تواضع وله ذوق ، ويحب سماع الطرب ، وتعجبه الدِّقَّة النادرة والنكتة،ويفهمها بسرعة ــ رحمه الله تعالى وعفا عنه .

* * *

﴿ سنة إحدى وخمسين وثمانمائة ﴾

استهلّت والسلطانُ والخليفة والقضاة[١] بحالهم إلا قاضى القضاة الشافعى، فإنه علم الدين صالح البُلْقِينى ، وولايته فى أوّل السنة المذكورة عوضًا عَنْ قاضى القضاة شهاب الدين ابن حَجَر بحكم عزله ، وأتابَكُ العساكر الأمير إينَال العلائى الناصرىّ ، وأمير سلاح تِمْرَاز القَرْمَشى الظاهرىّ ، وأمير مجلس جَرِبَاش الكَرِيمىّ الظاهرىّ المعروف بقَاشُق، والأمير آخُور قَرَاقَجَا الحسنىّ الظاهرىّ ، وحاجب الحجّاب تَنِبَك البُرْدُبَكّى الظاهرىّ ، ورأس نوبة النوب تَمُرْبَاى التَّمُرْبُغَاوىّ ، والدّوادار قانِى باى الجركسىّ .

وبقية أمراء الألوف : ولد المقام الشريف المقامُ الفخرى عثمان ، وأسَنْبُغَا الطيارىّ ، وطوخ من[٢] تِمراز الناصرى المعروف بُيْنى بَازق[٣] ، والشهابى أحمد بن على بن إينَال ، وأُلْطُنْبُغا المعلّم أمير ثمانين فارس ، والأمير آخُور الثانى جَرِبَاش المحمدىّ الناصرىّ المعروف بِكُرْت[٤] ورأس نَوبَة ثانى جانِبَك القَرَمَانى الظاهرى ، والدَّوادار الثانى دُولاَتْ بَاى المحمودى المؤيدى ، والحاجب الثانى نُوكَار الناصرى على إمرة عشرة ضعيفة ، وهو ممّن لا يُؤْبَه إليه ، وشاد الشراب خاناه يُونُس السّيفى آقْبَاى ، والزَّرَدْكَاش تَغْرِى بَرْمُش السّيفى يَشْبُك من أَزْدَمُر ، ونائب قلعة الجبل تَغْرِى بَرمُش الجلالىّ المؤيّدىّ الفقيه ، والخَازِنْدار قَرَاجَا الظاهرىّ جَقْمَق والزَّمام والخازندار فَيْرُوز النَّوْرُوزىّ الطَّوَاشِىّ الرُّومىّ، ومقدم المماليك عبد اللطيف المَنجكّى العثمانى ، ونائبه جَوْهَر النَّوْرُوزىّ .

---

(١) عبارة ت « استهلت والسلطان حقمق والحليفة على حالهم إلا قاضى القضاة »

(٢) كثيرا ماترد لفظة من بين علمين ، وهى ليست تحريف لفط « ابن » الدى يدل على بنوه العلم الأول للعلم الثانى ولكنها ندل على نسبة الأول إلى الثانى سواء أكانت نسبة إلى جالبه أو مسريه أو مالكه أو أستاذه وانظر تعليق المحقق على البدر العينى ـــ السيف المهند ص ٣٢١ ، ويؤكد هذا ماأورده المؤلف فى ترجمته لوالده الأتابك تغرى بردى إلى مشبغا . النجوم الزاهرة ح ٦ : ٤٣٢ ـــ ٤٣٥ ط . كاليفورنيا) .

(٣) بيبى بارق : سبق أن فسرها المؤلف بغليظ الرقبة .

(٤) يرد لقبه فى بقية الكتاب وفى النجوم الزاهرة : « كرد » .

ومباشرو الدولة :

القاضى كمال الدين البارزى كاتب السّرّ الشريف ، ونائبه القاضى معين الدين عبد اللطيف بن العجمى ، وناظر الجيوش المنصورة القاضى محب الدين محمد بن الأشقر ، والوزير الصاحب كريم الدين عبد الكريم بن كاتب المناخ ، وناظر الخواص الصاحب جمال الدين / يوسف بن كاتب جَكَم ، والأستادار زين الدين ٥٤ يحيى قريب ابن أبى الفرج ، وناظر الإسطبل السلطانى برهان الدين إبراهيم بن الدّيرىّ الحنفى ، وكاتب المماليك فرج بن النحال .

نواب البلاد الشامية وغيرها :

نائب الشام الأمير جُلُبَّان أمير آخور ، ونائب حلب الأمير قَانِى بَاى البَهْلَوان الناصرىّ ، ونائب طرابُلُس الأمير بَرْسْبَاى من حمزة الناصرىّ ، ونائب حَمَاة الأُمير يَشْبُك من جانِبَك المؤيدىّ الصّوفّى ، ونائب صَفَد الأمير بيغُوت مِنَ صَفَر خَجَا المؤيدىّ الأعرج ، ونائب غزة الأمير يَشْبُك الحمزاوىّ ، ونائب مَلَطْيَة الأمير قَانْصُوَه النَّوْرُوزِىّ ، ونائب الكَرَك الأمير حاج إينال الجَكَمِىّ ، وهؤلاء من يطلق عليهم ملك الأمراء .

أما بقية نواب القلاع والبلدان فكثير .

• • •

﴿ ذكر ملوك الأقطار ﴾

وأمير مكة المشرفة السيد الشريف بركات بن حسن بن عَجْلاَن ، وأمير المدينة النبوية ـــ على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ـــ الشريف أمْيَان بن نافع بن على الحُسَيْنى ، وصاحب ألْيَنْبُع (١) الشريف هَلْمَان (٢) وصاحب هراة (٣) وغيرها من مماليك العَجَم القان مُعين الدين شاه رُخّ ابن الطاغية (٤) تيمورلنك ، وجماعة من أولاده وأحفاده على عِدّة ممالك.منهم صاحب سمرقند وغيرها القان سيفُ الدين ألُوغ بَك ابن القان مُعِين الدين شَاه رُخّ ابن الطاغية تَيْمُورلَنْك ، ومُتَمَلّك أذْرَبيجَان (٥) وغيرها من ممالك العراق جهان شاه بن قرا يُوسف بن قَرَا محمد، وأصحاب ديار بكر جماعة من أولاد قَرَايلُك وأعظمهم حفيد قَرَايُلُك جهان كِير بن على بَك بن قَرَايُلك ، وصاحب بُرْصا من بلاد الرّوم وغيرها خَوَنْدْكار مُرادبَك بن محمد أبى يزيد بن مراد بن عثمان ، وصاحب لاَرَنْدَة (٦) وغيرها من بلاد قَرَمَان صارم الدين إبراهيم بن قَرَمَان ، وبجانب آخر من بلاد الروم الأمير أسْفَنْدِيَار ونائب أبلُسْتَين سليمان

---

(١) ألينبع : قرية على طريق الحاج الشامى بها عيون وينابيع ، وأخذ اسمها من الينابيع الكثيرة التى بها ، ولها حصن ، وهى تقابل مابين مكة والمدينة (ياقوت . معجم البلدان ٥ : ٤٤٩ ط . بيروت)

(٢) هو هلمان بن وبير بن نخبار ـــ وقيل بميم قبل التاء ـــ الحسنى صاحب الينبع وقد وليها سنة ٨٤٩ هـ بعد عزل ابن أخيه معزى بن هجار (السخاوى ـــ الضوء اللامع ١٠ : ٢٠٩) .

(٣) هراة : هى من مدن خراسان ، ولها أعمال وداخلها مياه جارية، وكانت مدينة عظيمة خربها التتر ، وقد فتحت فى خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان (القلقشندى ـــ صبح الأعشى ٤ : ٣٩٣ ، ٣٩٤) . وهى تتبع أفغانستان حاليا (المنجد ـــ أعلام الشرق والغرب ص ٥٥٠) .

(٤) هذا اللفظ من ت .

(٥) أذربيجان: ناحية واسعة بين قهستان وأران ، بها مدن كثيرة وقرى وجبال وأنهار ـــ (آثار البلاد وأخبار العباد للقزوينى ٢٨٤ ، ٢٨٥) وأشهر مدنها تبريز ، وهى عاصمتها ، فتحت صلحا فى عهد الخليفة عمربن الخطاب (ياقوت . معجم البلدان ١ : ١٥٩) وهى حاليا تابعة للاتحاد السوفييتى .

(٦) لارندة : فى آسيا الصغرى « بلاد الروم » وهى مركز قضاء قونية ، وتقع إلى شمال شرقيها (القلقشندى ـــ صبح الأعشى ٥ : ٣٥٤)

ابن ناصر الدين بَك محمد بن دُلْغَادِر ، وصاحب تونس [١] وبجاية [٢] وسائر بلاد إفريقية السلطان أبو عمرو عثمان بن أبى عبد الله محمد بن أبى فارس عبد العزيز بن أبى العباس أحمد الحَفْصى المغربى ، وباقى بلاد المغرب بأيدى عِدّة ملوك يطول الشرح فى تسميتهم .

● المحرّم : أوّله السبت .

٥٥ فيه وَلِى قاضى القضاة علم الدين صالح قضاء / الشافعية بالدّيار المصرية،عوضا عن الحافظ شهاب الدين ابن حجر العَسْقَلاَنِى [٣] حسبما ذكرناه ، وفيه استقرّ السلطانُ الملك الظاهر جَقْمق بساقيه ومملوكه المتوجّه إلى البلاد الحلبية قبل تاريخه آقْبَرْدِى السّاقى فى نيابة قلعة حَلَب،بعد عزل تَغْرِى بَرْدِى الجاركسّى عنها وتوجّهه إلى دِمَشْق .

وفيه أيضا أنعمَ السلطانُ على الغرسّى خليل ، ابن شاهين الشّيخى [٤] بإمرة مائة وتقدمة ألف بدِمَشْق بعد مَسْك الأمير قِيزْ طُوغَان العلائى وحبْسه بقلعة دِمَشْق ، بسبب ماوقع منه لما أحرق باب المدينة الشريفة لما توجّه أمير حاج محمل دِمَشْق [٥] لسبب من الأسباب .

وفيه أيضا كان استقرار الأمير يَشْبُك الحمزاوىّ المتقدم ذكره فى نيابة غَزة عوضا عن الأمير خَطَطْ ، ورسم بتوجه خَطَطْ إلى دِمَشْق بَطّالا ، وأنعم بإقطاع يَشْبُك الحمزاوىّ [٦] وإمرته — وهى تقدمة ألف بحَلَب — على الأمير سودُون من سيدّى بَك الناصرى المعروف بالقَرَمَانى .

وأنعم بإقطاع سُودُون القَرَمَانى المذكور على الأمير على بَاى الأشرفى والإقطاع إمرة عشرة بالديار المصرية .

(١) تونس : دولة فى شمال أفريقية بين ليبيا والجزائر ، وعاصمتها مدينة تونس ، وقد فتحها المسلمون فى القرن السابع الميلادى (صدر الإسلام) وانظر (القلقشندى — صبح الأعش ٥ : ١٠٠ — ١٠٣) .

(٢) بجاية : بكسر الموحدة وفتح الجيم — مدينة من مدن الغرب الأوسط وهى تقابل طرطرشة من الأندلس ، وهى مدينة قديمة مسورة ولها ربض أديرعليه سور ، ويدخل إلى المدينة خور من بحر الروم تدخل منه السفن إليها (القلقشندى — صبح الأعشى ٥ : ١٠٩)

(٣) هـذا اللفظ من ت

(٤) المراد أنعم السلطان على ابن شاهين الشيخى المنسوب لغرس الدين خليل ابن الملك الناصر فرج بن برقوق .

(٥) فى النجوم الزاهرة ١٥ : ٣٧٣ « أمير حاج الركب الشامى » .

(٦) من هنا إلى آخر حوادث شهر ربيع الأول من سنة ٨٥٣ هـ سقط فى ت

● صفر : أوّله الاثنين .

ففى يوم الأربعاء ثالثه مات الأمير أَيْتَمُش من أُزُوبَاى المؤيّدى أستادار الصُّحْبة ، يأتى ذكره فى آخر السنة عند ذكر من تُوُفِّى فيها إن شاء الله .

وفى يوم الخميس رابعه أنعمَ السلطانُ الملك الظاهر جَقْمَق على مملوكه سُنْقُر الظّاهرىّ بوظيفة أستاداريّة الصّحبة عوضا عن أيتمش المذكور .

وفى يوم الاثنين ثامنه أُخْلِع على الخواجا بدر الدين حسن بن الخواجا شمس الدين محمد بن المزلّق الدّمشقى باستقراره فى نظر جيش دِمَشْق بعد عزل مُوسَى ابن جمال الدين الكَرَكىّ عنها، وتوجّه ثانيا إلىٰ نظر جيش طرابلس .

وفى يوم الخميس حادى عشره رسمَ السلطانُ بنفْى الأمير تَغْرى برمش الجلالىّ الناصرىّ المؤيّدىّ الفقيه نائب القلعة الشريفة بالدّيار المصرية إلى القُدْس الشريف ، وخرج من يومه ، واستقرّ الأمير يُونُس العلائى الناصرىّ أحد أمراء العشرات فى نيابة القلعة عوضه ، وأنعم بإقطاع تَغْرِى برمش المذكور على شريكه الأمير جَانِبَك النوروزىّ المعروف بنائب بَعْلَبَك زيادةً على إمرته ، ولبس يونس المذكور خلعة نيابة / القلعة فى يوم الاثنين . ٥٦

● شهر ربيع الأول ، أوله الثلاثاء .

فى يوم الخميس ثالثه استقرّ السلطان بالأمير بَرْسْبَاى السّيفى تَنِبَك البَجَاسِىّ أحد أمراء العشرات ورأس نَوْبة، فى نيابة الإسكندرية بعد عزل الأمير تنم من عبد الرزّاق المؤيّدىّ عنها .

وفيه أيضا أخلع السلطانُ على الأمير جَانِبَك النوروزى المقدّم ذكره كاملية سمّور باستقراره أمير حاج الرّجبيّة، ومقدّم المماليك السلطانية بمكة المشرّفة .

وفى يوم الخميس عاشره استقرّ السلطان بألُطُنْبُغَا مملوك الأمير طرباى فى حجوبيّة غزّة على مَالٍ بذله علىّ بن تُوالِىّ[1] - وهذا اسم أعجمى غير لقبه - بضمّ التاء ثالثة الحروف ، وفتح الواو ، وبعدها ألف ولام مكسورة .

(١) فى نشرة بوبر ص ٢٥ « على مال بذله فى عزل ابن بوالى بضم الموحدة ، ولام مكسورة » ، وبهامشه « بضم الباء ثانية الحروف وفتح الواو بعدها ألف » .

وفى يوم الجمعة حادى عشره استقرّ السلطان بالأمير بيبَرْس بن بَقَر فى مشيخة العُرْبَان،على عادته بالوجه الشَّرقى من أعمال القاهرة ، واستقرّ أيضا بابن جَمّاز فى مشيخته أيضا على عادته .

وفى يوم الاثنين حادى عشرينه رَسَمَ السلطانُ بنقل الأمير بَرْسْبَاى الناصرىّ من نيابة طرابُلُس إلىٰ نيابة حَلَب،بعد موت الأمير قَانِى بَاى الأبوبكرى الناصرىّ المعروف بالبهلوان،وحمل تقليده وتشريفه على يد الأمير قراجا الظاهرى الخَازِنْدَار أحد أمراء العشرات .

وفيه استقرّ الأمير تَنَم من عبدالرزاق المعزول عن نيابة الإسكندرية قبل تاريخه فى نيابة حماة،عوضا عن الأمير يَشْبُك الصّوفى،وسَفَّره الأميرُ لاجين الظاهرىّ جَقْمَق ، فصالحه الأمير تنمَ المذكور على عدم سَفَرِه بثلاثة آلاف دينار .

● شهر ربيع الآخر : أوّله الخميس .

فى يوم الثلاثاء سادسه — ويوافقه سادس عشرين بؤونة أحد شهور القبط — أُخِذَ قاعُ النيل المبارك فجاءت القاعدة أحد عشر ذراعا واثنى عشر إصبعا وهذا شىء لم يُعهد مثلُه .

وفى يوم الخميس ثامنه أَخْلَع السلطانُ على الأمير سُودُون السُّودُونى الظاهرىّ بَرْقُوق أحد أمراء العشرات والحجابّ ، واستقرّبه حاجبا ثالثا ، وكان سُودُون المذكور قبل تاريخه قد وَلِىَ الحجوبية الثانية،قلت : هذه درجة لأسفل .

وفى يوم الخميس خامس عشره أخلعَ السلطانُ على الشيخ وَلِى الدين السَّفْطىّ باستقراره قاضى قضَاة الشافعيّة بالديار المصرية ، بعد عزل قاضى القضاة عَلَم الدين / صالح البُلْقِينِى،مُضَافًا لمَا بيده من التدريس بقُبّة الشافعىّ،ومن نظر البِيمَارِسْتَان المنصورىّ ، ونظر الكُسْوة[١] ، ووكالة بيت المال[٢] ، ومشيخة مدرسة جمال الدين[٣]

٥٧

(١) نظر الكسوة : وظيفة موضوعها شئون خزانة الكسوة ، وهى خزانة الخاص ، وفيها الحواصل من الديباج وغيره من الأقمشة الفاخرة ، وكذلك الطشت خاناه (القلقشندى — صبح الأعشى ٣ : ٤٧٢) .

(٢) وكالة بيت المال : وظيفة دينية موضوعها مبيعات بيت المال ومشترياته من أرض ودور وغير ذلك ، والمعاقدة عليها ، ولايليها إلا أهل العلم والديانة ، ومجلسه بدار العدل (القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ٣٧)

(٣) مدرسة جمال الدين الاستادار : هذه المدرسة بشارع الحمالية تجاه القرقول ، أنشأها جمال الدين سنة ٨١٠ هـ ، ولاتزال باقية وتعرف بالجامع المعلق (على مبارك — الخطط ٦ . ٦) .

الأستادار ونظرها ، وغير ذلك من الوظائف الدينية والأنظار ، وساءت سيرته ، وسلك مع الناس طريقا غير محمودة من الحَطّ على الفقهاء والتَّرسيم عليهم ، لاسيّما المتحدثون على الأوقاف والمباشرون على الأوقاف ، فإنهم قاسوا منه خطوبا ومِحَنًا .

وفى هذا الشهر أخلع السلطانُ على أبى الخير النحّاس واستقرّبه فى وكاله بيت المال، عوضا عن قاضى القضاة وَلِى الدين السَّفْطِى ، وهذا أول خُمُول السَّفطىّ وبداية أبى الخير النحاس ، وماسيأتى له أعجب .

● جمادى الأولى : أوّله السبت .

فيه برز المرسوم الشريف إلى دمشق باستقرار الأمير خَيْرَبَك المؤيّدىّ الأَجْرُود أحد مقدمى الألوف بدِمَشْق فى أتَابَكيّة عَساكر دِمَشْق، عوضا عن الأمير إينَال الشُّشْمَانِى الناصرىّ بُحكْم وفاته ، وأنعم بإقطاع خَيْرَبَك المذكور على الأمير خُشْقَدَم الناصرىّ المؤيدىّ، أحد أمراء العشرات ورأس نوبَة بالديار المصرية .

وفى يوم [الاثنين][1] سابع عشره — ويوافقه سابع مسرى أحد شهور القبط — أوْفَى النيل المبارك ستة عشر ذراعا، وركب المقام الفخرى عثمان ابن الملك الظاهر جَقْمَق من القلعة ، ونزل وبين يديه وجُوهُ الدولة من الأمراء وغيرهم ، وعدّى النيل حتى خَلّق المِقْيَاس ، وفتح خليج السد على العادة ، وكان يوما مشهودا — ولله درُّ الشيخ كمال الدين بن نُبَاتة[2] حيْث يقول : [الكامل] .

زادت أصابــــع نِيلِنــــا وطَـمَتْ وطـافَت فـى البـلادِ
وأتَتْ بكـــلِّ مَسَرَّةٍ مَـا ذِى أصابـعُ ذى أيـادى

● جمادى الآخرة : أوّله الاثنين .

فى ثامنه أخلع السلطانُ على الصاحب أمين الدين إبراهيم بن الهيصم ناظر الدولة

---

(١) فى الأصل « يوم الثلاثاء سابع عشرة » ورد فى هامش اللوحة « لعله ثامن عشره » . وبمراجعة التوفيقات الإلهامية اتضح أن مسرى سنة ١١٦٣ قبطية ، أوله الثلاثاء ، فيكون سابعه يوم الاثنين ، وهو ما يوافق ١٧ جمادى الأولى سنة ٨٥١ هـ .

(٢) هو أبو بكر محمد بن محمد بن محمد بن الحسين بن صالح بن على بن يحيى بن طاهر بن الخطيب بن أبى يحيى عبد الرحيم بن نباتة الفارقى ، ولد سنة ٦٨٦ هـ وتوفى ثانى صفر سنة ٧٦٨ هـ (النجوم الزاهرة ج ١١ : ٩٥ — ٩٧ ط . دار الكتب) .

باستقراره في الوزارة بالديار المصرية،عوضا عن الصّاحب كريم الدين بن كاتب المناخ بحكم طول مرضه ولزومه الفراش .

● شهر رجب : أوّله الأربعاء .

ففي يوم الاثنين سابع عشرينه، برز المرسومُ الشّريف على يد الأمير إينَال أخي قَشْتَم باستقرار الأمير تَنَم / من عبد الرزّاق المؤيدى نائب حماة في نيابة حَلَب،عوضا عن الأمير بَرْسْبَاى الناصرى بحكم استعفائه عن نيابة حَلَب لتعلُّلِهِ ، وطلبه التّوجه إلى دِمشق بطّالا . ٥٨

وفيه رسم بنقل الأمير بيغوت المؤيّدى الأعرج نائب صَفَد إلى نيابة حماة عوضا عن تَنَم المذكور ، وحَمَل إليه التقليدَ والتّشْريف الأمير يَلْبُغا الجاركَسِيّ أحد أمراء العشرات رأس نَوْبَة ، ورسم باستقرار الأمير يَشْبُك الحمزاويّ نائب غزّة في نيابة صَفَد عوضا عن بَيْغوت المذكور ، ورسم باستقرار الأمير طُوغان العثماني حاجب حجّاب حلب في نيابة غزّة عوضا عن يَشْبُك الحمزاويّ ، واستقرّ في حجُوبيّة حلب الأمير جَانِبَك المؤيدى المعروف بشيخ ،أحد أمراء طرابُلُس .

● شعبان : أوّله الخميس .

فيه قدم الشريف بركات بن حسن بن عَجْلاَن أمير مكّة إلى الديار المصرية ، ونزل الملكُ الظاهرُ إلى لقائه بمطعم الطّير بالرّيدانية خارج القاهرة ، وبالغ السلطان في إكرام بركات المذكور إلى الغاية؛بحيث إنه لم يجلس إلا خارجا عن مقعده إجلالا لبركات المذكور ، وقام إليه ومشى له خطوات واحتضنه وأجلسه بجانبه ، ثم أخلع عليه وقيّد له فرسا بسرج ذهب وكُنْبُوش زركش ، وعاد مع السلطان إلى أن رسَمَ له السلطان بالتوجّه إلى محلّ أنزله به ،ورتّب له الرّواتب السّنيّة ، وأكرمه غاية الإكرام .

● شهر رمضان ، أوّله الجمعة .

ففي يوم الخميس سابعه خلع السلطانُ على الأمير بَيْسَق اليَشْبُكّى أحد أمراء العشرات بالقاهرة بنيابة دِمْيَاط،بعد عزل الأمير بَدْخَاص[1] الظاهرىّ عنها .

(١) يرد اسمه أحيانا « بتخاص » .

وفى يوم الخميس رابع عشره أخلع السلطانُ على أبى الخير النّحاس باستقراره فى نظر الجَوَالى، عوضا عن القاضى برهان الدين إبراهيم بن الدّيرى الحنفى .

● شوال : أوّله الأحد .

ففى يوم الخميس خامسه تولّى الأميرُ تِمْرَاز من بَكْتَمُر المؤيّدىّ المصارع أحد أمراء العشرات نيابة القُدْس، بعد عزل الأمير خُشْقَدَم السّيفى سُودُون من عبد الرّحمن ، فأقام مُدَّة وتوجّه إلى محلّ ولايته .

● ذو القعدة : أوّله الاثنين .

فيه تُوُفّى الأميرُ إينال أخو قَشْتم المؤيدى أحد أمراء العشرات ، وأُنْعِمَ بإقطاعه على السيفى أسِنْبَاى السّاقى الظاهرىّ ، وأنعم بسقاية أسِنبَاى المذكور على السَّيفى جَانم الظاهرى .

٥٩ / وفى يوم الأربعاء ثالثه برز المرسومُ الشريف بحبس الأميرَيْن المُقيمَيْن بالقُدس الشريف وهما شادْبَك الجَكَمِىّ وإينَال الأشرَفىّ ، فحبسا بقلعة صَفَد .

وفى يوم الخميس رابعه استقرّ قاضى القضاة وَلِىُّ الدين السّفطى فى تدريس الشافعيّة بالمدرسة الصالحيّة ، والنظر على أوقافها، عوضا عن شيخ الإسلام الحافظ شهاب الدين بن حجر .

وفى يوم الاثنين ثامنه استقرّ شاهين الفقيه ساقيا، عوضا عن جكم المؤيّدى لتَغَيُّر خاطرِ السلطان عليه .

وفى يوم الخميس حادى عشره تُوُفّى العلامةُ تقىّ الدين ابن قاضى شهبة الدمشقى الشافعى بدمشق فجأة ، ودفن من الغد ، وكان أفْقَه أهلِ زمانه بمذهب الشافعىّ ــ رحمه الله .

● ذو الحجة : أوّله الثلاثاء .

فيه تُوُفّى الطواشى صفى الدين جَوْهَر بن عبد الله المَنْجَكِىّ الحَبشِىّ، نائب مقدّم المماليك السلطانية فجأة ، ودُفِن من الغد ، وهو صاحب المدرسة التى أنشأها تجاه القلعة على مايأتى ذكره .

وفى يوم الخميس ثالثه حضرَ شخص من أهل مَرْصَفَا [١] إلى القاهرة ، وأخبر أنه رأى الهلال ليلة الثلاثاء ، فاضطرب الناسُ اضطرابا شديدا ، فإنه كان غيم مطبق استمر من ابتداء ليلة الثلاثاء إلى يوم الخميس ، فأراد قاضى قضاة الشافعية أن يأذن للرائى فى أن يحكم بعلمه بثبوت الشّهر ، فأخبره شخص من نوّابه أنه شاهِد زور ، وأنه كان منعه من تحمّل الشهادة لما كان قاضيا بناحية مَرْصَفَا.فَشَوَّشَ القاضى على نائبه لإخباره بهذا الأمر ، ثم أمر القاضى بتحصيل رجل آخر مثله حتى حضر شخص وأثبته فى يوم الجمعة الرابع منه أن أوّله الثلاثاء،كلّ ذلك حتى لايكون عيد الأضحى يوم الجمعة ، فإن أهل مصر تتشاءم بخطبتين فى يوم واحد .

وفى يوم الخميس عاشره خُلعَ على القاضى ولىّ الدين السّفطى كاملية بِفَرْو سمّور عقيب خطبة العيد .

وفى يوم الخميس سابع عشره وصل الشهابىُّ أحمد بن نَوْرُوز الخضرى شادّ الأغنام بالبلاد الشاميّة إلى القاهرة .

وفى يوم الأربعاء ثالث عشرينه ، وصل أُزْبُك السّاقى الظاهرىّ مبشِّرُ الحاج وأخبرَ بالأمن والسّلامة ، وأن الوقفة كانت يوم الأربعاء .

وفى يوم السبت سادس عشرينه تُوُفِّىَ القاضى عزّ الدين عبد الرحيم بن الفُرَات الحنفىّ .

وفى / الأربعاء سلخه طلع قاضى القضاة ولِىّ الدين السّفطى بعشرة آلاف دينار إلى السلطان من حاصل البِيمارِسْتَان المنصورىّ وعرضها على السلطان ، فشكره على ذلك . ٦٠

● أمرُ النيل فى هذه السنة : كانت القاعدة الماء القديم أحد عشر ذراعا واثنى عشر إصبعا ، وكان مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعا وأربعة عشر إصبعا .

---

(١) مرصفا : قرية من أعمال محافظة القليوبية بمركز بنها ، وهى من المدن القديمة . وانظر (على مبارك ـــ الخطط ١٥ : ٣٩) .

﴿ ذكر من تُوُفِّى من الأعيان فى هذه السنة مِمَّن تقدّم ذكرهم ﴾

تُوُفِّى الأميرُ سيف الدين أَيْتَمُش بن عبد الله من أَزُوبَاى[١] الناصرى فَرَج ثم المؤيدى شَيْخ، أستادار الصّحبة فى يوم الأربعاء ثالث صفر، وتولّى أستادارية الصحبة من بعده الأميرُ سُنْقُر الظاهرىّ ، أصله من كتابية الناصر فرج ، ثم أعتقه الملك المؤيد شيخ ، وجعله من جملة المماليك السلطانية إلى أن صار خاصّكِيًّا بعد موته ، واستمرّ على ذلك حتى تأمّر عشرة فى الدولة العزيزية يوسف[٢] ، ثم صار فى الدَولة الظاهرية جَقْمَق أستادار الصُّحبة، بعد مُغُلْبَاى الجَقْمَقىّ ، واستمرّ على ذلك إلى أن تُوُفِّىَ ، وكان مُسْرِفًا على نفسه مسيِّكاً ، لم يُشهر بشجاعة ولادين ـــ عفا الله عنه .

وتُوُفِّىَ الأمير سيف الدين قانِى بَاى [بن عبد الله] الأبوبكرى[٣] الناصرى المعروف بالبَهْلوان نائب حَلَب بها فى شهر ربيع الأوّل من السنة، وتولى حَلَب عوضه الأمير بَرْسْبَاى الناصرى نائب طرابُلُس ، كان أصلُ قانِى بَاى المذكور من مماليك الملك الناصر فَرَج ، وتنقّل فى الخِدَم بعد موت أستاذه بالطالع والنازل ، وقاسَى خطوبَ الدهر ألوانا إلى أن اتَّصَلَ بخدمة الأمير طَطَر وحَظِىَ عنده ، فلما تسلطن طَطَر أمَّرَهُ ورقّاهُ حتى صار فى الدولة الأشرفية بَرْسْبَاى رأس نوبة ثانيا ، ثم أمير مائة ومقدم ألف، ثم ولى نيابة ملطية، مضافا إلى تقدمته بالقاهرة ، واستمرّ على ذلك إلى أن أخرج الملك الأشرف إقطاعه والتقدمة التى بمصر ، واستمرّ على نيابة مَلَطْيَة إلى أن عزله وولّاه أتابكيّة حَلَب ، ثم نُقل بعد موت الأمير تَغْرِى بَرْدِى المحمودى إلى أتابكية دمشق فى سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة ، ثم نقله الملكُ الظاهر جَقْمق إلى نيابة صَفَد

---

(١) له ترجمة فى (النجوم الزاهرة ٧ : ٣١٠ ط . كاليفورنيا) .

(٢) الدولة العزيزية يوسف بن برسباى الدقماقى وقد تولى السلطنة بعد أبيه فى يوم السبت ثالث عشر ذى الحجة سنة ٨٤١ هـ ، ودامت سلطنته ثلاثة أشهر ثم خلع ، ومات بالاسكندرية فى سلطنة الظاهر خشقدم (على مبارك ـــ الخطط ١٠ : ٤٥) (النجوم الزاهرة ح ٧ : ط . كاليفورنيا) . ١٦ : ٣٦٦

(٣) له ترجمة فى (النجوم الزاهرة ج ٧ : ٣١١ط . كاليفورنيا) والإضافة منه .

بعد الأمير إينَال العلائى الناصرىّ، ثم نُقل إلى نيابة حماة ، ثم إلى حلب بعد الأمير قانِى بَاى الحمزاوىّ ، فباشرها إلى أن توفى/ بها فى التاريخ المقدم ذكره ، وكان ٦١
وسط الكهولية ، وكان جميلا حشما ، مليح الشكل متوسط السيرة — رحمه الله .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين إينال بن عبد الله الشِّشْمانى[1] الناصرى أتابَك عساكر دِمشْق فى جمادى الأولى ، كان أصله من مماليك السُّلطان النّاصر فرج ، وتأمّر فى أيّام أستاذه المذكور، ثم امتحن من بعده وحُبس سنين، ثم أُطلق وتأمّر أيضا بعد موت الملك المؤيد شيخ ، وصار من جملة رؤوس النوب فى الدولة الأشرفية بَرْسْبَاى. ثم وَلى حسبة القاهرة بعد قاضى القضاة بدر الدين العينى الحنفى ، فباشر الحسبة سنين ثم عُزل ، وصار بعد مُدّة أمير حاج المحمل فى سنة ست وثلاثين وثمانمائة ، وكان حج أيضا قبلها أمير الركب الأوّل مَرّة أخرى فى سنة سبع وعشرين ، ثم صار أمير طبلخاناة وثانى رأس نوبة ، ثم نقل إلى نيابة صَفَد، فباشرها إلى أن نقله الملك الظاهر جَقْمَق إلى أتابكيّة دمشق، بعد توجّه الأمير قانِى باى البَهْلَوان إلى نيابة صَفَد ، فاستمرّ أتابكا إلى أن تُوُفِّى بدمشق فى التاريخ المذكور، وتولّى أتابكية دمشق من بعده الأمير خير بك المؤيّدىّ ؛ وكان إينال المذكور متديّنا عفيفاً عن القاذورات، إلا أنه كان بخيلا جبانا — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّى الأميرُ سيف الدين بَرْسْبَاى بن عبدالله من حمزة الناصرى[2] نائب حَلَب فى جمادى الآخرة بعد ما استعفى من نيابة حلب وخَرَج منها ، فمات فى أثناء طريق دمشق ، أصله من مماليك الملك الناصر فرج ، ثم انضاف إلى الأمير نَوْرُوز الحافظى بعد موت أستاذه ، وصار من جملة أُمراء دمشق إلى أن خرج نَوْرُوز عن طاعة الملك المؤيّد شيخ وافقه المذكور، فقبض عليه شيخ بعد القبض على نَوْرُوز وَحبَسَه سنين ، ثم أطلقه فى أواخر دولته ، وبقى بتلك البلاد إلى أن ولّاه الملك الأشرف بَرْسْبَاى حجوبية حجاب دمشق ، فباشرها سنين ، وعظُم فيها وضخُم ، ونالته السعادةُ ، وطالت أيّامه فى الحجوبية، إلى أن نقله الملك الظاهر جَقْمَق إلى نيابة طَرَابُلُس بعد

(١) له ترجمة فى (النجوم الزاهرة ج ٧ : ٣١٢ ط . كاليفورنيا) .
(٢) له ترجمة فى (النجوم الزاهرة ح ٧ : ٣١٣ ط . كاليفورنيا) .

الأمير قانى بَاى الحمزاوى، بحكم انتقال الحمزاوىّ إلى نيابة حلب، بعد جُلُبَّان المنتقل إلى نيابة دمشق، بعد موت الأمير / آقْبُغَا التَّمْرَازِىّ فى سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة ، فدام فى نيابة طَرَابُلُس سنين ، ونُقل إلى نيابة حلب بعد موت قانى بَاى البَهْلَوَان ، فلم تَطُل أيّامه فيها ، ومرض واستعفى، ومات فى التاريخ المذكور ، وكان ديِّنا خيّرا عفيفاً – رحمه الله تعالى .

٦٢

وتُوُفِّى قاضى القضاة تقىّ الدين ابن قاضى شهبة[1] الدمشقى الشافعى فى ذى القعدة فجأة بدمشق ، وكان عالِمَ الشام بالفقْه وفروعِه بلا مدافَعة، وَلِىَ قضاء دمشق ودرَّس وأفتَى سنين ، وانتفع الناسُ به ، وكتب وصنَّف التصانيف المفيدة ، ومات ولم يخلف بعده مثله – رحمه الله .

وتُوُفِّى الأميرُ صفىُّ الدين جَوْهرُ المَنْجَكِىُّ[2] الطواشىُّ الحبشىّ نائبُ مقدّم المماليك السلطانية ، وكان أصله من خُدّام أولاد الأمير مَنْجَك اليُوسُفِىّ، وتنقل فى الخِدَم حتى ولّاه الملك الظاهر جَقْمَق نيابة مقدّم المماليك السلطانية ، فحسُنَت حالهُ ، وعمَّر مدرسته[3] برأس سويقة[4] مِنعم تجاه مُصَلاَّة المؤمنى عمارةً بالفقيرى[5] ، ثم عزله عن نيابة المقدّم بالصفوى جَوْهَر النَّوْرُوزِىّ ،ودام بطَّالا إلى أن تُوُفِّى أوّل يوم فى ذى الحجة فجأة ، ودُفن من الغد ، وكان مطَّرَحَ الكلفة قليلَ الحشمة – رحمه الله .

---

(١) هو أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن محمد بن عبد الوهاب بن محمد بن ذؤيب بن مشرف – التقى ابن الشهاب بن الشمس بن النجم بن الشرف الأسدى الشهبى الدمشقى الشافعى ، ويعرف بابن قاضى شهبة ، لكون النجم والد جده أقام قاضيا بشهبة السوداء أربعين سنة ، ولد فى رابع عشرى ربيع الأول سنة ٧٧٩ هـ بدمشق (السخاوى – الضوء اللامع ١١ : ٢١) .

(٢) له ترجمة فى (النجوم الزاهرة ج ٧ : ١١٥ ، ٣١٥ ط . كاليفورنيا) .

(٣) مدرسة صفى الدين جوهر : أنشأها جوهر الصفوى المنجكى وعمل بها درسا فى الفرائض ،وأقيمت بها الجمعة سنة ٨٤٤ هـ وتقع، بعطفة جوهر المتفرعة من شارع الصليبة (على مبارك – الخطط ٢ : ١١٥ ، ١١٦) .

(٤) سويقة منعم : وكانت تقع برأس خط الصليبة تجاه القصر السلطانى ، هامش (النجوم الزاهرة ١٢ : ٨٦ ط . دار الكتب) .

(٥) أى بإمكانيات ضئيلة .

وتُوُفّى القاضى المسند المعمّر عزُّ الدين عبدالرحيم بن الفرات[1] أحد نوّاب الحكم بالقاهرة، فى يوم السبت سادس عشر ذى الحجّة من السنة ، ومات وقد انتهت إليه الرئاسة فى عُلُوِّ السّند ، لَنَا مِنْهُ إجَازَةٌ بجميع ما يجوز له وعنه روايته – رحمه الله تعالى .

★ ★ ★

(١) هو عبد الرحيم بن محمد بن عبد الرحيم بن على بن الخسن بن محمد عبد العزيز بن محمد العز أبو محمد ابن المؤرخ ناصر الدين بن الفرات ـــ نسبة للنهر ـــ ولد سنة ٧٥٩ هـ بالقاهرة. (السخاوى ـــ الضوء اللامع ٤ . ١٨٦) و (النجوم الزاهرة ج ٧ : ٣١٥ ط . كاليفورنيا) .

﴿ سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة ﴾

استهلت هذه السنة وجميع أرباب الدّولة على حالهم ، كما تقدّم ذكره .

● المحرّم: أوّله الخميس

فيه ورد الخبر بمقتلة عظيمة فى الصعيد بين الأمير إسماعيل الهوّارى وبين بنى بكيران ولهيان وغيرهما ، وقُتل فيها محمد أخو إسماعيل الهوّارىّ وغيره من أقاربه وأتباعه ، ثم حصل له النّصر عليهم ، وقتل منهم الخمسمائة ، وخُلع على القاصد .

وفى يوم السبت ثالثه، أمر السلطانُ بنفى قاضى حلب مجد الدين سالم الحنبلى إلى قوص ؛ لأجل أنه كان له على القاضى المالكى بحلب دين، وأراد أن يتقاضاه منه فطلب المديون أن يضع من الدَّين شيئا فامتنع رَبُّ الدَّيْنِ.

وفى يوم الأحد رابعه كانت تقدمة زين الدين يحيى الأستادار إلى السلطان ، ٦٣ فكانت عدة / الخيول ستمائة فرس ، منها ستون مسروجة بسروج مغرّقة ، ومنها ثلاثة بقماش ذهب ؛ وعَرَقِيّتَيْن زركش ، وكنبوش زركش ، ومنها نحو الثلاثين بسروج بلغارى[1]

وفى العشر الأول منه أُنْعِم على الأمير يَشْبُك طاز المؤيدىّ أحد أُمراء دمشق بحجوبيّة طَرَابُلُس الكبرى، عوضا عن يَشْبُك النَّوْرُوزىّ .

وفى ليلة الخميس خامس عشره تُوُفِّى الشيخُ برهان الدين إبراهيم بن خضر العثمانى .

وفى يوم الأربعاء حادى عشرينه تُوُفِّى الشيخ شهاب الدين الريشىّ .

وفيه وصل الركب الأوّل من الحجاج. وأميرهُ الأمير الطّواشى عبداللطيف العثمانى مقدّم المماليك .

(١) سروج بلغارى : البلغارى هى المصنوعة من جلد الفرس المبطن بالفرو . هامش (النجوم الزاهرة ج ٧ : ٣٣١ ط . دار الكتب) . وفى نشرة بوبر ص ٢٧ « سروج بلقاوى » .

وفى يوم الخميس ثانى عشرينه وصل أمير حاج المحمل الأمير تَنبَك البُرْدُبَكّى ببقيّة الحاج .

وفى يوم الجمعة ثالث عشرينه لبس السلطانُ القماش الأبيض الصيفى .

وفى يوم السبت(١) سادس عشرينه ، أمر بنفى الأمير قَرَاجَا العُمَرِىّ أحد مقدّمى الألوف بدمشق إلى سيس(٢) وأنعم بإقطاعه على الأمير مَازِى الظاهرى بَرْقُوق .

● صفر : أوله الجمعة بمقتضى الرؤية .

ففى يوم الاثنين رابعه وصلت رُؤوسُ أُنَاسٍ من العرب العصاة ، أرسلها كاشف(٣) البَهْنَسَاوِيّة(٤) .

وفيه خرج الأمير تَمُرْبَاى التَّمُرْبُغَاوى رأس نَوْبَة النوب إلى بلاد الصعيد وصحبته الأمير إسماعيل بن عمر الهوارىّ ومائتا مملوك من المماليك السلطانية لقتال العرب الخارجين عن الطّاعة من هَوّارة .

وفى يوم الجمعة ثامنه ، وردَ الخبرُ بأنه حصل بين الأمير تَنَم مِن عبدالرزّاق المؤيدى نائب حلب وبين أهل حلب تشويشٌ وبعضُ قتال ورَجْم ، وعُيِّن بُرْدبَك التاجىّ لكشف هذا الخَبَرِ وتحريره .

وفى ليلة الثلاثاء ثالث عشره تُوُفِّى الأميرُ أقْطوه الموساوى الظاهرىّ وصُلِّى عليه من الغد .

---

(١) ورد فى هامش اللوحة « لعله الاثنين » وهو الموافق ليوم ٢٦ محرم ، أما فى النجوم الزاهرة ١٥ : ٣٨٠ فقد أشار إلى وقوع ذلك يوم الجمعة ٢٣ محرم .

(٢) سيس : عاصمة أرمينية الصغرى ، وتقع بين أنطاكية وطرسوس (ياقوت — معجم البلدان ٣ : ٣٢٤) .

(٣) الكاشف : من وظائف أرباب السيوف الذين لايحضرون مجلس السلطان ، وهو يحكم على جميع البلاد التى يتولى كشفها ، وله موكب بمراسيم النيابة ، فيجتمع إليه الأمراء ، ويمد السماط ويحضره القضاة ،وتقرأ القصص بين يديه ، وكان يطلق عليه أولا والى الولاة (القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ٢٤ ، ٢٥) .

(٤) البهنساوية : من الأعمال المستقرة . وهى تلى عمل الحيزة من الجهة الجنوبية ، ومقر الولاية مدينة البهسنا بالبر الغربى للنيل تحت الجبل (القلقشندى — صبح الأعشى ٣ : ٣٩٣) .

وفى يوم السبت سادس عشره ، وصل الأمير جُلُبَّان نائب دمشق إلى القاهرة ، ونزل بالميدان .

وفى ليلة الأحد سابع عشره تُوُفِّى الشيخ زينُ الدين عبدالرحمن السَّنْدَبِيسىّ .

وفى الثلاثاء سادس عشرينه وصل السيدّ الشريف إمْيَان أمير المدينة الشريفة ، وطلع إلى السلطان ، فنزل له السلطان من على الدكّة ومشى إليه خطوات يسيرة ، وأكرمه وأخلع عليه وأركبه / من الحوش السلطانى . ٦٤

وفى يوم الخميس ثامن عشرينه رُسِمَ بإطلاق الأمير قِيزْ طُوغَان من حَبسِه بقلعة دمشق بشفاعة نائب الشام ، ورُسِمَ أيضا بمجىء كِسْبَاى المؤيدىّ الدَّوادار من طَرَابُلُس إلى القاهرة بشفاعة الأمير جَرِبَاش الكريمى أمير مجلس .

وفى العشر الأخير منه تُوُفِّى الأمير أَسِنْبَاى الظاهرى بَرْقُوق الزَّرَدْكَاش ، وفُرِّق إقطاعُه .

- شهر ربيع الأوّل : أوّله الأحد ،

فيه رسم بتبقية الأمير قِيزْ طُوغَان فى الحبس ، ورُدّت المراسيم التى كتبت بإطلاقِه .

وفى يوم الاثنين ثانِيه ، عاد الأمير جُلُبَّان نائب الشام إلى محلّ كفالته .

وفى يوم الثلاثاء ثالثه عُزل الأميرُ عبداللطيف[العثمانى][1]مقدّم المماليك السلطانية بسبب أن السلطان طلب المماليك الأجلاب ليفرّق عليهم رماح اللّعب فامتنعوا .

وفيه ورَدَ الخبرُ من الأمير تَمُرْبَاى بأنّ العرب بالوجه القبلى دخلوا تحت طاعة السلطان ولبسوا الخِلَعَ ، وأن العرب العاصية ومَن تابَعَهم – فرّوا ونزحوا عن البلاد .

وفى يوم الأربعاء رابعه ، كُتِبَ جوابُ تَمُرْبَاى بأن يقيم هو ومن معه إلى أن يَرِدَ عليه المرسوم الشريف بالحضور .

(١) إضافة للتوضيح .

وفى يوم الخميس خامسه وُلِّى الأميرُ جَوْهَر النَّوْرُوزىّ – نائب مقدم المماليك ـــ تقدمةَ المماليك السلطانية ، عوضا عن عبد اللطيف العثمانى واستقر عوضه نائب مقدم المماليك مرجان العادلى .

● | ربيع الآخر : أوله الاثنين :

فيه رُسم بنفى سنقر الظاهرى جقمق الخازندار إلى طرابلس .

وفى يوم الخميس رابعه][1]/استقر بدر الدين والد ابن ظهير فى نظر٦٥ الزَّرِدْخاناه ، عوضا عن والده بُرهان الدين المذكور . وفيه وصل الأمير تَمُرْبَاى رأس نوبه النّوب من بلاد الصعيد بطلبٍ وأُخلع عليه ، وحضر صحبته الأمير إسماعيل بن عمر الهّوارى .

وفيه ولى الشيخ يحيى المُنَاوِى تدريس الشافعىّ عوضا عن ولى الدين السفّطى

وفى يوم السبت سادسه آمر السلطان بحضور شمس الدين الكاتب إلى المدرسة الصالحية لِيُدّعَى عليه بأنه وقع فى حق الإمام الشّافعى ـــ رضى الله عنه ـــ وغير ذلك ، فأحضر وادُّعِى عليه عند القاضى ناصر الدين ابن المُخَلِّطَة المالكى وثبت عنده مانسبه إلى الغزالى ، فأمر القاضى بكشف رأسه وسجنه وذهابه إلى السجن ماشيا .

وفى يوم الأحد سابعه طُلِبَ حافظ العصر شهاب الدين ابن حجر وأُعِيدَ إلى قضاء الشافعية ومشيخة الخانقاة البِيبَرْسيّة ، والنظر على أوقافها بعد عزل القاضى وَلِّى الدّين السّفطى .

وفى يوم الاثنين ثامنه لبس ابنُ حجر تشريف الوِلاية ، ونزل إلى الصالحية ، وفيه خلع على الأمير إينال العلائى الأتابكى فوقانى بطرز ذهب بنظر البيمارستان المنصورى على العادة .

وفيه أُخرِج شمسُ الدين الكاتب من السجن ، وأمر بنفيه إلى حلب .

وفى يوم الثلاثاء تاسعه لبس الشيخُ يحيى المُنَاوىّ خلعة تدريس الشافعىّ ، وتوجّه إلى هناك ودرّس ،

---
(١) اضافه عن منشره بوير ١ . ٢٩

وفيه أعيد شمس الدين الكاتب إلى السجن بسبب أنه ادُّعِىَ عليه أنه وقع فى حق النَّبى ﷺ .

وفى يوم الأربعاء عاشره نزل نقيب الجيش محمد بن أبى الفرج إلى السجن ، وأخذ شمس الدين الكاتب وتوجّه به إلى الجامع المؤيَّدىّ لسماع الدَّعوى عند قاضى القضاة سعد الدين بن الدِّيرى الحنفى .

وفى يوم الخميس حادى عشره لبس أبو الخير النَّحَّاس نظر البيمارسْتان المنصورىّ عوضا عن وَلّى الدين السفطى ، وفيه أخلع على زين الدين يحيى الأُستادار كاملية بسّمور على عادته ، وعلى عبد الله الكاشف بالوجه الشرقى فوقانى باستمراره .

وفى يوم السبت ثالث عشره رسم بأن يَتوجّه شمس الدين الكاتب إلى منزله ويقيم عشرة أيام، يتهيأ فيها إلى التوجّه للقُدْس الشريف ليقيم به .

وفى يوم الأحد رابع عشره رسم بأن يتوجه الشهابى أحمد الكاشف إلى دمشق ويُقيم بها .

٦٦ وفيه ورد الخبر بأنه حصل بين / نائب القدس الأمير تِمّراز البَكْتَمُرِىّ المؤيّدى المصارع وبين الناظر أمين الدين عبد الرحمن بن الدّيرى قتالٌ عظيم بآلة الحرب ، بسبب أبى طبر ، وبرز الأمر السلطانى بالكشف عن ذلك على يد السَّيفى كُزُل القَرْدَمّى .

وفى يوم الاثنين خامس عشره لبس القاضى ولّى الدين السفطى كاملية خضراء بسمّور ، بعد أن حمل خمسة آلاف وخمسمائة دينار ، بسبب أنه ادُّعِىَ عليه أنه تناولها من وقف الكُسْوة لَمّا كان ناظراً على أوقافها .

وفى الثلاثاء سادس عشره لبس الشيخُ على المحتسب كاملية خضراء بسمور خلعة الاستمرار على وظيفة الحسبة .

وفيه رسم بأن يُقيم شمس الدين الكاتب بالقاهرة ، وأعيد له ماكان بيده .

وفى الأربعاء سابع عشره طلع قاضى القضاة شهاب الدين ابن حجر إلى القلعة ولبس خلعته على العادة ومعه القضاة والفقهاء .

وفى يوم الخميس ثامن عشره لبس الأمير دُولَات بَاى الدَّوَادار الثانى كامليّة بسمور بنظر الخانقاه البِيبرسيّة .

وفى يوم الجمعة تاسع عشره حضر شهاب الدين أحمد ابن قاضى القضاة شمس الدين القاياتى مشيخة البِيبَرْسيَّة .

وفيه سافر أحمد الكاشف إلى دِمَشْق .

وفى يوم الأحد حادى عشرينه تُوُفِّى الصاحبُ كريم الدين عبد الكريم معزولا .

وفى يوم الاثنين ثانى عشرينه عُزِلَ الأمير تِمْرازُ البَكْتَمُرِىّ المُصَارع من نيابة القُدْس، وعُيِّن أَسَنْبُغا الكَلَبْكَىّ ، ثم تغيّر ذلك لعدم أهلية أَسَنْبُغَا المذكور ، ووقع القرارُ بالتَّربُّص حتى يحضر كُزُل المتوجّه لكشف الخبر .

وفى يوم الجمعة سادس عشرينه تُوُفِّيت سُورَبَاى الجاركسية بالبرابخية ببولاق حَظية السلطان الملك الظاهر جَقْمَق ببولاق بعد أن أقامت به أياما للنزهةَ لَما طال مرضها ، ودُفِنَت من الغد. وكانت جنازتها حافلة، مشى فيها الأمراء المقدمون الألوف وغيرُهم من بولاق إلى مُصَلَّى المؤمنى ، وصلّى عليها السلطان ، وأسفتُ عليها أسَفاً عظيما ، ودفنت بتربة الأمير قَانبَاى الجاركسّى [١] تحت القلعة بجوار دار الضيافة [٢] .

وفى يوم الاثنين تاسع عشرينه وصَلَ جانَم الدَّوارار المعروف بخمسمائة من سفره بدمشق إلى القاهرة — انتهى .

● جمادى الأولى : أوّله الأربعاء .

ففى يوم الخميس ثانيه ولى قاضى القضاة شهاب الدين ابن حجر تدريس الشافعيّة بالمدرسة الصالحية والنظر على أوقافها .

---

(١) تربة قانباى الجركسى : لاتزال هـذه التربة قائمة بميدان السيدة عائشة من قسم الخليفة بالقرب من القلعة ، وتعرف بجامع قانباى الجركسى المتوفى سنة ٧٦٦ هـ . هـامش (النجوم الزاهرة ١١ : ٢٠١ ط . دار الكتب) .

(٢) دار الضيافة : كانت تقع تجاه جامع قانباى بالقرب من ميدان السيدة عائشة ، وقد اندثرت ومكانها اليوم مجموعة المبانى التى يحدها شرقا ميدان السيدة عائشة ، وشمالا عطفة الخيمى ، وغربا بعض المبانى وجنوبا عطفة رجب ومدخل شارع البقلى . وانظر هـامش (النجوم الزاهرة ج ١١ : ٢٠٠ ط . دار الكتب) فهناك تفصيل واف لدور الضيافة بحى القلعة .

وفى السبت رابعه عُقِدَ مجلسٌ للقاضى بدر الدين محمود بن عبيد الله الحنفى بين يَدَى السلطان وٱدُّعِىَ عليه بأن شخصا كان يقرأ فى كتاب رِيَاض الصالحين للنووىّ فيما يتعلق بالبعث وكيفياته ، فقال هل يَصحّ هذا أولا يَصِحّ. وفوّض أمْرَه للقاضى الحنبلى ، فشهد عليه أربعةٌ منهم محجوره أحمد بن فرج بن أزْدَمُر ، والأمير تَغْرِى برْمُش الزَّردكاش / وجدَّدَ القاضى إسلامَه وحَقَن دَمَه . ٦٧

وفيه تحوّلت خَوَنْدُ[1] الكبرى مُغْل بنت البَارِزِىّ من القاعة[2] الكُبْرَى إلى البَرْبريَّة[3] وأخبر السلطانُ أنه طلّقها من نحو الثمانية أشهر ، وذكر أنها كانت السبب لقتل سُرْبَاى بالسِّحر ، وحاشاها من ذلك — انتهى .

وفى يوم الأحد خامسه ولِىَ عظيمُ الدَّولة القاضى كمال الدين البَارِزِىّ كاتبُ السرّ الشريف نظَرَ الخانقاه[4] الجمالية، شريكا لسَارة بنت الواقف، عِوَضا عن السّفطىّ .

وفى يوم الخميس تاسعه ولِىَ أبو عبد الله البَيْدَمُرِّىّ قضاء المالكية بدمشق، عوضا عن شهاب الدين أحمد التّلْمسانى .

وفى يوم السبت حادى عشره ورَدَ الخبرُ بوفاة شاهين الدَّوادار السيفى طوغان نائب قلعة دمشق، وعُيِّنَ العلائى على بن عبد الله الزردكاش للحوطة على موجوده .

وفيه وصل كُزُل القَرْدَمِىّ المتوجّه للكشف عما يتعلق بنائب القُدْس وناظره وعلى يده محضرٌ بما وقع بينهما .

---

(١) خوند : لقب يخاطب به الملوك وكبار الأمراء وزوجات الملوك وأخواتهم وبناتهم . وأمهاتهم ، ويجمع على خوندات . وهو لفظ تركى أو فارسى هامش (النجوم الزاهرة ح ١٣ : ١٠ ط . الهيئة العامة للتأليف) .

(٢) القاعة الكبرى : هى قاعة العواميد ، وهى إحدى قاعات القلعة وكانت مخصصة لحاجات السلطان المنزلية . هامش (النجوم الزاهرة ج ١٣ : ١٣٠ ط . الهيئة العامة للتأليف) .

(٣) البربرية : هى إحدى قاعات الحريم وقد مَرّ ذكرها فى سنة ٨٤٨ هـ عند ترجمة الطواشى فيروز الرومى بمناسبة وفاته . وعند الحديث عن هرب الملك العزيز يوسف بن برسباى من هذه القاعة . ولم يتيسر لى التعريف بسبب تسميتها من المراجع التى تحت يدى — ويقول الدكتور زيادة أنها كانت مخصصة لسرارى السلطان — السلوك للمقريزى ١ : ٣٩٠ حاشية .

(٤) الخانقاه الجمالية : هى المدرسة الجمالية التى بين حارة الفراخة وقصر الشوك . أنشأها الوزير مغلطاى الجمالى سنة ٧٨٠هـ (على مبارك — الخطط ٦ : ٥٠) .

وفى السبت ثامن عشره وصل أمين الدين عبد الرحمن بن الدّيرى منفصلا ، واستمرّ تِمْرَاز على نيابة القُدس .

وفى يوم الخميس ثالث عشرينه وَلى شمسُ الدين الحموى المُوَقِّع نظرَ القُدْس عوضا عن القاضى أمين الدين عبد الرحمن بن الديرىّ

وفى يوم الاثنين سابع عشرينه ولِىَ الأمير قَانى بَاى الحمزاوى نيابة حلب،عوضا عن الأمير تَنَم بحكْم عَزْله ، وقدومه إلى القاهرة على إقطاع قَانِىبَاى المذكور ،ومُسَفِّر قانى بَاى الحمزاوى الأميرُ يُونُس نائب قلعة الجبل ، فصالحه السلطان[١] عن قَانى باى المذكور .

وفيه استقر الأمير بَيْسَق اليَشْبُكى أحد أمراء العشرات بالقاهرة فى نيابة قلعة دمشق بعد موت شاهين الطوُغَانى ، وفرق السلطان إقطاع بَيْسَق على كِسْبَاى المجنون المؤيّدى الدوادار وغيره .

وفى يوم الأربعاء[تاسع][٢] عشرينه الموافق لسادس مسرى أحد شهور القبط — أوفى النيل ستة عشر ذراعا ونزل المقام الفخرى عثمان لفتح الخليج وتَخْليق المِقيَاس على العادة ، وكانت القاعدة فى هذه السنة ستة أذرع وثمانية عشر إصبعا — على ما سيأتى ذكره ، ولله درّ الشيخ بُرْهان الدين القيراطّى حيث يقول : [السريع] .

ذا النيل مايَبْرَحُ فى سَعْدِه وحالُه الماشّى ماحَالا
/ يجرى لنا ماضٍ ومُسْتَقْبَلاً لا أوقف الله له حالا

٦٨

(١) أى دفع السلطان ليونس العلائى الذى تقرر أن يسفّر قانى باى إلى محل كفالته مبلغا من الذهب لقلة موجود قانى باى المذكور ، وانظر (النجوم الزاهرة ج ٧ : ١٥٨ ط . كاليفورنيا) ويفهم من المواطن التىورد فيها مصالحة المسفرين للأمراء إلى محال وظائفهم . أن المسفرين كانوا يحصلون على أموال وهدايا باهظة القيمة من أصحاب الوظائف مماكان يضطر هؤلاء إلى مصالحتهم عن تسفيرهم بمبلغ ما وذهابهم وحدهم إلى محل وظائفهم (المحقق) .

(٢) إضافة يقتضيها السياق .

وفى يوم الخميس سلخه لبس الأمير يَلْبُغا نيابة ثغر دمياط عوضا عن بَيْسَق اليَشْبُكى

- جمادى الآخرة:أوله الجمعة .

فى يوم الأربعاء سادسه وصل الأمير جَانبك الظاهرى شَادّ بَنْدَر جُدَّة إلى القاهرة .

وفى يوم الخميس سابعة تُوُفّى الناصر محمد بن أمير على نديم السلطان

وفى يوم الاثنين حادى عشره برز الأمير قانى بَاى الحمزاوى نائب حلب إلى محل كفالته.

وفى يوم الخميس حادى عشرينه لبس تقى الدين بن عزّ الدين الصَّيرفى قضاء الشافعية بطرابلس .

وفيه وصل محب الدين بن الشّحْنة قاضى حلب إلى القاهرة .

وفى يوم السبت ثالث عشرينه طلع ابن الشحنة إلى السلطان وخلع عليه كاملية بسَمّور .

وفيه أيضاً خلع على القاضى أمين الدين عبد الرحمن بن الدّيرى كاملية بسمور.

وفيه تَغَيَّر خاطِر السلطان على شخص يُدعى أسد الدين الكيماوى لطول مُدة عمله ، ولم يظهر له نتيجة ، وأمر السلطان بإطلاق التاجر ابن شمس وخلاصه منه ، وكان من أمر الكيماوى ومن ابن شمس أن الكيماوى كان قد نصب على ابن شمس المذكور وأخذ منه جُمَلاً مستكثرة ، ثم كتب عليه مَسطُوراً بألفى دينار ، فلما وقع بينهما طالبه الكيتماوىّ بألفى دينار ، وطلع به بعض المناجيس إلى السلطان ، وقال عنه إنه يعمل الكيمياء فَغَرّ السلطانَ الطمعُ واحتاج أنه يسمع مقالته ، فأوّلُ ماحكم فى ابن شمس المذكورومشى له ذلك ، وأمْرُ الكيماوى مع ابن شمس يطول الشرح فى ذكره ، فلما سمع السلطان كلام الكيماوىّ وظنّ أنه يحسن ماذكره من عمل الكيمياء،رسم على ابن شمس حتى أخذ منه لأسد الدين الألْفَىْ دينار ، وأخلى

له مكانا يعمل فيه الكيمياء ، وصار أسد الدين يحكم فى السلطان وفى حواشيه بعد ما كان يحكم فى ابن شمس ، ومن جملة حكمه أنه قال: لأى شيئ أعيانُ مُبَاشِرِى الدّولة ماتتَرَدّدُ إلىّ فى مكانى ؟ فأمرهم السلطان بالتوجّه إليه ، فتوجّه الجميع إليه ، وجلسوا بين يديه ، فكلمهم بتعاظم زائد إلى الغاية ، وصار لايتكلم معهم إلا بترجمان ، ولما أخذ من ابن شمس الأَلْفَىْ دينار بلغه عن ابن شمس أنه قال : عن قريب يظهر للسلطان كذب أسد الدين ، فقال أسد الدين : ماأعمل شيئا حتى يُنْفَى ابن شمس إلى القُدْس ، ، وكان وقع له مع ابن شمس / مايشبه هذه القضية ، وهو أن امرأة ابن شمس قالت لزوجها ابن شمس : والله هذا يكذب ، ولو كان هذا يعرف علم الكيمياء لكان سَيِّداً غنيا ولا يحتاج إلى أحد . فبلغ الكيماوى كلامُ المرأة ، فقال لابن شمس : لاأعمل لك شيئا حتى تطلق زوجتك ، فتوقف ابنُ شمس عن طلاق زوجته ، فقالت له زوجته : طلّقْنى ولا تُخَلِّى له عُذْرا ، فطلّقها ، ولما أخرج ابن شمس إلى القدس، وطال الأمر على السلطان ، وبلغه مافعل أسد الدين بابن شمس تحقق أنه كاذب ، وأنه لايحسن شيئاً ولكنه صار يَتّبع كلامه. ٦٩

وفى الجمعة ثانى عشرينه أمر بسدّ باب جسر بشباى المُطِل على بركة الرطلى [١] ، وأن ينتقل السكانُ منه ، وتوجّه نائب الوالى هناك مع ظَلَمته ، وحصل للناس بذلك تَشْويش كبير وبعض نهب وهدم آلات الحوانيت التى بالجسر.

وفى يوم السبت ثالث عشرينه تُوُفِّيت ستُّ الملوك بنت الملك الظاهر طَطَر زوجة يَشبك الأتابكى ، ودُفنت من الغد.

وفى يوم الأحد رابع عشرينه عُزِل تِمراز المصارع عن نيابة القدس وأمَرَ بنفيه إلى دمشق، ثم شُفِعَ فيه وأعيد بعد أيام، وأنعم بإقطاعه الذى بالقاهرة على السيفى أزبُك من طَطخ السّاقى وصار من جملة أمرآء العشرات واستقر خشقدم السيفى سودون

(١) بركة الرطلى : هذه البركة كانت فى الجهة البحرية من القاهرة غربى جامع الظاهر بيبرس ، وكانت من جملة أرض الطبالة ، وعرفت ببركة الطوابة من أجل أنه كان يعمل فيها الطوب ، وعرفت ببركة الحاجب لأنه أجرى الخليج الناصرى من جوارها فدخل إليها الماء ، وعرفت ببركة الرطلى لوجود رجل فيها يصنع أرطال الموازين . وكان عمل لها جسر بينها وبين الخليج الناصرى وبنيت عليه الدور . ولكن تلاشى أمرها سنة ٨٠٦ هـ (على مبارك ــ الخطط ٣ : ٧٣) .

من عبد الرحمن فى نيابة القُدس عوضا عن تِمراز ، واستقر إينال الخاصّكى ساقياً عوضا عن أُزْبُك المذكور .

وفى يوم الاثنين خامس عشرينه عُزل الحافظ شهاب الدين ابن حجر عن قضاءِ الشافعية ،

وفيه نودى بسُكنى جسر بَشْبَاى ، وفتح بابه على العادة .

وفيه نودى على الفلوس أن الرِّطل يكون بستة وثلاثين درهما .

وفى يوم الثلاثاء سادس عشرينه ولِّىَ قاضى القضاة علمُ الدين صالح البُلقينى القضاءَ عوضاً عن ابن حجر.

وفى يوم الخميس ثامن عشرينه كُسفت الشمس من قبيل الظهر إلى بعد الزَّوال بنحو ثلاثين درجة، وصُلِّى للكسوف بالجامع الأزهر .

● شهر رجب: أوله السبت .

ففى يوم الاثنين ثالثه رسم بإطلاق الأمير إينال الأبو بكرى الأشرفى من حبس صَفَد ، وتوجّه إلى القُدْس / بطالا . ٧٠

وفيه وقت العصر تُوُفِّى الشيخُ زين الدين رضوان مستملى الحديث ، ودُفِنِ من الغد

وفى يوم الأربعاء خامسه مُنِعَ السَّفْطىُّ من طلوع القلعة والاجتماع بالسلطان .

وفى يوم الاثنين عاشره لبس القاضى كمال الدين البارزىّ كاتب السّر كاملية بسمّور .

وفى يوم الخميس ثالث عشره رُسِمَ بتوجّه القاضى وَلِّى الدين السَّفطى إلى بيت قاضى القضاة الحنفى للدَّعْوَى عليه ، فتوجّه إلى القاضى وادُّعِىَ عليه بحقوق كثيرة شرعية ، فحلف ثلاثة أيمان ، واعترف بالبعض ، ثم نقل إلى قاضى القضاة المالكى وادُّعِىَ عليه بين يدى المالكى بدين ، فصالح المُدَّعِىَ على ثلثمائة دينار .

وفى يوم الجمعة تحوّلت خَوَنْدُ بنتُ الأمير جَربَاش إلى قاعة العَوَاميد الكُبْرى عِوَضا عن بنت البَارِزِىّ .

وفيه مُنِعَت اليهودُ والنصارى من طِبِّ أبدانِ المسلمين .

وفي يوم السبت ثاني عشرينه لبس الصاحب أمين الدين إبراهيم بن الهَيْصَم كامليّة بسمّور بِسَبَب الجسور .

وفيه لبس القاضي بدر الدين بن قاضي بَعْلَبك نظرَ جيش صَفَد عوضا عن ابن القفّ .

وفِيه عُزِل الشيخُ وَليّ الدين السّفطي من مشيخة الجمالية ودَرْسِ التفسير بها .

وفي يوم الأحد ثالث عشرينه رُسِمَ بمجيء السّفْطِيّ إلى بيت قاضي القضاة الشّافعي، لأن يَدّعي عليه الزّينيّ قَاسِم الكاشف بسبب حَمّامِهِ التي بباب الخَرْق التي كان أخذها منه السّفطيّ ، فحضر وادّعى عليه بأنها وقفٌ، وأنّ الشراء لم يصادف محلا ، وأنه أكرهه على تعاطي البيع ، وخرج على إثبات ذلك . ولما خرج السّفطي من بيت القاضي عارضه شخصٌ آخر ومسكه وآدّعى عليه أنه غصب منه خَشَباً وغيره ، فأنكرَ السفطيّ ، فطَلَبَ تحليفَه والتغليظَ عليه .

وفيه طلع أسد الدين الكيماويّ إلى السلطان وأكرمه السلطانُ ، وذكر أنه صادِقٌ فيما ادّعَاه ، وأنه يفعله سريعا — وكذب والله الذي لاإله إلا هو .

وفي يوم الاثنين رابع عشرينه أعيد السفطي إلى مشيخة الجمالية ودَرسِ التفسير بها وحضر .

وفيه لبس زين الدين يحيى الأستادار كاملية بسمّور .

وفي يوم الخميس سابع عشرينه أمر السلطان الأمير ناصر الدين بن أبي الفرج نقيب الجيش أن يأخذ السّفطيّ ويذهب / به إلى بيت قاضي القضاة الشّافعيّ لسماع بيِّنة الإكراه منه لقاسم الكاشف في بيع الحمّام ، فتوجّه السفطيُّ وذكر أن له دافعا وخرج ليبديه . ٧٢

وفي يوم السبت تاسع عشرينه تولّى أبو الخير النّحاس نظرَ المواريث المتعلقة بالوزير .

وفي يوم الأحد سلخه بعد العصر برز المرسومُ الشريف على لسان قانِي بَك

السَّيْفى يَشبك من أَزْدَمُر الدّوادار إلى وَلِّى الدين السَّفطى بتوجّهه إلى حبس المَقْشَرَة ، فأَخَذَ المذكورَ وذهب به إلى حبس المَقْشَرة فَحُبسَ بها مع أرباب الجرائم ، ولو ظفر به العوامّ يومئذ لقتلوه فى الطريق قبل إلى يصل إلى المَقْشَرة ، وذلك بسبب امتناعه من التوجّه إلى بيت قاضى القضاة الشّافعىّ لَماّ طلبه ليُعَذِّر فيما قامت به البَيِّنة بسبب حمَّام قاسم الكاشف ، كل ذلك وهو يُعَانِد ويعتذر . ومن لطيف ماوقع له لَمَّا دخل إلى حبس المَقْشَرة ودام به دخل إليه بعض الناس وخاطبه بيا مولانا قاضى القضاة ، فقال له السّفطى بعد مااستغاث : تقول لى قاضى القضاة ؟ قل ياالصّ ياحرامى يامَقْشَرَاوِىّ ، فقال له المتكلم : المرسومُ مَرْسُومُك .

● شعبان : أوله الاثنين :

فيه وصل الأمير تنم [من عبد الرزاق][1] المؤيّدى نائب حلب ــ كان ــ إلى القاهرة ، وطلع إلى السلطان فأخلع عليه وأجلسه تحت أمير سلاح[2] فوق بقية الأمراء ، وأنعم عليه بإقطاع الأمير قانِى بَاى الحمزاوى ، وأنعم عليه بفرس بسرج ذهب وكُنْبُوش زركش .

وفيه أُخْرج وَلّى الدين السّفطى من حبس المَقشرة ، وذهب ماشيا إلى بيت قاضى القضاة الشافعى [علم الدين صالح البلقينى][3] حسب المرسوم الشريف ، ثم توجه راكبا إلى المدرسة الصالحية ،وحضر قاضى القضاة،ولم ينفصل أمُره لعدم حضور الشيخ علاء الدين القَلْقَشَندىّ ، ومن عُيّن معه من الشافعية لحضور المجلس .

وفيه تُوُفّى الشيخ أبو الفتح بن وَفَا ، وصُلِّى عليه بجامع عمرو بن العاص ــ رضى الله عنه ــ ودُفن بزاويتهم[4] بالقرافة ، وفيه صُلِّى على بُرْهَان الدين

(١) الإضافة من (النجوم الزاهرة ٧ : ١٦١ ط . كاليفورنيا)

(٢) فى (النجوم الزاهرة ٧ ١٦٢ ط كاليفورنيا) « وأجلسه تحت أمير مجلس جرباش الكريمى »

(٣) الإضافة من (النجوم الزاهرة ج ٧ : ١٦٢ ط كاليفورنيا) .

(٤) زاوية آل أبى الوفا : هى جامع السادات الوفائية بسفح المقطم شرقى جامع الإمام الشافعى . كانت زاوية مجددت مسجدا وبه مدافن لآل أبى الوفا (على مبارك ــ الخطط ٥ : ١٣٨ ــ ١٤٦) .

العريانى [١] بالجامع الأزهر ، ودُفن ، وكان قد غرق آخر يوم الأربعاء سادس عشرين شهر رجب بمعدية فُرِيْج ، وظهر يوم الثلاثاء بالسَّمَاسِم [٢] بالقرب من خانْقَاه سِرْياقُوس ، ودفُن هناك ، فتوجّه أقارِبُه وأتَوْا به إلى القاهرة/وقد انتفخ انتفاخا زائداً وتغيَّرت رائحته — رحمه الله تعالى . ٧٢

وفى يوم الثلاثاء ثانيه أطْلِق السّفطى من التَّرسِيم والإقامة بقبة الصالحيّة وأمر بتوجّهه إلى بيته وبتَبْقِيِة حكْم القاضى الحنفىّ له بصحة بيع الحَمَّام ، وفيه أعيد إلى الوزير نظر المواريث المتعلقة به التى كان قد أخذها أبو الخير النحاس ، وكذا نظر السّواقى التى كانت بيد النّحاس .

وفى يوم الاثنين برز المرسوم الشريف إلى قاضى القضاة بدر الدين الحنبلى بطلب وَلىّ الدين السّفطى والتَّرسِيم عليه ، وسماع الدَّعوى عليه بسبب الحَمامين والفرن والدكاكين التى بحارة زويلة [٣] فإنه ظهر أنهم وقفٌ على المدرسة الطيبرْسية [٤]

وفى يوم الخميس حادى عشره لبس الوزير كاملية مخمل أحمر بسّمور بسبب المواريث والسّواقى .

وفى يوم السبت ثالث عشره رسم بتوجّه وَلِّى الدين السّفطى إلى حبس المقشرة ثانيا بسبب الدكاكين والحمامين التى بحارة زويلة ، ثم شفع فيه،ووجد فى كتاب وقف الطَّيْبَرسية المتصل ثبوته أنهم من جملة أوقاف الطَّيْبَرسّية .

---

(١) هو إبراهيم بن عبد الله بن أحمد بن على بن محمد بن القاسم بن صالح بن هاشم— برهان الدين أبو الوفاء ، ويعرف بالعريانى ولد سنه ٧٩١ هـ ومات غريقا (السخاوى — الضوء اللامع ١ : ٧٠ ، ٧١) .

(٢) السماسم : ويقال الصماصم والصمصام ، ويستفاد مما ذكره المقريزى فى خططه عند الكلام على بحر أبى المنجا (١ : ٤٨٧) أن إقليم الشرقية كان يروى قبل حفر بحر أبى المنجا من بحر السردوس ومن الصماصم ،ويقول المرحوم الاستاذ محمد رمزى فى هامشه على (النجوم الزاهرة ٧ : ١٩٣ ط . دار الكتب) « إن الصماصم بعد ذلك صار يأخذمياهه من بحر أبى المنجا ، وأصبح فرعا منه ، وهو يعرف حاليا بترعة المصيصة — تحريفا عن الإسم القديم — وتمر بمركز قليوب ،وقد أصبح بحر أبى المنجا يعرف بالترعة الشرقاوية التى تمر بأراضى محافظة القليوبية ، وفى شمال ناحية ميت حلفا مركز قليوب تبدأ المصيصة أخذ مائها من الشرقاوية » .

(٣) حارة زويلة : وتتفرع من شارع بين السورين على اليسار ، وهى حارة كبيرة جدا بداخلها عطف و حارات وهى من الحارات القديمة أختطتها قبيلة زويلة عند دخولها القاهرة مع جوهر القائد ، بها البئر التى تعرف بئر زويلة ومكانها حاليا — حارة اليهود ودرب الصقالبة (على مبارك — الخطط ٣ : ٥)

(٤) المدرسة الطيبرسية : أنشأها الأمير علاء الدين طيبرس الخازندار ، وجعلها مسجدا فى سنة ٧٠٩ هـ ، وتقع على يمين الداخل من باب الجامع الأزهر المعروف بباب المزيين (على مبارك — الخطط ٦ : ٩) .

وفى يوم الأحد رابع عشره تُوفِّىَ أحمد بن نَوْرُوز شادّ الأغنام ، وأنعم بإقطاعه على سيدى أحمد ولد المقام الشريف من بنت السلطان مُرَادْبك عُثْمَان سلطان الرُّوم. واستقر مكانه أمير الركب الأوّل قانم من صَفَر خجا المؤيّدى المعروف بالتاجر .

وفى يوم الثلاثاء سادس عشره ضُرِب شهاب الدين أحمد المدنى ــ الذى آدَّعى أنّه وكيل السلطان ــ بين يدى قاضى القضاة المالكى بالمدرسة الصالحية مايزيد على مائة سَوْط ، وجُعلَ فى رقبته زَنْجير (١) ، وحُبس بحبس الدَّيْلم (٢) بسبب ماآدَّعى به على شمس الدين الكاتب،ولم يثبت عليه شيىء،وذلك فى مجلس القاضى ناصر الدين ابن المُخلِّطة،بحضور قاضى القضاة المالكى كما ذكرناه ﴿وَمَارَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيد﴾.

وفيه حصل مطرٌ عظيم ونزلت صاعقةٌ قتلت شخصا من الأجناد بزريبة (٣) قَوْصُون بساحل جزيرة أرْوَى المعروفة بالجزيرة (٤) الوَسْطَانِيّة .

وفى يوم الجمعة تاسع عشرهلبس السلطانُ القماش الصُّوف الملوّن أعنى قماش الشتآء ، وألبس الأمراء على العادة .

وفى يوم الأحد حادى عشرينه عُقِدَ مجلسٌ بين يَدَى السلطان بالقاضى الشافعى ٧٣ والشيخ علاء الدين القَلْقشنْدِىّ والشيخ شرف الدين يحيى / المُنَاوِىّ وبعض جماعة من علماء الشافعية بسبب الخطيب جمال الدين عبد الله بن جماعة المقدسى شيخ الصلاحية (٥) بالْقُدس لَما قيل أنه غير أهل للتدريس ، وأنه كتب على فتاوى كثيرة غلطا .

---

(١) الزنجير : هو السلسة الحديدية ، والعامة تقول جنزير . واللفظ فارسى (المنجد ٣٠٧) .

(٢) حبس الديلم : وينسب إلى حارة الديلم (المقريزى ــ الحطط ٢ : ٩٥) وقد هدم فى بداية حكم محمدعلى . ومكانه اليوم زقاق السباعى وما على جانبيه من المبانى ، وكان بابه داخل عطفة السوى ، وصار طريقا يوصل بين حارةخشقدم وشارع الدرديرى بقسم الدرب الأحمر بالقاهرة . هامش (النجوم الزاهرة ح ١١ : ٢٨٢ ، ٢٨٣ ط . دار الكتب) .

(٣) زريبة قوصون : مكانها اليوم الأرض التى عليها دار الآثار المصرية وملحقاتها بشارع مريت باشا (د /عبد الرحمن زكى ــ القاهرة ١١٥) . وقول المؤلف أنها بساحل جزيرة أروى ربما تعنى تحاههدا الساحل . بالساحل المواجه للجزيرة (المحقق)

(٤) جزيرة أروى : هى حزيرة الزمالك . وعرفت بجزيرة بولاق ، وبالجزيرة الكبيرة ، وقد انحسر عنها الماء حوالى سنة ٧٠٠ هـ وبنى فيها الناس الدور والأسواق والجوامع وغرسوا فيها البساتين وصارت من متنزهات القاهرة يحف بها الماء من جميع الجهات . ثم تلاشى منها أغلب ماكان فيها سة ٨٠٦ هـ وسميت الزمالك باسم العشش التى كانت تنصب بها من القش والغاب لإقامة الجند (د / عبد الرحمن زكى ــ القاهرة ص ١٣٣) .

(٥) بالأصل : الصالحية : ولكنه لاتوجد صالحية بالقدس وإنما توحد صلاحية نسبة للسلطانصلاح الدين الأيوبى ، وقد مرت .

وسبب ذلك كله السّراج الحِمْصىّ فإنه سأل إحضاره والمناظرة معه ، فحضر الجماعةُ المذكورون والخطيبُ وتأخّر الحِمصِىّ عن الحضور ، فَغَضِبَ السُّلطانُ على الحِمْصِىّ وأبقى الخطابة مع ابن جماعة المذكور ، وأمر بأنْ لايُمَكَّن الحِمْصِىّ من الطُّلُوع إلى القلعة .

وفى يوم الاثنين ثانى عشرينه أمر السلطانُ بأن يجعل ابن النُّوَيْرىّ القاضى بحلب قبل تاريخه فى الحَديد ويتوجّه إلى حلب بسبب دَعْوَى ابن النّصيبى [1] عليه .

وفى يوم الخميس خامس عشرينه عُزِلَ بدرُ الدين بن قاضى بَعْلَبَك من نظر جيش صَفَد واستقرّ ابن القُفِ على عادته .

وفى يوم السبت سابع عشرينه ادُّعِىَ على الشيخ ولِّى الدين السَّفطى بمجلس القاضى ناصر الدين ابن المخُلِّطَة المالكى بحضور قاضى القضاة الحَنْبَلّى بسبب الحَمَّامَيْن وما معهما ، وخرج على الاعتذار بأن يُبَين الناقل عن الوقفية .

وفى يوم الأحد ثامن عشرينه لبس الخطيبُ جمالُ الدين بن جماعة شيخ الصلاحية خلعة الاستمرار ، وتوجّه فى يوم الثلاثاء سلخه إلى القُدْس .

● شهر رمضان : أوّله الأربعاء :

فيه وصل البدرُ حسن ابن المُزَلِّق ناظر جيش دمشق إلى القاهرة .

وفيه حضر السَّفْطِّى وغُرَمَاؤه والقاضى ناصر الدين بن المخُلِّطَة عند القاضى الحَنْبَلِى ، وانفصل المجلسُ على غير طائل ، وادّعى السفطى أن السلطان رسَم بأن لا يُدَّعَى عليه عند ابن المُخَلِّطَة ، وكان ذلك غير صحيح ، ثم صالح جهة الوَقْف بألف دينار .

وفى يوم الجمعة ثالثة تُوُفِّىَ الأمير تَغْرى بَرْمش الفقيه بالقُدْس الشريف — بالطَّاعون — بطالا .

وفى يوم السبت رابعه لبس وَلِّىُ الدين السّفطى كاملية بسَمُّور ، وحمل أربعة آلاف دينار . وفيه أراد المماليك الجُلْبَان إيقاعَ فعل بالأُستادار ، ونَهْبَ بيته ، ففطن لها

(١) هو أبو بكر بن محمد بن عمر بن أبى بكر بن محمد بن أحمد . الشرف بن الضياء بن النصيبى الحلبى الشافعى ناب فى القضاء وفى كتابة السر — واستقل بها مدة — وولى وكالة بيت المال وإفتاء دار العدل بحلب ، وتوفى بالطاعون سنة ٨٦٣ هـ (السخاوى — الضوء اللامع ١١ : ٨٦ ، ٨٧)

الأستادار، فأقام بالدِّهيشة (١) ولم ينزل إلى بيته، وأرسل سريعا حوّل جميعَ ما فى داره وقَفَل دُرُوبَه ، ثُمّ إنّ السلطان أرسل خلفَ قانصُوه ، وخلف جماعة وضَرَبَ السلطانُ / ٧٤ قانْصُوه بالنِّمجاه (٢) لأنه كان وقع بينه وبين الأستادار مشاجرة بسبب فلاّحينه ، ثم أصلح بينهما ، وألبس قانْصُوه سلارِىّ (٣) سَمُّور — فيا نفس جدّى إنَّ دَهْرَك هَازِلُ — ولَمَا لَبِسَ قانْصُوه السّلاَّرِىّ توجّه إلى المماليك الجُلْبان لُيرْجعهم عن الأستادار فسبقوا وقالوا: نحن مافعلنا هذا إلا لأجلك . ثم نزل الأستادار وصحبتهُ الأمير قَرَاجَا الخازندار وغيرُه ، فوصَّلُوه إلى بيته .

وفيه تُوُفّى الأميرُ صَرْغَتْمُش القَلَمطَاوِىّ ، وأنعم بإمرته على سُنْقُر الخازندار المعروف بالجُعَيْدِىّ زيادةً على مابيده — وهى حصة من جيبين القصر ، وصار من جملة أمراءِ العشرات .

وفى يوم الثلاثاء سابعه طلع زين الدين الأستادار إلى القلعة وألبسه السلطانُ كاملية بَسمور ، ولما خرج من عنده أخبر بأن المماليك السلطانية ينتظرونه ، فعاد ودخل إلى دَهْليز (٤) البَحْرَة التى بالحُوش السلطانى (٥) من القلعة ، وأرسل السلطان

---

(١) الدهيشة : قاعة كبيرة مرتفعة البناء تدهش الناظر إليها ، عمرها الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن محمد بن قلاوون ، وكانت فى الجهة الشرقية من جامع القلعة ، هـامش (النجوم الزاهرة ج ١٠ : ٨٩ ، ٩٠ ط . دار الكتب) .

(٢) النمجاه : خنجر مقوس بشبه السيف القصير ، وهو معرب اللفظ الفارسى « نمحه ويقال نمجاه ونمشاه ونمشه». هـامش الدكتور محمد مصطفى زيادة على (السلوك للمقريزى ١ : ٨٥٧) .

(٣) سلارى : هـو قباء استجده الأمير سلار فى عهد الناصر محمد بن قلاوون ، وهو الثوب المفرج ويلبس تحت الفرجية ، وكان يسمى البغلطاق (على مبارك — الخطط ١٠ : ٣٤) .

(٤) الدهليز : هـو المجاز الذى يوصل إلى القاعة ، وهو المراد هـنا . وكان يطلق على خيمة السلطان التى ترافقه فى الصيد أو الحروب (قاموس دوزى) .

(٥) الحوش السلطانى : أنشأه السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٣٨ هـ بعد ردم الحفرة التى نتجت عن قطع الأحجار منها لعمارة القلعة ، وصارت مساحتها أربعة أفدنة ، وجلب إليه الأغنام والأبقار ، ثم بطل استعماله للحيوانات . وفى أيام الملك الظاهر برقوق كان يحتفل فيه بعمل المولد النبوى الشريف (المقريزى — الخطط ٢ : ٢٢٩) .ويقول المرحوم الأستاذ محمد رمزى فى هـامشه على (النجوم الزاهرة ج ٩ : ١١٩) وبالبحث تبين لى أن هـذا الحوش مكانه اليوم القسم المنخفض من مبانى القلعة فى الجهة القبلية الشرقية . حيث يوجد الآن ديوان كتخذا ، وهو قاعة كبيرة تسمى قاعة العدل ، أنشأها محمد على الكبير سنة ١٢٢٩ هـ وكان يجلس فيها الكتخذا — أى وكيل الوالى — لنظر أمور الدولة ومصالح الناس ، ويوجد أيضا فى الحوش المدكور دار الضرب القديمة المحعولة الآن مخازن لدار المحفوظات ، وكلها داخل سور القلعة .

خلف أُزْبك السّاقى وأسنباى السّاقى وأمرهما أن يتوجَّها معه إلى أن يُوَصّلاه إلى داره ، فامتنع من ذلك خشية القتل ، وقلع الخلعة ، وتكلّم المَذْكُورَانِ مع المماليك الجُلْبان وسألا أن يتركوه اليوم لأجلهما ، وبعد هذا يفعلون مايريدون ، فسكتوا عنه ، ونزل إلى داره .

وفى يوم الخميس تاسعه عرض السلطانُ المماليكَ الجُلْبان . وكلَّمهم بسبب الأستادار ، ولاطفهم كُلَّ الملاطفة .

وفى يوم السبت حادى عشره لبس زين الدين الأستادار كاملية خلعة الاستمرار ، وردّ عِدَّة إقطاعات إلى أربابها التى كانت دخلت ديوان المُفْرَد .

وفى السبت ثامن عشره ورَدَ الخبرُ بوفاة الشهابى أحمد الكاشف بالغربية ـــ كان ـــ بدمشق .

وفى يوم الاثنين حضر جماعةٌ من أهل بُلْبَيس وأخبرُوا بأنهم صاموا يومَ الثلاثاء ، وأن تَغْرِى بَرْدِى القَلاَوِىّ الكاشف ادّعى أنه رأى الهلالَ ليلة الثلاثاء بالجيزة ، وذكر عن غيره أيضا أنه رآه .

فى العشر الأخير منه وصَلَتْ أُختُ السلطان الملك الظاهر جَقْمق من بلاد الجاركس[1] .

● شوال : أوّله الخميس .

ففى يوم الخميس خامس عشره لبس الأمير تَنِبَك حاحب الحجّاب خلعة كشف التُّراب ./ وفيه وَلِىَ أبو اليُمْن النُّويرِىّ قضاءَ مَكَّة عوضا عن أبى السعادات ابن ظهيرة ، وفيه عُزِل أبو عبد الله عن قضاء المالكية بدمشق ، وتوَلّى عوضه سالم . ٧٥

وفى يوم السبت سابع عشره خرج المحمل إلى بِركة الحَاج وأميره الأمير سَونْجُبغَا اليُونُسِىّ الناصرى ، وأمير الأول قَانَم التَّاجر .

وفى يوم الاثنين تاسع عشره رَحَلَ ركبُ المماليك من بركَة الحَاج وصحبتُهم

(١) بلاد الجاركس : وتقع على بحر نطش (البحر الأسود) من الجهة الشرقية (القلقشندى ـــ صبح الأعشى ٤ : ٤٦٢)

الشيخان العلامةُ أمينُ الدين يحيى بن الأقصرائى شيخ الأشرفية [١] وعضدُ الدين عبدُ الرحمن بن السَّيْرَامِىّ شيخ الظاهرية [٢].

وفى يوم الأربعاء حادى عشرينه رحل الركبُ الأوّل ورحل المحمل عقيبه من الغد بعد أن أمطرت السماء عليهم مطرا عظيما

وفى يوم السبت رابع عشرينه لبس يَار على العجمىّ مُحْتَسب القاهرة خِلعة الاستمرار: كاملية بسمّور .

وفى يوم الاثنين سادس عشرينه رَحَل الأميرُ جَانِبَك الظاهرىّ شَادّ جُدّة بمن معه من حواشيه .

● ذو القعدة : أوّله السبتُ .

ففى السبت خامس عشره تَغيّر السلطانُ على العبيد الذين بالقاهرة ؛ وذلك أن بعضهم هجَم على حمَّام النساء بمُنْيَةَ عقبة [٣]، وأفتاه بعُض الفقهاء بأنهم مُحاربون [٤]، فصمَّم وأمر بَمَسْكِ العبيد وإيداعهم السِّجن .

وفى يوم الاثنين سابع عشره أمر السلطانُ الشيخ رَاجِحَ ابنَ الرِّفَاعى وجماعته بأنهم لا يفعلون فى زواياهم ما لا يجوز كالمِزْمَار والطَّار والشعيبية ؛ بمقتضى مرسوم شريف سأله فيه أولادُ الشيخ عبد القادر الكيلانى ، وادّعوا أنهم ادّعوا على الشيخ راجح المذكور عند القاضى الحنبلى ، وأنه حكم عليه بذلك .

وفى يوم الثلاثاء ثامن عشره استقر الأمير خَيْرْ بَك النَّوْرُوزىّ حاجب صَفَد فى نيابة غزّة، بعد عزل طُوغَان العُثمانى نائِب غَزَّة [٥] ثم وصل الخبرُ بموت طُوغَان المذكور .

---

(١) أى الأشرفية برسباى .

(٢) أى الظاهرية برقوق — وتسمى البرقوقية، وقد مرت .

(٣) منية عقبة . قرية من أعمال الجيزة فى غربى مدينة الجيزة ، وعرفت بعقبة بن عامر الجهنى – رضى الله عنه – وكان واليا على مصر من قبل معاوية ، وانظر (على مبارك – الخطط ١٦ : ٧٣) .

(٤) الحرابة . فساد الدين (القاموس المحيط) والمعنى أنهم يفسدون فى أرض الإسلام لذا يجب عليهم العقاب .

(٥) فى النجوم الزاهرة ح ٧ : ١٦٤ ط كاليفورنيا « وذلك بمال كبير بذله له فى ذلك لوصاعة خير بك المذكور فى دولة .

● ذو الحجة : أوّله الأحد .

ففى لَيْلَتِهِ تُوُفِّىَ المعلّم محمد بن حسين الطُّولونى مهندس السُّلطان ، وصُلِّىَ عليه بسبيل المؤمنى ، وحضر السلطانُ الصلاة عليه .

وفى يوم الاثنين ثانيه لبس قاضى القضاة علم الدين صالح البُلْقِينى كامليّة بسمّور باستمراره على وظيفة القضاء .

وفى يوم الثلاثاء ثالثه تُوُفِّىَ الشريف أحمد النّعمانى .

٧٦ وفيه ظهر الطاعون بالديار المصرية / وفى يوم الخميس خامسه لبس على ابن إسكندر بن أخى زوجة كَمَشْبُغَا القيسى مُعَلِّم السلطان [على العمائر][1] عوضا عن محمد بن [حسين بن][1] الطولُونّى .

وفى يوم السبت حادى عشرينه رُسِمَ بالقبض على أسد الدين الكيماوىّ ، ونزل الأمير دُولات باى الدّوادار الثانى، وجَانَبك الوَالِى ونقيبُ الجيش، فاحتاطوا على داره وأخذوا موجوده ، فوجدوا له مائتين واثنين وأربعين دينارا وبعض كتب قليلة بالعجمىّ والتّركىّ فيما يتعلّق بالكيمياء، وأربعة قراريط ماس ، وبعض قماش البدن، وحُقًّا فيه بعض حشيش ، ومعجون ، وجوزة طيب ، وطُلِعَ به إلى السلطان ، فَجُعِلَ فى رقبته جَنْزيرٌ وبَاشْتَان[2] ووضع فى البُرْج ، وتغيَّرت الخواطر الشّريفة على يَرْعَلِى المُحتسب ورسَمَ عليه ؛ فإنه كان هو الذى طلعَ به إلى السلطان، ونوَّه بذكره وَقوّى عَزْمَ السلطان على تقريب هذا الكَذّاب .

وفيه استقر الحكيمُ ابن العفيف الشهير بقَوالح فى رياسة الطِّب والكحل بمفرده بعد عَزْل جماعةٍ من هذه الوظيفة فى رتبة مشايخ مشايخه .

---

(١) الإضافة من (النجوم الزاهرة ح ٧ : ١٦٤ ط كاليموريا)

(٢) الباشتان : تثنية باشة : وهى القيد الحديد الذى يجعل فى اليدين أو الرجلين وقد يضم ذلك إلى الرقبة . وأصلها حلقة ذات عروة وزر تجعل فى طرف القيد فتحيط برسغ الدابة عند الربط (المقريزى ــ السلوك ٢ : ٨٨٣ هامش الدكتور زيادة) .

وفى يوم الأحد ثانى عشرينه وصل مبشر الحاج العلائى على بن عبد الله الخواجا الزَرَدْكَاش.وأخبر أن الوقفة كانت يوم الاثنين بعرفات،وأن الأسعار متوسطة ،

وفيه أخلع على القاضى علاء الدين على بن محمد بن آقْبَرْس باستقراره فى حِسْبة القاهرة بمال قليل ثلاثة آلاف دينار، بذله عوضا عن يَرْ على العجمىّ الخُرَاسَانىّ الطويل .

وفيه عُقِدَ مجلسٌ بسبب أسد الدين الكيماوى بين يدى السلطان،ورأى قاضى القضاة بدرُ الدين بن التَّنَسِيّ المالكى أن يُحْبَس ، فطيف به ونودِىَ عليه ، وحبس بحبس المَقْشَرة .

وفى يوم الخميس سادس عشرينه وصل تِمْرَازُ البَكْتَمُرِىّ المصارع نائِب القُدْس — كان — إلى القاهرة ، ورُسِم بإقامته بالقاهرة بطّالا .

وفى ليلة السبت ثامن عشرينه تُوُفِّى شيخ الإسلام قاضى القضاة الحافظ شهاب الدين ابن حجر.

وفيه ولى الشيخُ علاءُ الدين القَلْقَشنْدى تدريس الحديث بجامع ابن طولون ، وَوَلِىَ تدريس الفقه بالجامع المؤيدى الشيخُ جلالُ الدين المَحَلّى ، وولى قاضى القضاة علمُ الدين صالح البُلْقِينىّ تدريسَ المدرسة الصالحية والنظر عليها ، وولى الشيخُ شمس الدين بن حسّان تدريسَ الحديث بقبة الخانقاه البِيبَرْسية ، كل ذلك عوضا عن ابن حَجَر بعد موته .

٧٧ وفيه عُقِدَ مَجْلس بالعلماء والقضاة بسبب / أسد الدين الكيماوى بحضرة السلطان ، وادُّعِى عليه بأمور منها : أنه دَهْرِىٌّ ، وأنه يُنْكر البَعْثَ . فقال قاضى القضاة المالكى : مذهبى تُقْبَلُ تَوْبَتُه ، فانتدب شخص من فضلاء المالكية يقال له شمس الدين الدّيَسْطِى المالكى (١ كان يدرب الأطفال بالقسم ١) فقال : المذهب أنه زنْدِيق ، وساعده على ذلك أبو الفضل المغربى ، والشيخ أحمد الأبدى وغيرهم ، وأوسع أبو الفضل الكلامَ فى ذلك وقال : إنْ أُذِنَ له بالحكم فعل ، فَأَذِنَ له القاضى المالكىّ والسلطانُ ، ونزل الجميع إلى الصالحية ، فلم يُفْعَل فى ذلك اليوم شىء .

● أمر النيل فى هذه السنة : كانت القاعدة-أعنى الماء القديم-ستة أذرع وثمانية عشر إصبعا ، وكان مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا وثلاثة وعشرين إصبعا .

(١ — ١) الإضافة عن هامش الأصل .

ذكر من تُوُفِّى من الأعيان فى هذه السنة ممن تقدم ذكره على سبيل الاختصار

تُوُفِّىَ الشيخ بُرْهَانُ الدين إبراهيم بن خِضْر[١] العثمانى الشافعى فى ليلة الخميس خامس عشر المحرم ، وكان فاضلا ذكيا ، تفقه بشيخ الإسلام قاضى القضاة ابن حجر وبغيره ، ودرس وأقرأ وعُدَّ من الفقهاء ، إلا أنه كان دَنِسَ الثياب غير ضوئى الهيئة — رحمه الله.

٧٦

وتُوُفِّىَ الشيخُ شهابُ الدين أحمد بن عثمان الرّيشىّ[٢] الشافعىّ فى يوم الأربعاء حادى عشرين المحرّم ، وكان له بعض اشتغال قديم مع توقف زائِد فى ذهنه ، وآخر الأمر ترك الاشتغال بالعِلْم وتردّد إلى أعيان الناس ، وخرج فى قالب السّاحر بمجالس الأكابر لأجل البُلْغَة والقُوت .

وتُوُفِّىَ الأميرُ سيفُ الدّين آقطُوَه بن عبد الله الموساوى[٣] الظاهرىّ — بطالا — فى ليلة الثلاثاء ثانى عشر صفر وصُلِّىَ عليه من الغد ، كان أصله من المماليك الظاهرية برقوق ، وصار دواداراً صغيراً فى الدَولة المؤيّدية شيخ ، ثم تأمَّر بعد ذلك عشرة ، وولى المِهْمَنْدَارِيَة[٤] فى الدولة الأشرفية بَرْسْبَاى ، ثم جعله الملك الظاهر أمير طبلخاناه ، ثم نفاه أُولى وثانية إلى أن مات بطالاً مقهوراً بالقاهرة ، وكان تركىّ الجنس ، بخيلا جبانا عَبُوسَ الوجه — لا للسيف ولا للضيف — عفا الله عنه .

---

(١) هو إبراهيم بن خضر — بكسر الخاء وسكون الضاد — بن أحمد بن عثمان بن كريم الدين جامع بن محمد ابن فوارة بن فضالة بن عكاشة بن يحيى بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبى الطيب بن هبة الله بن أبى إسحاق محمد ابن ميكائيل بن عمرو بن عثمان بن عمان — برهان الدين العثمانى الصعيدى القصورى (السخاوى — الضوء ١ : ٤٣ — ٤٧) و (النجوم الزاهرة ح ٧ : ٣١٦ ط كاليفورنيا) .

(٢) هو أحمد بن عثمان بن محمد . الشهاب الريشى نسبة إلى كوم الريش من ضواحى القاهرة ، ولد تقريبا سنة ٧٧٨ ه (السخاوى — الضوء اللامع ٢ : ٢ ، ٣) . و (النحوم الزاهرة ٧ : ٣١٦ ط كاليمورنيا) .

(٣) له ترجمة فى النجوم الزاهرة ج ٧ : ٣١٦ ط كاليفورنيا) .

(٤) المهمندارية : مدرسة تقع بخط البرادعية بالدرب الأحمر بين حامعى الماردينى وأبى حريبة ، ساها شهاب الدين احمد المهمندار سنة ٧٢٥ هـ ، وتعرف بزاوية المهمندار (على مبارك — الخطط ٦ : ١٦) .

وتُوُفِّى الشيخُ زينُ الدين عبد الرحمن السَّنْدَبِيسىّ [١] الشافعى أحد الفقهاء الشافعية فى ليلة الأحد سابع عشر صفر ، ودُفِن من الغد.رحمه الله .

٧٨ وتُوُفِّى الأميرُ سيف الدين أَسِنْبَاى بن عبد الله الظاهرى [٢] الزَّرَدْكَاش / أحد أمراء العشرات بالقاهرة فى العشر الأخير من صفر ، وكان من أعيان المماليك الظَّاهرية برقوق ، ثم صار زَرَدْ كَاشاً فى الدَّولة المؤيَّدية شيخ إلى أن عَزَله الملكُ الأشرفُ بالأمير قُجْقَار جَغْطَاى ، واستمرّ به على إمرة عشرة على عادته ، ودام على ذلك دهراً ، وولى نيابة ثغر دِمْيَاط غير مرّة ، وكان من محاسن الدنيا ، كان عارفا بأحوال المماليك ، أُسِر مع تَيْمُورلَنْك سنين ، وحظى عنده ، وكان له إلمام بالتاريخ مما رآه ، ومحاضرة حسنة ، وسكون مع عقل وحشمة ، وقيل إنه كان أصله من أشراف بَغْدَاد ، وأُخِذَ صغيرا . والله أعلم . وكنتُ أُريد أن أسأله عن ذلك ؛ لأنه كان لى به صحبة فأنسانى اللهُ ذلك ، ومات وهو فى عشر التسعين تخمينا . رحمه الله تعالى وعفا عنه .

وتُوُفِّى الصَّاحُب الوزيرُ كريم الدين عبد الكريم ابن الصاحب الوزير تاج الدين عبد الرَّزاق ابن شمس الدين عبد الله المِصرى المعروف بابن كاتب [٣] المناخ ، وِلِىَ الوَزَرَ سنين ، وباشر الأستادارية وكتابة السّر ، وصودر وأخذ منه نحو العشرين ألف دينار ، ثم وَلِى كشَف الوجه القبلى ، ثم عزل وتوَجّه إلى بندر جُدّةَ بالبلاد الحجازية لضبط ما يتحصل من البندر رفيقا للأمير يَلْخَجَا من مَامِش الناصرى الشامى ، ثم عاد وَوَلى الوَزَر واستمرّ فيه إلى أن تعلَّل ولَزِمَ الفراش أَشْهُراً ، واستعفى فأُعْفِىَ ، واستقرّ عوضه الصاحبُ أمين الدين إبراهيم بن الهيصم واستمرّ هو فى مرضه إلى أن تُوُفِّى يوم الأحد حادى عشرين جمادى الآخرة ، وكان لا بأس به بالنسبة إلى أبناء جنسه من القبط ـــ عفا الله عنه .

---

(١) هو عبد الرحمن بن محمد بن يحيى ـــ الزين أبو الفضل بن التاج السنديسى ، ولد سنة ٧٨٥ ه ،واتفق السخاوى مع مؤلفنا فى سنة وفاته ، وخالفهما ابن العماد فى الشذرات حيث جعل دفاته فى سنة ٨٥٣ هـ (السخاوى – الضوء اللامع ٤ – ١٥) و (ابن العماد – شذرات الذهب ٧ : ٧٩) و (النجوم الزاهرة ح ٧ : ٣١٦ ط كاليفورنيا) .

(٢) له ترجمة فى (النجوم الزاهرة ج ٧ : ٣١٨ ط كاليفورنيا) .

(٣) له ترجمة فى (النجوم الزاهرة ح ٧ : ٣١٨ ط كاليفورنيا)

وتُوفِّيت سُورَبَاى مَوْطُوءَة السُّلطان الملك الظاهر جَقْمَق وحظِيَّته بعد مَرض طويل فى بولاق يوم الجمعة سادس عشرين شهر ربيع الآخر ، وكانت جاركسية الجنس ، ووَجَد السلطان عليها وَجْدًا عظيما — رحمها الله تعالى .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين شاهين بن عبد الله الطُّوغَانىّ [١] نائِب قلعة دمشق فى جمادى الأولى بها ، وكان من مساوىء الدهر بخُلا وحُمقاً وجُبْنا ، كان أصله من مماليك الأمير طُوغَان الحَسَنِى الدَّوَادَار فى الدَّولة النَّاصرية فرج ، واتَّصَل بخدمة الملك الظاهر جَقْمَق فى أيام إمرته /ب وصار دواداره ، فلما تسلطن جعله من جُملة الدَّوادارية الصِّغار ، ثم ولاه نيابة قلعة حلب ، ثم عزله وولاه بعد مدة نيابة قلعة دمشق إلى أن تُوفِّى ، وتولى نيابة القلعة من بعده الأمير بَيْسَق اليَشْبُكىّ — عفا الله عنه . ٧٩

وتُوُفِّى الناصرىّ محمد بن على بن شعبان ابن الملك الناصر حسن ابن الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون [٢] فى يوم الخميس سابع جمادى الآخرة، كان محمد المذكور فى مبادىء أمره من جملة أولاد الأسياد ، وبه فاقة عظيمة إلى أن تسلطن الملكُ الظاهرُ جَقْمَق داخله المذكورُ فحظِيَ عنده وصار من نُدَمَائِه ، ونالته السعادة ، وكثر ماله وأملاكه ، وكان بشوشا متواضعا عارفا بفن الموسيقا ورمْى النّشَّاب،كلاهما بحسب الحال ، إلا أنه كان بخيلا جدًّا ، ذاق الغنى بعد فقر — رحمه الله تعالى وعفا عنه .

وَتُوُفِّيتَ خوندسِتّ الملوك بنت الملك الظاهر طَطَر وَزَوْجَة الأتابكى يَشْبُك السُّودُونى فى يوم السَّبت ثالث عشرين جمادى الآخرة ، ودُفِنَت مِنَ الغد ، وكانت من خيار الخَوَنْدَات ، وأمّها خَوَنْد سُودُون الفقيه أم الملك الصالح محمد بن الظّاهر طَطَر ، وهم من بيت دين وعِفَّة .

وتُوُفِّى الشيخُ الإمام العلامة المحدث الرُّحلة زين الدين رضوان بن محمد

(١) له ترجمة فى (النجوم الزاهرة ج ٧ : ٣١٩ ط كاليفورنيا) .

(٢) له ترجمة فى (النجوم الزاهرة ج ٧ : ٣١٩ ، ٣٢٠ ط كاليفورنيا) .

ابن يوسف العُقبى الشّافعى [١] مستملى الحديث فى يوم الاثنين ثالث شهر رجب ، وكان فاضلا عالما مُفَنِّناً فى كل علم ـــ رَحِمه الله تعالى .

وتُوفِّى الشيخُ المعتقدُ أبو الفتح بن أحمد بن محمد وَفَا السَّكَنْدَرِى [٢] الأصل المِصْرِى المَوْلد المالِكِى المذهب الشَّاذلى الطريقة ، المعروف بابن وفا فى يوم الاثنين أوّل شعبان ، وصُلِّى عليه بجامع عَمْرو بن العاصى رَضِىَ الله عنه ـــ ودُفِن عند والده وجدّه بالقرافة ، وكانت جنازتهُ مشهودة ، وكان إماما عالما ورِعاً فقيها شاعراً أديباً مُفَنَّناً ، مِن بَيْت فضل وعلم وصلاح ودين ، ونظم ووعظ ، وله شعر رائِق ونظم فائِق ، وتُوفِّى ـــ رحمه الله ـــ وسنّه نحو الستين سنة تقريبا ومن شعره : [الوافر] :

تَوَجَّهَ نَحْوَكُم سِرِّى وَجَهْـرِى وَجِئْتُ حِمَاكُمْ أَسْعى وأسرى
وأَلْقَيْتُ الفُـؤَادَ لَكُـم ـبيعـاً وغيرَ العِشْقِ فيكُمْ لَسْتُ أدرى
وقَـفْتُ بِبَابِكُـم عَبْـداً فَقِيـراً أُرَجِّى فَضلَكُـم لِغَنَـاءِ فَقْـرِى
فَمنُّـوا سَادَتِـى كَرَمًـا وَجُـوداً فَحُسْنُ صَنِيعِكُم كَنزِى وذُخْرِى
ومَنُّونِـى فلـم أعـرِف سِواكُـم عَلَى حُبِّى لَكُم حَشْرى ونَشْرِى
عَرَفْتُ اللهَ حينَ عَرَفْتُكُمْ يَـا حَياةَ الحِّى عُرْفاً دُونَ نُكرِ

ومن شعره أيضا [مخلع البسيط]

يأَمَـــنْ لَهُـــمْ بالوَفَـــا يُشـار بأَيكُـــم تَعْمـــرُ الدِّيَـــار
لِخَوْفِنَـــا أَنْتُـــمُ أمـــانُ لِقَلْبِنَـــا أَنْتُـــمُ قَـــرَارُ

---

(١) هو رضوان بن محمد بن يوسف بن سلامة بن البهاء بن سعيد ـــ الزين أبو النعيم وأبو الرضا العقبى ثم القاهرى الصحراوى الشافعى ولد فى رجب سنة ٧٦٩هـ بمنية عقبة من أعمال الجيزة (السخاوى ـــ الضوء اللامع ٣ : ٢٢٦ ـــ ٢٢٩)(النجوم الزاهرة ج ٧ : ٣٢ ط . كاليفورنيا) .

(٢) هو محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن النجم . فتح الدين أبو الفتح بن الشهاب أبى العباس السكندرى الأصل القاهرى المالكى الشادلى ، وهو بكنيته أشهر ، ويعرف بابن وفا ، ولد تقريبا سنه ٧٩٠ هـ بالقاهرة (السخاوى - الضوء اللامع ٧ : ٩٢) و (النجوم الزاهرة ٧ . ٣٢٠ ، ٣٢١ ط . كاليفورنيا) .

بِوَبْلِكُـــم جـدبُنَا خصيب
بِوَجْهِكُـــم لَيْلُنَـــا نَهَـــار
لَكُم تُشَدُّ الرِّحَـال شَوْقـاً
وَبَيْتكُـــم حقّـــهُ يُـــزَارُ

ومنها :

لَـوْ جِئتُ أسْعَـى عَلَـى عُيُونِـى
لَكَـانَ لِـىَ السَّعْـدُ والفَخَـارُ
لا تَنْسُبُونِـــى إلـــى سُلُـوٍّ
قَلْبِـــى عَلَيْـــه السُلـوّ عَـارُ
لَكِـــنَّ لمـــا رأى الأعـــادى
عُلُـوَّ قـدْرى فـى الـحب غـاروا

وقال أيضا : [البسيط]

شَربتُ مِن حُبِّكُم كأساً حَلاَ وَصَفا ... مَعْنًى تحيرَّ فيه كُلُّ مَنَ وَصَفَا
فاسْتَغْرَقَ الوجدُ أجزائى وَقَدْ مُلئت ... مِن نُورِ مَعْنَاكُمْ الأوفى هُدًى وشِفَا
لَوْ جِئتُ حَيَّكُمْ أسْعَى عَلَى بَصَرِى ... لَكَانَ لِى غَايَةَ التَّعْظِيمِ والشَّرَفَا
تاللهِ مَا نَظَرَتْ عَيْنِي لِوَجْهِكُمْ ... إلاَّ آمتلأتْ سُرُوراً واَكْتَسَيْتُ صَفَا
ولاَ تذكَّرتُ أنِّى عَبْدُ حُبِّكُمْ ... إلاَّ طَرِبْتُ وأهدَى الوجدُ لى تُحَفَا
رُوحى لَكُمْ لَمْ تَزَل بالغيبِ شَاهِدة ... والقلبُ عن حُبِّكُم واللهِ ما انْصَرَفَا
سيّرتُ عزمى وحالُ الشوق يصحبنى ... حتى انتهى بى إلى أبْوَابِكم وَقَفا
ثم استقرَّيتُ فى أكناف حَضْرتِكُم ... قَرِيرَ عَيْنٍ بِوَصْلٍ بَعْدَ طُول جَفَا

وقال رضى الله عنا به : [البسيط]

لَمْ يَلْقَ فى حُبِّكُم هَمًّا و لاَ فَرَقًا ... عَبْدٌ تَرَقّى إلى عَلْيَائِكم فَـرَقَا
أَشْهَدْتُمُوه جَمَالاً جَلَّ عَنْ شَبَهٍ ... فَهَامَ وَجْداً وَعِشْقاً فِيه مُذْعَشِقَا
فَقَلْبُه لَمْ يَمِلْ يَوْمـاً لِغَيْرِكُـمُ ... وطَرْفُه لِسِوَاكُم قطُّ مَارَمَقَـا
واللهِ يَاسَادَتِـى يامنتهـى أَمَلِـى ... مَازَال حُبُّكُمْ دِيني وَلِى خُلُقَا

٨٠ ومُذْ تَحَقَّقَ قَلْبِي بالوِدَادِ لَكُم مَا حَلَّ سَاحَتَه غَمٌّ ولا طَرَقَا
قَدْ طَافَ قَلْبِي بِهَذَا الَحى مُسْتَلِماً رُكْنَ الأَمَانِ وَفِى عَهْدِ الوَفَا صَدَقَا
وبِالصَّفَا وَالْوَفَا يَسْعَى لِبَيْتِكُم يَرُوم طُولاً عَلى تَقْصِيرِه غَدَقاً

وهى أطْوَل من هذه ، وله غير هذه القصائد كثير ، ومن غُرَرِ قصائدِه أيضا القصيدة التى أوّلها [الكامل] :

الرَّوحُ مِنِّى فى المَحَبَّةِ ذَاهِبَهْ فاسْمَح بوَصْلٍ لاعِدِمْتُك ذَا هِبَهْ
عُرِفَتْ أيادِيك الكِرَامُ بأنها تأسو الجراح من الخلائِق قاطبه
قَدْ خصّك الرحمنُ منه خَصَائِصا فَحَلَلْتَ من أوْجِ الكمالِ مَرَاتِبَه
وَبنورِكَ الوَضَّاحِ فى غَسَق الدُّجى أطلعتَ فى فَلَكِ الوَفَاءِ كَوَاكِبَه
مازلتَ بالمعروف تُعْرَفُ دائماً وتُنيلُ مَنْ آوى إليك مطالبَه
لم يَبْقَ فى قَلْبى سِوَاك مِنَ الوَرَى كَلاَّ وَلاَ فيه لِغَيْرِكَ شائِبَهْ
بِكَ يَمْنَح اللهُ الوجودَ بجُودِه ويبثُّ فيه عطاءَهُ ومَوَاهِبَه
وتَطِيبُ مِنْكَ أصولُهُ وفروعُه وتعِيشُ أرواحٌ لبعدِك ذائِبَهْ
رَبْعُ الوفاءِ بِنُورِ وَجْهِكَ عامرٌ أغْذَيْتَ للوُرَّادِ مِنه مَشارِبَه
وجَمِيلُ سَتْرِكَ بالوَفَا عمّ الوَرَى فَمَن آحْتمى فيه سَتَرْتَ مَعَايِبَه

وتُوفِّى الشهابى أحمد بن نَوْروز [بن عبد الله](١) الخضرى شاد الأغنام بالبلاد الشامية،وأحد أمراء العشرات بالديار المصرية،فى يوم الأحد رابع عشر شعبان ، وتولّى إمرة الرّكب الأول بعد موته قَانَم التَّاجر ، وكان أحمد هذا ممن أنشأه الملك الظاهرُ جَقْمَق ، وكان سالبة كلية من كل علم وفن ، مُسْرِفاً على نفسه غير مشكور السيرة فى أفعاله وحركاته ـــ عفى الله تعالى عنه .

وتُوفِّى الأمير سيف الدين تَغْرى بَرْمُش بن عبد الله الجلالى الناصرى ثم المؤيّدى(٢) ـــ المعروف بالفقيه ، نائب قلعة الجبل ـــ بالقدس بطالا بالطاعون فى يوم الجمعة ـــ ثالث شهر رمضان بالقاهرة ورابع شهر رمضان بالقدس ـــ كان

(١) له ترجمة فى(النجوم الزاهرة ج ٧ : ٣٢١ ط . كاليفورنيا) والإضافة منه .
(٢) له ترجمة فى(النجوم الزاهرة ج ٧ : ٣٢٣ ط . كاليفورنيا) .

اشتراهُ الملك الظاهر جَقْمَق من حَلَب لَمَّا كان جنديا ، وقدّمه لأخيه جاركس القاسِمىّ المصارع ، ثم اتّصل بعد جاركس إلى الملك الناصر فرج ، ثم ملكه الملك المؤيّد شيخ بعده وأعتقه ، وحفظ القرآن العزيز ، وتفقّه يسيراً إلى أن صار خاصّكيًّا بعد موت الملك المؤيد ، ووقع له [حوادث][1] ذكرناها فى ترجمته فى تاريخنا المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى إلى أن أمّره الملكُ الظاهر جَقْمَق عشرة ، وجعله نائِب قلعة الجبل بعد موت الأمير مَمْجَق النّوْرُوزِىّ ، فراج أمره فى الدولة قليلا ، ثم ركضت رِيحُه ، وعُمِلَ عليه حتى أُخرِج إلى القُدس بطّالا ، ومات به ، وكان عنده فضيلة ومشاركة فى فنون ، وله يد فى أسماء الرِّجال ، وذكاءٌ وحِذْق — رحمه الله تعالى .

٨١

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين صَرْغَتْمُش القَلَمْطَاوِىّ[2] أحد أمراء العشرات بالقاهرة،فى يوم السبت رابع شهر رمضان ، وأُنعم بإقطاعه على سُنقر الخازندار الجُعَيْدى زيادة على ما بيده من حصة بجيبين القَصْر ، كان أصل صَرْغَتْمُش هذا من مَمَالِيك الأمير قَلَمْطَاى الدّوَادار ، وتنقّل فى الخدم حتى صار من جملة أمراء العشرات ، وكان مهملاً جدا بخيلا سيِّىء الخُلق — عفا الله تعالى عنه .

وتُوُفِّى الشهابى أحمد الكاشف منفيا بدمشق فى شهر رمضان ، كان أصله من جملة العَوامّ ، وتنقل فى الخدم حتى وَلِىَ كَشْفَ التُّراب بالغربية ، ثم حدثته نفسه لما أثرى وكَثُر ماله بالأستادارية ، فعمل عليه زين الدين يحيى الأستادار حتى أخرجه إلى دمشق ، ومات بها — رحمه الله .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين طُوغَان بن عبد الله العثمانى[3] نائِب القُدس ثم نائِب غزة فى ذى القعدة ، كان من مماليك الأتابَك أَلْطُنْبُغا العثمانى ، وتنقل بعد موت أستاذه حتى صار خاصّكِيًّا ، ثم ولى نيابة القُدس سنين ، وقمع أهل الفساد ومهّد البلاد ، وأضِيف إليه نظرُ الحرمين فى بعض الأحيان ، ثم عزل بعد سنين،وتَوَلَّى

---

(١) الإضافة يقتضيها السياق .
(٢) له ترجمة فى(النجوم الزاهرة ج ٧ : ٣٢٥ ، ٣٢٦ ط . كاليفورنيا) .
(٣) له ترجمة فى(النجوم الزاهرة ج ٧ : ٣٢٦ ط . كاليفورنيا) .

حجوبية الحجاب بحلب، بعد موت قَانِى بك الجَكَمِىّ، فى حدود سنة خمسين وثمانمائة ، ثم نقل إلى نيابة غزة فباشرها إلى أن تُوُفِّىَ بها ، وكان شجاعا سفَّاكا للدماء ، رحمه الله وعفا عنه .

٨٢ وتُوُفِّىَ المعلم محمد بن حسين بن الطولونى مهندس السلطان / فى ليلة الأحد أوّل ذى الحجة ، ودُفِن من الغد ، وحضر السلطانُ الصلاة عليه بمصلاة المؤمنى ، وكان شابا يتدَين ، وفيه لينٌ مع طيش وخفة ـــ رحمه الله .

وتُوُفِّىَ السيّد الشريف شهاب الدين أحمد النعمانى ، المقيم بمصر القديمة فى يوم الثلاثاء ثالث ذى الحجة ، وكان متديِّنا صالحا ـــ رحمه الله .

وتُوُفِّى الإمام الشيخ العالم العلامة الحافظ قاضى القضاة شيخ الإسلام حافظ عصره شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن الشيخ نور الدين على بن محمد بن محمد ابن على بن أحمد المصرى الشافعى المعروف بابن حجر(١) قاضى قضاة الدِّيَار المصرية وحافظها ، مولده فى ثانى عشرين شعبان سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة ، وتفقه بعلماء عصره ، وبرع فى الحديث حتى صار إمام وقته ووحيد دهره وفريد عصره ، وقال الشعر المليح الفائِق ، وأفتى ودرّس ، وَوَلِىَ عِدَّة وظائف دينية ، ثم ولى قضاء الديار المصرية غير مرة ، أوّل ولايته بعد عزل قاضى القضاة علم الدين صالح البُلْقِينى فى سابع عشرين المحرم من سنة سبع وعشرين وثمانمـــائة ، وعزل غير مرّة حسبما ذكرناه مفصلا فى ترجمته فى تاريخنا المسمى بالمنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى ، وآخر ولاياته لَمَّا عُزِلَ بقاضى القضاة علم الدين صالح البُلْقِينىّ فى خامس جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين . واستمر مصروفا إلى أن تُوُفِّىَ ليلة السبت ثامن عشرين ذى الحجة ، وصُلِّى عليه من الغد بمصلاة المؤمنى ، ومشت أعيان الدَّولة فى جنازته من داره بالقُرب من باب القنطرة إلى الرَّملة ، وحضر السلطانُ الصَّلاة عليه ، وكانت جنازته مشهودة إلى الغاية ، قال بعض الأذكياء : إنه حَرَز مَنْ شَهِدَ جنازته فكانوا نحوَ الخمسين ألفا وأكثر ، وكان يوما عظيمًا على المسلمين حتى

(١) له ترجمة فى(النجوم الزاهرة ٧ : ٣٢٦ ـــ ٣٢٨ ط . كاليفورنيا) .

على أهل الذِّمَّة ، ولقد حكَى لِى مَنْ رأى اليهود والنصارى يبكون عليه ، ودفن بالقرافة ، ورثاه الشعراء ، وكان له-رحمه اللهُ-اليدُ الطولى فى النَّظْم والنَّثر ، ومات ولم يخلف بعده مثله ، ومن شعره ما أنشدنى من لفظه لنفسه : [الطويل]

خَلِيلَىَّ وَلَّى العمرُ مِنَّا وَلَمْ نَتُبْ ... ونَنْوِى فِعَال الصَّالِحَات/ وِلكنَّا ٨٣

فَحَتَّى مَتَى نَبنِى بُيُوتاً مشيدَةً ... وأعمارنا منا تُهَدُّ ولا تُبْنَى

ومن شعره أيضا : [المنسرح]

سألتُ مَنْ لَحْظُهُ وَحَاجِبُه ... كالقَوْسِ وَالسَّهْمِ مَوْعِداً حَسناً

فَفوَّقَ السَّهْمُ مِن لَوَاحِظِهِ ... وَٱنقَوَسَ الحاجِبَان وَٱقْتَرَنَا

ومن شعره أيضا : [الطويل]

أَتَى مِن أحبَّائى رسولٌ فَقَال لى ... تَرَفَّقْ وَهُنْ وٱخْضَعْ تَفُزْ بِرِضَانَا

فَكَمْ عَاشِقٍ قَاسَى الهَوَانَ بحُبِّنا ... فَصارَ عَزِيزاً حِينَ ذَاقَ هَوَانَا

وله أيضا فى وقاد : [الكامل]

أحببتُ وَقَّادًا كَنْجم طَالِعٍ ... أنزلتُه بِرِضَى الغَرَامِ فُؤَادِى

وأناالشّهَابُ ـ فَلاَ يُعاند عَاذِلِى ... إن مِلْتُ نحوَ الكوكب الوَقَّادِ

وله أيضا رحمه الله : [الطويل]

وأهْيَف حَيَّانِى بطيب وِصَالِه ... وَمِن رِيقِه الخمرُ الحلالُ حَلاَ لِى

أدَارَ لِىَ(١) الكأسين خمرا وريقَة ... ونزَّهنى عن جفوة ومَلاَ لِى

وله أيضا القصيدة النبوية الفائيَّة التى أوّلها : [البسيط]

إن كُنتَ تُنكِرُ شَوْقاً زَادَنِى كَلَفا
حَسْبِى الذى قَد جَرَى مِن مَدْمَعِى وَكَفَى

وإنْ تشككتَ فٱسأل ، عاذِلِى شَجَنِى
هل بتُّ أشكو الأسى والبَثَّ والأسفا

(١) فى الأصل « إذا ولى الكأسين حمرا وريقه » وماأثبته يصح وزنا ومعنى .

أحبابَنَا ويدُ الأسقام قَدْ عَبَثَت
بالجسم هل لِى مِنْكُم بالوِصَال شِفَا
كَدَّرْتُ عَيشاً تَقَضَّى فى بِعَادِكُمُ
وَرَاقَ مِنِّى نسيبٌ فِيكُمُ وَصَفَا
سِرْتُم وخَلّفْتُمُ فى الحَىِّ مَيْتَ هَوًى
لَوْلاَ رجاءُ تلاقيكُم لَقَد تَلِفَا
وَكُنْتُ أَكْتُمُ حُبِّى بَعْدَكُم زَمناً
حتَّى تَكَلَّم دمعُ العَيْنِ فانْكَشَفَا

وهى مُطوَّلةٌ جدا ، أضربنا عن باقيها خشية الإطالة ، ولقد مدح النَّبى ﷺ بعدّة قصائد .

فأما مصنفاته فكثيرة استوعبنا غالبها فى ترجمته فى تاريخنا « المنهل الصافى » وغيره ــ رحمه الله .

★ ★ ★

سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة

استهلت هذه السنة وأرباب الدولة على ما تقدم ذكره،خلا من ذكرناه فى وقته .

● المحرم: أوّله الاثنين .

ففى يوم الثلاثاء تاسعه شكا تِمْرَازُ نائِب القُدس-كان-على القاضى أمين الدين عبد الرحمن بن الدّيرى إلى / السلطان،وآدّعَى أنّه أثار فتنةً بالقُدْس حَصَل بسببها قِتَالٌ وُقتِل مِن مماليك تِمْرَاز شخص ، وأنَّ ابنَ الدّيرىّ نَادَى بقَفْلِ المسجد الأقصى ، وبالجهاد فى تِمْرَاز ، وأنه كافر ، فآستشاطَ السلطان من ذلك ، وأمر بوضع الجنزير فى رقبة عبد الرحمن بن الدّيرى ، وبإرساله إلى حبس المقْشَرَة ، فوُضِع فى رقبته جَنْزِير وذُهِبَ به ، فَشُفِعَ فيه فَقُلِعَ الجَنْزِيرُ من رقبته عند باب الجامع الذى[١] بالقلعة . وأمر بحمله هو وخصمه إلى القاضى المالكى ، فحُمِلاَ إليه . ٨٤

وفى الخميس حادى عشره ضُرِبتَ رقبةُ أسد الدين الكيماوىّ بمقتضى أنّه ثبت عند القاضى شمس الدين محمد الدِّيَسْطِىّ المالكى زَنْدَقَتُه ، ثم بعد ذلك ألحق فى الإسجال أنه ثبت عنده أنه ملحدٌ كاذب ؛ قلت : وقَتْلُ أسد الدين هذا كان من أكبر المصالح ، فإن سيرته عند الأعاجم قبيحة لأ. رتكبها فى تلك البلاد ، ووقع له أيضا مع ألوغ بَك بن شاه رُخ ما كان فيه ذهاب روحه،ولكن مَنِيَّته ما كانت إلا بمصر ، وقد عَظُمَ قدر أسد الدين هذا على خلائِق من الناس ممّن لا يعرف حقيقة أمره ، وزعموا أن بعد قتله وقع الوباء والغلاء والشّراقى وهذه الآفات ، وليس كذلك وإنما كل ما تراه بقدَرٍ مَقْدُورٍ .

وفى يوم السبت ثالث عشره وقع الصلحُ بين تِمْرَاز وبين ابن الدّيرى وأبى الخير

---

(١) المراد هو الجامع الذى أنشأه السلطان الناصر محمد بن قلاوون وقدمر التعريف به .

النحاس فى بيت ناظر الخاص ، وأعطى كل منهما فرساً مسروجاً .

وفيه جاوَزَ تَعْرِيفُ الأموات المائة فى كل يوم

وفى يوم الأحد رابع عشره تُوُفِّى شهابُ الدين الهَيْتِى أحد الطلبة .

وفى يوم الاثنين خامس عشره تُوُفِّى شهاب الدين المسطيهىّ أحد نوّاب الحكم .

وكان عِدّةُ التعريف فى هذا اليوم مائة وستة عشر ، وفيه جاوزت مصلاة باب النصر المائة فى اليوم ، ولا عبرة بالتعريف فى أيام الطاعون .

وفى يوم الثلاثاء سادس عشره وصل عدّةُ التعريف مائة وأربعة عشر .

وفى يوم الأربعاء سابع عشره جاءت العِدَّة مائة واثنين وثمانين .

وفى يوم الجمعة [تاسع عشره] وصل ركبُ المماليك المجاورين إلى القاهرة .

٨٥ وفى يوم السبت عشرينه / دخل الركب الأوّل من الحاج إلى القاهرة، وأميره الأمير قائم التاجر ، ثم دخل من الغد رَكْبُ المحمل وأميرُه الأمير سَونْجبُغا اليُونُسِىّ الناصرى ، وكلاهما أمير عشرة .

● صفر: أوّله الأربعاء . فيه عَظُمَ الطاعون بالديار المصرية ، فكان عدة من يموت فيه زيادة على ألف نفس تقريبا ، ولا عبرة بمنَ يَرِدُ الديوان من الأموات ؛ فإن غالب الناس فى عظيم الوباء يُخرج الأموات من غير إطلاق على توابيت الأوقاف ، فلهذا يكون التعريف فى أيام الوباء لا عبرة به .

وفى يوم الأربعاء هذا تُوُفِّى سيدى أحمد ــ ابن أخت السلطان مُرادبَك ابن عثمان ــ ابن السلطان الملك الظاهر جَقْمَق .

وفى يوم الخميس ثانيه تُوُفِّى شيخُ سعيد السعداءِ علاء الدين الكرمانى .

وفى يوم الاثنين سادسه تُوُفِّى الشريف حسن بن على المعزول عن نقابة الأشراف .

---

(١) التعريف عدة من يرد اسمه فى الديوان ، يستفاد ذلك مما ورد فى النجوم ١٥ : ٣٨٩ فى حوادث سنة ٨٥٣ ﻫ وماتت فى هذا الشهر جماعة كثيرة من الأمراء وأعيان الدولة (أبو بهاة)

وفيه تُوُفِّى بُرْهَان الدين إبراهيم بن ظهير ناظر الإسطبل ، ودفن من الغد .

وفى أوّل هذا الشهر تُوُفِّى الشريف على بن حسن بن عَجْلاَن المعزول عن إمرة مكّة بثغر دِمْيَاط ، وورد الخبر بموته فى يوم الجمعة عاشره .

وفى يوم الجمعة المذكور تُوُفِّى الأمير تِمْرَاز أمير سلاح ، ودفن من الغد ، يأتى ذكره فى آخر السنة مع من مات فيها من الأعيان .

وفى يوم السبت حادى عشره تُوُفِّى جماعةٌ من الأعيان وهم : بنت السلطان الملك الظاهر جَقْمَق وهى شقيقة أحمد ، وعمرها فى التاسعة ، وتِمْرَاز المتقدم ذكره ودفن فى اليوم المذكور ؛ وهو يوم السبت .

وفيه أيضا ماتت بنت الخليفة المستكفى بالله .

وفيه مات الناصرىّ محمد بن الأمير طُوغَان الدَّوَادار فى الدولة الناصرية والمؤيدية شيخ .

وفيه مات خَازِنْدَار القاضى كمال الدين البَارِزِىّ كاتب السّر الشّريف ، فكان هذا اليوم من الأيام المهولة، تحيرت أعيانُ الدولة إلى من تتوجّه من الجنائز .

وفى يوم الأحد ثانى عشر صفر أعيد القاضى بُرْهَان الدين إبراهيم بن الدِّيرى إلى نظر الإسطبل السلطانى بعد موت ابن ظهير .

وفى يوم الاثنين ثالث عشره تُوُفِّى قاضى القضاة بدر الدين محمد التَّنَسِىّ المالكى .

وفيه استقر الأمير جربَاش الكريمىّ الظاهرىّ/ حمو السلطان-فى إمرة سلاح-بعد موت الأمير تِمْرَاز القرمَشِىّ، واستقر الأمير تَنَم من عبد الرزاق المؤيدىّ المعزول عن نيابة حلب فى إمرة مجلس عوضا عن جرِبَاش المذكور . ٨٦

وفيه أيضا أُنْعِمَ على الأمير دُولاَت بَاى المحمودى المؤيدى الدَّوادار الثانى بإمرة تِمْرَاز القَرْمشَى وهى تقدمة ألف بالديار المصرية ، وأُنْعِم بإقطاع دُولاَتْ بَاى على . نس السيفى آقْبَاى المُشِدّ ، والإقطاع إمرة طبلخاناه ، وأُنعم بإمرة يُونُس ـ

وهى إمرة عشرة-على جَانِبَك الظّاهرى رأس نوبة الجمدارية وعلى السيفى مُغُلْبَاى السّاقى ، وجعلهما كل واحد أمير عشرة ؛ فإن عشرة يونس كانت تقارب الطبلخاناه .

وفى يوم الأربعاء خامس عشره تُوُفِّى أُزْبُك السّاقى الظاهرىّ جَقْمَق ، وحضر السلطان الصلاة عليه .

وفيه أيضا تُوُفِّى الأمير إينَال اليَشْبُكّى ، يأتى ذكره فى آخرالسنة .

وفى يوم الخميس سادس عشره لبس الأمير تَمُرْبُغَا الظاهرى الدّواداريّة الثانية على إمرة عشرة، عوضا عن دُولات بَاى المحمودى المؤيّدىّ بحُكْم آنتقاله إلى تقدمة ألف بالديار المصرية .

وفيه أُنعِم بإقطاع الأمير إينال اليَشْبُكِّى على قانِى بَاى السّاقى المؤيدى ، واستقر مِن جملة أمراء العشرات .

وفى يوم الجمعة سابع عشره تُوُفِّى القاضِى وَلِىّ الدين أبو اليمن محمد بن قاسم .

وفيه تُوُفِّى الأمير إسماعيل بن عمر الهوارى بالقاهرة .

وفى يوم السبت ثامن عشره تُوُفِّى سيّدى محمد ابن السلطان الملك الظاهر جَقْمَق ، وهو فى الخامسة ، وأمهُ أمّ ولد .

وفيه تُوُفِّى الأمير قَرَاقَجَا الحسنىّ الأمير آخُور الكبير ، ثم تُوُفِّى وَلَدُه فى ذلك اليوم ، فَجُهِّزَا من الغد معاً ، فكان ذلك عِبْرَة لمَن آعتبر ، وحضر السلطانُ الصلاة عليهما معاً ، وكثر أسف الناس عليهما ، وكان سنُّ ولده يقارب العشرين سنة .

وفى يوم الأحد تاسع عشره تُوُفِّى السيفى جَانَم الظّاهرىّ جَقْمَق الــدَّوَادَار المعروف بجانم خمسمائة .

وفيه أيضا ماتت خَوَنْد فاطمة بنتُ السلطان الملك الظّاهر جَقْمَق ، وعُمْرُها فى الخامسة ، وأمها أمُّ ولد .

(١) ويأتى فى الصفحة التالية ، أنه توفى فى يوم الاربعاء ٢٢ صفر

٨٧ وفى يوم الاثنين عشرينه كان أوّل خمسين[١] النصارى وفيه / تناقص الطّاعون تناقصا ظاهرا،بل كان تناقص قبل ذلك بأيام ولكن فشافيه النقص ، ومع هذا النقص يموت فى كل يوم خلائق . نسأل الله الموت على الإسلام .

وفى ليلة الاثنين عشرينه تُوُفِّى الشريُف أبو القاسم بن حسن بن عَجْلاَن المعزول عن إمرة مكة قبل تاريخه .

وفى يوم الاثنين أيضا ماتت أختُ السلطان الملك الظاهر جَقْمَق ، وكان قدومها من بلاد الجركس فى أوائِل سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة ، أو فى التى قبلها .

وفى يوم الثلاثاء حادى عشرينه تُوُفيَت زوجة السلطان خَونْد نفيسة بنت ناصر الدين بَك بن دُلْغَادر ، وحضر السلطانُ الصلاةَ عليها .

وفى يوم الأربعاء ثانى عشرينه تُوُفِّى سيدى مُحَمَّد ولد السلطان ، وسِنُّه فى السادسة ، وأمه أيضا أم ولد .

وفيه أيضا تُوُفِّى الأمير بَخْتَك الناصرى أحد أمراء العشرات ، وأُنعم بإقطاعه على الأمير يَشْبُك المؤيّدى الفقيه ، وأُنعم بإقطاع يَشْبُك على الشهابى أحمد بن الأمير الكبير إينال العلائى ، وهى إمرة عشرة .

وفى هذا اليوم تُوُفِّى الأمير مُغُلْبَاى الساقى الظّاهرى ، وأُنعم بإمرته على مُغُلْبَاى الشَّهابى رأس نوبة الجمداريّة .

وفى يوم الخميس ثالث عشرينه أُنعم بإقطاع الأمير قَرَاجَا الحسنى على الأمير تَنَم أمير مجلس ، وأُنعم بإقطاع تَنَم على الأمير جَرِبَاش المحمدى الأمير آخور الثانى المعروف بكُرْد ، وكلاهما تقدمة ألف ، وأُنعم بإقطاع جَرِبَاش ووظيفته على الأمير سُودُون المحمدى الأمير آخور الثالث المعروف بأُتْمَكْجِى أحد أمراء العشرات ، ومعنى أُتْمَكْجِى باللغة التركية خَبَّاز ، لأن الخبز اسمه أُتْمَك بفتح الهمزة وسكون

(١) خمسون النصارى : هى الخمسون يوما التالية لعيد القيامة ، وتسمى بالخماسين ، وعد القيامةيكون يوم الأحد الأول بعد عيد الفصح اليهودى ، وعيد الفصح عند اليهود مرتبط بنظام وتوقيت فلكى يحدد موعده فى كل عام .

التاء ، وأُنعم بإمرة سُودُون أُتْمَكْجِى على الأمير جَانِبَك اليَشْبُكّى والى القاهرة .

وفيه أيضا استقَر الأمير قانِى بَاي الجركس الدّوادار الكبير فى الأمير آخُورِيّة الكُبْرى،عوضا عن الأمير قَرَاقَجا الحسنى ، واستقر عوضه فى الدّوادارية الكُبْرى الأمير دُولاَت بَاي المحمودى المؤيدى،على مال بذله إلى الخزانة الشريفة .

وفى يوم الأحد سادس عشرينه تُوفّى السّيفى بُرْدُبَك الخاصّكّى الظاهرى جَقْمَق المعروف باثنى عشر .

وفيه تُوفّيت الست أردباى الجاركسية زوجة الأمير تِمْرَاز القرمَشِيّ أمير سلاح المتوفى قبل تاريخه .

٨٨ وفيه أيضا تُوُفِّى الشيخُ المعتقد محمد بن عبد الرحمن/المعروف بابن سلطان ، يأتى ذكره فى آخر السنة .

وفى يوم الثلاثاء ثامن عشرينه أخلع السلطان على قاضى الإسكندرية ولى الدين محمد السنباطى باستقراره قاضى قضاة المالكية بالديار المصرية،عوضا عن ابن التّنَسىّ من غير سعى منه ، وتَوَلّى قضاء الإسكندرية من بعده شمسُ الدين محمد بن عامر أحد نواب الحكم المالكية .

وفيه رسم السلطان بنفى قَشْتَم الناصرى كاشف البحيرة إلى القدس الشريف .

وفيه أيضا رسم بنفى إينال الساقى الظاهرى جَقْمَق المعروف بَخَوَنْد إلى طَرَابُلُس ؛ لكونه ضرب الزّينى فرج كاتب المماليك السلطانية ضربا مبرحاً.

وفى يوم الأربعاء تاسع عشرينه تُوُفِّى الأمير تَمر بَاى التمربغاوى رأس نَوْبَة النوب .

وفيه ماتت زوجةُ القاضى كمال الدين بن البارزى ، وهى بنت الأمير ناصر الدين محمد بن العطار ، وكانت من خيار نساء عصرها دِيناً وعبادَةً وبرًّا ــ رحمها الله .

وفيه أيضا تُوُفِّىَ الزّيْنِى محمدابن الزّيْنِى عبد الباسط ، وسنه نحو العشرين سنة تخمينا ، وهذا ثالث ولد له مات فى هذا الوباء .

● شهر ربيع الأوّل : أوّله الخميس . فيه استقّر الأمير الطواشى فَيْرُوز النَّوروزِىّ الزِّمام والخازندار فى إمرة حاج المحمل .

وفى يوم الجمعة ثانيه خرجت تجريدة إلى البُحيرة ، ومقدمهم الأمير جَرِبَاش المحمدى المعروف بكُرْد أحد مقدمى الألوف ، وصحبته خمسة أمراء أخر .

وفيه تُوُفِّيَت الستُ سارة بنت الأُتابَك آقْبُغا التِمْرَازِىّ زوجة المقام الناصرى محمد ابن الملك الظاهر جَقْمَق ، وصلى [عليها] (١) السلطان من الغد بمصلّاة المؤمنى ، وهى بنت كريمتى — رحمها الله .

وفى يوم الاثنين خامسه آستقرّ الأمير أَسَنْبُغَا الطَّيارى رأس نوبة النوب،عوضا عن الأمير تَمُرْبَاى التَّمُرْبُغَاوِىّ بعد وفاته ، وأُنعم بإقطاع تَمُرْبَاي المذكور على الأمير بَيْغُوت نائِب حماة ، وقد كتب بإحضاره ، ثم تغيَّر ذلك بعد أيام .

وفى يوم الثلاثاء سادسه تُوُفِّىَ الزينى عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن الحاجب .

وفى يوم السبت عاشره تُوُفِّى سيدى محمد ابن السلطان الملك الظاهر جَقْمَق ، وهو فى الرابعة ، وأمه أم ولد ، وهذا رابع ولَد مات له فى هذا الطاعون ؛ ولم يبق له ولد ذكر غير المقام الفخرى عثمان .

وفى يوم الاثنين ثانى عشره عُزِلَ الأمير / تِمْرَاز عن نيابة القُدْس،وأعيد نائبها خُشْقَدَم العبدُ الرَّحمانى . ٨٩

وفى يوم الثلاثاء ثالث عشره تُوُفِّىَ الشهابى أحمد ابن القاضى بدر الدين بن مُزْهِر .

وفى هذه الأيام قَلّ الطاعون بالقاهرة وكثر بضواحيها .

وفى يوم الأربعاء رابع عشره تُوُفِّىَ أَيْدَكى الظَّاهرى جَقْمَق الدَّوادار .

وفى يوم الاثنين تاسع عشره نُفِىَ جانِبَك المؤيدى المعروف بشيخ البَجْمَقْدَار إلى حَلَب .

---

(١) الإضافة يقتضيها السياق .

وفى يوم الثلاثاء سابع عشرينه أخذ السلطان من القاضى ولِىّ الدين السفطى ستة عشر ألف دينار ؛ وسبب ذلك أن قاضى القضاة الحنبلىّ كان وصيًّا على تركة قاضى القضاة بدر الدين محمد بن التَّنَسِىّ المالكى ، فلمَّا عرض قماش المذكور وموجوده فوجد فى جملة أوراقه ورقة مكتوبا فيها ما يدلّ على أنه كان عند ابن التَّنَسِىّ ستة عشر ألف دينار وديعة للسفطى ، ثم وجد ورقةً أُخرى فيها ما يدل على أن السَّفطى أخذ وديعته المذكورة، فبلغ ذلك السلطان فتغيّر على السفطى ورسم بأخذ المبلغ المذكور منه ، فحمل إلى الخزانة الشريفة بتمامه وكماله ، ولم يرض السلطان بذلك، وهو فى طلب شيىء آخر ، قلت : « لكل مُمْسِكٍ تلفا » . ثم إن السلطان لم يُقْنِعْه ذلك وصار يطالبه بما وقع منه من الأيمان أنه ما بقى يملك شيئاً من الذهب ، ووجد السلطان بذلك مخلصا إلى أخذ ماله وتتبّع ذلك .

● شهر ربيع الآخر : أوّله الجمعة . فيه تكلم السلطانُ مع القضاة ـــ لَمَّا طلعوا لتهنئته بالشّهر ـــ فى حقّ السَّفطى ، وما وقع منه من الأَيْمَان الحانثة ، واستفتاهم فى أمره وحَرَّض القضاةَ على مجازاته ، فنزلوا من عند السلطان على أن يفعلوا معه الشّرع ، وبلغ السّفطى ذلك فخاف وأخذ فى السَّعْي فى رضى السلطان ، واجتهد فى ذلك غاية الاجتهاد ، ثم بعد أيام رَضِيَ السلطانُ عنه بعد أن قدّم إلى السلطان قماشا بمبلغ كبير .

وفى يوم الخميس سابعه لبس القاضى كمالُ الدين بن البارزىّ كاتبُ السرّ كاملية سمُّور خلعة الاستمرار ، وقُيِّدَ له فرسٌ بسرج ذهب وكُنْبُوش زركش .

٩٠ وفى يوم الثلاثاء ثانى عشره / فيه أخذ السلطان من السّفطى عشرة آلاف دينار ، وسبب ذلك أنها كانت وديعة عند القاضى نور الدين على بن البرقى الحنفى ، فبلغ السلطان ذلك فأمر بأخذها وهو مطالبٌ أيضا بغيرها .

وفى يوم الخميس رابع عشره أفحش السلطانُ فى الحطّ على السَّفطى وبالغ فى ذلك بحيث إنه قال : هذا ليس له دِين وهذا استحق القتل بما وقع منه من الأيمان الفاجرة بأن ليس له مال،وقد ظهر له جملة مستكثرة ، وقد بلغنى أن له عند شخص وديعة مبلغ سبعة وعشرين ألف دينار باقية إلى الآن ، وظاهر كلام السلطان أنه يريد

أخْذَها وأخذَ روحه أيضا ، فبلغ السَّفطى هذه المقالة فداخله من الرّعب والخوف ما لا مزيد عليه ، ومع ذلك بلغنى فى يوم الجمعة خامس عشره أن السّفطى فى تلك الليلة تزّوج بِكْراً ودخل بها واستبكرها ، فهذا دليل على عدم مروءته ، فإنى ما أظن أنه وقع لقاضى قضاة فى الإسلام من البهدلة ما وقع له ، مع علمى بما وقع لقاضى القضاة شمس الدين الهَرَوِىّ وغيره من قبله ، ومع هذا كله ما وصل أحد إلى ما وصل إليه السفطى من البهدلة ، لمعان شتى .

وفى يوم الاثنين ثامن[1] عشره ورد الخبرُ بموت خُشْقَدَم نائِب القُدْس ، واستقرّ عوضه فى نيابة القُدْس مُبَارَكْشَاه السَّيفى سُودُون من عبد الرحمن أحد أمراء دمشق .

وفيه لبس القاضى علاء الدين على بن محمد بن آقْبَرْس محتسب القاهرة كاملية باستمراره فى حسبة القاهرة،على مال حمله إلى الخزانة الشريفة .

وفيه استقرّ فارس السيفى جَارَقُطْلُو المعزول عن قَطْيا[2] قبل تاريخه فى أتابكية غَزّة،عوضاً عن تِمْرَاز الأشرفى بحكم القبض عليه .

وفى يوم الثلاثاء سادس عشرينه رسَمَ السلطان بنَفْى يَرْعَلِى العَجَمِى الطّويل ، ثم شُفِع فيه ، فرسَمَ له بلزوم داره بخانقاة سِرْيَا قُوس .

وفى يوم الأربعاء سابع عشرينه عُقِدَ مجلسٌ بالقاضى الشافعىّ وجماعة من الفقهاء الشافعية بسبب ابن آقْبَرْس .

وفى هذا الشهر ترادفت الأخبارُ من بلاد حَلَب بأن أهلها فى رجيف عظيم بسبب جَهَان كِير بن على بَك بن قَرَايُلُك ، وكثر كلام العامّة فى ذلك ؛ ولهج الناس بسفر السلطان إلى البلاد الشامية .

وفى يوم السبت سلخه تُوُفِّى الأمير سيف / الدين أَرْكَمَاس مِن صَفَر خَجَا المؤيدىّ ، وأُنعم بإقطاعه على الأمير أَسَنْدَمُر الجَقْمَقِىّ ، وأُنعم بإقطاع أَسَنْدَمُر المذكور-وهو إمرة خمسة-على بُرْدْ بَك البَجْمَقْدَار الظاهرىّ جَقْمَق .

٩١

(١) فى الأصل « تاسع عشره » ولا يستقيم ذلك ، إذا صح أن ما حدث كان يوم الاثنين ، وقد يكون الخبر حدث يوم الثلاثاء تاسع عشره .

(٢) قطيا : وتقع بالرمل فى الطريق بين الشام ومصر قرب الفرما ، وبها تحصل المكوس من القادمين لمصر ، وقد اندثرت ولم يبق منها إلا أطلالها بين العريش والقنطرة . هامش (النجوم الزاهرة ح ٧ : ٧٧ و ج ١٢ : ٢٠٨ ط . دار الكتب) .

● جمادى الأولى : أوّله الأحد .

. ففى يوم الاثنين ثانيه استقرّ الأمير أُزْبُك من طَطَخ الظاهرىّ رأسَ نَوْبَة،عوضا عن أُرْكَمَاس المؤيّدىّ بعد موته .

وفيه استقرّ الزّينى عبد الرحمن بن الكُوَيْز أستادارَ السلطان بدِمَشْق،عوضا عن محمد بن أرغون شاه النَّوْروزِىّ الأعور بحُكْم وفاته .

وفى يوم الأربعاء رابعه استقرّ على بن إسكندر فى حسبة القاهرة،عوضا عن ابن آقْبَرْس،بسفارة أبى الخير النَّحاس على مالٍ بذله ؛ وسبب عزل ابن آقْبَرْس ارتفاع الأسعار ؛ فإن القمح أُبيع كل إردب بثلاثمائة درهم ، والفول بما يقارب ذلك ، والشعير كل إردب بدينار ، وزاد ثمن الدقيق على مائة درهم البَّطّة [١] .

وفى يوم الأربعاء ثامن عشره رسَمَ السلطانُ بمَسْك يَرْعلى العجمىّ ونَفْيه ، فرُسِمَ عليه إلى آخر النهار ، ثم أُفْرِج عنه وعن نائبه القاضى عز الدين عبد العزيز المُنْبَابِىّ بعد أن عملت المصلحة .

وفى يوم الاثنين ثالث عشرينه خرجت تجريدة إلى البحيرة:أربعمائة مملوك وعِدّة أمراء ، ومقدمهم الأمير الكبير إينَال العلائى وصحبته من الأمراء المقدّمين الأمير تَمِن عبد الرزّاق المؤيّدىّ أمير مجلس ، والأمير قانِى بَاي الجاركَسِىّ أمير آخُور ، وعِدَّة من الأمراء الطَّبْلَخَانات والعشرات .

وفى يوم الاثنين [سلخ الشَّهْرِ [٢]] عُزِل قاضى القضاة علم الدين صالح البُلْقِينىّ الشافعى ، وسبب ذلك أن شخصا من نُوّابه بمصر القديمة يُعْرَف بابن إسحٰق وقع له أنه حَكَم بزوجية امرأة مات عنها زوجها بعد أن طلقها فى مرض موته،فحكم القاضى علاء الدين ابن آقْبَرْس بأنها بائنة منه بعد أن أقامت البَيِّنَة عنده أنه مات وهى فى عصمته ، ثم حضرت بَيِّنَةٌ أخرى،وقيل إنها هى البينة المذكورة بعَيْنِها عند القاضى ابن إسحٰق المذكور بأنه طلقها قبل موته ، فحكم بأنها فى عصمته ، فبلغ هذا الخبرُ السلطانَ،فطلب ابن إسحٰق المذكور وضَربه ضَرْباً مبرِّحاً وحبسه بحبس المقشرة ،

(١) البطة : وعاء كبير على هيئة البطة (محيط المحيط) .

(٢) فى الأصل « تاسع عشرينه » وفى النجوم ١٥ : ٣٩٤ « ثامن عشرينه وكلاهما لا يستقيم من ناحية الحساب . وما أثبت هو الصواب .

ثم عزل قاضى القضاة / المذكور ، ولهج بتولية الشيخ جلال الدين المحلى ، فقال جلال الدين : لا أقبل الولاية إلا بشروط منها : أن لا أتكلم فى الأوقاف ، ولا أوَلِّى قضاة الرِّيف . وظهر منه تمنُّع ، فعند ذلك تكلم أرباب الدَّولة فى إعادة قاضى القضاة علم الدين صالح ، فأجاب السلطانُ وأخلع على علم الدين من الغد باستمراره . ٩٢

● جمادى الآخرة : أوله الثلاثاء . فيه لبس قاضى القضاة علم الدين صالح خلعة الاستمرار ، ولما استهلّ هذا الشهر انحطت الأسعار فيه يسيرا ؛ فأُبيع فيه القمح بمائتين وتسعين الإردب ، والفول بمائتين وأربعين الإردب ، والشعير بمائة وستين ، هذا معْ أن زيادة البحر فى هذه السنة أنقص من العام الماضى فى هذا الوقت بعدّة أصابع .

وفى يوم الخميس ثالثه عَيَّن السلطانُ الأمير تِمْرَاز بن بَكْتَمُر المؤيَّدِى المُصَارِع المعزول عن نيابة القدس إلى سفر الوجه القبلى ، وصحبته عدَّة من المماليك السلطانية .

وفى يوم الجمعة رابعه توجّه الأمير قَانَم التاجر أحد أمراء العشرات وكبير الدلَّالين رسولاً إلى ابن عثمان متملِّك بلاد الرّوم صحبة قُصَّاد ابن عثمان المذكور .

وفى يوم الخميس [سابع][1] عشره نَدَب السلطانُ الأمير تَمُرْبُغَا الدَّوادار الثانى إلى تَوَجُّه البُحَيرة إلى الأمراء المجرّدين بها، وعلى يده مرسوم شريف يتضمن الإفراج عمّن مسكه الأمراء من عرب محارب بعد أن تَوَغَّر خاطِر السلطان على الأمراء، لقبضهم على المذكورين ، فإنهم كانوا حضروا إلى السلطان فى غيبة الأمراء وأمَّنهم وأخلع عليهم ، فلما توجهوا إلى البُحَيرة وقاتلوا الأمراء قبضوا عليهم لِمَا رَأوه من المصلحة فى القبض عليهم .

وفى يوم السبت تاسع عشره رسم السلطانُ بنفى الأمير سُودون السُّودُونِى الحاجب الثالث ، ثم شُفِع فيه ، وأمر بإقامته بالصحراء بطالا ، وسبب نفيه أنه كان له مُغَلٌّ فى إقطاعه فحضر المُغَلُّ إلى ساحل بولاق ، فكلمه المحتسبُ فى بيع نصف مُغَلّه وتخلية نصفه فامتنع من البيع ، وكان القمح قد عَزَّ وجودُه ، فكلَّم أبو الخير

(١) فى الأصل : « رابع عشره » ، و١٤ جمادى الآخرة يوم الأثنين . والصواب ما أثبت .

٩٣ النحاس السلطان / فى أمره، فأمر بنفيه ، وكان لأبى الخير النحاس مع سُودُون السُّودونى هذا أمور ذكرناها فى ترجمة أبى الخير النحاس فى تاريخنا «المنهل الصافى»[١] .

وفى يوم الجمعة خامس عشرينه قَدِمَ الأميرُ تَمُرْبُغَا من البُحَيْرة بعد ما أطلق مَنْ تَوجَّه بسببهم .

وفى هذه الأيام : أعنى يوم الخميس إلى يوم الأحد-توقَّف النيلُ عن الزِّيادة ، بل نَقَص نَقْصاً فاحشاً ، ثم أخذ فى زيادة ما نقصه ، فاضطربت الناس لذلك، وكثر ازدحام الناس على حوانيت الخبازين ، ونَهَبَت بعضُ العامة الخبز من الدكاكين ، وعظم هذا الأمر ، وأبيعت البطة الدقيق بمائة وخمسة وثلاثين درهماً ، والقمح بنحو الأربعمائة درهم الإردب ، فلله الأمر من قبلُ ومِن بعد ، وكان يوم الخميس المذكور يوم حادى عشرين مسرى .

وفى يوم الأحد سابع عشرينه قدم أخو السلطان الملك الظاهر جَقْمَق من بلاد الجَارْكَسْ ، وكان قدم قبل هذا التاريخ مَرَّة أخرى فى الدَّولة الأشرفية ، وهيئته قبح المنظر ، ونفسه أخبث من منظره .

وفى الاثنين ثامن عشرينه وصل الأمير قَرَاجَا العمرىّ من دمَشْق المتولِّى ولاية القاهرة قبل تاريخه .

وفى يوم الثلاثاء تاسع عشرينه وصل الأمير جَانِبَك الظاهرى مُشِدُّ جُدّة ، ورفيقه القاضى تقىُّ الدين عبد الرحمن بن نصر الله .

وفيه نُودى بزيادة أربعة أصابع : إصبعين من النقص وإصبعين زيادة ، فبقى لتكملة ستة عشر ذراعا ستةُ أصابع ، وذلك بعد ما توقّف عن الزِّيادة خمسة أيّام حسبما ذكرناه — ويوم الثلاثاء هذا يوافقه سادِسُ عشرين مسرى — وهذا شىء لم يعهد مثله إلا نادراً جداً .

---

(١) وردت هذه الأحداث فى (النجوم الزاهرة ج ٧ : ١٧٢ ، ١٧٣ ط . كاليفورنيا) .

وفى يوم الأربعاء سلخه — الموافق له سابع عشرين مِسْرى — أُوْفى النّيلُ ستة عشر ذراعاً وإصبعين من الذراع السابع عشر، فحصل للناس بهذا الوفاء الفرحُ التّام والسرور الذى لا مزيد عليه ، فنزَل المقامُ الفخرىّ عُثْمان بن السلطان،وعدّى النيلَ وخلق المقياسَ ، ثم عاد وفتح خَليجَ السدّ على العادة ، فكان هذا النهار من الأيّام المشهودة ، ولقد أحسن سبط الملك الحافظ حيث يقول فى هذا المعنى :

جَبَرَ الخَليجُ بكسره كَسْرَ الوَرَى طُرًّا فكلٌ قد غدا مسرورا
الماءُ[1] سلطانٌ فكيف تَواترَت عنه البشائِرُ إذْ غدا مَكْسورا

٩٤

● شهر رجب : أوّله الخميس . فيه زاد البحرُ خمسة أصابع ، فتزايد سرورُ الناس بهذه الزّيَادة أعظم من أمسه ، وفى هذا اليوم قَدَّمَ الأميرُ جانبك تقدمته إلى السلطان ، وكان أبو الخير النحاس وَغَّر خاطرَ السلطان على المذكور بأمور ذكرها عنه ليس لغَالِبها حقيقة ، فأمر بالتّرسيم عليه ، وآل أمرُه إلى أن يَزِن مالاً له صورة،يزيد على ثلاثين ألف دينار .

وفى يوم الجمعة ثانيه نُودِىَ على البحر بزيادة ثمانية أصابع ، فكمل بهذه الزيادة خمسة عشر إصبعا من الذراع السابع عشر ، ولله الحمد ، ومع هذا سِعر القمح أُزيَدْ من أربعمائة درهم الإردب ، والبطّة الدقيق بمائة وخمسين درهما إلى ما دونها .

وفى يوم السبت عاشره أمر السلطانُ بنفى قاضى القضاة علم الدين صالح البُلْقِينى إلى القُدْس ، فتكلّم فى أمره بعضُ أرباب الدّولة ، فَرسم له بأن يُقيم فى داره بَطّالا ، ثم بعد ذلك أمر بالترسْيم عليه ونَفْيه إلى طَرَسُوس، فَشُفِعَ فيه ، فرسم بتوجهه إلى القُدْس ، وأخذ فى عمل مصالحه ، ولمّا وقع ذلك اتفق أنّ بعضَ الأعيان سألنى — فيما بينى وبينه — بأن قال : هل سمعتم بأن قاضى قضاة يُنْفَى إلى طَرَسُوس ؟ فقلتُ له : ما نعلم إلاّ أن قضاة القضاة يُحْبَسون بالمَقْشَرَة مع أرباب الجرائم ، أعنى بذلك ما وقع للسفطى قبل تاريخه ، فضحك لذلك مَنْ حَضَرَنَا من الجُلساء .

قُلْتُ : وزماننا هذا لا يُنْكَرُ فيه ما يُفعل بالقضاة وغيرهم ، فإن السلطان —

(١) فى ت « البحر سلطان »

نَصَرَهُ الله ــ جعل نفسه والقضاة الأربعة هنداسة لمن أراد أن يثنى عليه من الأطراف ، فيقول : هذا فلان خيرُ منى ومن القضاة الأربعة ، ويكون الممدوح بهذه الصفة شخصاً من الأَوْبَاش ، أو من المماليك الجُلْبَان ، ويقع منه ذلك بحضرة القُضَاة ، فَعَلَى هذا لا يُنْكَر على السلطان ما يفعله بالقضاة ولا بغيرهم .

وفى يوم الاثنين ثانى عشره سافر الأمير قَرَاجَا العمرىّ إلى مجلس ولايته بالقُدْس الشريف ، وكان قد استقرّ المذكور فى نيابة القُدْس قبل تاريخه بأيّام قلائل ــ مسئولا فى ذلك ــ عوضا عن مُبَارَكْشَاه السّيفى سُودُون من عبد الرحمن .

٩٥ وفيه تُوُفّى الأمير سُودُون المحمدى المعروف بأَتْمَكْجِى الأمير آخُور الثانى ، وفى هذا اليوم أيضا أخلعَ السلطانُ على الشيخ يحيى المُنَاوِىّ باستقراره قاضى قضاة الشافعية، بعد عَزْل قاضى القضاة علم الدين صالح البُلْقينى .

وفيه رَسَمَ السلطانُ للشيخ علاء الدين القَلْقَشَنْدِى الشّافِعِىّ فى أن يستقرّ فى تدريس الخشابيّة[1] عوضا عن قاضى القضاة علم الدين صالح البُلْقِينى ، فقبل فى المجلس ثم استعفى عند نزوله ؛ لعلمه أن هذه الوظيفة لها مع البلاقنة نحو ستين سنة .

وفى يوم الخميس خامس عشره رُسِم للقاضى علم الدين صالح بعدم السَّفر إلى القُدْس ، وأنه يقيم بداره بطالا .

وفيه استقرّ الأمير يَرْشباى الإينالى المؤيّدى الأمير آخور الثالث أمير آخور ثانيا بعد موت الأمير سُودُون أَتْمَكْجى ، وأنعم عليه أيضا بإقطاعه من طبلخاناه ، واستقرّ عوضا عن يَرْشَباى المذكور فى الأمير آخُورِيّة الثالثة الأميرُ سُنْقُر العَايق الجُعَيدى الظاهرى جَقْمَق ، وذلك فى غيبة سُنْقُر ، لأنه فى تجريدة البُحيرة صُحْبَة الأمراء .

وفى الثلاثاء عشرينه رَسَمَ السلطانُ بأن يُكْتَبَ مرسُومٌ إلى دِمَشْق بضرب الزّينى عبد الرحمن بن الكُوَيز أستادار السلطان بدِمَشْق وحبسه بقلعتها ؛ وسبب ذلك أنه

(١) الخشابية : هى زاوية بالمسجد العمرى بمصر ، وتنسب للمجد عيسى بن الخشاب لطول مكثه فى تدريسها ، وكان السزاج البلقينى يسميها بالعامرة ــ تفاؤلا ــ هامش (النجوم الزاهرة ج ١٣ : ٣٠ ط . الهيئة العامة للتأليف) .

لَمَّا خَرَج من القاهرة ووصل إلى دمشق أخرج مَرْسُوماً شريفا بأنه يجلس فوق أمراءِ دِمَشْق ما عدا أتَابَكها الأمير خَير بَك المؤيّدى ، فَشَقّ ذلك على أمراءِ دِمَشْق ، فكاتب الأميرُ جُلُبَّان نائب دِمَشْق السلطانَ فى ذلك ، فأنكر السلطانُ المَرْسُومَ ونَهر القاضى كاتب السِّرِّ وأوسعه سبًّا ، والظاهر أن المَرْسوم كان الزَّيْنى عبد الرحمن زاد فيه مايليق بخاطره ـــ والله أعلم .

وفى يوم السبت رابع عشرينه ورَدَ الخبرُ بأن الأمير قَرَاجَا العمري نائب القُدْس لَمَّا خرج من القاهرة مُتَوَجِّها إلى القُدْس الشريف ٱعترضه الأميرُ بِيبرس بن بَقَرشيخ العُرْبان بالشَّرقية وقد انهزم من هَلْبَا [بن] سُوَيْد[١] الخارجين عن الطاعة، فأنجده قَرَاجَا المذكور، وقاتل معه المذكورين ، فحصل بين الفريقين مقتلة عظيمة انتصر فيها قَرَاجَا وبِيبرس بن بقر ، وقتلا منهم / جماعة كثيرة ، وأمْسَك قَرَاجَا منهم نحو الثمانين نفرا على ما قيل ، فلما بلغ السلطانَ هذا الخبرُ نَدَب الأمير جَانِبَك شادّ جُدّة إلى إحضار هؤلاء الممسوكين بعد أن يُسَمَّرُوا على الجمال ، ويحضر بهم إلى القاهرة . ٩٦

وفى يوم الاثنين سادس عشرينه استقرّ القاضى علاء الدين بن آقْبَرْس فى وظيفة نظر الأحباس[٢] بعد عزل قاضى القضاة بدر الدين محمود العيْنى الحنفى عنها لكِبَر سنه ، فلم يُشْكَر ٱبنُ آقْبَرس على ما فعله ؛ لأنه سعى فى ذلك سعياً زائداً ، وكان الأليقُ به ترك ذلك ، ومقام كل منهما معروف فى الِعلْم والقَدْرِ والرئاسة .

وفيه حضر سُنْقُر العايق من البُحيرة ، وأُخْلع عليه بالأمير آخُورِيّة الثالثة، عوضا عن يَرْشْبَاى المؤيّدى كما تقدم ذكره .

وفى يوم الخميس تاسع عشرينه جرت واقعةٌ غريبة ، وهو أنه لما كان وقتُ الخِدْمة السلطانية-أعنى بعد طلوع الشمس بقدر عشر درجات-وقفت العامَّةُ بشوارع

---

(١)الضبط والاضافة من (القلقشندى ـــ صبح الأعشى ٤ : ٧٠) .

(٢) نظر الأحباس : وظيفة صاحبها يتحدث فى رزق الجوامع والمساجد والأربطة والزوايا والمدارس من الأراضيس المفردة الموقوفة لذلك ، وماهو من هذا القبيل على سبيل البر والصدقة لأناس معيين (القلقشندى ـــ صبح الأعشى ٤ : ٣٨) .

القاهرة من داخل باب زُوَيلة[1] إلى تحت القلعة وهم يستغيثون ويصرخون بالسَّبِّ واللعن ، ويهددون بالقتل والفتك ، ولا يدرى أحد ما الخبر ؛ لعظم الغَوْغاء ، إلى أن آجْتَاز على بن إسكندر محتسبُ القاهرة ، فلما رأوه أَخَذُوا فى زيادة ما هم فيه ، ثم رجموه من باب زُوَيلة إلى أن وصل إلى باب القلعة وهو سائق وهم خلفه ، وهم مع ذلك لا يسكتُ لِسانُهم عن السّب القبيح له ، وتعداد ما وقع له فى شبيبته ، ووصلته بأبى الخير النحاس ، وصاروا يخاطبونه فى وجهه بمخاطبة قبيحة إلى الغاية يستحى من ذكرها ، فلما نجا منهم وطلع إلى القلعة استمرُّوا بالشوارع وقوفا ، وانضم إليهم من المماليك السلطانية جماعة كثيرة ، وهم على ماهم عليه من السب واللعن وصاروا يُعَرِّضُون بذكر أبى الخير النحاس ، ووقفوا فى انتظاره إلى أن يطلع إلى القلعة ، وكان أبو الخير قد رَكِبَ من داره وقصد الطلوع إلى القلعة على عادته ، وكان عادته الطلوع وقت انفضاض الخدمة،وطلوع السلطان من الحوشِ إلى الدِّهيشة ، وكان لا يجتمع به إلا فى خلوة بالقُبَّة داخل الدِّهيشة ، فعرَّفه بعض أصحابه بالواقعة ، فخرج من ظاهر القاهرة إلى أن وصل إلى باب الوزير[2] ، فبلّغ المماليك الذين هم فى / انتظاره أنه فاتهم ، فألقوا رءُوس خيولهم غارَةً ، والعامّة خلفهم حتى وافوه فى أثناء الطَّريق ، فأكل ما قُسِمَ له من الضَّرب بالدبَّابيس[3] ، وانهزم أمامهم ، وركبوا قَفَاهُ وهم مستمرون فى الضَّرب له ولحواشيه،وهو عائد إلى جهة القاهرة ، ولوى عزمه عن طلوع القلعة،إلى أن وصل إلى جامع أصْلَم[4] بسوق الغنم ضَرَبَهُ شخصٌ من

٧ ب

---

(١) باب زويلة : بناه بدر الجمالى وزير الخليفة المستنصر الفاطمى سنة ٤٨٤هـ ، ورفع أبراجه ، ولما أنشأ المؤيد شيخ المحمودى مسجده داخل باب زويلة هدم الأبراج وأقام مارتى مسجده فوقهما ، ولايزال باب زويلة موجودا إلى اليوم على رأس شارع المعز لدين الله الفاطمى الذى يوصل بين هذا الباب وباب الفتوح ، والعامة تسمية بوابة المتولى ، لأن متولى حسبة القاهرة فى الزمن الماضى كان يجلس بهذا الباب لتحصيل العوائد والرسوم من أصحاب الأملاك والتجار ، وللنظر فيما يعرض عليه يوميا من قضايا المخالفات والفصل فيها (المقريزى ـــ الخطط ١ : ٣٨٠) و (على مبارك ـــ الخطط ٣ : ٥٠) .

(٢) باب الوزير : وينسب للوزير نجم الدين محمد بن على بن شروين المعروف بوزير بغداد ، وقد فتحه وقت أن كان وزيرا للملك الأشرف كجك بن قلاوون سنة ٧٤٢هـ ليمر الناس فيه بين المدينة والجبانة الواقعة خارج سور القاهرة ، وخصوصا بعد أن سد الباب المحروق ، وقد جدده الأمير طرباى الأشرفى صاحب القبة المجاورة لهذا الباب ، وإلى هذا الباب ينسب خط باب الوزير وجبانة باب الوزير . هامش (النجوم الزاهرة ج ١٠ : ١٨٠ ط . دار الكتب) .

(٣) الدبابيس : جمع دبوس وهو آلة حربية تشبه الهراوة لها رأس مدملكة فى طرفها مايشبه الإبرة من النحاس . هامش (ابن واصل ـــ مفرج الكروب ١ : ١١٧) .

(٤) جامع أصلم : ويقع خارج الدرب المحروق . أنشأه الأمير بهاء الدين أصلم السلاحدار فى سنة ٧٤٦هـ وقد مات هذا الأمير سنة ٧٤٧هـ (على مبارك ـــ الخطط ٤ : ٥٩) .

العامّة على رأسه صَرَعَه عن فرسه ، فقام ورَمَى بنفسه إلى بيت أصْلَم الذى بالقُرْب من جامع أصْلَم ، والبيت المذكور ساكن فيه شخص يُدْعى يَشْبُك من المماليك السلطانية من طبقة الزّمَام ، ومن غريب الاتّفَاق أن أبا الخير النحاس كان قبل تاريخه بمُدة يسيرة شَكَا يَشْبُكَ هذا صاحبَ الدار إلى السلطان وشَوَّشَ عليه غاية التَّشْويش ، وأرجف يَشْبُك المذكور بالنّفى غير مرّة بسببه ، حتى أخذه أغاته[١] الأمير فَيْرُوز الزِّمَام وبعثه إلى أبى الخير النحاس على هيئة غير مرضية ، فلما رآه أبو الخير على تلك الحالة صَفَح عنه،بعد أن حَصَلَ ليَشْبك هذا من الخوف والصَّغَار ما لا مزيد عليه ، فانظر إلى هذا الدَّهْر وأحواله .

والمقصود أن أبا الخير لما ضُرِبَ وطَاحَ عن فرسه ــ وكان الضارب له عبدا أسود ، وأخذ عمامته عن رأسه ــ رمى أبو الخير نفسه إلى بيت يَشْبُك المذكور ، فهجمت عليه العامة والمماليك إلى البيت، وكان يَشْبُك غائبا عن بيته ، وأخذوا فى ضربه والإخراق به وعَرّوه حتى أخذوا أخفافه من رجليه ، واختلفت الأقوال فى الإخراق به ، فمنهم من قال : أركبوه حمارا عُرْيَانا وأشهروه فى البيت المذكور ، ومنهم من قال أعظم من ذلك ، ثم نجا منهم وألقى بنفسه من حائطه إلى موضع آخر ، فتَبِعُوه وأوقعوا به أيضا ، وهو معهم عريانا ، ونهبوا بيت يَشْبُك المذكور ، وأخذوا ما فيه. فلمّا وصل يَشْبُك إلى داره ما أبقى ممكنا فى مساعدة أبى الخير النحاس ؛ وماذا يفعل مسكينٌ مع السَّواد الأعظم ؟؟ واستمرّ على ذلك حتى أرسل السلطانُ الأمير جانِبَك الوالى نجدةً لهم ، فساق حتى لحقه فما خلَّصه منهم حتى أشرف على الهلاك ، فأخذه جانِبَك وأراد أن يُرْكِبَه فرساً فما آستطاع لعظم ما به من الضَّرب والإهانة،وقد أصابه الضَّرب فى رأسه ووجهه / وسائرِ بدنه ، فأركبه عريانا ٩٨ وعليه ما يستره على بغلة ، وأردفه بواحد من خلفه على البغلة المذكورة يحفظه من الوقوع ؛ لضعفه عن الحركة ، وأخذه وتوجَّه به على تلك الحالة إلى بيت الأمير تَمُرْبُغا

(١) أغا : كلمة تركية معناها السيد أو الأخ الأكبر

الدَّوَادار الثانى بالقرب من جامع[١] سُودُون من زَادَه ، والعامة خلفه ينادون عليه بأنواع السَّب ، ويذكرون له فقره وما قاساه من الذُّل والهوان قبل وصلته بالسلطان ، إلى أن وصل إلى بيت تَمُرْبُغَا بغير عمامة على رأسه ، فاستمر فى بيت تَمُرْبُغا إلى الليل ، وتوجّه إلى داره مختفيا خائفا مرعوبا ، فسبحان من يُعِزّ ويذل ، هذا مع عدم تستُّر العوامّ فى الحطّ عليه فى الشوارع تجاه أعيان الدولة من غير خوف ولا تستُّر ، كل ذلك بغير خاطر السلطان ، ولم يسعه إلا السكات ؛ فإن المماليك والعامة صاروا الجميع فى هذه الواقعة على كلمة واحدة ، فكان هذا اليوم من الأيّام المشهودة ؛ فإنى ما رأيتُ ولا سمعت بمثل هذه الواقعة ، وقد سبق كثير من إخراق المماليك السلطانية بأعيان مباشرى الدَّولة من الهجم على بيوتهم وأخذ أموالهم ، ولكنهم كانوا يُبْقُون للصُّلْح مَوْضِعاً ، إلا هذا فإنهم ما كانوا يريدون إلا أخذ روحه ؛ وهم معذورون فيه ؛ فإنه كان بالأمس فى الحضيض واليوم صار فى الأوج ، ومع هذا الانتقال الزائد صار عنده شَمم وتكبُّر على مَن كان لا يرضى أقَلّ غلمانه أن يستخدمه فى أقل حوائجه .

● شعبان : أوّله السبت . ثم ثَبَتَ الجمعةَ بعد أيّام .

ففى يوم السبت ثانيه عُزِلَ ابنُ إسكندر عن حسبة القاهرة،ورسم لزين الدين الأستادار بالتكلّم فى الحسبة ، فامتنع أوَّلا ثم أجاب وباشرها بغير خلعة ، ففرحت العامة[٢] بتوليه ؛ لأنه كان فى أمسه ــ أعنى يوم وقع لأبى الخير النحاس ما وقع ــ أمر[٣] بالنداء بأنه يوم السبت يبيع كل إردب قمح بدينار ، وكان سعر القمح إذ ذاك نحو خمسمائة درهم الإردب ، فلما نزل القلعة وأخذ يتكلّم فى الحسْبة ، وأرسل فَتَح شونته بساحل بولاق وباع منها من غير تحجير ، لكنه كذب / ٩٩ فى السّعر،وباع بالسعر المذكور ، وكان على بن إسكندر قد حَجّرَ على بيع القمح إلا بإفراج منه للبائع ، وقيل إنه كان يشترى القمحَ بسعر ثم يبيعه بسعر آخر أزيد

(١) جامع سودون من زادة : يقع فى سويقة العزى بشارع سوق السلاح،أنشأه الأمير سودون من زاده الظاهرى برقوق ، ويعرف هذا المسجد بجامع السايس (على مبارك ــ الخطط ٥ : ٢١)

(٢) فى ت « وفرح العوام »   (٣) فى ت « أشهر النداء »

من الأول ، حتى إن بعض الناس اشترى قمحا بغير إذنه فضربه وأشهره ونادى عليه هذا جزاؤه ، وأقل[١] جزاء على من يشترى القمح .

قلتُ : وكان له أشياء من هذا النموذج[٢] .

وفى يوم الاثنين رابعه[٣] وصل الأمير خير بك المؤيدى أحد أمراء العشرات بمن معه من بلاد الصعيد .

وفيه وصل نُوكَار الحاجبُ من حَلَب . وفيه أخلع السلطانُ على أبى الخير النحاس كامليةً حمراء بمقلب سمُّور ، ونزل إلى داره خائفا مرعوبا ، لكنه شقَّ القاهرة إلا أنه لم يَسْلَم من الكلام ، وصار بعض العوامِّ يقول : أيْش هذه البرودة ؟ وبعضهم يقول : إذا اشتهيت أن تضحك على الأسمر لَبِّسْه أحمر . وصار أبو الخير يسلم على من رآه فى الطريق من الناس ، فمنهم من لا يرد عليه السلام ، ومنهم من يقول فى قفاه : خِيرتُك وإلّا ينحسوها[٤] ، ولم ينزل معه من الرؤساء ولا أرباب الدولة إلا المقر الجمالى ناظر الخواص .

وفى يوم الخميس سابعه حضر إلى القاهرة الأمير جانِبَك شادّ جُدّة ، وعبد الله كاشف الشرقية ، وصحبتهما العرب الممسوكون ، وهم نحو ثمانين نفراً مسمّرين على الجِمَال تسمير سلامة ، فأمر السلطانُ بتخليتهم ونزولهم من على الجمال ، ورسم بحبسهم بالمَقْشَرةِ فحبسوا بها ، ولما رأيتهم سألت من شخص يسمى دَمُرْدَاش كان وَلِى كَشْفَ الشرقية قبل تاريخه : ما هؤلاء ؟ قال : بَيَعَةُ الرُّطب بقَطْيَا — انتهى .

وكان انتهاء زيادة النِّيل فى هذه السنة ثلاثة أصابع من الذراع التاسع عشر ، وذلك فى يوم الأربعاء سادس شعبان-الموافق له سابع عشرين توت .

وفى يوم الاثنين حادى عشره كان قُدُوم الأمراء من البحيرة ، فأخلع السلطانُ

---

(١) فى ت « وقل » ولعل المعنى أنه أشهر من اشترى جزاء له . ثم قلل جزاء من يشترى

(٢) فى ت « النمط »

(٣) فى الأصل : ثالثه ، ولا يستقيم ، لأن يوم السبت ثانيه .

(٤) (فى النجوم الزاهرة ٧ : ١٨٠ ط . كاليفورنيا) « حيرتك وإلا ينحسوها أعمى رقبته » ولعل المعنى · وإلا أتعرض لإهانة العامة وإيذائهم .

على أعيانهم ، أعنى الثلاثة الأتابَكِى إينَال العَلائَى ، والأمير تَنَم أمير مجلس ، والأمير قَانى بَاى الجركسى أمير آخُور .

١٠٠ وفى يوم الاثنين ثامن عشره برز الأمير جَرِبَاش / الكريمى المعروف بقاشق أمير سلاح ، وقاضى القضاة بدر الدين محمد الحنبلى ، والزينى عبد الباسط بن خليل ومعهم جماعةٌ من الناس إلى الحجاز على هيئة الرَّجَبية .

وفى يوم الخميس ثامن عشرينه وردَ الخبرُ من الشام بموت الأمير بَيْسَق اليَشْبُكِى نائب قلعة دِمَشْق ــ رحمه الله .

● شهر رمضان : أوّله الأحد .

أهل هذا الشهر والناس فى جهد وبلاء من تزايد الأسعار فى كل ما يؤكل خصوصا القمح ؛ فإنه أبيع فى هذه الأيام بستمائة درهم الإردب ، والدقيق بنحو مائتى درهم البَطَّة ، والفول بخمسمائة درهم الإردب ، والشعير بأربعمائة درهم الإردب ، وكل شىء تزايَدَ سعُره أضعاف ما كان عليه ، وُعِدِمَ وجود اللحم إلا بجهد ، هذا والموافق لهذا الشهر من شهور القبط بابة ، وأين الناس من الحصاد ؟ !

وفى يوم الجمعة سادسه ــ ويوافق سادس عشرين بابه ــ لبس السلطانُ القماش الصُّوف الملوّن بَرَسْم الشتاء ، وألبس الأمراء المقدمين على العادة .

وفى يوم السبت سابعه عَزَلَ قاضى القضاة شيخُ الإسلام سعدُ الدين سعد بن الدِّيرى الحنفى نَفْسَه عن القضاء بسبب حمَّام السَّفْطِىّ وما وقع له فيها من الحُكْم السَّابق ، وأظهر قاسمُ الكاشفُ صاحبُ الحمام حُكْمَ بعض قضاة الرِّيف بما ينقض حُكْمَ قاضى القضاة المذكور ، وميل السلطانِ ظاهراً مَع مَن حَكَم لقاسم الكاشف ، فلما تبيّن ذلك لقاضى القضاة سعد الدين عَزَل نفسه ، وصمَّمَ على عدم الولاية ، وسُئل فى العَوْد فلم يقبل ، واختفى الشيخُ وَلِىُّ الدين السَّفطى فلم يُعْرف له مكان .

وفى يوم السبت رابع عشره أعيدَ قاضى القضاة سعد الدين بن الدِّيرى إلى وظيفة القضاء على عادته بعد تمنُّع زائدٍ .

وفى يوم الاثنين سادس عشره عُقِدَ مجلسٌ بين يدى السلطان بالعلماء والقضاة بسبب حَمَّام السفطى ، وظهر السَّفطى من خبائه وحَضَر المجلسَ ، وانفصل العقد على غير طائل .

وفيه خرج الأمير أسَنْبُغا الطَّيَّارِى رأس نوبة النوب ، والأمير جَرِبَاش المحمدى المعروف بكُرْد أحد مقدمى الألوف إلى البُحَيرة لقتال / العُرْبَان العاصية . ١٠١

وفى يوم الثلاثاء سابع عشره ورَدَ الخبرُ بموت شمس الدين محمد الحموى ناظر القُدْس الشريف .

شوال :أوّله الثلاثاء .

فى يوم السبت خامسه عزل السلطان القاضى جمالَ الدين يوسف الباعونىّ الشافعىّ عن قضاء دِمَشْق ، ورسم للنُّوَيْرِىّ قاضى طَرَابُلس بقضاء دِمَشْق ، فعارضه القاضى كمالُ الدين البَارِزىّ كاتب السرّ وقال : هذا رجل جاهلٌ لا يصلحُ لقضاء دِمَشْق ، فقال السلطانُ: قاضى حَلَب ؟ فأعاد كاتب السرّ القول وقال : كلاهما لايصلح لقضاء دمشق ، فقال السلطان:نولّى الشيخ علاء الدين القَلْقَشَنْدِى ، فقال الصاحب جمال الدين ناظر الخواصّ : ما يرضى ، فقال السلطان ما معناه نغصبه على ذلك ، وخشّن فى القول ، فلما نزل القاضى كاتب السرّ سأل الشيخَ علاء الدين فى ذلك فامْتَنَعَ بالكلية ، وردَّ الجواب على السلطان بذلك ، فرسم بأن يستقر السِّراج الحِمْصِى فى القضاء ، وكان الحمصى يومئذ بالقُدْس فى مشيخة الصَّلاحية .

وفى يوم السبت ثانى عشره قبض السلطانُ على نجم الدين أيُّوب بن بدر الدين حسين بن ناصر الدين محمد الشهير بابن بشارة مقدَّم العشير[١] ببلاد صَيْدَا[٢] ، وحبسه بالبُرْج من قلعة الجبل .

---

(١) العشير : اسم يطلق على بدو الشام وعلى سائر الدروز (دكتور . إبراهيم طرخان ـــ النظم الإقطاعية ٤٩٩) كما يطلق على الجند المرتزقة . هامش (النجوم الزاهرة ١٣ : ١٤٣ ط . الهيئة العامة للتأليف) .

(٢) صيدا : مدينة بساحل البحر الرومى ذات حصن حصين . سميت بصيدون بن صرقا بن كنعان بن حام بن نوح . وقيل سميت بامرأة بينها وبين دمشق ستة وثلاثون ميلا . وهى أيضا ولاية واسعة (القلقشندى ـــ صبح الأعشى ٤ : ١١١) .

وفى يوم الخميس سابع عشره برز المحمل إلى بركة الحاج ، وأميره الأمير الطواشى الرُّومى فَيْرُوز النَّورُوزى الزِّمام والخازندار ، وأمير [الركب الأول][1] تَمُرْبُغَا الظاهرى الدوادار الثانى ، وحج فى هذه السنة من الأعيان الأمير طُوخ من تِمْرَاز الناصرى أحد مقدمى الألوف بالديار المصرية [المعروف][2] بُيْنِي بَازِقْ باللغة التركية أعنى غليظ الرقبة ، وبُيْنِي — بضم الباء الموحدة وسكون الياء آخر الحروف ، وكسر النون ، ومعناه رقبته ، بازق بفتح الباء الموحدة وألف وزاى مكسورة وقاف ساكنة-وحج فى هذه السنة أيضا الشهابى أحمد ابن الأتَابَك إينال العلائى ، وخرج فَيْرُوز المذكور — وفى وظيفته أقوال — وقدره فى آنحطاط ، وهو أن العادة تكون نقادة[3] تحت نظر الزِّمام من جملة أوقاف الخُدَّام بالمدينة الشريفة ، فدخل فَيْرُوز المذكور يشاور السلطان قبل هذه الأيام فى عدم / متحصلها فى هذه السنة ، وأنه ١٠٢ إلى الآن ما حُصِّلَ منها شىء ، فقال له السلطان : أنفق من عندك ثم خذممن تحت يَدِك ، ثم أمر أبا الخير النحاس بالتحدث عليها ، فقال أبو الخير : يامولانا السلطان ، شرط الواقف أن يكون النظر لمن يكون زماماً ، فقال السلطان قد ولَّيْتُك زماما ، فأشار أبو الخير بيده إلى السلطان أن له شيئا— يعنى ذَكَرًا —ففطن السلطان لذلك ثم أجاب بأن قال : ولو كان اثنين— يعنى ذكرين —فما أمكن أبو الخير إلا أنه نَزَل وصَرّ الصُّرر من عنده نحو الثلاثة آلاف دينار .

قلتُ : ولو أراد أبو الخير الزماميّة إذ ذاك لكان وليها ؛ فإن مقصود السلطان كان صَرُّ الصُّرر ، ودع الدنيا تنقلب ظَهْراً لبَطْن .

وفى يوم السبت تاسع عشره لبس القاضى وَلِىّ الدين الأسيوطى مشيخة الجمالية، عوضاعن ولى الدين السّفطى بحكم تسحُّبه واختفائه ؛ فإن السّفطى منذ نزل من القلعة بعد عقد المجلس الأخير آختفى .

(١) إضافة يقتضيها السياق ..وانظر النجوم الزاهرة ١٥ : ٤٠٢ .

(٢) إضافة للتوضيح

(٣) نقادة : هى من القرى القديمة ، وردت فى قوانين ابن مماتى ، وفى تحفة الإرشاد.وفى التحفة : وهى من أعمال القوصية (محمد رمزى — القاموس الجغرافى للبلاد المصرية ٤ : ١٨٩) .

وفى يوم الاثنين ثامن عشرينه وصل إلى القاهرة الأمير أَسَنْبُغَا الطّيارى رأس نوبة النُّوَب ، والأمير جَرِبَاش كُرْد من تجريدة البحيرة .

وفيه عُزِلَ ابنُ عامر قاضى الإسكندرية ، واستقر عوضه شخص يعرفُ بالمحلّى شافعى المذهب ، والعادة أن لا يكون قاضيها إلا مالكيا ، فأخرق السلطان العادة لما وصل إليه النَّتَّجُ [1] الكبير انتهى .

وفيه عَزَلَ السلطانُ الأمير يَشْبُك من جَانِبَك المويّدى الصّوفى عن نيابة طَرَابُلُس لشكوى أهل طَرَابُلُس منه ؛ لكثرة ظلمه وسوء سيرته ، ثم أعيد من الغد إلى نيابته .

ذو القعدة : أوّله الأربعاء .

فى يوم السبت رابعه عزَلَ السلطانُ الأمير يَشْبُك الصُّوفِى عن نيابة طَرَابُلُس ثانيا ثم أعيد أيضا ، وفى إعادته أقوال .

وفى الاثنين ثالث عشره أعيد قاضى دمشق جمال الدين الباعونى الشافعى إلى وظيفة القضاء بها .

وفى يوم الخميس سادس عشره أخلع السلطان على الأمير حسن بك بن سالم الدُّوكَارِىّ بنيابة حِمْص بعد عزل الأمير بُرْدُبَك السَّيفى سُودُن من عبد الرحمن .

وفيه تُوُفِّى الشَّرفِى يَحيى بن العطار ودفن من الغد .

وفى يوم الاثنين عشرينه آستقرّ الأمير جَانِبَك اليَشْبُكِى والى القاهرة فى حسبة / ١٠٣ القاهرة مُضَافا لما بيده من الإمرة والحجوبية وغيرها ، ومنع زين الدين الأستادار من التحدث فيها .

وفى يوم الخميس ثالث عشرينه نُودِىَ بالقاهرة على وَلِىّ الدين السَّفطى بأنّ من أحضره إلى السلطان يكون له مائة دينار . وهدد من أخفاه بعد ذلك بأنواع العقوبة والنكال .

● ذو الحجة : أوّله الخميس .

---

(١) فى الأصول « السيح » والأقرب للصواب ما أثبتناه ، وهو يعنى المال .

فى الجمعة ثانيه عقد السلطانُ عَقْدَه على بنت كُرْتْبَاى أمير بلاد الجَاركس الواصل إلى القاهرة قبل تاريخه ، وصحبته ابنته المذكورة ، وأسلما واختتن كُرْتْبَاى المذكور ، وحسُن إسلامه — على ماقيل — وبنى السلطانُ بها فى ليلته ، وأزال بكارتها ، وكان السلطانُ قد أنعم على ولده الفخرى عثمان بوَصيفَةٍ فأزال عثمان أيضا بكارتها فى الليلة المذكورة ، وبُشِّر السلطانُ بذلك ، فأنعم على من بَشَّره بمائتى دينار فرحا بولده عثمان المذكور .

وفى يوم السبت ثالثه استقر عبدُ العزيز بن محمد الصغير الأمير آخور من جملة الحجَّاب بالقاهرة بعد أن قدّم عِدة خيول .

وفى يوم الخميس ثامنه وصل الأمير يَشْبُك الصُّوفى نائب طَرَابُلُس إلى القاهرة بطَلَب ، وتمثَّل بين يدَى السلطان ، وبمجرد وقوفه — بعد تقبيل الأرض — رسم السلطان بتوجُّهه إلى ثغر دِمْيَاط بطالا ، فنزل من وقته وتوجه إلى ثغر دِمْيَاط .

وفيه رُسِمَ بعزل شهاب الدين أحمد بن الزّهرىّ عن قضاء الشافعيّةِ بَطَرَابُلَس واستقرّ مكانه بُرهان الدين إبراهيم السُوبينى ، ورسم بأن يُكْتَب مرسُومٌ شريف للقاضى بُرهان الدين المذكور بالكشف عن أمر الأمير يَشْبُك الصُّوفى المعزول عن نيابة طَرابُلُس .

وفيه رُسِم بالقبض على الأمير قَرَاجَا العمرى نائب القُدْس ، وتوجهه إلى دِمَشْق بطالا .

وفيه أعيد مُبَارَكْشَاه العبد الرحمانى إلى نيابة القُدْس .

وفيه عُزل الأمير عَلاَّن المؤيدى عن حجوبيّة حجّاب حَلَب؛لشكوى الأمير قانِبى بَاى الحمزاوىّ نائب حَلَب عليه ، واستقر عوضه فى الحجوبيّة الأمير سُودُون من سيّدى بَك القرَمَانى أحد مقدَّمى حَلَب ، ثم انتقض ذلك كلُّه فى اليوم ، واستمر عَلاَّنُ على حجوبيته بسفارة القاضى كمال الدين البَارِزىّ / كاتب السّر ؛ فإنه أعلَم السلطانَ بالمحاضر التى وردَت من عَلاَّن المذكور تتضمَّنُ أن التَّشَاجُر الذى وقع بينه وبين ١٠٤

النائب المذكور إنما هو بسبب إزالة المنْكَرات من حَلَب ، والأمر بالمعروف ، والقيام في ذلك ، فلما سمع السلطانُ مقالة القاضي كاتب السّر رَسَم بإعادته .

ومن غريب الاتفاق في هذه السنة أنه مات فيها من المواشي كالأبقار والأغنام وغير ذلك مالا يدخل تحت الحصر من عدم العلوفة والفناء ، فأيقن كل أحد بغلُوّ سِعْرِ الأُضحِيَة ، فلما كان العشر الأول من ذي الحِجّة وصل إلى القاهرة من الأبقار والأغنام شيء كثير حتى أبيعت بالثمن البخس .

وفي يوم الأربعاء رابع عشره وقف إلى السلطان جماعةٌ من أهل المعّرة[١] وشكوا على الصّارمي إبراهيم بن بَيْغُوت نائب حماة وعلى ابن العُجَيل وأنهوا عنهما أشياء قبيحة أوجبت تغيّر خاطر السلطان عليهما ، وندب السلطانُ السيفي جَانَم السَّاقي الظاهريّ إلى حماة بطلب إبراهيم بن بَيْغُوت المذكور ، وطلب ابن العُجَيل ، وفي رقبة كل واحد منهما جنزير ، وخرج جَانَم المذكور في يوم الجمعة بعد الصلاة وفي ظنّ كلِّ أحد أن بَيْغُوت يخرج عن الطاعة ولا يُرسل وَلَدَه على هذه الهيئـة .

وفيه وصَلَ بدرُ الدين حسن بن المزلق ناظر جيش دِمَشْق بعد أن كشف عن بلاد صَيْدَا وعن أمر نجم الدين أيّوب بن بشارة المقبوض عليه قبل تاريخه ، وأحضر صحبته عَدَّة محاضر تتضمَّن عظائِـم في حقّ ابن بشارة ، منها : أنه تزوَّج بثمانية نِسْوَة ، ومنها أنه قتل بيده جماعةً ، وأمر بقتل سبعة وعشرين نفرا ، ومنها استولى في مُدّة مباشرته ـــ وهي نحو من أربع سنين ـــ على مائتى ألف دينار وسبعة عشر ألف دينار وأربعمائـة دينار، وأشياء من هذا النمط يَطول شرحُهْا .

ولما كان يوم الاثنين تاسع عشره رَسَمَ السلطانُ بتسمير ابن بشارة المذكور فسُمِّرَ وطِيفَ به القاهرة على جمل ، ثم وُسِّط من يومه المذكور ، ووُسِّط معه شخصٌ آخر من أعوانه .

(١) المعرة : مدينة كبيرة من أعمال حمص بين حلب وحماة ، ومنها كان أبو العلاء المعرى ، وتسمى معرة النعمان (ياقوت . معجم البلدان ١٨ : ١٥٦) .

وفى يوم الخميس ثانى عشرينه فيه أخلع السلطانُ على الأمير قَشْتَم النَّاصرى الواصل من القُدس الشريف قبل تاريخه باستقراره / فى كَشْف الوجه البحرى على عادته بعد عزل محمد الصّغير . ١٠٥

وفى يوم السبت رابع عشرينه قدم مملوكُ الأمير قَانى بَاى الحمزاوى نائب حَلَب ومملوك عَلاَّن حاجب حَلَب،وتمثَّلاَ بين يدَى السلطان وتفاوضا فى الكلام ، وكل منهما يتكلَّم عن أستاذه ، فمال السلطانُ إلى الأمير قانِى بَاى الحمزاوى، وعزلَ الأميرَ عَلاَّن المذكور عن حجوبية حَلَب ، ورسم له بالتوجه إلى طَرَابُلس بَطَّالا ، ورسم بأن يستقرَّ عوضه فى حجوبيّة حَلَب سُودُون القَرَمَانى المتقدم ذكرُه ، ثم بطل ذلك . ووَلِيها قاسم بن جمعة القشَّاشِى على مَالٍ بذله فى ذلك ، وأنعم بإقطاع قاسم المذكور وإمرته-وهى إمرة طبلخاناه بدِمَشق-على الأمير جانِبك شيخ المؤيَّدى المعزول عن حجوبية حَلَب قبل تاريخه أيضا .

وفيه رسم السلطان لماماى [السيفى بيبغا][١] المُظفَّرِىّ أحد الدوَيْدَارية الصِغَار بالتوجّه إلى دِمْيَاط ، وأخذ الأمير يَشْبُك الصوفى منها مُقَيَّدا وحبسه بثغر الإسكندرية .

وفيه وصل مبشِّر الحاج أيْدَكى الأشرفى وأخبر بموت الشريف سِرَاج الدين عبد اللطيف[٢] قاضى الحنابلة بمكّة ، وأخبر أيضا بموت قاضى قضاة مكّة الخطيب أبو اليُمْن النُّوَيْرىّ ، وأخبر أيضا بسلامة الحاج والرخاء الزّائِد .

قلت : والرخاء بمكة فى هذه السنة من الغرائب لغلُوِّ الأسعار بالديار المصرية لأن السّعر فى العام الماضى كان بالقاهرة كل إردب قمح[٣] كان بمائة وعشرين درهما ، والفول بثمانين درهما الإردب ، والدقيق العلامة بأربعين درهما البطَّة ، ومع هذا الرخاء أبيع الحمل الدقيق بمكّة فى تلك السنة بعشرة دنانير الحمل ، والفول المجروش ويبتان[٤] بدينار .

---

(١) الاضافة من (النجوم الزاهرة ٧ : ١٨٣ ط . كاليفورنيا) .
(٢) هذا اللفظ من ت . (٣) هذا اللفظ من ت .
(٤) الويبة : تساوى ستة عشر قدحا ، أى كيلتين بالكيل المصرى (دكتور ابراهيم طرخان ـــ النظم الإقطاعية ٥١٧) .

وفى هذا العام الناسُ بالقاهرة فى جهد من غلوّ الأسعار ، وكل إردب قمح بنجو ثمانمائة درهم ، والفول بخمسمائة درهم ، والدقيق كل بَطّة بمائتين وخمسين درهما . وهو مع هذا قليل الوجود ولا يوجد إلا بعُسْرٍ زائد ، ومع ذلك أبيع الحمل الدقيق بمكة بمثل سعره فى العام الماضى ، وأما الفول المجروش فأبيع بأنقص من العام الماضى ، فإنه أبيع فى هذه السنة كل أربع ويبات بدينار ، وكان الظَّن بخلاف ذلك .

وفى يوم الخميس [تاسع][1] عشرينه / رُسِمَ باستقرار الأمير يَشْبُك النَّوْرُوزِى حاجب حجاب دِمَشْق فى نيابة طَرَابُلس عوضا عن الأمير يَشْبُك الصُّوفِىّ بمال بذله فى ذلك ، وحمل إليه التشريف والتقليد على يد الأمير أسِنْبَاى الجمالىّ الظاهرىّ أحد أمراء العشرات ، ورَسَمَ بإعادة الأمير جَانِبَك النَّاصرىّ إلى حجوبية حُجَّاب دِمَشْق عوضا عن يَشْبُك النَّوْرُوزِىّ ، وجهز تشريفه وتشريف حاجب حَلَب على يد بَلَبَان الظاهرى الخاصّكىّ . ١٠٦

وفيه رسم بتَوْسيط ثلاثة من مشايخ العربان بالبحيرة فوسِّطُوا فى الحال بالقاهرة ، وهم إسماعيل بن زايد ، ورحاب وسُنْقُر، وكانوا مسجونين بقلعة الجبل .

وفيه أنعم السلطانُ بإمرة جانِبَك المنتقل إلى حجوبيَة حَلَب بدِمشق على الأمير بُرْدُبَك العجمىّ المقيم بدِمْيَاط بطّالا ، والمعزول عن نيابة حَمَاة قبل تاريخه ، وهى تقدمة ألف بدِمَشْق .

وفى هذه السنة وَرَدَ الخبر بوقوع الخسف بين أرض سيس وطَرسُوس، ولم أتحقّق مِقْدَار الأرض التى خُسِفَت .

وفى هذه السنة أيضا كان الفراغ من بناء جامع زين الدين الأستادار بخط بُولَاق على النيل ، ولم أَدْرِ المصروف على بنائه من أى وجه .

وفيها أيضا كان الفراغُ من تجديد سبيل ابن قَايْمَاز خارج القــاهرة .

---

(١) فى الأصل « خامس » ولا يستقيم ، لأنه سبقه السبت ٢٤ ذو الحجة . والصواب ما أثبتناه . ونفس الخطأ يوجد فى النجوم الزاهرة ١٥ : ٤٠٤ .

وفى هذه السنة شرع الصاحبُ جمال الدين يوسف ناظر الخواص فى حفر بئـر تكون منهلا للحاج بمنزلة البُوَيْب[١] ثانى منزلة الحاج .

● أمْرُ النيل فى هذه السنة : كانت القاعدة-أعنى الماء القديم-سبعة أذرع وخمسة عشر إصبعا ، وكان مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا وثلاثة أصابع .

* * *

(١) منزلة البويب : بين بركة الحاج وبين الطليحات بالأعمال الشرقية (القلقشندى ـــ صبح الأعشى ١٤ : ٣٨٦) .

﴿ ذِكْرُ مَن تُوُفِّيَ فى هذه السنة من الأعيان ﴾

تُوُفِّى الشيخُ شهاب الدين أحمد الهيتّى الشافعى[١] أحد أعيان طلبة الشافعى ، كان مجاورا بالجامع الأزرهر مكبًّا على الإشغال والاشتغال مع دين وصيانة وعفة وصلاح ، إلى أن تُوُفِّى بالجامع المذكور فى يوم الأُحد رابع عشر[٢] المحرم رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّى القاضى شهاب الدين أحمد المسطيهى[٣] الشافعى، أحد نوّاب الحُكْم فى يوم الاثنين خامس عشر المحرم . رحمه الله تعالى .

١٠٧ وتُوُفِّىَ / سَيّدى أحمد ابن السلطان الملك الظاهر جقمق فى يوم الأرْبعاء أوّل صَفَر وهو فى السابعة ، وأمه خَوَنْد شاه زادَة بنت ابن عثمان متملِّك بلاد الرُّوم ومات للملك الظاهر فى هذا الطَّاعون ثلا ثة ذكور أخر ، وشقيقة لأحمد هذا، وبنت أخرى - ذكرناهم فى وقتهم فيمن تقدّم - رحمهم الله .

وتُوُفِّى الشيخ علاء الدين الكِرْمَانى[٤] شيخ خانقاه سعيد السعداء فى يوم الخميس ثانى صفر ، وكان خيِّراً دَيِّنا مشكور السيرة — رحمه الله .

وتُوُفِّىَ السيد الشريف حسن بن على المعزول عن نقابة الأشراف قبل تاريخه فى يوم الاثنين سادس صفر . وكان من بيت رئـاسة وشرف - رحمه الله تعالى وعفى عنه .

---

(١) هو أحمد بن على بن إبراهيم بن مكنون — الشهاب الهيتى ، ولدهيت من أعمال الموفية — (السخاوى — الضوء اللامع ٢ : ٦ ، ٧) و (النجوم الزاهرة ٧ : ٣٢٨ ط . كاليفورنيا).

(٢) فى ت " يوم الاثنين خامس عشر المحرم ".

(٣) هو أحمد بن على بن عامر ابن عبد الله . الشهاب ابن نور الدين المسطيهى ثم القاهرى (السخاوى — الضوء اللامع ٢ : ٢٠) و (النجوم الزاهرة ٧ : ٣٢٨ ط . كاليفورنيا).

(٤) هو على أبو الحسن الكرمانى الشافعى . قدم إلى دمشق بعد الأربعين ، ثم تحول إلى القاهرة ، وتولى مشيخة سعيد السعداء فى سلطنة الظاهر جقمق (السخاوى — الضوء اللامع ٦ : ٥٧) و (النجوم الزاهرة ٧ : ٣٢٨ ط : كاليفورنيا) .

وتُوُفِّى القاضى برهان الدين إبراهيم بن ظهير [١] ناظر الإسطبل السلطانى فى يوم الاثنين سادس صفر أيضا ، ودفن من الغد ــ رحمه الله تعالى [٢] .

وتُوُفِّى السيد الشريف على بن حسن بن عجلان ــ [٣] المعزول عن إمرة مكّة قبل تاريخه ، بالطاعون فى ثغر دمياط ــ فى أوائل صفر ، وكانت له محاضرة حسنة ومعرفة ، وعنده كرم ، وبالجملة فهو من سلالة طاهرة ، وورد الخبر بموته فى يوم الجمعة عاشر صفر ــ رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّى الأميرُ سيف الدين تِمْرَاز بن عبد الله القَرْمَشِىّ الظَّاهِرى [٤] بَرْقُوق أمير سلاح، فى يوم الجمعة عاشر صفر أيضا ، ودُفِن من الغد ، ولم يَحضر السلطانُ الصلاة عليه لشُغْلِهِ عنه بجنازة بنته حسبما ذكرناه قريبا ، وأنه مات فى اليوم المذكور عِدّة من الأعيان ، وتِمْراز المذكور أصله من مماليك الملك الظاهر بَرْقُوق ، وترقى من بعده إلى أن وَلى نيابة غَزَّة فى الدولة الأشرفية بَرْسْبَاى سنين ، ثم عَزَلَهُ وأحضره إلى القاهرة على إمْرَة مائة وتقدمة ألف ، ثم جعله رأس نوبة النُّوب بعد الأمير أَرْكَمَاس الظاهرى المنتقل إلى الدَّوَادارية الكُبْرى بعد خروج الأمير أُزْبُك المحمدى إلى القُدْس بطَّالا ، فدام تِمْرَاز على ذلك إلى أن نقله الملكُ الظاهرُ جَقْمَق إلى الأمير آخورية الكُبْرى بعد القبض على الأمير جَانَم الأشرفى ، فلم تَطُل مُدَّته ونقله الظاهر / إلى إمْرَة سلاح بعد الأتابَك يَشْبُك السُّودُونى المُشِدّ ، فدام على ذلك تِمْراز إلى أن مات فى التاريخ المذكور ، وكان أميراً عاقلا ساكنا كريما جَوَادا، قليل الكلام فيما لايعنيه ، نادرة فى أبناء جنسه ، سمعتُ الأتَابَك آقْبُغَا التِّمْرَازِىّ يقول عنه : لولا أنه مُسْرِفٌ على نفسه لكنت أقول هذا من الأبدال الصالحين ؛ لاشتماله على محاسن لم تُعْرَف من مثله ــ رحمه الله تعالى .

١٠٨

---

(١) له ترجمة فى (النجوم الزاهرة ٧ : ٣٢٩ ط كاليفورنيا) .

(٢) ورد فى هامش اللوحة "حاشية : وتوفى الشيخ برهان الدين إبراهيم بن أبى يزيد الصفدى الحنفى شيخ الجوهرية بالجامع الأزهر بالطاعون فى سنة حجه ، وكان له تدريس بالقانباهية برأس سويقة منعم ، وتلقاها من نجم الدين القرشى ، وكان أحد أشياخنا رحمهم الله تعالى ، ولم ترد الحاشية فى ت " والجوهرية : انشأها جوهر القنقبائى سنة ٨٤٤ هـ (على مبارك ــ الخطط) والقانباهية هى المدرسة التى جددها قانباى الجركسى وقد مر التعريف بها .

(٣) له ترجمة في (النجوم الزاهرة ٧ : ٣٢٩ ط : كاليفورنيا) .

(٤) له ترجمة في (النجوم الزاهرة ٧ : ٣٢٩ ط : كاليفورنيا) .

وتُوُفِّى قاضى القضاة بدر الدين محمد ابن قاضى القضاة ناصر الدين أحمد ابن محمد بن محمد بن محمد بن عطاء الله بن عِوَاض بن نجا بن أبى الثناء محمود ابن نهار بن مؤنس بن حاتم بن نيلى بن جابر بن هشام بن عُرْوَة بن الزُّبير بن العوّام — رضى الله عنه-حوارىّ رسول الله — ﷺ — وابن عمته — هكذا نقلته من خطّ قاضى قضاة الديار المصرية التَّنَسِى[1] المالكى الإسكندرىّ الأصل فى يوم الاثنين ثالث عشر صفر ، وكانت جنازته مشهودة ، وكان فقيها ديِّناً عالما عفيفا ، قامعا لشهود الزُّور ، مشكور السيرة فى أحكامه إلى الغاية بحيث إنه كان مُفْرَداً فى معناه ، وكان له نَظْمٌ ، من ذلك ماقاله فى النَّوْم فى طاعون سنة سبع وأربعين وثمانمائة أنشدنيه إجازة إن لم يكن سماعاً ، [الوافر] .

إلهَ الخَلق قد عَظُمت ذُنُوبِى فَسَامِحْ مَا لعَفْوكَ من مُشَارِك .
أغث ياسيدى عبْداً فقيرا أَنَاخَ بِبَابكَ العَالِى ودَارِك .

قلت : وهذا مثل قول حافظ العصر قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن حجر — رحمه الله — وهو مما أنشدنى من لفظه لنفسه . [مخلع البسيط] .

سِرْتَ وخَلَّفْتَنِى غَرِيبًا فِى الدَّارِ أُصْلَى هَوَى بنَارك
أَدْرِكْ حَشًا حُرِّقَتْ غَراماً فى رَبْعِكَ المُعْتَلى ودَارِك

ومما يقارب هذا المعنى قول الفخر بن مكانس : [الوافر] .

بحقّ الله دَعْ ظُلْمَ المُعنَّى ومتِّعْه كما يَهْوَى بأُنْسِك
وكُفّ اللَّوْمَ يامحبوب عمَّن بِيوْمِكَ رُحْتَ تهجره وأمْسِك

/ ومن شعره أيضا فيما يقرأ على قافيتين مع استقامة الوزن : [السريع] . ١٠٩

جَفَوْتُ مَن أهواه لاعِن قِلًى فظلّ يَجْفُونى يرُوم الكفا:ح
ثُمّ وَفَالِى زَائِرا بَعْده فطابَ نشرٌ من حبيب وفا:ح

قلت وهذا أيضا مثل قول شهاب الدين بن حجر : [السريع]

نَسِيمُكُمْ يُنْعِشُنِى فى الدُّجَى طَالَ فَمَنْ لِى بمجىءالصبا:ح

---

(١) له ترجمة في (السخاوى — الضوء اللامع ٧ : ٩٠ — ٩٢) ومولده بعد ٨٧٠٨هـ) و (النجوم الزاهرة٧ : ٣٣٠ — ٣٣٣ ط . كاليفورنيا).

ياصِبَـــاحَ الوجـــوه فارَقْتُكُـــمْ فَشِبْتُ هَمًّا إذ فقدتُ الصِّبا:ح

وأنشدنى أيضا من لفظه لنفسه فى المعنى العلامة شمس الدين النواجى [الطويـل] .

خليلَىّ هذا رَبْعُ عَزَّةَ فاسْعَيَا إليه وَإِنْ سَالَتْ به أَدْمُعى طوفا:ن

فَجَفْنِى جَفَا طيبَ المنام وجَفْنُها جفائِى فيالله من شَرَكِ الأجفا:ن

ومثله أيضا لقاضى القضاة صدر الدين على بن الأدمى الحنفى : [السريـع] .

يامُتْهِمِى بالسُّقم كُنْ مُنْجِـدِى ولا تُطِلْ رَفْضِى فإنى على . . ل

أنتَ خليلـى فَبِحَـقِّ الهَـوَى كُنْ لشِجُونِى رَاحِمًا ياخلى . . ل

وتُوُفِّىَ الأمير سيفُ الدين إينال بن عبد الله اليشبكى[١] أحد أمراء العشرات فى يوم الأربعاء خامس عشر صفر ، كان أصله من مماليك الأتابَك يَشْبُك الشَّعْبَانى وتنقَّل فى الخدم من بعده حتى صار خاصِّكيًا فى الدَّولة الأشرفية ، ورأس نَوْبَة الجمدَاريّة ، ثم امتحن بسبب تُرْبَة أستاذه ، ثم تأمَّر فى الدولة الظاهريّة جَقْمَق عشرة ، واستمرّ إلى أن مات-رحمه الله وعفا عنه[٢] .

وتُوُفِّىَ القاضى ولى الدين أبو اليُمْن محمد ابن تقى الدين قاسم بن عبد الرحمن ابن عبد الله بن محمد بن عبد القادر الشِّيشِينىء المَحَلِّى الأصل الشافعى المعروف بابن قاسم[٣] فى يوم الجمعة سابع عشر صفر ، كان أَوَّلا يلى قضاء المحلّة وصحب الملك الأشرف فى حال إمرته ، فلما تسلطن قَرّبَه وأدناه ونادمه لُدَعَابَةٍ كانت فيه وحسن محاضرة ، وخفة روح ، مع إفراط السِّمن ، حتى إنه كان لايحمله إلا الجياد من الخيل ، ونالتْه السعادة بذلك ، وأثرى وعُدّ من الرؤساءِ / ثم وَلِى نظرَ الحرم بمكة،ومشيخة الخدّام بالمدينة الشريفة،إلى أن طلبه الملك الظاهر جَقْمَق إلى القاهرة وصادره ، ثم رضى عنه ونادمه بعد ذلك إلى أن تُوُفِّى ، وكان خيِّرا ديِّناً لطيفا ذا طباع ليِّنة عفيفا عن المنكرات ـــ رحمه الله تعالى .

١١٠

(١) له ترجمة في (النجوم الزاهرة ٧ : ٣٣٤ ط كاليفورنيا).

(٢) هذان اللفظان من ت .

(٣) هو محمد بن قاسم بن عبدالله بن عبدالرحمن بن محمد بن عبدالقادر ـــ الولوى أبو اليمن بن التقى بن الحمال الشيشينى ، ويعرف بابن قاسم . ولد سنة ٧٨٣ ه (السخاوى ـــ الضوء اللامع ٨ : ٢٨١ ، ٢٨٢).

وتُوُفِّى الأمير إسماعيل بن عمر الهَوَّارِىّ أمير هَوَّارة[1] ببلاد الصعيد ، وكانت وفاته بالقاهرة فى يوم الجمعة سابع عشر صفر .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين قَرَاجَا بن عبد الله الحسنى الظاهرى[2] الأمير آخور الكبير فى يوم السبت ثامن عشر صفر .

وتُوُفِّى ولده أيضا فى يومه المذكور وجُهِّزَا معاً ، ودفنا من الغد . وحضر السلطان الصلاة عليهما جملة ، وكان قَراجَا المذكور من محاسن الدنيا ديناً وعِفَّة وأدبا وتواضُعاً مع حسن السِّيرة ، وكان أصله من مماليك الظاهر بَرْقُوق ، وتأمَّرَ بعد موت الملك المؤيَّد شيخ ، وتَرَقَّى فى الدولة الأشرفية بَرْسْباى إلى أن صار من جملة أمراء الطبلخانات ورأس نوبة ثانيا ، ثم ولى إمرة مائة وتقدمة ألف إلى أن ولاَّه الملكُ الظاهر جَقْمَق رأس نوبة النُّوب بعد الأمير تِمْراز القَرْمشِىّ فى سنة اثنتين وأربعين ، ثُمَّ فى السنة نقله إلى الأمير آخورية الكُبْرى بعد تِمْرَاز المذكور أيضا ، فاستمرّ فى الأمير آخُورِيَة سنين ، وبنى عدة أملاك أوقف غالبها على مدرسته التى أنشاها بالقرب من قنطرة طُقُزْدَمُر ، وكان عارفا بأنواع الفروسية رأسًا فى ركوب الخيل ، وقد استوعبنا ترجمته فى تاريخنا «المنهل الصافى» بأوسع من هذا ، لكنا اختصرنا فى ترجمته هنا وغيره لكثرة من مات فى هذه السنة بالطاعون ، كل ذلك خشية الإطالة .

وتُوُفِّى السيد الشريف أبو القاسم بن حسن بن عَجْلاَن بن رُمَيْثَة المعزول عن إمرة مكَّة المشرّفة بالقاهرة فى ليلة الاثنين عشرين صفر ، وحضر السلطانُ الصلاة عليه بمصلاة المؤمنى ، ودُفِن على والده بالصّحراء ، بعد أن مات أكثر أصحابه ، وكان قدومه إلى القاهرة صحبة الحاج فى هذه السنة للسعى فى إمرة مكّة ، فكان أحق بقول أبى الفتح البُسْتى ، [الوافـر]:

أرى قَدَمى . أَرَاقَ دَمِى

عفا الله تعالى عنه .

---

(١) هوارة : بفتح وتشديد الواو المفتوحة وفتح الراء وهاء في الآخر ، وقد اختلف في نسبهم ،وكانوا يعيشون في الوجه البحرى حتى برقة . ثم رحلوا إلى صعيد مصر وظلوا به فيما بين قوص إلى بحرى الأعمال البهنساوية ،وانظر (القلقشندى ــ قلائد الجمان ١٦٧ ، ١٦٨).

(٢) له ترجمة فى (النجوم الزاهرة ٧ : ٣٣٤ ط . كاليفورنيا) وكانت وفاته بالطاعون .

١١١ وتُوُفِّيت خَوَنْد نفيسَة بنت الأمير ناصر الدين بَك بن دُلغادر زوجة / السلطان الملك الظاهر جَقْمَق فى يوم الثلاثاء حادى عشر صفر ، وحضر السلطانُ الصَّلاة عليها ، ونفيسة المذكورة كان تزوجَهَا الأتابَك جَانِبَك الصوُّفِى لَماَّ قَدِمَ على أبيها ناصر الدين بَك ببلاده ، ووافق ناصر الدين بَك المذكور على مخالفة الملك الأشرف بَرْسبَاى ، واستولدها بنتا ، واستمرت نفيسة عند أبيها حتى طَلَبهَا الملكُ الظَّاهر جَقْمَق،فقدمت القاهرة مع والدها بعد سنة ثلاث وأربعين ومعها بنتها من جَانِبَك الصُّوفى فتزوجها السلطان ، ودامت فى عصمته إلى أن تُوُفِّيَت بالطاعون فى التاريخ المذكور ـــ رحمهما الله تعالى .

وتُوُفِّىَ الأمير بختك [بن عبد الله] [1] الناصرى، أحد أمراء العشرات [2] بالديار المصرية فى يوم الأربعاء سادس عشرين صفر ، وكان متوسط السيرة لا يُعْتَد به .

وتُوُفِّىَ الأمير مُغُلْبَاى [طاز بن عبد الله] [3] السَّاقى الظاهرى المعروف بطاز أحد مماليك الملك الظاهر جَقْمَق وخواصّه ، فى يوم الأربعاء ثانى عشرين صفر وسنّهُ نيفّ على عشرين سنة ، وكان من مساوىء الدهر ، وتأمّر قبل موته بأقل من نصف شهر- عفا الله عنه .

وتُوُفِّىَ الشيخ المعتقد العالم الصالح محمد بن عبد الرحمن بن عيسى بن سلطان [4] المعروف بالشيخ محمد بن سلطان الغَزِّى الأصل المصرىّ الدَّار والوفاة الشافعى ، فى يوم الأحد سادس عشرين صفر ، وكان الناس فيه على قسمين مابين معتقد ومنتقد ، والقسم الأوّل أوفر ، وكان لايتردّد إلى أحدٍ من الناس، بل الأكابرُ

---

(١) له ترجمة في (النجوم الزاهرة ٧ : ٣٣٦ ط كاليفورنيا) والاضافة منه .

(٢) أمراء العشرات : هم الطبقة الثالثة من الأمراء ، وعدة كل منهم عشرة فوارس ، وربما كان فيهم من له عشرون فارسا ، ولاضابط لعدد أمراء هذه الطبقة ، ويكون منهم صغار الولاة ونحوهم من أرباب الوظائف (القلقشندى ـــ صبح الأعشى ٤ : ١٥).

(٣) له ترجمة في النجوم الزاهرة ٧ : ٣٣٦ ط . كاليفورنيا) والإضافة منه .

(٤) له ترجمة في (السخاوى ـــ الضوء اللامع ٧ : ٢٩٨ ، ٢٩٩ ،وقد ولد قبل سنة ٧٦٠هـ ، وترجم له أيضا (النجوم الزاهرة ٧ : ٣٣٦ ط . كاليفورنيا) .

والأعيانُ تتردَّد إلى بابه ، وكانت[١] معيشته جيّدة لايعرف أحدٌ من أين يُنْفق واختلفت الأقوال فى أمْرِه حتى قيل إنه كان يَعْرِفُ علْم الكيمياء أو ضرْباً منه ـــ رحمه الله ـ وكان شيخا فصيحا ، للطول أقرب ، مليح الشكل ، أبيضَ اللحية نيِّرهَا ، صاحب علم ومعرفة ، ومحاضرة حسنة ومشاركة جيّدة فى عدة علوم ، واطِّلاع واسع واشتغال قديم ، جالَسْتُهُ كثيرا ـــ رحمه الله تعالى وعفا عنه .

وتُوُفِّىَ الأمير سيف الدين تَمُرْبَاى بن عبد الله التَّمُرْبُغَاوِىّ[٢] رأس نوبة النّوب فى يوم الأربعاء تاسع عشرين صفر ، كان أصلُه من / مماليك الأمير تَمُرْبُغَا المَشْطُوب نائب حَلَب ، وتنقَّل من بعده فى الخِدْمَة حتى اتَّصَل بخدمة الملك الظاهر طَطر حال إمرته ، فلما تسلطن طَطر جعله دوادارا ثالثا إلى أن نقله المَلك الأشرفُ بَرْسْبَاى إلى الدواداريّة الثانية بعد موت الأمير جَانِبَك الأشْرَفِى الدَّوَادَارِ الثانى على إمْرَة عشرة ثم صار من جملة أمراء الطلبخانات بعد مُدَّة ، واستمرّ على ذلك حتى صار أمير مائة ومقدَّم ألف فى الدولة العزيزية يُوسُف ، ثم نقله الملك الظاهر جقمق إلى وظيفة رَأس نوبة النوب بعد قَرَاجَا الحسنى ، بحُكْم انتقاله إلى الأمير آخورية فى سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة ، واستمرّ على ذلك إلى أن مات بعد أن سافر أمير حاجِّ المحمل غير مرّة ، وكان مهملا لا ذات ولا أدوات .

١١٢

وتُوُفِّىَ الزينى عبدُ الرحمن بن عبد الرحيم المعروف بابن الحاجب[٣] فى يوم الثلاثاء سادس شهر ربيع الأوّل ، وهو من بيت رئاسة وأصالة ، وهو آخر رؤساء بنى الحاجب ـــ رحمه الله تعالى .

---

(١) يوجد حرم في ت من هنا حتى اخبار شهر جمادى الاولى من سنة ٨٥٥ هـ عند سرد قصة الشيخ محمد السفارى

(٢) له ترجمة في (النجوم الزاهرة ٧ : ٣٣٧ ط . كاليفورنيا) .

(٣) هو عبد الرحمن بن عبدالرحيم بن ناصر الدين محمد بن محمد بن عبد الله بن بكتمر الحاجب ، المعروف بابن الحاجب ، وأبوه صاحب المدرسة والدار المجاورة لها بباب النصر (السخاوى ـــ الضوء اللامع ٤ : ٨٤) .

وتُوُفِّى الشهابى أحمد ابن القاضى بدر الدين محمد بن محمد مُزْهر[١] فى يوم الاثنتين ثَانِى عشر شهر ربيع الأوّل ، ودُفِنَ من الغد بتربة والده بالصحراء فى عنفوان شبيبته ، وكل هولاء ماتُوا بالطاعون — رحمهم الله .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين خُشْقَدَم السَّيْفى سوُدُون من عبد الرحمن نائب القُدْس فى شهر ربيع الآخر ، وتولَّى نيابه القُدْس من بَعْدِه مُبَارْكَشاه خُشْدَاشُه ، وكان خُشْقَدَم المذكور من أطراف النّاس المهملين ، لا تعرف أحواله فتشكر أو تُذَمَّ — عفا الله عنه .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين أُرْكَمَاس بن عبد الله بن حَيْدَر خَجَا المؤيدىّ[٢] شيخ . أحدُ أمراء العَشرات ورأس نَوْبَة ، المعروف بأُرْكَمَاس الأشقر، فى يوم السبت سَلْخ شهر ربيع الآخر ، وكان عنده تعقُّل زائِد — رحمه الله .

وتُوُفِّى الأميرُ سيف الدين سوُدُون ابن عبد الله المحمدىّ[٣] المؤيّدىّ المعروف بأتْمَكْجِى-أعنى خبازا باللغة التركية -فى يوم الاثنين ثانى عشر شهر رجب وهو ، فى عشر الخمسين ، وكان أميرا شُجاعاً مِقداماً كريما ، وعنده أدب وتواضع — رحمه الله تعالى .

١١٣ وتُوُفِّى الأمير سيف الدين بَيْسَق بن عبد الله اليَشبُكى[٤] نائب قلعة دِمَشْق فى شعبان بها ، وكان بَيْسَق المذكور من مماليك الأتَابَك يَشْبُك الشَّعْبَانى ، وتنقل فى الخِدَم من بعدِه حتى صار فى الدَّوْلة الضاهريّة جَقْمَق أمير خمسة ، ثم أمير عشرة ثم ولى نَيابة قلعة صفد مُدَّة ، ثم عُزِلَ وقَدِم القاهرة على إمْرَة عشرة ، ووَلِى نَيابة دِمْيَاط إلى أن نقله الملكُ الظاهر منها إلى نيابة قلعة دِمَشْق ، بعد موت شاهين الطُّوغَانِى فى سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة ، فدام بقلعة دِمَشْق حتى تُوُفِّى بها ، وكان بَيْسَق المذكور من خِيار الناس دِيناً وشَجَاعَةً وتواضعاً وأدبا — رحمه الله .

(١) هو محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الخالق بن عثمان . الشهب الدمشقى الأصل القاهرى — ويعرف بابن مزهر ، ولد سنة ٨٢٠ هـ (السخاوى — الضوء اللامع ٢ : ١٧١) .

(٢) له ترجمة فى (النجوم الزاهرة ٧ : ٣٣٧ ، ٣٣٨ ط . كاليفورنيا) .

(٣) له ترجمة في (النجوم الزاهرة ٧ : ٣٣٨ ط . كاليفورنيا) .

(٤) له ترجمة فى (النجوم الزاهرة ٧ . ٣٣٨ ط . كاليفورنيا) .

وتُوُفّى شمسُ الدين محمد الحَمَوِىّ ناظرُ القُدْس الشريف فى شهر رَمَضَان بالقُدْس ، وكان الحمَوىّ هذا من صِغَار أهل حَمَاة حتى اتَّصل بخدمة المقر الكمالى ابن البَارِزِىّ ، وباشر توقيعه . أثْرى وعُرِفَ بين الناس،إلى أن طلَبت نفسُه الزِّيَادَةَ وسَعَى فى نظرالقُدْسِ حتى وَلِيَهُ ، فلم تَطُل مُدَّتُه ، ومات فى التاريخ المذكور ﴿ **حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً** ﴾[1] .

وتُوُفّى يحيى بن أحمد بن عمر بن يوسف بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن إبراهيم بن محمد بن أبى بكر . القاضى شرف الدين الحموىّ الأصل الكَرَكِىّ المَوْلِد ، المصرى المنشأ والدّار والوفاة ، الشهير بابن العطَّار[2] ، الأديب الشاعر فى يوم الخميس سادس عشر ذى الحجة ، وكان مولدُه فى شهر رمضان سنة تسع وثمانين وسبعمائة ، وكان مُخَلِّطاً:له محاسن ومساوىء ، وهو ممن أنشأ المقرّ الكمالى البَارِزِىّ ، وكان له نظم ونثر ومشاركة فى فنون،ومن شعره [الطويل]

لأمـرٍ أرى هـذا العِـذارَ تَبَسَّمَـا
وأطلـع فـى ليـل الشبيبـة أنجمـا

وأرشد لما أن دَجَا غَيْهَبُ الصِّبَا
عسى أهتـدِى بالنجـم فيـه وعَلَّمـا

فأهدَى الهُدَى لَكِنَّه قد نهى النُّهى
وَداوَى لَعَمْرِى كُلَّ ما الجهلُ كَلَّمَا

فكـم عندمـا أبصرتُ فَوْدِىَ أبيـضا
جَرَت عن دم حمرُ المدامع عَنْدَمَا

وكم قد همى جفنى كما تُمْطِرُ السَّما
بِدَمْـع نَمَـا لَكِـن بما يُشْبِـه الدَّمـا

---

(١) أية ٤٤ من سورة الأنعام .

(٢) وهو يحيى بن أحمد بن عمر بن يوسف بن عبدالله بن عبدالرحمن بن إبراهيم بن محمد بن أبى بكر . الشرف التوخى الحموى الأصل الكركى المولد القاهرى الشافعى . ويعرف بابن العطار : ويقال إنه من عرب تنوخ ، ولد سنة ٧٨٩ هـ بالكرك (السخاوى ــ الضوء اللامع ١٠ : ٢١٧ ــ ٢٢١) و (النجوم الزاهرة ٧ : ٣٣٩ ، ٣٤٠ ط . كاليفورنيا)و (المنهل الصافى ٦ : ٨٢١ /ا ،ب) نسخة طوبقبو سراى احمد الثالث ١١٧٦٥ تاريخ دار الكتب .

وما أنا باكٍ للشباب الذى مَضَى
ولكن لِعُمْرٍ فى التَّصَابِى تصرَّمَا
أَلِفْتُ البُكَا لَمَّا أنفتُ منَ البُغَا
وَ عِفْتُ الهَوَى كاساً فَعِفْتُ المحرّما
وكم قد طَمَا بَحْرُ بَعْيْنَّى قَطُّ ما
عهدناهُ فى عصر الصِّبَا منهما هما
وأعْرَضْتُ عن شَمْسِي وبدرى وكَوْكَبى
ووجَّهْتُ وَجْهِى للذى فَطَر السَّمَا
فعوضَنِي بالمِدح فى صاحب اللِوا
عن النَّظْم والتَّشْبِيب فى ربَّة اللَّما
ولستُ مُوَفٍّ بالمدائح حَقَّه
ولو أن لِى فى كُلِّ جارِحَة فَمَا

ومن شعره أيضا من قصيدة مطولة : [الخفيف]

أهل بدر إن أحسنوا أو أساءوا
أهل بدر فليفعلوا ما يشاءوا
إن أفاضُوا دمعى فَكَمْ قد أفادوا
مِنَّةً مِنْ وُدَّادِهم وأفاءوا
وعُيُونِى إنْ فَجّرُوها عُيُوناً
بدِمُوعٍ كأنَّهُن دِمَاءُ
لا تَلُمْهُم على احْمِرَارِ دِمُوعى
فَلَهُم عِنْدِيَ اليدُ البيضاء
أنا راضٍ مِنْهُم وإن هُم رَضونى
فَسواءٌ عندى القِلى واللقاءُ

يانُـزُولاً بمُهْجَتِـي فـي رِيَـاضٍ
مِـنْ ودَادٍ أغصانُهـا لَفَّـاءُ

كـلُّ غصن عَلَيْـه طائـرُ قَلْبِـي
صَادِحٌ تقْتَـدِي بِـهِ الوَرقَـاءُ

صَدْحُـه كلُّـه حنيـنٌ ووجـدٌ
واشتيـاقٌ وَلوْعـةٌ وبكـاءُ

منـع السُّهْدُ طيفَكُـم ولحظِّـي
صارَ حتـى مـن عنـدى الرَّجاءُ

وعزولـى يَـرَى سُلُـوّىَ فَـرْضاً
أنـا مِـن رأيـه علـىّ بـراءُ

يَدّعِي فى الهوى إخائى ونصحى
ليتَ شعرى من أين هذا الإخاء

عينُه عـن محـاسن الـحُبِّ عميـا
ءُوأُذْنِـي عـن عَذْلِـهِ صَمّـاءُ

وهذه القصيدة تزيدُ على ستين بيتا ، وله موشحة كلّ [شطر] [١] قرينةُ من كلام شاعر، لم يُسْبَق لمثله وهي : [البسيط]

أَجَابَ دَمْعِي وَمَا الدَّاعِي إِلَى طَلَلِ [٢]
المتنبى : وَظَلَّ يَسْفَحُ بَيْنَ العَذْل والعَذَلِ [٣]

---

(١) إضافة يقتضيها السياق ، وقد روجعت هذه الموشحة على المنهل الصافى .

(٢) وعجز البيت : دعا فلباه قبل الركب والإبل .
(ديوان المتنبى بشرح العكبرى ٣ : ٧٤) .

(٣) والبيت :
ظللـت بيـن أصيحابـي أكفكفـه وظـل يسفـح بيـن العـذل والعَـذَل
(ديوان المتنبى بشرح العكبرى ٣ : ٧٥) .

ابن النبيه :

يَاسَاكِن السَّفْح كَمْ عَيْنٌ بكُمْ سَفَحَتْ [(١)]

المتنبى : مِلْءِ الزَّمَانِ ومِلْءِ السَّهْلِ والجَبَلِ [(٢)]

قــلب مُعَنَّـى ومَدْمَـعُ صَبَبُ

ابن اللَّبَان : يجـــرُّ أذيَالَـــه ويَــنسحِبُ [(٣)]

الموصلى :

لمن عُيُونٌ غَدَتْ بالدَّمْعِ فِى لَجَجِ [(٤)]

ابن الفارض : وكل طَرْف عن الإغفاء لم يُبـح [(٥)]

ابن نباتة :

ومهجة [الصَّبِّ] للأشجان قد صلحت [(٦)]

ابن الفارض : لا خَيْرَ فى الحُبِّ إنْ أبْقَى عَلَى المنهَجِ [(٧)]

---

(١) وعجز البيت : نزحتمو فهى بعد البعد مانزحت .
(الديوان بشرح عبدالله باشا فكرى ٢٣ ، ٢٤) .

(٢) وصدر البيت ضاق الزمان ووجه الأرض عن ملك :
ديوان المتنبى بشرح العكبرى ٣ : ٧٩) .

(٣) في الأصل ، وفى المسهل الصافى :
قــــلب معنـــى ومدمـــع صب يحــــر أذيالـــــه ويسحب
وما أثبته يستقيم وزنا . ولم أعثر على ترجمة لابن اللبان هذا في المراجع الميسرة ، ولعله ابن اللبانة محمد بن عيسى بن محمد اللخمى الشاعر . المولود سنة ٥٠٧ هـ وهو من شعراء الأندلس (الزركلى -الأعلام) . .

(٤) الموصلى : هو موسى بن الحسن الموصلى أبو محمد تاج الدين . توفى سنة ٧٠٠ هـ تقريبا . ولى ديوان الإنشاء للمظفر الرسولى باليمن (الزركلى ـ الاعلام ٨ : ٢٧١) و (الدرر الكامنة ٤ : ٣٧٤) .

(٥) وصدر البيت : وكل سمع عن اللاحى به صمم :
(الديوان جمع رشيد بن غالب ٢ : ٦٣) .

(٦) الإضافة يستقيم بها الوزن والمعنى . وقد ورد الشطر خاليا منهما فى الأصول والمنهل الصافى .

(٧) وصدر البيت : وخذ بقية ماأبقيت من رمق :
(الديوان . جمع رشيد من غالب ٢ : ٦٤) .

لَـمْ يُبْـقِ لِـى فِـى الهَـوَى مَـلاذا
ابن نباتة : يالَيْتَنِـى مِـتُّ قَبْـل هـذا

الصَّفَدِى :
تَرَكْتَنِى أُصْحَبُ الدُّنْيَا بِـلاَ أَمَـلِ[١]
المتنبى : فَـلاَ أَقُـولُ لِشَىءٍ لَـيْتَ ذَلِكَ لِـى[٢]

ابن زيدون :
ما جالَ بَعْدَك طَرْفِى فِى سَنَا القَمَرِ[٣]
المعرى : فـإن ذلك ذنب غيـر مغتفـر[٤]

ابن النبيه :
لِـى هِمَّة [للمعالى] قطُّ مَا طَمَحَت[٥]
المعرى : لَمَّـا تَـوَاضَعَ أَقْـوَامٌ عَلَـى غَـرَرِ[٦]

وأيـن مَا كُـنتَ كُـنتُ عَبْـدَك
البهاء زهير : لأنَّ قَلْبِـى [قد] أَقَامَ عِنْدَك[٧]

---

(١) الصفدى . هو صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الأيبكى الصفدى ولد سنة ٦٩٦ هـ وتوفى سنة ٧٦٤ هـ (ح ١١ : ١٩ من النجوم الزاهرة ط دار الكتب) و (الدرر الكامنة ٢ : ٨٧ ، ٨٨) .

(٢) وصدر البيت :تمشى الأمانى ، صرعى دون مبلغه : (الديوان بشرح العكبرى ٣ : ٨١) .

(٣) وعجز البيت : إلا ذكرتك ذكر العين بالأثر . (الديوان بشرح محمد كيلانى ص ٧) .

(٤) وصدر البيت : لاتطويا السرعى يوم نائبة : (سقط الزند ١ : ١٣٢) .

(٥) وصدر البيت : قالوا تعشق مباح الوصل قلت لهم :(الديوان بشرح عبدالله باشا فكرى ص ٢٤) .

(٦) وصدر البيت : علوتم فتواضعتم على ثقة : (سقط الزند ١ : ١٦٧) .

(٧) لم يتيسر توثيق هـذا البيت والاضافة يستقيم بها الوزن .

علِّى بقاء دَعَاوَى لِلْهَوَى قِبَلِى
ابن الجوزى : وأَنْتَ تَعْلَمُ أنِّى بِالغِرَامِ مَلِى

بِمَا بعْطِفَيْكَ مِنْ لِينٍ ومِنْ صَلَفِ
القيسرانى[١] : تَلافَ مضْنَاكَ قَدْ أشْفَى عَلَى التَّلَفِ

ابن النبيه :
فالْمَوْتُ إن غُضَّت الأجْفَان أوْ فُتِحت[٢]
ابن سناء الملك : ياأَكْحَلَ الطَّرْفِ أو يَا أزْرَقَ الطَّرْفِ[٣]

لسائل الدمع صِرْتَ نَاهِر
علاء الدين بن أيبك : وَسَرْتُ والقلب منك خاطر[٤]

يردى الطعينَ وَحدُّ الرُّمْح لَمْ يَصِلِ
الصُّورى : ما خَابَ مَنْ سَأَلَ الحَاجَاتِ بالأَسَلِ[٥]

---

(١) القيسرانى : هو محمد بن نصر بن صغير بن داغر المخزومى الخالدى ـ المعروف بابن القيسرانى . ولد سنة ٤٧٨ هـ بعكة ، وتوفى بدمشق فى سنة ٥٤٨ هـ ، وهو شاعر مجيد وله ديوان مخطوط (الزركلى ـ الأعلام) .

(٢) لم أعثر على هذا الشطر بالديوان .

(٣) لم أعثر على هذا الشطر بالديوان شرح محمد ابراهيم نصر وطبع الهيئة العامة للتأليف والنشر .

(٤) كذا ورد البيت وقائله فى الأصول وفى المنهل الصافى . ولم أعثر على ترجمة لعلاء الدين بن أيبك . ولعل المراد صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى . وقد مرت ترجمته .

(٥) الصورى : هو عبد المحسن بن محمد بن أحمد بن غالب الصورى المتوفى سنة ٤١٩ هـ (وفيات الأعيان ٣ : ٣٩٧ ـ ٤٠٠) و (الزركلى ـ الأعلام ٤ : ٤٩٥) وله ديوان مخطوط .

وغادة أشْرَقَتْ كَالبَـدْرِ فِـى الظُّـلَـمِ

المتنبى : وقَبَّلَتْنِى عَلَـى خَـوْف فمـاً لِفَـم (١)

ابن النبيه :

لا بَلْ هى الشَّمسُ زَالت بَعْدَ مَا جَنَحت (٢)

الحلّى : فلـم تَـدُمْ لِـى وغَيْـرُ اللهِ لَـمْ يَـدُمِ (٣)

كَـــم ٱخْتَلَسْنَــــا مِـــنَ العِنَـــاق

البدر الدمامينى : وَنَحْـــنُ بـــالأُنْسِ بالتَّلاَقِـــى (٤)

وكَـمْ سَرَقْنَـا عَلَـى الأيـام مـن قُبَـل

الشريف الرضى : بَـلاَ رَقِيبٍ (٥) كَشُرْبِ الطَّـائر الوَجِـلِ

ومن شعره ما كتبه للقاضى كمال الدين البارزى كاتب السر لما كان بدمشق :

ياسيـــدًا جَـــدَّ بالنَـــوى لِـــى

وطَـــالَ مَـــا جَـــادَ بالنَّـــوَالِ

مِـــنْ يَـــوْمِ سَافَـــرْتَ زَادَ نَـــقْصِى

يا طُـــولَ شَوْقِـــى إلـــى الكَمَـــال

---

(١) وصدر البيت : قبلتها ودموعى مزج أدمعها :(الديوان بشرح العكبرى ٤ : ٣٧) والشطر فى الأصل وفى المنهل الصافى (وقبلتنى على خوف فيالغمى ، و ما أثبته من الديوان .

(٢)، وصدر البيت : لهفى لظبية أنس مكمو نفرت : (الديوان بشرح عبد الله باشا فكرى ٢٧) .

(٣)، الحلى : هو صفى الدين عبد العزيز بن سرايا بن على بن أبى القاسم بن أحمد اس نصر الله أبى العز س سرايا ابن باقى بن عبد الله السنبسى الحلى ـــ ولد سنة ٦٧٧ هـ وتوفى سنة ٧٤٩ هـ (ج ١٠ : ٢٣٨ ، ٢٣٩ من كتاب النحوم الزاهرة) . و(فوات الوفيات ١ : ٥٧٩ ـــ ٥٩٤) . وصدر البيت : لله لذة عيش بالحبيب مضت : (الديوان ص ٤٦٨ طبعة الآداب بيروت سنة ١٨٩٢ م) .

(٤) البيت فى (السخاوى – الضوء اللامع ٧ : ١٨٦) :

قلت له والدجى مول ونحن بالأنس فى التلاقى

(٥) وفى الديوان ٢ : ٢٢٢ « خوف الرقيب . . . .

وكانت وفاته فى التاريخ المذكور ، وصُلِّى عليه من الغد ، وحضر السلطان الصلاة عليه .

وتُوُفِّى السيد الشريف قاضى القضاة سراج الدين عبد اللطيف الفاسى [١] الحنبلى، قاضى القضاة بمكّة بها فى أواخر السنة ، وكان كريما متواضعا ، ورحل من بمكة إلى الشرق ، واجتمع بالقان مُعين الدين شاه رُخّ بن تَيْمُورلنك غيرَ مرّة ، وأكرمه غاية الإكرام ، وعاد من عنده بأموال كثيرة ، وكان لشاه ١١٤ رُخَّ / وبنيه فيه اعتقاد ومحبة زائدة ــ رحمه الله تعالى .

وتُوفى قاضى القضاة أبو اليمن محمد النُّوَيْرِىّ [٢] الشافعى، قاضى مكة وخطيبها فى ذى القعدة بها ، وتَوَلَّى من بعده قاضى القضاة جلالُ الدين أبو السعادات ابن ظهيرة ، وكان القاضى أبو اليمن المذكور خيّرا ديِّناً عفيفا ، قل أن تَرَى العيونُ مثله ــ رحمه الله تعالى وعفا عنه .

★ ★ ★

---

(١) هو عبد اللطيف بن ابى الفتح محمد بن أحمد بن عبدالله محمد الحسنى الفاسى . سراج الدين أبو المكارم . الشريف قاضى القضاة : ولد سنة ٧٨٩ هـ (ابن العماد ــ شذرات الذهب ٧ : ٢٧٨) و (النجوم الزاهرة ٧ : ٣٤٠ ط . كاليفورنيا .

(٢) هو محمد بن محمد بن على بن أحمد بن عبد العزيز بن القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله . الأمين أبو اليمن النويرى ، ولد سنة ٧٩٣ هـ (السخاوى ــ الضوء اللامع ٩ : ١٤٣ ، ١٤٤) و (ابن العماد ــ شذرات الذهب ٧ : ٢٧٨) و(النجوم الزاهرة ٧ : ٣٤١ ط . كاليفورنيا) .

﴿ سنة أربع وخمسين وثمانمائة ﴾

استهلّت هذه السنة وسلطان الدّيار المصرية والبلاد الشامية والأقطار الحجازية الملك الظاهر جَقْمَق العلائى الظاهرىّ ، والخليفة المستكفى بالله أبو الرّبيع سليمان ، والقاضى الحنفى شيخ الإسلام سعد الدين بن الدِّيرىّ ، والقاضى الشافعى شرف الدين يحيىٰ المُنَاوِىّ ، والقاضى المالكى وَلِىُّ الدين السُّنْبَاطى ، والقاضى الحنبلى بدر الدين ابن عبد المنعم البَغْدَادى ، وهو فى الحجاز .

والأمير الكبير الأتَابَك إينَال العَلائى الناصرى ، وأمير سلاح جَرِبَاش الكَرِيمىّ المعروف بقاشق ، وهو أيضا فى الحجاز ، وأمير مجلس تَنَم من عبد الرزَّاق المؤيّدىّ ، والأمير آخور الكبير قَانِى بَاى الجَرْكَسِىّ ، وحاحب الحجاب تَنِبك البُرْدْبَكى ورأس نوبة النوب أسَنْبُغَا الطَّيَّارىّ ، والدَّوَادَار الكبير دُولَات باي المحمودى المؤيّدىّ .

ومقدمو الألوف : المقام الفخرى عثمان بن السلطان ، وطوخ من تمرَاز الناصرى المعروف بُبْنِى بَازِقْ ، والشهابى أحمد بن على بن إينال ، وأُلْطُنْبُغَا اللَّفاف الظاهرى ، وجَرِبَاش المحمدى المعروف بكُرْد ، وشاد الشراب خاناه يونس السَّيفى آقْبَاى نائب الشام ، والزَّردكَاش تغرى بَرْمُش السَّيفى يَشْبُك من أزْدَمُر ، وكلاهما طبلخاناه ، والخازندار قَرَاجَا الظَّاهرى ، ونائب قلعة الجبل يونُس العلائى الناصرى ، وكلاهما أمير عشرة ، والزمام والخَازِنْدَار الطواشى فَيْرُوز النَّوْرُوزِىّ ، وهو أمير حاج المحمل فى هذه السنة ، ومقدَّم المماليك جَوْهَر النورُوزِى ، ونائبه مَرْجَان العَادِلى المحمودى .

ومباشرو الدولة : كاتِبُ السِّر القاضى كمال الدين البارِزِىّ ، وناظر الجيش محبُّ الدين الأشقر ، والوزير / أمين الدين إبراهيم بن الهَيْصَم ، والأستادار زين الدين ١١٥

يحيى قريب ابن أبى الفرج ، وناظر الخواصّ جمالُ الدين يوسف بن كاتب جَكَم .

وملوك الأقطار ونُوّاب البلاد وغيرها : أمير مكة المشرفة الشريف بَرَكَات ابن حسن بن عَجْلاَن ، وأمير المدينة النبوية الشريف أُمَيَان بن مانع بن على الحسينى ، وأمير ألينبع الشريف هَلْمَان .

ونوّاب البلاد الشامية : نائب دِمَشق جُلُبَّان الأمير آخُور ، ونائب حَلَب قانِى بَاي الحمزاوى ، ونائب طَرَابُلُس يَشْبُك النَّورُوزى حاجِبُ حجاب دمشق ، وهو إلى الآن لم يدخل طَرَابُلُس ، ونائب حَمَاة بيغُوت الأعرج المؤيّدى ، ونائب صَفَد يَشْبُك الحمزاوى ، ونائب غزة خيربك النوروزى، ونائب الكرك حاج إينال الجكمى ، ونائب القُدْس مُبَارَكْشَاه العبد الرحمانى ، وهو إلى الآن بدمشق،ونائب مَلَطْيَة جَانِبَك الجَكَمِىّ ، ونائب إسكندرية بَرْسْبَاى البَجَاسِى .

وبممالك العجم وجغتاى [١] : صاحب سَمَرْقَنْد وغيرها من ممالك العَجَم أُلوغ بَك بن شاه رُخّ بن تَيْمُور لَنْك.ملَكَ البلادَ بعد وفاة أبيه شاه رُخ ، وأجلى أولاد أخيه بَاىْ سُنْقُر إلى أطراف العَجَم،وهم : علاء الدَّوْلة وبابُر ومحمد ، ومَلَك محمدٌ بعضَ البلاد من العَجم ، واستوطنها بالبعد عن ألوغ بَك ، وعلاءُ الدَّوْلة اْلتجأ إلى قلعة مع جَدَّتِه لأبيه كهرشاه خَاتُون ، وهى أم أُلوغ بَك أيضا ، وصاحب تِبْرِيز وبَغدَاد والسلطانية [٢] وغيرها جَهَان شاه بن قَرَا يُوسف بن قَرَا محمد التُّرْكُمانى ، وديار بكر مع أولاد قَرَا يُلُك،وأعظمهم جَهَان كِير بن على بَك بن قَرَا يُلُك ، وصاحب بُرْصا وأدِرْنابُولى [٣] وغيرهما من بلاد الرّوم خوندكار مُرَادْ بَك بن محمد كِرْشَجِىّ بن يِلدِرِيم بَايَزِيد بن مُرَاد بن أُوْرخَان بن أرزن على بن عثمان بن سليمان بن عثمان ، وبجانب من بلاد الرُّوم أَسْفَنْديَار بن أبى يزيد ، وببلاد قَرَمَان إبراهيم بن قَرَمَان ، ونائب

---

(١) مملكة جغتاى : أو جغطاى وهم المنتسبون الى جغطاى بن جنكزخان ومقرها ماوراء النهر والعراق : وانظر (القلقشدى ــ صبح الأعشى ٤ : ٤٤٦ ــ ٤٥٠) .

(٢) السلطانية : نسبه الى السلطان ، واسمها قنغرلان وهى مدينة محدثة بناها خربندا بن أرغون بن أبغا بن هولاكو . على القرب من جبال كيلان على مسيرة يوم منها ، وجعلها كرسى مملكته (القلقشندى ــ صبح الأعشى ٤ : ٣٥٨) .

(٣) أدرنابولى : وتقع على مرتفع من الأرض وسط سهل خصب عند ملتقى الأنهار (مريج ، وآردا ، وطونجة) وكانت العاصمة الثانية لآل عثمان (دائرة المعارف الإسلامية ترجمة ــ خورشيد وآخرين) .

أُبُلُسْتين سليمان بن ناصر الدين بَك محمد بن دُلغادر ، وبممالك الغرب : صاحب تُونس وبجَايَة وسائر بلاد أفريقية السلطان أبو عمرو عثمان بن أبى عبد الله محمد بن أبى فارس عبد العزيز بن أبى العباس أحمد الحَفْصِىّ المَغْرِبى ، وبممالك الفرنج سبعة عشر/ ملكا يطول الشرح فى ذكرهم ، وببلاد الحبشة الحَطِّى، الكافر ومُحَارِبُه سَعْدُ الدين صَاحب جَبَرْت[1] ـــ نصره الله .

١١٦

● المحرّم : أوّله السبتُ . المُوَافِق الحادى عشرين مسرى.

دخلت هذه السنة والناس فى جُهْدٍ وبَلاَء من غُلُوِّ الأسعار ، والسِّعْر فيه القمْح بثمانمائة درهم الإردب إلى ما دونها ، والشعير كذلك ، وهو قليل الوجود ، والدقيق العلامة بمائتين وسبعين درهما البَطة إلى ما دُونها ، والرطلُ الخبز بستة دراهم لكنه كثير الوجود يومئذ ، وكان قبل تاريخه بمدة يسيرة عزيز الوجود ، ثم إنه كثر على الدكاكين ـــ ولله الحمد .

وفى يوم السبت أوّل هذا الشهر وصل الأمير بُرْدْبَك العجمى الجَكَمِىّ من ثغر دِمْياط ، وطلع إلى القلعة ، ونزل بعد تقبيل الأرض، على أنه يقيم بالقاهرة مُدَّة يسيرة يعمل مصالحه، ويتوجّه إلى دِمَشْق إلى محل إمْرَته كما ذكرناه فى ذى الحجة .

وفيه أخلع السلطانُ على الأمير محمد بن نوقان بن محمد باستقراره فى إمْرَة آل فضل، عوضا عن ابن عَمّه العِجْل بن قَرْقَمَاش بن حسن بن نُعَير بحُكْمِ عزله .

وفى هذه الأيام وصل قاسِم المؤذى، كاشف الوجه القبلى، غريم السَّفْطى مَيِّتاً محمولاً على جمل لِيُدْفَن بالقاهرة بعد أن مَرِضَ يوماً واحداً .

وفى يوم الاثنين عاشره وصلَ الأمير آقبُرْدِى الساقى الظاهرى نائب قلعة حَلَب إلى القاهرة . وتمثّل بين يَدَى السلطان ، ثم نزلَ بالميدان .

وفى يوم الثلاثاء حادى عشره وصل الزّينى عبدُ الباسط بنُ خليل من الحجاز

---

(١) جبرت : ويطلق عليها « وفات » وهى على نشز من الأرض وعمارتها متفرقة ، وتعد من الحبشة ، ودار الملك فيها على تل ، والقلعة كذلك ، وهى تقابل بلاد اليمن (القلقشندى ـــ صبح الأعشى ٥ : ٣٢٧) .

الشريف ، وطلع إلى القلعة ، وقبّل الأرض ، وأخلع عليه كاملية صوف أبيض بفرو سمُّور بمقلب سَمُّور ، ونزل إلى داره ومعه وجوه الدَّولة ، ومجيئه على النُّجب ، وقد خلّف الأمير جَرِبَاش قاشق ، وقاضى القضاة الحنبلّى بالعقبة[١] وسفرُ الجميع من مكة المشرفة من غير أن يعرّجوا إلى المدينة النبوية ، فإنهم زاروا القَبْر الشريف فى توجههم إلى مكة ، ولما قضوا مَنَاسِكَ الحج قَفَلُوا راجعين إلى الديار المصرية ، فلهذا كان قدومهم فى هذا التاريخ .

وفى يوم الخميس ثالث عشره وصل الأميرُ جَرِبَاش الكريمىّ الظاهرىّ أمير سلاح ، وتخلّف قاضى القضاة بدر الدين الحنبلّى مع الرَّكْب الأوّل فى وسط النهار ، وطَلَع / جَرِبَاش إلى السلطان فى يومه ، وقبّل الأرضَ وأُخْلِع عليه كاملية بمقلب سَمّور وقُيِّدَ له فرسٌ بسرج ذهب وكُنْبُوش زركش ، وخرج من بين يَدَى السلطان ودخل إلى ابنته خَوَنْد صاحبة القاعة بالدُّور السلطانية ، وسلّم عليها ثم نزل من باب السلسلة وبين يديه جماعةٌ من أعيان الأمراء،إلى سكنه تجاه القلعة فى البيت المعروف ببيت الأمير الكبير . ١١٧

وفى يوم الجمعة حادى عشرينه وصلَ إلى القاهرة ركبٌ كثير مِن[٢] الحاجِ من المجاورين بمكة المشرّفة من المماليك السلطانية وغيرهم .

وفى يوم السبت ثانى عشرينه وصل السّيفى جَانَم الساقى الظاهرىّ من حَمَاة ، وصحبته إبراهيم بن الأمير بيغُوت المؤيّدىّ الأعرج نائب حماة،وابن عُجَيْل شيخ المعرة ، وكلاهما فى الحديد ، وأوقفهما جَانَم المذكور بين يَدَى السلطان ، وحضر فى الوقت الشكاةُ عليهما ، فسمع السلطانُ المطالعة التى على يد جَانَم من نائب حماة ثم أمر بحبسهما فى البُرْج من القلعة ، ولم يسمع عليهما دعوى الشكاة ، بل طَيَّبَ خاطر الشكاة بأنْ قال لهم : قد حضر غُرَماؤُكم ، ثم قام من وقته ودخل إلى الدِّهيشة .

---

(١) العقبة : بلدة فوق عقبة عالية على جبل ــ وحاليا تتبع المملكة الأردنية الهـاشمية وانظر (التعليق ٨ ص ٢٠٦ ج ٦ من النجوم الزا هـرة ط دار الكتب) .

(٢) كذا بالاصل . ولعلهـا « مع » .

وفى يوم الأحد ثالث عشرينه وصل الركبُ الأوّل من الحاج، وأميرُه حسبما ذكرناه الأمير تَمُرْبُغَا الظاهرى الدَّوَادَار الثانى ، وصحبته الأمير طُوخ من تِمْرَاز المعروف بُبْنِى بَازِقْ، أحد مقدّمى الألوف بالقاهرة ، وقاضى القضاة بدر الدين الحنبلّى .

وفى يوم الاثنين رابع عشرينه وصل أمير حاج المحمل الأمير الطَّوَاشى فَيْرُوز النَّوْرُوزِىّ الزمام الخازندار ببقيّة الحاج .

وفى يوم الأربعاء سادس عشرينه أنعم السلطان على الغرسى خليل بن شاهين الشَّيخى، أحد مقدّمى دِمَشْق بإِمْرَةِ عشرين زيادةً على مابيده من الإِمرة .

وفى يوم الجمعة ثامن عشرينه عقد السلطان عقدَ الأمـــير أُزْبُك من طَطَخ الظاهرى على ابنته من مُطَلّقته خوند بنت البَارِزِى وهى أعظم أولاده ، وكان العقد بقاعة الدِّهيشة بحضرة السلطان بعد نزول الأمراء من صلاة الجمعة من غيْرِ جَمْع .

وفى يوم السبت تاسع عشرينه تُوُفِّى الطواشى كافور الهِنْدِىّ رأس نوبة / الجَمَدَاريّة وساقى خاص ـــ كان ـــ قبل تاريخه . ١١٨

● صفر : أوّله الاثنين .

فى يوم الخميس رابعه استقر أبو الفتح الطِّيبِّى أحد أعوان أبى الخير النحاس فى نظرجوالى دِمَشْق ووكالة بيت مالها ، على أنه يقوم فى السنة للخزانة الشريفة بخمسين ألف دينار ـــ على ما قيل ـــ كل ذلك بسفارة أبى الخير النحاس .

وفيه لبس عبد العزيز بن محمد الصغير شـاد الدّواوين السلطانية، عوضا من جَانِبَك اليَشْبُكىّ والى القاهرة ، وصار عبد العزيز المذكور أميرآخور وحاجبا وشادّ الدّوَاوين ، وهذا شىء لم يُعْهَد مثله ؛ فإنّ كُلَّ وظيفة من هؤلاء مستقلّة بذاتها ، ومنزلتها معروفة كما وضعته الأوائل من الملوك .

وفى يوم السبت سادسه تُوُفِّى التاجرُ داود المَغْرِبى .

وفى يوم الخميس حادى عشره حُبِس القاضى شمس الدين محمد الديسطى

المالكى بحبس الدَّيْلَم بسببَ دَعْوَى القاضى ناصر الدين بن المُخَلِّطَة المالكى عليه بمجلس شيخ الإسلام سعد الدين بن الدّيرى الحنفى، بأنه قال فى حَقِّه ما أنا مثل ابن المُخَلِّطةِ ابن الرُّشا ، وكلام آخر من هذا النوع ، وأُقِيمَت عليه البَيّنة بذلك ، فحبس .

وفيه رسم السلطانُ بكتابة توقيع شمس الدين محمد بن سعيد بقضاء الحنابلة بمكة عِوَضاً عن الشريف سراج الدين بحُكْم وفاته .

وفيه أيضا رَسم السلطانُ لوالى القاهرة أن يَضْرِبَ العبدَ المعتقدَ سعدانَ عبدَ قاسم الكاشف ، ويشهِّرَه ثم يحبسه بحبس المَقْشَرَة ، فَفُعِلَ به ذلك ، وحكاية هذا العبد غريبةٌ ؛ وهو أنه لَمَّا مات أستاذُه قاسم المؤذى الكاشف فى أوائل هذه السَّنة ، خلَّف مَوْجُوداً وأموالاً وأولاداً لِصُلْبِه ، فأراد زين الدين يحيى الأستادار أن يَحتَاط على الموجود ليأخذه على عادة أمثاله ، فنهاه هذا العبدُ وأفحش عليه فى القَوْل على طريقة الفقراء الأحمدية ، وأمعن فى ذلك وصعد إلى مقعد الأستادار ، واختلفت الأقوال فى مقالته للأستادار ، فمنهم من قال إنه سبّه ، ومنهم من قال إنه رَمَى بعمامته عن رأسه ، والمقصود أن الأستادار أراد أن يُرْسُم عليه، فتقدَّم إلى الرَّسُول وأراد أن يُمْسِكَه، فصار لا يستطيع الحركة/ــ هذا على ما قيل ، ولم أنقل ذلك عمَّن أثق به ــ فلما سمع زينُ الدين ذلك ردّ ما كان أخذه لأستاذه وتوجّه هذا العبدُ إلى بيت أستاذه وأقام به ، وقد شاع ذكرُه فى القاهرة ، وتحاكت الناسُ ماوقع له مع الأستادار وزيادة ، ونَوّه بذكره العوامُّ فى الطُّرُقَات ، حتى صار كل أحد يلهجُ بذكره ، فعند ذلك قَصَدَهُ الناسُ من كل فَجٍّ للزيارة والتماس بركته ، وتردَّد الناسُ إليه فوجاً فوجاً ، وعظم ذلك حتى صار لا يتوصَّل إليه أحدٌ إلاَّ بعد جهد كبير من كثرة الخلائقِ ، وافتتن الناسُ به ، ثم صار يحتجبُ عن الناس ، وصار لايتوصل إليه إلاَّ مَن له شوكة أو يكون من أعيان الدولة ، وبقيت الحارة التى هو بها تشبه بعضَ المفترجات من كثرة الخلائق و البَيْعَة والمتنزهين والزُّوّار ، واستمرّ ذلك أزيد من عشرة أيام ، وأمْرُه فى نُمُوٍّ وزيادة ، وزاره جماعةٌ من أكابر الأمراء وأعيان الدولة ، وقصده ذووالعاهات وأرباب الأمراض المزمنة ، وكثر الكلام فيهم ، وما وقع لهم معه ، إلى أن بلغ السلطانَ أمْرُه فأمَرَ والى

١١٩

القاهرة والأمير تَنِبَك حاجب الحجّاب بضربه وحبسه ، فلَمَّا دخلا عليه تَهاوَن الأمير تَنِبَك فى ضَرْبِه ولم يجسر عليه ، وبلغ السلطانُ ذلك فَرَسَم بنَفْى تَنِبَك المذكور إلى ثَغْر دِمْيَاط بطالاً ، وتَوَلَّى الطواشى خُشْقَدم ، ووَالِى القاهرة ضَرْبَ العَبْدِ المذكور ، وحبْسه ، وتوجَّه الأميرُ تَنِبَك إلى ثَغْرِ دِمْيَاط من الغد ، ومُسَفِّرُهُ الأمير جَانِبَك اليَشْبُكى والى القاهرة ، ولَمَّا حُبِسَ هذا العبدُ أصبح الوَالِى مِنَ الغد فوجد على باب السجن خلائق ، فضرب البعضَ وحبس البعضَ ممن له اعتقادٌ فى العبد المذكور .

وفى يوم السبت ثالث عشره أفرج عن شمس الدين محمد الدِّيَسْطى من حَبْس الدَّيْلم ، وادُّعِىَ عليه عند قاضى القضاة وَلِىّ الدين السُّنْبَاطى المالكى بدعاوى كثيرة — والله أعلم بصحتها — إلى أن اقتضى أمر القاضى تعزيره فَعَزَّرَهُ تَعْزِيراً بالغا ، وأفحش فى أمْرِه إفحاشا شنيعاً ، أظهر فيه الغرض التام فى أذاه مراعاةً لخاطر أبى الخير النحاس ، ثم أشهره فى شوارع القاهرة عُرْيَانا يُنَادَى عليه هذا جَزاء من يَهْرَب من الشَّرْع الشريف ، ثم حُبِسَ ثانيا .

وسبب هذه / القضية وتحامل الناس عليه أنه لَمَّا مَات دَاوُد المغربى التاجر بعد أن أوصى الأميرَ أَسَنْبُغَا الطَّيَّارِى رأس نَوْبَة النُّوب ، والصاحب جمال الدين ناظر الخواصّ وغيرهما ، فتقدّم الدِّيَسْطى هذا وختَم على مَوْجُود دَاوُد المغربى ، على أنه من جملة الأوصياء أو من جهة من هو وَصِي ، وبلغ أبا الخير النحاس الخبرُ ، ووقع بسبب ذلك كلامٌ بين أبى الخير والدِّيَسْطى ، وحَلَف الدِّيَسْطى أنه ما خَتَم ، وطلع أبو الخير إلى السلطان واستماله على أن يكون هو المتحدّث على تركة دَاوُد المغربى ، فنزل من وقته وأرسل إلى الدِّيسْطى بعض رسل الشّرع ، ففرّ الدِّيَسْطى من الرسول ، وساقَ فَرَسه حتى طلع إلى القلعة ، ودخل إلى السلطان وسأله بأن يُدَّعَى عليه عند قاضى القضاة الحنفى ، ونزل فادُّعِىَ عليه عنده ، ثم وقع ما حكيناه إلى يومنا هذا . ١٢٠

وفيه بَرَزَ المَرْسُوم الشريف بإحضار الأمير خُشْقَدَم الناصرى المؤيّدىّ السّاقى أحد مقدّمى ألوف دِمَشْق إلى القاهرة ليستقرَّ على إقطاع الأمير تَنِبَك حاجب الحجاب وحجوبيّته بالدّيار المصرية ، ويتوجّه الأمير عَلاّن المؤيّدىّ المعزول عن حجوبيّة حَلَب

قبل تاريخه والمقيم بَطَرابُلُس — بطالاً — على إقطاع خُشْقَدَم المذكور بِدَمَشْق وتقدمته .

وفى يوم الاثنين خامس عشره لبس الأمير آقْبَرْدِى السَّاقى نائب قلعة حَلَب خلعة السّفر ، ورُسِم له بالتوجُّه إلى حَلَب .

وفى هذه الأيام رُسِمَ باستقرار قاضى القضاة جلال الدين أبى السَّعادات ابن ظَهِيرَة فى قضاء مَكَّة،عوضا عن قاضى القضاة أمين الدين أبى اليُمْن النُّوَيْرِىّ بعد موته .

وفى يوم الاثنين هذا طلب السلطانُ مِن ولدى الأمير تَنِبَك حاجب الحجاب المنفِىّ إلى دِمْيَاط ومن مباشريه ثلاثين ألف دينار ، يَعْنى المتوفَّ ، ثم آل أمرهم إلى حمل عشرة آلاف دينار على ما قيل .

وفى هذه الأيام عَزَلَ السلطانُ بدر الدين حسن بن الصَّوّاف الحنفى عن قضاء حَمَاة،ووَلَّى عوضه العلاَّمة شهابَ الدين أحمد بن عَرَبْشَاه الدِّمشقى مسئُولا فى ذلك .

وفيه عُزل ابنُ الزويغة أستادار السلطان بحماة وحاجبها ، وَوَلِّى عوضه يَغْمُور ، وأنعم عليه بجميع وظائف ابن زُوَيْغة ، وَيغْمُور هذا من أوْبَاش الناس ، له مُدَّة يسيرة منذ صار جُنْديا ، وإنما كان من سُنيَّات يخدم تَبَعاً عند الأجناد والخاصّكيّة / وذلك على مال بذله يَغْمُور المذكور ، وبسفارة أبى القاسم النحاس . ١٢١

وفى يوم الثلاثاء سادس عشره رَسَمَ السلطانُ بأن يُنْقَل الأمير جَانَم الأمير آخُور — وكان قريب الملك الأشرف بَرْسبَاى — من القُدْس الشريف ويُحْبسَ بَحْبس الكَرَك، وكان جانَم المذكور قد جاوَرَ بمكة سُنَيَّات بعد خروجه من الحَبس ، وأحبّ أن يتوجه إلى القُدْس فسأل فى ذلك فأُنعم له بالمجىء إلى القُدْس ، فلمّا وصلَ إليه تُكُلِمَ فيه عند السلطان فَرَسَم بحبسه.

وفيه أفرج عن شمس الدين الدِّيَسْطى من حَبْس الدَّيْلَم .

وفى يوم الخميس ثامن عشره وصل الأمير قَانَم التَّاجر من بلاد الرُّوم وعليه خلعة خَوَنْد كَار مُراد بَك بن عثمان متملك بُرْصَا .

وفيه مات الطّواشى عبد اللطيف الرّومى الإينالى .

وفى يوم الجمعة تاسع عشره وصلَ الأمير جَانِبَك اليَشْبُكِىّ والى القاهرة ومُحتسِبها من ثغْر دِمْياط بعد أن أوْصَلَ الأميرَ تَنِبَك إليها، وتناول منه ألفَ دينار لسفيره — أو أقل منها .

وفى الثلاثاء ثالث عشرينه نُودِى بالقاهرة بأنْ لا يلبس النَّصَارَى واليهودُ على رءوسهم أكثر من سبعة أذرع من العمائم .

وفى يوم الخميس خامس عشرينه استقرّ قاضى القضاة زين الدين عمر الخرزى الشافعى فى قضاء حَلَب بعد عزل ابن وجيه .

وفيه لبس الأمير بُرْدبَك العجمى الجَكَمِى أحد مقدمى الألوف بدمشق إمرة حاج محمل دِمشْق ، ورَسَمَ له بالتوجّه إلى دمشْق .

● شهر ربيع الأوّل ، أوله الثلاثاء .

وفى يوم الجمعة رابعه — ويوافقه ثالث عشرين بَرْمُودة — لبس السلطان القماش الأبيض على العادة .

وفى يوم السبت خامسه رسَمَ السلطانُ بأن يُكْتَب مَرْسُومٌ شريف بعزل الأمير حاج إينال الجَكَمِىّ عن نيابة الكَرَك ، وأن يستقرّ مكانه فى نيابة الكَرَك الأمير طُوغان دوادار السّلطان بدِمَشْق ، واستمرّ ذلك إلى أن طلع أبو الخير النحاس القلعة بعد نزول مُباشرِى الدّوْلة، وكلّم السلطان فى عود الحاج إينَال المذكور إلى نِيَابَة الكَرَك ، فأَجابهُ السلطانُ إلى ذلك وأبطل ما كان رَسَم به ، كل ذلك فى أقَلّ من نصف نهار .

وفيه [فى](١) يوم الأحد سادسه عمل السلطان / المَوْلِدَ النبوىَّ علَى العادة فى كل سنة . ١٢٢

وفى يوم الاثنين سابعه أمر السلطانُ بالإفراج عن عبدِ قاسم الكاشف، من حبسه بالمَقْشَرة ، ورسم له بالتوجّه إلى حيث شاء ولا يقيم بالقاهرة .

(١) إضافة يقتضيها السياق .

وفى يوم الخميس عاشره عزل السلطانُ القاضىَ بُرْهَانَ الدين السُّوبِينّى الشافعى عن قضاء طَرَابُلُس ، وأعيد ابنُ عِزِّ الدين إلى قضاء طَرَابُلُس بمال بذله .

وفى يوم الجمعة حادى عشره تُوُفِّى الشيخُ المسندُ المعمر الخطيبُ شمس الدين الرَّشِيدىّ .

وفى يوم السبت ثانى عشره فيه ورَدَ الخبرُ من القُدْس الشريف بموت شَادبَك الجَكَمِىّ بعد مرض طويل فى يوم الأربعاء ثانى شهر ربيع الأوّل .

هذا وفى يوم الأربعاء سادس عشره فيه كان الابتداء فى مُهِمّ بنت السلطان الملك الظّاهر جَقْمَق على الأمير أزْبُك ، وعمل السلطان فى اليوم المذكور مَدَّة هائلة للأمراء بالحوش السُّلطانى من القلعة ، وأصبح المُهِمُّ الكبير من الغد فى يوم الخميس فى بيت خالها القاضى كمال الدين بن البَارِزِىّ كاتب السِّرِّ بالقاهرة بالخَرَّاطين[1] وهو مُهِمُّ النِّسْوَة. وأمّا مُهِمُّ الرِّجال فكان فى بيت الأمير أُزْبُك خارج بابى زُويلَة بداره التى عَمَّرَها الأمير قِيزطُوغَان الأستادار وركب الأمير أُزْبُك المذكور فى آخر النهار المذكور بعد صلاة المغرب من داره المذكورة وتوجّه إلى أن نزل بقاعةٍ بالقرب من الخيَميين[2] ، ثم ركب بعد عشاء الآخرة وبين يديه الأمراء والأعيان مشاة ، وحمل الأمراء الشُّمُوع أمام فَرَسِهِ ، ولبس أطلسين مُتَمَّرا[3] ، ومشى القاضى كمال الدين [بن][4] البَارِزِىّ أمام فَرَسِه ، والقاضى محبّ الدين ابن الأشقر ناظر الجيش ، والصاحب جمال الدين بن كاتب جَكَم ناظر الخَواصّ فى آخرين، إلى أن وصل إلى بيت القاضى كمال الدين [بن][4] البَارِزِىّ فنزل عن فرسه ودَخَلَ قاعة الفَرَحِ وجُلِيَت عليه بنتُ السُّلْطَان وبنى بها .

---

(١) الخراطين : كان بين دار الضرب والوكالة الأميرية وبين المارستان المنصورى ، يسلك فيه من سوق المهاميز إلى الجامع الأزهر ، وانظر (على مبارك ـــ الخطط ٢ : ٤٧٤) .

(٢) الخيميين : هو سوق يقع بالقرب من الجامع الأزهر ، وكان متصلا بسوق الخراطين المبتدئ من شارع السكة الجديدة والمنتهى بشارع الصادقية (على مبارك ـــ الخطط ٢ : ١٢) .

(٣) المتمر : يقول المقريزى فى الخطط (٢ : ٢٢٦) فى حديثه عن الخلع « وكان رسم صاحب حماة أعلى هذه الخلع ، ويعطى بدل الشاش اللانس شاش من عمل الإسكندرية حرير شبيه بالطول وينسج بالذهب ويعرف بالمتمر » .

(٤) إضافة على الأصل .

وأمَّا المُهِمُّ المذكور فليس بذاك وإنّمَا كان كعادة مُهِمَّات بعض الأكابر، غير أن شِوَارَهَا كان خارجا عن الحَدِّ ، ولم يحمل على رءوس الحمالين على عَادة الأشْوِرَة لكنه أُخرِج من الحواصل ونُصِبَ فى بيت الدُّخول ، أعنى بيت خالها القاضى كمال الدين / كاتب السِّرِّ، ولما كان الفراغ من نَصْب الجهاز وفَرْش الجهاز وفَرْش البيت المذكور أُذِنَ للناس بعد ذلك فى الدُّخول والتفرّج على الجهاز المذكور ، فرأى الناسُ من الأقمشة والزَّرَاكِش وأنواع الفِرَاء وأوانى البلّور والمصاغ من الفضيّات والتُّحف من الصينى المُكتَّب [١] ما أدهشهم وحيَّرهم ، ودخلتُ أنا القاعة المذكورة ورأيتُ بها من الأقمشة ما لم أرَه قبل تاريخه ، ولم أر قليلا فى هذا المعنى ؛ فإن كريمتى خَوَنْد فاطمة كانت زَوْجَةُ الملك الناصر فَرج بن بَرقُوق ، وكانت هى خَوَنْد الكُبْرى صاحبة القاعة إلى أن مات الملكُ الناصر عنها ، وكانت زَوْجَة والدى الأولى خَوَنْد بنت الملك المنصور حاجّى، والثانية خَوَنْد حاج مَلَك بنت بن قَرَا زَوْجَة الملك الظاهر بَرْقوق ، وقد رأيتُ ما كان لهُنّ من الأَقْمِشَة والأمتعة والتحف ، ومن ثم إلى يومنا هذا فكثير ، ومع هذا ما رأينا بل ولا سَمِعْنا بمثل هذا الشِّوَار ولا بمثل كَثْرَتِهِ ولا حُسنه ، ولا ما اشتمل عليه من أنواع البَشَاخِين [٢] المُزَرْكَشة ومن شَرَاريب الفُوط المُكَلَّلَةِ باللؤلؤ الهائل ، ومن أنواع التحف التى لم يسبقها أحد من الخَوَنْدَات قبلها إلى الملك ــ انتهى .

١٢٣

وفى يوم الخميس سابع عشره وصل الأمير خُشْقَدَم إلى القاهرة وقبَّل الأرض بين يدَى السلطان ، وأنعم عليه بتقدمة ألف عوضا عن الأمير تَنِبَك حاجب الحجاب حَسْبَمَا تقدّم ذكره .

وفيه أخلع السلطانُ على تَنِبَك النَّوْرُوزِىّ الخاصّكِىّ بنيابة صَهْيُون [٣] بعد عزل بُرْدبَك العجمى السّيفى طَرَباى أحد أمراء طَرَابُلُس .

---

(١) الصينى المكتب : أى المكتوب عليه .

(٢) البشاخين : جمع بشخانة ، وهى الناموسية المزركشة ، أو داير السرير ــ أى الحلية التى توضع عليه ــ وقد تكون حول الغرفة كلها . (الدكتور سعيد عاشور ــ العصر المملوكى فى مصر والشام ص ٣٩٦) .

(٣) صهيون : حصن من أعمال حمص قرب ساحل البحر ، وهى من القلاع المشهورة بينها وبين اللاذقية مرحلة (ياقوت . معجم البلدان ٣ : ٤٣٨) . و (القلقشندى ــ صبح الأعشى ٤ : ١٤٥) هذا ونضبط بفتح الصاد وسكون الهاء وضم الياء . كما نضبط بكسر الصاد وسكون الهاء وفتح الياء .

وفى يوم الاثنين حادى عشرينه أُخلِع على الأمير خُشْقَدَم الناصرى المقدّم ذكرُه باستقراره في حجوبية الحجّاب عوضا عن تِنِبَك المذكور .

وفى يوم الخميس رابع عشرينه وصل محبُّ الدين محمد بن الشِّحْنة الحنفى قاضى قضاة حَلَب إلى الأبواب الشريفة ، وتمثّل بين يدي السلطان .

وفى يوم الثلاثاء تاسع عشرينه تُوُفِّىَ الأمير عَلى بَاي السَّاقى الأشرفى .

● شهر ربيع الآخر ، أوّله الأربعاء .

فيه نُودى بالقاهرة على الفلوس الجُدُد بأن كلّ رِطل بستة وثلاثين دِرْهما ، بعد أن كانت باثنين وأربعين درهما الرطل .

وفيه عيّن السلطانُ من المماليك السلطانية والخاصّكيّة مائة وعشرة خاصكية / ١٢٤ لحفظ السّواحل من مُفْسدى الفرنج .

وفى يوم الخميس ثانيه أنعم السلطانُ على الأمير تِمْراز الأشرفى الزَّرَدْكَاش بإمرة عشرة، بعد موت الأمير على باى الأشرفى.

وفيه أيضا عَيَّنَ السلطان جماعةً أُخر من المماليك السلطانية مضافا إلى من عَيَّنه فى أمسه لحفظ الثُّغُور الإسلامية .

وفى يوم السبت رابعه نُودِيَ على الفلوس الجُدُد على ما كانت عليه أوَّلاً حسبما ذكرناه .

وفى يوم الاثنين سادسه لبس الصاحبُ جمال الدين يوسف بن كاتب جَكَم ناظر الخَواصّ خلعة الرِّضى بعد أن أُلْزِم الجمالى المذكور بحمل مائة ألف دينار إلى الخزانة الشريفة ، وكل ذلك بواسطة أبى الخير النَّحَّاس ؛ فإنه لم يزل يُوغِرُ خاطِرَ السلطان على المذكور ، ويُطْمِعُه فى ماله ، ويُحَسِّنُ له القبضَ عليه والمصادرة له حتى أذعن له السلطانُ فى ذلك وانقاد إلى مقالته ، ومن حينئذ أخذ أمر ناظر الخاص فى انحطَاط ، وصار أبو الخير هو صاحب الحلِّ والعقد فى الممالك ، واستفحلَ أمرُه بهذه الواقعة كثيراً ، وعظم وضَخُم ؛ فإن أبا الخير كان قد تقدَّم على جميع أرباب الدَّولة وأبادهم ما خلا ناظر الخاص هذا،فإن الكلمة كانت قد بقيت بينهما فى الدَّولة ، وصارًا كفرسى رِهَانٍ ، وبقى كلٌّ منهما يخالف الآخر فيما يَرُومُه ، والآن قد انْحَصَرت الكلمةُ فى أبى الخير .

إذَا تَـمَّ أمـرٌ بَـدَا نَـقْصُهُ تَـوَقَّ زَوَالاً إذا قِيـلَ تَّـم

وفى اليوم المذكور استقرّ زينُ الدين عبد القادر بن الرَّسَّام الحَمَوِى فى نظر جيش حَلَب عِوَضاً عن محبِّ الدين بن الشِّحْنَة بحكم عزله .

وفى يوم الثلاثاء سابعه رَسَم السلطانُ بالتَّرسِيم على محبِّ الدين بن الشِّحنَة والتوجّه به إلى بيت الأمير دُوْلاَتْ بَاي الدَّوَادَار بِشَكْوَى بعض أهل حَلَب عليه .

وفى يوم الأربعاء ثامنه كان مُهِمُّ الأمير تَنَم من عبد الرّزّاق المؤيدى أمير مجلس على أخت السلطان الملك الظاهر جَقْمَق الواصلة فى العام الماضى من بلاد الجارْكَس .

وفى يوم الخميس تاسعه عَزَلَ السلطانُ القاضى كمال الدين بن البَارِزِىّ عن وظيفة كتابة السر ، والسبب الموجب لذلك أن عبد العزيز بن محمد الصغير / ١٢٥ لما توجّه إلى ثغر دِمْيَاط فى شهر ربيع الأوّل وصحبته فرس للأمير تَنِبَك الحاجب من قِبَلِ السُّلْطانِ الملك الظَّاهِرِ على عادة الأمراء البطَّالين ، كتب على يد المذكور مَرْسُومٌ شريف يتضمن أخذ أُجْرة الأَحْكار التى بالثغر ، فلما توجّه عبد العزيز المذكور أفحش فى حق أهل دمياط ،وظلم وعسف وألزمهم بمالا قُدْرَة لهم عليه ، ولَمَّا استطال على أهل دِمْياط حصل له إخراق من بعض عامَّةِ أهل دِمْيَاط،ورُجِمَ وشُجَّ فى جبينه وفى أنفه بحجر ، وبلغ السلطانَ ذلك فشقَّ عليه ما فعله عبدُ العزيز المذكور ، ورَسَم بإحضاره ، وكتب بذلك على يد شعبان البَرِيدِىّ ، وأنعم السلطانُ على شعبان المذكور بعشرين ظاهريا[١] من الخزانة الشريفة ، وخرج شعبانُ من يومه متوجِّهاً إلى ثغر دِمْيَاط لإحضار المذكور ، ثم التفت السلطانُ إلى كاتب السرّ المذكور وعنَّفه وأُغلظ عليه بعد أن أنْكَر ما رَسَم به ، وقال لم أرْسُم بشىء من ذلك ، فأخذ القاضى كمال الدين فى محاققته والإمعان فى ذلك إلى أن ظهر صِدْق مقالته ، فَعَزَّ ذلك على السلطان وعَزَله ، فنزل كاتبُ السرّ المذكور إلى بيته بَطَّالاً ، وتردَّدَت إليه أكابرُ الدَّولة ، وكثر الكلام فى أَمْرِه ، واستمرّ ذلك إلى ما سيأتى ذكرُه .

---

(١) ظاهريا : أى دينارا منسوبا للظاهر جقمق .

وفى يوم السبت حادى عشره رسَمَ السلطان بعزلِ الأمير محمد بن تُوقَان ابن نُعَيْر عن إمرة آل فضل ، وَوَلَّى مكانه غَنَّام ابن عمّه ، وحُمِلَ تقليدُهُ على يد السَّيفى خُشْكَلْدِى الدَّوَادَار .

وفى يوم الاثنين ثالث عشره تُوُفِّيِ سيدى محمد ابن السلطان الملك الظاهر جَقْمَق وسِنُّهُ عشرة أشهر .

وفيه رسم السلطان بنَفْيِ الأمير سُودُون الإينَالِى المؤيّدى المعروف بقَرَاقَاش أحد أمراء العشرينات ورأس نوبة إلى القُدْس ؛ وسبب نفيه أنَّ السلطان كان بلغه أن العَرَب العاصية من مُحَارِب قد وصلوا إلى بلاد البُحَيْرة، فَنَدَب إلى قتالهم الأمير جَرِبَاش المحمدىّ المعروف بكُرْد، أحد مقدّمى الألوف، والأمير سُودُون قَرَاقَاش المذكور ؛ فخرجا من يومهما، وذلك فى يوم السبت حادى عشره وَكَبَسا إلى مُحَارِب غارةً بمن معهم، وظَفِرُوا بمال مُحَارِب فاستولوا عليه ونزحت مُحَارِبُ فأخذوا المالَ وعادُوا إلى برِّ الجيزة إلى أن وصلوا إلى مُنْبَابَة تجاه بُولاَق، فعدَّى الأميرُ جَرِبَاش والأمير سُودُون قَرَاقَاش المذكور البحر وتركا / ما أخَذَاه من مال مُحَارِب فى بَرِّ مُنْبَابَة وقد أمِنَ القومُ بأنَّ مُحارِب فرُّوا مِنهم، وأيضا قد وصلوا تحتَ حَرَم السلطان ، فلم يَكُن إلا قدر ساعة وإذا بمُحَارِب قد انهلَّت بخيولهم غارةً وظَفِروا بأمْوَالهم، وأضافوا إلى ذلك أثقال الأميرين ، ووصلوا إلى البحر بل وإلى المراكب التى للتعدية ، وأخذوا ممن كان هناك ما قدروا على أخذه ، فهذه الحادثة لم يُعْهَد مِثْلُها، بل ولا سَمِعْنَا بأنَّ عرب مُحَارِب تصلُ إلى مُنْبَابَة وتفعل ما حكيناه ، فلما بلغ السلطانَ ذلك شقَّ عليه وأمر بنَفْيِ الأمير سُودُون. وأما جَرِبَاش فأكرمه لزوجته خَوَنْد شقراء بنت الملك الناصر فَرَج بن بَرْقُوق .

١٢٦

وفيه استقرّ ابن الهُمَام المَقْدِسِىّ فى أستاداريّة السلطان بدمَشق بعد عزل أُسَنْدَمُر الأَرْغُون شَاوِىّ ، وفيه استقرّ القاضى زين الدين فرج — ابن السابق — فى كتابة سرّ حَمَاة على عادته ، وفيه وصل القاضى بدر الدين حسن بن على بن محمد الشهير بابن الصَّوَّاف الحنفى قاضى حماة .

وفى يوم الخميس سادس عشره لبس المقرُّ الكمالى بن البارِزِىّ خلعة الاستمرار .

وفيه تُوُفِّى العلائى على بن عبد الله الزَّرْدْكَاش المعروف بابن خَوَاجَا . وفيه حضر جماعةٌ من أهل دِمْيَاط بسبب الشّكْوى على عبد العزيز بن محمد الصَّغير ، فَرَسَمَ لهم السلطانُ بالطُّلُوع إلى القلعة فى يوم السبت لمحاققة المذكور .

وفى يوم الجمعة رابع عشرينه تُوُفِّيت زوجةُ الأمير قانِى بَاي الجَرْكَسِى ، وفيه طلع عبد العزيز بن محمد الصغير إلى القلعة ووقف بباب الدِّهيشة فلَم يُؤْذَن له فى الدخول ، ومُنع من ذلك ، فاشتد عليه الأمر وداخله الوَهْمُ لكونه زوّر مَرْسُوماً عن السلطان بخطِّهِ ، وأيضا مما فعله مع أهل الثَّغر ، فنزل من وقته وترَامَى على أبى الخير النَّحاس ، فأشار عليه المذكور بالطُّلُوع يوم السَّبت ومحاققة أخصامه بين يَدَي السلطان ، ففعل ، فلمَّا تمثَّل بين يدى السلطان أمَرَ السلطانُ بأن يُرْسَمَ على عبد العزيز المذكور حتى يَرُدَّ ما أخذ من أهل دِمْيَاط بعد أن أُهين وهُدِّدَ بالضَّرْب والحَبْس .

وفى يوم السبت المذكور عُقِدَ مجلسٌ بالقضاة الأربعة بين يدي السلطان بسبب بدر الدين بن الصَّوَّاف قاضى حماة / وادُّعِيَ عليه أنه كان بحماة مَسْجِدٌ قد تهدَّمَ فى واقعة تَيْمُورلنْك فى سنة ثلاث وثمانمائة ، وأنه نقضه وبنى بأنقاضه جامعا بحماة ، ثم انفضَّ المجلسُ من غير بيان ، ونزل ابن الصَّوَّاف فى الترسيم وآل أمرُه إلى أن حَمَلَ إلى الخزانة الشريفة ثلاثة آلاف دينار وخمسمائة دينار ، وهذا هو المقصود . قلت : وله عادة بهذه الفعلة القبيحة منذ وَلِىَ قضاء حماة بأنه يزن فى المنصب ما بداله ، وما أدرى مِن أين يكون متحصِّلُ هذا إذا وَزَنَ هذا المبلغ العظيم ، فالله أعلم . ١٢٧

وفى يوم الاثنين عشرينه استقرّ القاضى حُسَام الدين بن بُرَيْطِع فى قضاء الحنفية بدمشق بعد عزل القاضى حميد الدين ، وفيه بَرَزَ المرسومُ الشريف بعزل الأمير بَيْغُوت من صَفَر خَجَا المؤيّدى الأعرج عن نيابة حماة ، وتوجّه الأمير قَرَا جَانِبَك الظَّاهِرى جَقْمَق أحد أمراء العشرات ورأس نوبة بمَسْكِهِ وحَبْسِهِ بقلعة دِمَشْق ، وأخلع على الأمير سُودُون الأمير آخُور بتوجّهه بتقليد الأمير سُودُون الأبُوبَكْرِى المؤيّدى أتَابَك حَلَب باستقراره فى نيابة حماة عوضا عن بَيْغُوت الأعرج ، ورسم بأن يستقرّ عوضا عن سُودُون فى أَتَابَكِيَّة حَلَب الأميرُ عَلى بَاي المؤيّدى العجمى أحد مقدَّمِى الألوف

بحَلَب ، وأُنعم بتقدمة عَلِى بَاي المذكور على الأمير إينال السَّاقِى الظاهرى جَقْمَق المنفى قبل تاريخه إلى طَرَابُلُس ، وإينَالُ هَذَا يُعْرَفُ بإينَال خَوَنْد لأنّه كان فى شيبته جميلا ، وفيه استقر العلائى على البُنْدُ قْدَارِي زَرَدْكَاشاً ثالثا عوضا عن عَلِى بن خَوَاجَا المُتَوَفَّى قبل تاريخه ، وفيه بَرزَ الأمرُ الشريف لعبد العزيز بن محمد الصَّغير أن يلزم دَارَه ولا يركب فَرَساً ، وأن يُرَدَّ ما أخذه من مُعِين الدّين الأبْرَص الدِّمْيَاطى ، وأن يَرَدّ إلى أهل دِمْيَاط ما أخذه منهم بسرعة وإلا يُضْرب بالمقارع ، فامْتَثَل المذكور ما رُسِمَ به فى الحال ، وفيه حضر مباركشاه نائب القُدْس إلى الأبواب الشَّريفة ، وعُزِلَ فى يومه بالسَّيفى إيَاس البَجَاسِيّ الخاصِّكى ، وكلاهما ممن لا يؤبه إليه فى الدَّوْلَة .

وفى يوم الثلاثاء حادى عشرينه . بَرَزَت المراسِيمُ الشَّريفة لعبد العزيز بن محمد الصَّغير بدفع ما أخذه من أولاد الأمير تَنِبَك البُرْدُبَكِّى الحاجب من الأمتعة ، فَردَّ جميعَ ما كان أخذه منهم بتمامه وكماله .

١٢٨ وفى يوم الاثنين سابع عشرينه صرف / الشيخُ محب الدين محمد ابن العلامة مولانا زاده سِبْط الأقصرائى عن إمامة المقام الشريف ، وفيه بَرزَت المراسيمُ الشريفة بعود ابن الشِّحْنة إلى حَلَب فى تَرْسِيم إينَال بَاي الخَاصِّكى ، ثم بطل ذلك على أنه يستمرُّ على ما كان عليه،ويحمل للخزانة الشريفة خمسين ألف دينار .

وفيه حضر قاضى سواكن[1] إلى القاهرة ، وذكر للمقام الشريف أن الحبشة عمَّرُوا نحواً من مائتى مركب لغزو المُسْلمين ، وأن قصدهم ([2]يقطعون جَرَيَان بَحْر النِّيل ويعَوِّقُونه عن المسلمين[2]) .

وفى يوم الثلاثاء ثامن عِشْرِينه وقَعَ بالقاهرة حادثةٌ شنيعة إلى الغاية ، وهو أنّ الشيخ عليّا محتسب القاهرة هجَم على بيت العلاَّمة الشيخ قَوَام الدين حسين العجمىّ

(١) سواكن : ميناء على البحر الأحمر تربطها بعطبرة سكة حديد كما تربطها ببربر وكسلا طرق تجارية ، ولكن وجود بورسودان بالقرب منها قلل شأنها . هامش (النجوم الزاهرة ٧ : ١٣٩ ط . دار الكتب) .

(٢ — ٢) مابين الرقمين وارد فى هامش اللوحة .

الحنفيّ بعد أن دَبَّر عليه حيلة بأن أرسل إليه قبل تاريخه شَخْصاً عجميًّا على أنَّه من جُمْلة الطَّلَبة ، فلما تمكَّن الرّجل من التَّرْدَاد إلى الشيخ قَوَام الدين ، وصار يطلع إليه بلا إذن حمل معه فى هذا اليوم آلات ضَرْب الزَّغْل (١) كالسِّكة والأصبع وغير ذلك فى جرابه ، وقال للشيخ قَوَام الدين انظر ياسيِّدى ما أفعل ، فوقفَ الشيخ قَوَامُ الدين وهو متهِّيىء للرُّكُوب لبعض حوائجه ، فصار الرَّجل يُعِيقُه عن الذَهاب ويُطيل معه الحديث حتى طَرَقَهُم الشيخُ عَلىّ المُحْتَسِب وأخذ الشيخ قَوَامَ الدين والجِرَابَ الذى فيه آلات الزّغل وسرَّح الرجل العجمىّ حتى هرب وترك جرَابَه ، وأخذ الشيخ قَوَام الدين المذكور وطَلَع به إلى السُّلطان بعد أن كتب محضراً ـــ بالعُدُول ـــ أنه وجد آلة الزَّغل عنده ، فرسَمَ السلطانُ بحبسِ الشيخ قَوَام الدين بالبُرْج من قَلْعة الجبل ، وكانت عَدَاوَةُ الشيخ على المحتسب لقَوَام الدين هذا بسبب أن السلطان لما نَفَى الشيخ عليّا المحتسب قبل تاريخه أنعم على الشيخ قَوَام الدين بزاوية الشيخ على المحتسب،المطلّة على الرَّملة، بالقرب من المصنع،ثم شُفِعَ فى الشيخ على المحتسب فعاد إلى مشيخته وغيرها ، فحقد عليه الشيخُ على بسبب ذلك ، وأراد إثلاَمَ عِرْضِهِ عند السّلطان ففعل به هذه الفعلة .

وفى يوم الأربعاء تاسع عشرينه أخلع السلطانُ على الشيخ على المحتسب باستقراره شيخ شيوخ خانقاه سِريَاقُوس،عوضا عن الشيخ شهاب الدين أحمد ابن القاضى محب الدين الأشقر بحكم عزله.

وفى هذا / الشهر ورد الخبرُ من نائب أياس (١) أنه حصل بمدينة أياس زلزلة عظيمة سقط منها عدّة أبنية ، وسقط من قلعتها بدنة عظيمة من شِدّة الزّلزلة . ١٢٩

● جمادى الأولى : أوّله الخميس .

فيه استقرّ الأمير سَوِنْجبُغَا اليُونُسِى ـــ أحد أمراء العشرات ورأس نوبة ـــ أمير حاج الرَّجَبيَّة .

(١) آلات ضرب الزغل : أى آلات تزييف النقود . والسكة هى القالب الذى يصب فيه معدن الذهب أو الفضه وبه الكتابات المميزة وهو من جزءين وجه وظهر . والأصبع يشبه آلة يضغط بها على جزأى القالب ليتم الضرب وتظهر الكتابة والنقوش .

(٢) أياس : مدينة من بلاد الأرمن على ساحل البحر . استعاد فتحها الناصر محمد بن قلاوون سنه ٧٣٧ هـ وهى فرضة البلاد . وبينها وبين بغراس مرحلتان . هامش (النجوم الزاهرة ٩ : ١٧٢ ط . دار الكتب) و (القلقشندى ـــ صبح الأعشى ٤ : ١٣٣) .

وفى يوم السبت ثالثه أمرَ السلطانُ بحَبْس القاضى بدر الدين محمود بن عبيد الله الأَرْدَبيلى الحنفى، أحد نواب الحُكْم بالقاهرة بحبس المَقْشَرة ، وحبس معه شهاب الدين أحمد بن العريف وجماعة أخر ؛ بسبب أنهم شهدوا عند القاضى بدر الدين المذكور بوقف بيت الأمير أسِنْبَاي السّاقى الظاهرى جَقْمَق ، وحكم القاضى المذكور بالوقفيّة ولم يعلم القاضى المذكور والشهود أن السلطانَ له غَرَضٌ فى إبطال الحَقِّ وأخذ البيت المذكور لأسِنْبَاى بأي طريق كانَ ، فما شاء الله كان .

وفى يوم الاثنين خامسه أخرج السلطانُ الشيخَ قَوَامَ الدين من البُرْج بالقلعة وضَرَبَه فى الملأ العام على أكتافه ، ورَسَمَ بنزوله إلى حبس المَقْشَرَةِ بعد أن يُنَادَى عليه : هذا جزاء من يفعل الزّغْل ، وأشياء من هذا النوع ؛ وذلك بعد أن عقد السلطانُ فى أمسه مجلساً بالقضاة الأربعة وأحضر الشيخ قَوَام الدين المذكور فلم يثبت عليه شىءٌ ولم يعترف الشيخُ قَوَام الدين بما يُوجِبُ عليه التّعْزِير وإنما قال : ما هى إلا حيلة دبرّها عَلَىّ الشيخُ على المحتسب ، ويفحص السلطان عن صدق مقالتى ويفعل بى السلطان ما يشاء ، فلم يلتفت السلطانُ إلى كلامه وفعل به من الغد ما ذكرناه ، فشقّ على الناس ما وقع للشيخ قَوَام الدين المذكور إلى الغاية .

وفيه أُخْرِجَ القاضى بدر الدين بن عبيد الله من حبس المَقْشَرة وتوجّه إلى بيت نقيب الجيش ، وفيه عُزِل القاضى جمال الدين الباعونى الدمشقى الشافعى عن قضاء دِمشْق بالقاضى بُرْهان الدين إبراهيم السُّوبينى المعزول عن قضاء طَرَابُلُس قبل تاريخه .

وفى يوم الثلاثاء سادسه طلب السلطانُ القاضى بدر الدين بن عبيد الله بين يديه وصحبته الشُّهُود المذكورين/وكلمهم فى شهادتهم فى الوقفية فأجابوا بأنهم باقون على شهادتهم ، وأن للبيت كتابَ وقف وهو عند ابن الأَوْجَاقِى ، وهو مسافر فى الحجاز ، فلما سمع السلطان كلامهم أمر باعادتهم إلى سجن المَقشَرة ، فتكلم شيخ الإسلام قاضى القضاة سعد الدين بن الدِّيرِىّ الحنفى فى أمرهم ، فنهره السلطانُ ولم يلتفت إلى كلامه ؛ ومضوا بهم إلى المَقْشَرَة فحبسوا بها ثانيا ، وكُتِبت مَراسِيم شريفةٌ إلى مكة المشرفة تتضمن إحضار شهاب الدين أحمد بن الأوجاقى من مَكّة المشرفة إلى القاهرة صحبة الأمير تِمْرَاز المؤيّدى شاد بَنْدرجُدَّة .

١٣٠

وفيه كُتِبَ توقيعٌ باستقرار محمد بن تُوقَان بن نُعَيْر على إمْرَة آل فضل ، وعَزْلِ ابن عمه غَنَّام عنها ، كل ذلك قبل أن يصل الخبر إلى غنام بولايته ، فُولِّىَ وعُزِل وهو لا يدرى .

وفى يوم الخميس ثامنه لبس القاضى محبّ الدين بن الشِّحنة خلعة قضاء حَلَب الحنفية ، وتكون كتابة السّر بها لولده ، وفيه أخلع على السّوبينىّ باستقراره فى قضاء دمشق بعد عزل الباعونى كما تقدم .

وفى يوم الجمعة تاسعه نُودِى على الفلوس المضروبة قديما بستة وثلاثين درهما الرِّطْل والمضروبة الجديدة مُعادَدَة ، وفيه أيضا نُودِى على الفضَّة المضروبة بسِكَّة السلطان تكون على حالها بأربعة وعشرين الدرهم ، وما هو خارج عن سِكّة السلطان تكون بعشرين درهما .

وفى يوم السبت عاشره — ويوافقه سابع عشرين بؤونة أحد شهور القبط — أُخذ قاعُ النيلِ المبارك فجاءت القاعدة ستة أذرع وخمسة عشر إصبعا .

وفى يوم الأحد حادى عشره أحضر السلطانُ مماليك الأمير تَنَم إلى بين يديه وعيّن منهم نحو العشرة ، ورسم بحبسهم بحبْس المقْشَرة ، بسبب تجرئهم على أستاذهم المذكور ، وشكواه عليهم .

ولما أصبح من الغد فى يوم الاثنين ثانى عشره وانفض الموكبُ السلطانى ، ونزل الأمير تَنَم المذكور صحبة الأتابَك إينال العلائى وغيره من الأمراء ، فلما صار برأس سُويقة منعم احتاطت المماليكُ الجُلْبان السلطانية بالأمير تنم كما يحتاط الخاتم بالإصبع ، وخشَّنُوا له فى القول لشكواه على مماليكه ، وحَبْسِ السلطان لهم / بسببه ، فأخذ الأتابَك إينال فى تسكينهم وضمن لهم خلاص المماليك المذكورين من حَبْس المَقْشَرة ، فعند ذلك خلّوا عنه ورجعوا غارة إلى زين الدين يحيى الأستادار بعد نزوله من الخدمة ، فوافوه بالقُرب من جامع الأمير ألطُنْبُغا [1] الماردينى ، ونزلوا عليه بالدبَابيس ، فلما أحسّ بالضَّرْب ألقى

١٣١

(١) جامع ألطبقا الماردينى : أنشأه الأمير ألطنبغا الماردينى الساقى زوج بنت الناصر محمد بن قلاوون والمتوفى سنة ٧٤٤ هـ ويقع فى شارع التبانة بالدرب الأحمر وقد أقيمت فيه أول خطبة يوم الجمعة ٢٤ رمضان سنة ٧٤٠ هـ (المقريزى ــ الخطط ٢ : ٣٠٨) و (على مبارك ــ الخطط ٥ : ٩٨ ، ٩٩) .

بنفسه عن فرسه ، وهرب إلى أن نَجَدهُ الأميرُ أُزْبُك السَّاقى والأمير جَانِبَك والى القاهرة وأركباه فرسه ، وتوجها به إلى داره ، ثم رجع المماليك إلى جهة القلعة ووقفوا تحت الطَّبْلَخَانَاه لانتظار أبى الخير النَّحّاس عند نزوله من القلعة .

قلت : وهذا أوَّل نكبة أبى الخير النَّحاس ، فبلغ النحاسَ الخبرُ فمكثَ نهارَه عند السُّلطان بالقلعة ، فلما تحقَّقُوا إقامته بالقلعة شَقَّ عليهم ذلك ، واتفقوا على نَهْبِ داره ، فنزلوا من وقتهم إلى داره على هيئة مُزْعجةٍ فوجدواأبواب داره مغلقة ، وقد وقفت مماليكه بأعلى الأبواب لمنع المماليك من الدخول ، فوقع بين الفريقين قتال ساعة ثم حَرَّق المماليك باب داره التى بين السُّورَين ، ودخلوا إلى بيت أبى الخير المذكور، وفعلوا مايطول الشرح فى ذكره من أخذهم الأقمشة والأمتعة والتحف ، واستمرت النار تعمل فى باب الدار حتى اتصلت لعدة بيوت بجوارها ، فاحترقت أماكن ، ولم تصل النار إلى داره لأنها كانت فوق الرِّيح لكن احترق بابُه والعلُوّ الذى كان عليه إلى أن دثر ، وكان قد تناهى فى عمل الباب المذكور وعلُوه ، ولما تزايد أمر النار وعظمت خشينا أن يعظم ذلك إلى أن يصل إلى دارنا ، وتوجَّهْتُ أنا وجماعة ، ثم حضر والى القاهرة والشيخ على المحتسب حتى قَدَرْنَا على طفى النار بعد جُهد كبير ، وأغلقت بعضُ حوانيت القاهرة ، وكان يوما مهولا ، ومع هذا كلّه لم تتأسّف الناس لما وقع لأبى الخير من عظم نُفْرتِهم منه .

ثم أصبح يوم الثلاثاء ثالث عشره والمماليك الجُلْبَان وقوفٌ بالرَّمْلَة مُحْدِقين بالقلعة، مصممين على الفتك بأبى الخير المذكور ، وطلبوا تسليمه من السلطان ، وعَزْل الأمير جوهر مقدَّم المماليك السلطانية ، وعزل الأمير زين الدين الأستادار ، وانفض الموكب / ونزل كُلّ من أرباب الوظائف إلى محله مختفيا ، ونزل الأمير تَمُرْبغا الدَّوَادار الثانى والأمير أُزْبُك من طَطَخ الساقى والأمير بُردبَك البَجْمَقْدَار[1] ، فلما صاروا بالرَّملة من تحت القلعة ضَرَبَ عليهم المماليك الجُلْبان حلقة،وحدَّثُوهم ١٣٢

(١) البجمقدار ، أو البشمقدار : هو الذى يحمل نعل السلطان أو الأمير ، والكلمة مركبة من لفظين . احدهما تركى وهو « بشمق » ومعناه النعل ، والآخر فارس وهو « دار » ومعناه ممسك (القلقشندى — صبح الأعشى ٥ : ٤٥٩) .

فى عَوْدهم إلى السلطان ، والكلام معه فى أغراضهم ، فقال لهم تَمُرْبُغَا : وما الغرض ؟ قالوا : عزل جَوْهَر مقدّم المماليك ، وتسليم غريمنا يعنى أبا الخير النَّحّاس .

فعاد تَمُرْبُغَا إلى القلعة من ساعته ، وعرّف السلطان بمقصودهم ، وكان الأمير الكبير قد طلع فى باكر النهار وصحبته الأمير أَسَنْبُغَا الطيَّارِىّ رأس نوبة النُّوب .

وأما تَنَم أمير مجلس فإنه كان طلع من أمسه وبات بالقلعة فى طبقة الزمام وقال : مَا أَنْزِلُ حتى يُفْرِجَ السلطانُ عن مماليكى المحبوسين خشيةً من المماليك الجُلْبَان السلطانية ، فلما طلع الأمير الكبير شفع فى مماليك الأمير تَنَم ، فرسم بإطلاقهم ، ثم أخذ الأمير الكبير يتكلّم مع السلطان فى أمر المماليك الجُلْبَان وفى الرضى عنهم ، والسلطان مُصَمِّمٌ على مقالته بالأمس من أنه يرسل ولده عثمان وحريمه إلى الشَّام ، ويخلع هو نفسه من السَّلْطَنة ويتوجّه إلى حال سبيله ، فنهاه الأمير الكبير عن ذلك ، وقام السلطان ودخل إلى القاعة بالدّهيشة ، فكلَّمهُ بعض أمرائه فى أمر المماليك أيضا ، فَشَقّ ثَوْبَه غَيْظاً ، ونزل الأمير الكبير وصحبته الأمراء المذكورون إلى دورهم ، والمقصود أن الأمير تَمُرْبُغَا لَماَّ طلَع إلى القلعة وعرَّفَ السلطان كلامَ المماليك الجُلْبَان وأنَّ قَصْدَهم عَزْلُ مقدّم المماليك ، وتسليم أبى الخير النحاس .

فلما أراد السلطانُ أن يتكلّم سَبَقهُ بعض أمرائه بالكلام وأظنه الأمير قَراجَا الظَّاهِرِىّ الخازندار ، وقال : يَجْبُرُ مَوْلاَنَا السلطانُ خاطرَ مماليكه بعزل المقدّم ، وإخراج النحاس من القاهرة ، فانقادَ السلطانُ إلى كلامه ورسَمَ بعَزْلِ جَوْهَر مقدّم المماليك وتوجُّهه إلى المدينة الشريفة ، وإخراج النحاس إلى مكّة المشرَّفة ، وعاد تَمُرْبُغَا بهذا الخبر إلى المماليك السلطانية فرضوا بذلك ، وتوجّه كلُّ واحد إلى حال سبيله ، وتَمَّ ذلك، إلى بعد الظهر من ذلك اليوم توجّه بعض المماليك الجُلْبان إلى الأمير أَسَنْبُغَا الطيّارِى وكلَّمه فى أنه يطلع إلى السلطان / ويطلب منه إنجاز ماوَعَدَ به من إخراج النحاس ، وعزل مقدّم المماليك ، فركب أَسَنْبُغَا وطلَعَ من وقته إلى القلعة ، وكلَّم السلطان فى ذلك ، فلما سمع السلطانُ مقالة أَسَنْبُغا اشتدَّ غضبُه وطلب جَوْهَر مقدَّم المماليك ونائبه الأمير مَرْجَان العادلى المحمودى وأخلع عليهما ١٣٣

باستمرارهما ، ورسَمَ بأن يكون النحَّاس على حاله بالقاهرة ، وأمر الأمير تَغْرِى بَرْمُش الزَّرَدكَاش أن يستعدَّ للقتال ، فخرج تَغْرى بَرْمش الزَّرْدكَاش من وقته ونصب عدة مكاحل على أبراج القلعة ، وقال السلطانُ : مالهم عندى إلا السَيف ، وأنا أعرف أخصامى ، وفى الغد يظهر كلُّ أمر ، فبلغ الأمراء ذلك فطلع منهم جماعة كبيرة وقعدوا بالدّهيشة ، فأمرهم السلطان بالنزول إلى دورهم ، فنزلوا من وقتهم ، واستمّر الحال إلى باكر يوم الأربعاء رابع عشره جلس السلطان على الدّكة بالحوش كما جلس بالأمس ، ثم التفت إلى شخص من خاصّكيته وقال : أين الذين قلت عنهم ؟ فقال : يحضرون الآن ، فقال السلطانُ: آحضر بهم ، فنزل المذكور إلى المماليك الجُلْبان وأخذ منهم جماعةً كبيرةً وطلع بهم إلى السلطان ، وكان السلطان قد قامَ من على الدّكة ودَخل إلى الدّهيشة ، فلما مثلوا بين يديه قال لهم : قد غفرت لكم ذنبكم ، انزلوا آمضوا إلى حال سبيلكم ، ولم يطيِّب خاطرهم بل قال لهم:كنتُ أردت قتلكم والآن قد عفوتُ عنكم . فلم يتكلَم أحدٌ منهم بكلمة ونزلوا تفرقوا من وقتهم ، وأظن أن السلطان كان فى أمسه اتفق مع بعض الأجلاب وأرضاهم فى الباطن ، فخزّل بعضُهم بعضا-والله أعلم-واستمر أبو الخير النحاس بالقلعة خائفا من النزول إلى داره إلى يوم الخميس خامس عشره نزل إلى داره على حين غفلة قبيل العصر بنحو خمس درجات ، وانحاز بداره وقفل الأبواب ،

ومن غريب ما اتفق فى هذه الأيام أن المماليك الجُلْبَان منعت غالب المتعممين من ركوب الخيل ، وركبت الفقهاء وأعيان الدَّولة من المباشرين الحميرَ ، وبقيت المماليك يقفون فى الطرقات والشوراع فمن عاينوه من المتعممين على فرس أوقعوا به ، وأما حواشى أبى الخير النحاس وأصحابه فإنهم غابوا عن العين / بالكلية . ١٣٤

وفى يوم السبت سابع عشرة ورَدَ الخبرُ بعصيان الأمير بَيغُوت من صفر خَجَا المؤيّدى الأعرج نائب حماة ، وخروجه عن الطاعة وانضمامه إلى العجل بن نُعير .

وفى يوم الأحد ثامن عشره نزل السلطان من قلعة الجبل وبين يديه جميعُ أمرائه وأعيان دولته بغير قماش الموكب،وتوجّه إلى بحر بولاق لينظر إلى الجسر الذى أمر بإنشآئه بين الطُّنْبُذِية ومعصرة الخليفة ، فوصل إليه ونظر إلى عمارته وهو راكب على

فرسه ، فأعجبه عمله وخلع على المعلم على بن إسكندر وعلى ابن ظهير وعلى جماعة أُخَر ممن باشر عمل الجسر المذكور ، ثم رجع وطلع إلى القلعة بعد ماشَقَّ القاهرة .

وفى يوم الأربعاء حادى عشرينه وصل البَلاَطُنسىّ من دِمَشْق إلى القاهرة ، وطلع إلى السلطان وشكا على أبى الفتح الطِّيِّبى ناظر جَوَالى دِمَشْق وذكر عنه عظائم ، ولازال يُمْعن فى الحطِّ عليه إلى أن رَسَم السلطانُ بعزله وحضوره إلى القاهرة فى جَنْزير ، ونزل البَلاَطُنسِىّ من القلعة بعد أن أكرمه السلطانُ وحصل على مقصودِهِ من عزل الطِّيِّبى ، وفيه رَسَم السلطان لأبى الخير بالسَّفَر إلى المدينة الشريفة — على ساكنها أفضل الصلاة والسلام — بعد أن يكتب جميع موجوده ويرسله إلى السلطان من الغد،ورَسَمَ السلطانُ بعمل حسابه وتردَّد إليه جَوْهَرُ السّاقى الحبشى غير مَرَّة من قِبلِ السلطان ، وكثر الكلام فى أمره ، وأصبح من الغد فى يوم الخميس ثانى عشرينه طَلَع أبو الخير النحاس إلى القلعة فى الغلس من غير إذن من السلطان واختفى بالقلعة ، إلى أن انفضّ الموكبُ ولازال حتى اجتمع بالسلطان ، ثم نزل من يومه وقد أصلح مافسد ، وأنعم له السلطان بموجوده ، وترك له جميع ما كان قد عزم على أخذه ، فانصلح أمْرُه بذلكِ قليلا ، وشقَّ ذلك على أخصامه كثيرا ، واستمرّ بداره وقد هابه الناسُ وكثر تردَادُهم إليه .

وفيه استقرّ الشيخ على الطويل الخُرَاسَانِي فى حِسْبَة القاهرة على عادته،عوضا عن الأمير جَانِبَك اليَشْبُكى والى القاهرة ، وفيه أفرج السلطانُ / عن القاضى بدر الدين محمود بن عبيد الله ورفقته من حَبْس المَقْشَرة ، وفيه رسم السلطان بإبطال مارَسَمَ به قبل تاريخه من عَزْل أبى الفتح الطِّيِّبى وإحضاره إلى القاهرة . ١٣٥

وفيه أيضا أمر السلطان البَلاَطُنسِىّ بالسَّفر إلى دِمَشْق بعد أن لهج بحبسه فى حبس المَقْشَرَة لولا أنْ شَفَع فيه بعض الأعيان ، فتحقق الناسُ ميل السلطان إلى أبى الخير النَّحَّاس .

وفى يوم الجمعة ثالث عشرينه أُرْجِف بالقاهرة بركوب المماليك الجُلْبان من الغد ، فأصبح يوم السبت وليس لِماَ أُشيع حقيقة .

وفى الثلاثاء سابع عشرينه حضر عبدُ الله الكاشف ونَزَلَ فى بيت زين الدين يحيى الأستادار ، وحصل الرضى عليه من الغد، على مالٍ بذله وحمله إلى الخزانة الشريفة .

وفى يوم الخميس تاسع عشرينه أنعم السلطانُ بإمرة قَانِى باى الحسنى على مملوكه شاهين الظَّاهرىّ السّاقى ، وشاهين المذكور وجودُه عارٌ على بنى آدم ، واستقرّ السّيفى بَرْقُوق الظَّاهِرىّ سَاقِيًا عوَضاً عن شاهين المذكور .

وفيه آستَقَرَّ الطواشى سرور الطَّرَبَاى شيخ الخدَّام بالحَرَم النبوىّ عوضا عن الطواشى فارس الرُّومى الأشرفى بحكم عزله ، ثم عُزل سرورٌ المذكور فى يوم السبت واستقرَّ فارس على عادته ، وفيه برز المرسومُ الشريف لَجوْهر السّاقى بنزوله إلى أبى الخير النحاس وصحبته نقيب الجيش الناصرى محمد بن أبى الفرج؛ ليمضيا به إلى الشّرع الشريف ماشياً، ليدَّعِى القاضى شرف الدين موسى التَّتائى الأنصارى عليه بمجلس الشّرع الشريف ، ورسم له أن يحتاط بعد ذلك على مَوْجُودِه ، فنزل جَوْهَرُ المذكور من وقته إلى أبى الخير النحاس وأخرجه / من بيته ماشيا ممسوكا مع نقيب الجيش ، وقد ازدحمت العامَّةُ على بابه يريدُون الفتكَ به ، فجاء جَوْهَرُ المذكور وجماعةٌ من المماليك منهم، وأنطلقت الألسن إليه بالسَّبِّ واللعن ، واستمروا خلفه وأمامه فى الطرقات على ذلك إلى بيت قاضى القضاة شرف الدين يحيى المُناوِىّ الشافعى ، فأدخلوه إلى المدرسة الصاحبية محتفظا به مع رسل الشّرع ، وعاد جَوهَرْ السّاقى وشرف الدين التتائى إلى الحوطة على مَوْجُوده وحواصلّه ، ووجدت العامَّة بغياب جَوهَر فرصة إلى الدخُول إلى أبى الخير النحاس ، فهجموا عليه وضَرَبُوه ضَرْبًا مُبَرِّحاً إلى أن صاحت رُسُلُ الشّرع عليهم وهَرّبُوه إلى مكان بالمدرسة المذكورة يقال إنه بيت الخَطَابة ، وأعلموا قاضى القضاة بذلك ، فأرسل قاضى القضاة خلف الأمير جَانِبَك والى القاهرة حتى أخرجه من المدرسة المذكورة إلى بيت قاضى القضاة وآدعَى شرفُ الدين التتائى عليه بدعاوى يطول الشرحُ فى ذكرها ، والسبب الموجب

١٣٦

لهذه القضية هو أن أبا الخير النحاس لما وقع له مع المماليك الجُلْبَان ماحكيناه من إقامته بقلعة الجبل من يوم الاثنين إلى يوم الخميس خامس عشره،ونزل إلى داره فى اليوم المذكور قُبيْل العصر وبقى الناس فى أمره على قسمين ، فمن الناس من لاسلَّم عليه ولاالتفتَ إليه ، ومنهم من صار يرتجيه ويتردّد إليه وهم القليل من الناس ، ودام على ذلك إلى أن وَصَلَ البَلاَطُنُسى من دِمَشْق واجتمع بالسلطان فى يوم الأربعاء حادى عشرينه حسبما ذكرناه ، وأنصفه السلطانُ وعزل لأجله أبا الفتح الطّيِّبى ، ورَسَم بسفر أبى الخيّر النحاس إلى المدينة النبوية ، فلما أصبح أبو الخير فى يوم الخميس وطلع إلى القلعة من غير إذن واجتمع بالسلطان،ولازال به حتى أصلح ماكان فسد من أمره ثم نزل إلى داره وقد وقع بينه وبين التاجر شرف الدين موسى التَّتائى ، وسبب الواقعة بينهما أن شرف الدين المذكور كان فى هذه المدة هو رسول أبى الخير النحاس إلى السلطان ، ومهما كان له من الحوائج يقضيها له عند السلطان ، فظهرلأبى الخير النحاس بطلوعه إلى القلعة فى هذا اليوم أن شرف الدين المذكور ليس هوله بصاحب ، وأنه ينقل عنه إلى السلطان ماليس هو مقصوده بل ما فيه دماره ، وبطلوع / النحاس فى هذا اليوم أيضاراج أمره كثيراوعظم فى أعين الناس ، فإن السلطان رسَمَ فى اليوم المذكور باستقرار أبى الفتح الطّيّبى فى وظيفته ، وقضى له عدة حوائج ، وظهر ميل السلطان إليه ، وتردَّدَت الناسُ إليه فوجا فوجا ، لا سيّما لَمّا مقَتَ السلطانُ البَلاَطُنُسِي بعد ذاك الإقبال عليه أوَّلا ، وأيضا عزل عبد الله الكاشف لأجله ، واستمرّ من يوم الخميس،وهو يوم طلوعه إلى القلعة،إلى يوم الخميس تاسع عشرينه-أعنى اليوم المذكور ، وحصلت له هذه النكبة انتدب إليه شرف الدين المذكور ووقع ماحكيناه ، واستمرّ فى بيت القاضى الشافعي وهو يسمع من العامَّة وغيرهم أنواعَ السبّ والبهدلة ، وهم يزدحمون على باب القاضى لرؤيته ، وصارت تلك الحارة كبعض المفترجات لعظم سرورهم به ، وأعجبُ من هذا أننى لم أنظر فى تلك المدة أحداً إلا وهو مسرورٌ بما وقع لأبى الخير هذا حتى النساء فى بيوتهنّ .

١٣٧

وأما النصارى واليهود فسرورهم به كان يخرج عن الحدّ ، وأصبح من الغد فى يوم الجمعة طلب السلطان خيوله ومماليكه،فأخرجوهم من داره وطلعوا بهم إلى السلطان بعد أن شقُّوا بهم القاهرة ، وازدحمت الناسُ لرؤيتهم ، فكانت عدة الخيول نيِّفاً على أربعين فرسا،منهم بغال أزيد من عشرة والباقى خيول خاص هائلة[1] ، والمماليك نحوا من عشرين نفرا ، واستمرّ شرف الدين التتائى يتتبع آثاره وحَوَاصِلَه وهو مجتهدٌ فى ذلك.هذا بعد أن أشهد على أبى الخير المذكور أنَّ جميع ماله من الأملاك والذخائر والأمتعة والقماش وغير ذلك للسلطان الملك الظاهر دون ملكه ، وليس له فيه ملك ولادافع ولا مطعن .

وفى هذا الشهر كان سعر الغلال : القمح بخمسمائة درهم الإردب إلى مادونها بعد أن وصل قبل تاريخه إلى ثمانمائة وخمسين الإردب ، والفول بثلاثمائة وستين الإردب إلى مادونه ، والشعير من مائتين وثمانين إلى مائتين وخمسين الإردب ، والدقيق العلامة بمائة وسبعين درهما البَطَّة ، ومضى هذا الشهر وليس أحد من المتعممين يقدر أن يَعْلُوَ على ظهر فرس،بل صار الجميعُ يَرْكَبُون البغال والحميرَ ماعدا كاتب السر ، وناظر الجَيْش ، والوزير ، وناظر الخاصّ ، والأستادار ، وكاتب المماليك السلطانية ، وكاتب العَليق ، وناظر الإسطبل ، ونائب كاتب السّر.والباقون كما ذُكرنا حتى لقد قال لى بعضُ نُوَّاب الشرع:قد ألحقنا هولآء المماليك/الأجلاب بأهل الذِّمَّة فى عدم ركوب الخيل ، فلاقوّة إلا بالله . ١٣٨

● جمادى الآخرة : أوّله السبت .

فيه لبس عبد الله الكاشف خِلْعَة الاستمرار بعد أن وَزَنَ مالاً له صورة .

وفيه رُسِمَ بفتح حواصل أبى الخير النَّحَّاس ففتحت ، فوُجِدَ فيها من الذهب العين نحو سبعة عشر ألف دينار ، ووُجِدَ له من الأقمشة ، والتحف ، والفَرْو ،

---

(١) أى خاصة به .

والقَرْقَلاَّت [١] التى للحرب ، والصينى ، والكتب أشياء كثيرة ، ووُجِدَ له أيضا حجج مكتتبة على أربابها نحو من ثلاثين ألف دينار ، فُحمِلَ الذهب العين إلى السلطان ونَوْعٌ من التحف ، وخُتم على الباقى حتى يباع ، ودام شرف الدين التَّتائى فى الفحص عن موجوده ، وأخرج السطان جميع تَعَلُّقات النحاس من الإقطاعات والحمايات والمستأجرات وغير ذلك .

وفى يوم الأحد ثانيه طلعت تقدمة الأمير جُلُبّان نائب الشام صحبة دَوَادَاره وأميرآخُوره ، وهى تقدمة هائلة تشتمل على خيول وصوف وأنواع الفراء والبعلبَكِّى والمخمل والشُّقق الحرير ، ومن جملة ذلك ذهبٌ عينٌ نحو عشرة آلاف دينار ، وعِدَّة الخيول تزيد على مائتى فرس ، منها فرسان بأقمشة ذهب والباقية على عادة التقادم ، وجميع التقدمة على رءوس الحمَّالين ، وهم نحو ثلاثمائة حَمَّال .

وفى هذه الأيَّام لبس قاصد نائب الشام خلعة السَّفر ، وكان له من يوم وصل لم يُخْلَع عليه إلى يومنا هذا ، ولما استولى السلطانُ على خيل أبى الخير المذكور فرَّقه على مَن آختاره .

بِذَا قَضَتِ الأَيَّامُ مَابَيْنَ أهلها   مَصَائِبُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ فَوَائِدُ [٢]

وفيه أيضا وَرَدَ الخبرُ من عند الأمير قَانِى بَاىْ الحَمْزَاوِىّ نائب حَلَب على يد رأس نَوْبَته بأن جَهَان شاه بن قَرَا يُوسُف يُرِيدُ يُشَتِّى [٣] جَهَان كِير بن على بَكْ بن قَرَايُلُك وليس لجهان كِير المذكور مَخْلَصٌ سوى قدومه إلى البلاد الحَلَبية ، وليس بَحَلب عساكر لرَدِّه عنها ، وكان وصول القاصد المذكور فى عشرة أيَّام ، فكُتِبَ له الجوابُ وعِدَّة مَرَاسِيم تتضمَّن خروج النُّواب بالبلاد الشامِيّة إلى أطراف البلاد الحَلبية .

وفى يوم الأحد المذكور أخلع السلطانُ على الصاحب جمال الدين يوسف

---

(١) القرقلات : جمع قرقل . وهو نوع من الدروع يصنع من صفائح الحديد المغشاة بالديباج الأحمر أو الأصفر (القلقشندى ــ صبح الأعشى ٤ : ١١) .

(٢) البيت لأبى الطيب المتنبى (الديوان ج ١ : ٢٧٦ شرح العكبرى) .

(٣) أى يريد أن يحاربه شتاء .

١٣٩ ابن كاتب جَكَم ناظر الخواصّ ، وعلى زين الدين يحيى الأستادار خلعتى / الاستمرار ، وخلع على شرف الدين التتائى باستقراره فى جميع وظائف أبى الخير النحاس وهى عدة وظائف ، نظر البيمَارستان المنَصْوُرى ، ونَظَر الجَوالى ، ونَظَر الكُسْوة ، ووَكَالة بَيت المال ، ونظر خانقَاة سَعيد السُّعداء ، ووكيل السلطان ، وعِدة وظائف أُخر دينية ومباشرات :

وفى يوم الثلاثاء رابعه رَسَم السلطانُ بنفيِ القاضى كمال الدين محمد بن البَارِزِىَ كاتب السِّرِّ إلى الشام فَنَزَل من وَقْتِه متوجّها إلى دِمَشْق من غير أن يَدْخُل إلى دارة إلى أن وَصَل إلى ظاهر القاهرة رُسم بَعْودِهِ فعاد إلى داره على كُرْهٍ منه ، وماكان غرضه إلا الخروج من الديار المصرية ، وسبب ذلك أن السلطان لَمَّا جَلَس على الدِّكَّة بالحُوش السُّلطانى على عادتة وقُرِىءَ عليه الجيشُ حصل منه حَنَقٌ على القاضى مُحِبِّ الدين ابن الأشقر ناظر الجيش ، وأوسعه سبًّا ، وهم أن يضربه بالنِّمْجَاة غير مَرَّةٍ ، ثم بلغ السلطان أن قاسم بن قَرَايُلُك قد وَصلَ إلى القُرْبِ من خَانَقاة سِرْيَاقُوس فتعجَّبَ السلطانُ من قُدُومِه ، لأنه لما خَرَجَ من عند ابن أخيةجَهَان كِيربن على بَك بن قَرَايُلُك من ديارَبَكْر مُبَايناً له توجَّه إلى أُبُلُسْتَيْن عند الأمير سليمان بن ناصر الدين بَك بن دُلْغادِر ، فأرسل سليمانُ إلى السلطان يطلبُ منه الإذن بقُدُوم قَاسم المذكور إلى الديار المصريّة فلم يأذن لهُ السلطانُ بذلك ، ورسَمَ بإقامته عند سليمان بن دُلْغادِر ، وكُتِبَ بذلك مرسومٌ شريف ، فلم يلبث السلطان بعد ذلك إلا أيَّاما قلائل وبلغه حضورُ قاسم المذكور فَعَزّ عليه ذلك وسأل كاتبَ السِّرِّ : هل كتبَ له فى المَرْسُوم بالقُدُوم ؟ فقال : نَعَمْ — وليس الأمر كذلك ، وإنما أراد كاتبُ السّر بهذا الجواب أن يحتاط من قَوْلِه نعم من أن يكون دُلِّسَ عليه فى ذلك — فطلبَ السلطانُ المُسْودةَ فلم يجد فيها إذْنًا بحضوره ، فعند ذلك رسَمَ السلطانَ بضربه ، فَلَكَمَهُ الأمير بَرْسْبَاى الإينالِىّ المؤيّدىّ الأمير آخور الثانى لَكْمَة وَاحِدةً ، وأُخْرِجَ من بين يدى السلطان مَنْفِيًّا .

وفيه أمر السلطانُ بتسليم الزَّينى عبد الرحمن بن الكُوَيْز إلى والى القاهرة ١٤٠ ليستخرج منه مابقى عنده مما كان ٱلْتَزَمَ بحمله إلى السلطان / قبل تاريخه .

وفيه رسَمَ بنقل أبى الخير النَّحَّاس من عند قاضى القضاة الشافعى إلى عند قاضى القضاة المالكى لُيُدَّعَى عليه بدعاوى ، فأخذه والى القاهرة وتوجّه به من بيت القاضى الشافعى إلى عند المالكى بالدَّرْب[١] الأصفر ، وأُرْكِبَ حمارا وشَقَّ به الشّارع بعد أن آزدحمت الناسُ بالشوارع والحوانيت لرؤيته ، فكان هذا اليوم من الأيّام المشهودة .

وفى يوم الأربعاء خامسه آدّعَى عليه ـــ بمجلس القاضى المالكى ـــ السيّدُ الشريفُ شهابُ الدين أحمد دَلاَّل الأملاك بدَعْوَى شُنْعَةٍ أوجبت وضعَ الجَنْزير فى رقبة أبى الخير المذكور بعد أن كُتِبَ محضرٌ بكُفْرِه ، وأقام السيّدُ الشريفُ البيِّنة عند قاضى القضاة بذلك ، فلم يَقْبَل بعضَ البيِّنة ، وآستمر فى بيت القاضى المالكى إلى العصْرِ من يومه نُقِل إلى حَبْس الدَّيْلَم على هيئةٍ غير مَرْضيّة على حمار وفى رقبته جنزير ـــ نعُوذ بالله من زوال النعم ـــ ومرّ بتلك الحالة من الشارع الأعظم ، وعليه من الذُّلِّ والصَّغَار ماأحوج أعداءه أن يبكوا عليه ، ومارَبُّك بظلاّم للعبيد ، ولقد أنشد القائِل : [الكامل]

يامَـــن عَـــلاَ وعُلُـــوُّه أُعْجُوبَـــةٌ بَيْـــن الـــبَشَر
غلـطَ الزَّمَـانُ بَرفْـعِ قَـدْ رِكَ ثـم حَـطَّكَ وٱعْتَـذَر

وفى اليوم المذكور ظَهَرَ قاضى القُضَاة وَلِيُّ الدين محمد السَّفْطِى بعد آختفائه نحو ثمانية أشهر وسبعة أيّام ، وطلع من الغَدِ فى يوم الخميس سادسه إلى السُّلْطَان ، فسلّم عليه فأكرمه السلطانُ ، ونَزَل إلى داره .

وفيه وصلَ الأميرُ قَاسم بن قَرَايُلُك إلى القاهرة صحبة قاصد الأمير سُلَيْمَان بن دُلغَادِر وتمثَّلَ بين يدى السلطان ، وقبَّل الأرْضَ ، ثم نَزَل إلى المَيْدَان .

وفى يوم السبت ثامنه خلعَ السلطانُ على إينَال باي الخاصّكى الأشرفى الفقيه بتوجُّهِهِ إلى دِمَشْق للكَشْفِ عن حال أبى الفتح الطِّيِّبىّ والفَحْص عن حقيقة أمره ويفعل به ماأُمِر به .

---

(١) الدرب الأصفر : ويتفرع من شارع وكالة الصابون والجمالية . تجاه جامع بيبرس الجاشنكير (على مبارك ـــ الخطط ٢ : ٧٠) .

وفى يوم الأحد تاسعه رسمَ السلطانُ بنَفْيِ المعلّم محمد الصَّغير أحد الحجّاب وولده عبد العزيز المبعد قبل تاريخه إلى قُوْص ، ثم شُفِع فيهما على أنهما يَلْزَمان دارهما .

قلت : ماأحسن هذا لودام واستمرّ .

١٤١ أ وفى يوم الاثنين عاشره لبس القاضى محبُّ بن الأشقر خلعة / الاستمرار ، وفيه رُدَّ على الأمير فَيْروز النَّوروزى الخَازِنْدَار أوقافُ الحَرمَين التى كان أبو الخير النَّحاس آستولَى عليها فى العام الماضى ، وفيه خلعَ على أَسَنْدَمر الأَرْغُونْ شَاوِىّ باستقرارِهِ فى أستادارية السّلطان بدِمَشْق وشَدّ الأَغْوار [١] عوضا عن ابن الهُمَام ، ورُسِمَ بالقبض على ابن الهُمَام ، وتَوْليَة أَسَنْدمُر المذكور على مالٍ وعَدَ به نحو العشرة آلاف دينار .

وفى هذه الأيام ترادفت النَّجَّابَةُ [٢] من حَلَب وأخبروا بَسيْر جَهَان شَاه بن قَرَا يُوسُف صاحب تبْريز على جَهَان كِير بن على بَك بن قَرَا يُلُك صاحب آمِد ، وجَهَان كِير ليس له ملجأ إلاَّ القدوم إلى البلاد الحلبية ، وأن جهان شاه يتبعه حيثما توجه ، فنفرت قُلُوب أهل حَلَب من هذا الخبر ، ونزح منها خلائِق ، وغلا ثمنُ الحيوان بها بسبب السَّفر منها ، وأشياء من هذا النُّمُوذَج،مدلولها طَلَبُ عسكرٍ يخرج من الدِّيار المصرية ، فلما سمِعَ السلطانُ هذا الخبر رَسَم بعرضِ العسكرِ الخاصّكية فى يوم الأربعاء ثانى عشره لِيُعَيِّنَ منهم لسفر التَّجْريدة إلى حَلَب جماعةً .

وفى الثلاثاء حادى عشره لبس القاضى مُحِبُّ الدين ابن الشِّحْنَة بإعادتة إلى نظر جَيْش حَلَب عوضا عن عبد القادر بن الرَّسَّام ، وذاك زيادةً على مابيد ابن الشّحْنَة المذكور من قضاء الحنفية بحَلَب وكتابة سِرِّها كما كان أوّلا، بعد أن آلتزَمَ ابنُ الشحنة المذكور بمال كبير ، ثم بتحصيل عَلِيق خيول المماليك السّلطانية التى عساها تَتَجرَّد إلى البلاد الحَلَبِيّة .

---

(١) شد الأغوار : وظيفته يتحدث شاغلها على الأغوار ، وقد أضيف، إليها التحدث على المطابخ والسكر فى عصر القلقشندى (صبح الأعشى ٤ : ١٨٨) وهى من وظائف الدولة بالشام فقط . وليس لها مماثل فى مصر .

(٢) النجابة : جمع نجاب وهو مبلغ الأخبار . ولعل اللفظ مأخوذ من استخدامهم للنجب من الخيل أو الإبل (المحقق) .

وفى هذه الأيّام أُشِيع بالقاهرة بأن أبا الخير النحاس قد تَجَنَّن فى سجنه بالدَّيْلم وأنه صار يخلط فى الكلام ، قلت : وإن كان هذا الخبرُ غير صحيح فَحُقَّ له أن يتجنَّن ، فإنه كان فى الأول وَضيعًا ثم تَرَفَّع إلى أن مَلَك الدِّيَار المصرية بأسرها بل والشّامية والحَلَبية ، وصار هو صاحب الحَلِّ والعقد فى جميع الممالك ، وقد أصبح اليوم كما تَرَى ، وقد أُخِذَت أُموالُه وأملاكه ومَوْجُودُه فى أيدى البَيَعَةِ ، ويقال : مَنْ ذَاقَ الغنى بعد فَاقَةٍ يمُوتُ وفى قلبه من الفقْر واجسُ ، وهذا المغترُّ كان أَوّلاً فقيرًا مُمْلِقًا متحيّلا على الرِّزْق،ثم صارَ على حين غفلة مَلِكًا عظيما ، ورأى من العِزّ ونُفُوذِ الكلمة مالم يَرَه غيرُه فى زماننا ، هذا مع علمى بمن تقدَّمَه ، ثم رَدَّه الله إلى أسفل مما كان عليه أوّلا / فإنه كان من قبلُ فقيراً قليل الجدة لاغير ، والآن فقد صار فقيرا مَسْجُونًا مُقَيَّدًا ، وفى ذهاب رُوحِه أقوال — فنسألُ الله حسن العَاقِبة فى الدنيا والآخرة . ١٤٢

وفى يوم الأربعاء ثانى عشره عرضَ السلطان خاصِّكيته وعيَّن منهم ثلثمائةٍ وخمسين خاصِّكيًّا لسفر التجريدة ، ثم رسَمَ بعرضِ المماليك السلطانية فى يوم الأحد القابل ليعيِّن منهم أيضًا جماعةً للسفر ، وَرَسَمَ السلطانُ بأن يكون مقدَّم هذا العسكر الأمير الكبير الأتابَك إينَال العَلائى الناصرى ، وعيّن صحبتة جماعةً من الأمراء مقَدمى الألوف وغيرهم ، فمن الألوف : الأمير دُولاَتْ بَاى المحمودى المؤيدى الدَّوَادَار الكبير لاغير ، ومن أُمَرآء الطَّبْلَخَانَات : الأمير أَرَنْبُغَا اليُونُسِيّ النَّاصِرِىّ أحد رءوس النُّوَب ، والأمير يرشباى الإينالى المؤيّدى الأمير آخور الثانى ، ومن أمراء العشرات الأمير أُزْبُك من طَطَخ الظَّاهِرِىّ رأس نَوْبَة وصِهْر السّلطان ، والأمير أُسِنْبَاى الجمالى السّاقى الظاهرىّ ، والأمير بُرْدْبَك البَجْمَقْدَار الظاهِرِىّ — وهولآء الثلاثة مماليك الملك الظاهر جَقْمَق — والأمير يَشْبُك من سَلمان شاه المؤيّدى الفقية رأس نَوْبَة والأمير بَلَبَاى المؤيّدى رأس نَوْبَة .

ثم أصبح من الغد فى يوم الخميس ثالث عشره تكلّم الأمير الكبير إينَال المذكور مع السلطان فى قِلَّة العَسكر المتوجّه معه من الأمراء وغيرهم ، فكانَ من كلامه أنْ قَالَ: يامولانا السلطانُ العَدُوُّ خارِجى غريب وعسكرُهُ فى كثرة وهؤلاء

العسكر لايُطيقُون ردّه لقلّتِهم ، فعظُمَ ذلك على السُلطان واشتدّ غضبُه وقال للأمير الكبير : أنت مالك غرض فى السَّفر ، وماأشبه هذا الكلام ، فكفّ الأميرُ الكبير عن الكلام ،وقال : المَرْسُومُ مَرْسُومُ مولانا السلطان ، وأَمْرُ السّلطانِ على الرأسِ والعَيْنِ ، ورأىُ السلطان أحسنُ مما نَرَاهُ نَحْنُ ، ثم انفضّ الموكبُ ودَخَل السلطانُ إلى الحوش واستصوب كلامَ الأمير الكبير ، وعيّن من الأمراء مقدّمى الألوف مُضَافًا إلى العسكر الأمير أسَنْبُغَا النَّاصِرِىّ الطَّيَّارِى رأس نَوْبَه النّوب ، ورَسَم بعدم سَفَر الأمير بُرْدْبَك البَجْمَقْدَار لقّلة جِدَته ، ولم يُعَينْ عِوَضَه أحداً .

١٤٣ وفيه لبس السّيفى بُرْدْبَك التّاجى الخاصّكِىّ خلعةَ سَفَرِه إلى مَكَّة ليكون / بها ناظِرَ الحَرَم الشَّريف،ومحتسِبَ مَكَّة المُشَرَّفة وشاد عمائِرها [١] عوضا عن السَّيفى بَيْرَم خَجَا الأشرفى الفقيه ، ويسافر بُرْدْبَك المذكور إلى مكة فى البحر الملح وصحبتُه جماعةٌ مِن المِعْمارِيّة وغيرهم .

وفيه وصلَ أبو الفتح الطَّيِّبى مِن دِمَشْق على أقبح هَيْئة .

وفى ليلة السّبت خامس عشره كان خُسُوف القَمَرِ ابتدأ به الخُسُوف من بين العشاءين إلى أن خُسِفُ غَالِبُ جِرْمِ القَمَر ، واشتدت حُمْرَة مابَقِى منه ، بحيث إنه لم يبقَ له ضوءٌ ، وأزهرت النجوم بالسمآء كآخر ليلات الشهر ، ودام ذلك إلى إلى بعد العشاء الآخرة بنحو ساعة ، ثم أخذ ينحلُّ قليلا قليلا .

وفى يوم السبت المذكور-ويوافقه أوّل مسرى-نُودِى على النيل بزيادة خمسة أصابع لتتمة خمسة أذرع وخمسة وعشرين إصبعا .

وفيه أفرج السلطانُ عن العلاَّمة الشيخ قَوَام الدين العجمى من حَبْس المَقْشَرَة .

وفى يوم الأحد سادس عشره جلس السلطانُ بالحوش وعرَضَ المماليك السلطانية وعيَّن منهم زيادَة على مائة وعشرين نَفَرا أضافهم لمن كتب أوّلا قبل تاريخه

---

(١) شد العمائر : وظيفة يتحدث شاغلها فى العمائر السلطانية مما يريد السلطان إحداثه أو تجديده من القصور أو الدور أو الأسوار . وهى إمرة عشرة (القلقشندى ــ صبح الأعشى ٤ : ٢٢) .

للتَّجْرِيَدة من المماليك السلطانية،وعَيّن من الأمراء أيضا فى اليوم المذكور الأمير مرجان العادلى المحمودى نائِب مُقَدّم المماليك وغيره .

وفيه استغاث السّيّد الشَّريف غريمُ أبى الخير النحاس على رءوس الأشهاد وقال : قد ثبت الكُفْرُ على غَرِيمى النَّحّاس وأقيمت البيّنة والقاضى لايَحْكُم بموجب كُفْرِهِ وضَرْب رقبته ، وكان الشريف هذا قد تمثّل بَيْنَ يدَى السلطان قبل تاريخه ، وذكر نوعًا من هذا الكلام ، فرسم السلطانُ للقاضى المالكى بأنه إن ثَبَتَ على أبى الخير المذكور كفرٌ فَلْيُضْرب عُنُقُه بالشَّرْع،ولايلتفت القاضى لما بقى عند أبى الخير النحاس من المال للسطان ، فإن حقّ النبىّ — ﷺ — أبْدَى من حَقِّ السلطان ، فلما سمع الشريفُ ذلك اجتهد غاية الاجتهاد ، وله أيضا من ينبِّهُهُ ، ويغرِيه ويُلْزِمُه بالكلام ويقويه على ذلك هذا والقاضى يتروّى فى أمره وينظر فى حال البيّنة ، ثم بلغَ قاضِي القضاة المالكى وَلِيّ الدين السُّنْباطى/مقالةُ الشريف بعد أن تكرَّرَ هذا الكلام من الشريف فى عِدّة أماكن ، فركب المالكى من وقته وطلع إلى السلطان واجتمع به وكلّمه فى أمر أبى الخير ، فأعاد السلطانُ عليه الجوابَ بمقالته أوّلا ، وقال له كلاما معناه إن أمرَ هذا راجعٌ إليك ، ومهما كان الشَّرْع افْعَلْهُ معه ولا تتوقَّف لمعنًى من المعانى ، فقال قاضى القضاة وَلِيّ الدين السُّنباطى : يامولانا السلطان وقد فوضت أمْرَ هذه الدَّعْوَى لنائبِى القاضى جمال الدين بن عبد الغفار فَهو يَنْظُر فيها بحكم الله تعالى ، وانفضّ المجلسُ وكان السلطان قد أرسل فى أوّل النهار إلى أبى الخير النحاس الطواشى جَوْهَر التُّركمانى الجَمَدَار يسأله عن الأموال ويهدّده بالضَّرْب والنَّكَال ، فلم يلتفت أبو الخير إلى كلامه وقال : قد أخذ السلطانُ جميع الأموال والأملاك وهذه الأمتعة فى الأسواق تُبَاع فى كل يوم ، ولم يبق معى شىء ، ولم يزده على ذلك .

١٤٤

وفى يوم الثلاثاء ثامن عشره ضُرِب الصارمّى إبراهيمُ ابن الأمير بَيْغُوت نائب حماة – كان – الخارج يومئذ عن الطاعة بَيْنَ يَدَى السلطان بحضرة قاصِد والده ضَرْبًا متوسِّطاً ، ثم أعاده إلى محبسه بالبُرْج من القلعة ، وكان سبب هذه الحركة أن أباه كان قد أرسل فى أمسه نجابًا إلى السلطان يطلب منه الأمان والإفراج عن ولده هذا ، وعلى يد النجّاب أيضا كتابُ الأمير جُلُبَّان نائب الشّام ، والكتاب يتضمن الشفاعة

فى بَيْغُوت المذكور ، فلم يلتفت السلطانُ إلى ما أتى به النجّاب ، وفعل ماذكرناه فى هذا اليوم من ضرب هذا الشاب بغير ذَنْب — فلا قوّة إلا بالله .

وفى يوم السبت ثانى عشرينه لبس القاضى كمال الدين بن البَارِزِىّ خِلْعَة الاستمرار بعدما انقطعَ بدَارِه مُدَّةً طويلة حسبما ذكرناه ، وكان القاضى مُعِين الدين عبد اللطيف بن العجمى نائب كاتب السرِّ يباشر الوظيفة فى هذه الأيام .

وفيه خلع على القاضى نظام الدين عمر بن مُفْلح بإعادته إلى قضاء الحنابلة بدِمَشْق .

وفيه سافر بُرْدْبَك التاجى إلى مكّة المشرّفة بمن معه من المعماريّة وغيرهم فى البحر .

وفى يوم الاثنين رابع عشرينه سافر السّيفى إينال بَاى الخاصّكى إلى دِمَشْق ١٤٥ وصحبته أبو الفتح الطَّيِّبى على أقبح / وجه لينظر فى حقيقة أمره ويفعل معه مقتضى الشرع الشريف . وفيه ثَبَتَ عند قاضى القضاة شرف الدين يحيى المُنَاوِىّ الشافعى فِسْقُ القاضى عِزِّ الدين ابن قاضى القضاة جمال الدين السُّنْبَاطى المالكى أحد نوّاب الحكْمْ المالكية وأحد من شَهِدَ على أبى الخير النحاس ، ثم أرسل قاضى القضاة شرف الدين المُنَاوى من الغد إلى عِزّ الدين المذكور بإقامته من مجلس حُكْمِه ، فقام من وقته ودَارَ على أرباب الدَّولة وعرَّفهم ماوَقَع فى حَصِّه من قاضى القضاة المذكور ، وطلب أن يعقد له مجلسُ بالقُضاة الأربعة وأعيان الفقهاء فى يوم الأربعاء سادس عشرينه بحضرةُ السلطانُ بالحوش من القلعة ، فلما كان عَقْدُ المجلس — وحضَرَت القضاةُ والشهود الذين شَهِدُوا على أبى الخير النحاس والشريفُ بن المصبح المُدَّعِى على أبى الخير النحاس — سأل السلطانُ القاضِىَ الشافعىّ ، هل ثبت على أبى الخير النحاس الكُفْرُ ؟ فقال الشافعىّ : الدعوى عند قاضى القضاة المالكى ، فتكلَّم القاضى المالكُّى بكلام طويل حاصله أنه لم يَثْبت على أبى الخير عنده شىء ، فلما سمع السلطان كلامَه طلبَ عِزَّ الدين بن البسَاطى فنهضَ عِزُّ الدين البسَاطى قائما بين يَدَى السلطان ليتكلّم فبادَرَهُ القاضى الشافعىُّ وقال : قَدْ ثَبَتَ فِسْقُ هذا الرجل عندى ،

فالتفَت السلطانُ إلى عِزِّ الدين وقال : أنا أعْرِفُك منذ أربعين سنة آمضوا به إلى حَبْس المَقْشَرَة ، ثم طلبه ثانيا وأعاد عليه القَوْلَ ، ثم رسَمَ بحبسه بعد أن نَهَرَه ، ثم طلب بقيَّة الشهود الذين شهدوا على أبى الخير النحاس وهم : ابنُ الكُوم الرِّيشى وغيره فأمر بهم فُحبسُوا الجميع بَحَبْس المقشرة من قبل أن يسمع كلامَهم ، فلما رأى الشريف المُدَّعِى ماوَقَع تكلّم وقال : مولانا السلطان الشُّهُودُ الذين شَهِدُوا فى عِزِّ الدين بالقَدْح قد رَجَعُوا عن شهادتهم ، فلم يلتفت السلطانُ إلى كلامه ، بل قال له : أنت قلت لِى بالأمس إن القاضى المالكى آرتشى فى قضيَّة أبى الخير ، وألغى أمره ، امْضُوا بالشَّريف الآخر إلى حَبْس المَقْشَرة أيضا ، فنزلوا بالجميع وحُبِسُوا بحبس المَقْشَرة عند أرباب الجرائم ، وقد تراجع أمر أبى الخير النحاس بعد ماأُرْجِفَ بضرب رقبته غير مَرّة ، وقد لبث الناس أياما يتردَّدُون ويزدحمون عند خيمة العُلماء ينتظرون مجيئه لتُضْرب رَقَبَتُه هناك ، لكن لكلِّ أجلٍ كتابٌ / ثم رَسَمَ السلطانُ فى اليوم المذكور بإخراج النحاس من حَبس الدَّيْلَم إلى بيت قاضى القضاة الشافعىّ ، فتوجّه الأمير جَانِبَك اليَشْبُكىّ والى القاهرة وأخرجه من سجن الدَّيْلَم مجنزراً ماشيا بين يَدَيْه بعد أن شَقَّ به الشارع وهو راكب خلفه ، ويمشى علَى مَشْيِهِ على هينة إلى أن أوصله إلى بيت قاضى القضاة المذكور بخط سُويقة الصاحب[1] ، وقد آزدحمت الناسُ لرؤيته ، وكان الوقت قُبيْل العصر بنحو العشر درجات ، ومرّ أبو الخير فى هذه الخَطْرَة على أماكن كان يُمُرّ بها فى موكبه أيّام عِزّه ، فسبحان من يعزُّ ويُذلّ — قلت : وفى الجملة خروجه الآن من حبس الدَّيلم هو خير من توجُّهِهِ أوّلا من بيت قاضى القضاة المالكى إلى حبس الدَّيْلم ، والمراد به الآن خير مما كان يُرَادُ به إذ ذاك ، فانظر إلى فعل هذه الدنيا مع المُغْرَمِين بها ، وقال قائِلِهم وأجاد : [الوافر]

أرى الدنيا تَقُولُ لعاشِقِيهَا   حَذَارِ حَذَارِ توبيخى وفتكى[2]

146

---

(١) سويقة الصاحب : عرفت بالصاحب صفى الدين عبد الله بن شكر الدميرى وزير الملك العادل أبى بكر بن أيوب ، ويسلك إليها من خط البندقانيين ومن باب الخوخة المطل على الخليج (المقريزى ــ الخطط ٢ : ١٠٣) .

(٢) كذا ورد البيت فى الأصل . ويبدو واضحا التعبير الذى أدخله المؤلف على بعض ألفاظه . لمشاكلة قوله « فانظر إلى فعل هذه الدنيا مع المعرمين بها » والبيت لأبى الفرج الساوى من شعراء اليتيمة فى رثاء فخر الدولة ـــ

هى الدنيا تقول بملء فيها   حذار حذار من بطشى وفتكى

(شواهد شذور الذهب فى معرفة كلام العرب) .

ولا يَغْرُرْكُمْ منى ٱبْتســـامٌ فَقَوْلِى مُضْحِكٌ والفِعْل مُبكى

ولما وصل أبو الخير إلى بيت القاضى الشافعى أسلمه والى القاهرة إليه ، فأمر قاضى القضاة فى الوقت بدفع الجَنزير عن عنقه ، ثم قام بعد ساعة شخصٌ وٱدَّعَى على أبى الخير بعدة دعاوى شنعة ، فاعترف أبو الخير ببعضها وسكت عن البعض فحكم قاضى القضاة المذكور بإسلامه وحقَنَ دَمَه ، وفعل به ماوجب عليه من التعزيرِ بمقتضى مذهبه ، وسَلِمَت مهجتُهُ من القتل بعد أن أيقن كُلّ واحدٍ بسَفْكِ دمه ، ثم أمر به أن يجلس فى بيت القاضى المذكور فى الترسيم حتى يتخلَّص من تَعَلُّقَات السّلطان .

وفى يوم الخميس سابع عشرينه وصلَ ساعٍ من عند الأمير قَانِى بَاىْ الحمزاوىّ نائب حَلَب ، وعلى يده كتابٌ يتضمَّن خروج العسكر المصرىّ إلى البلاد الحَلَبِيّة ، ففى الحال أمر السلطانُ بكتابة بطاقة إلى قَطْيَا على جناح الطائرِ بِرَدِّ مَن توجّه من النِّجَّابة فى أمسه ، وهو أن السلطان كان بعد أن عَيَّنَ التجريدة قبل تاريخه سكت عن ذلك لانتظار مايردُ عليه من الجواب ، فلما تمادَى الخبرُ أرسل فى أمسه نجَّابةً إلى البلاد الشاميّة يحرِّضُهُم على الاهتمام بالسَّفر فى / نصف شعبان ، فلم يكن إلا ليلة واحدة وقدم هذا الخبر على يد السّاعى المذكور ، فأخذ السلطان فى تجهيز العساكر،ثم بطل ذلك جميعه بعد أيّام قلائِل ، وفتر عزُمه عن إرسال تجريدة ، وسكن عن ذلك كلّه .

١٤٧

وفيه وصل الطواشى سُنْقر الرُّومِىّ الجَمَدَار المتوجّه قبل تاريخة من قبل السلطان إلى بلاد أبُلُسْتَيْن لإحضار الخُاتون بنت الأمير سُلَيْمَان بن دُلْغادِر نائب أبُلُسْتَين ليتزوّج السلطانُ بها .

وفيه لبس الأمير أَسَنْدَمُر الأَرْغُونْ شَاوِىّ أستادار السلطانُ بدِمَشْق خِلْعَة السَفر ، وفيه أعيد القاضى بدرُ الدين حسن بن الصَّوَّاف إلى قضاء الحنفية بحماة على مالٍ بذله فى ذلك ــ لا أخلف الله عليه .

وفى يوم الجمعة ثامن عشرينه رُسِمَ بالإفراج عن السّيّد الشّريف ابن المُصَبِّح

غريمِ أبى الخير النحاس من حَبْس المَقْشَرةِ وعن الشُّهُود الذين شَهِدُوا على أبى الخير أيضا . وفيه رُسِمَ بنفى أبى الخير النحاس إلى مدينة طَرَسُوس محتفظا به ، ورُسِمَ أن يُقيَّد ويجنْزَر من خانقاة سِرْيَاقُوس ، فمضى الأمير جَانِبَك اليَشْبُكَىّ وَالى القاهرة إليه وأخرجه من بيت قاضى القضاة شرف الدين يحيى المُناوِى راكبا على فَرَس فى الثلث الأوّل من ليلة السبت تاسع عشرينه ، وذلك بعد أن حلف أبو الخير النحاس المذكور فى أمسه يمينًا مُغَلَّظًا بمجلس قاضى القضاة المذكور أنه لم يَبْقَ معه شىء من المال غير مبلغ يسير جداً بِرَسْمِ النَّفَقة ، وأنه صار فقيراً مملقا لايملك ماقلّ ولا ماجلّ ـــ فسبحان المُطَّلِعُ على السرائر .

ومضى هذا الشهر وقد عزّ وجودُ البغال وأبيعت بأغلى الأثمان ، لكثرة طُلاَّبِها من الفقهاء وغيرهم لما منعوهم من ركوب الخيْل حسبما ذكرناه قبل تاريخه .

● شهر رجب ، أوّله الاثنين .

أهل هذا الشهر والناس فى جهد عظيم من غلوّ الأسعار فى سائِر المأكولات لاسيّما الغلال فإن أثمانها زاد المثل أمثالا لعدم وفاء النيل ، فإن الموافق لأوّل هذا الشهر من شهور القبط ثامن عشر مِسْرَى والبحرُ يومئذٍ فى الذِّرَاع الخامس عشر مع أنه متّصلُ الزيادة فى كل يوم إلى يوم تاريخه ، فأبيع القمح فيه بستمائة درهم الإردب إلى / مادونها ، والفول والشعيرُ بأربعمائة درهم الإردب إلى مادونها ، والأرز بألف وخمسمائة درهم الإردب إلى مادونها ، والجبن الأبيض باثنى عشر درهما الرطل ، والمقلّى بأربعة عشر درهما الرطْل وهو مع ذلك عزيزُ الوجود ، والشيرج بخمسة عشر درهما الرطُل ، وقِسْ على هذا ، وهذا الغلاء له الآن نحو السنتين ، والسعرُ تارةً يزيدُ على هذا وتارة ينقص ، فأعلى ما أُبيعَ به القمح فى هذه المُدة تسعمائة درهم الإردب ، وأرخص ما أبيع به أربعمائة درهم وخمسين درهما الإردب ، وهو مابين هذه الأسعار إلى يومنا هذا – فسبحان المتكفِّل بأرزاق العباد – وإلى الآن والناس تخشى عاقبة هذا النِّيل فى السنة المذكورة .

١٤٨

وفى هذا اليوم ٱستقرّ الشيخُ أبو الفضل محمد المغربى المالكى فى تدريس التفسير بالقبَّة المَنْصُورِيّة [١] قلاوون بين القصرين،عوضا عن القاضى محيى الدين عبدالقادر الطُّوخى الشافعى ، ونزل أبوالفضل هذا إلى المنصورية ومعه قُضاة القضاة ، وأعيان الفقهاء وغيرهم ، وجلس للتدريس على عادة من تقدَّمه فى ذلك .

وفيه سافر الأمير قَانِى بَاىِ الحسنى المؤيّدى المنعم عليه قبل تاريخه بأَتَابَكيّة حماة حسبما ذكرناه فى وقته .

وفى يوم الخميس رابعه برز الأمير سَوِنْجُبُغَا اليُونُسِىّ الناصرى أحد أمراء العشرات ورأس نوبة،وأمير حاج الرجبيّة من القاهرة بمَن معه من الحجاج ، وأناخ بالرَّيْدَانية خارج القاهرة ، وسافر فى هذا الركب الأميرُ جَرِبَاش المحمدى الناصرى المعروف بكُرْد،أحد مقدّمى الألوف بالّديار المصرية بعياله وزوجته خوند شقراء بنت السلطان الملك الناصر فرج ، وسافر أيضا الأمير تغْرِى بَرْمُش الزَّرَدْ كَاش أحد أمرآء الطبلخانات ، وعدة خلائِق من الأعيان وغيرهم .

وفى يوم السبت لبس ابنُ العُجَيْل شيخ المَعَرَّة باستقراره فى مشيخة المَعَرّة على عادته أوِلاً ، وهذا بعد أن حُبِس بالبُرْج من قلعة الجبل نحواً من خمسة شهور .

وفيه حضر تَغْرِى بَرْدِى القلاَوىّ كاشف البَهْنَسَاوِيّة بجماعة من مُفْسِدى العَرب فَقُوصِصُوا على فعلتهم .

وفى يوم الاثنين ثامنه سافرَ سَوِنْجبُغَا أمير الرجبيّة من الرَّيْدَانِية إلى بركة الحاج .

١٤٩ وفيه سافر العلائى على/الزَّرَدْكَاش المعروف بالبُنْدُقْدَارِى إلى الأمير جَهَان شاه ٱبن قَرَا يُوسف متملّك أَذْرَبيجَان وغيرها على النُّجُب .

وفى يوم الاثنين هذا – ويوافقه رابع عشرين مسرى – نودى على النيل بزيادة إصبع واحد لتتمة أحد وعشرين إصبعا من الذراع السادس عشر ، أعنى أنه بقى للوفاء ثلاثة أصابع،فظَنّ كل أحد بوفاء النيل من الغد ، فأصبح فى يوم الثلاثاء تاسعه –

(١) القبة المنصورية قلاوون : أنشئت قبل سنة ٦٩٠ هـ . وتقع تجاه مدرسة المنصور قلاوون بباب البيمارستان بشارع النحاسين (المعز لدين الله الفاطمى) ولاتزال موجودة حتى الآن (على مبارك ــ الخطط ٢ :ــ ١٣) .

ويوافقه خامس عشرين مسرى – نقص البحرُ ثلاثة [١] أصابع فصار النقص عن الوفاء ستة أصابع – فما شاء الله كان – فعظم قَلَقُ الناس لذلك ، وآرتفع سعرُ الغلال زيادة على ما كانت عليه من الغلو قبل تاريخه ، ثم نقص أيضا فى يوم الأربعاء إصبعين [٢] ، فلما سمع السلطانُ ذلك أرسل إلى الخليفة المستكفى بالله أبى الرّبيع سليمان بمبلغ له جِرْم وأمره بأن يتوجّه إلى الآثار النبوية ويتصدق به هناك ويدعو الله بعود الزِّيَادة على جارى العادة ، ثم ندب السلطانُ الشيخ على العجمىّ محتسبَ القاهرة ليعمل بالآثار أيضا سِمَاطاً هائِلا للفقراءِ وغيرهم ، فتوجّه الشيخ على إلى الآثار وفعل ما أمره السلطان به ، وصرف على ذلك جملَة مستكثرة ، ثم رُسِمَ فى الغد – وهو يوم الخميس حادى عشره ، وسابع عشرين مسرى – للجمالى ناظر الخَوَاصّ بعمل سِمَاط فى المِقْيَاس ، وأن يحضره بنفسه ويحمل معه من أنواع الفواكه والحلوى شيئاً كثيراً ، فتوجه الصاحبُ جمال الدين المذكور وفعل ما أمره به السلطانُ ، وباشَرَ ذلك بنفسه ، وجمع القرّاء والفقراء وأهلَ الصلاح بالمِقْيَاس فى الليلة المذكورة ، وكَثُرَ الدعاءُ فى هذا المكان المبارك ، والتضرعُ والابتهالُ إلى الله تعالى بزيادة النيل ، وكان النقص يومئذ عن الوفاء نحو عشرة أصابع بل مما كان وصل إليه ، فعلى هذا يكون النقص أكثر من عشرة أصابع .

وفى هذا اليوم تُوُفِّى القاضى شرف الدين محمد ابن قاضى القضاة بدر الدين محمد بن عبدالمنعم البغدادى/الحنبلى ، وعظم مصابه على أبيه – انتهى . ١٥٠

قلتُ : وأصبح يوم الجمعة ثانى عشره والقاضى ناظر الخاص بآلمِقْيَاس ، وحَضَرَ الخليفةُ المستكفى بالله أيضا وعِدَّة خلائِق ، وصلّى الجميعُ بجامع الرّوضة بالقرب من المِقْيَاس ، وقام الخليفةُ بعد صلاة الجمعة ودعا الله سبحانه وتعالى بسبب إجراء النيل ، وأمّن الناسُ على دعائه – وكانوا خلقا كثيرا – وكذا وَقَع فى غالب جوامع القاهرة ، وكثر الضجيج فى هذا اليوم والبكاء والتضرّع إلى الله تعالى ، فكان هذا

---

(١) فى هامش اللوحة « صوابه إصبعين » .

(٢) فى هامش اللوحة « صوابه ثلاثة » .

اليوم من الأيام المهولة التى لم نعهد بمثلها فى وباء ولاغيره ، ومع هذا كله نقص البحر أيضا زيادة على النقص الأوَّل ، فأيقن الناس بالهلاك – فسبحان المتصرف فى ملكه كيف شاء – واستمر البحرُ على هذه الحالة من عَدم الزيادة والناس بسببه فى جهد وبلاء ؛ من تَكَالُبِ الناس على الخُبز فى الحوانيت والأفران ، وعظم ازْدِحَامُهم على هذا المعنى ، وعمّ هذا البلاءُ جميعَ الخلائق إلى يوم الأحد رابع عشره – ويوافقه الثلاثون من مسرى أحد شهور القبط – أمر السلطانُ الشيخَ عَلِيًّا المحتسبَ بأن يطوف فى شوارع القاهرة وبين يَديْه المُدَرَاء[1] يعلمون الناس بأن فى غد يكون الاستسقاء بظاهر القاهرة ، وأشيع نزول السلطان الملك جَقْمَق للاستسقاء .

وأصبح من الغد فى يوم الاثنين خامس عشره وهو أوّل يوم من أيّام النّسِيم خرجَ قاضى القضاة شرفُ الدين يحيى المُنَاوِى الشافعى إلى الصحراء ماشياً بين الخلائِق والعالَمِ من الصُّوفية والفقهاء إلى أن وَقَفَ بين تُرْبَة الملك الظاهر بَرْقُوق وبين قبة النصر قريبا من الجبل ، ونُصِبَ له هناك منبرٌ ، وحضر الخليفةُ وبقيَّة القضاة وصاروا فى جَمْعٍ مَوْفُور إلى الغاية من سائِر الخلائِق والطوائِف ، وخرجت اليهود والنصارى بكتبهم ، وصلَّى قاضى القضاة المذكور بجماعة من الناس ، ودعا الله سبحانه وتعالى بإجراء النيل وأمَّن الناس على دعائِه ، وعظم ضجيج الخلائِق من البكاء والتَّضرُّع إلى الله تعالى ، وآنتشرت الصحراء بالناس ، ودام ذلك إلى آخر الساعة الثانية من يوم الاثنين المذكور ، ثم انصرفوا على ما هُم عليه من الدعاء والابتهال إلى الله تعالى / ١٥١ ، فكان هذا اليوم من الأيام التى لم يعهد مثلها .

وفى هذا اليوم تُوُفِّىَ العلامة شهاب الدين أحمد بن عَرَبْشَاه الآتى ذِكْرُه – إن شاء الله تعالى – فى آخر السنة .

وفى يوم الثلاثاء سادس عشره وصل السيفى سُودُون الأمير آخور المتوجّه – قبل تاريخه – بتقليد الأمير سودون الأبوبكرى المؤيّدى بنيابة حماة .

وفيه ورَدَ كتابُ نائِب غَزّة الأمير خَيِرْبَك النَّوْرُوزِىّ يتضمّن أن أبا الخير النحاس

[1] (١) المدراء : جمع مدير ، ولعله أطلق على المنادين بأوامر الشرع أو بعلامات الدولة والمدراء : طائفة من الأعوان بديوان الإنشاء مهمتهم أخذ المكاتبات وإدارتها على كاتب السر ومن دونه من كتاب الدواوين . وانظر النجوم الزاهرة ١٥ : ٤٢٤ هامش ٤

مريضٌ،وأنه يسأل أن يقيم بغَزّة إلى أن ينصل من مرضه ثم يسافر إلى طَرَسُوس ، فكتب إليه الجواب بتوجّهه إلى طَرَسُوس سرعة من غير أن يتّعوق اليومَ الواحد .

وفي هذه الأيام استمرّ النيل مُتَماسِكاً عن الزيادة والناس بسببه في أمر مريج بل نقص فيها عدة أصابع ، وعظم البلآء وعمّ جميع الخلائق بحيث إنك لاترى إلّا باكياً أو مبتهلا إلى الله تعالى – رئيسها ووضيعها – وصارت الناس في هذه البلية بالسَّوِيّة ، وعُدِم الخبزُ من الدكاكين وصَارَ لايؤخذ من الأفران إلاَّ بجُهْدٍ في الليل ، ورسل المحتسب تحمي الأفران من النَّهْب ، وارتفع سعرُ القمح إلى سبعمائة درهم وليته موجود وإنما عزّ وجُودُه بالسواحل ، وصار لايتوصل أحد لشرائِه إلا بجهد ممن له وجاهة وشوكة في الدولة .

وأما الضعيف الفقير فصار لايَصِلُ إلى شراء القمح البتة ؛ وسببه أن المماليك السلطانية صاروا يأخذون الغلال من المراكب باليد،حتى إن منهم من كان لايزن لها ثمنا بل كان إذا ٱستولى عليها أخذها بما فيها وتوجّه إلى حال سبيله ، فكف أصحابُ الغِلال عن البيع خَوْفاً من هؤلاء الظلمة ، فعظم البلاءبهذه الواقعة أكثر وأكثر حتى أرسَلَ السلطانُ الأمير مَرْجَان العادلي المحمودي،نائِب مقدّم المماليك السلطانية إلى الآثار النبوية،وأخذ عنده عِدّة مراكب بسبب منع المماليك من ركوب المراكب والتقدّم إلى ملاقاة الغلال في البحر ، فكفوا حينئذ قليلاً ، ثم رسم السلطانُ لصهره ومملوكه الأمير أُزْبُك من طَطَخ الساقي الظاهري والأمير جَانِبَك اليَشْبُكيّ والي القاهرة بأنهما يتوجَّهان إلى ساحل بُولاَق،ويجلسان على باب شونة زين الدين الأستادار / ١٥٢ ويشرعان في بيع ما فيها من الغلال بستمائة درهم الإردب ، وذلك برضاء زين الدين الأستادار ؛ فإنه أحبّ ذلك خَوْفاً من أن ينهبها المماليكُ السلطانية،فتوجّها إلى ساحل بُولاَق وفعلا ما أمرهما به السلطان ، ودَامَا على ذلك أيّاماً ، فنال بعضُ الناس من شراء ما يحتاج إليه من القمح ونعذرعلىآخرين ، ودام هذا الحال إلى يوم الخميس ثامن عشره خرج الخليفةُ والقضاة الأربعة إلى الاستسقاء ثانية ، وخرج معهم من الخلائِق مالا يُحصى عَدَدَهم إلا الله تعالى ، وصلى قاضي القضاة شرف الدين يحيى المُنَاوِي صلاة الاستسقاء ، وخطب خطبةً طويلة بليغةً جدا ، وقد انتشرت البَرّيّة

بالناس ، وعظم الضجيج والبكاء والتضرّع إلى الله تعالى ، وكان خروج قاضى القضاة المذكور فى هذا اليوم إلى الصحراء ماشيا،شاهدتُه بعيني رأسى ، وأما فى يوم الاثنين لم أره ماشياً وإنما قيل عنه ذلك وقيل إنه قد توجّه راكبا ، وطال وقوف الناس فى هذا اليوم للدعاء بخلاف يوم الاثنين إلى أن وردَ عليهم منادى البحر ونَادَى بزيادة إصْبع واحد من النقص ، فسرّ الناسُ بذلك سروراً زائِداً ، وحصل لهم الجَبْرُ – ولله الحمد والمنَّة – ولقد شاهدتُ فى هذه الأيام أعاجيب ، منها أننى أدركت الوباء العظيم فى سنة ثلاث وثلاثين وأربعين ثم فى سنة إحدى وأربعين،ثم فى سنة سبع وثمان وأربعين،ثم فى سنة ثلاث وخمسين ، وكان وباء سنة ثلاث وثلاثين مهولاً إلى الغاية،بحيث إنه مات فيه فى اليوم الواحد من الخلائق نيف عن عشرة آلاف نَفَر ، ومع ذلك كنت أجد إذ ذاك بالمفترجات والشوارع جماعةً من العامة يضحكون ويهزلون ، ومنهم من كان يقع فيما قُدِّر عليه ، هذا مع عظم الوباء المُفرِط وسرعة الموت ، إلاَّ هذه الأيام فما تجد من الناس إلا باكيا أو متضرِّعاً إلى الله تعالى ، أو مهموما لكثرة عياله ، أو تجد جماعةً فى بعض الأماكن فلا يكون كَلاَمُهُم غـالبا إلا فى القَمْح والدّقيق والخُبْز، فكان هذا دأب الناس فى هذه الأيّام .

وفى يوم الجمعة تاسع عشرة خرج القومُ أيضا إلى الاستسقاء فى المكان ١٥٣ المذكور ، وفعلوا كفعلتهم فى أوّل يوم ، وفى الثانى/من التضرع والدعاء إلى الله تعالى ، وهذه المرة الثالثة،فإن الأولى كانت فى يوم الإثنين والثانية فى يوم الخميس والثالثة فى هذا اليوم أعنى يوم الجمعة ، ونودى فيه أيضا بزيادة إصبع واحد من النقص – ولله الحمد – والغريب أن الناس يتشاءمون على الملك بخُطْبَتَيْن فى يوم واحد،فَوَقَع ذلك فى هذا اليوم من غير مُوجب لذلك ، وكان يمكنهم تأخير الاستسقاء الثالث إلى غير يوم الجمعة ، هذا وما فطن أحدٌ لذلكَ إلا بعد وقوعه ، وقد تذكرتُ أنا هذه الحكاية قبل وقوعه لكننى سَكَتُّ للتَّجْرِبة ، فلعمرى هل العادة تجرى أم هى خَرْق العادة ؟ فكانت خرق العادة ، وما حصل للسلطان إلا كل خير .

وفى يوم السبت عشرينه نقص البحرُ ثلاثة أصابع – فلله الأمر من قبلُ ومن بعد .

وفيه نُودِىَ بالقاهرة بالكفِّ عن المعاصى ، وصيام يوم ، وفطر يوم ،وبعرض المماليك السلطانية من الغد لينهاهم السلطانُ عن أخذ الغلال ، ويأمرهم بسكنى الطِّبَاق من قلعة الجبل. ففعل ذلك من الغد .

وفى يوم الأحد حادى عشرينه – ويوافقه ثانى نَوْرُوز القبط ، وهو ثانى توت أحد شهور القبط – فيه كان انتهاء زيادة النيل فى هذه السنة-أوَّلاً وآخرا خمسة أصابع من الذِّرَاع السادس عشر ، وهذا شىء لم نعهده ولا سمعنا بمثله منذ سنين – فسبحانه يتصرّف فى مُلكه كيف يشاء .

وفى يوم الاثنين نُودِىَ بزيادة إصبع واحد ، فأنعم السلطان على منادى البحر ابن أبى الرّدّاد عندما بشره بزيادة هذا الإصبع بمائة دينار ، واستمرت الزيادة من يوم تاريخه فى كل يوم على ما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى .

وفى يوم الخميس خامس عشرينه سافر محب الدين ابن الشّحنة قاضى القضاة الحنفية بحَلَب وناظر جيشها بعد ما أقام بالقاهرة شُهوراً .

وفى يوم السبت سابع عشرينه – ويوافقه ثامن توت – فيه انتهت زيادة النيل إلى سبعة عشر إصبعا من الذراع السادس عشر وبقى للوفآء سبعة أصابع ، فنقص من الغد فى يو م الأحد ثامن عشرينه وتاسع توت إصبعا واحداً / فعاد اضطرابُ الناس على ما كان عليه أوّلا . ١٥٤

وفى يوم الاثنين تاسع عشرينه عزل السلطانُ الطواشى عَبدَاللطيف الفلاَّح شاد الحوش السلطانى،بالطواشى جَوْهَر اليَشْبُكى المعروف بالتُرْكُمَان بعد أن أمر السلطانُ الأمير فَيْرُوزَ النوْرُوزِىّالزمام والخَازِنْدَار بضَرْبِ عبداللطيف المذكور مائتى عصاة على رجليه ، ففعل فَيْرُوزُ ذلك ، ورَسَم لعبداللطيف المذكور أن يلزم داره ، وعبداللطيف هذا كان أصله من الفلاَّحين ببعض قُرَى القاهرة ، فلما كان صغيرا ببلده نَزَل يَوْماً إلى البحر للسباحة أخَذَت التِّرْسَةُ [١] ذَكَرَه وخصيته ، فأخرج وتَدَاوَى إلى أن عُوفى قَدِمَ به والدُه إلى الأمير خُشْقَدَم الظاهرىّ الزِّمَام –كان – فى الدولة الأشرفية

(١) الترسة : هى السلحفاة البحرية (المعجم الوسيط ١ : ٨٣) .

بَرْسْبَاىْ.فأخذه خُشْقَدَم وضمّه إلى الخُدَّام إلى أن ترَقّى وَوَلى شادّ الحوش السلطانى ، وصار من أمره ما حكيناه ، ولازال عبداللطيف المذكور على حاله إلى أن تُوُفِّى سنة ست وخمسين وثمانمائة ، ومضى هذا الشّهر وقد كَثُرَت الأمراض الحارَّة بالقاهرة وفشت فى الناس ، وفيه رَكِبَ أعيانُ الدولة من الفقهاء والكَتَبَةِ على الخيول على عادتهم؛ لاشتغال المماليك السلطانية عنهم بما هو أهَمُّ من ذلك من تَوَقّف البحر عن الزيادة وغلُوِّ الأسعار .

وفى هذا الشهر رَسَمَ السلطانُ لفارس التُّرْكُمَانى بالتوجّه إلى جزيرة قُبْرُس [١] من بلاد الفرنج ليشترى منها مُغَلاًّ ويعود به إلى القاهرة بعد أن دفع إليه مبلغا من الذَّهب وأحاله أيضا بما عند صاحب قُبْرُس من دراهم الجِزْيَة ، وفى هذا الشهر تُوُفِّىَ الأمير جَانِبَك النَّوْرُوزِىّ على ما يأتى ذكره .

● شعبان أوّله : الثلاثاء : الموافق لحادى عشر توت .

أهلّ هذا الشهر والناس فى أمر مَرِيج [٢] مِن كثرة الأمراض والمصيبة العظمى عدم وفاء النيل إلى هذا اليوم ، وغلوّ الأسعار فى سائر المأكولات ، والأسعار فيه ؛ القمح بألف درهم الإردب إلى ما دونها — وهو مع ذلك عزيز الوجود جدا — والفول والشعير بستمائة درهم الإردب — وهما فى قلة إلى الغاية — والدقيق العَلاَمة بثلاثمائة درهم البَطَّة بل وأزيد ، وعلى هذا السعر فَقِس كلَّ شىء .

١٥٥ وفى هذه الأيام ورَدَ الخبرُ بفرار الأمير تِمْرَاز بن بَكْتَمُر المصارع المؤيّدى / شاد بَنْدَر جُدَّة من جُدّة إلى جهة الهند ، وقصته أنه آشترى مَرْكَباً مُرَوَّساً بألف دينار من شخص يُسَمَّى يُوسُف البُرْصَاوِىّ الرّومى وأشحنه بالسّلاح والرِّجال ، وأخذ جميعَ ما تحصّل للسلطان من بندر جدة ، وسافر بعد ما أشحنه بالزّاد والآلات أيّاما ،

---

(١) قبرس :هى جزيرة كبيرة فى الزاوية الشمالية الشرقية للبحر الأبيض المتوسط على مسافة قريبة من آسيا الصغرى وسوريا ، وتشتهر بغاباتها العظيمة التى كانت تمد الملاحة القديمة بأحسن الأخشاب ، احتلها معاوية بن أبى سفيان سنة ٢٨هـ ، وانتشر فيها الإسلام فى عهد هارون الرشيد ، ثم احتلها اليونان ثم فتحها الأشرف برسباى وفرض على ملكها الجزية ، ثم انتقلت تبعيتها الى بريطانيا ، ثم استقلت فى الخمسينات .هامش (النجوم الزاهرة ج ٧ : ٣٢٨ ط دار الكتب) و (دائرة المعارف الإسلامية ترجمة خورشيد وآخرين) .

(٢) أمر مريج : أى ملتبس ومختلط (المعجم الوسيط ٢ : ٨٦٧)

واستخدم عِدَة رماة ، وأخذ ما تحصل للسلطان من البندر المذكور - وهو نيف على ثلاثين ألف دينار أو أقل من ذلك بيسير - وتوجّه إلى حيث شاء.فلمّا بلغ السلطانَ هذا الخبرُ فكان عليه أدْهَى وأمَرّ .

وفى يوم السبت خامسه قبضَ السلطان على علىّ بن إسْكَنْدر مُعَلِّم المِعْمَاريّة وأسلمه للأمير جَانِبَك والى القاهرة ليستخرجَ منه سبعة آلاف دينار ، ثم آل أمْرُه على حمل أربعة آلاف دينار ، فحملها بعد بيع موجوده ، ثم نفى إلى البلاد الشّامية ، واستقرّ من بعده يوسُف شاه العلميّ .

وفى يوم الاثنين سابعه - ويوافقه سابع عشر توت - نُودِىَ على البحر بزيادة إصبع واحد لتتمة عشرين إصبعا من الذِّراع السادس عشر ، وقد بقى للوفاء أربعة أصابع ، فأخذ من الغد فى يوم الثلاثاء فى النقص إلى يوم الخميس عاشره - الموافق لعشرين توت -فأجمع رأى السلطانِ مع أرباب الدَّوْلة على فَتْح خليج السدّ من غير تَخْليق المِقْيَاس ، وقد بقى على الوفآء ثمانية أصابع لتكملة ستة عشر ذراعا ، فنزل والى القاهرة ومعه بعضُ جماعة إلى سدّ الخليج وفتحه ، ومشى الماء فى الخُلْجَان شيئا هينا ، وقد تزايد بكاء الناس وانتحابهم لما عاينوه من عدم جَرَيَان الماء فى مثل هذه الأيام ، فكان هذا اليوم من الأيام المهولة التى لم يُعْهَد بمثلها ، وأخذ البحر من يوم تاريخه فى النقص إلى أن نزل بالتدريج فى أيّام من«بابة»وقد شرق [١] غالب البلاد بالوجه القبلى والبحرى ، وعمّ هذا البلاء جميعَ الناس .

وفى يوم الاثنين رابع عشره خلع السلطانُ على الأمير قَاسِم بن قَرَايُلُك بنيابة الرّها وغيرها بديارَبَكْر وأمَدّه بالأموال والسلاح وغير ذلك ، وندبه لقتال ابن أخيه جَهَان كير بن على بَك بن قَرَايُلُك بعد أن رسم له أن يقيم بالقاهرة أشهرا لعمل احتياجه .

وفى هذه الأيام ورد الخبرُ بأن مركب السلطان المشحونة بآلات عِمَارَة الحَرَم المكّىّ قد غرقت فى البحر المالح بما فيها من الأخشاب والدقيق والغِلاَل وغير ذلك

(١) شرق : شرقت الأرض : أصيبت بالشراقى وهو تشققها شقوقا كبيرة بسبب الحر وعدم الماء .

١٥٦ من أزْوَاد الحجاج الرجبيّة ، وكان قد تقدمها مركب أخْرَى غرقت قبل تاريخه / وذهب جميع مافى المركبين،وقيمة ما فيهما من آلة العمارة فقط نحو خمسة عشر ألف دينار ، وأما ما كان فيهما من غير الأخشاب وآلة العمارة فشىء كثير .

وفى يوم الأحد عشرينه تُوُفِّى الأمير سُودُون السُّودُنىّ .

وفى يوم الاثنين حادى عشرينه برَزَ المرسومُ الشّريف بعزل القاضى بُرْهَان الدين إبراهيم السُّوبِينى الشّافعى عن قضاء دِمَشْق ، ورسم بحبسه بقلعة دِمَشْق ؛ وسبب ذلك أن السلطان كان قبل تاريخه رسَمَ بأن لايحكم فى أبى الفتح الطِّيِّبى إلا القاضى المالكى بدِمَشق ؛ وسمع القاضى المالكى الدَّعْوَى عليه بمجلسه ، وتوانى القاضى المالكى فى الحُكْم بما وجَبَ عليه بمقتضى مذهبه ، فبادر السُّوبِينى هذا وحَكَم بحَقْن دَمِ أبى الفتح الطِّيِّبى مع علمه بما رَسَم به السلطانُ من أنْ لّا يَحْكُم فى أبى الفتح المذكور إلا المالكى ، ومع علمه أيضا بسبق الدَّعْوَى عنده فبلغ السلطانَ ذلك مع إنكار أهل دِمَشْق عليه بسبب ذلك ، وعقد بسبب ذلك عِدّة مجالس بالقاهرة .

وفى يوم الخميس رابع عشرينه لبس الأمير جَانِبَك الظَّاهرىّ شدّ بندر جُدَّة على عادته عوضا عن تِمْرَاز .

وفى يوم الجمعة خامس عشرينه رُسِمَ بنَفْى الأمير طُوخ مِنْ تِمْرَاز المعروف بُيْنى بَازِقْ أحد مقدّمى الألوف بالديار المصرية إلى القدس الشريف ، ثم شفع فيه ليلة الاثنين فاستمرّ على عادته .

وفى يوم الاثنين ثامن عشرينه لبس القاضى أمين الدين عبدالرحمن بن الدّيرى نظرَ الحَرَمَيْن القُدْس والخليل عليه السلام .

وفى يوم الثلاثاء تاسع عشرينه عقد مجلس بالحُوش السلطانى بحضرة السلطان بالقضاة الأربعة وأعيان الفقهاء بسبب السُّوبِينى ، وانفض المجلس من غير بيان ، ثم عُقِدَ مجلسٌ آخر فى يوم الأربعاء فى بيت القاضى كمال الدين البَارِزِىّ كاتب السر الشريف فلم يظهر له أيضا فائدة ، وكثر الكلام فيه بين الفقهاء المالكية والشافعية ، وانفصل المجلس من غير طائل .

● شهر رمضان ، أوّله الخميس .

فى يوم الأربعاء سابعه وصل الأمير تَنِبَك مِنْ بُرْدْبَك الظاهرى حاجب الحجّاب – كان – من ثغر دِمْيَاط بطلب من السلطان ، وكان منفياً بطَّالا بالثغر المذكور ، نفاه السلطان بسبب عبدِ قَاسم الكَاشف المتقدم ذكره ، وطلع إلى القلعة / وقبَّل الأرض بين يدَى السلطان ، ووعد بكل خير ، ورسم له أن يمشى الخِدْمَة على عادته أوَّلا ، ولكنه لم ينعم عليه بإمرة ولا بإقطاع ، وأصبح الأمير تَنِبَك من الغد حضر الخِدْمة السلطانية وأجلس فى منزلته أوَّلا مع مقدّمى الألوف .

١٥٧

وفيه لبس الصاحب أمين الدين بن الهَيْصَم خِلعةً بسبب رىّ البلاد الجيزيّة ، وكونه فرّق إطلاقات المماليك السلطانية على العادة فى كل سنة ، وكان بخلاف القياس فإن غالب ضواحى القاهرة شَرَاقِى حتى خليج الزَّعْفَرَان والمطريّة وبركة الحَبَش ، وهذا شىء لم يُسمع بمثله .

وفى يوم الاثنين ثانى عشره وصلَ إلى القاهرة العلائى على البُنْدُقْدَارِىّ الزَّرَدْكَاش من أرْزَنْكَان [١] وأخبر بأخذ أمراء جَهان شاه بن قَرَايُوسف أرْزَنْكَان ، والقبض على صاحبها محمود بن قَرَايُلُك ، وأشياء من هذا النوع .

وفيه رُسِمَ لنائِب طَرَسُوس بالقبض على أبى الخير النحاس وضَرْبه على سائر جسده خمسمائة عصاة ، وأُخْذِ جميع ما معه من المماليك والجوارِى ، وخرج المرسوم فى اليوم المذكور على يَدِ نَجَّاب . وَفُعِلَ ما أَمَرَ به السلطان .

وفى يوم الجمعة سادس عشره – ويوافقه سادس عشرين بابه – لبس السلطانُ القُماش الصّوف الملوّن ولبس الأمراء مقدّمى الألوف على العادة .

وفى يوم الاثنين سادس عشرينه ورَدَ الخبرُ من الشام بأنّ أبا الفتح الطَّيِّبى ضُرِبَت رقبتهُ بسيف الشَّرع بحكم القاضى المالكى بدِمَشْق، فى ليلة الأربعاء رابع عشر شهر رمضان . هذا بعد أن ألغى حكمَ القاضى بُرْهان الدين إبراهيم السُّوبِينىّ الشافعى بعد عزله وقدومه إلى القاهرة .

(١) أزرنكان : مدينة من بلاد أرمينية بين خلاط وأرزن الروم ، ويقال أيضا اررنجان (ياقوت — معجم البلدان ١ : ٢٠٥) .

وفيه ورَدَ الخبرُ من نائِبِ دَوْرَكى[1] وغيره من نُوَّاب البلاد الشامية بأنَ جَهَان شاه بن قَرَايُوسُف عزَمَ على التوجّه نحو البلاد الحلبيّة فعظُم ذلك على السلطان إلى الغاية ، وتحرُّك جَهَان شاه إلى نحو البلاد الحَلَبِيَّة،يكون ذلك فى تتبُّع جَهَان كِير بن على بَك بن قَرَايُلُك ، فرَسَمَ السلطان أن يكْتب مَرْسُومٌ شريف إلى الأمير سُلَيْمَان ابن ناصر الدين بَك بن دُلْغَادِر صاحب أُبُلستَين بمنع جَهَان كِير من العُبُور إلى بلاده إذا فرّ أمَام جَهَان شاه ، وجهّز له فَرَساً بسرج ذهب وكُنْبوش زَرْكَش .

١٥٨ وفى هذه السنة بطلت مسايرة أمير / حاج المحمل،وهو أن أمراء الحج كانوا يفعلون ذلك على القَوَاعد السالفة،فيظهر بذلك التجمّل الزائِد والفُرْجَة التامة ، وتخرج الناس لرُؤْية ذلك ذِهَاباً وإيابا ؛ وسبب بُطْلان المسايرة أن الأمير تَمُرْبُغَا الظَّاهِرِىّ الدَّوَادَار الثانى كان أميراً لحاج المحمل فى هذه السنة فلم[2] يَرْكَب للمُسَايَرة واعتذر من قلة سفر المماليك إلى الحج فى هذه السنة[2] ، فإن القاعدة كلّ من كان يحج من المماليك السلطانية والأعيان يَرْكب فى خدمة أمير حاج المحمل إذا ركب للمُسَايَرة ، وأيضاً لِمَا بالناس من الغلاء المُفْرِط والأنْكَاد المترادفة ، وقد مضى شهرُ رمضان هذا عن الناس بعد ما قاسوا به شدائِد من عِظَم الغلاء ، وعمت البلوى جميع الخلائِق ، وعزّ وجُودُ سائِر المأكولات ، فأُبِيعَ القمحُ فيه بألف ومائتى درهم الإردب إلى مادونهما وفوقها ، والشعير بثمانمائة درهم الإردب إلى مادونها ، والفول بسبعمائة درهم الإردب إلى ما دونها ، والدقيق العلامة بأربعمائة درهم البطّة ، ولحم الضأن فى عظمه بأحد عشر درهما الرِّطل ، والشّيْرَج باثنين وعشرين درهما الرطل ، والجبن الأبيض بخمسة عشر درهما الرطل ، والمقلى بثمانى عشر درهما الرِّطل ، وأما الخضروات فعزيزة الوجود جدا .

● شَوّال : أوّله السبت .

---

(١) دوركى : ويقال دبركى ، وهى مدينة فى جهة الشمال والغرب من حلب على نحوعشر مراحل منها (القلقشندى ـــ صبح الأعشى ٤ : ١٣٢) .

(٢ ـــ ٢) مابين الرقمين وارد فى هامش اللوحة .

فيه سافر خُشْكَلْدِى الزَّينى الدَّوَادَار إلى البلاد الشّامية على النُّجب لإخراج تُرْكُمَان الطَّاعَة[١] نجدةَ لنُوَّاب البلاد الشَّامِيّة المقيمين بالبلاد الحَلَبِيّة .

وفى يوم الاثنين ثالثه أخلع السلطانُ على قاضى القضاة وَلِىّ الدين محمد السَّفْطِىّ بإعادته إلى مشيخة المدرسة الجمالية بَرَحبة باب[٢] العيد بعد عَزْل القاضى وَلىّ الدين الأُسْيُوطى عنها .

وفى يوم الثلاثاء رابعه وقت أذان المغرب تُوُفِّى الزَّينى عبدالباسط على ما يأتى ذكره فى آخر السنة - إن شاء الله .

وفى يوم السبت ثامنه وردَ الخبرُ من ثَغْر الإسكندرية بأن الإفرنج أخذوا أربعة مَرَاكب من مَرَاكب المسلمين بعد أن وصل المسْلمُون إلى ثغر رَشِيد ، فاستولت الفرنجُ على المراكب المذكورة بجميع ما فيها من الغلال والدَّقيق المَجْلُوب من التَّركيّة وغيرها ، فيكون قيمة ماأخذ فيها تقريبا تنيف على مائة ألف دينار - على ماقاله غير واحد من التجار وغيرهم - وكانت عِدّة مراكب الفرنج زيادة على خمسة عشر مركبا،ولهؤلاء / الفرنج حول ثغر الإسكندرية وغيرها من الثغور وسواحل المسلمين نحو عشرة أيَّام - فما شآء الله كان - وقد حدث فى هذا الشهر من الأنكاد والأخبار المهولة أشياء كثيرة ، منها ورُودُ هذا الخبر ، ومنها أيضا أنه وصل كتابٌ من صاحب سَوَاكِن يتضمّن أنّ الحَطِّى[٣] الكافر صاحب الحبشة شَرَع فى عمل عِدَّة مَرَاكب بَرَسْمِ غَزْوِ المسلمين وأخذ سواحل البلاد الحجازيّة ، وقد تكَرَّر هذا الخبر فى هذه السنة غير مرّة ، ومنها وصول جَهَان شاه بن قَرَايُوسُف إلى أطراف البلاد الحلبيّة . هذا مع غُلُوِّ الأسعار وعِظَمِ البلاء على الناس من القَحْط والجُوع وعدم

١٥٩

(١) تركمان الطاعة : أى الموالون للسلطان والداخلون فى طاعته هامش المحقق على (النجوم الزاهرة ج ١٣ : ٨٥ ـــ ط . الهيئة العامة للتأليف) .

(٢) رحبة باب العيد : خط ينسب إلى باب العيد ، وسمى بذلك لأن الخليفة الفاطمى كان يخرج منه فى العيدين إلى المصلى التى كانت بظاهر باب النصر (المقريزى ـــ الخطط ٢ : ٤٣٥) . و (على مبارك ـــ الخطط ٢ : ١٥)والرحبة هى الميدان .

(٣) الحطى : بفتح المهملة وتشديد الطاء المهملة المكسورة وياء مثناة من تحت فى الآخر : ومعناه السلطان ،وهو الملك الأكبر الحاكم على حميع أقطار الحبشة (القلقشندى ـــ صبح الأعشى ٥ : ٣٢٢) .

الرّىّ فى الأعمال المصريّة وتَشتُّت نُوّاب البلاد الشاميّة من إقامتهم هذه المدة بالبلاد الحَلَبيَّة. فَنَسْأل الله حسن العاقبة .

وفى يوم الاثنين سابع عشره تُوُفِّى الشيخ كمال الدين المَجْذُوب .

وفيه بَرَز الأمير تَمُرْبُغَا الدَّوَادَار الثانى بالمحمل إلى بِرْكة الحاجّ وصحبته أمير الرّكْب الأوّل ، والأمير خَيربَك المؤيّدىّ أحد أمراء العشرات ورأس نوبة ، وهما فى قِلَّةٍ من الحاج إلى الغاية ؛ حتى إننى لم أر فى هذه السنة(١) من الحجاج(١) إلاَّ جماعة يسيرة جدا ، وكيف لا والفُول بأكثر من سبعمائة درهم الإردب .

وفى يوم الأحد ثالث عشرينه قَدِمَ الخبرُ من البلاد الحَلَبيّة على السلطان بعود جَهَان شَاه بن قَرَا يُوسف من أطراف ممالك السّلطان إلى دِيَار بَكر بن وائِل من غير أن يَحصل منه فى مُدة إقامته تشويش .

وفى يوم الجمعة ثامن عشرينه تُوُفِّى الأمير أُرْكَمَاس الظاهرىّ الدَّوَادَار الكبير كان – رحمه الله .

وفى يوم السَّبت تاسع عشرينه تُوُفِّى الأمير جَانِبَك الجَكَمِىّ بعد مَرَض طويل .

● ذو القعدة : أوّله الأحد .

فى يوم الخميس خامسه برَزَ الأمرُ الشريفُ بآستقرار الأمير جانِبَك التَّاجِىّ المؤيّدى نائِب بَيْرُوت فى نيابة غَزَّة عوضا عن الأمير خَيربَك النَّوْرُوزِىّ بحكم عَزْله وتوجُّهِه إلى دِمَشْق بَطالا ، وكُتِبَ أيضا بآستقرار جقنوس أحد أُمَرَآء دِمَشْق فى نِيابة بَيْرُوت عوضا عن جَانِبَك المذكور ، وولايتهما على مَالٍ بَذَلاَه للخزانة الشريفة .

١٦٠ وفى يوم السبت رابع عشره وَرَدَ الخبرُ من ثَغْرِ الإسكندرية /بمَوْت الشريف حَسَن تاجر السّلطان بالثَّغر المذكور .

وفى يوم الاثنين سادس عشره ورَدَ الخبرُ من مكّة المشرّفة على يد السَّيفى

(١ – ١) مابين الرقمين وارد فى هامش اللوحة .

جَانِبَك الخَاصّكّى الظّاهرىّ البَوّاب بموت الأمير تَغْرى بَرْمُش الزَّرَدْكَاش أحد أمراء الطّبْلَخَانَات .

وفى يوم الخميس تاسع عشره أنعم السلطانُ على السَّيفى دُقْمَاق اليَشْبُكىّ الخاصّكى بإمرة عشرة من إقطاع الأمير تَغْرِى بَرْمُش الزّردكَاش ، وأنعم بِبَاقِى إقطاع تَغْرِى بَرْمُش المذكور على الأمير قَرَاجَا الظّاهِرىّ الخَازنْدَار زيادةً على ما بيده لتَكْمُلَ له إمرةُ طبلخاناه .

وفى يوم الجمعة عشرينه طلَّق السلطان خَوَنْد شاه زادة بنت ابن عثمان ، ورسم لها أن تَقْضِى العِدَّة بدارِهَا من الدُّور السلطانية، ثم تنزل إلى بيتها بالقاهرة .

وفى يوم الاثنين ثالث عشرينه لبس الأمير دُقْمَاق اليَشْبُكِىّ المقدّم ذكره زَرَدْكَاشاً عوضا عن الأمير تَغْرِى بَرْمُش الزَّرَدْكَاش بحُكْم وفاته بمكَّة المشرّفة .

وفى يوم السبت ثامن عشرينه عُزِلَ الأميرُ دُقْمَاق عن الزَّرَدْكَاشية، واسْتُرْجِعَ منه الإمرة المنعم بها عليه من إقطاع الأمير تَغْرِى بَرْمُش الزَّرَدْكَاش، وأعيد إليه إقطاعه القديم ، ثم رُدّ إليه ما كان حَمَلَه للخزانة الشّريفة من الذّهب بسبب الزَّرَدْكَاشية والإمرة ؛ فإنه كان قد ٱلْتَزَم بحمل أربعة آلاف دينار ، فحمل منها بعضها ، وسبب عزله أغرب ؛ وهو أنه لما وَلِىَ الزَّرَدْكَاشية أَرَاد عَرْضَ الزَّرَدْخَاناة ليُظْهِرَ بذلك نتيجةً للسلطان ، فعظُم ذلك على ناظر الزَّرَدْخَاناة بدرالدين بن ظهير وغيره ؛ ودخل بَدْرُ الدين إلى السلطان وأَوْغَرَ خاطِرَ السلطان على دُقْمَاق ، فٱستجاب إلى كلامه وعزله وٱسْتَرْجَع منه الإمرة ، ورَدَّه إلى الجُنْدِية ، وٱسْتَقرّ الأمير لاَجِين الظَّاهرىّ عوضهُ زَرَدْكَاشا ، وأعْجَبُ مِنْ هذا أنّ إقطاع دُقْمَاق القديم كان قد أُنْعَمَ به السلطانُ على شخص يُسَمّى جَانِبَك الأشرفى (١ الشهير بالظَّريف ١) أحد الدَّوَادَارِيّة الصّغار ، وأنعم بإقْطَاع جَانِبَك المذكور على جَانِبَك البَوّاب القَادِم من مَكَّة المُشَرَّفة والمُخْبر بمَوْت الأمير تَغْرِى بَرْمُش الزَّرَدْكَاش ، فلما ردّ السلطانُ إقطاع دُقْمَاق القديم إليه صار جَانِبَك

(١ — ١) مابين الرقمين وارد فى هامش اللوحة .

١٦١ الدّوَادَار بلا إقطاع فإن إقطاعه خَرَج لجَانِبَك البَوّاب فأعطاه السلطانُ الإمرة المنعم/ بها على دُقْمَاق المذكور ولم يكُن جَانِبَك المذكور من الخاصّكية المرشّحين للإمرة .

وفى يوم الاثنين سلخه خُلِعَ على الأمير لاجين الظَّاهِرىّ أحد أمراء العشرات ولَالَاةُ[١] المقام الفَخرِى عُثْمَان بالزَّرَدْكَاشِيّة عوضا عن دُقْماق اليَشْبُكِىّ ، وأنعم على جَانِبَك الأشرفىّ الدّوَادَار بالإمرة المسترجع بها من دُقْمَاق ، واستقر قَايتْبَاى الأشْرَفىّ[٢] ثم الظاهرى دَوَادَارا عوضا عن جَانِبَك الأشرفىّ المقدّم ذِكْرُه .

ذو الحجة : أوّله الثلاثاء .

فيه تُوُفّىَ قاضى القضاة وَلِىّ الدين السَّفطى ، ودُفِن من الغد فى يوم الأربعاء ثانية ، وكان غير مشكور السّيرة .

وفى يوم الخميس ثالثه آستقرّ القاضى وَلِىُّ الدين الأسيوطى فى مشيخة المدرسة الجماليّة بعد مَوْت السَّفطى ، وكان قد وَلِيَهَا مَرة أخرى بحكم عزل السّفطى عنها .

وفى يوم الاثنين سابعه وصلَ إلى القاهرة النَّجَّابُ المتوجّه قَبْلَ تاريخه إلى طَرَسُوس بضَرْب أبى الخَيْر النَّحاس،وأخبر بأن نائِب طَرَسُوس لَمَّا وقف على المَرْسُوم الشّريف وعَلِمَ مضمونه أرسل أحضر أبا الخير المذكور وضَرَبه ضَرْبا مبرِّحاً ثُمّ عَصَرَه فلم يَجِدْ معه شيئاً إلا مَبْلَغاً يسيرا ليس هو الغرض ، ووجد عنده مملوكا وجارية وبعضَ قُماش صوف ، فكتب الجواب بذلك ، ثم أعاده إلى الحبَسْ .

وفى هذا العيد رُئى أعاجيبُ منها : عظم غثاث[٣] الأضحية حتى إنه لم يُرَ فيها سمينٌ إلّا نادراً جدا ، ومنها أن رؤساء عصرنا هذا صاروا فى هذا العيد على أقسام ؛ فمنهم من فرّق على خَدَمه وحَوَاشيه فلوساً وغنماً ، ومنهم من فرّق على البعض وقَطَع البعضَ من الأجانب ، ومنهم من نَزَحَ عن دِياره وتغرَّب عن أوطانه من

---

(١) لالاة : ولالا ، لاله ، هو المربى لأولاد السلاطين . هامش (النجوم الزاهرة ج ١٣ : ٤٢ ط . الهيئة العامة للتأليف) .

(٢) ورد فى هامش اللوحة « هو الذى تسلطن فى سنة ٨٧٢ هـ ولقب بالأشرف واستمر إلى ما بالخبر » .

(٣) الغثاث جمع الغثة ، والغَثّة : الشاة المهزولة . وغثّت الشاة : عجفت وهزلت

القاهرة إلى بعض القُرَى ليفوز بنفسه من تَفْرِقة الأضحية فى مثل هذه السنة،وهو الأمير زين الدين يحيى الأستادار، وتبعه فى ذلك الصاحب أمين الدين إبراهيم بن الهَيْصم .

وفى يوم الأحد ثالث عشره رَسَمَ السلطانُ بالإفراج عن الأمير يَشْبُك من جَانِبَك المؤيّدى الصُّوفِى المعزول عن نيابة طَرَابُلُس قبل تاريخه من سجنه بالإسكندرية وتوجّهه إلى ثغر دِمْيَاط بطَّالا .

وفى يوم الاثنين رابع عشره وصلَ كتابُ الناصرىّ محمد بن مُبَارَك نائِب ألبِيرَة[١] يتضمن بأنه وَرَدَ عليه كتابُ الأمير رُسْتُم مقدّم عساكر جَهَان شاه بن قَرَا يُوسف المقيم على أرْغُونِيّة[٢] بدِيَار بَكْر أنه قَبَض على الأمير بَيْغُوت المؤيّدى الأعرج نائِب حماة - كان - / الخارج عن الطاعة الآن ، وأخذ جميع ما معه ، وجعله فى التَّرسِيم ، وأنّ رُسْتُم المذكور يُرِيدُ أن يَحُجَّ فى هذا العام ، فكتب جوابه بالشكر له على ما فعله ، وطلب بَيْغُوت منه والإذن له فى الحج . ١٦٢

وفى يوم الجمعة ثامن عشره وصلَ إلى القاهرة ساعٍ من البلاد الحَلَبيّة وعلى يده مُطَالَعَات من النُّوَّاب بالبلاد الشَامِيّة وأخبروا بأنّ أعوان جَهَان شاه أخَذُوا مدينة مَارِدِين بالأمان ماعدا قلعتها ، وأنهم ضايقوا جَهَان كِير بن على بَك بن قَرَايُلُك صاحب آمد وحَصَرُوه بها ، وأخبروا أيضا أنّ والدة جَهَان كِير كانت قد وصلت إلى حَلَب وقَصَدَت القُدُوم إلى المواقف الشَّرِيفة لتُرْضِى الخواطرَ الشريفة عن وَلَدِها جَهَان كِير المذكور ، فمنعها النواب من ذلك وأعادوها إلى ألبيرة لتعود إلى حيث جاءت ، وحتى يأتيها إذنٌ من السلطان،وأخْبَرُوا أيضا أنهم كاتَبُوا الأمير رُسْتُم بذلك وأعلموه بما فعلوا مع والدة جَهَان كِير ، ثم قالوا فى كتبهم ونحنُ منتظرون مايَرِدُ علينا من المَرَاسِيم الشريفة فى ذلك ، فكتب الجواب لهم بالإنكار عليهم فيما فعلوا من رَدّ والدة جَهَان كِير إلى ألبيرة ، وأيضا مكاتبتهم إلى رُسْتُم بذلك ، ورسم بعود والدة جَهَان كِير إلى البلاد الحَلَبِيَّة ثم قدومها إلى القاهرة مُكَرَّمَة مُبَجَّلة .

(١) البيرة : بلد بين حلب والثغور الرومية هامش (النجوم الزاهرة ج ١٣ : ١٦ ط . الهيئة العامة للتأليف) . و (القلقشندى ــ صبح الأعشى ٤ : ١٣٧ ، ١٣٨) .

(٢) أرغوبية : كذا ولم أعثر على تعريف بها فى المراجع الميسرة .

وفى يوم الثلاثاء ثانى عشرينه وصلَ مُبَشِّرُ الحاج،وأخبر بالأمن والسَّلامة ورخاء الأسعار ، وأن الحمل الدقيق أبيع بمكَّة بخمسة عشر أشْرَفِيّا ، وهذا بخلاف القياس لغلُوِّ الأسعار بالديار المصرية ، وأيضا لِمَا غَرِق فِى البحر المالح فى هذه السنة من الغلال وأحمال الدقيق وغير ذلك حسبما ذكرناه فى وقته ، وأخبر أيضا بموت قاضى القضاة بهاء الدين أبى البقاء الحنفى قاضى مكَّة وعالمها فى تاسع عشر ذى القعدة من السنة — رحمه الله .

وفى يوم الاثنين ثامن عشرينه نُودِىَ بالقاهرة على الفلوس الجُدُد بأن يكون الرِّطل الواحدُ منها بستة وثلاثين دِرْهَماً بالوَزْن المصرى .

وفى الثلاثاء تاسع عشرينه أمر السلطان بنَفْى الأمير الطَّوَاشى جَوْهَر النَّوْرُوزِى مقدّم المماليك السلطانية إلى القدس الشريف .

● أمرُ النيل فى هذه السنة .

١٦٣ كانت القاعدة أعنى الماءَ القديم ستة أذرع وخمسة عشر إصبعا ،/مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعا وستة عشر إصبعا ، وكان قبل ذلك وصل إلى عشرين إصبعا من الذراع السادس عشر ، وهى سنة الشَّرَاقى — فلا قوة إلاّ بالله .

* * *

ذكر من تُوُفِّىَ فى هذه السنة من الأعيان المقدم ذكرهم رحمهم الله تعالى وعفا عنهم

تُوُفِّىَ الأمير زين الدين قاسم كاشف الوجه القبلى – وغَرِيم السُّفطى ، المعروف بالمؤذى – فى أوّل المحرم وحمل إلى القاهرة ميتا فدُفن بها .

وتُوُفِّىَ الطَّوَاشى كَافُور الهِنْدِىّ رأس نوبة الجَمَدَارِيّة ، – كان ساقيا – فى يوم السبت تاسع عشرين المحرّم،ودُفِن من الغد فى تُرْبَة مُعْتِقَتِه خَوَنْد هَاجَر بنت الأَتَابَك مَنْكَلِى بُغَا الشمسى ، وزوجة الملك الظاهر بَرْقُوق ، المتوفية فى طاعون سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة المعروفة بخَوَنْد الكَعْكِيِّين ، وسميت بذلك لسُكْنَاها بخطّ الكَعْكِيِّين[١] – رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّىَ الطَّوَاشِى عبداللطيف الرُّومى الإِينَالِىّ[٢] فى يوم الثلاثاءِ ثالث عشر صفر عن المائة سنة ، وورثه أَحْفَادُ مُعْتِقِه وهما الشّهَابى أحمد ومحمد وَلَدَا أمير على بن إينال – رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّىَ المُسْنِدُ المعمَّرُ الخطيبُ شمس الدين محمد بن الخطيب عبدالله الرَّشيدى[٣] الشافعى ، ومولده ليلة رابع عشر شهر رجب سنة تسع وستين وسبعمائة ، ولنا منه إجازةٌ بجميع مَرْوِيَّاته وسماعٌ ، وكانت وفاته يوم الجمعة حادى عشر شهر ربيع الأوَّل – رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّىَ الأمير شَادْبَك الجَكَمِى[٤] أحد مقدّمى الألوف بالديار المصرية ، ثم

---

(١) خط الكعكيين : ويتفرع من شارع المعز لدين الله الفاطمى . وكان يعرف قديما بالقطانيين ونسب الى الكعكيين الذين يبيعون الكعك ويسمى حاليا بشارع الكحكيين . هامش (النجوم الزاهرة ١١ : ٤٩ ط. دار الكتب) .

(٢) له ترجمة فى (السخاوى ــ الضوء اللامع ٤ : ٣٤١) .

(٣) هو محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن لاجين . الشمس بن الجمال الرشيدى (السخاوى – الضوء اللامع ١٠١ ، ١٠٢) . و (النجوم الزاهرة ح ٧ : ٣٤١ ط . كاليفورنيا) .

(٤) له ترجمة فى (السخاوى ــ الضوء اللامع ٣ : ٢٨٩ ، ٢٩٠) .

نائِب حماة – بطَّالاً بالقدس بعد مرضٍ طويل – فى يوم الأربعاء ثانى شهر ربيع الأوّل كان أصله من مماليك الأمير جَكَم من عَوَض نائِب حَلَب ، وتنقّل فى الخِدْمة من بعده حتى اتَّصَل بخدمة الملك الظَّاهِر طَطَر لمَّا كان أميرا ، فلما تسلطن طَطَرُ قرَّبه وأدناه وتأمَّر فى أوائِل الدولة الأشرفية بَرْسْبَاي ، وصار من جملة رءوس النّوب سنين ، ثم صار أمير طَبْلَخَانَاة ورأس نوبة ثانيا،إلى أن وَلِى نيابة الرّها عِوَضاً عن الأمير إينَال العلائى ، فاستَمرّ بالرّها مُدَّةً وعُزِل وقدم إلى القاهرة ، ودام بها إلى أنعم عليه الملكُ الظاهُر جَقْمَق / بإمرة مائة وتقدمة ألف فى أوائل دولته فى سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة ، فاستمرّ على ذلك سنين إلى أن وَلِى حماة فى حدود الخمسين وثمانمائة ، فلم تَطُل مُدَّتُه بحماة وعزل وقدم القدس بَطَّالاً ، فدام به مُدَّة وأشيع عنه وعن الأمير إينَال الأبو بكرى الأشرفى كلاَم فَقُبِضَ عليهما وحُبِسا ببعض القِلاَع الشّاميّة فى سنة آثنتين وخمسين مُدَّةً ، وتَوَجّه شَادبَك هَذَا إلى القُدْس بطالا فدام به إلى أن تُوُفِّى رحمه الله — وكان قصيرا جدا ، وعنده سرعة حركة مع إقدام ، وكان الملك الظاهرى جَقْمق يُكْرِمُه لَمَّا كان الأتابَك يَشْبُك السُّودُونى فى قَيْد الحياة ؛ لأنهما كانا فى خِدْمَة طَطَر معاً ، فلما تُوُفِّى يَشْبُك انحطّ قَدْرُ المذكور — رحمه الله تعالى .

١٦٤

وتُوُفِّى الأمير على باي من دُولاَت باي العلائى الأشرفى السّاقى أحد أمراء العشرات ، كان خصّيصاً عند أستاذه الملك الأشرف بَرْسْبَاي ، رَقّاه إلى أن جعله خَازِنْدَاراً ، وأنعم عليه بإمرة عشرة ، وعظم فى دولته ، ثم صار بعد موته من جُمْلة أمراء الطَّبْلَخَانَات وشاد الشّراب خَانَاه إلى أن قَبَضَ عليه الملكُ الظاهرُ جَقْمَق وحبسه سنين ، ثم أطلقه وأنعم عليه بإمرة هيّنة بالبلاد الشّامية ، فدام على ذلك مُدَّةً يسيرة وأنعم عليه بإمرة عشرة بالقاهرة ، فاستمرّ على ذلك إلى أن تُوُفِّى يوم الثلاثاء تاسع عشرين شهر ربيع الأوّل ، وحضر الملك الظاهر جَقْمَقُ الصّلاة عليه بمُصَلَّى المُؤْمِنى وكان شَابا طِوالا حسن الشكل شجاعا مقداما كثير الوقار والسكون محببا للناس وتُوُفِّى – رحمه الله – فى شبيبته – عفا الله عنه .

وتُوفِّى سيّدى محمد ابن الملك الظاهر جَقْمَق فى يوم الاثنين ثالث عشر شهر ربيع الآخر وسنُّه دون عشرة أشهر ، ودُفِن بمدرسة الملك الظاهر بَرْقُوق بين القصرين ، وسبب دفنه بمدرسة الظاهر كَوْن أمه خَوَنْد بنت الأمير جَرِبَاش الكريمى أمير سلاح والدتها زوجة الأمير جَرِبَاش بنت قَانِى بَاى قريب الملك الظاهر بَرْقُوق ودَخَل نعشه / من باب زُوَيْلَة وهذا بخلاف قاعِدة المصريين ؛ فإنهم يتشاءمون بدخول النَّعْشِ من باب زويلَة – انتهى . ١٦٥

وتُوفِّى العلائى على ابن الخَوَاجَا عبد الله الدِّمَشْقى الأصل الزَّرَدْكَاش [١] أحد من رقَّاهُ الملك الظاهر جَقْمَق حتّى جعله خاصّكيّاً ثم من جملة الزَّرَدْكَاشيّة إلى أن تُوفِّى بعد أن عَظُمَ وأثرى وضخم فى الدولة ، فى يوم الخميس سادس عشر ربيع الآخر وحضر السلطانُ الصلاةَ عليه بمصلاّة بَاب الوَزِير ، وكان شَابًّا حسنا كريما – رحمه الله تعالى ، وعفا عنه .

وتُوفِّيت زوجَة الأمير قَانِى بَاي الجَرْكَسى الأمير آخور الكبير فى يوم الجمعة رابع عشرين شهر ربيع الآخر،ودُفِنَت بتربة زَوْجها التى جدّدها عند دار الضيافة بالقرب من قَلْعَة الجبل ، وهى أم ولدٍ لأستاذ زَوْجِها الأمير جاركس القاسِمىّ المصارع – عفا الله عنها .

وتُوفِّى القاضى شرف الدين محمد ابن قاضى القضاة بدر الدين محمد بن عبدالمنعم [٢] البَغْدَادِىّ الأصل الحنبلى فى يوم الخميس حادى عشر شهر رجب ، وعظم مصابُه على وَالِدِه قاضى القضاة بدر الدين المذكور ، بل وعلى كُلِّ أحدٍ ؛ فإنه مات فى عنفوان شبيبته مع ما كان آحتوى عليه من المحاسن والعَقْل والسُّؤدد ، وكان مولده فى حدود سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة – رحمه الله تعالى ، وعفا عنه .

وتُوفِّى العلامة شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم الدِّمشقى

---

(١) له ترجمة فى (السخاوى – الضوء اللامع ٥ : ٢٥٤) .
(٢) له ترجمة فى (السخاوى – الضوء اللامع ٩ : ٢٣٥ ، ٢٣٦) .

الحنفى المعروف بابن عَرَبْشاه[١] فى يوم الاثنين خامس عشر شهر رجب بالقاهرة غَرِيبا عن أهله ووطنه ، ومولده فى ليلة الجمعة – داخل دمشق – فى الخامس والعشرين من ذى القعدة سنة إحدى وتسعين وسبعمائه ، هكذا أملى علىّ من لفظه وكتب لى بخطه ، وكان إماما عالما بارعا فى عدة علوم ، عارفا بفنون كثيرة مُفَنَّنًا ، كان يحسن نظَم القريض جيداً باللغات الثلاثة العربية والعجمية والتركية ، وكان له مصنفات مفيدة حسنة ـــ رحمه الله .

وتُوُفِّى الأمير جَانِبَك النَّوْرُوزِىّ[٢] فى شهر رجب بمنزلة العَرِيش[٣] بطريق دِمَشْق قاصدا إلى الدِّيَار المصريّة بعد عَزْله عن نيابة صِهْيَوْن ، وكان فيه شجاعة وإقدام ، وكان أصله من مماليك / الأمير نَوْرُوز الحافظىّ ، وتأمَّر عشرة فى أوائِل الدولة الظاهرية جَقْمَق ، ثم ولى نيابة صِهْيَوْن . رحمه الله . ١٦٦

وتُوُفِّى الأمير سُودُون السُّودُونى الظاهرىّ بَرْقُوق[٤] أحد أمراء العشرات والحُجّاب فى يوم الأحد العشرين من شعبان وهو فى عشر التسعين ، وكان مهملا مُسْرِفاً على نفسه – عفا الله عنه .

وتُوُفِّى أبو الفتح محمد الطَّيِّبى مضروبَ الرَّقَبة فى دِمَشْق بحُكْم قاضى القضاة المالكى بها ، فى ليلة الأربعاء رابع عشر شهر رمضان ، كان أبو الفتح هذا فى ابتداء أمره يتكسَّب بتحمل الشَّهَادة بحوانيت الشُّهُود ، وكان يصحب النحَّاس فى أيَّام خموله ، فلما عظم أبو الخير النحاس ونالته السّعادة قَرَّب أبَا الفتح هذا وجعله أحد خواصِّه وخَدَمِه ، فأثرى أبو الفتح وضَخُمَ ، وركب الخيول ، وصار له خَدَم وحَشَم ، فلم يرضَ بذلك ورَامَ الدَّرَجة العُلْيَا ، وتولَّى وكالة بيت مال دمشق وجَوَالِيها بسفارة أبى الخير النحاس ، وتوجّه إلى دِمَشْق وظَلَم وعَسَف ، فلم تُحْمَد سيرتُه ، وقدم

---

(١) له ترجمة فى (السخاوى – الضوء اللامع ٢ : ١٢٦ – ١٣١) و(النجوم الزاهرة ٧ : ٣٣٤ ط كاليفورنيا) .

(٢) له ترجمة فى النجوم الزاهرة ٧ : ٣٤٦ ط كاليفورنيا) .

(٣) العريش : مدينة قديمة على شاطىء البحر الأبيض المتوسط بقرب نهاية الحد الشرقى لأرض مصر ، وكانت من ثغور مصر ، وانظر هامش (النجوم الزاهرة ٥ : ١٥٧ ط . دار الكتب) .

(٤) له ترجمة فى السخاوى – الضوء اللامع ٣ : ٢٧٩) .

البلاطُنُسِيّ إلى القاهرة وشكا عليه إلى السلطان ، ورماه بعظائِم ، وصادف ذلك انحطاطَ أمر النحاس ، فَقَال أهلُ دِمَشْق مارَامُوه ، وأثبتوا عليه مَحَاضِر بالكُفْر ، ووَقَع بسبب ذلك أمورٌ تقدّمت فى الحوادث ، وآل أمْرُه إلى أن ضُرِبَت رَقَبَته بَسَيْف الشَّرْع ، والعجب أن أهل دِمَشْق كانواهم القائِمين عليه حتى قُتِل ، فلّما قُتِل بَكَوْا عليه وشَهِدُوا جنازته ، وصاروا يقولون . هذا الشّهيد ، هذا المظلوم ، هذا المَقْهُور — انتهى .

وتُوُفِّى القاضى زَيْنُ الدين عبد الباسط بن خليل بن إبراهيم[١] الدِّمشقى الأصل والمولد والمنشأ ، المصرى الدار والوفاة ، ناظر الجيوش المنصورة بالديار المصرية،فى يوم الثلاثاء رابع شوّال وقت أذان المغرب ، ودفن بتُرْبَتِه التى أنشاها بالصَّحراء ظاهِرَ باب النَّصر ، ومولده بعد التِّسعين وسبعمائة بدمشق ، وبها نشأ وخدم القاضى بدر الدين ابن الشهاب محمود ، ثم اتصل من بعده بخدمة الأمير شيخ المحمودىّ نائب دِمَشْق ، وقَدِمَ معه إلى القاهرة بعد قتل الملك الناصر فرج فى سنة خمس عشرة وثمانمائة ، فلما تسلطن الأمير شيخ قربه وأدناه وولّاه نظر / الخزانة الشريفة ، وصار من عظماء الدّولة فى أيامه ، وأثرى وعمَّر الأملاك الكثيرة ، وأنشأ مدرسة بخطّ الكافُورِىّ[٢] تجاه داره ، كل ذلك فى الدّولة المؤيَديّة شيخ ، ثم تولّى نَظَر الجُيُوش المنصورة بعد عزل القاضى كمال الدين بن البَارِزِىّ فى يوم الاثنين سابع ذى القعدة سنة أربع وعشرين وثمانمائة فى الدولة الظاهريّة طَطَر ، ثم صار عظيم الدّولة الأشرفية بَرْسْبَاى وصاحب حَلِّهَا وعَقْدِها ، وطالت أيَّامه إلى أن قَبضَ عليه الملك الظاهر جَقْمَق بعد أن باشر فى أيّامه أشهرا وصادَرَه ، وأخذ منه ماينيف على مائتى ألف دينار وخمسين ألف دينار ذهبا ، ثم أطلق ، فتوجّه ، إلى الحج ، ثم

١٦٧

---

(١) له ترجمة فى (النجوم الزاهرة ٧ : ٣٤٧ ط. كاليفورنيا) .
وقد حمل السخاوى على مؤلفنا بسبب صلته بزين الدين عبد الباسط-وانظر ترجمة المؤلف للسخاوى فى مقدمة الجزء الأول من النجوم الزاهرة .

(٢) خط الكافورى : هو خط بستان الكافورى ، وكان على الخليج الكبير بطرف القصر الغربى ، وبه منظرة اللؤلؤة ، وينسب الى كافور الإخشيدى ، ويطابق المنطقة التى تحد اليوم من الشمال بشارع أمير الجيوش الجوانى ومن الغرب بشارع بورسعيد (الخليج المصرى) ومن الجنوب بشارع السكة الجديدة ، ومن الشرق بشارع الخرنفش وبين القصرين والنحاسين . هامش المرحوم الأستاذ محمد رمزى على (النجوم الزاهرة ٤ : ٤٨ ط . دار الكتب) .

عاد إلى دِمَشْق ، ثم قدم إلى القاهرة أُولَى وثانية ، وفى الثانية استوطنَها إلى أن حَجَّ فى سنة ثلاث وخمسين فى الرَّجَبيّة ، وعاد إلى القاهرة وأقام بها حتى تُوُفِّىَ بها ـــ بطالا ـــ بعد مَرَضٍ طويل، وكان له محاسن ومساوىء ، والثانى أكثر.

وقد آستوعبنا حاله فى ترجمته فى تاريخنا المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى ، فلينظر هناك فى باب العَيْن والباء ؛ لأننا ذكرنا مآثره وما أنشأه بالحَرَمَيْن والقُدْس والديار المصرية وغير ذلك ، وما كان يُسمى بالبَاسِطِيّة فهو من إنشائه ، فإننا لانعلم أحداً فى الدولة سُمِّى بهذا الاسم وعُرف [به بين] [١] الناس غيره ، وفى هذا القدر كفاية .

وتُوُفِّىَ الشيخ كمال الدين المَجْذُوب فى يوم الاثنين سادس عشر شوّال ، ودُفِن بالقرافة ، وكانت جنازته مشهودة ، وكان لبعض الناسِ فيه آعتقادٌ حسن ، ومات وهو فى عشر السبعين تقريبا ـــ رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّىَ الأمير سيف الدين أرْكَمَاس الظَّاهِرِىّ [٢] الدَّوَادَار الكَبِير فى يَوْمِ الجمعة ثامن عِشْرِين شوَّال ـــ بَطَّالاً ـــ بالقاهرة ، أصله من مماليك الملك الظاهر بَرْقُوق ، وطال عُمْرُه فى الجنديّة إلى أن أنعم عليه الملك الظاهر طَطَر بإمرة طلبخاناه وجعله نائب قلعة دِمَشْق ، فدام بها إلى أن نقله منها الملك الأشرف بَرْسْبَاى إلى تقدمة ألف بالديار المصرية ، وتولّى نيابة قلعة دِمَشْق عوض الأمير صَرْغَتْمُش مملوك والدى ، ثم جعله الأشرف رأس نَوْبَة النُّوَب بعد القبض على تَغْرِى بَرْدِى المَحْمُودِى ، ثم جعله دَوَادَاراً كبيرا بعد إخراج الأمير أُزْبُك إلى القدس ، فدام فى الدَّوَادَارِيّة / حتى عزله الملكُ الظاهر جَمْقَق ونفاه إلى دِمْيَاط ، فدام بالثَّغر سنين ثم طلب إلى القاهرة ودام بها بطالا إلى أن تُوُفِّىَ ، وكان دَيِّناً إلا أنه كان مُهْمِلا قليل الشَّرّ والخير ـــ رحمه الله تعالى .

١٦٨

وتُوُفِّىَ جَانِبَك بن عبد الله الجَكَمِى [٣] الأمير سيف الدين أحد أمراء

---

(١) إضافة يقتضيها السياق .

(٢) له ترجمة فى (النجوم الزاهرة ٧ : ٣٥٠ ط . كاليفورنيا) .

(٣) له ترجمة فى (السخاوى ـــ الضوء اللامع ٣ : ٥٦) .

العشرات ورأس نوبة فى يوم السبت تاسع عشرين شوّال ، وكان متوسط السِّيرة مهملا ، وأصله من مماليك الأمير جَكَم من عوض المتغلِّب على حَلَب ، وهو أيضا ممن تأمَّر فى الدولة الظاهرية جَقْمَق ، ولم يكن جَانِبَك هذا ممن له ذكْرٌ فى الدولة حتى تُشْكَر أفعالُه أو تُذَمّ — عفا الله عنه .

وتُوُفِّى الشريفُ حسن أحد التّجّار بثغر الإسكندرية فى ذى العقدة ، وخلف مالاً كثيرا — وكان غير مشكور السِّيرة فى دينه — عفا الله عنه .

وتُوُفِّى قاضى القُضَاةِ ولِىّ الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف السَّفْطِى[1] الشافعى فى يوم الثلاثاء مُسْتَهل ذى الحجة ، ودُفِن من الغد بعد مَرَضِ يومٍ واحد ، وهو صاحب العظمة بأوَّله والأهوالِ بآخره ، ذكرنا نُبَذاً من حاله فى عِدَّة أماكن من مصنفاتنا ، كان أصله من سَفْط[2] الحِنَّاء بالوجه البحرى ، ونشأ بالقاهرة ، واشتغل فى مبدأ أمره وناب فى الحكم سنين ، ثم حُبِّبَ له طلبُ الدنيا فشمَّر لذلك ساعِدَ الاجتهاد حتى أهلك الناس وأباد ، وصحب الأكابر وصار يأخذ منهم حتى الصحن الطعام ، فكثر لذلك ماله ، وصحب من جملة الناس السلطان الملك الظاهرى جقمق لما كان أميراً ، فلما تسلطن قَرَّبه وأدناه حتى صار هو صاحب الحَلِّ والعقد فى المملكة ، وتردَّدت الناسُ إلى بابه لقضاء حوائجهم ، فما عفَّ ولا كفَّ عن أخذ مالٍ ولاسباب عِرضٍ حتى جَمَع من المالِ مَالا يُحْصر كَثْرَةً ، ولازال أمره ينمو وحُرْمتُه تزداد حتى ولى عِدَّة وظائف ، ثم وَلِىَ قضآء القضاة الشافعية بالديار المصرية ، فعندما تم أمره وَلَّت عنه الدنيا ، وأخذ أمره فى انحطاط — ولله درّ القائل :— [المتقارب] .

إذا تـمّ أمـرٌ بـدَا نـقْصُه تَوقَّع زَوَالاً إذا قيل تَمّ .

ولما وَلِىَ القضاء ساءت سيرتُه ، فوجد بذلك عدُوُّه أبو الخير النحاس سبيلا / ١٦٩ للتكلّم فيه عند السلطان فتكلّم وأمعن ، ولازال به حتى أخرج عنه جميع وظائفه

---

(١) له ترجمة فى (النجوم الزاهرة ٧ : ٣٥١ — ٣٥٤ ط . كاليفورنيا) .

(٢) سفط الحناء : قرية تابعة لبلبيس بمحافظة الشرقية وبها يكثر نبات الحناء ولذلك سميت به (على مبارك — الخطط ١٢ : ٣٥) .

شيئاً بعد شىء حسبما تقدّم فى وقته مياومة إلى أن عزله عن القضاء فى سنة اثنتين وخمسين ، فعند ذلك انحطّ قدرُه إلى البهموت[1] ونال منه أعداؤه ما أمَّلُوه ، ثم التفت السلطانُ إلى أخذ ماله، ومَالَ عليه حتى حبسه بحبس المَقْشَرة مع أرباب الجرائِم ، ورسم بتوجّهه إلى بيت قاضى القضاة ماشيا غير مَرَّة كما ذكرناه فى أصل هذا الكتاب فى محله أيضا ، وقاسى أهوالا وشدائِد وذُلاً وبهدلةً إلى أن آختفى نحو ثمانية أشهر، ولم يظهر حتى نُكِبَ أبو الخير النحاس — ولله درّ القائل :— [البسيط] .

لَوْ أنْصَفُوا أُنْصِفُوا لكِنْ بَغَوْا فَبُغِى   عَلَيْهِمُ فكأنّ العِزَّ لم يَكن
جادَ الزَّمَانُ بَصَفْوٍ ثُمَّ كَدَّرَهُ   هَذَا بِذَاك ولاعَتْبٌ على الزَّمَن

ولما نكبَ أبو الخير النحاس تَرَاجَع أمر السَّفْطِىّ قليلا بعد ظُهُورِه من الاختفاء ، وَوَلِىَ مشيخة الجمالية فلم تَطُل مُدَّتُه . وتُوُفِّىَ فى التاريخ المذكور ، وكان له أوْرَادٌ هائلة وصلاةٌ وخشوع وصوم وعبادة ، مع بذاءة لسان وفُحشٍ فى لفظه ، وبَطْشٍ وجَبَرُوت ، وبُخل زائد حتى على نفسه — عامله الله بما يستحق .

وتُوُفِّىَ قاضى القضاة بهاء الدين محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن سعيد ابن عمر بن يوسف بن إسماعيل الصَّاغانى[2] الأصل المكى المَوْلِدِ والدّار والوفاة الحنفى قاضى مَكّة وعالمها ، فى تاسع عشرين ذى القعدة بمكّة المشرّفة ، ومولده فى ليلة التاسع من رَجَب سنة تسع وثمانين وسبعمائة ، ونشأ بمكة وطلب العلم حتى برع فى الفقة والأصلين والعربية ، وشارك فى عِدَّةِ فنون ، وأفتى ودّرس عِدَّة سنين ، ووَلِىَ قضاءَ مكّة سنين عَدِيدة ، وطالت أيامه وكان المُعَوّل على فتواه بمكة المشرفة ، وصنّف عِدّة تصانيف مُفِيدة ذكرناها فى ترجمته فى تاريخنا « المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى » ، وولى القضَاء من بعده الشيخ أبو حامد أخوه ، وكانوا أحق بها وأهلها — رحمه الله تعالى .

---

(١) البهموت : فسرها المؤلف بالحضيض فى مواضع عدة من كتاب النجوم الزاهرة .

(٢) له ترجمة فى (النجوم الزاهرة ٧ : ٣٥٤ ط . كاليفورنيا) .

وتُوُفِّى الأميُر تَغْرِى بَرْمُش بن عبد الله الزَّرَدْكَاش[١] الأميرُ سيف الدين أحد أمراء / الطَّبْلَخَانات وزَرَدْكَاش السلطان ، وكانت وفاتُه بمكّة المشرّفة فى آخر هذه السنة ، وأصله من مماليك الأمير يَشْبُك من أزْدَمُر ، وترَقَّى بعد موته حتى صار زَرَدْكَاشاً صغيرا فى الدولة الأشرفية بَرْسْبَاى ، ثم وَلِىَ الزَّرَدْكَاشِيّة الكُبْرى ، وأُنْعِمَ عليه بإمرة عشرة ، واستمرّ على ذلك حتى جعله الملكُ الظاهرُ جَقْمَقُ من جملة أمراء الطبلخانات ، وسافر أمير الحاج غيرَ مرَّة ، وتوجه إلى الغَزَوات كثيراً جداً فى عِدة دُوَل ، وكان أشقر ضَخْماً بخيلا مُغْرَماً بجمع الأموال مُثْرِيًا ، عمّر عدة أملاك بالقاهرة وبولاق ، وعمر جامعا حسنا على النِّيل بساحل بُولاَق ، وله عدّة مآثر أُخَر ــ رحمه الله تعالى .

١٧٠

(١) له ترجمة فى (النجوم الزاهرة ٧ : ٣٥٤ ظ . كاليفورنيا) .

﴿سنة خمس وخمسين وثمانمائة﴾

استهلّت هذه السنة — ووافق ذلك العاشر من أمشير أحد شهور القبط — وسلطان الديار المصرية الملك الظاهر جَقْمَق العلائى الظاهِرىّ ، وخليفة الوقت أمير المؤمنين المستكفى بالله أبو الربيع سليمان ، وهو على خطّة . والقضاة والأمراء ونُوّاب البلاد الشاميّة ، وسائِر أرباب الدَّوْلة على حالهم فى أوّل العام الماضى ، ماعدا الزَّرَدْكَاش فإنه الأمير لاَجين ، وليها بعد مَوْتِ تَغْرِى بَرْمُش كما ذكرناه فى محلّه ونائِب غَزَّة الأمير جَانِبَك التَّاجى المؤيّدى ، وليها بعد عزل خَيربَك النَّوْرُوزِى،وشرف الدين موسى التتائى[1] الأنصارى المستقر فى وظائف أبى الخير النحاس .

والأسعار فى زيادة عن الحَدِّ ، فالقمح بألف وخمسمائة درهم الإردب إلى مادونها ، والفول والشعير بنحو ألف درهم الإردب إلى مادونها ، وهما فى قلة إلى الغاية ، والدقيق العَلامَة بخمسمائة درهم البَطَّة إلى مادونها ، والتبن بخمسمائة درهم الحمل إلى مادونها ، وأبيع الحمل التبن بثغر دِمْيَاط بألف درهم الحمل ، فتعطّل لذلك عِدّة دَوَاليب بالثَّغْر المذكور ، وخربت بساتين عَدِيدة بالقاهرة وضواحيها ، وأُبيع الفدان من البرسيم الأخضر بعشرين أشْرَفيا ، ثم وصل فى آخر السنة إلى ثلاثين أشْرِفَيا ، ثم عزّ وجودُه البتة ، وأُبيع الحطبُ بمائة درهم الحملة ، وهو فى زيادة ، وأما اللحوم فقليلة جدا ، وأما سمينها فنادر ، وماء النيل المحمول إلى القاهرة / بأزيد ١٧١ من عشرين درهما الرَّاوية ، والجبن المقلى لايُوجد إلا نادرا ، والجبن الأبيض الجاموسى بأحد عشر درهما الرِّطل ، والشيرج والزيت بأربعة وعشرين درهما الرطل ، والزيت الحار بخمسة عشر دِرْهَما الرِّطْل ، وأجرة طحن الإردب القمح بمائِة وعشرين درهما الإردب ، وقد اتخذ غالب الناس فى بيوتهم كلُّ واحدٍ رَحًى من حجر يطحنُ بها قمحه ، والسمن بثلاثين درهما الرِّطل ، والعسل النحلُ بنحو ذلك ،

---

(١) نسبة إلى « تتا » قرية بالمنوفية (السخاوى — الضوء اللامع ١١ : ١٩٤) .

والدّبس باثنى عشر درهما الرطل ، والأرز بأربعة وعشرين درهما القَدَحُ والخبز بثمانية دراهم الرِّطل ، وقد كَثُرت الفقراء بالديار المصرية ، وعظم إلحاحهم فى السؤال بحيث إنه لايكاد الشخص يمر فى الطرقات إلّا وهم فى أثره ويُكَرِّرون له السؤال .

● المحرّم : أوّله الخميس — ويوافقه عاشر أمشير أحد شهور القبط .

فيه أخلع السلطانُ على الأمير الطواشى مَرْجَان العادلى المحمودى نائب مقدّم المماليك باستقراره مقدّم المماليك السلطانية، عوضا عن جَوْهَر النَّوْرُوزِى بحُكْم إخراجه إلى القدس الشريف بَطَّالاً ، وأخلع على عَنْبَر الطُّنْبُدِىّ باستقراره فى نيابة تقدمة المماليك عوضا عن الأمير مَرْجَان المذكور .

وفى يوم الجمعة ثانيه تُوُفِّى الخليفةُ أمير المؤمنين المستكفى بالله أبو الربيع سليمان ، وهو فى عشر الستين .

وفى يوم الاثنين خامسه جلس السلطانُ الملك الظاهر بالقصر الأعلى من قلعة الجَبَل داخل القصر الأبلق، واستدعى الشَّرَفِىّ حمزةَ بن أمير المؤمنين المتوكل على الله أبى عبد الله محمد ، وحضر القضاة وأعيان الدَّولة واجتمعوا على مُبَايَعة حمزة المذكور بالخلافة ، فاستفتح قاضى القضاة شرفُ الدين يحيى المُناوِىّ الشافعى البيعة بخُطْبةٍ قصيرة فى غير المعنى ، ثم سكت فى أثناء الخطبة ظانًّا أن البيعة قد تَمَّت فعند ذلك آبتدأ القاضى كمالُ الدين محمد بن البَارِزِىّ كاتب السّرّ الشريف بخُطْبَة بليغة حَمَدَ الله تعالى فيها وأثنى على نبيّه محمد ﷺ ، ثم الخَليفَةَ بعبارةٍ طَلْقَة مع فَصَاحةٍ وحسنٍ تأدّى إلى أن آستتمت البيعةُ وبايعه / السلطانُ ومن حضرَ من القضاة والأعيان على مراتبهم ، ثم سأل القاضى كمالُ الدين المذكور الخليفة بأن يُفَوِّض إلى السلطان ويقلّده أمورَ الرَّعية ويجعله يتصرّف فى المملكة كيف شاء ، وعدّد له أشياء من هذه المقالة ، ثم آستدعى السلطانُ التشريفَ الخليفَتِىّ وألبسه حَمْزَةَ المذكور ، ووثب السلطان قائما على قدميه إلى أن تم لبسه ، وعاد وقرأ الفاتحة ، ثم قام ونزلَ إلى داره بَيْنَ يديه وجوهُ الدولة من القضاة والأمراء وأعيان الدولة ، واجتمعت الناسُ لرُؤيته ، ولُقِّبَ بالقائِم بأمر الله .

٧٢

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى يوم الخميس خامس عشره وصلَ إلى القاهرة ولدُ جَهَانِ كِير بن على بَك بن قَرَايُلُك ، وعلى يده مطالعة من والده تتضّمن ما معناه أن جَهَان كير مملوك السلطان ، ويطلب رِضَى الخواطِرِ الشريفة عليه ، فأكْرَم السلطانُ الولَدَ المذكورَ ، وبعد أيام أنعم عليه بإمرة عشرة بَطَرَابُلُس ، ورَسَم له بالتوجّه إلى طَرَابُلُس ، ويكون معه بها نحو عشرة نفرمن حاشية والده جَهَان كير ، والولد المذكور سِنُّه دون عشر سنين .

وفى يوم الأربعاء حادى عشرينه وصل الأمير سَوِنْجْبُغَا اليُونُسِىّ — أحد أمراء العشرات ورأس نوبة — أمير حاج الرَّجَبِية ، وصحبته الأمير جَربَاش المحمدى الناصرى أحد مقدمى الألوف بالديار المصرية ، ومن الغدِ وصلَ الأميرُ خَيرِبَك المؤيّدى — ورأس نوبة — أمير الركب الأوّل بمن معه من الحاج .

وفى يوم الجمعه ثالث عشرينه وصل الأمير تَمُرْبُغَا الظاهرى الدَّوادار الثانى أمير حاج المحمل ببقية الحاج .

وفى هذا الشهر استقرّ القاضى شهاب الدين أحمد التِّلِمِسَانىّ المغربى فى قضاء المالكية بِدمَشْق بعد عزل القاضى سالم .

وفى العشر الأخير من هذا الشهر تُوُفِّى القاضى جمال الدين بن هشام أحد نوّاب الحُكْم الحنابلة .

وفى يوم الخميس تاسع عشرينه تُوُفِّى الرئيس مجدُ الدين عبد الرحمن بنُ الجيعان ناظر الخزانة الشريفة وكاتبها .

وفى هذا الشهر تُوُفِّى القاضى شمس الدين محمد قاضى مدينة ألْيَنْبُع المعروف بابن زُبَالة .

١٧٣ • صفر / أوّله الجمعة .

فى يوم السبت تاسعه وصلَ قُصَّادُ الأمير جَهَان شَاه بن قَرَا يُوسُف مُتَمَلّك تِبْرِيز وبغداد وما والاَهُما إلى الديار المصرية ، وأُنزِلُوا بالميدان من تحت قلعة الجبل إلى

يوم الاثنين حادى عشره عمل السلطان المَوْكِبَ بالحُوش السّلطانى من القلعة ، وطلع القُصّاد المذكورُون وتمثّلوا بين يدى المواقف الشريفة ، وقدَّموا هَدِيَة جَهَان شاه المذكور وصحبتهم ابن أخى جَهَان شَاه ، أعنى ابن أصْبِهَان بن قَرَا يُوسف ، والهدية تشتمل على بعض خُوَذٍ وَزَرَدِيَّات وجِمال بَخَاتِى أربعة عشر جملا ، وكان كتاب جَهَان شَاه بالعجمى فَعُرِّبَ فكان معناهُ التَّوَدُّد إلى السلطان ، وأنه تحت طاعته ، واعتذر أيضا من قدومه إلى دِيَار بَكْر وأخذه أَرْزَنْكَان ومدينة مَارِدِين من جَهَان كير بن على بَك بن قَرَايُلُك ، وأنه مافعل ذلك به إلاّ لخُرُوج جَهَان كير عن طاعة السُّلطان ، ولسوء سيرتة فى الرّعية ، والمقصود رَفْعُ يد جَهَان كير من مماليك دِيَار بَكْر وتولية عَمّه الشيخ حسن بن قَرَايُلُك ليكون تحت طاعة السلطان ، ثم ذكر قاصدُ جَهَان شاه:أن جَهان شاه أرسل بولد أخيه أصْبِهَان إلى السلطان ليكون تحت نظر السّلطان ومن جملة مماليكه ، فأخذه السلطان فى الحال وضَمّه إلى وَلَدِه المقام الفَخْرِى عُثْمَان ، والصبىّ المذكور سِنّه نحو العشر سنين ، ثم انفضَّ الموكبُ وعاد القصّاد إلى حيث أُنْزِلُوا بالمَيْدَان ، ومُنِعُوا من الاجتماع بالناس ، ورتَّبَ لهم السلطان فى كل يوم ـــ برسم النَّفقَة ـــ عشرة آلاف درهم .

وفى يوم الأحد سابع عشره ورَد الخبرُ بقدوم الأمير بَيْغُوت الأعرج المؤيّدى نائب حَمَاة ـــ كان ـــ الخارج عن طاعة السلطان قبل تاريخه ـــ إلى حَلَب صحبة الأمير ناصر الدين محمد بن مُبارك نائب أَلْبِيرة طائعا للسلطنة ، وعلى يد القاصد عِدّة مطالعات من نُوّاب البلاد الشامية تتضمّن الشفاعة فى بَيْغُوت المذكور والرضى عنه ، فقبل السلطانُ شفاعاتهم ، وكتب بإحضار بَيْغُوت المذكور إلى الديار المصرية على أحسن الأحوال .

وفى يوم الاثنين ثامن عشره عمل السلطانُ مَدّةً هائِلة لقُصَّاد جَهَان شاه بالقلعة .

وفى يوم الأربعاء العشرين منه أنعم السلطانُ / على قُصَّاد جَهَان شَاه بمبلغ ١٧٤ ألفى دينار بَرَسم نفقة السّفر ، وأنعم السلطان أيضا على الأمير قَانَم التاجر المؤيّدى مُعَلّم الأسْوَاق بألف دينار ، وندبه للتوجّه صحبة القُصَّاد رَسُولاً ، إلى جَهَان شاه ،

وجهّز السلطانُ على يد قَانَم المذكور إلى جَهَان شاه بهدِيَّة هائلة تشتمل على قُمَاش سَكَنْدَرِى مُذَهَّب وغيره من أنواع الأقمشة الحرير،ماقيمته نحو خمسة عشر ألف دينار تقريبا .

وفى يوم الأربعاء هذا وَرَدَ الخبرُ بموت خَوَنْدْكَار مُرَادْ بَك بن عثمان مُتَملّك بلاد الروم فى سابع المحرم من السنة .

وفى يوم الجمعة ثانى عشرينه سافر الأمير قَانَم وقُصَّادُ جَهَان شَاه إلى محل قَصْدِهم .

● شهر ربيع الأوّل : أوّله السبت .

فيه تُوُفِّىَ الشيخ شمس الدين محمد بن حسان الشافعى شيخ خانقاه سعيد السعداء ، وتَولَّى مشيخة سعيد السعداء من بعده الشيخُ خالد .

وفى يوم الأحد ثانيه ركبَ السلطانُ الملك الظاهرُ جَقْمَق ونَزَل إلى بيت زين الدين يحيى الأستادار ليعوده ؛ لانقطاعه عن الخدمة الشريفة فى داره ، وسبب انقطاعه أن المماليك السلطانية أوقعوا به بباب القُلَّة[1] من قلعة الجبل وشُجَّ فى رأسه ، ونزل محمولا إلى داره ، وكَثُر الكلامُ فى أمْرِه إلى هذا اليوم انْكَفَّ الناسُ عن الكلام فيه ، فلم يطُل جلوسُ السلطان عنده وركب من عنده وعاد إلى بيت الصاحب جمال الدين يوسف ناظر الخواصّ الشريفة ، ونزل إليه وأقام عنده قليلا ، ثم ركب وعاد إلى القلعة ، وبعد طلوع السلطان إلى القلعة جهَّزَ كُلُّ واحدٍ من الأستادار وناظر الخاصّ تقدمةً هائِلة وأرسل بها إلى السلطان ، فكانت تقدمة ناظر الخاص تشتمل على ذهب عين خمسة آلاف دينار ، ومن الصوف الملوّن خمسين ثوبا ، ومن البعلبكى مائة ثوب ، ومن المخمل الملون خمسين ثوبا ومن الفروسمور خمسة أبدان ، ومن الوَشق خمسة أبدان أيضا ، وسنجاب عِدة أبدان ، وقُمَاش سَكَنْدَرِى كالمناديل المذهّبة والشقَق الحرير وغير ذلك جملة مستكثرة ، وسكر نبات وحلوى وفاكهة على عِدَّة

---

(١) باب القلة : هو أحد أبواب الدور السلطانية بقلعة الجبل وعرف بهذا الاسم لأن الظاهر بيبرس كان بنى هناك قلة . وانظر (المقريزى ــ الخطط ٢ : ٢١٢) .

حمالين ، وأما تقدمة / الأستادار فكانت تشتمل على ذهب عين خمسة آلاف دينار أيضا ، وبعلبكّى خمسمائة ثوب ، ومخمل مُدَثَّر وساذج أربعين ثوبا ، وقماش سَكَنْدَرى مابين مناديل مُذَهَّبة وشُقَق حرير وغير ذلك شىء كثير ، ومن الخيول ثمانية أفراس وسُكَّر نَبَات وحَلْوَى وفاكهة على عشرين حَمَّالاً .

وفى يوم الثلاثاء رابعه لبس زيْن الدين الأستادار خلعة الاستمرار: كامليَّةً بِفَرْوِسَمُّور .

وفى أوائل هذا الشهر وردَت الأخبارُ من البلاد الشاميّة بأن جَهَانِ كير بن على بَك بن قَرَايُلُك صاحب آمد أرسل أخاه حسناً وصحبته جماعة من عسكره لِقِتَال عسكر جَهَان شَاه بن قَرَا يُوسف الذىهو صحبة عَمِّه الشيخ حسن بن قَرَايلُك ، فسار حسن المذكور بمن معه غَارَةً وبيّت عَمّه الشيخَ حسن بمن معه من عسكر جَهَان شَاه وطَرَقه بغْتةً ، فظَفِر بعمِّه الشيخ حسن بن قَرَايلُك المذكور ونائبه وقتلهما معاً وحزّ رأسهما وقتل معهما عِدّة كبيرةً من عسكر جَهَان شَاه بن قَرَا يُوسف ، وأبدع فيهم ثم عاد حسن هذا إلى أخيه جَهَان كير بآمد مؤيّدا منصوراً .

وفى يوم الخميس سادسه لبس الجمالى ناظر الخواص كاملية بَفْروسَمُّور .

وفى يوم الخميس ثالث عشره تُوُفِّى القاضى شمس الدين محمد ابن أخت السَخاوىّ

وفى يوم الجمعة رابع عشره — ويوافقه حادى عشرين برمودة أحد شهور القبط — لبس السلطان القماش الأبيض على العادة .

وفى يوم الاثنين سابع عشره عقدَ السلطانُ عَقْدَه على بنت القاضى زين الدين عبد الباسط بن خليل ، وكان متولِّى العقد قاضى القضاة بدر الدين محمد بن عبدالمنعم الحنبلى ، وخلع السلطان عليه كامِلِيَّة بَفْروسَمُّور بعد إنجاز العقد .

وفى الجمعة حادى عشرينه سافَر زينُ الدين الأستادار إلى الوجه البحرى لحفر

بَحْر المنزلة[١] وعمل مصالح تلك النواحى على مايَزْعُم ، وسافر معه الأمير إينَال العلائى الناصرى أتَابَك العساكر ، والأمير تَنَم من عبد الرزّاق المؤيدى أمير مجلس وسبب سفرهما صحبته أن زين الدين المذكور عَرَّف السلطان / أن لهما بتلك النواحى ١٧٥ بلاداً داخلةً فى إقطاعاتهما ، وحسّنَ إلى السلطان توَجّهما معه للنظر فى مصالح بلادهما ، فإن بحر المنزلة قد آنسد[٢] فَمُه وصار فيه الرَّمل كالجبال ، فَرسَم لهما السلطان بالسفر معه فتبرما من ذلك ، فلم يقبل السلطانُ عذرهما وألزمهما بالسّفر معه ، فسافرا صحبته فى اليوم المذكور .

وفى يوم الأحد ثالث عشرينه تُوُفِّى الشيخ شمس الدين محمد الكاتب الحنفى الرُّومى .

وفى يوم الخميس سابع عشرينه آستقر صاحبُنَا القاضى بدر الدين محمد بن القَطَّان فى قضاء طَرَابُلُس ، ثم عزل بعد أيّام ورُشّحَ والده عِوَضه ، وكلاهما لم يَلِ .

وفى هذا الشهر انحطّ سِعْرُ الغِلال فَأُبيع القمح بثمانمائة درهم الإردب إلى ألف درهم ، وأبيع الفول بسبعمائة دِرْهم الإردب إلى ما دونها وإلى ما فوقها ، وهو قليل جداً ، والشعير بنحو ذلك ، وانحط سعر التّبْن فأبيع الحِمْل المحاشاة بنحو ثلثمائة دِرهم الحِمْل ، وكان وصل قبل تاريخه إلى سبعمائة درهم الحِمْل ، وأبيع الدقيق العَلاَمة بمائتين وخمسين دِرهَماً البَطَّة بعد أن وَصَلت إلى خمسمائة درهم البَطَّة، والرِّطْل الخُبْز بأربعة دراهم الرِّطل بعد ثمانية دَرَاهم الرِّطْل ، وطال مُكث هذا الغلاء بالدّيار المصرّية حتى آفتقر فيه جماعة من أهلها لطول مُكْثِ الغلاء بها .

---

(١) بحر المنزلة : هو خليج أشمون المعروف الآن بالبحر الصغير ، والمنزلة مدينة عامرة بالدقهلية قريبة من البحر الأبيض المتوسط . وانظر (على مبارك ــ الخطط ١٥ : ٧٥) .

(٢) فى الاصل « استد » .

وفى هذا الشهر أيضا ـــ والذى قبله ـــ فشا فى الناس أمراضٌ حَارَّة تَوعَّك منها خلائق لا تَدْخُل تحت حصر ، وتُوُفِّى خلائق أيضا .

وفيه أيضا وردت الأخبارُ من البلاد الشّامية بغلُوّ أسعارها إلى الغاية ، وأن القمح أبيع فيهابستمائة درهم فضة الغرارة ، ووقع الغلاءُ بها أيضا فى سائرِ المأكولات ؛ وسَبَبُ ذلك كثرة الخلائق الذين قَدِمُوا عليها من مِصْر وغيرها فارّين من الغلاء ، وأيضا من عِظَم ما وقع بها من الثُّلُوج ـــ والله الأمر .

● شهرربيع الآخر : أوّله الاثنين .

فى يوم الخميس حادى عشره وردَ على السلطان مطالعةُ الشَّريف بَرَكَات صاحب مَكَّة تتضمَّنُ بأنه وردَ عليه مِن الهِنْد الخَبَرُ بعَوْدِ الأمير تِمْرَاز المؤيّدىّ المُصَارِع من بلاد كَالِكُوت[١] إلى جهة بندر / جُدّة، وأنه آشترى بما كان معه من مال السلطان الذى أخذه من بندر جُدَّة أصنافاً من ٱلبَهَار[٢] بسبب المَتْجَر ، وأنه فى عزمه العودُ إلى طاعة السلطان .

١٧٦

وفى يوم السبت ثالث عشره وصلَ الأمير يَبْغُوت الأعرج المؤيَّدىّ إلى الديار المصرية ، وقبّل الأرض بين يدي السلطان ، وخلع عليه سلاَّرِيًّا أحمر بفَرْوسَمُّور ، ونزل مُكَرَّماً مُبَجَّلاً .

وفى يوم الاثنين خامس عشره سافر الأمير أسِنْبَاي الجمالى الظَّاهرى أحد أمراء العشرات إلى بلاد الرّوم لتولية خَوَنْدكَار محمد بن مُرَادْ بَك بن عثمان المُلْكَ بعد وفاة أبيه مُرَادْ بَك .

وفى يوم الجمعة تاسع عشره أرسل الشيخ المعتقد محمد السَّفَارِىّ المقيم بجامع عمرو بن العاصى ـــ رضى الله عنه ـــ إلى الشيخ على الطّويل المحتَسِب العجمى محتسب القاهرة بفقيرين ومعهما جَنْزِيرَين وبَاشَتين وقَالاَ له : أمَرَكَ الشيخُ

---

(١) كالكوت : ميناء على ساحل الهند الغربى ، نصف سكانها من المسلمين العرب ، زارها ابن بطوطة سنة ١٣٤٥ م (المنجد ـــ أعلام الشرق والغرب ٤٤٣) .

(٢) البهار : نبت طيب الرائحة ، ويقال له عين البقرة أو بهار البر (المنجد ص ٥١) . وهو مجموعة التوابل التى تزرع فى بلاد الهند وتستخدم فى الأطعمة .

محمد السَّفَارِيّ أن تجعل فى عُنُقِكَ هذه البَاشَة وهذا الجنزير ، وتجعل الأخرى فى عنق نائبك القاضى عز الدين فلما سمع الشيخ علّى ذلك منهما أشهد عليهما بذلك ، وطلع بهما من الغد فى يوم السبت إلى السلطان وأخبره بمقالتهما ، فأمر بهما السلطانُ فضُرِبَا بين يديه ضرباً مبرحاً على أكتافهما ، وضُرب دوادار والى مصر على مقعدِه(١) ، فإنه كان هو الذى أتى بهما إلى الشيخ على المحتسب بالأمس بأمر الشيخ محمد السَّفارى ، ثم شُهِّرَا بالقاهرة وحُبسا بحبس المَقْشَرَة ، وطلب السلطان الشيخ محمد السّفارِىّ ليُوقِع به فتوجّه إليه دَوَادَارُ الأمير جَانِبَك وَالِى القاهرة وطلبه مِنْ غَيْر إزعَاج فلم يلتفت الشيخُ محمد إليه،وسبّ السلطان وحُفِظَت عنه كلماتٌ فى حقِّ السلطان تَدُلّ على قُرْب زَوَال السلطان إن صدق ، منها أنه قال : إن السلطان يَمُوت فى يوم حادى عشرين جُمادَى الأولى من السنة ، ومن الناس من نقل عنه أنه قال : اكتُبُوا عنى ذلك ــ هذا ما قيل ــ وكثر تخبيطُ العَوامّ بل غالب الناس فى ذلك ، واختلفت الأقاويل فى أمر الشيخ محمد المذكور ، وما سيأتى أعجب .

وفى هذا الشهر أُشيع بالقاهرة أن السلطان ذكر أبا الخير النحاس بخيرٍ ، وأنه فى عزمه الإفراج عنه والرضى / عليه ، فبلغ السلطانَ ذلك فبرزَ مَرسُومُه إلى نائب طَرَسُوس بضربه مائة عصاة وهذه افتقادَةٌ منى إليه . ١٧٧

● جُمَادى الأولى : أوّله الثلاثاء .

فيه سافر الشهابى أحمد بن إينَال أحد مقدمى الألوف بالديار المصرية إلى ثغر رَشِيد(٢) بمماليكه وحَشَمِه لحفظ الثَّغر المذكور من مُفسِدِى الفِرنْج .

وفى يوم الثلاثاء ثامنه سافر الأمير بَيْغُوت المؤيّدىّ الأعرج إلى دِمَشْق ليقيم بها بَطَّالاً ، ورُتّب له بها فى كل شهر مائة دينار بَرَسْم النفقة إلى أن ينحلّ له إقطاع .

وفى يوم الجمعة حادى عشره تُوُفِّىَ الشيخُ محمد السَّفّارِى صاحب الوَاقعة

---

(١) كذا بالاصل ، والمراد مقعدته .

(٢) رشيد : مدينة غربى فرع النيل الغربى عند مصبه فى البحر . شرقى الإسكندرية وعلى مرحلة منها ، ويسمى فرع النيل باسمها (فرع رشيد) ولها تعريف مفصل فى (على مبارك ــ الخطط ١١ : ٧٥) .

مع الشيخ على المُحْتَسِب قبل تاريخه ، وهو القائل بأن السلطان الملك الظاهر جَقْمَق يَمُوت يوم حادى عشرين هذا الشهر ، فمات الشيخ محمد المذكور قبل ذلك فى يوم حادى عشر الشهر المذكور ، فهذا الأمر من الغريب لكونه يبشر بمَوْت السلطان فى يوم مُعَيّن ويموتُ هو قبله بعشرة أيّام ، ولم يظهر لكلامه بعد ذلك صِحّة ، وأغرب من هذا على ما حَكَى لى من أثق به أنّ الشيخ محمد السَّفّارِي لما قال هذا الكلام وآزْدَحم الناس على بابه لِسَمَاع هذا الكلام منه ، قال بعضُ الفقراء ممن لا يؤبه إليه : حتى يعيشَ محمدٌ السَّفّارِى إلى ذلك اليوم ، فكان كذلك ، فكان الكشف من هذا الفقير الثانى أعظم، وقد ظهر لى بموت الشيخ محمد السفارى فى هذا التاريخ شىء — وهو الصَّوَاب — وهو أن الشيخ لما طَلَبه السلطانُ لِيُوقع به-بعد أن بلغه ما وقع لفقيرَيْه من الضَّرْب والحبس والإهانة — عَظُمَ عليه ذلك وعَلِمَ بموت نفسه فى يوم حادى عشر الشهر ، فقال كلاما معناه فى اليوم الفلانى نستريح بالموت ، فتحرّف الكلامُ على مَن سَمِع قوْلَه«فى يوم حادى عشره»بيوم حادى عشرينه ، وأما بقوله«نستريح بالمَوْت»فإنه أشار بذلك إلى السلطان لا إلى نفسه ، فإن غالب الفقراء أرباب الكشف لمّا يحصل لهم نوعٌ من الكشف يقولون : يأتينا[1] الخبر عن أنفسهم ويقصدون بذلك لمن حضَرَ ، فحَمَلت العوامُّ كلامَ الشيخ على هذه القاعدة بأن الشيخ محمد لَمّا[2] قال نَمُوتُ فى اليوم الفلانىّ ما قصدَ إلا عن السلطان لكونه ضرب فقراءه ، ولم / يكن غير ذلك ، فإن الشيخ محمد السَّفّارِى كان خيِّراً دَيِّناً حسن السيرة يُقْصَدُ للزيارة — رحمه الله تعالى . ١٧٨

وفى يوم الجُمْعَة هذا ورَدَ الخبرُ من البلاد الحجازية بأن تِمْرَازَ المُصَارِع فرّ من بلاد الهِنْدِ إلى جَبَرْت مملكة السلطان سعد الدين بغير مال ، وهذا الخبرُ فيه أقوال .

وفى يوم الاثنين رابع عشره قدم الأمير قَرَاجَا العمرى من دِمَشْق إلى القاهرة ، وكان مقيما بدِمَشْق من جملة الأمراء البَطَّالين .

---

(١) فى (ت) « بلغنا الخبر عن أنفسهم » .
(٢) فى (ت) « بأن الشيخ محمد قال لَماً نموت فى اليوم ما قصد إلا عن السلطان » .

وفى يوم الأحد العشرين منه ــ ويوافقه سادس عشرين[١] بؤنة أحد شهور القبط ــ أُخِذَ قاعُ النيل فجاءت القاعدة أربعة أذرع وخمسة عشر إصبعا،وكان النيل فى هذه السنة قد آحترق احتراقا زائدا حتى خاضَ الناس مِن عِدّة مواضع من ساحل بُولاَق إلى مُنْبَابة ، وقلّ جَرَيَان الماء إلى الغاية ، وقاست الناسُ فى هذه الأيام من البلاء والشدائد والغلاء والجهد مالا مزيد عليه ، واتضع جانب أهل الديار المصرية رئيسها ووضيعها ، بل أشرفت القاهرة على الخراب ، ونزح عنها خلائق من أهلها لا تدخل تحت الحصر إلى البلاد الشامية ، وورد عليها من أهل القرى ومن الأعراب أمثالُ من خرج منها ، وكثرت الفقراء منهم بالقاهرة حتى صاروا فوجاً فوجاً فى الطرقات ، ومات منهم خلائق كثيرةٌ من شِدَّةالقحط .

● جمادى الآخرة : أوّله الخميس .

فى ثامنه بَنى السلطانُ ببنت الزِّيْنى عبد الباسط ، وفيه سافر زينُ الدين يحيى الأستادار إلى جهة المنصورة بالوجه البحرى .

وفى يوم السبت عاشره لبس القاضى شهابُ الدين أحمد بن الزّهرىّ قضاء الشافعيّة بطَرَابُلُس .

وفى يوم الأحد حادى عشره وصل ابنُ بِشَارَةَ مقدّم العَشِير بالبلاد الشَامِية وأخبر أنه طَرَقَ صُورَ عِدةُ مراكب من الفرنج تزيُد على عشرين مركبا ، وهجموا صُورَ[٢] ونَهَبُوا مَنْ بها حتى أدركهم ابنُ بِشَارة المذكور بجموعه وقاتَل الفِرنج قتالا شديداً حتى جَلاَهم عن البَلَدِ وقُتِلَ من الفريقين جماعةٌ ، وانتصرَ المسلمون ، وقبض ابنُ بشَارَة المذكور على عِدَةٍ من الفِرنج ، وقطع رءوسهم ــ ولله الحمد .

وفى يوم الاثنين ثانى عشره وَرَدَ الخبرُ بموت السيد الشريف هَلْمَان بن وَبير

---

(١) فى (ت) « سادس عشر بئونة » .

(٢) صور : مدينة مشهورة على طرفٍ بحر الشام استدار حولها كحائط على مبانيها استداره عجيبة ، بها قنطرة من عجائب الدنيا(القروينى ــ آثار البلاد وأخبار العباد ٢١٧) افتتحت فى أيام الخليفة عمر بن الخطاب (ياقوت ــ معجم البلدان ٥ : ٣٩٨) .

ابن نَخْبَار أميرِ مدينة ألْيَنْبُع فى أواخر جمادى الأولى وكان مشكور السيرة على مذهب القَوْم .

وفى الأربعاء رابع عشره / وردَ الخبرُ بأن عشر مراكب من مراكب الفِرنج هجَمَت على الطينة (١) وقاتلوا من بها وقُتِلَ من المسلمين خمسة نفر ، وقتل من الفِرنج جماعة ، ثم رجعت الفرنج بالخِزْي والهوان . ١٧٩

وفى يوم الاثنين سادس عشرينه لبس عبد العزيز بن محمد الصغير أحد الحجاب والأمير آخور شادَّ الأوقاف ، وكان السلطان قد رَسَم له بذلك قبل تاريخه بمُرّبَّعَة (٢) وباشر عبد العزيز المذكور ذلك وأمر ونهى فى أرباب الأوقاف ، وظلم وعسف لا سيما فى مباشرى مدرسة الملك الناصر حسن ؛ فإنه رسم عليهم وأبادهم ، فلما خلع عليه فى اليوم المذكور ونَزَل بخلعته إلى داره أرسل قاضى القضاة سعدُ الدين بن الدِّيرى الحنفىّ ورقةً بخطه (٣) إلى السلطان يعرِّفُه بسوء سيرته، وبما فعله فى مباشرى وقف مدرسة السلطان حسن ، ووجد بذلك من له غرض فى عزله من أعيان الدولة سبيلاً للتكلّم فيه ، فتكلّم وأمعن ، فعزله السلطانُ من وقته ، وأرسل بالطواشى مَرْجَان الحسنى الحبشى الجَمَدَار الخاص إليه بعزله ، وبأخذ الخلعة من عليه ، وبأخذ المُرَبَّعَة من يَده ، فنزل مَرْجَان إليه وٱقْتَلَعَ الخلعةَ من عليه وأخذ المُرَبَّعَة منه ، فسرّ الناسُ بعزله سُرُوراً زائداً ، وأشيع أيضا بين الناس بعزله عن إمرة حاج الرّكْب الأوّل ، وكل ما يفعله عبد العزيز هذا يكون فى الغالب بغير رِضى أبيه محمد الصغير .

وفى يوم الأربعاء ثامن عشرينه وصلَ زيُن الدين الأستادار من سَفْرَتِهِ إلى جهة المَنْصُورَة .

---

(١) الطينة : مدينة قديمة كانت موجودة بقرب الموضع الذى يبيت فيه مدينة بورسعيد على البحر الأبيض وكانت تعرف بمدينة أواريس ، ولها تعريف مفصل فى (على مبارك ـــ الخطط ١٨ : ١٣٤ ـــ ١٣٥) .

(٢) المربعة : هى مايكتبه مستوفى الديوان أو المباشرون بالديوان الخاص من المراسيم بالإطلاقات ، وتكون على ورق شامى قدر نصف فرخة مكسورة فى القطع البلدى ، ولها صيغة خاصة ، وتخرج المناشير على صورتها . وانظر (القلقشندى ـــ صبح الأعشى ٦ : ٢٠٠ ـــ ٢٠٢) .

(٣) هذا اللفظ من (ت) .

● شهر رجب: أوله الجمعة ــ ويوافقه سادس مسرى[١].

فيه نُودِى على النيل المبارك بزيادة خمسة عشر إصبعا من الذِّراع الثانى عشر ، وقد تطاول الناسُ للزيادة فى هذه السنة ، وكثر السؤال عن ذلك بحيث إن النساء قد صِرْن يسألن عن ذلك ، قلت : والناس معذورون فى كثرة السؤال عن هذا المعنى فى مثل هذه السنة ، فإن الديار المصرية قد أشْرَفَت على الخراب من عِظَم ما وقع فيها فى هذه السنين من الغلاء المتداول،والقحط المتطاول ثُمّ الشراقى العظيم ، وقد نَفَدَ ما بأيدى الناس من المتاع والأموال ، وخلت غالبُ القُرَى من أهلها ، والعالم منتظرون هذا النيل القادِم،فإنْ كان وإلا فالله تعالى يحسن العاقبة / بمحمد وآله . ١٨٠

وفى هذه الأيام انحلّ سعرُ الغلال بالديار المصرية ، فأبيع القمحُ بتسعمائة درهم الإردب إلى ما دونها ، والفول بدون ذلك بيسير ، وهو قليل الوجود جدًّا ، والشعير بخمسمائة درهم الإردب إلى ما فوقها ، وأما سائر ما يؤكل من اللحوم والأجبان فبالغُلُوّ الزائد الخارج عن الحد .

وفى يوم الثلاثاء ثانى عشره أمر السلطانُ بعزل القاضى كمال الدين بن البارِزِىّ عن كتابه السرّ ، وسبب ذلك غريبة من الغرائب ، وهو أن ورثة شمس الدين محمد الحموى ناظر القُدْس وقفوا إلى المواقف الشريفة بقصَّةٍ بسبب الشكوى علي من وضع يده على تَرِكَة شمس الدين المذكور ، فحال قراءة كاتب السرّ للقصة المذكورة أمر السلطانُ بعزله وتوجهه إلى حبس المَقْشَرَة من غير أن يَعْلم أحَدٌ ما الموجب لذلك ، فخرج كاتب السرّ لوقته وجلسَ بجامع الملك الناصر محمد بن قلاوون بقلعة الجبل فلم يطل جلوسه وإذا بالمَرْسُوم قد برز بنزوله إلى داره على أنه يزن خمسة آلاف دينار ، فنزل إلى داره معزولاً ولسان حاله يقول : ما أحسن هذا لَوْدَامَ واستمرّ . وأخذ يستعفى عن الوظيفة بكل ما تصلُ القدرة إليه فلم يُسْمَع له ذلك ، ورسم له بطلوعه ولبسه خلعة الاستمرار حسبما يأتى .

وفى يوم الخميس رابع عشره ــ ويوافقه تاسع عشر مسرى أحد شهور

(١) فى الأصل : أبيب ، وورد فى هامش اللوحة « صوابه مسرى » وهو ما يوافق ذلك ، كما فى التوفيقات الإلهامية .

القبط ــ أوْفَى النيلُ المبارك ستة عشر ذِرَاعاً ، ونُودِىَ عليه بزيادة إصبعين من الذراع السابع عشر ، فنزل المقام الفخرى عثمان من وقته فى وجوه الناس من الأمراء وأعيان الدولة إلى أن عدَّى النيلَ ، وخلَّق المقياس ، ثم عاد فى الحرّاقة[١] حتى فتح خليَج السدّ على العادة ، ثم ركب وطلع إلى القلعة ، فكان هذا اليوم من الأيّام المشهودة لعظم سُرُور الناس بوفاء النيل ، وخلَّق الناسُ بعضهم بعضا بالزَّعْفران ، وكثر حمدُ الناس وشكرهم لله تعالى على هذه المنة العظيمة ، ولله الحمد ، وما أحسن قول سبط الشيخ شرف الدين بن الفارض فى / هذا المعنى رحمه الله . [الكامل] ١٨١

يارب بالمختار من كل الوَرَى أسبل على المقياس خلعة ستره
وأَفِضْ عَلَى السدّ المبارك ماءه وٱكْسِرْهُ ربّ فَجَبْرنا فى كَسْرِه

وفيه وصل الأمير قَانَم من صَفَر خَجَا المؤيّدى المتوجّه قبل تاريخه إلى جَهَان شَاه بن قَرَا يُوسُف إلى القاهرة مريضا فى محفة .

وفى يوم الثلاثاء تاسع عشره رَسَمَ السلطان بعود النواب بالبلاد الشامية من البلاد الحَلَبِيّه إلى محل كفالتهم ، وكان لإقامتهم بالبلاد الحَلَبِيّه فوق السنة .

وفى يوم الخميس حادى عشرينه لبس القاضى كمال الدين بن البارِزِىّ كاتب السرّ خلعة الاستمرار بعد أن تمنّع من الطلوع غير مَرَّة .

وفى هذا الشهر وردَ الخبرُ من بلاد الصَّعيد بأن فى ناحية بُوتيج[٢] نخلة جافة نَبَع من رأسها ماءٌ كثيرٌ مُلِئت منه جملة أوانى،من جملتها أوانى زُجَاج جُهِّزَت إلى الأبواب الشَّرِيفة ، فَوُجِدَ الماءُ صافيا عذبا طيباً، فأمر السلطان بالاحتفاظ على الماء بالشَّراب خاناه السلطانية ، ثم وقَفْتُ بعد ذلك على كتاب نائب الوجه القبلى يذكر فُصُولاً من جملتها أن أمر النّخلة النّابع منها الماء بِبُوتيج صحيحٌ مع أنها جافَّة جدا مع كلام آخر ــ انتهى .

(١) الحراقة : نوع من السفن ترمى بالنيران على الأعداء فى البحر وتحمل الأسلحة النارية ، وقد استعملت فى العصور الوسطى فى جميع أنحاء العالم الشرقى والغربى على السواء ،ومنها نوع يستخدم فى النيل لركوب السلطان والأمراء ورجال الدولة فى الاستعراضات البحرية والحفلات (دكتوره سعاد ماهر ــ البحرية فى مصر الإسلامية ٣٣٩ ، ٣٤٠) .

(٢) بوتيج : مدينة على الشاطئ الغربى للنيل قبلى أسيوط بالصعيد الاوسط واسمها القبطى القديم« تابو توكه » وانظر (على مبارك ــ الخطط ٨ : ١٩) .

● شعبان أوّله الأحد ـــ ويوافقه آخر أيام النسى آخر السنة القبطية .

فيه كانت زيادة النيل إصبعا واحدا لتتمّة عشرة أصابع من الذراع الثامن عشر ، والأسعار إلى الآن مُتحسّنة غير أنها آنحطت قليلا بالنسبة لما مضى ، فأبيع القمحُ بتسعمائة درهم الإردب إلى ما فوقها ، والشعير بخمسمائة وخمسين درهما الإردب إلى ما دونها ، والفول بثمانمائة درهم الإردب إلى ما دونها ، وحب البرسيم بثمانية دنانير الإردب إلى ما دونها ، وآنحطّ سعر بقيّة المأكولات قليلا ، ثم بِيع الدقيقُ بمائتين وخمسين درهما البَطّة ، والخبز بثلاثة دراهم الرِّطل ، والجبن المقلى بأربعة وعشرين درهما الرّطل ، والجبن الأبيض بنيف وعشرين درهما الرطل،والعسل النحل بسبع وثلاثين درهما الرّطل ، والزيت الحار بثلاثة عشر درهما للرّطل ، والزيت الطيب بثمانية عشر درهما للرّطل ، والسيرج بأربعة وعشرين للرّطل ، واللحم الضأن فى عَظْمِهِ بأربعة عشر درهما الرِّطل ، ولحم البقر بعشرة دراهم الرِّطل ، ثم صار فى أوّل رمضان باثنى عشر درهما الرِّطل ، والسمن بأربعين درهما الرِّطل.وقس على ذلك .

وفى يوم الاثنين تاسعه وصل جَانِبَك شادّ بَنْدر جُدَّة إلى القاهرة .

١٨٢ وفى يوم الخميس / تاسع عشره وردَ الخبرُ بموت الأمير بُرْدُبَك العجمى الجَكَمِىّ نائب حَمَاة ـ كان ـــ وأحد مقدمى دمشق الآن ،وأنعَم السلطانُ بإقطاعه على الأمير بَيْغُوت المؤيّدى الأعرج نائب حَمَاة ـــ كان ـــ المقدم ذكره .

وفى يوم الجمعة عشرينه ـــ ويوافقه تاسع توت أحد شهور القبط ـــ نُودِى على النيل بزيادة إصبع واحد لتِتِمَّة تسعة أصابع من الذّراع التاسع عشر ، وكان ذلك نهاية زيادة النيل فى هذه السنة .

وفى يوم الأحد ثانى عشرينه نزل السلطان الملكُ الظّاهر من القلعة وشَقّ القاهرة حتى نظر مدرسته التى أنشأها وجدَّدها ثانيا[1] بسويقة الصّاحِب ، ثمّ عادَ ونَزَل إلى

(١) هذا اللفظ من « ت » .

بيت آبنتِهِ زوجة الأمير أُزْبُك من طَطَح السّاقى الظاهرىّ ، وأقام عندها ساعةً جيّدة بدرب الطُّنْبُذِى من سويقة الصاحب ، ثم ركب من عندها وطَلَع إلى القلعة ، وبعد ركوبه وطلوعه إلى القلعة أرسل إليه الأمير أُزْبُك المذكور بِعدّة خيول ومماليك وأصْحُن حَلْوَى كثيرة ، فقبل الحَلْوَى وردّ ما سِوَاها .

وفى يوم الاثنين ثالث عشرينه رسَم السلطانُ بتفرقة دَرَاهم الكُسْوة على المماليك السلطانية على العادة فى كل سنة لكل مملوك ألفُ درهم ، فقَعَد مقدّم المماليك الأمير مَرْجَان على سُلَّم الإيوان للتّفْرقة على العادة فى كل سنة ، وآستدعاهم كاتبُ المماليك السلطانية فامتنعوا من الأخذ ، وطلبوا الزِّيَادة ، وهَّددوا الجمالي ناظر الخَوَاص بالضَّرب وغيره ، وبلغ السلطانَ الخبرُ فغَضِب من ذلك وخرج من وقته مَاشِيا حتى وصلَ إلى الإيوان ، وجَلَس على السّلمة السّفلى بالقُرْب من الأرض ، واستدعى كاتبُ المماليكِ المماليكَ فلم يَلْتَفِت أحدٌ إلى آستدعائه ولا أخذ أحدٌ شيئاً ، وصمّمُوا على طلب الزيادة ، وصاروا عُصْبَة واحدة ، وتكرَّر استدعاءُ كاتب المماليك لهم وهم على ما هم عليه ، فلم يَسَع السلطان إلا أن دَعَا عليهم وقامَ غضبان حتى عادَ إلى الدّهيشة ، وقد حصل له بمجيئه غاية الهَوَان وشَدَّدوا المماليك على ناظر الخاص فى الطَّلَب ، وهو مقيم بالدّهيشة من القلعة إلى أن تَضَحَّى النهارُ ، فقام وهمّ بالنزول ، وأراد الرّكوب فمنعه من ذلك بعضُ أصحابه وحذَّره غاية التحذير ، فعاد إلى الدّهيشة بعد ما وصل إلى باب المُدَرَّج ، ثم نزل من / يَوْمِه وآنقطع عن الخِدْمَة حتى وقع الاتّفاق على أنه يكون لكل مملوك ألفا درهم فَرضوا بذلك ، وأخذوا النَّفقة . ١٨٣

وفى يوم الأحد تاسع عشرينه عُزِلَ عبدُ العزيز بن محمد الصغير عن إمرة حاج الركب الأوّل ، ثمّ أعيد بعد أن سَعَى فى ذلك سعيا كبيرا .

● شهر رمضان : أوّله الاثنين .

أهل هذا الشهر والناس فى أمر مَرِيجٍ من عَدم اللّحوم والغلاء المفرط فى سائر الأقوات الذى لم يُعْهَد مثله فى سالف الأعصار ، وكثرت الفقراء بالقاهرة إلى الغاية ، واتّسعت الأراضى بالرى واحتاج الفلاحون إلى التقاوى لزراعة الأراضى .

وعَزَّت الأبقار بالقاهرة وضواحيها ، حتى أبيع الزّوج البَقَر الهائل بمائة وعشرين دينارا وما دونها ، وأغرب من ذلك ما حدّثنى السّيفى إياس الخاصّكّى خازندار الأتابَك آقْبُغا التّمْرازى بحضرة الأمير أَزْبُك السّاقى وغيره من الأعيان : أنه رأى ثَوْراً هائلا يُنَادَى عليه بأربعين ألف درهم ، فاستغربتُ مقالته ، وأردت أن أسمع ما يقول غيره مِمَّن حضر حتى أثق بهذا الخبر لأكتب عنه ذلك ، فقال أُزْبُك : نعم ، وأنا سمعته يقول كذلك للمقرّ الجمالى ناظر الخاص ، فلما سمع إيَاسُ ذلك وفَهِمَ عنى أنى آستَغْرَبْتُ هذه الحكاية شرع يذكر جماعةً ممن رأى ذلك وعاينه ـــ انتهى .

قلت :وتَمَفْقَر خلائقُ مِمّن ليس لهم مروءة[1] وأخذوا فى السؤال ، واتَّضَعَ حالُ جماعةٍ ممن لَهُم شهرةٌ واسمٌ ، لِعِظَمِ القَحْط وطول مُكْثِه فى هذه السنين الثلاث ، وأُمسِك فى هذه الأيام جماعةٌ من البَيَعة ومعهم لحوم الدَّوَاب الميتة ، ولحوم الكلاب ، وشُهِّرُوا بالقاهرة ، ونُودِيَ عليهم ، وتفرغت حواصلُ الغلال التى كانت مُدخرة عند أربابها من طول مكث الغلاء ، وضاقت أعين الناس ، ولولا أن القلوب آطمأنت بَرِيِّ البلاد فى هذه السنة وإلا لكان الأمر أعظم من ذلك .

وفى يوم الخميس رابعه لبس القاضى سراج الدين عمر بن موسى الحِمْصِى الشافعى قضاءَ دِمَشْق،عوضا عَن القاضى جمال الدين يوسف البَاعُونى .

وفيه أيضاً استقرّ القاضى شهابُ الدين أحمد الزّهرى الشافعى فى قضاء حَلَب عوضاعن ابن الخَرزِىّ ـــ والخَرَزِىبفتح الخاء المعجمة والراء المهملة وكسر الزاى .

١٨٤ وفيه / ورَدَ الخبرُ بمَوْتِ الشريف أُمْيَان بن مانع الحسينى أمير المدينة النبوية ـــ على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ــ ووَلِىَ الإمْرة من بعده الشريف وَبِيرُ بن قيس ابن ثابت .

وفى يوم الخميس حادى عشره لبس الأمير ناصر الدين محمد بن مبارك نائب أَلْبِيرَة حجوبية حجّاب دِمَشْق بعد عزل جَانِبَك النّاصرى ، وتوجه إلى القُدْس بطالا ، وكان قدوم ابن مُبَارَك هذا فى أوائل هذا الشهر .

(١) فى ت : « وافتقر خلائق ممن ليس لهم ثروة » .

وفيه خَلَع السلطانُ على الأمير جَانِبَك اليَشْبُكِيّ والى القاهرة بسفره إلى الجُون[١] من بَرِّ التُّرِكِيَّة لعمارة عِدَّة مَرَاكب بِرَسْم الجِهَاد .

وفى يوم السبت العشرين منه لَبِس ابنُ مُبارك خلعة السَّفر .

وفى يوم الاثنين ثانى عشرينه سافَر الأمير جَانِبَك والى القاهرة إلى التُّرِكِيَّة ومعه عدة عمال وغيرهم .

وفى يوم الجمعة سادس عشرينه ـــ ويوافقه رابع عشرين بابه ـــ لبس السلطان القماش الصّوف الملوّن ، وألبس الأمراء مقدّمى الألوف على العادة .

وفى يوم السبت سابع عشرينه تُوُفِّى الأمير ناصر الدين محمد بن أَلْتبُغَا الحاجب الثانى بحَلَب بالقاهرة غريبا عن وطنه .

وفيه أيضا تُوُفِّى تاجُ الدين محمد بن البُلْقِينىّ الشافعى .

ومضى هذا الشهر بعد أن قاسى الناسُ فيه شدائد من غُلُوِّ الأسعار فى سائر الأقوات ، ووقع فيه أيضا غريبةٌ، وهو أن أرباب التقويم والحساب كانُوا قد أجمعوا على أنه يكون فى أوائل العشر الأخير من هذا الشهر قِرَانُ نَحْسٍ يكون فيه قَطْعٌ عظيمٌ على السلطان الملك الظاهر جَقْمَق، ثم فى أواخر العَشْر المذكورة يَكُون قِرَانٌ آخر ويستمرّ إلى يوم سلخ الشَّهْر ، وأجمعوا على وقوع مالا يُذْكَرُ ، فمضى هذا الشهر والسلطانُ فى خير وسلامة وعافية فى بدنه وحَوَاسّه ، ولازمتُه أنا فى العشر المذكورة لأرى فيه شيئا يقارب مقالة هؤلاء الكَاذِبين ليكون لهم مندوحة فى القول والعُذر ، فلم يقع له[٢] فى هذه المدة[٢] ما كدَّر عليه ، ولا تشوّش فى بدنه ولا وَرَدَ عليه ما يسوءه من الأخبار المزعجة ولا تنكَّد بسبب من الأسباب ، وقد كان شاعَ ذلك حتى لعلَّ السلطان كان قد بلغه شيء من ذلك ، وكان/ ثَمَّ من الناس من قطع وجزم بوقوع ذلك ، وفرغ الشهر ولم يقع ما قيل ، وسكن الأمر ، ويأبى الله إلا ماأراد ، فلعمرى لو كان أهل هذا الشأن آشتغلوا عوضا عن هذا الفَنِّ بصناعةٍ مِنَ الصّنّائع ١٨٥

---

(١) الجون : يراد به الخليج التركى .

(٢) هذه العبارة من ت .

والحِرَف التى تتعاناها العامةُ لكان خيرا لهم وأقوم من هذا الكَذِب المحض والاختراق فى علم الغَيْب الذى يُوقِعُهم فى مُوبِقَات الإثم ، وما أظن إلا أن هذا العلم ذهب وانقرض مع أهله كما ذهب غيرُه من علوم الأوائل ولله در القائل [البسيط]

دَعِ النجومَ لِطُرقيٍّ يعيشُ بها وبالعَزِيمة فانْهَضْ أيُّها المَـلِكُ
إنَّ النبيّ وأصحابَ النّبيِّ نُهُوا عن النجومِ وقَدْ أبصرتَ ما مَلَكُوا

● شوّال : أوّله الأربعاء .

وفى يوم الجمعة ثالثه وردَ الخبرُ بموت الأمير يَشْبُك الحمزاوىّ نائب صَفَد فى ليلة السبت سابع عشرين شهر رمضان ، وتولّى نيابة صَفَد من بعده الأميرُ بَيْغُوت المؤيّديّ الأعرج ، وأنعم بإقطاع بَيْغُوت على الناصرى محمد بن مُبَارَك المتولّى حجوبية دمَشْق ، قبل تاريخه ، وأنعم بإقطاع ابن مبارك المذكور على آقْبَاي السّيفى جَارْقُطْلُو المعزول عن نيابة سِيس ، وهى أيضا تقدمة ألف بدِمَشْق .

وفيه استقرّ خَيرْ بَك النَّوْروزِي المعزول عن نيابة غَزَّةَ قبل تاريخه فى أتابَكِيّة صَفَد .

وفى يوم السبت رابعه استقرّ القاضى بُرْهَان الدين إبراهيم السُّوبينّى الشافعى فى قضاء طَرَابُلُس ، وكان بطّالاً بدِمَشْق .

وفيه استقرّ ابنُ عامر المالكى فى قضاء المالكية بصَفَد .

وفى يوم الاثنين سادسه استقرّ الزينى سُرور الطَّرَبَائي الحبشى فى مشيخة الخُدَّام بالحَرَم النَّبوِي عوضا عن الطَّوَاشى فارس الأشرفى بحُكْم عَزْله .

وفى يوم الخميس سادس عشره أُعِيدَ القاضى حميد الدين الحنفى إلى قضاء دِمَشْق ، وصرف قِوَام الدين .

وفيه لبس القاضى جمال الدين يوسف ناظر الخـواصّ كامِلِيَّةً لفراغ الكُسْوَة المُجَهَّزة لداخل البيت الشَّرِيف .

وفى يوم السبت ثامن عشره برَزَ المحملُ إلى بركة الحاج ، وأمير المحمل

فى هذه السنة الأمير سَوِنْجْبُغَا اليُونُسِيّ الناصرى أحد أمراء العشرات ورأس نوبة ، وأمير الركب الأوّل عبدُ العزيز بن محمد الصغير أحد الأمير آخورية والحجّاب الصّغار ، وهما فى حج قليل/ إلى الغاية،وعدمُ سفر الناس إلى الحجاز فى هذه السنة والخالية لغلُوّ الأسعار وقلة الجمال . ١٨٦

وفيه وردَ الخبرُ من مكّة المشرّفة بإرسال الأمير تِمْرَاز بن بَكْتَمُر المؤيّدى المصارع،الفارّ من بندر جُدَّة قبل تاريخه خمسمائة تكرة[١] من البَهَار إلى بَنْدَر جُدَّة ، ووعد بإرسال ما بقى عنده ، وطلب تشريفاً بولاية اليَمَن ، فكتب إليه الجواب بحضوره إلى الديار المصرية أو إلى بندر جُدَّة ويلبس خلعة السلطان ، ووُعِدَ بكل خير ، من ذلك أن السلطان رَسَم بأن يُكْتَب له بأنه يحضر ويُجَرِّبنَا هذه المرّة ، قلت : والتجربة خطرٌ ، وأظنه يعرِفُ ذلك ؛ وسبب إرسال تِمْرَاز هذا البَهَار أنه لَمّا سافر من بَنْدَر جُدّة ، وركب البحر صار كُلَّمَا أتى إلى بلد ليقيم بها تستغيث تُجّار البلد إلى حاكمها ويقولون : أموالنا ببندر جُدَّة ، ومتى عرَفَ الأمير جَانِبَك مُتَوَلِّى بندر جدّة بأنه نزلَ عندنا أخذ جميعَ مالنا ، وكان السلطان قد وَلَّى الأمير جَانِبَك الظاهرىّ على عادته على بندر جُدّة لَمّا فرّ تِمْرَازُ المذكور ، ووقع ذلك لِتمْراز فى عِدَّة بلاد إلى أن بلغ سيره على ظهر البحر ستة أشهر ، فعندما عايَن الهلاكَ رَمَى بنفسه إلى مدينة كَالِكُوت ، وحاكم البلد المذكور سَامُرِي ، وأهلها أيضا سَمُرَة ، وبها تُجَّارٌ مُسْلِمُون ، فاستغاث التجارُ المسلمون بالملك السّامُرِي وقالوا له مثل مقالة غيرهم ، فأراد السّامُرِي القبضَ على تِمْرَاز بذلك فهيّأ هديةً عظيمة وأرسلها إلى السّامُرِي فَقَبِلَها ، ثم أرسل يخبرُه بمقالة التُّجار ، فقال تِمْرَازُ : نعم أخذتُ مال السلطان لأشترِيَ به للسلطان فلْفلاً ، فقال له السّامُرِي : اشتريه فى هذا الوقت ، وآشحنه فى مراكب التجار ، فاشترى الفلفل وأشحنه فى مركبين من مراكب التجار ، والباقى أشحنه فى مركب وسار تِمْرازُ وقصدَ جُدّة إلى أن وصل إلى باب[٢] المَنْدَب من

(١) التكرة : كذا فى الأصول . وهى تعنى مايسمى فى العامية بالشكارة أى الغرارة (المحقق) .

(٢) باب المندب : مضيق واصل بين البحر الأحمر وخليج عدن وبين المحيط الهندى (المنجد ـــ أعلام الشرق والغرب ٥٦) .

على اليمين عند مدينة عَدَن ، فأخذ المركبين المشحونين بالْفلفل وتوجّه بهما إلى جزيرة مقابلة الحُدَيْدَة[١] تسمّى كَمَران[٢] فحضر أكابر الحُدَيْدة إلى تِمْـرَاز المذكور وقالوا له : خذ مملكة اليَمَن ، وحَسَّنُوا له ذلك ، فمال إليهم وخرج / من المركب ونزل إلى بلدهم وأخذ معه جميع ما فى المركب ، ثم قال له أهل الحديدة: « لنا عَدُوٌّ ما نقدرُ نملكُ اليمن حتى ننتصِرَ عليه ، وبلدُ العدو تسمَى لُحيّة[٣] »، فتوجّه معهم وقاتل أهلَ لحية فقُتِل فى الوقعة . نذكره إن شاء الله تعالى فيمن مات فى آخر السنة .

١٨٧

فلما بلغ جَانِبَك موته أرْسَل أخذ جميعَ البَهَار الذى كان معه .

وفى يوم الثلاثاء حادى عشرينه سافرَ الركبُ الأوّل من الحاج ، وسافر المحمل من الغد .

وفى يوم الخميس ثالث عشرينه نفَى السلطانُ الأميرَ أَسَنْدَمُر الجَقْمقيّ أحد أمراء العشرات ورأس نَوْبَة إلى البلاد الشامية على أقبح وجه ؛ لشكوى زين الدين الأستادار عليه. فلما وقع ذلك بلغ زين الدين الأستادار تَوَعُّدُ المماليك الجُلْبَان له إن تمَّ نفىُ أَسَنْدَمُر المذكور ، فخارت طَباعُه فألحّ على السلطان فى السؤال فى عَوْد أَسَنْدَمُر المذكور على حاله .

وفى هذا الشهر أكلت الدُّودَة من القرط المزروع الأخضر مالا يَدْخُل تحت الحَصْر بسائر أقاليم مِصر، لا سيما إقليم الجيزة والبهنساوية من الوجه القبلى ؛ فإنها لم تدع فيه شيئاً إلّا أتت عليه وأعدمته عن آخره ، حتى أبيع الفدان البرسيم بعشرة دنانير ، ثم انحطّ فى آخر السنة، واحتاج الناس إلى التقاوى ثانى مَرّة مع غلُوِّ السّعر ،

---

(١) الحديدة : أهم ميناء ببلاد اليمن على ساحل البحر الأحمر لتجارة البن (المنجد ـــ أعلام الشرق والغرب ١٥٤) .

(٢) كمران : جزيرة تقع قبالة زبيد باليمن ، وبها حصن (البغدادى مراصد الاطلاع ١ : ٣٣٣) و (ياقوت ـــ معجم البلدان ٢ :١٠٢) .

(٣) فى الأصل « سحة » دون إعجام وفى النجوم الزاهرة ٧ : ط كاليفورنيا « سحية » وما هنا من « ت » وهى مرفأ واقع على الطرف الجنوبى من خليج جازان على الشاطئ الغربى للبحر الأحمر . وكان يزرع بها البن الممتاز المخصص للسلطان العثمانى (المنجد ـــ أعلام الشرق والغرب ٤٦٠) .

وأَكْلُ الدودة فى هذه السنة لم نَسْمَع بمثله ، فإن العادة إذا أكلت الدّودة زرعاً تأكل منه شيئاً وتترك أكثره بخلاف هذه السنة فإنها صارت ترعاهُ أعظم من رَعْي الجاموس والبقر ، حتى لا تدع منه العِرْقَ الواحد ، وكانت تأكل فيما تأكل الخمسين فَدَّانا والمائة فدان وأكثر وأقل ـــ فما شاء الله كان .

● ذو القعدة : أوّله الخميس .

ففى يوم الجمعة تاسعه قدم القاضى صلاح الدين خليل بن محمد بن السابق كاتب سِرِّ دِمَشْق ، وطلع إلى السلطان من الغد .

وفى يوم الاثنين ثانى عشره عزل السلطان الأمير قَانِى بَاي الحمزاوىّ عن نيابة حَلَب ؛ بسبب أنه أرسل يُعْلِمُ السلطانَ أنه بلغه من النُّوَّاب بالبلاد الشمالية أن جَهَان شَاه بن قَرَا يُوسُف يُرِيد يشتى بنواحى مَلَطْيَة ، وأنه يريد يمشى على الأمير سُلَيْمَان ابن ناصر الدين بَك بن دُلْغَادِر نائب أَبُلُسْتَيْن ، وأنه يسأل : هل / إذا طلبه سليمان المذكور يوافقه على قتال جَهَان شاه أم لا ؟ فحال ما سمع السلطانُ ذلك استشاط غضبا ورَسَم بعزله وولاية الأمير دُولاَت بَاي المحمودىّ المؤيّدىّ الدَّوَادار الكبير لنيابة حَلَب عوضه ، فامتنع دُولاَت باي وآستعفى واعترف فى الملأ بعجزه ، واعتذر بعدم أهليته لنيابة حَلَب ، فأُعْفِيَ واستمرّ قَانِى باي الحمزاوىّ على عادته . ١٨٨

وفيه نُفِىَ أَرْزَمَك اليَشْبُكى الخاصّكىّ،ثم شفع فيه فأعيد بعد أن أخرجَ السلطانُ من إقطاعه حصَّةً بناحية مَرْصَفَا لحفيده ولدِ المقام الفخرىّ عثمان ، ثم بطل ذلك أيضا .

وفى يوم الثلاثاء العشرين منه طلب السلطانُ أصحاب خَيَال الظِّلّ وحَرَق جميع ما معهم من الأشخاص المصنوعة للخيال ، وكتب عليهم قسائم بعدم عملهم الخَيَال .

وفيه رسَم السلطانُ بإبطال خدمة يوم الخميس من المَوْكب ، وقال : فى خدمة يوم الاثنن كفاية فى الجمعة ؛ فإنه كان أبطل قبل تاريخه بسنين خدمة السبت والثلاثاء

من القصر السلطانى . فبقيت الخدمة على هذا الحكم فى القصر بالكَلَفْتَاة[١] فى الجمعة يوماً واحداً وهو يوم الاثنين لا غير ، وباقى الأيام تكون الخدمة بالحوش السلطانى من غير لبس الكلفتاة ، وهذا شىء لم يُعْهَد مثلُه بل ولا سمعنا فى سالف الأعصار قبل ذلك ، ثم أبطل السلطانُ أيضا ما كان يعمل بقلعة الجبل من الزَّفَّة بالمغانى والمواصيل[٢] ، والخَليليّة[٣] عند غروب الشّمس ، وعند فتح باب القلعة فى باكِرِ النّهار ، وبعد عشاء الآخرة التى يُقال لها نَوْبَة خَاتُون ، ورَسَم لأرباب هذه الوظائف أن يمضوا إلى حال سبيلهم ، فعظم ذلك على الناس ؛ فإن هذا الفعل كان به جمالٌ فى المملكة ، وإنه كان يُعْرَفُ فتحُ باب القلعة من مسافة بعيدة لعظم الغَوْغاء من الطَّبْلَخانَاة والخلِيليَّة والمَوَاصِيل وغير ذلك ، وكان يصير بذلك أُبَّهة عظيمة زائدة ورُعْبٌ وهيبَةٌ على من لاَ لَهُ إلمامٌ بطلُوع القلعة ، فزال هذا كلّه .

وقد أبطل السلطانُ منذ تسلطن إلى يومنا هذا أشياء كثيرة من شعار المملكة بخلاف غيره من ملوك الترك ، فإنّ كل واحد من ملوك الترك المتأخرين أبطل شيئا مما فعله الملوك المتقدمة ، وأوّل من أخذ فى إبطال المحاسن الملك الظاهر بَرْقُوق، أبطل ركوبَ المَوَادِين بعد سلطنته بمُدّة / طويلة ، ثم أبطل الملك الناصر فَرَج التوجّه إلى سِرْيـاقُوس ، ثم أبطل الملكُ المؤيّد شيخ نيابة السلطنة بالديار المصرية ، ثم أبطل الملك الأشرف بَرْسبَاى زينة المراكب عند كسر البحر ، أعنى : وفاء النيل ، وأما ما أبطله السلطان الملك الظاهر جَقْمَق فكثيرٌ ، ومما أبطله خِدمَة الإيوان عند قدوم القُصّاد الغرباء إلى الديار المصرية ، وكان أمرا مهولا إلى الغاية ، رأيت أنا ذلك فى الدّولة الأشرفية غير مَرّة ، ثم أبطل نزول السلطان إلى وَسِيم ببرّ الجيزة على عادة الملوك ، ثم أبطل النزول إلى الإسطبل السلطانى للحكم بَيْن الناس فى يوم السبت والثلاثاء ، ثم التوجهّ إلى الرِّمَاية للصيد بطيور الجَوَارِح ، ثم أبطل خدمة السبت

١٨٩

(١) الكلفتاة : نوع من غطاء الرأس ، وهى الكلوتة المزركشة ، وانظرتعليق الدكتور محمد مصطفى زيادة على (المقريزى ــ السلوك ١ :٤٩٣) فقد شرح هذا المصطلح وأرجعه إلى أصوله .

(٢) المواصيل : هم المرددون للغناء ــ الكورس (الفارابى ــ الموسيقى الكبير ٢ : ١١٦٣ هامش) .

(٣) الحليلية : يفهم من العبارة أنهم جماعة تقوم بدق الطبول وما أشبه من الكوسات .

والثلاثاء بالكَلْفَتَاة بالقَصر السلطانى ، ثم أبطل سَوْق المحمل فى شهر رجب ، وكان دَوَران المحمل من محاسِن الدنيا وغرائبها ، ثم أبطل مُسَايَرة أمراء الحج فى شهر رمضان ، ثم أبطل خدمة يوم الخميس لكنه عملها بعد ذلك فى بعض الأحيان ، ثم أبطل ضرب الخليلية بباب القلعة كما ذكرناه ، وأما ما أبطله من شِعَار السلطنة فى لبسه وجلوسه وحركاته وأفعاله فكثيرٌ جداً ـــ انتهى .

وفى يوم الخميس ثانى عشرينه أمر السلطان بحبس الأمير بيبرس بن بَقَر شيخ العُرْبَان وأميرها بالشرقية بحبس المَقْشَرَة ، وحبس معه أيضا ابن شعبان شيخ العُرْبَان وأميرها بالشرقية أيضا ، ثم نقلا إلى البُرْج بعد أيام ، وقد حبسَ السلطانُ الملكُ الظاهر جَقْمَق بحبس المَقْشَرَةِ جماعةً من يوم تسلطن إلى يومنا هذا من الأعيان والعلماء والفقهاء وغيرهم زيادةً على عشرة نفر ، وهم : قاضى القضاة ولّى الدين السَّفطى الشافعى ، والقاضى بدر الدين محمود بن عبيد الله الأَرْدَبيلّى الحنفى أحد نوّاب الحكم وأعيان فقهاء الحنفية ، والقاضى محب الدين أبو البركات الهَيْتَمِى أحد نوّاب الحُكْم وفقهاء الشافعية ، والعلاّمة قِوَام الدين القُمِّى العجميّ الحنفى ، والحافظ بُرْهان الدين إبراهيم البِقَاعِىّ الشافعى ، والقاضى شهاب الدين الزِّفتَاوِىّ الشافعى أَحد نوّاب الحكم ، والقاضى شهاب الدين أحمد البَدْمَاصِىّ [1] المعروف بَقَرْقَمَاس أحد نوّاب الحنفيّة ببُولاَق والناصري محمد بن سيدّى عمر بن بكتمر الحاجب ، والقاضى شهاب/ ١٩٠ الدين أحمد بن إسحٰق الشافعى أحد نوّاب الحكم بمصر القديمة ، وبيبرس بن بَقَر ، وابن شعبان ، والقاضى عز الدين ابن قاضى القضاة جمال الدين المالكى البُسَاطى أحد نُوَّاب الحُكْم المالكية ، وأما غير الأعيان من بياض الناس فكثيرٌ ، وحبس أيضا خلائق لا تُحْصَى فى غير حَبْس المَقْشَرَة كَحبْس الدَّيْلَم والرَّحْبَة والبُرج من القلعة .

وفى ليلة الثلاثاء سابع عشرينه تُوُفِّى الأمير شهاب الدين أحمد بن على بن إينَال اليُوسُفّى أحد مقدّمى الألوف بالديار المصرية ، وأنعم بإقطاعه على الأمير تَنِبَك البُرْدْبَكّى الظاهرىّ المعزول قبل تاريخه عن حجوبيّة الحُجّاب على مالٍ يحمله إلى

(١) ورد بهامش اللوحة « حاشية : ونسى المؤلف ابن بكور أحد نواب الحكم الشافعية حبس بحبس المقشرة بعد الضرب والإشهار » .

الخزانة الشَّرِيفة على ما قِيل ، وكان تَنِبَك المذكور يتردّد إلى الخدمة السلطانية من جملة الأمراء وهو بغير إقطاع ولا وظيفة .

وفى يوم الخميس عمل السلطان الموكب لقصَّاد متملك بلاد الرّوم محمد بَك ابن مُرَادْ بَك بن عثمان .

وفى العشر الأخير من هذا الشهر قدِمَ يَلْبُغَا الجاركسىّ نائب دِمْيَاط من الثَّغر المذكور مَعْزُولاً .

وفيه تُوُفِّى الشريف إبراهيم بن حسن بن عَجْلان المكّى الحسنى بثغر دِمْياط ـــ رحمه الله تعالى .

● ذو الحجة : أوّله السبت .

فيه ورد الخبرُ من مكّة المشرفة بموت الأمير تِمْرَاز بن بَكْتَمُر المؤيدى المصارع على ما يأتى ذكره فى آخر السنة .

وفى ليلة الثلاثاء رابعه تُوُفِّى قاضى القضاة بدر الدين محمود العِينْتَابىّ الحنفى .

وفى يوم الخميس سادسه قدم الأمير أسِنْبَاي الجمالى الظاهرىّ أحد أمراء العشرات من بلاد الروم بزِىِّ الأرْوَام على عادة مَن تقدَّمه من القُصَّاد المصريين .

وفى يوم الثلاثاء حادى عشره توفى السيد الشريف المعتقد عفيف الدين أبوبكر محمد الأيكىّ العجمىّ[1] الشافعى، نزيل مكّة بمنًى بعد أن تَوَعَّك مُدَّة يسيرةً ـــ رحمه الله .

وفيه أخلعَ السلطانُ على عمر الكُرْدِىّ أحد أجناد الحلقة بالقاهرة بأستدارية السلطانُ بدِمَشْق ، وعلى يونس الدّمشقى المعروف بابن دَكْدُوك بأستدارية السلطان الكبرى بدِمَشْق ، وعمر ويونس هذان من أطراف الناس الذين / لا يُلْتَفت إليهم بالقاهرة والشام . ١٩١

(١) هذا اللفظ من « ت » .

وفى يوم الجمعة حادى عشرينه تُوُفِّى الشيخُ المعتقدُ شهاب الدين أحمد التُّرابى فجأةً ، ودفن بزاويته .

وفى يوم السبت ثانى عشرينه قدِمَ القاضى جمال الدين يوسف بن الباعونى إلى القاهرة بعد عزله عن قضاء دِمَشْق بطلب ؛ لشكوى بعض أهل دِمَشْق عليه بسبب وقف البِيمارسْتَان الدِّمَشْقِىّ وغيره .

وفى يوم الأحد ثالث عشرينه وصلَ مُبَشِّرُ الحاج الشهابىُّ أحمد ابن الأمير سَوِنْجُبْغَا اليُونُسِىّ الناصرى أمير حاج المحمل وأخبر بالأمن والسلامة وغلوّ الأسعار بمكة حتى أخبر أن الحِمْلَ الدَقيق أبيع بمكَة بثمانية وعشرين دينارا ، وقس على ذلك . هذا مع قلة الحاج المصرى إلى الغاية .

وفى يوم الاثنين رابع عشرينه لبس شرف الدين موسى[1] التَّتائى الأنصارى خلعةَ الاستمرار على عادته[1] ووظائفه بعد ما حمل شيئاً قيمته آلافُ دنانير[2] .

وفيه استقرّ منصور بن شِهْرِى فى نيابة كَرْكَر[3] .

وفى يوم الخميس سابع عشرينه وصل قاضى دمشق سراج الدين عمر الحمصى الشافعى لمحاققة ابن الباعونى المقدم ذكره .

وفيه أيضا وصل الأمير يَشْبُك من سليمان شاه الفقيه المؤيّدىّ أحد أمراء العشرات ورأس نَوْبَة من صَفَد ، المتوجّه قبل تاريخه لتقليد الأمير بَيْغُوت نائب صَفَد حسبما تقدّم .

وفى يوم السبت تاسع عشرينه عُقِدَ عند السلطان مجلسٌ بالقضاة الأربعة بالدّهيشة من القلعة بسبب قضاة دِمَشْق الباعونى والحِمْصِىّ ، فاستقر عقدُ المجلس

(١ ــ ١) هذان اللفظان من « ت » .

(٢) كذا فى الأصليں .

(٣) كركر : قلعة حصينة شاهقة على جانب الفرات الغربى ، وهى من أعظم ثغور الشام . هامش (النجوم الزاهرة ٧ : ٣٢٧ ط . دار الكتب) .

على عزل الحِمْصِىّ وإعادة الباعونى لقضاء دِمَشْق فى أوَّل الجلوس ، وأظنها كانت مُبَيَّتَةً مع السلطان .

- أمْرُ النيل فى هذه السنة :

كانت القاعدة ــ أعنى الماء القديم ــ أربعة أذرع وخمسة[١] عشر إصبعاً ، مبلغ الزيادة فى هذه السنة ثمانية عشر ذراعا وتسعة[٢] أصابع .

* * *

(١) ورد فى هامش اللوحة « حاشية : صوابه أربعة عشر إصبعا » .
(٢) ورد فى هامش اللوحة « حاشية : صوابه ثمانية » .

﴿ ذكر من مات من الأعيان فى هذه السنة ﴾

تُوُفِّى الخليفة أمير المؤمنين[١] المستكفى بالله أبو الرّبيع سليمان ابن الخليفة المتوكل على الله أبى عبد الله محمد ابن المعتصم بالله أبى بكر ابن المستكفى بالله أبى الربيع سليمان ابن الحاكم بأمر الله / أبى العباس أحمد العباسى الهاشمى[٢] فى يوم الجمعة ثانى المحرّم بعد أن مرض أيّاماً ، ولم يَعْهَد لأحدٍ من إخوته وأقاربه ، ومات وهو فى عشر الستين ، وحضر السلطانُ الصلاة عليه بمصلّاة المؤمنى ، وسار أمام الجنازة ماشيا ، إلى المشهد النفيسى حيث دُفِنَ،وتولّى حَمْلَه فى بعض الأحيان إلى أن وصل إلى المشهد النفيسى ـــ رحمه الله ـــ وكانت ولايته للخلافة بعهد من أخيه المعتضد بالله أبى الفتح داود فى العشر الأول من ربيع الآخر سنة خمس وأربعين وثمانمائة ، فأقام فى الخلافة إلى أن تُوُفِّى ، كان رئيسا ساكنا عاقلا ساكتا كثير الصمت ديِّنا خيِّراً منعزلا عن الناس ، قليل الاجتماع بهم ، وكان عدم اجتماعه بالناس لعدم إلمامه بالعلوم ، فكان ما يفعله هو الصّواب ، هذا مع العقل التام والتواضع والسّيرة الحسنة ، والعفة عن المنكرات والفروج ، والدين الغزير ، وتَوَلَّى الخلافةَ من بعده أخوه حمزة ، ولُقِّب بالقائم بأمر الله ـــ رحمه الله تعالى وعفا عنه . .

١٩٢

وتُوُفِّى القاضى جمال الدين بن هشام الحَنْبَلى[٣] أحد نوّاب الحكم الحنابلة فى العشر الأخير من المحرم ، وكان فقيها فاضلا مشكور السيرة فى دينه وأحكامه ـــ رحمه الله تعالى ، وعفا عنه .

وتُوُفِّى الرئيس مجد الدين عبد الرحمن بن الجِيعَان[٤] ناظر الخزانة الشّريفة

(١) هذان اللفظان من ت .

(٢) له ترجمة فى (النجوم الزاهرة ٧ : ٣٥٥ ، ٣٥٦ ط . كاليفورنيا) .

(٣) هو عبدالله بن محمد بن عبدالله بن يوسف بن عبدالله بن أحمد بن عبدالله بن هشام . الجمال أبو محمد ، ولد بعد التسعين وسبعمائة بالقاهرة (السخاوى ـــ الضوء اللامع ٥ : ٥٦) و (النجوم الزاهرة ٧ :٣٥٦ ط . كاليفورنيا) .

(٤) هو عبدالرحمن بن عبدالغنى بن شاكر بن ماجد بن عبدالوهاب بن يعقوب بن الجيعان (السخاوى ـــ الضوء اللامع ٤ : ٨٥) و (النجوم الزاهرة ٧ : ٣٥٦ ط . كاليفورنيا)

وكاتبها فى يوم الخميس تاسع عشرين المحرم بعد قدومه من الحجاز مريضا ـــ رحمه الله تعالى وعفا عنه .

وتُوفِّى القاضى شمس الدين محمد المعروف بابن زُبَالة الشافعى[1] المصرىّ الأصل والمولد قاضى مدينة اليَنْبُع ، ومولده بباب البحر[2] خارج القاهرة ، وكان له سمعة بتلك البلاد وصيتٌ ـــ رحمه الله تعالى .

وتُوفِّى السلطانُ مُرَادْ بَك بن محمد بَك بن عثمان[3] متملك بُرْصَـا وأدِرْنَا بُـولِى وغيرهما من ممالك الرُّوم فى سابع المحرم من السنة ببلاد الرّوم ، وتولّى المُلْكَ من بعده ابنُه محمد بن مُرَاد ، وكان خيرَ مُلُوك زمانه عقلا وحَزْماً وكرماً وشجاعة وسؤدداً ، أفنى عمره فى الجهاد فى سبيل الله تعالى ، ثم فى اللذات التى تهواها النفوس ، فكان أمره ـــ رحمه الله تعالى ـ كقول من سُئل عن دينه . فقال « أمَزِّقُه بالمعاصى وأُرَقِّعُه بالاستغفار » فعسى أن يكون من الذين قال الله تعالى فيهم ﴿ **وآخَرُون آعْتَرَفُوا بِذنُـوبِهِمْ خَلَطُوْا عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِم إنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾[4] رحمه الله تعالى وعفا عنه ، فإنه كان سِيَاجاً عن المسلمين لسدّ الثّغور ، والقيام بالجهاد ـــ تقبل الله منه ، ومات وهو فى أوائل الكهولية مُرَابطاً ، وتسلطن من بعده ولدهُ السلطان محمد وسلكَ طريق والده فى الجهاد وفتح الحصون فى البلاد . تقبَّل الله منهما .

١٩٣

وقد ذكرنا ترجمة مُرادْ بَك هذا مبسوطة مطوّلة فى تاريخنا « المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى » فلينظر هناك[5] ـــ رحمه الله .

وتُوُفِّىَ الشيخُ شمس الدين محمد بن حسّان[6] شيخ خانقاه سعيد السُّعداء

---

(١) هو محمد بن أحمد بن محمد المعروف بابن زبالة ـــ بضم ثم موحدة خفيفة ولام (السخاوى ـــ الضوء اللامع ١١ : ٢٤٩) و (النحوم الزاهرة ٧ : ٣٥٧ ط . كاليفورنيا) .

(٢) باب البحر : هو الدى يعرف بباب المقس فى نهاية السور الشمالى لمدينة القاهرة من الجهة الغربية ، ويعرف اليوم بباب الحديد . وانظر هامش المرحوم الاستاذ محمد رمزى على (النجوم الزاهرة ٧ : ١٩٦ ط دار الكتب) .

(٣) له ترحمة فى (النجوم الزاهرة ٧ : ٣٥٧ ـــ ٣٥٨ ط . كاليفورنيا) .

(٤) آية ١٠٢ من سورة التوبة .

(٥) انظر ترجمته فى (المنهل الصافى ، والدليل الشافى ـــ عليه ـــ ٢ : ٧٣١ برقم ٢٤٩٩)

(٦) هو محمد بن محمد بى على بن حسان الموصلى الأصل المقدسى ثم القاهرى الشافعى ، ويعرف بابن حسان ، ولد سنة ٨٠٠ هـ (السخاوى ـــ الضوء اللامع ٩ : ١٥٢ ـــ ١٥٤) و (النجوم الزاهرة ٧ : ٣٥٨ ط . كاليفورنيا) .

فى يوم السبت أوّل شهرربيع الأوّل ، وكان فقيها ديّنا مشكور السّيرة ، وَوَلِىَ مشيخة سعيد السعدآء من بعده الشيخ خالد ــ رحمه الله .

وتُوُفِّىَ القاضى شمس الدين محمد بن محمد بن إسماعيل الحلبى الحجازي ناظر دار الضَّرْب المعروف بابن أخت السَّخَاوِيّ[١] فى يوم الخميس ثالث عشر شهر ربيع الأوّل، وكان دَيّناً خيّرا إلا أنه كان قليل البضاعة فى العلم .

وتُوُفِّىَ الشيخ شمس الدين محمد الحنفى الرّومى الأصل والمولد ، المصرىّ الدار والوفاة المعروف بالكاتب[٢] فى يوم الأحد ثالث عشرين شهر ربيع الأوّل ، وكان شمس الدين المذكور ممن نال حظًّا فى الدنيا ، كان قد اتّصل بصحبة الملك الظاهر طَطَر ، وحَظِىَ عنده بحيث إنه لما تسلطن أنعم عليه بعشرة آلاف دينار دفعة واحدة ، ثم صار فى الدَّوْلة الأشرفية متوسّط الحال معظَّماً عند غالب أرباب الدّولة لا سيّما عند أعيان الأمراء من حواشى طَطَر ، ثم اتّصل بالملك الظاهر جَقْمَق وحَظِيَ عنده إلى الغاية ، حتى صار هو المشار إليه فى الدَّولة والمَقْصِد لأرباب الحوائج ، ونالته السعادة وأثرى ، وحصّل الكتبَ النفسية والأملاك ، وهو مع ذلك لا يبرح عن ركوب الحمار عندما يطلع إلى القلعة ، وكان لا يقتنى حمارا قط بل يَسْتَكْرِى حمارا من المُكَارِى ، واستمرّ على ذلك سنين إلى أن استفحل أمر أبى الخير النَّحَّاس فلا زال به حتى نكبه السلطانُ الملكُ الظاهر جَقْمَق،وصادره بعد أن حُبِسَ بسجن الدَّيْلَم وعُزِّرَ وتوجّه إلى السجن ماشيا حسبما تقدّم فى حوادث سنة آثنتين وخمسين ، وقطع السلطان / مَعَالِيمه من الجَوَالِى وغيرها ، وكان مُرَتّبه فى الجَوَالى يزيد على الدِّينارَيْن كلّ يوم ، ثم أفرج عنه الملك الظاهر [جقمق][٣] من حَبْس الدَّيْلَم ، ورَسَم له بلزوم داره فلزمها ، إلّا أنه صار يطلع للسلطان فى بعض الأحيان كآحاد الناس ، واستمرّ على ذلك إلى أن تُوُفِّىَ ــ رحمه الله ــ وكان يكتُبُ الخطَّ المنسوب ، ١٩٤

(١) هو محمد بن محمد بن إسماعيل بن يوسف بن عثمان بن عمار الحلبى الأصل الحجازى المدنى المولد . ويعرف بابن الحلبى وبابن أخت الغرس خليل السخاوى ، ولد سنة ٧٩٩ هـ بالمدينة (السخاوى ــ الضوء اللامع ٩ : ٥) و (النجوم الزاهرة ٧ : ٣٥٨ ط . كاليفورنيا) .

(٢) له ترجمة فى (النجوم الزاهرة ٧ : ٣٥٨ ، ٣٥٩) و (السخاوى ــ الضوء اللامع ١٠ :١٢٢) .

(٣) إضافة للتوضيح .

ويذاكر ببعض مسائل ، وله إلمام بالأدب والتاريخ بحسب الحال ، وكان شكلا مهولا طِوَالاً ذَا لحية كبيرة وعلى رأسه عمامة هائلة وقُبْع[١] كبير جدا ، إلا أنه كان يعتريه النَّزْلَة فى دماغه ، فكان يَلُفُّ على رأسه أزيد من ثوب بَعْلَبَكِّى عوضا عن الشَّاش الشمسى ، وكان قُبْعُه نحو العشرة أرطال بالمصرى ، وكان عنده معرفةٌ بصحبة الملوك ، مع عفة وعدم طمع بالنسبة إلى غيره ــ رحمه الله تعالى وعفا عنه .

وتُوُفِّى الشيخُ محمد السَّفارِىّ[٢] فى يوم الجمعة حادى عشر جمادى الأولى ، وقد تقدّمَت واقعته مع المُحْتَسِب العَجَمِىّ ، حكيناها فى حوادث شهر ربيع الآخر من هذه السنة فى هذا الكتاب ــ رحمه الله .

وتُوُفِّى السيّد الشريف هَلْمَان بن وَبِير بن نَخْبَار[٣] أمير مدينة الْيَنْبُع بها فى أواخر جُمَادى الأولى ، وهو فى أوائل الكهولية ، وكان شابا حسنا مشكور السّيرة لولا أنه على مذهب القوم ، وتَوَلَّى إمرة الْيَنْبُع من بعده أخوه سنقر ، وكانت ولاية هلمان هذا ، لإمرة الينبع بعد عزل ابن أخيه مَعْزاً بن هجّار بن وَبِير بن نَخْبَار فى سنة تسْع وأربعين وثمانمائة ، وهَلْمَان هذا هو الذى كان سَعَى فى عَوْدِ بَرَكَات بن حسن ابن عَجْلان إلى إمْرَة مكَّة لصداقة كانت بينهما .

وتُوُفِّى الأمير بُرْدْبَك العجمىّ الجكمى نائب حَماة ــ كان ــ ثم أحد مقدمى الألوف بدِمَشْق فى أوائل شهر رجب ، وكان مشكور السّيرة ، كان أصله من مماليك الأمير جَكَم من عَوَض المتغلِّب على حَلَب ، ثم تنقَّل فى الخِدَمَ من بعده حتى وَلِى عِدَّة ولايات فى دُوَلٍ عديدة ، ثم وَلِىَ حجوبية حجّاب حَلَب فى الدولة الأشرفية بَرْسْبَاي ، ودام على ذلك حتى نقله الملك الظاهر جَقْمَق إلى نيابة حَمَاة بعد عِصْيَان الأمير تَغْرِى بَرْمُش نائب حَلَب فى سنة ٱثنتين وأربعين وثمانمائة ، فاستمر فى نيابة حَمَاة إلى أن عُزِل عنها بعد أن / وقع بينه وبين أهلها وقعةٌ هائلة قُتِلَ فيها جماعةٌ ، ١٩٥

(١) القُبع : كان قبع أمراء الأحناد طاقية تلبس تحت الخوذة ، وقبع رجال الدين طاقية صغيرة تلبس تحت العمامة وربما لبس العامة القبع دون استعمال أى شئ آخر معه (ماير ــ الملابس المملوكية ترجمة الاستاذ صالح الشيتى . مخطوط ص ٩٢) .

(٢) له ترجمة فى (النجوم الزاهرة ٧ : ٣٥٩ ، ٣٦٠ ط . كاليفورنيا) .

(٣) له ترجمة فى (النجوم الزاهرة ٧ : ٣٦٠ ط . كاليفورنيا) .

وخرج بُرْدْبَك عن طاعة السّلطان مُدَّة ثم عاد إلى حماة ، وقدم إلى الدّيار المصرية ، وقبض عليه السلطان وحبسه بسجن الإسكندرية فى حدود سنة سبع وأربعين إلى أن أفرج عنه فى سنة ثلاث وخمسين ، ونقله إلى ثَغْر دِمْيَاط فدام بالثغر بَطَّالا مُدّة ، وطُلِبَ إلى القاهرة وأنعم عليه بإمْرَة مائة وتقدمة ألف بدِمَشْق عوضا عن يَشْبُك النَّوْرُوزِىّ حاجب حجّاب دِمَشْق المُنْتَقِل إلى نيابة طَرَابُلُس فى سنة ثلاث وخمسين ، ورَسَمَ له أيضا بأن يتوجّه أمير حاج محمل دِمَشْق فى السنة المذكورة ، فتوجّه إلى دِمَشْق وحَجَّ وعاد ، ودام بها حتى تُوُفِّى فى التاريخ المذكور ــ رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّى السيّد الشريفُ أمْيَان بن مانع الحُسَيْنى [١] المدنى أمير المدينة الشريفة ــ على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ــ فى جمادى الآخرة بالمدينة الشريفة وتَوَلَّى الإمْرَة من بعده الشريفُ زُبَيْرِىّ بن قَيْس بن ثابت ــ رحمه الله تعالى ، وعفا عنه .

وتُوُفِّى الأمير ناصر الدين محمد المعروف بابن أَلْيَبُغَا [٢] الحاجب الثانى بحَلَب فى يوم السبت سابع عشرين شهر رمضان بالقاهرة غريباً عن وطنه وعياله ، وكان مشكور السّيرة ، وله ثَرْوَة وأملاك ، على أنه كان دخيلا فى الرئاسة والسّعادة ــ رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّى القاضى تاج الدين محمد ابن قاضى القضاة جلال الدين بن عبد الرحمن ابن شيخ الإسلام سراج الدين عمر البُلْقِينِى [٣] الشافعى فى يوم السبت سابع عشرين شهر رمضان ، ودُفِن من الغد عن ثمان وستين سنة ، وكان نائبا عن أبيه فى الحكم بالقاهرة وغيرها ، وتولّى قضاء العسكر ، ثم تركَ نيابة الحُكْم بآخرةٍ إلى أن تُوُفِّى ، وكان قليل البضاعة فى العلم ، وخلّف مالا كثيرا وعدَّة أولاد ذكور وإناث ، وكان من البخل على أمر عظيم ، حتى إنه كان يبخل حتى على نفسه ، ولما مات والده

---

(١) له ترجمة فى (النجوم الزاهرة ٧ : ٣٦٠ ط . كاليفورنيا) .

(٢) له ترجمة فى (النجوم الزاهرة ٧ : ٣٦١ ط . كاليفورنيا) .

(٣) ولد تاج الدين هذا فى سنة ٧٨٧ هـ بالقاهرة ، وله ترجمة وافية فى (السخاوى ــ الضوء اللامع ٩ : ٢٩٤) وفى (النجوم الزاهرة ٧ : ٣٦١ ط ــ كاليفورنيا) .

قاضى القضاة جلال الدين فى سنة أربع وعشرين وثمانمائة وبلغ موتُه الحافظَ شهاب الدين بن حجر وكان إذ ذاك بمكّة مجاوراً ، فقال : [السريع]

مات جلال الدين قالوا آبْنُهُ يَخْلُفُه أو فالأخ الراجحُ

١٩٦ فَقُلْتُ تَاجُ الدينِ لاَ لاَئقٌ لِمَنْصِبِ الحُكْمِ وَلا صَالِحُ

قلتُ : أرادَ بصالح التَّوْرِيَة بقاضى القضاةِ عَلَمِ الدين صَالِح أخيه ـــ رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّى الأميرُ يَشْبُك الحَمْزَاوِىّ[١] نائبُ صَفَد بها فى ليلة السبت سابع عشرين شهر رمضان ، ويَشْبُك هذا أصلُه من مماليك سُودُون الحَمْزَاوِىّ الظَّاهرى الداوادار الكَبِير فى الدَّولة النّاصرية فَرَج ، وتنقَّل مملوكُهُ يَشْبُك هذا من بعده فى الخِدْمَةِ حتى وَلِىَ دَوَادَاريَّة السُّلْطَان بَحَلَب فى الدولة الظَّاهِريَّة جَقْمَق ، ودَامَ فيها سِنين إلى أن نُقِل إلى نيابة غَزَّة بعد عزل الأمير خَطَط عنها فى سنة إحدى وخمسين تقريبا ، ثم نُقلَ إلى نيابة صَفَد ، وبها تُوُفِّى ، وتَوَلَّى من بعده الأمير بَيْغُوتُ الأعْرجُ المؤيدى نائباً ، وكان يَشْبُك المذكورُ مشكور السِّيرة ـــ رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّى الأميرُ شهابُ الدين أحمد ابن الأمير علاء الدين على بن الأتابَك إينَال اليُوسُفِى[٢] أحدُ مقدّمى الألوف بالدّيار المصرّية فى ليلة الثلاثاء سابع عشرين ذى القعدة ، ودُفِنَ من الغد بتربة جده الأتَابَك إينال[٣] ، ومشى الأعيانُ فى جنازته ، من داره بالقرب من مدرسة سُودُون مِن زَادَة إلى مُصَلاَّة المُؤْمِنّى . وحضر السلطانُ الصلاة عليه ،والأمير علىّ والد الشهابى أحمد هذا هو أستاذ الملك الظاهر جَقْمَق وإليه ينتسب بالعلائى ، وبهذا المُقْتَضى صار الشهابى أحمد أمير مائة مقدم ألف بالدّيار المصرية ، وكان أميرا ضَخْماً عاقلا ، رئيسا ديّناً ، عارفا بأنواع الفروسيّة ، وله محبة فى الفقراء وأهل الصلاح ، وكان سمينا جدا لا يحمله إلا الجياد من الخيل ، وحسنت

(١) له ترجمة فى (النجوم الزاهرة ٧ : ٣٦٢ ط . كاليفورنيا) .

(٢) له ترجمة فى (النجوم الزاهرة ٧ : ٣٦٢ ط . كاليفورنيا) .

(٣) تربة إينال : أنشأها الأمير الكبير سيف الدين إينال بن عبدالله اليوسفى اليلبغاوى أتابك العساكر بالديار المصرية والمتوفى سنة ٧٩٤ هـ (النجوم الزاهرة ١٢ : ١٢٨ ، ١٢٩ ط دار الكتب) وتقع فى شارع السروجية وقد أنشئت سنة ٧٩٥ هـ (على مبارك ـــ الخطط ٢ : ٣٤) وتعرف حاليا بالجامع الإبراهيمى .

حاله بأَخَرَةٍ ، وتفقّه قليلا ، وصَحِبَ الفقراءَ ، وهو الذى ساعد الشيخ إبراهيم المتبولى فى بنائه ببِرْكَة الحاجّ السبيلَ والبستانَ وغير ذلك ، وخلف عدّة أولاد ذكور وإناث ـــ رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّى السيّدُ الشريف إبراهيم بن حسن بن عَجْلاَن المكّى الحسنى [١] بثغر دِمْيَاط فى ذى القعدة ، وكان الملك الظاهر جَقْمَق قَبَض عليه وعلى أخيه الشّريف علىّ ، وحبسهما بالبُرْج من القلعة مدّةً ، ثم نقلهما إلى حَبْس الإسكندرية فحُبِسَا بها مُدَّة ، ثم أفرج عنهما ووجّههما إلى ثغر دِمْيَاط فَدَامَا به إلى أن تُوُفِّى الشريفُ / علىٌّ ١٩٧ فى سنة ثلاث وخمسين ، ثم تُوُفِّى إبراهيم هذا فى التاريخ المذكور ـــ رحمهما الله تعالى .

وتُوُفِّى تِمْراز البَكْتَمُرِىّ المؤيّدىّ المُصارِع [٢] قتيلا بالحُدَيْدة من بلاد اليمَنَ فى خامس عشرين شهر رمضان من السنة ، وأصل تِمْرَاز هذا من مماليك المؤيّد شَيْخ ، ثم صار بعد موته فى خدمة الأمير تَنِبَك العلائى نائب الشام المعروف ببِيِق ، ثم صار بعد موت تَنِبَك خاصّكيّا فى الدّولة الأشرفية بَرْسْبَاى ، ثم بقِىَ من جُمْلة الدَّوَاداريّة فى الدّولة العَزِيزِيّة يُوسف إلى أن ندبه الملكُ الظّاهر جَقْمَق إلى شَدّ بَنْدَر جُدّة بالبلاد الحجازية-أولى وثانية- وفى الثانية أُنْعِم عليه بإمرة عشرة بعد موت آقْبَردِى المُظَفَّرِي بمكّة ، ثمّ قَدِمَ القاهرة ودام بها سنين إلى أن وَلِىَ نيابة القُدْسِ بسَعْى فلم ينتج أمره ، وعُزِلَ ونفى إلى دمشق ، ثم قدم إلى القاهرة وولى القدس ثانيا ، وعزل أيضاً بعد مُدّةٍ يسيرة، وأُخرِجَ إقطاعُه بالقاهرة وصار بَطَّالا بلا إقطاع مُدَّةً طويلة،إلى أن ندبه السلطانُ إلى مُشِدّ بندر جُدَّة ثالثا فى سنة ثلاث وخمسين ، فتوجّه إلى البندر المذكور وباشره إلى أن انتهى أمْرُه بأن بَدَالهُ أَنْ يَأْخُذَ ما تحصّل له من البَنْدر ، وما تحصل للسلطان ويتوجّه إلى اليمن أو إلى حيث شاء ، فابتاع له مركبا وأشْحَنَها بالأَزْوِدَةِ وآلات الحَرْب على أن يركب فيها إلى جهة الدِّيار المصرية ، وأَخْفَى ذلك عن الناس حتى حوَّلَ جميعَ ما معه إلى المركب ، ثم نَزَلَ هو فيها وسافر إلى جهة اليَمن ،

---

(١) له ترجمة فى (النجوم الزاهرة ٧ : ٣٦٣ ط . كاليفورنيا)

(٢) هو تمراز بن عبدالله من بكتمر المؤيدى المصارع شاد بندر جدة (النجوم الزاهرة ٧ : ٣٦٣ ط . كاليفورنيا) .

ثم بَدَا له بعد ذلك أمورٌ وتوجَّه إلى الهند ، ووقع له مِحَنٌ وقَاسَى أهوالا ، وآل أمْرُهُ إلى أن جاء إلى اليمن ونزل بالحُدَيْدَة ، فأكرمه شيخُها وأنزله عنده ، واستفحل أمْرُ تِمْرَاز بشيخ الحُدَيْدة ، واستَفْحلَ أمر شيخ الحُدَيْدَة بِتِمْرَاز وأرسل تِمْرَازُ إلى الملك الظاهر بنحو خمسمائة تكرة من البهار ، ووعده بإرسال مابقى عنده من مال السّلطان ، وطلَبَ من السّلطان خِلْعَةً بولاية اليمن، فوعده السلطانُ بالخِلْعة إن قدِمَ إلى الديار المصرية أو إلى بندر جُدَّة ، فبينما هو فى ذلك إذ تَحَرَّك شيخُ الحُدَيْدَة على أعدائه ببيوت[١] حسين وقاتلهم ، فركب معه تِمْرَازُ هذا بمن معه وٱقْتَتَل الفريقان أشدّ قتال ، فقتل تِمْرَاز هذا فى المعركة وقُتِلَ / معه شيخ الحُدَيْدَة ، وقُتِلَ من عسكرهما نحو خمسين نفرا ، فقتل من الجند أصحاب تِمْرَاز نحو العشرة ، والباقون من الأعراب ، وأُخِذَ ما معه وحُمِلَ إلى بندر جُدَّة ، فَسُرَّ السلطانُ بقتله ، وقد حكينا أمره وشراءه المركب المروَّس ، وكيف وقع[٢] له فى ركوب البحر إلى أن عاد وقُتِلَ ، كل ذلك فى هذا الكتاب فى حوادث السنة ، وكان رأسا فى الصِّرَاع مع شجاعة وإقدام وحِدَّةٍ وبَطْش ، مع خِفَّةٍ وسُوءِ خُلق ، وكان أشقر ضخما للطُّول أقرب ـــ رحمه الله تعالى .

١٩٨

وتُوُفِّى قاضى القضاة شيخُ الإسلام بدر الدين محمود بن القاضى شهاب الدين أحمد العِينتَابى[٣] الحنفى قاضى قضاة الديار المصرية وعالمها ومؤرِّخُها فى ليلة الثلاثاء رابع ذى الحجة ، ودُفِنَ من الغد بمدرسته[٤] التى أنشأها تجاه دارِهِ بالقرب من جامع الأزهر ، وكان مولده فى سنة اثنتين وستين وسبعمائة بعَيْنتَاب ، وكان إماما عالما فقيها نحويًّا لُغَوِيًّا مُؤرِخًا صاحب تصانيف مُفيدة ، أفتى ودرّس سنين ، وتَوَلَّى حِسْبَة القَاهِرَة من أوائل القَرْن إلى سنة سَبْع وأربعين وثمانمائة على أنه عُزِلَ مِنها غَيْرَ

---

(١) بيوت حسين : هى أبيات حسين ، وهى قرية من نواحى سردد باليمن اشتهرت بأنها مركز للفقهاء والعلماء . هامش الدكتور سعيد عاشور على (غاية الامانى فى أخبار القطر اليمانى ٢ : ٥٥٨) .

(٢) هذا اللفظ من ت .

(٣) هو أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى . بدر الدين بن القاضى شهاب الدين العينى ، ولد سنة ٧٦٢ هـ بعينتاب ، وانظر مقدمة المحقق لكتاب السيف المهند فى سيرة الملك المؤيد .

(٤) مدرسة البدر العينى : وتسمى البدرية والعينية ، وتقع برأس حارة الدواداري بخط الجامع الأزهر . أنشئت سنة ٨١٤ هـ ، وكان بها مساكن علوية وسفلية موقوفة على طلبة العلم (على مبارك ـــ الخطط ٦ : ١٠) .

مَرَّة ، وتولَّى قضاءَ القُضَاة بالدّيار المصرية مَرَّتَيْن ، وأقام فى ذلك سنين ، وكان عارفا باللّغة التركية ، محظوظا عند الملوك لا سيما خصوصيته بالملك الأشرف بَرْسْبَاي فإنها كانت إلى الغاية ، وكان ينادم الأشرف ويقرأ عليه ما خَطَر بباله من التاريخ ويفسِّرُهُ له باللّغة التركيّة ، ثم رَكَضَت ريحُه بعدَ مَوْت الأشْرف ، وعُزِلَ عن القضاء بشيخ الإسلام سعد الدين بن الديرى ، ولزم داره حتى كبر ومات فى التاريخ المذكور ، رحمه الله تعالى وعفا عنه .

وتُوُفِّى الشيخُ المعتقد الصالح أحمد التُّرَابِيُّ [١] فجأة فى يوم الجمعة حادى عشر ذى الحجّة ، ودُفِن بزاويته من الغد تجاه تربة الإسنوى خارج باب النصر ، وكان رجلا صالحا ديِّناً خيِّراً ، وكان بيننا صُحْبةٌ ومحبَّةٌ ، ولِي فيه اعتقاد ــ رحمه الله .

* * *

(١) له ترجمة فى (السخاوى ــ الضوء اللامع ٢ : ٢٦) و (النجوم الزاهرة ٧ : ٣٦٦ ، ٣٦٧ ط . كاليفورنيا) .

﴿ سنة ستّ وخمسين وثمانمائة ﴾

١٩٩ أهلّتْ هذه السنة / وسلطانُ الديار المصرية الملك الظّاهر أبو سعيد جَقْمَق العلاَئى الظاهِرِىّ .

والخليفةُ القائم بأمر الله أبو البقاء حمزة ، وَلِيَهَا بعد موْتِ أخيه المُسْتَكْفى بالله أبى الرّبيع سليمان .

وباقى أرباب الدّولة من القُضَاة والنُّوّاب وأرباب الوظائف على حالهم كما قدمناه فيما مضى ، خلا نائب صَفَد فإنه الأمير بَيْغُوت المُؤَيّدىّ ، وليها بعد موت الأمير يَشْبُك الحمزاوىّ ، وتَغَيَّر أيضا من مُلُوكِ الأقطار محمد بن مُرَاد بَك بن عثمان ، وَلِىَ مملكة الرُّوم بعد موت أبيه مُرَاد بك حسبما تقدم ذكره .

● المحرم : أوّله الاثنين .

فيه أعيد قاضى القضاة جمال الدين يوسف بن البَاعُونِى الشافعى إلى قضاء دِمَشْق بعد عزل قاضى القضاة سراج الدين عمر بن موسى الحِمْصِى .

وفيه تُوُفِّىَ الشيخ علاء الدين ابن قُطْب الدين أحمد القلقشندى الشافعى أحد علماء الدّيار المصرية ، ودُفِنَ من الغد يوم الثلاثاء ثانيه ـــ رحمه الله .

وفى يوم الاثنين ثامنه وصل محبُّ الدين محمد بن الشِّحْنَة قاضى قضاة حَلَب وكاتب سِرِّها إلى القاهرة ، وطلع من الغد إلى السلطان ، وخلع عليه كاملية بسَمُّور .

وفى يوم الاثنين خامس عشره خَلَع السلطانُ على القاضى جمال الدين يوسف ابن الباعونى كاملية السَّفَر .

وفى يوم الثلاثاء سادس عشره لبس القاضى صلاح الدين خليل بن محمد بن السابق ، كاتب سِرِّ دِمَشْق خِلْعَةَ السَّفر .

وفى يوم السبت العشرين منه نَفى السلطانُ السّيفىَّ دُقْمَاق اليَشْبُكِىّ إلى البلاد الشّاميّة ، وأنعم بإقطاعه على حفيده ولد المقام الفخرى عثمان .

وفى يوم الاثنين ثانى عشرينه وصَل ركبُ الحاجِّ الأوّل وأميرُه عبد العزيز ابن محمد الصغير ، ثم وصل المحملُ من الغَدِ فى يوم الثلاثاء صُحْبَةَ أميرِ الحاجّ الأمير سَوِنْجْبُغَا اليُونُسِىّ الناصرى أحد أمراء العشرات ورأس نوبة .

وفيه سافر جَانبك الظاهِرىّ شَادّ بندر جُدَّةَ إلى البلاد الحجازية .

وفى يوم الأربعاء رابع عشرينه وُلد للأمير أُزْبُك من طَطَح الظَّاهِرىّ السّاقِي ولد من بنت السّلطان الملك الظاهر جَقْمَق وسُمِّى محمدا ، وتفرّقت حواشيه لبشارة الأعيان .

وفى يوم الاثنين تاسع عشرينه وصل قُصَّادُبِيرْ بُضَغْ بن جهان شاه بن قَرَا يوسف إلى القاهرة ـــ وپير بُضَغْ بكسر باء العجم وهى خلاف الباء المعروفة الموحدة وبعدها ياء مثنَّاة من تحت وراء مهملة ساكنتين،وبُضَغْ بضمّ الباء ثانية الحروف وفتح الضاد المعجمة وسكون الغين المعجمة ـــ انتهى .

وفى هذا الشهر فَشَا الموتُ بالقاهرة كثيراً بغير طاعون ، وعَظُمَ ذلك عندما تنقلت الشمس إلى بُرْج الحُوت .

وفيه أيضا آنحلَّت الأسعار فأُبِيعَ القمح بثمانمائة / درهم الإردب إلى ما دونها ، والفول بخمسمائة درهم الإردب إلى ما دونها ، والشَّعير بأربعمائة درهم الإردب إلى ما دونها ، وهم فى انحطاط ولله الحمد ، والدَّقيق العلامة [١] بمائتين وثلاثين درهما البَطَّة إلى ما دونها ، والخبز بأربعة دراهم الرِّطْل ، والجُبْن المَقْلِىّ بستة عشر درهما الرِّطْل ، وقِسْ على هذا جميعَ ما تَقَدَّم فى السنة [٢] الخالية .

٢٠٠

● صفر : أوّله الأربعاء .

---

(١) الدقيق العلامة : هو دقيق القمح المنخول النقى .

(٢) فى ت (هذه السنة) .

فيه تزايدت الأمراض الحارَّة بالقاهرة ، وتُوُفِّىَ جماعةٌ كثيرةٌ من الناس .

وفى يوم الخميس ثانية طَلَع قُصَّادُ پِيرْ بُضَغْ بن جهان شاه إلى القلعة بهدية مُرْسِلِهم إلى السلطان ، والهدّية بغلةٌ هائلة وبعض سلاح وقماش حرير ، فقرئ كتابُه وقُبِلَت هديته ، وأَنْعَمَ السلطانُ بالبغلة على الصاحب أمين الدين إبراهيم بن الهَيْصَم .

وفى يوم الاثنين سادسه استعفى الأميرُ أَلْطُنْبُغَا الظَّاهِرىّ بَرْقُوق اللَّفَاف أحد مقدّمى الألوف بالدِّيَار المصريّة لضَعفِ بَدَنِهِ عن الحركة ، وأُنْعِمَ بإقطاعِه وتقدمتِهِ على المقام الفخرى عثمان ولد المقام الشريف زِيَادَةً على ما بيد الفَخْرِىّ عثمان من تقدمة أخيه المقام الناصرى محمد ابن الملك الظاهر جَقْمَق المنعم بها عليه بعد مَوْتِ أخيه المذكور فى سنة سبْع وأربعين وثمانمائة .

وفى يوم الأحد تاسع عشره تُوُفِّىَ الإمامُ العالمُ ناصر الدين محمد ابن كُزُلْبُغَا الإمام بالمدرسة الأشرفية [١] بَرْسْبَاى .

وفى يوم الأحد سادس عشرينه تُوُفِّىَ عظيمُ الدَّولة وعالمها ورئيسها القاضى كمال الدين أبو المعالى محمد ابن القاضى ناصر الدين أبى المعالى محمد بن البَارِزِىّ الحَمَوِىّ الأصل والمولد الجُهَنِىّ الشافعى كاتب السِّرِّ الشريف .

● شهر ربيع الأوّل : أوّله الخميس .

فيه لَبس القاضى محبّ الدين بن الأشقر ناظر الجيوش المنصورة كامِلِيةً بسَمُّور باستمراره على وظيفة نَظَر الجَيْش .

وفى يوم الجمعة ثانيه حَضَرَ المقامُ الفخرى عثمانُ ولدُ المقام الشريف صلاة الجمعة عند والده بجامع الملك النَّاصر محمد بن قلاوون بالقلعة بالكَلَفْتَاة والقماش، ورسم له أن يُمْشِى [٢] الخدمة الشريفة على عادة أولاد السَّلاطين .

---

(١) المدرسة الأشرفية برسباى : أنشأها الأشرف أثناء سلطنته فى الفترة من ٨٢٥ هـ إلى ٨٤١ هـ (على مبارك — الخطط ١ : ٤٤) .

(٢) يمشى الخدمة : أى يشرف على خدمة الإيوان الدورية .

وفى يوم الاثنين خامسه تُوُفِّى الشيخُ زَيْنُ الدين طاهر بن محمد بن على النُّوَيْرِىّ المالكى .

وفى يوم الخميس ثامنه آستقرّ القاضى محبُّ الدين بن الأشقر ناظرُ الجيش فى كتابة السِّرِّ عِوَضاً عن القاضى كمال الدين محمد بن / البازِرِىّ بعد موته ، واستقرّ الصاحبُ جمال الدين ناظر الخواصّ فى وظيفة نظر الجيوش المنصورة مُضَافاً إلى ما بيده من نظر الخاص ، عِوَضاً عن القاضى محبّ الدين بن الأشقر بحُكْم انْتِقَالِهِ إلى وظيفة كتابة السِّرّ ، ونزلا إلى دورهما وبين يديهما وجوه الدَّولة . ٢٠١

وفى يوم الأحد حادى عشره تُوُفِّى شهابُ الدين أحمد بن يعقوب نقيب القاضى الشَّافِعِىّ ، وكان مشكورَ السيرة .

وفى يوم الاثنين ثانى عشره تُوُفِّى قانْصُوَه المُصَارِع الأَشْرَفِىّ ، وكان من الأفراد .

وفيه عمل السلطان المولد النبوىّ على العَادة فى كلّ سنة .

وفى يوم الأربعاء [رابع عشره][1] تُوُفِّى بدرُ الدين محمد بن فتح الدين صدقَة المحرّقى .

وفى يوم الخميس خامس عشره لبس[2] القاضى محبّ الدين بن الأشقر كاتب السِّرّ باستقراره فى الأنظار المتعلقة بوظيفة كتابة السِّرّ .

قلتُ : وكان أُخِذَ من القاضى محبّ الدين المذكور جميعُ تَعَلُّقَات كُتَّابِ السِّرّ من قبله كالحمايات[3] والمُسْتَأْجَرَات[4] إلى ديوان الذخيرة[5] ولبسه للوظيفة بالاسم[6] لا غير .

---

(١) إضافة يقتضيها السياق .

(٢) أى عين فى الوظيفة ولبس خلعتها .

(٣) الحمايات : هى المغارم التى يفرضها السلطان أو الأمراء المقطعون على العقارات والأراضى ونحوهما نظير مايقومون به من حماية الشخص الذى يدفع المقرر ، واعتبرت من أبواب الإيرادات . ولها ديوان خاص (دكتور إبراهيم على طرخان ـــ النظم الإقطاعية ٤٧٩) .

(٤) المستأجرات : هى الأراضى المؤجرة للاستغلال وعليها قدر معلوم محدد نظير هذا الاستغلال لزرعة أو لعام . وبلغت أجرة الفدان من ٤٠ درهما إلى مائتين ووصلت إلى ٦٠٠ بعد سنة ٨٠٠ هـ (دكتور إبراهيم طرخان ـــ النظم الإقطاعية ٢٣٩ ، ٢٤٠) .

(٥) ديوان الذخيرة : ويتبعه بعض الموارد التى تنفق على المقطعين من الجنود .

(٦) أى دون أن يمسح إقطاع الوظيفة .

وفى يوم السبت سابع عشره نُودِىَ بالقاهرة[١] على الذّهب الظاهرىّ كل دينار بمائتى درهم وخمسة وثمانين درهما ، وهُدِّدَ من زاد فى صرفه على ذلك .

وفى يوم الأحد ثامن عشره تُوُفِّىَ أبو بكر المصارع أحد من أنشأه الملكُ الظاهر [جقمق][٢] من أولاد النّاس .

وفى يوم الاثنين تاسع عشره كان أوّل خمسين النصارى .

وفى يوم الثلاثاء عشرينه طلبَ شرفُ الدين موسى التّتّائى الأنصارى ناظرُ الجوالى نصارَى القاهِرَة لأنه بَلَغَهُ أنّهم يشترون الجَوَارِى المُسْلمَات وَيُنَصِّرُونهن ، فأمرهم بإحضار ما عندهم من الجَوَارِى لينْظُر فى أمرهن ؛ فإن وجدها مسلمةً كانت فى الأصل،أو الذى سباها من بلادها كان مسلما رَدَّهَا إلى الإسلام ، وأمر صاحبها بِبَيْعِهَا ، فاسْتَوْلَى عَلَى جماعةٍ منهن وهو فى تَتَبُّعِ ذلك .

قلت : ولا بأس بهذه الفعلة الصالحة ، بل ينبغى لكلّ مسلم أن يَفْحَص عن مثل هذه القضيَّة ، ويُنِمّ بها إلى الحكام ، ولو شَقَّ ذلك على أعيان الدَّولة من الأقباط ـــ قبَّحهم الله تعالى .

٢٠٢ وبعد / الخماسين تناقص الموتُ قليلا ، وانحطَّت الأسعارُ كثيرا .

وفى يوم الجمعة سلخه ـــ ويوافقه سادس عشرين بَرْمُودَة ـــ لبس السلطانُ القماشَ الأبيض على العادة فى كلِّ سنة .

● شهر ربيع الآخر : أوّله السبت .

استهلّ هذا الشهر والموت فاشٍ فى النّاسِ ، لكن بغير طاعون ، وأما الضَّعف فكثير جدا .

وفيه انحطَّ سِعْرُ الغِلاَل فأبيع القمحُ بأربعمائة درهم الإردب إلى ما دونها

---

(١) فى ت « توفى بالقاهرة أبوبكر المصارع أحد من انشأه الملك الظاهر من الأوباش » هذا وستأتى وفاته يوم الأحد القادم .

(٢) الإضافة للتوضيح .

وفوقها ، والفولُ بثلاثمائة درهم الإردب إلى ما دونها ، والشّعِيرُ بمائتى الإردب إلى ما دونها ، والرطل الخبزُ بدرهمين ــ ولله الحمد .

وفى يوم السبت مستهله تُوُفِّى الشيخُ وَلِىّ الدين الرُّومىّ الحنفى نزيل جامع الأزهر ، وكان للناس فيه آعتقاد .

وفى يوم الاثنين ثالثه آستقر الشريفُ مَعْزا بن هجَّار بن وُبَيْر بن نَخْبَار فى إمْرَة ألْيَنْبُع عِوَضاً عن عمّه سُنْقُر بن وبير على مَالٍ كبير .

وفى يوم الثلاثاء رابعه تُوُفِّى الرئيس سعد الدين أبو غالب القِبْطىّ الأصل الحنفى المعروف بابن عُوَيد السَّرَّاج .

وفى يوم الخميس سادسه لبس القاضى علاء الدين بن وجيه نظر جيش حَلَب بعد عزل ابن الشِّحْنَة ، وحصل بولايته لأهل حَلَب سرورٌ زائدٌ ؛ لبغضهم فى ابن الشحنة المذكور حَسَداً له .

وفى يوم السبت ثامنه عُقِدَ مجلسٌ بالقضاة بحضرة السلطان ، وادَّعَى السلطانُ على محبّ الدين بن الشِّحْنَة أن عنده وديعة للأمير تَغْرِى بَرْمُش نائب حَلَب نحو ثلاثين ألف دينار ، فنزل ابنُ الشحنة على البَيَان بعد أن اعترف أنه لم يكن عنده لتغرى بَرْمُش المذكور سوى أربعة آلاف دينار ، وأنه ردّها إليه ، فلما نزل إلى داره تكلّم فيه أربابُ الدَّوْلَة عند السلطان،فآلَ أمرُه إلى أنّه يحملُ للخزانة الشريفة مبلغاً من الذّهب له جرم،اختُلِفَ فى قدره من عشرة آلاف دينار إلى ما دونها .

قلت : كل ذلك بوادر لأخْذِ السُّلْطانِ أموال أهل الدولة .

وفى يوم الاثنين عاشره تُوُفِّى الأمير سيفُ الدين أَلْطُنْبُغَا بن عبد الله اللَّفاف ــ بطَّالا ــ بداره ، ودفن من يومه ــ يأتى ذكره فى آخر السنة .

وفيه لبس الشيخ على المحتسب العجمىّ نظر التربة الناصرية حيث دفن الملك الظاهر بَرْقُوق بالصَّحْرَاء ، وهذا النَّظَر يكون لِكُتَّابِ السِّرّ على ما شرط الواقِفُ ، فَوَا١٠١ الشيخُ علىٌّ باليَد وآسْتَقْلَعَهَا من القاضى محبّ الدين بن الأشقر كاتب السِّرّ .

٢٠٣ وفى يوم الجمعة رابع عشره تُوُفِّى بَطْرَقُ النصارى أبو الفرج النصرانى اليعقوبى ، ودفن من الغد .

وفى يوم الأحد سادس عشره لبس الشريف مَعْز أمير اليَنْبُع كامليّةً خضراء بسمور خِلْعَةَ السَّفَرَ .

وفى هذا الشهر وصل الأميرُ يَشْبُك من جَانِبَك المؤيّدىّ المعروف بيَشْبُك الصُّوفِىّ المعزول عن نيابة طَرَابُلُس قبل تاريخه من ثغر دمْيَاط بطلب ، لمرض حصل له ، ورسم له بالتوجه إلى القدس الشريف ليقيم به بَطَّالاً ، وأمَرَهُ السلطان أن يُقيمَ بالقاهرة ما شاء يعمل مصالحه .

● جمادى الأولى : أوّله الأحد .

فى يوم الخميس خامسه رسم السلطان بتوجّه القاضى محبّ الدين بن الأشقر كاتب السرِّ الشريف إلى حَبْس المَقْشَرة ليحبس بها بعد أن أوسعه سَبًّا ، فشفع فيه من حضر من أرباب الدّولة ، فرسم له بأن يتوجّه إلى بيت الأمير دُولاَت بَاى المُؤيدىّ المحمودى الدَّوَادَار الكبير، عَلَى أن يَحْمل إلى الخزانة الشريفة خمسة آلاف دينار أو يتوجّه إلى المَقْشَرة ، فنزل المذكور إلى بيت الأمير دُولاَت باي الدَّوَادَار وأقام به إلى بعد ظُهْرِ يومه، فأذعن إلى حمل المبلغ المذكور فَرُسِمَ بإطلاقه ، فركب وتوجَّه إلى داره وانقطع عن الخدمة السلطانية إلى يوم يأتى ذكره ، وأخَذَ فى حَمْلِ المبلغ ؛ وسبب هذه القضيّة الفاحشة أن شخصا من العرب وقَفَ إلى السلطان وادَّعَى أن إقطاعه خرَجَ عنه فى العام الماضى بغير مُوجب ، فلمَّا سمِعَ السلطانُ كلامَ البدوى التفت إلى القاضى محب الدين المذكور وقال للبدوى : هذا الفاعِلُ التَّارِكُ هو الذى أخرجَ إقطاعَكَ — يعنى أيَّامَ ولايته لنظر الجيش — ثم أمر به — انتهى .

وفى هذا اليوم أيضا طلب السلطانُ الزَّيْنِيَّ عبد الرحمن بن الكُوَيْز ، ورَسَمَ بالتَّرسِيم[١] عليه فى بيت الأمير تَمُرْبُغَا الدَّوَادَار الثانى حتى ردّ إلى الأمير قُرْقَماس الأشرفىّ أحد أمراءِ الطَّبْلَخَانَات وقريب الملك الأشرف بَرْسْبَاى ما أخذه منه من ثمن

(١) الترسيم : هو الوضع تحت المراقبة والحوطة .

قرية آبْتَاعها قَرْقَمَاس منه بالدقهلية ، والقرية تسمى منية العرايا[١] من أعمال القاهرة ، والثمن المذكور نحو أربعة آلاف دينار ، وكان لَمَّا باعها الزَّيْنِى عبد الرحمن المذكور لقَرْقَمَاس من سنيّات / ، استأجرها بمبلغ هائل ، فلَمَّا آنقضت مُدّة الإجارة واستولى عليها قَرْقَمَاس لم يجدها تفى بالمبلغ المعين من الخراج فى كل سنة ، فشكاهُ إلى السلطان فطلبهُ السلطانُ وألزمه بردّ الثمن إلى قَرْقَمَاس المذكور ، وأخرج السلطانُ القَرْيَة المذكورة إلى الذخيرة السلطانية ، واستمرّ ابن الكُوَيْز فى التَّرسِيم أيّاما حتى عمل المصلحة وأُفْرِجَ عنه ، ورُدَّت القريةُ إليه .

٢٠٤

وفى أوائل هذا الشهر ورَدَت الأخبارُ من النّواب بالبلاد الشامية بعود جهان شاه بن قَرَا يُوسُف صاحب تبريز وبَغْدَاد من ديار بكر بن وائل إلى جهة بلاده بعد أن أقام بديار بكر، وحواشيه تحاصر مدينَة آمد ومَارِدِين نحو السنتين ، وأقامَ جيشُه على حصار جهان كير بن على بَك بن قَرايُلُك بآمِدِ قريبا من سنتين ، وكذلك على مَارِدِين ، ثم رحلوا بعد ذلك بغير طائل ، وداموا فى هذه المُدَة الطويلة بديار بكر ، ورحلوا ولم يستولوا على قلعة واحدة من قِلاَعها ، غير أنهم استولوا على مدينة مَارِدِين ما خلا قلعتها لا غير ، والمقصودُ من مَارِدِين قلعتُها .

ولما أراد جَهان شاه الرَّحيل من جهة ديار بكر أظهر الصُّلْحَ بينه وبين جهان كير بن على بَك بن قَرابُلُك وتصاهرا باللفظ ، وأرسل جهان شاه خِلْعَتَه إلى جهان كير ، وسافر .

قلت : وكان عَوْدُ جهان شاه من ديار بكر على رَغْمِه، لأنه بلغه أن بَابُور بن بَاي سُنْقُر بن شاه رُخّ بن تَيْمُور لَنْك وصل إلى الرَّى[٢] ، وأنه يريد المشى على بلاد جهان شاه المذكور . انتهى .

وفى يوم الاثنين تاسعه لبس القاضى محبُّ الدين بن الأشقر خلعة الاستمرار على وظيفة كتابة السرِّ ، وباشر الوظيفة على عادته .

(١) هى ميت العرايا : بلدة بمركز دكرنس على الشاطىء الشرقى للبحر الصغير (على مبارك — الخطط ١٦ : ٧٠) .

(٢) الرى : مدينة بعراق العجم فى إقليم الجبال وكانت أكبر قصباته . ولد بها الخليفة هارون الرشيد . وسميت بالمحمدية نسبه للمهدى محمد أبى الخليفة هارون وهو الذى شيد أكثر مبانيها وانظر (لسترنج — بلدان الخلافة الشرقية ٢٤٩ — ٢٥٠) .

قلت : وما كان أغناه عن لبس هذه الكاملية التى غرم قبل لبسها خمسة آلاف دينار ، وقد استراح المرحوم القاضى كمال الدين بن البَارِزِىّ من هذا النموذج القبيح .

وفى يوم الاثنين سادس عشره خرجت تَجْرِيدةٌ من القاهرة إلى البحيرة ، وفيها زيادةٌ على مائتى مملوك من المماليك السلطانية ، وعليهم الأميرُ خُشْقَدم الناصرىّ المؤيّدىّ حاجب الحجّاب ، والأمير يَشْبُك من سَلْمَان شاه المؤيّدىّ[١] / الفقيه ٢٠٥ أحد أمراء العشرات ورأس نَوْبَة .

وفى هذا اليوم عمل السلطان الموكب بالحوش السلطانى من قلعة الجبل ، وأبطل موكب القصر بالكلية ، وهذا شىء لم نعهده ولا سمعنا بمثله فى سالف الأعصار .

وفى يوم الخميس تاسع عشره عمل السلطانُ الموكب بالقصر على العادة،وأبطل ماكان أمَرَ به من عمل الخِدْمَة بالكَلَفْتَاه بالحوش السلطانى،لَمَّا بَلَغَهُ أنّه أُشِيع عنه أنه قد عجز عن الحركة والمشى من الدور السلطانية إلى القصر ، ولما انفض الموكبُ خرج السلطانُ من باب القصر ماشيا إلى باب السّتارة،فلما كان فى أثناء الطريق تقدّم عن الأمراء بالمشى حتى صار أمامهم ، ثم قال : يُشَاع عنى أنى عجزت عن المشى ، أنظروا إلىّ كيف أمشى .

وفى يوم الجمعة سابع عشرينه تُوُفِّى الأمير بَرْسْبَاى المؤيّدىّ أحد أمراء العشرات ، وأُنْعِم بإقطاعه من الغد على السّيْفى جَانَم السّاقى الظاهرى جَقْمَق ، وأُنْعِم بإقطاع جَانَم المذكور — وهو حصة من جبين[٢] القَصْر — على حفيده سيّدِى محمد ابن المقام الفخرى عثمان بن الملك الظاهر جَقْمَق .

وفى هذا الشهر ورد الخبر بقتل الملك الكامل خليل ابن الملك الأشرف أحمد ابن العادل غازى صاحب حصن كيفا فى العشر الأخير من شهر ربيع الأوّل من هذه السنة ، قتله ولدُه الملك الناصر صَبْراً ، دخل عليه فى أناس قلائل بالليل وقتلوه ،

---

(١) فى ت « المحمدى الفقيه » .

(٢) جبين القصر : هى شبين القناطر وهى مدينة ومركز بمحافظة القليوبية .

وبايع لنفسه وتمّ أمْرُه على أنه تخلف عن طاعته عِدّةُ أناس غيرةً لما فعله من قَتْلِ أبيه ــ لا جَزَاه الله خيراً .

● جمادى الآخرة : أوّله الاثنين .

فى يوم الثلاثاء ثانيه ــ ويوافقه سادس عشرين بئونة أحد شهور القبط ــ أُخذ قاعُ النيل فجاءت القاعدة ــ أعنى الماء القديم ــ خمسة أذرع وأربعة وعشرين إصبعا ــ ولله الحمد ــ واستمرّت الزيادة فى كل يوم .

وفى يوم الاثنين ثامنه ــ ويوافقه ثانى أبيب ــ تماسكَ عن الزّيادة فى اليوم المذكور وثانيه ، [بل]قيل إنه نقص إصْبَعاً واحدا ، [فجزع الناس لذلك ثم زاد فى يوم الأربعاء عاشره أصبعا واحدا] واستمرتّ الّزيادة فى كل يوم .

وفى يوم الخميس حادى عشره سافر الأمير تَنَبك البُرْدُبَكى الظاهرىّ بَرْقُوق أحد مقدّمى الألوف إلى ثغر رَشِيد لحفظِ الثّغر المذكور من مُفْسِدى الفرنج .

وفى هذه الأيّام ٱستقرّ السلطان بالقاضى زين الدين عمر ابن القاضى شهاب الدين أحمد بن السّفاح الحلبى فى كتابة سرّ حَلَب عوضا عن ابن الشِّحنة ، ورُسِمَ له بَحمْل / التّشْريف إلى حَلَب . ٢٠٦

وفى يوم الثلاثاء سلخه ، وهو تاسع عشرينه وصلَ إلى القاهرة من ثَغْر دِمْياط الأمير جَانِبَك اليَشْبُكىّ والى القاهرة، المتوجّه قبل تاريخه إلى بلاد التُّرْكيّة لعمل المراكب بسبب الجهاد فى سبيل الله تعالى ، وطلَعَ إلى السلطان وأُخْلَع عليه فَوْقَانى بطرز ذهب .

وفى هذا الشهر كان الفراغُ من مدرسة الأمير زين الدين يحيى[١] الأستادار التى أنشأها بخط الحبّانيّة[٢] على بركة الفيل[٣] ، وأما مصروفها فمال جزيل .

---

(١) مدرسة الامير زين الدين يحيى : وتعرف بجامع زين الدين ، وبجامع محمد سعيد ، وتقع بشارع الحبانية ويتبعها سبيل وشعائرها مقامة (على مبارك ــ الخطط ٣ : ٦٥) .

(٢) الحبانية : وتنسب الى بستان الحبانية ، وهم بطن من درماء بن عمرو بن عوف بن ثعلبة بن سلامان بن بعل بن عمرو بن الغوث بن طيىء ، وكان البستان يشرف على بركة الفيل ، ومكان هذا الخط حاليا شارع الحبانية المتفرع من شارع القلعة (محمد على سابقا) ويصل إلى شارع بورسعيد (الخليج المصرى سابقا) وانظر (على مبارك ــ الخطط ٣ : ٦٥) .

(٣) بركة الفيل : كانت بركة كبيرة بظاهر القاهرة تمتد من بستان الحبانية إلى بستان سيف الاسلام الى تحت الكبش =

وفيه فرّق الشيخ على المُحْتَسب على الفقراء طعاما كثيرا بأمر السلطان ، فلا أعلم من أى جهة هو ، ومن له شىء فله أجره .

● شهر رجب : أوله الأربعاء .

فى يوم الأحد خامسه رسَمَ السلطانُ بنَفْى الأمير قَانْصُوَه المحمدىّ الأشرفىّ السـاقىّ ـ كان فى أوّل دولة أستاذه ـ إلى مدينة حَلَب من غير أمْرٍ يُوجِب ذلك ، وقَانْصوَه هذا من خِيَارِ أبناء جنسه .

وفى يوم الثلاثاء سابعه رسَم السلطانُ بحَبْس قاضى القضاة وَلِىّ الدين محمد السُّنْباطِىّ المالكى فى المَقْشَرة ، وسَبَبُهُ أنّ شخصا مُسْلِماً آدّعى عنده على شَخْصٍ يَهُودِىّ من تُجّار الجَارْكَس بأنّه لايُطَالبُه بحقّه إلّا من الشّرع الشّريف ، فحكَمَ عليه قاضى القضاة المذكور بذلك ، فلم يَرضَ اليَهُودِىّ بالحُكْم وقال : أنا أشتكى من حيث شِئْتُ والخَاطِرُ خَاطِرى فى طَلَب حَقِّى ، فكَرَّرَ القاضى عليه الكَلاَمَ على لسان التَرجُمَان ، فلمْ يَسْمَع فضربُه القاضى وحَبَسه ، ثم أطْلَقه ، فشكا اليهودىُّ المذكورُ القاضىَ إلى السلطان ، فطلب السلطان قاضىَ القضاة المذكور فقال : الذى فعلتُه هو الشّرع ، فقال السلطان مامعناه:إنّ السِّياسَة هى تَجْرِى مَجْرَى الشّرع ، وأنت حكَمْتَ بغَرَض ، ثم غَضبَ وأمَرَ به إلى الحَبْس ، فعزَلَ القاضى نَفْسَه فى الحَالِ ، وقامَ من المَجْلِس وتوجّه إلى جامع النَّاصِر بالقَلْعَة،وأقَام به قليلا حتى شُفِع فيه ونَزَل إلى داره مَعْزُولاً إلى أن أُعيد فى يوم الخميس تاسعه .

وفى يوم السبت حادى عشره وصل الأميرُ حاج إينَال اليَشْبُكِىّ نائب الكَرَك

إلى الجسر الأعظم ، وبعد سنة ٦٠٠ هـ عمر الناس حولها ، ويقول المرحوم الأستاذ محمد رمزى : إنها لم تكن بركة عميقة ، وإنما كانت تطلق على أرض زراعية يغمرها الماء سنويا وقت الفيضان ، وتروى من الخليج المصرى ، وبعد سنة ٦٢٠ هـ تحولت أراضيها إلى مساكن ، وكانت هذه البركة تشمل من القاهرة الحالية المنطقة التى تحد من الشمال بسكة الحبانية ، ومن الغرب بشوارع درب الجماميز واللبودية والخليج المصرى ، ومن الجنوب بشارع مراسينا (عبدالمجيد اللبان حاليا) وتقابله مع شارع نور الظلام حتى شارع الألفى ، ومن الشرق باقى شارع نور الظلام فشارع مهذب الدين الحكيم فسكة عبدالرحمن بك وامتدادها حتى تقابل الحد البحرى عند شارع الحبانية .

ولم تكن البركة على شكل فيل وانما سميت بذلك لأن الأمير خمارويه بن أحمد بن طولون أنشأ بها دارا للفيلة فقد كان مغرما باقتناء الحيوانات من السباع والنمور والزرافات والفيلة وغيرها (النجوم الزاهرة ٧ : ٣٦٥ حاشية ٣ ط . دار الكتب) .

إلى القاهرة ، وأخلعَ عليه السلطانُ خِلْعَة الاسْتمرَار وهو يظهر الاستِعْفَاء من النِّيابةِ المذكورة .

وفى يوم الاثنين ثالث عَشرِهِ — ويوافقه سابع مِسْرَى أحد شهور القِبْط — زاد البحر أربعين إصْبَعا ، وكان زاد قبل تاريخه / أربعين أُخْرَى على دفعتين عشرين فى عشرين ، ثم زاد فى يوم الثلاثاء رابع عشره ثلاثين إصْبَعا ، فتكون زيادته فى أربعة أيام مائة إصْبع وعشرة أصابع ، وبقى للوفاء أثنان وعشرون إصْبَعا فزاد فى يوم الأربعاء خامس عشره ، ويوافقه تاسع مسرى أربعة وعشرين إصبعا ، أوفى الستة عشر ذِرَاعاً وزاد إصبعَيْن من الذراع السّابع عشر ، فنزَلَ المقامُ الفَخْرِى عثمان ابن السلطان الملك الظاهر جَقْمق فى وجوه الدوله حتى خلَّق المقياس ، ثم عاد وفتح خليج السد على العادة ، ثم عاد إلى القلعة ، فحصل للناس بهذا الوفاء سرور زائد إلى الغاية ، ولله درّ الأديب ناصر الدين بن النقيب — رحمه الله — حيث يقول فى هذا المعنى [الوافر]

٢٠٧

كأنّ النيلَ ذُو فَهْمٍ ولُبٍّ لمايَبْدُو لعَيْن النّاس مِنْهُ
فَيَأْتِى عِنْدَ حَاجَتِهم إليه وَيَمضى حينَ يَسْتَغْنُون عَنْهُ

وفى يوم السبت ثامن عشره أُنْعِم على الأمير حاج إينَال المذكور — قَبْل تاريخه — بإمْرَة مائة وتقدمة ألف بدمَشق عوضا عن الأمير مَازِى الظَّاهِرِىّ بَرْقُوق، بحكْم لُزُوم مَازِى بَيْته ، واستقرّ فى نيابة الكَرَك — عوضا عن الحاج إينَال — الأميرُ طُوغَان دَوَادار السلطان بدمشْق ، واستقرّ فى دَوَاداريّة السلطان بدمَشْق السّيفى خُشْكَلْدِى الدَّوادَار الثالث بالقاهرة ، واستقّر فى الدَّوَاداريّة الثالثة عَوضاً عن خُشْكَلْدِى المذكور شخصٌ لا أعرفه من أولاد الناس يُدْعى ابن جَانِبَك . كان بِخِدْمَةِ السّلطان قَدِيماً أيام إمرَته .

وفى يوم الأربعاء ثانى عشرينه استقرّ النصرانّى سليمان اليَعْقُوبى بَطْرَق النّصارى عوضا عن أبى الفرج النَّصْرَانى المتوفى قبل تاريخه ، وذلك بعد شُغُورها أشهراً إلى أن قَدِمَ سُلَيمان هذا من بلاد الصّعيد .

وفى يوم السبت خامس عشرينه[١] نُودِى على النّيل بزيادة إصبَع واحد لتتمّة ستة عشر إصبعا من الذراع السابع عشر ، وكان للبحر نحو سبعة أيّام لم يزد شيئا ، واختلفت الأقوالُ فى عَدِم زيادته — والله أعلم — ثمّ آستمرتّ الزّيادةُ بعد ذلك فى ٢٠٨ كل يوم / على ماسيأتى ذكره عند انتهاء الزّيادة .

وفى أواخر العشر الأخير من هذا الشهر أُشيع بمجىء أبى الخير النحاس إلى القاهرة ، وأنّه وصل على النجُب ، ونزل بتُربة الأمير طَيْبُغَا الطَّويل[٢] الناصرىّ بالصّحراء خارج القاهرة ، ثمّ انتقلَ منها إلى القاهرة ، وتحدّث جماعةٌ برؤيته ، وماجَت أهلُ الدَّوْلة لذلك .

قلتُ : وهذا من أغرب ماآتفق فى زماننا هذا ، فإنّ السلطان لما نكَبَ أبَا الخير المذكور وصادَرَه،ووقع له ماحَكَيْنَاه فيما تقدمّ فى هذا الكتاب من الدّعوى عليه بمجلس الشرع وحبسه أيّاماً ، ثم بعد ذلك كله أُخرجَ مَنْفيًّا إلى طَرَسُوس ، وكان خُروجه من القاهرة فى الثّلث الأوّل من ليلة الجمعة ثامن عشرين جُمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وثمانمائة ، ودام فى حبس طَرَسُوس[٣]ثم استمر بقلعتها على أقبح حال[٣] ومن ثَمَّ وهو فى ضيق عظيم إلى الغاية ، ونال من يعاديه منه ماهو فوق غَرضه ، وصار السلطان يتفقّدُه فى كل قليل بعصيات ، وهو أنه كلّما أُشيع بالقاهرة مِمَّن يُحبُه أو يَبْغضُه بمجيئه من حبس طَرَسُوس يتكلّم فيه بعضُ مَن له غرض فى إبعاده فيبرُزُ مَرسُومُ السلطان إلى نائب طَرَسُوس بضرب أبى الخير المذكور ، فيُضْرَب على رجليه وتارة على يَدَيه ، فكان جُمْلة ماضُرب فى مُدَّة حبسه نحو الألف عصاة تخْميناً على نَفَذات متفرّقة ، ولم يزل فى محبسه فى ضيق وإبعاد ، وحواشيه متفرقة بذُلّ وصَغار إلى أن أُشيع ماأُشيع على حين غَفْلَة،ولم يعلم[٤] أحدٌ من عظماء الدّولة

---

(١) ورد فى هامش اللوحة « حاشية » صوابه ثامن عشره نودى على النيل بثلاثة أصابع لتتمة ستة عشر من الذراع السابع عشر ، ثم نقص يوم الأحد أربعة أصابع لانكسار مقطع من لسان سنيت، وأقام إلى يوم الجمعة رابع عشريه زاد ثلاثة أصابع واستمرت الزيادة » .

(٢) تربة طيبغا الطويل الناصرى : وتنسب للأمير علاء الدين طيبغا بن عبدالله المعروف بالطويل المتوفى يوم السبت سلخ شوال سنة ٧٦٩ هـ (النجوم الزاهرة ١١ : ١٠٢ ط . دار الكتب) .

(٣ — ٣) مابين الرقمين وارد فى هامش اللوحة .

(٤) هذا اللفظ وارد فى هامش اللوحة .

بمجيئه ولا بكيفيّة الإفراج عنه، حتى ولا كاتب السّر وغيره ممن هو أقربُ للملك من كاتب السّرّ المذكور ، وأخذ أعيانُ الدَّوْلة فى تكْذيب الخبر ، وبقى الناس فى أمر مجيئه على قسمين ، واستمرّ ذلك مُدّة إلى ماسيأتى ذِكْرُه إن شاء الله تعالى .

● شعبان : أوّله الخميس .

ففى يوم الخميس ثامنه وصل إلى القاهرة جَانِبَك بن عبد الله الظاهرىّ جَقْمق من بندر جُدَّة ، وصحبتهُ قصّادُ صاحب الحَبشة من المسلمين ملك جَبَرْت ، فعمل السلطانُ الموكبَ بالحوش السلطانى من قلعة الجبل بالكَلَفتاة والقمَاش ، وقد انقطع السلطانُ عن التوجّه إلى القَصْر السلطانى [1] من نحو شهر ، وذلك لضعف حركته فيما أظُن .

وفى يوم الجمعة تاسعه طلَعَ أبو الخير النحاس فى بُكْرَته إلى القلعة، ودخل إلى السلطان بالقلعة من الدهيشة ، صُحْبَة سيدّى عبد العزيز بن سيّدى / يَعْقُوب ابن أخى الخليفة القائم بأمر الله حمزة ليشفع المذكورُ فيه على لسان الخليفة ، ولم يكُن عند السلطان فى ذلك الوقت أحد [1] من أعْيَان الدَّوْلة سوى الأمير تَمُرْبُغَا الدَّوَادار الثانى والأميرُ أسنْبَاى الظّاهرىّ ، فقام السلطانُ لابن أخى الخليفة المذكور وأجلسه ، ودخل أبو الخير النحاس وقَبَّل رجْلَ السلطان ، فلم يلتفت إليه السلطانُ بل نَهرَه وأوْسَعَه سبًّا ولَعْناً وتَوْبيخاً ، وأخذ يعدّدُ له أفعاله القبيحة فى أيّام وصلته بالسلطان ، ثم أمر بحبسه بالبُرْج من قلعة الجبل بعد أن آعتذَر لابن أخى الخليفة لِعَدم قَبُول شَفاعَتِه ، بل قال : أنا كنتُ أريد أُوَسِّطه فلأجل الخليفة عَفَوْتُ عنه ، ثم أنعمَ على عبد العزيز بمائة دينار ، وانفضّ المجلس إلى أن أصبح السلطانُ من الغد فى يوم السبت جلسَ على الدّكة بالحوش السلطانىّ، وأحضَرَ أبا الخير المذكور فى الملأ من الناس، ثم أمَرَ بَضْربه فَضُرِبَ بين يديه بيد الطَّواشِية مايقارب ألف عصاة أو ما دونها تقريبا، على رجليه وسائر بدنه ، وشرَع السلطانُ يَذكرُ أفعالَه القبيحة ، ثم أمر بحبْسه ثانيا بالبُرْج من القلعة ، فتحيّر الناس من هذه الأفعال المتناقضة ، وهى كونه أفرجَ عنه سِرًّا

(١ ، ١) هذا اللفظ من ت .

٢٠٩

وأحضَره إلى القاهرة فظَنّ كلُّ أحد بِعَوْد المذكور إلى أعظم مما كان عليه ، ثمّ لمّا وقع له ماذكرناه[١] من الإحراق والضَّرب والحَبسْ تحقَّق كل أحد إبعادَه ونزوله إلى البَهَمُوت ، وقد كَثُر كلامُ النّاس فى ذلك ، فمنهم من يقول أمرَ السلطانُ بإطلاقه لامجيئه إلى القاهرة فحنق عليه لمّا قَدِمَ إلى القاهرة ، فيردُّ على قائِل هذا الكلام قولُ من يقول: إذا كان كذلك فمِنْ أين لأبى الخير النُّجُبُ التى جاء عليها بعد خروجه من حبس طَرسُوس مع ماكان عليه من الذُّل لولا توصية السلطان لمن يُعينُه على ذلك ، وأيضا كيف تمكَّن من المجىء من نُوّاب البلاد الشامية لو لم يكن معه مايدفعهم عن تعويقه من المَراسيم السلطانية ، ومنهم من يقول : كان أمْرُه قد ٱنْبَرَمَ مع السلطان ، وأن الجماعة الذين يخافونه ٱجتهدوا ووَعَدُوا السلطانَ بوُعُودٍ كثيرة أضعاف ما وعَده المذكور ، وسَهِرُوا عليه ، وأظن هذا هو الأقوى والله أعلم ، ولله دَرّ / القائل: ٢١٠
[مخلع البسيط]

بَعَثْتُ فى حَاجتِى رَسُولاً يُكْنَى أبَا دِرْهَمٍ فَتَمَّتْ
ولَوْسواهُ بَعَثْتُ فِيها لَمْ تَحْظَ نَفْسِى بِمائتَمَنَّتْ

وفى هذا اليوم[٢] أُخذ أبو عبد الله التركى المغربى من بيته إلى بيت الوَالِى ورُسِمَ عليه ، ثم ٱدُّعِىَ عليه بمجلس القاضى المالكى — أو غيره — بأنه ٱلتْزَمَ للسلطان عن أبى الخير النحاس بمائة ألف دينار أو أكثر ، فقال : أنا قلتُ إنْ ولّاه ماعيَّنهُ من الوظائف.ولم يقع ذلك ، وعَرَف كيف أجابَ ، فاستمرّ فى التَّرسيم إلى يوم الثلاثاء ثالث عشره فطُلِبَ إلى القلعة ، فطلع وفى رقبته جَنْزير ، ثم عاد إلى التَّرسْيم من غير جَنْزِير ، وقد أُشيع أنّه وقع فى حَقِّ قاضى القضاة شرف الدين يَحْيى المُنَاوِى الشافعى بأمور شنيعة ، ودام فى التّرسيم إلى مايأتى ذكره .

وفيه نودى على النيل بزيادة إصبع واحد لتتمة ثمانى عشرة إصْبَعاً من الذّراع الثامن عشر ، وكان الموافق لهذا اليوم أوّل توت يوم النَّوْرُوز[١] .

---

(١) فى ت « ماكان » .

(٢) فى ت « هذا الشهر » .

(٣) يوم النوروز : هو عيد من أعياد القبط ، ويقع فى أول شهر توت ، وهو أول شهور سنتهم (المقريزى — الخطط ١ : ٤٩٢) .

وفى يوم الأربعاء رابع عشره أُخرج أبو الخير النحاس من حبسه بُبْرج القلعة منْفِيًّا إلى البلاد الشامية ليُحْبَس بقلعة صُبَيْبة[١] فنزل على حالة نستعيذ بالله منها ، وهو أنه راكب على بغلة وفى رقبته باشة وجنزير ، وصحبته جماعة من الجبلية موكلون به ، وقد شقوا به شارع القاهرة إلى أن خرج من باب النصر والمشاعلى ينادى عليه : هذا جزاء من يكذب على الملوك ، ويأكل مال الأوقاف . ونحو ذلك . ورسم السلطان بأن يفعل به ذلك فى كل بلد يمر به إلى أن يصل إلى محبسه ، وَمَارَبُّكَ بِظَلاَّمٍ للعبيد .

وفى الخميس خامس عشره استقرّ الأميرُ حاج إينَال فى نيابة حماة عوضا عن الأمير سُودُون الأبُوبَكْرِى المؤيّدى بحُكْم عزله وتوجّهه على الإمرة المُنْعَم بها — قبل تاريخه — على الحاج إينَال المذكور ، وهى تقدمة ألف بدمَشْق .

وفيه رُسِمَ بفتح سد قناطر بحر مُنجًّا فتوجّه الأمير زين الدين الأستادار[٢] بتجمّل زائد ، وتوجّه صحبته غالبُ أهل الدّولة حتى رأوْا فتح السّدّ المذكور[٣] واتّفق أمرٌ مُزْعج ، وهو أنه لماّ وقف وَالِى القاهرة على الجِسْر وفتح السّد من عدّة أماكن والناسُ وقوفٌ للفُرْجَة فكانت طائفة من العَوامّ واقفةً على الجِسْر المذكور والماء قد عَمِلَ من تحته فهوّر بهم الجرف ونزلوا البَحْرَ فَلَّما أرادُوا النُّهوض منه آنهارَ عليهم جرف آخر فطمّهم[٤]/ الجميع فماتوا عن آخرهم ، ولم يُوقَف لهم على خبر ، وكانوا زيادة على عشرين نفراً ، فما شاء الله كان .

٢١١

(١) قلعة صبيبة : اسم قلعة بانياس ، وهى من الحصون المنيعة وانظر هامش (النجوم الزاهرة ٦ : ٣٥٦ ط . دار الكتب) وفى ت « بقلعتها المسماة بالصبيبة » .

(٢) ورد فى هامش اللوحة « حاشية : وكان الأمير زين الدين يحيى الأستادار عمر خمالة ليسيرها للبحر الملح بثلاث طبقات وسبعة قلوع فعومها فى ذلك اليوم إلى شبرا ، وكان صحبته الأمير إينال الأجرود الذى تسلطن فى سنة سبع وخمسين ، وتنم من عبدالرازق أمير مجلس ، وقانباى الجركسى أمير آخور ، ودولات باى الدويدار الكبير ، وتمربغا الدويدار الثانى الذى تسلطن فى سنة اثنتين وسبعين ، وكاتب السر ابن الأشقر ، وناظر الخاص يوسف ، والوزير ابن الهيصم ، وغالب أرباب الدولة من الأمراء والمباشرين ، ويقال إنه أمد الكل بالمأكل والمشارب ، والفاكهة والحلوى ، وكان ذلك اليوم آخر سعده فإنه أخذ فى أوّل صفر سنة سبع وخمسين وثمانمائة كما يأتى ذكره فى هذا الكتاب » .

(٣) ورد فى هامش اللوحة « حاشية : يوم الخميس خامس عشر شعبان ، وبات تلك الليلة فى جامعه الذى أنشأه ببولاق ، وأوقد وقيدا عظيما على كل شراقة ومئذنة قنديل ، وكانت ليله عظيمة » .

(٤) ورد فى هامش اللوحة « حاشية : وطلع من الذين انهار بهم الجسر جماعة ، وغرق جماعة لايحصى عددهم كثرة مع أنهم حذروا فلم يقبلوا ، وممن غرق خولى الجسر يوسف النفيلى بمرآى من كاتبه » .

وفى يوم الجمعة سادس عشره ورَدَ الخبرُ بموت الجمالى يوسف بن يَغْمُور نائب قلعة صَفَد بها .

وفى يوم الاثنين تاسع عشره وصل السّيفى دُقْمَاق اليَشْبُكِّى المنفىّ — قبل تاريخه — إلى مدينة القُدْس[١] ، فرحّبَ السلطانُ به وردّ له إقطاعه الذى كان بيده قديما .

وفى يوم الثلاثاء سابع[٢] عشرينه جَلَس السلطانُ بالحوش وحضرَ القضاةُ الأربعة ثم حَضَر وَالى القاهرة بأبى عبد الله التُركى المغربى ، وكان التّركى قد أُقام — قبل تاريخه — ببيت قاضى القضاة الشافعى المُنَاوىّ أيّاماً ، فلما مثل التّركى بين يدَى السلطان سأَل السلطانُ قاضى القضاة شرَف الدين يحيى المُنَاوِى الشافعىّ عن أمر التّركى ، وماوَجَبَ عليه ، فقال القاضى : يامولانا السلطان ، ثبتَ عليه عند نائبى نجم الدين بن النّبِيه لمولانا السلطان عشرةُ آلاف دينار ، فقامَ ابنُ النّبيه فى الحال وأخبر السلطانَ بذلك ، فنهرَ السلطانُ القاضىَ الشافعىّ عند مقالته عشرة آلاف دينار ، وقال : ماأسأل إلاعمّا وَجَبَ عليه من التّعْزِير ، أَيْش العشرةُ آلاف دينار ؟ ولم تَحْسُن مقالة القاضى الشافعى ببال أحدٍ من الحاضرين ، ثم أجابَ ابن النّبِيه بأن قال : أمّا المال فقَدْ ثَبَت عندى ، وأمّا أمرُ التّعْزِير فهو إلى القاضى شمس الدين بن خِيَرة ، فقال ابن خِيرة : حكمتُ عليه بتَغْرِيبِهِ سنتين ، وأمّا التّعْزِير فَلِمَوْلاَنَا السلطان على ماوقَعَ منه من الأَيْمَان الحَانِثَة ، فلمّا سمعَ السلطانُ كلامَ ابن خِيرَة أمَرَ بالتركى فَطُرِحَ على الأرض وضُرِب ضربا مُبَرِّحاً يزيد على مائتى عصاة ، وأُقيمَ فتكلّم فيه ابنُ النّبيه وأحضر محضرا مكتتبا عليه بدِمَشْق بواقعةٍ وقعَت له لَمَّا كان قاضِيًا بها ، فأمَرَ به السلطانُ ثانيا فضُرِبَ أيضا نحو ماضُرِب أوّلا ، واختلفت الأقوالُ فى عدد الضرب ، فأكثر ماقيل ستمائة عصاة ، وأقلُّ ما قيل أربعمائة ، ثم أُنزل فى التّرْسِيم إلى بيت الأمير جَانِبَك والى القاهرة .

قلتُ : كل ذلك لمعاداة أرباب الدولة له بسبب تكلّمِه لأبى الخير النحاس وٱنتمائِهِ إليه قديما وحديثا .

---

(١) فى ت « مدينة دمشق » .

(٢) فى النجوم الزاهرة ١٥ : ٤٤٣ : الثلاثاء عشرينه .

وفى هذا الشهر عَزَلَ السلطانُ الإمام محبَّ الدين محمد الطَبَرىّ إمام مَقَام إبراهيم عليه السلام بالمسجد الحَرَام ، ثم أعادَهُ بعد أيّام .

● شهر رمضان : أوّله السبت .

في يوم الاثنين ثالثه وصل إلى القاهرة من البُحَيْرة الأمير خُشْقَدَم / الناصرىّ المؤيدىّ حاجب الحجاب ، والأمير يَشْبُك من سليمان شاه المؤيّدىّ الفقيه أحد أمراء العشرات ورأس نَوْبَة بمن معهما من المماليك السلطانية . ٢١٢

وفى يوم الأربعاء خامسه أُخْرِج أبُو عبد الله التُّركى المغربىّ المالكى من حَبْس الرَّحْبَة وفى رَقَبَتِهِ الجَنْزير ماشيا إلى بيت الأمير جَانِبَك والى القاهرة بين القصرين ، ثم رَكِبَ من هناك وخَرجَ منفيًّا فى التَّرسِيم إلى بلاد المغرب .

وفى يوم السبت ثامنه[1] سافر القاضى محبّ الدين محمد بن الشِّحْنة قاضى قضاة حَلَب بعد أن أقام بالقاهرة أشْهُراً لا لأمرٍ يستحقُّ الإقامة بها ، وأُخِذَتْ منه جُمَلٌ مُسْتَكْثَرة ، وأُخْرِجت عنه وظيفتا نظر جَيْش حَلَب وكتابةِ سِّرها حسبما تقدم ، وكان لَماّ قَدِمَ إلى القاهرة حدّثتْهُ نفسُه بأن يَلى كتابةَ السّر بالديار المصريّة فى حياة القاضى كمال الدين بن البَارِزِىّ ، فلم يَصِلْ إلى ذلك ، واّتَّفق مرضُ ابن البَارِزِىّ ثم موته ، فعند ذلك اجتهد ابنُ الشِّحْنة المذكور فى السَّعْى وبَذَلَ الأموالَ وَوَعَدَ بأشياء كثيرة ، ودَامَت الوظيفةُ شاغرةً أيّاماً كثيرة إلى أن طَلَبَ السلطانُ القاضى محبَّ الدين بن الأشقر ناظر الجيوش المنصورة،وولّاه كتابة السّر عوضا عن القاضى كمال الدين البَارِزِىّ .

وتَوَلَّى الصاحبُ جمالُ الدين ناظرُ الخواصّ نظرَ الجيش عوضا عن القاضى محبّ الدين المذكور مُضَافاً إلى مابيده من نظر الخَاصِّ حسبما تقدّم ذكره .

وفيه وصلَ مُبَارَك شاه نائب الكَرَك ، وعُزِل وانحطَّ قَدْرُه وتحقّق السلطانُ سوءَ سيرته،وأخذَ أمْرُه من يومئذ فى إدْبَار إلى أن سافر من القاهرة فى التّاريخ المذكور .

---

(١) هذا اللفظ من ت .

وفى يوم الاثنين عاشره — ويوافقه ثامن عشرين تُوت أحد شهور القبْط — فيه انتهت زيادةُ النيل إلى اثنى عشر إصْبَعاً من عشرين ذراعا ، وهذه غاية زيادة النيل فى هذه السنة ، إلا أنه ثبت إلى أواخر بَابَة .

وفى يوم الخميس العشرين منه برز المرسومُ الشريفُ بحضورِ المقام الغَرْسِى خليل ابن الملك الناصر فَرَج بن الملك الظاهر بَرْقُوق بن أنص من ثغر الإسكندرية إلى القاهرة ليتوجّه إلى الحجاز الشّريف ، وكُتِبَ له بالمَقَرِّ الكريم[١] ، والعلامة وَالِدُه[٢] ، وكانت الناسُ فى سفره على قِسْمين مابين مُكَذِّب ومصدِّق إلى أن بَرَزَت المراسِيمُ الشريفةُ فتيقَّن كُلُّ أحدٍ بصِدْقِ الخَبر .

قلتُ : وهذه الواقعة من الغَرائب ، فإننا لانعلم أحداً من أولاد السلاطين حجَّ فى الدولة التركيّة بعد وفاة والدِهِ إلا هذا ، على أنه شَوْكته قويّة جِدًّا ، وغالب الأمراء والمماليك مماليك أبيه الناصر فرج وجدّه الظاهر بَرْقُوق .

٢١٣ وفى أواخر هذا الشهر رَسَمَ / السطانُ بإخراج نصف إقطاع الأمير جَانِبَك النَّوْرُوزِىّ المعروف بنائب بَعْلَبَكّ للسيفى بُرْدُبَك التَّاجى الخاصّكى ، وكلاهما مقيم بمَكّة ، فأمّا جَانِبَك النَّورُوزِىّ فَبَاش المماليك السّلطانية بمَكّة ، وأما بُرْدُبَك التَّاجِىّ فناظرُ الحرم وشادُّ العمائِر ومُحْتَسِبُ مَكّة ، ورسَمَ لبُرْدُبَك أن يكون من جملة أمراء العشرات ، وهذا الإقطاع أصلُه كان بين الأمير جَانِبَك هذا وبين الأمير تَغْرِى بَرْمُش الفقيه نائب قلعة الجَبَل نِصْفَيْن بالسَّوِيّة ، فلما نَفَى السلطانُ تَغْرِى بَرْمُش المذكور أنعمَ بما كان يخصّه من الإقطاع المذكور على شريكه جَانِبَك النَّوْرُوزِىّ هذا ، وسَيَّره إلى مكَّة فى سنة إحدى وخمسين وثمانمائة ، فاستقلّ جَانِبَك بالإقطاع مُدَّةً إلى أن بدَا للسلطان إخراجُ نصفِهِ وهو ماكان بيد تَغْرِى بَرْمُش لبُرْدُبَك هذا فى التاريخ المذكور .

● شوّال : أوّله الأحد .

---

(١) أى لقب خليل بن الناصر فرج بن برقوق بالمقر الكريم .

(٢) العلامة : أى التوقيع .

وفى يوم الخميس [خامسه][1] آستقرّ الأمير تَغْرِى بَرْدِى القلاوِىّ الظاهرىّ جَقْمق وزيرا بالديار المصرية مُضَافاً إلى مابيده من كَشْف الأَشْمُونين[1] والبلاد الجَيزِيّة عوضا عن الصّاحب أمين الدين إبراهيم بن الهَيْصَم بحُكْم آستعفائه عن الوَزَر ، وأنعمَ السلطانُ على تَغْرِى بَردِى المذكور بإمْرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية، مما كان بيد المقام الفَخْرِى عُثمان ولد المقام الشريف ليستعين بذلك على كُلَف الدولة ، وكانت خلعة تَغْرِى بَرْدِى المذكور بالوَزَر أطلسين مُتَمَّرا وعليهما فوقَانِى بطرز ذهب ، وهذه خلعة الأتابَكِيّة بالديار المصرية ، وأخلع على زين الدين فَرَجَ بن ماجد بن النحال كاتب المماليك السلطانية بوظيفة نظر الدّولة مضافا إلى مابيده من كتابة المماليك ، وكانت هذه الوظيفة شاغرة منذ ولى الصاحب أمين الدين المذكور .

وفى يوم الاثنين تاسعه عُمِلَت الخدمة بالكَلَفْتَاة بالدّهيشة من الحوش السّلطانّى ، ورسمَ السلطان بأن تكون الخِدْمة دائما فى كل يوم اثنين وخميس بالدّهيشة ، وهذا أيضا شىء لم نعهده .

وفى يوم الثلاثاء عاشره استقرّ السّيفى قَانِى بَاى طَاز البكْتَمُرِى فى نيابة قلعة صَفَد بعد شُغُورها أشهرا بعد وفاة يوسف بن يَغْمُور .

وفى هذا اليوم أيضا وصل المقام الغَرسِى خليل ابن الملك الناصر فرج إلى القاهرة / ونزل عند صِهْرِه زَوْج أخته خَوَنْد شَقْراء الأمير جَرِبَاش المحمدىّ النّاصرىّ ٢١٤ أحد مقدّمى الألوف بالديار المصرية ، وكان دخوله إلى القاهرة من ساحل شُبْرا بعد ثلث الليل ، وآستمرّ فى بيت أخته والنّاس تتردّدُ إليه ماعدَا الأمراء إلى يوم الخميس ثانى عشره طَلَعَ إلى القلعة بعد آنقضاءِ الخِدْمة قَبْل نزول مُباشِرِى الدَّوْلة ، واجتمعَ بالسّلطان الملك الظاهر جَقْمَق بالدّهيشة من الحُوش السّلطانى ، ووافَى دُخُولَ الغَرْسِ إلى الدهيشة خروجُ السُّلْطَانِ من القَاعَة إليها، وتَلاَقَيا على إيوان الدّهيشة، فلَمّا أنْ وقَع بصرُ المقام الغَرْسى خليل على السّلطان وقَرُبَ منه أرادَ تَقْبيل الأَرْض فمنعهُ السلطانُ

---

(١) فى الأصل : رابعه ، وفى النجوم الزاهرة ١٥ : ٤٤٥ : الخميس رابع شوال . ولا يستقيم ذلك لأن أول شوال الأحد .

(١) الأشمونين : مدينة قديمة ذات آثار وكانت تقع فى الجانب الغربى للنيل ، وتطلق أيضا على إقليم يطبق عليه حاليا إقليم محافظة المنيا . وكانت هذه المدينة قريبة من تونا الجبل (على مبارك — الخطط ٨ : ٧٥ ، ٧٦) .

من ذلك ، وتعانَقَاطويلا ، وقبلَّ كلٌّ منهما الآخر ، وجَلَسا من غير مَقْعَدٍ ولامَرْتَبةٍ ، وتحادثا ساعةً إلى أن طَلَبَ السلطانُ خِلْعَة المقامِ الغَرْسِى خَليل ، وهى كاملية مُخَمَّل بِفَرْوِ سَمُّور بَمقْلَب سَمُّور ، وقيّد له فرساً بسرح ذهب وكُنْبُوش زَرْكَش ، وتمّ [١] السّلطان واقفاً إلى أن تم لبس المقام الغرسى الكامِلية ، وعادَ وقَبَّلَ يَدَ السلطانِ فقَبَّلَ السلطانُ يَدَه فأهوَى المقامُ الغَرْسِى إلى رِجْل السلطان فقبَّلهَا غَصْباً ، فنَزلَ السلطانُ أيضا على رِجْل المقام الغَرْسِى وقبَّلهَا وتَبَاكَيَا وقال له السلطانُ : أنا مملوكُكَ ومملوكُ والدِك وجدِّك ، ثم آستأذن الصاحبُ جمالُ الدين يُوسف ناظر الجيش والخاصّ السلطان فى تَوجّه المقَام الغَرْسِى إلى زيارة القرافة وتُرْبَة جدّه الملك الظاهر بَرْقُوق ، فقال السلطانُ : يَتَوَجّه حيث شاء ، ثم آلتفت إلى المقام الغَرْسِى وقال له : أنا ماأسمع الكلام الفِشَار ، آركَبْ وآنزل وسِرْ حيث أردتَ من غير حجر ، ثم سألَ الصاحبُ جمالُ الدين أيضا السلطانَ فى توجّه المقام الغَرْسِى خَليَل إلى المقام الفَخْرِى عُثْمَان ولد المقام الشريف ، فآستغاث السلطان وقال : لابَلْ عُثْمَانُ يتوجّه إليه ويقبِّل يَدَه ، ومايَكْفى أنّنَا قَلّلْنَا أدَبَنَا ومانَزَلْنا إلى سّيدى حتى هو طَلَع إلينا فيتوجّه إلَى عُثْمانَ أيضا ؟ ! هذا لايمكن أبدا ، فألحّ المقامُ الغَرْسِى فى ذلك فَلَم يُجِبْه السلطانُ إلى ذلك ، وانفض المجلس ، ونزلَ من حيث طَلَع من باب السّر إلى بيت صهره الأمير جَربَاش ، وفُرِشَت الشّقق الحريرُ تحت رجلى فرسِهِ ونُثِر على رأسه الذّهب والفضّة ، واستحسنت الناسُ مافعله السلطانُ مع المقام الغَرْسى وزيادة الإكرام له — انتهى .

وكان[٢] سبب إحضار المقام الغَرْسِىّ من الإسكندرية أنّ السلطان لما أمَرَ بحجّ ولده المقام الفَخْرِىّ عثمان فى هذه السّنة فعلم خواصُّ مماليكه أنه قَوِى عليه الضَّعْفُ وخشوا أن يموت فى غيبتهم فى الحَجِّ،فتخرُج المملكةُ من أيديهم،فقووا على السلطان حتى أَبْطَله من الحَجِّ ، وقالُوا له : إلى العَام القابل ، فلَّما أن رأى السلطانُ ذلك وعَلم من نفسه الضَّعْفَ وعلم أن ولده إذا تسلطَن لايخلّوه ، فأرسل خَلْفَ المقام الغَرْسِىّ ليعَهْدَ إليه بالسلطنة،ويجعل وَلَدَه من جُملة الأمراء ، فآستشار أخصَّاءَه فى ذلك ، فلم

(١) فى ت « واستمر السلطان » .

(٢) هذه الفقرة التى تبدأ بقوله « وكان سبب » إلى نهايتها وهو قوله « كان رأيه هو الصواب » ، وردت بهامش اللوحة ، وليست فى ت .

يَمكّنُوه من فعل ذلك أيضا ، ولم يزالوا به حتى خلع نفسه وعهد لولده المقام الفخرى عثمان كما سيأتى ، ولعمرى كان رأيه هو الصواب .

وفى يوم الجمعة ثالث عشره نزل المقام / الفخرى عثمان ولد السلطان الملك الظاهر جَقْمق إلى المدرسة الظاهرية برقُوق بعد صلاة الجمعة، وحضر بالمدرسة المذكورة عقدَوَلَدِ شَيخْهِ الشيخ زين الدين قاسم بن قُطْلُوبُغَا الحنفى ، ثم ركب من المدرسة المذكورة. وتوجّه إلى المقام الغَرْسِى خليل ابن الملك الناصر فَرج بدار صهره الأمير جَرِبَاش المحمدىّ أحد مقدمّى الألوف ، وسلّم عليه ، ثم ركب وعاد إلى القلعة . ٢١٥

وفى ليلة الأربعاء ثامن عشره تُوُفّى الزَّيْنى خُشْقَدَم بن عبد الله اليَشْبُكِىّ مقدّم المماليك ــ كان ، فى الدّولة الأشْرَفيّة بَرسْبَاى ــ ويأتى ذكره مع من تُوفّى فى هذه السنة إن شاء الله تعالى .

وفيه ورَدَ الخبرُ بمقتل الأمير طُوغَان نائب الكَرَك على ماسَيأتى ذكرُه أيضا .

وفى يوم الخميس تاسع عشره برَزَ أميرُ حاج المحمل الأمير دُولاَت بَاى المحمُودِىّ المؤيّدىّ الدّوَادَار الكبير بالمحمل إلى برْكة الحُجَّاج ، وكان الحاجّ فى هذه السنة رَكْباً واحدا ، وهذه حجة دُولاَتْ باى المذكور بالمحمل ثانى مَرة ، ثم بعد خروج الأمير دُولاَتْ بَاى إلى بركة الحجاج برزَ إليه المرسومُ الشريف بأن يُرْسِلَ مملوكَه أعنى دَوَاداره السّيفى فَارِس بجماعةٍ من الحاج أمَامَه كالرّكْب الأوّل ، فَفَعَل ذلك، وسافر المقامُ الغَرْسِىّ خليل ابن الملك الناصر فَرَج صُحْبة المحمل بعد يومين وكان سَفَر السّيفى فارس الدّوادار من البِرْكَة فى ظُهرْ يوم السبت حادى عشرينه ، وسافَرَ أُستاذه الأمير دُولاَتْ بَاىْ بالمحمل فى ليلة الأحد ثانى عشرينه بعد طلوع القمر .

وفى يوم الجمعة عشرينه ــ ويوافقه سابع هَاتُور ــ لبس السلطانُ القماشَ الصّوف الملوّن ، وألبسَ الأمراءَ المقدّمين على العادة فى كلّ سنة .

وفى يوم الثلاثاء رابع عشرينه خَلَعَ السلطانُ على السّيفى طَقْتَمُر الناصرىّ البَّارِزِىّ رأس نَوْبَة الجَمَدَارِيّة ، ورَسَم له أن يتوجّه إلى القُدْس الشريف لإحضار الأمير يَشْبُك[1] من جانبك المؤيدى[1] الصُّوفى نائب طَرَابُلُس — كان — إلى القاهرة ليتجهّز منها ثم يعود إلى دِمَشْق أتابكاً بها ، ورَسَمَ لطَقْتَمُر المذكور أن يتوجّه إلى دِمَشْق أيضا ويقبِضَ على أتَابَكها الأمير خَيربَك المؤيّدىّ ، ويحمله إلى الصُّبَيْبَة ليُسْجَن بها .

وفيه رُسِمَ بنقل الأمير يَشْبُك طَازْ المؤيّدىّ حاجب حُجَّاب طَرَابُلس إلى نيابة الكَرَك، عوضا عن طُوغَان المقتول قبل تاريخه ، واستقّر عوضه فى حجوبية طرابُلس الأميرُ مُغُل بَاى البَجَاسى نائب قلعة[2] الرّوم بمال / وَعَدَ به ، واستقرّ فى نيابة قلعة الرّوم ناصرُ الدين محمد والى الحُجَر بقلْعة حَلَب . ٢١٦

● ذوالقعدة : أوّله الثلاثاء .

فى يوم الأحد سادسه رسَمَ السلطانُ بحبس تقىّ الدين عبد الرحمن بن حجّى ابن عزّ الدين الشّافعى قاضى قضاة طرابُلس بحبس المَقْشَرة ، فتوجّهوا به على حِمَار إلى المقشرة وهو يُنادَى عليه بشوارع القاهرة : هذا جزاء من يُزَوِّرُ المحاضر .

ثم أمَرَ السلطانُ من وقته بحبس مَامَاىْ الخاصكى الدَّوادار السَّيفى بَيْبُغا المظفرى بالبُرْج من قلعة الجبل ، وكان مَامَاىْ هذا هو المتوجّه إلى طرابُلس لكشف خَبَر ابن عزِّ الدين المذكور ، فعاد مَامَاىْ من طرابُلس وعَرَّفَ السلطانَ بحسن سِيرة ابن عزّ الدين المذكور، فلم يلتفت السلطانُ إلى كلامه ، وحمله على الغرض ، وفعل به وبابن عز الدين ماذكرناه ، واستمرّ مَامَاىْ بالبُرْج إلى يوم الاثنين سابعه أُطْلِق ، ورُسمَ بنَفْيه إلى حماة ، فتجهّز وتوجّه إلى حماة بعد أيّام ، واستقرّ فى وظيفته أعنى الدَّوادارية السّيفى قَانْصُوه البَجْمَقْدار الظَّاهِرِىّ جقْمَق .

(١ — ١) مابين الرقمين من ت .

(٢) قلعة الروم : وكانت تقع فى البر الجنوبى الغربى للفرات . على نحوخمس مراحل من حلب ، وهى من القلاع الحصينة ويمر بها نهر يعرف بمرزبان يصب فى الفرات ، فتحها الأشرف خليل بن قلاوون وسماها قلعة المسلمين (القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ١١٩ ، ١٢٠) .

وفى يوم الخميس عاشره وصَلَ إلى القاهرة الأميرُ يَشْبُك الصّوفى ليتجهّز بالقاهرة ثم يتوجّه إلى دِمَشْق على أتابَكيَّتها .

وفيه رسَمَ السلطانُ بالإفراج عن الأمير جَانبك المحمودىّ من حَبْس المَرْقَب وأن يتوجّه بطَّالاً إلى طَرَابُلس .

وفى يوم الاثنين رابع عشره وصلَ إلى القاهرة الأمير تَنِبَك البُرْدْبَكّى الظاهرى أحد مقدّمى الألوف بها ، وحاجب الحجاب ـــ كان ـــ المتوجّه قبل تاريخه إلى حفظ ثَغْرِ رَشيد .

وفى يوم الاثنين ثامن عشرينه خلعَ السلطانُ على الأمير يَشْبُك من جانِبَك المؤيّدىّ المعروف بالصُّوفى، باستقراره أتَابَك العساكر بدمشق عوضا عن الأمير خَيربَك بحُكْمِ القبض عليه حسبما تقدّم ذكره .

وفى هذا الشـــهر انحطّت الأسعارُ فى جميع المأكولات انحطاطا زائدا بالنسبة إلى ماكانت عليه فيما مضى من تلك السنين ، وذلك لعموم الرىِّ بالنيل[١] فى جميع بلاد الدّيار المصرية وتغليق[٢] تخضير أراضيها ، فأبيع القمح بثلاثمائة وعشرين درهما الإردبُ إلى مادونها، وأبيع الفول بثلاثمائة درهم الإردب إلى مادونها ، وأُبيع الشعير بمائة وأربعين درهما الإردب إلى مادونها ، والدقيق العلامة بمـــائة وعشرين درهما البَطّة إلى مادونها ، والخبز بدرهم ونصف الرِّطْل ، واللحم الضانى باثنى عشر درهما الرِّطل ، واللحم البقرى بتسعة دراهم الرِّطل ، والجُبْن المقلى[٣] بثمانية دراهم الرِّطل ، / والجُبْن الأبيض بستة دراهم الرِّطل والشيرج[٤] باثنى عشر درهما الرِّطل ، وقِسْ على ذلك . ٢١٧

(١) فى ت « بالنسبة إلى جميع بلاد الديار المصرية » .
(٢) تغليق تخضير أراضيها : أى عم الزرع كل الأراضى فاخضرت كلها .
(٣) الجبن المقلى : اى الجبن بالمش . ويقال عليه فى ريفنا الجبن الأحمر .
(٤) فى ت « بثمانية عشر » .

وفى يوم هذه الأيام ثَبَتَ سعر الدينار الظاهرىّ[١] الذى زنته دِرهَم وقيراطان بثلاثمائة وعشرين درهما ، وهذا شىء لم نعهد مثله .

● ذوالحجة : أوّله الأربعاء .

ففى يوم الخميس ثانيه توجّه الأمير يَشْبُك الصُّوفى المقدم ذكره إلى محلّ إقامته بدِمَشْق .

وفى يوم السبت حادى عشره قَدِمَ القاضى بدر الدين حسن بن المزلّق إلى القاهرة ، ولبس كاملية بفرو سمُّور .

وفى يوم الثلاثاء رابع عشره شكا شخص من الحلبيين يُسَمَّى أحمد بن العطّار على القاضى محبِّ الدين بن الشحنة قاضى قضاة حَلَب ، وذكر عنه أشياء شنيعة ، وادَّعى أحمد المذكور أنّه يُثْبِتُ فى جهة ابن الشحنة المذكور مائةَ ألف دينار تناولها من أوقاف حَلَب ، وغير ذلك بالطّريق[٢] الشّرعى ، وذكر أيضا أنّ ابن الشِّحْنَة هَدَم مسجدا وأدخله فى داره التى بناها بحَلَب ، فلمّا سَمِع السلطانُ كلامَ المذكور رَسَم بهدْمِ دار ابن الشِّحنة والقبضِ عليه وحبسه بقلعة حَلَب ، وكتبَ بذلك مرسوما شريفا على يد بَشِيرِ السَّاعى ، تم نَدَبَ السلطانُ بعد ذلك السَّيفى أُلْطُنْبُغَا الطَّرَبائِي إلى التوجّه إلى حَلَب بسبب ابن الشِّحْنَةِ والكَشْفِ عن أحواله ، وسافر بعد أيّام .

وفى يوم الخميس سادس عشره استقرَّ القاضى حسامُ الدين محمد بن تقى الدين عبد الرحمن بن بُرَيْطع قاضى قضاة حلب عِوَضاً عن ابن الشِّحْنَة .

وفى يوم الاثنين عشرينه استقرّ أُسَنْبُغَا الكلبكى نائب بَعْلَبَكّ[٣] فى نيابة القُدْس ، وأُضيفَ إليه نظرُ الحَرَمَيْن بعد وفاة القاضى أمين الدين عبد الرحمن بن الدّيرى .

وفى الثلاثاء حادى عشرينه تكلّم الوزير تَغْرِى بَرْدِى القلاوى مع السّلطان فى

---

(١) فى ت « الدينار المصرى » .

(٢) هكذا بالمخطوطتين ، وفى التبر المسبوك للسخاوى ٣٨٣ : بغير طريق الشرع . وانظر النص هنا ص ٣٤١ ففيه : بغير طريق شرعى .

(٣) بعلبك : بلدة قديمة لها أسوار وبها آثار عظيمة وبها قلعة حصينة شامخة البناء ، ومنها إلى دمشق ثمانية عشر ميلا (ياقوت ـــ معجم البلدان) وهى حاليا تتبع لبنان .

عزله زين الدين فرج ناظر الدَّولة عن نظر الدَّولة ، فَعَزَلَ السلطانُ فَرَجاً المذكور عن نظر الدَّولة وأبقى معه كِتَابَة المماليك على عادته أوّلا .

وفي يوم الخميس ثالث عشرينه وصَلَ إلى القاهرة مُبَشِّر الحاج السَّيْفى فارس دَوَادار الأمير دُولاَتْ بَاىْ الدَّوادار ، وأخبر بالأمن والسّلامة .

وفي يوم الجمعة رابع عشرينه حَضَرَ السلطانُ الملك الظاهر جَقْمَق صلاة الجُمْعة بجامع[1] القلعة على عادته ، وبه توعّك ، وبعد خروجه من الصّلاة / غُشِىَ ٢١٨ عليه ، فأُرْجِفَ في القاهرة بموته ، ولهج الناس بذلك ، فأصبح من الغد في يوم السّبت خامس عشرينه حضر الخدمة في الدهيشة من القلعة ، وحضرت الأمراءُ من غير كَلَفْتَاة ، وعلّم على عِدّة قصص ، ثمّ أصبح في يوم الأحد سادس عشرينه ركب من القلعة ونزل إلى بيت آبنته زوجة الأمير أُزْبُك من طَطَخ الظاهرىّ السّاقى أحد أمراء العشرات ورأس نَوْبَة ، فلم يُطِلْ الجُلُوس عندها وعاد إلى القلعة من وقته ، وكان سكن أُزْبُك المذكور يومئذ في الدّار التى هى خلف حمّام بَشْتَك[2] بالقرب من جامع[3] الأمير سُودُون من زَادَة .

وفي يوم الاثنين سابع عشرينه عمل السلطان الخدمةَ بالحوش لقُصّاد جهان شاه بن قَرَا يُوسف مُتَمَلِّك تِبْرِيز وغيرها ، وكان قُدُوم القصّاد المذكورين لإعلام السلطان بأن جهان شاه كَسَرَ عساكر بابور[4] بن باى سُنْقر بن شاه رُخّ بن تَيْمُورْ لَنْك ، واستولى على عِدّة بلاد من ممالكه ، وأن عسكر جَغْتَاى ضَعُفَ أَمْرُه لوقوع الوَبَاء في خيولهم ومواشيهم .

وفي يوم الأربعاء تاسع عشرينه ضَرَبَ السلطانُ القاضى جلال الدين عبد الرحمن بن الأمانة أحد نوّاب الحكم الشّافعية بيده عشر عصىّ،لكَوْنِه حَكَم على بعض العَوَامّ أنه لايطالب إلابحكم الشرع الشريف .

---

(١) جامع القلعة : المراد به جامع الناصر محمد بن قلاوون الذى عمره بالقلعة سنة ٧١٨ هـ وقد مر التعريف به .

(٢) حمام بشتك : ويقع بسويقة العزى ــ سوق السلاح ــ بجوار مسجد ميرزاده ، ويعرف بحمام مصطفى كتخدا (على مبارك ــ الخطط ٦ : ٦٦) .

(٣) جامع الأمير سودون من زادة : أنشأه الأمير سودون من زادة الظاهرى برقوق ، وهو عامر وبداخلة ضريح منشئه ، ويعرف بجامع السايس ، ويقع فى سويقة العزى بشارع سوق السلاح (على مبارك ــ الخطط ٢ : ١٠٥ ، ٥ : ٢١) .

(٤) فى ت « مابور » .

وفى هذه السنة وقع ببلاد المَشْرِق فِتَنٌ عظيمة ، فمن ذلك الحروب التى وقعت بين أولاد باى سنقر بن شاه رُخّ بن تَيْمُورْلَنْك ، وهى مستمرّةٌ إلى يومنا هذا ، ثم ماوقع بين بابور بن باى سنقر بن شَاه رُخّ بن تيْمُورْلَنْك وبين جهان شاه قَرَا يُوسُف بن قَرَا محمد متملّك تِبْريز ، وأظن الفتنة بينهما لأن كلامنهما عنده طمع فى الاستيلاء على ممالك الآخر .

ومن ذلك ماوقع لملوك حصن كَيْفا من دِيَار بكر ، وهو أن الملك الكامل صاحبها قتله الملكُ الناصر ولدُه صَبْراً بين يديه ، وملك الحِصْن من بعده وآستوسق[1] له الأمرُ من شهر ربيع الأوّل من السَّنة حسبما تَقَدّم ذكره — ويأتى فيمن تُوُفِّى هذه السّنة — إلى شهر رمضان من السنة أيضا ، فَوثَبَ على الناصر المذكور فى ثامنه ابنُ عمّه الملكُ حسين ابن الملك عثمان بن الملك الأشرف ، ودخل الحِصْن وقَتَل جماعة كثيرة من أعوان الناصر ، ثم طلع إلى قلعة الحصن وقتل الناصر صَبْرًا ، فكانت مُدَّة مُلكه نحو ستة أشهر ، ولم يهنأ بالملك من بعد أبيه .

٢١٩ قلت : لاجَرم أنّ الله عامله من جنس فعله الذى فعله بأبيه الذى هو سبب / إيجاده بإذن الله ، ولكن كما تدين تُدَان ، ومارَبُّكَ بظلّام للعبيد .

ثم ساق الملكُ حسين المذكورُ وأتى بالملكِ الناصر أحمد بن الملك الكامل أخى الناصر المقتول ، وكان الناصر هذا هو ولِىّ عَهْدِ أبيه الكامل ، لأنه أكبر أولاده ، وملّكه الحِصْن واستفحل أمرُه وتَمَّ .

قلتُ : وأمر الناصر هذا من الغرائب ، لأنه كان قد خَرَجَ فى أيّام أبيه الكامل إلى بعض القُطْر لأَمْرِمَا، فوثب أخوه الناصرُ فى غيبته على أبيه الكامل وقتله وملك الحصن ، فاستمرّ الملكُ الناصرُ أحمد هذا مُشَتَّتاً عن بلاده حتى كان ماكان من قتل أخيه ودخوله إلى الحصن سلطانا ، وتمّ أمرُه وَلُقِّبَ بالملك الكامل كأبيه ، وكان دخول الناصر إلى الحصن بعد قتل أخيه الناصر باثنى عشر يوما ، أعنى فى عشرين شهر رمضان .

---

(١) استوسق له الأمر : اجتمع له . (اللسان)

ولما استفحل أمْره قَتَل عِدَّةً كثيرة من الذين كانوا ثاروا مع أخيه على أبيه كما ذكرنا بعض هذه الواقعة فى حوادث شهر ربيع الأوّل من هذه السنة .

ووقع أيضا فى هذه السنة بين أولاد على بَك بن قَرَايلُك فِتَن كثيرة واستولى حسن بن على بك بن قرايلُك على آمد وأخذها من أخيه جهان كير بن على بَك بن قَرايلُك، وأرسل بمفاتيحها إلى السلطان الملك الظاهر جَقْمق سلطان الدّيار المصرية ، فشكر له ذلك[(١] وردّ إليه مفاتيح آمِد [١)]، واستحسن منه هذه الفعلة .

وفى هذه السنة أيضا آستولَى الشريف بركات بن حسن بن عَجْلاَن أميرُ مكة المشرفة على مدينة حلى[(٢)] من أطراف اليمَن عَنْوَة ، وأخرج صاحبها عنها ، وجعل إقَامة ولده بها .

وفى هذه السنة شرع الرّئيس سعد الدين إبراهيم بن الجيعَان فى عمارة مدرستة على النيل بساحل بُولاَق بين الحجازيّة والبرابخية[(٣)]

أمر النيل فى هذه السنة :

كانت القاعدةُ ـــ أعنى الماء القديم ـــ خمسة أذرع وأربعة وعشرين إصبعا ، وكان مبلغ الزّيادة فى هذه السنة أيضا تسعة عشر ذراعا واثنا عشر إصبعا .

(١ ـــ ١) مابين الرقمين وارد فى هامش اللوحة .

(٢) حلى : مدينة باليمن على ساحل البحر فى الطريق إلى مكة ، ويقال لها حلى بنى يعقوب ، وبها حصن من حصون تعز (ياقوت . معجم البلدان) .

(٣) الحجازية والبرابخية . قاعتان كانتا بساحل روض الفرج ببولاق . وانظر مايأتى فى أحداث سنة ٨٥٧هـ من هذا الجزء .

﴿ ذكر من تُوفِّى من الأعْيَان فى هذه السّنة ﴾

تُوفِّى الشيخُ علاء الدين ابن قطب الدين أحمد القَلْقَشنْدِى[١] الشّافعى أحد علماء الشافعية فى يوم الاثنين مسْتَهَلّ المحرّم ، ودُفِن من الغد فى يوم الثلاثاء ، وكان مولده بالقاهرة فى ذى الحجة سنة ثمان وثمانين وسبعمائة ، ونشأ بها ، وحفظ القرآن الكريم وعِدَّة متون فى مذهبه ، وتفقّه بعلماء عصره كشيخ الإسلام سراج الدين عمر / البُلْقِينى وولده قاضى القضاة جلال الدين ، والعلامة عز الدين بن جماعة ، والعلامة سراج الدين بن المُلَقّن وغيرهم ،وأخذ علم الحديث عن الشيخ زين الدين العراقى والشيخ نور الدين الهَيْثَمى ، وسمع الحديث على جماعة كالبُرْهَان الشّامى ، والعلاء بن المجد ، والجمال الحَلاَوِىّ ، وسمع أيضا على العراقى والهَيْثَمى ، وبرع فى الفقه والأصول والعربية والمعانى والبيان والقراءات ، وشارك فى عِدّة علوم ، وتصدّى للإفتاء والتّدريس والإشغال عِدَّة سنين ، وانتفع به الطَّلَبَةُ ، وتفقّه به جماعةٌ من الأعيان ، وولى تدريس الشافعى عوضا عن الشيخ نور الدين التِّلْوَانى ، وطُلب لقضاء دِمَشْق فامتنع ، ورُشِّحَ لقضاء الديار المصرية غير مرّة ، وكان سِنُّهُ حين تصدّر للتدريس دون العشرين سنة ، وَوَلِىَ تدريس الشافعية بالمدرسة الشّيخُونية[٢] عوضا عن قاضى القضاة شمس الدين القَايَاتى ، ووَلى تدريس القراءات بمدرسة السلطان الملك الناصر[٣] حسن بالرُّميلة تجاه قلعة الجبل ، وتدريس الحديث بجامع ابن[٤] طولون عوضا عن الحافظ شهاب الدين بن

٢٢٠

---

(١) هو على بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن على القلقشندى (السخاوى ـــ الضوء اللامع ٥ : ١٦١ ـــ ١٦٣) و (ابن العماد ـــ شذرات الذهب ٧ : ٢٨٩) و (النجوم الزاهرة ٧ . ٣٦٧ . كاليفورنيا) .

(٢) المدرسة الشيخونية : هى التى بشارع الصليبة تجاه جامع شيخو . أنشأها الأمير شيخو العمرى سنة ٧٥٦هـ وهى عامرة مقامة الشعائر (على مبارك ـــ الخطط ٦ : ٨) .

(٣) مدرسة السلطان حسن : أنشأها السلطان حسن بن محمد بن قلاوون فى السنوات ٧٥٧هـ ـــ ٧٦٠هـ وتعتبر من أهم العمائر الإسلامية من حيث الهندسة وضخامة البناء ، ولاتزال باقية شامخة تحت قلعة الجبل . وانظر هامش المرحوم الاستاذ محمد رمزى على (النجوم الزاهرة ٩ : ١٢٣ ط . دار الكتب) .

(٤) جامع ابن طولون : هو ثالث مسجد جامع بنى فى مصر بعد الفتح الإسلامى أنشأه الأمير أحمد بن طولون على جبل يشكر ، وتم بناؤه فى رمضان سنة ٢٦٥هـ (٨٧٩ م) وهو مبنى بالآجر أيضا بدل الأعمدة الرخامية ، وكان به ست منارات لم يبق منها إلا واحدة لها طراز خاص . وانظر (المقريزى ـــ الخطط ٢ : ٢٦٥ ـــ ٢٦٨) وهامش المرحوم الأستاذ محمد رمزى على (النجوم الزاهرة ٨ : ١٠٦ ، ١٠٧) .

حجر ــ رحمه الله تعالى ــ ووَلِيَ مشيخة المدرسة التى أنشأها تغرى بَرْدِى المؤذى الدَّوادار الكبير بخط صَلِيبة ابن طولون ، وتدريسها أيضا ، ولمّا تُوُفِّى تولّاها من بعده ولدُه برهان الدين إبراهيم ، ولازم الحضورَ من بعده وتصدّر للتدريس .

وتُوفِّى الشيخُ الإمامُ العالم المقرىء المُجيدُ ناصر الدين محمد بن كَزُلْبُغَا شـــيخ القراء بالديار المصرية الحنفى، إمام المدرسة الأشرفية بَرْسْبَاى بالعَنْبَرانيِّينَ ، فى يوم الأحد تاسع عشر صَفَر ، وأصل والده مملوك تُرْكى من مماليك الأمير أَلْطُنْبُغَا الجُوبَانىّ نائب الشام ، وكان مولد الشيخ ناصر الدين المذكور فى أوائل القرن تقريبا ، وكان بارعا فى علم القراءات جيّد الصَّوت عديم النّظير فى القراءة فى المِحْراب ، أوْحَدَ أهل زمانه فى علم التَّجويد ، فصيحا مُؤدّياً لكتاب الله تعالى أحسن تأدية ، لم يكن فى زمانه مثله فى تجويد الحروف ومعرفة مخارجها ، وكان فيه حدّةُ مِزَاج وسوء خُلُق وسَطْوَةٌ على الطلبة على قاعدة بعض أبناء الأتراك ، وكان إذا احتدَّ تحصل له غُتْمَةٌ[1] زائدة خارجة عن الحدّ ، وكان له حُرْمة عظيمة على أرباب الوظائف بالمدرسة الأشرفية كالمؤذنين والفراشين بها ــ رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّى عظيمُ الدَّولة ورئيسها وعالمها القاضى كمال الدين أبو المعالى محمد ابن القاضى / ناصر الدين أبى المعالى محمد ابن القاضى كمال الدين محمد بن عثمان ٢٢١ ابن محمد بن عبد الرّحيم بن هبة الله البَارِزِىّ[2] الجُهَنِىّ الشَّافعى الحَمَوِىّ الأصل والمولد والمنشأ ، المصرى الّدار والوفاة ، كاتب السِّرّ بها وصهر الملك الظاهر جَقْمق ، سألته عن مَوْلِده فقال : مَوْلدى بحماة فى ذى الحجة سنة ستٍّ وتسعين وسبعمائة .

---

(١) الغتمة : هى العجمة فى النطق . والاغتم من لا يفصح فى كلامه (محيط المحيط) .

(٢) هو محمد بن محمد بن محمد بن عثمان بن عبدالرحيم بن هبةالله البارزى الجهنى . كمال الدين ، ولد سنة ٧٨٦ هـــ (السخاوى ـــ الضوء اللامع ٩ : ٢٣٦) . و (ابن العماد ـــ شذرات الذهب ٧ : ٢٩٠) . و (النجوم الزاهرة ٧ : ٣٦٨ ط . كاليفورنيا) .

قلت : ونشأ بحماة فحفِظَ القرآن الكريم وعدّة متون ، وصلّى التراويح بالنّاس فى الديار المصرية لّما قدم مع والده فى سنة تسع وثمانمائة ، ثم عاد إلى حماة ، وحفظ التمييز[١] فى الفقه ، وقرأه على الحافظ برهان الدين الحلبى المعروف بالقُوف ، ثم قَدِمَ إلى الديار المصرية مع والده أيضا بعد قتل الناصر فرج بن بَرقُوق ـ صحبة الأمير الكبير شَيْخ المحمودى؛ أعنى الملك المؤيد ـ فى سنة خمس عشرة وثمانمائة ، وأخذ عن علماء عصره ، وقد استوعبنا ذكرهم فى تاريخنا « المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى » حتى بَرَع فى الفقه والأصول والعربية وعلمى المعانى والبيان ، ومهر فى المَنْظُوم والمنْثُور لاسيما فى الأدب والإنشاء والتَّرسُّل ، وباشر نيابة كتابة السِّرّ عن والده فى عُنْفُوان شبيبته فى الدولة المؤيدية شَيخ ، ثم وَلِيهَا استقلالاً بعد وفاة والده فى يوم السبت خامس عشرين شوّال سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة إلى أن صُرِفَ بصهره علم الدين داود بن الكُوَيْز ، وتولّى نظر الجيش عوضا عن علم الدين المذكور ، واستمرّ فى وظيفة نظر الجيش إلى أن صُرِفَ بالزينى عبد الباسط ابن خليل الدِّمَشْقِىّ فى يوم الاثنين سابع ذى القعدة سنة أربع وعشرين وثمانمائة ، فلزم المذكور داره على أجمل وجه إلى أن طلبه الملك الأشرف بَرْسبَاى وولّاه كتابة سرّ دِمَشْق بعد موت بدر الدين حسن فى شهر رجب سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة ، ثم أضيف إليه قضاء القضاة بدمشق فى يوم الأربعاء مستهلّ شعبان سنة خمس وثلاثين وثمانمائة ، فباشر القضاء وكتابة السِّرّ إلى أن طلبه الملك الأشرف إلى الديار المصرية وولّاه كتابة سرِّ مصر، بعد عزل الصاحب كريم الدين بن كاتب المناخ فى يوم السبت العشرين من شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين [وثمانمائة][٢] فباشر الوظيفة إلى أن صُرِفَ بالشيخ محبّ الدين محمد بن الأشقر، فى يوم الخميس سابع شهر رجب سنة تسع وثلاثين ، فلَزِمَ داره إلى أن أُعِيدَ إلى قضاء دِمَشْق عوضا عن سراج الدين

(١) كتاب التمييز : فى فقه الشافعية . ألفه شرف الدين هبةالله بن عبدالرحيم بن البارزى الحموى المتوفى سنة ٧٣٨ هـ . وعليه شرح البهاء محمد بن على الأنصارى المتوفى سنة ٧٥٣ هـ . (حاجى خليفه ـ كشف الظنون ١ : ٤٨٥) .

(٢) الإضافة للتوضيح .

عمر بن موسى / الحِمْصِيّ ـــ مسئولا فى ذلك ـــ فى يوم الثلاثاء مستهلّ شهر رجب ٢٢٢
سنة أربعين وثمانمائة ، وتوجّه إلى دِمَشْق وباشر قضاءها وخطابة الجامع الأموىّ ،
ولمّا كان بدمشق كتبَ إليه الشرفى يحيىٰ بنَ العطَّار يقول : [مخلع البسيط] .

ياسيداً جَدَّ بالنَّوَى لِى وطَالَ مَاجَادَ بالنَّوَال
مِن مُنْذُ سَافَرْتَ زَادَ نَقْصِي يَاطُولَ شَوْقِى إلى الكَمَالِ

فأجابه القاضى كمال الدين ـــ وأنشدنيهما من لفظه رحمه الله : [الطويل]

خَيَالُك فى عَيْنَىَّ يُؤَنِسُ وَحْدَتِى عَلَى أَنّ دَاءَ الشَّوْقِ فى مُهْجتِى أَعْيَا
فإِنْ مَات مِنْ فَرْطِ آشتِياقِى تَصبُّرِى أُعَلِّلُهُ بِالْوَصْلِ مِنْ سَيِّدِي يَحْيَى

واستمرّ فى قضاء دِمَشْق إلى أن طلبه صهرُه الملك الظاهر جَقْمَق لَمَّا كان مُدَبِّر مملكة
الملك العزيز يوسف ، فَقَدِمَ القاهرة بعد سلطنة الملك الظَّاهر جَقْمَق ، واستقرّ فى
كتابة السّر عوضا عن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله،فى يوم الثلاثاء سابع
عشر شهر ربيع الآخر سنة آثنين وأربعين وثمانمائة ، وهذه آخر ولايته ، فإنه استمرّ
فى الوظيفة إلى أن تُوُفِّى فى التاريخ المقدم ذكره ، وكَثُرَ أسفُ الناس عليه لكثرة
محاسنه وعظم كرمه ، ولقد كان من محاسن الدنيا عِلْمًا وفضلا وكرما ، وسؤددًا
وسياسة ، وتواضعا وحلما ، وهو أحد من أدركناه من الأفراد فى معناه ، يضيق هذا
المختصرُ عن إيراد ماذكرناه فى ترجمته فى تاريخنا المُسَمَّى « المنهل الصافى » رحمه
الله تعالى ، ولله درّ القائِل [الكامل]

حَلَفَ الزَّمَانُ ليأتِين بِمِثْلِهِ حَنَثَت يمينُك يازمانُ فَكَفِّر

وتُوُفِّى الشيخُ زين الدين طاهر بن محمد بن على النُّوَيْرِىّ [١] المالكى ، أحد
فقهاء المالكية ، وأحد مشايخ القراء فى يوم الاثنين خامس شهر ربيع الأوّل،وسنّه
تنيف على ستين سنة تقريبا ، كان إمامًا فقيهًا عالمًا بارعًا محقّقا ديِّنا خيّرا صالحا
متواضعًا ، مليح الشكل حسن الهيئة رَضِىّ الخلق ساكنا عديم النظير ، قل أن يتصف
أحد فى عصره بمحاسنه-رحمه الله تعالى وعفا عنه .

(١) له ترجمة فى (النجوم الزاهرة ٧ : ٣٧٣ ط . كاليفورنيا) .

وتُوُفِّىَ الملك الكامل خليل ابن الملك الأشرف أحمد ابن الملك العادل سليمان[١] صاحب حصن كَيْفَا قتيلا بيد ولده فى شهر ربيع الأوّل ، وسبب ذلك أنّ ولده المدعو بالملك الناصر دخل عليه ليلا ومعه جماعةٌ وقتله صبرا ، وملك بعده ، وتمَّ أمرُه إلى شهر رمضان من السنة /[وثَبَ عليه[٢]] الملك حسن ابن عمه وقتله ، ٢٢٣ وسلطن أخاه أحمد ، ولُقِّبَ بالملك الكامل على لقب أبيه ، وكان الملك الكامل هذا قد تسلطن بعد قتل أبيه الملك الأشرف أحمد فى سنة ست وثلاثين وثمانمائة ، وكان له شِعْرٌ ونظم كثير ذكرنا منه نبذة خفيفة فى ترجمته فى تاريخنا « المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى » وكان نظمه بحسب الحال — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّىَ شهابُ الدين أحمد بن يعقوب ، نقيب القاضى الشافعىّ فى يوم الأحد حادى عشر شهر ربيع الأوّل ، وكان مشكور السِّيرة محبًا للناس — رحمه الله تعالى وعفا عنه .

وتُوُفِّىَ السّيفَى قَنْصُوَه[٣] الأشرفى بَرْسْبَاى المصارع فى يوم الاثنين ثانى عشر شهر ربيع الأوّل ، وهو فى أوائِل الكهولية ، وهو أحد مَن أدْرَكْنَاه من الأفراد فى القُوّة وفَنِّ الصِّراع ، مع الشجاعة والإقدام ، وحسن الشكالة ، وتمام الخلقة — رحمه الله تعالى وعفا عنه .

وتُوُفِّىَ بدرُ الدين محمد بن فتح الدين صَدَقة المَحْرَقِىّ[٤] فى يوم الأربعاء رابع عشر شهر ربيع الأوّل ، وكان من بياض الناس[٥] ونسبته إلى المَحْرَقَة قَرْيَة بالجيزة من أعمال القاهرة ـ رحمه الله .

---

(١) له ترجمة فى (النجوم الزاهرة ٧ : ٣٧٣ ط . كاليفورنيا) و (السخاوى — الضوء اللامع ٣ : ١٩١ ، ١٩٢) .

(٢) إضافة يقتضيها السياق .

(٣) وورد رسمه أيضا قانصوه بألف بعد القاف ، ترجم له السخاوى فى الضوء اللامع ٦ : ١٩٨ .

(٤) هو محمد بن محمد بن محمد بن أبى بكر بن أيوب ، البدر أبو عبدالله بن الفتح بن الزينى المحرقى — نسبة لبلدة المحرقة بالجيزة — ويعرف بالمحرقى ، ومن سمى والده صدقة كالعينى « وكما هنا أيضا » فهو غلط . وقال السخاوى أيضا إنه اتفق على أنه فتح الدين محمد وليس بدر الدين ، وانظر (الضوء اللامع ٩ : ٥٦) .

(٥) بياض الناس : تعبير يعْنى ذوى الوجاهة من الأعيان والتجار ممن ليسوا من الأمراء أو أرباب الوظائف أصلا (المحقق) .

وتُوُفِّيَ أبو بكر المصارع المعروف بابن الإمام ، أحد أولاد الناس الذين أنشأهم الملك الظاهر جَقْمَق ، فى يوم الأحد ثامن عشر شهر ربيع الأوّل ، وكان والدهُ إمام الأمير جَارْكَس القَاسِمِىّ المُصَارِع ، ونشأ أبو بكر هذا على هيئة الأجناد ، وكان يقرأ فى المحافل بالجُوَق[1] بغير أجرة ، وكان عالما بفَنِّ الصِّراع ، وله فيه اليد الطولى ، وكان من جملة المماليك السلطانية أرباب الجَوَامِك إلى أن تسلطنَ الملكُ الظاهر جَقْمَقُ تَحَرَّك له بُعَيْضُ سَعْدٍ وتولَّى خدمة الإمام الليث بن سعد والإمام الشافعىّ ــ رضى الله عنهما ــ وعدَّة زوايا بالقرافتين الكُبْرَى والصُّغْرَى ، فباشر أوقافهم بعسفٍ ، وأثرى من ذلك ، وحسابُه على الله ، وتولَّى ذلك من بعده يوسفُ شاه العَلَمِىّ مُعَلِّم السلطان وكبير المعمارية ، وباشر ذلك بعد أبى بكر المذكور رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّيَ الشيخُ المعتقد المعروف بالشيخ وَلِيِّ الدين الرُّومى الحنفى ، نزيل الجامع الأزهر فى يوم السبت مستهلّ شهر ربيع الآخر وهو فى أوائل الكهوليّة ، وكان على قدم جيِّد من العبادة والانقطاع بالجامع المذكور ، وكان يكتب الخطَّ المَنْسُوب ، وفيه محاسن ــ رحمه الله .

٢٢٤ وتُوُفِّيَ الرئيسُ سعد الدين أبو / غالب القِبْطِىّ الحنفى المعروف بابن عُوَيد السَّراج فى يوم الثلاثاء رابع شهر ربيع الآخر ، ودفن من الغد ، وكان لديه فضيلة ، وله مشاركة جيدة ومحاضرة حسنة ، وكان يحب طلبة العلم ، ويجتنب القبط والنصارى ، وكان جَمَّاعَةً للكتب ، وبالجملة فإنه كان خيْرَ أبناء جنسه ــ رحمه الله .

وتُوُفِّيَ الأمير سيفُ الدين أَلْطُنْبُغَا بن عبد الله الظَّاهرى بَرْقُوق[2] المعلِّم المعروف باللَّفاف ، أحد مقدمى الألوف بالديار المصرية ــ بَطَّالا ــ فى يوم الاثنين عاشر شهر ربيع الآخر ، ودُفِنَ من يومه . أصله من مماليك الملك الظاهر بَرْقُوق ،

---

(١) الجوق : جمع جوقه وتعنى هنا فرقة أو جماعة من القراء .

(٢) له ترجمة فى (السحاوى ــ الضوء اللامع ٢ : ٣٢٠) . و (النجوم الزاهرة ٧ : ٣٧٤ ، ٣٧٥ ط . كاليفورنيا) .

وطالت أيَّامُه فى الجندية والخمول ، ثم صار من جُمْلَة مُعَلِّمى الرُّمْح فى الدولة الأشرفية بَرْسْبَاى ، واستمرّ على ذلك إلى أن كانت الوقعة بين الملك الظاهر جَقْمَق وبين الأتابَك قُرْقَمَاس الشَّعْبَانى أصابت أَلْطُنْبُغَا المذكور جراحاتٌ ، وتقنطر عن فرسه ، فعرف له الملك الظاهر جَقْمَق ذلك وقَرّبَه ، وأنعم عليه بإقطاع السَّيْفى قَلَمْطَاى الإسحاقى [1] الأشرفى الخاصِّكِّى،ثم بعد مدّة يسيرة أنعم عليه بإمرة عشرة زيادة على مابيده عوضا عن الأمير سودون المغربى الظاهرىّ بَرْقَوق بعد نَفْيه ، ثمّ بعد مدة يسيرة أنعم عليه بإمرة طبلخاناه زيادة على مابيده،عوضا عن الأمير أَقْطُوَه المُوسَاوىّ الظاهِرِىّ بَرْقُوق بعد نفيه أيضا ، ثمّ ولاَّهُ نيابة الإسكندرية ، فأقام بالإسكندرية مُدَّةً وَعُزِلَ وقَدِمَ القاهرة على إقطاعه،إلى أن أنعم عليه بإقطاع الأمير سودون السودونى الظاهرىّ بَرْقُوق بعد نفيه أيضا زَيَادةً على ما بيده ، وجعله من جُملة أمراء الألوف ، وأمره بالجلوس ، ثم أنعم عليه بعد سنين فى سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة بإمرة مائة وتقدمة ألف ، بعد موت الأمير تَمُرْبَاى رأس نَوْبة النَّوب ، فاستمر على ذلك إلى أن ضعف وحصل له بوادر اختلاط فاستعفى وَلَزِمَ دارَه مُدَّة يسيرةً ، وَتُوُفِّى كما تقدّم ذكرُه وكان رجلا دَيِّناً خيرا عاقلا عفيفا عن المنكرات والفروج ، رأسا فى لعب الرمح تركىّ الجنْس ، وعنده سلامة باطن ، وقلة معرفة فى كل شىء حتى إنه كان يضعف رأيه عن مباشرة إقطاعه – رحمه الله .

وهَلَكَ بَطْرَقُ النَّصارَى أبو الفرج اليَعْقُوبِىّ النَّصْرانىّ فى ليلة الجمعة رابع عشر شهر ربيع الآخر ، ودفن من الغد — فى سَقَر وبئس المصير .

وتُوُفِّى / الأمير بَرْسْبَاى المؤيّدى [2] الساقى أحد أمراء العشرات فى يوم الجمعة سابع عشرين جمادى الأولى ، وأنعم بإقطاعه على السّيفى جَانَم السّاقى ٢٢٥

(١) قلمطاى هذا هو صهر الجمال يوسف بن تغرى بردى مؤلف هذا الكتاب . توفى سنة ٨٧٧ هـ . (السخاوى — الضوء اللامع ٦ : ٢٢٤) .

(٢) له ترجمة فى (النجوم الزاهرة ٧ . ٣٧٥ ط . كاليفورنيا) .

الظاهرىّ جَقْمَق ، وأصل بَرْسِبَاى هذا من مماليك الملك المؤيّد شيخ ، وصار خاصّكِيًّا فى الدولة الأشرفية بَرْسْبَاى ، ثم صار سَاقِيًا فى الدولة الظاهريّة جَقْمَق ، ثم أنعم عليه الملكُ الظاهرُ جَقْمَق بإمرة عشرة بعد موت الأمير إينال الكمالىّ الناصرىّ ، فاستمرّ من جملة أمراء العشرات إلى أن مات فى التاريخ المذكور ، وكان عاقلا ساكنا ديّنا نادرة فى أبناء جنسه — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّىَ الجمالى يوسف بن يَغْمُور[1] نائب قلعة صَفَد فى أوائل شعبان ، ومولده بالقاهرة فى حدود التسعين وسبعمائة — تخمينا — ونشأ بها ، وقاسى خطوب الدّهر ألوانا فى الدولة الناصرية فرج ، وتشتت فى البلاد الشاميّة سنين إلى أن جعله الملكُ الظاهُر طَطَر خاصّكِيًّا ودام فى ذلك سنين طويلة ، ثم صار فى آخر الدولة الأشرفيه مقدم البريديّة إلى أن نقله الملكُ الظاهر جَقْمَق إلى نيابة قلعة صَفَد ، فدام بها سنين ، ثم نقل إلى أتابكية صَفَد ، وتولّى عِوَضَه الأميرُ بَيْسَق اليَشْبُكِىّ إلى أن قدم الجمالى يوسف المذكور إلى القاهرة،وأعيد إلى نيابة قلعة صَفَد ثانيا ، وعزل بَيْسَق اليَشْبُكِىّ ، فدام على ذلك إلى أن مات بها — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّىَ السيّد الشريفُ شرفُ الدين محمد الحسنىّ المعروف بصهر نور الدين السَّفْطِىّ فى يوم الأحد ثامن عشر شعبان ، وكان أوّلا تاجرا فى بعض الحوانيت ، ثم عانَى الخِدَمَ الدِّيوانِيَّة بعد موت صهره نور الدين،فولى عوضه عِدَّة وظائف — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّىَ الملكُ الناصرُ صاحب الحصن[2] قتيلا فى ثامن شهر رمضان ، تقدّم ذِكْرُ قَتْلِهِ فى ترجمة والده فى هذه السنة ، وتولّى عوضه أخوه أحمد .

وتُوُفِّىَ الشيخُ الإمام العلاَّمَة زين الدين عمر بن الأمير سيف الدين قُدَيْد القَلَمْطَاوى[3] بمكّة المشرّفة فى ثامن عشر شهر رمضان ، وسنه ثمان وستون سنة ،

---

(١) له ترجمة فى (السخاوى — الضوء اللامع ١٠ : ٣٣٨) و (النحوم الزاهرة ٧ : ٣٧٥ ، ٣٧٦ ط . كاليفورنيا) .

(٢) أى حصن كيفا .

(٣) له ترجمة فى (السحاوى — الضوء اللامع ٦ : ١١٣ ، ١١٤) — وقد ولد سنة ٧٨٥ هـ . و(النجوم الزاهرة ٧ : ٣٧٦ ط كاليفورنيا).

وكان إمام عصره فى العربية والتَّصْرِيف ، وله مشارَكَةٌ فى عدة علوم ، وكان متقشفا لايتجمّل فى ملبسه ولامركبه ، وكان زِيُّهُ على هيئة أوْلاد الأجناد الحلقة،مع دين وعقل وسكون ــ رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّىَ الأمير الطواشى زين الدين خُشْقَدَم الرُّومىّ اليَشْبُكِىّ [1] مقدَّم المماليك ــ كان ــ فى ليلة الأربعاء ثامن عشر شوّال وسنه نَيَّفَتْ على / سبعين ٢٢٦ سنة ، وخُشْقَدَم هذا أصلُه من خُدَّام الوالد رحمه الله ، اشتراه فى نيابته لحَلَب قبل الثمانمائة ، وقدّمه إلى الملك الظّاهر بَرْقُوق فى جملة مماليك وخُدَّام ، فأنعم به الظاهر على الأمير فارس الحاجب ، ثم ملكه الأمير يَشْبُك الشّعبانىّ الأتابكى بعد قتل الأمير فارس الحاجب فى سنة اثنتين وثمانمائة وأعتقه ، ودام بخدمته إلى أن قُتِل يَشْبُك عاد إلى خدمه وَالِدِى ــ رحمه الله ــ ثانيا ، ودام عنده إلى أن تُوُفِّىَ والدى ــ رحمه الله ــ صار من جُمْلة الجَمَدَارِيّة عند الملك المؤيّد شيخ ، واستمرّ على ذلك إلى أن وَلِىَ نيابة تقدمة المماليك السلطانية بعد موت الملك المؤيد ، ودام على ذلك سنين إلى أن نقله الملك الأشرف بَرْسبَاى إلى تقدمة المماليك السلطانية بعد موت آفتخار الدين ياقوت الأرغون شاوىّ فى سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة،واستمرّ على وظيفتة إلى أن قبض عليه الملك الظاهر جَقْمَق وحبسه بثغر الإسكندرية؛لممالأته إلى الملك العزيز يوسف ابن الملك الأشرف بَرْسْبَاى ، فدام فى حبس الإسكندرية مُدَّةً ثم أطلق ، ورسم له بالتوجّه إلى المدينة النبوية فتوجه إلى المدينة الشريفة ، ودام بها مُدّةً طويلة ، ثم قدم القاهرة بطَّالا،واستمر بها إلى أن مات فى التاريخ المذكور ، وكان حشما طوالا جسيما جميلا،إلاَّ أنه كان مُتَعَاظِمًا شحيحا عاريا من كل فضيلة ظنينا برأى نفسه ، ولله در أبى العلاء المعرىّ حيث يقول : [الطويل]

فَوَاَ عَجبًا كَمْ يُظْهِرُ الفَضْلَ ناقصٌ ووأسفاً كَمْ يَدَّعِى النقصَ فاضِلُ
وكَيْفَ تَنَامُ الطَّيْرُ فى وُكْنَاتِها إذَا نُصِبَت للفرقدين الحَبَائِـلُ

(١) له ترجمة فى (السخاوى ــ الضوء اللامع ٣ : ١٧٤) . وينسب إلى الأمير يشبك الشعبانى الأتابكى . و (النجوم الزاهرة ٧ : ٣٧٦ ، ٣٧٧ ط . كاليفورنيا) .

وتُوُفِّى الأمير طُوغَان[١] نائب الكَرَك قتيلا بنواحى الكَرَك فى أواخر سنة ست وخمسين ، وطوغان هذا أصله من مماليك الأمير نَوْرُوز الحافظىّ ، وقيل من مماليك الأمير آقْبَرْدِى المنقار المؤيّدى ، ثم صار من جملة المماليك السلطانية سنين طويلة إلى أن جعله الملكُ الظاهرُ جَقْمَق خاصِّكيًّا ، ثم ولاه نيابة دِمْيَاط ، ثم نقله إلى البلاد الشاميّة على إمرة ، ثم صار بعد مُدَّة طويلة أمير / طبلخاناه بدمشق ودوادار ٢٢٧ السلطان بها ، وحجَّ أمير حاج [الرَّكْب] [٢] الشامىّ غير مَرَّة ، ثم نقل إلى نيابة الكَرَك فى سنة ستّ وخمسين المذكورة،عوضا عن الأمير إينال اليَشْبُكِى المعروف بحاج إينال بحكم آنتقال إينال إلى نيابة حماة ، فتوجه إلى الكَرَك ، وبعد أيّام يسيرة ركب بمماليكه وكبس بعضَ الأعراب الطائعة وقاتلهم وظفر منهم بجماعة ، فأسرف فى قتلهم ، ثم نزل بمكان هناك ، فعادوا عليه العرب من وقتهم فقاتلهم ثانيا فكسروه وقتلوه شرّ قتلة ، وكان مهملا وضيعا أهوج ظالما سيىء الخُلق ، إلا أنه كان مشهورا بالشجاعة مع طيش وخِفَّة ـــ رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّىَ القاضى أمين الدين عبد الرحمن ابن قاضى القضاة شمس الدين محمد ـــ وأخوه شيخُ الإسلام سعد الدين الدِّيرىّ[٣] الحنفى ـــ بالقُدْس الشريف فى يوم السبت رابع ذى الحجة ، وهو على ولاية نظر القُدْس والخليل سألته عن مولده فقال : بالقدس الشريف فى شعبان سنة سبع عشرة وثمانمائة ، وأمه أم ولد ، وكانت لديه فضيلةٌ ، وله نظر جيّد ، ويكتب الخط المنسوب ، وعنده مكارم وطيش وخفة وإظهار نعمة ـــ على ديون كان يتحملها ـــ رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّى بدِمَشْق فى هذه السنة أيضا القاضى جمال الدين يوسف بن الصفىّ[٤] الكَرَكِىّ الأصل ، ومولده بالكَرَك فى حدود السبعين وسبعمائة تقريبا ،

(١) هو الأمير سيف الدين طوغان السيفى آقبروى المنقار ، (السخاوى ـــ الضوء اللامع ٤ : ١٢) . و (النجوم الزاهرة ٧ : ٣٧٧ ط . كاليفورنيا) .

(٢) إضافة يقتضيها السياق .

(٣) هو عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله بن سعد بن أبى بكر . أمين الدين أو زين الدين بن الديرى المقدسى الحنفى ولد فى شعبان سنة ٨١٧ هـ . (السخاوى ـــ الضوء اللامع ٤ : ١٣٤ ، ١٣٥) .

(٤) له ترجمة فى (السخاوى ـــ الضوء اللامع ١٠ : ٣٠٠) . ونسبته إلى الصف من أعمال الإطفيحية بصعيد مصر . و (النجوم الزاهرة ٧ : ٣٧٧ ، ٣٧٨ ط . كاليفورنيا) .

وقدم القاهرة فقيراً مملقا قبل سنة ثمانين وسبعمائة ثم عاد إلى بلده ، ثم قدمها ثانيا فى سنة اثنتين وتسعين فى خدمة قاضى القضاة عماد الدين الكَرَكِىّ واستوطنها ، ثم اتَّصَل بخدمة التاجر بُرْهان الدين إبراهيم المحلى فحسنت حاله عنده ، ثم خدم بالطالع والنازل إلى أن وَلِىَ الوظائف الجليلة بالبلاد الشاميّة ، ثم قدم القاهرة فوَلِىَ بها كتابة السرّ،بعد موت القاضى علم الدين داود بن الكُوَيْز فى سنة ست وعشرين وثمانمائة ، فلم تطل مُدَّتُه وعزل ولزم داره،إلى أن وَلِىَ نظر جيش دمشق بعد موت بدر الدين حسين فى سنة إحدى وثلاثين ، ثم أُضِيف إليه فى بعض الأحيان كتابة سرّ دِمَشْق ، ثم استعفى عن ذلك كُلِّه لكبر سِنِّه،ولَزِمَ داره بدِمَشْق إلى أن مات فى هذه / السنة ، ٢٢٨ وخلف مالاً جزيلا وورثه ابنُهُ موسى ناظر جيش طَرَابُلس ، وكان عاريا من الفضيلة ، عارفا بقلم الدَّيْوَنة على عادة الأقباط ، ومات وسنه نحو تسعين سنة — عفا الله عنا وعنه .

﴿ سنة سبع وخمسين وثمانمائة ﴾

أهلّت هذه السنة وسلطان الديار المصرية الملك الظاهر أبو سعيد جَقْمَق العلائى الظاهرىّ بَرْقُوق وهو متوعِّك .

والخليفة القائم بأمر الله أبو البقاء حمزة .

وقضاة القضاة : الشافعىّ قاضى القضاة شرف الدين يحيى المُنَاوِىّ ، والحنفى شيخ الإسلام سعد الدين [سعد][1] بن الدّيرىّ ، والمالكى قاضى القضاة وَلِىُّ الدين [محمد][1] السّنباطى ، والحنبلىّ قاضى القضاة بدرُ الدين [محمد][1] بن عبد المنعم البغدادِىّ .

والأمراء : أَتَابَك العساكر إينال العلائى الناصرىّ ، والمقام الفخرى عثمان بن السلطان[2] وأمير سلاح جَرِبَاش الكريمى الظاهرىّ [برقوق[1]] ، وأمير مجلس تَنَم مِنْ عبد الرزّاق المؤيدىّ ، والأمير آخور [الكبير[3]] قانِى بَاى الجاركسىّ ، ورأس نَوْبَة النُّوَب أَسَنْبُغَا الطَّيَّارىّ الناصرى ، والدواراد الكبير دُولاَتْ بَاىْ المحمودىّ المؤيّدىّ ، وحاجب الحجّاب خُشْقَدَم المؤيّدىّ ، وباقى مقدمى الألوف : تَنِبَك البُرْدْبَكِّى حاجب الحجّاب ــ كان ــ وطُوخ من تِمْرَاز النّاصرىّ ، وجَرِبَاش المحمدىّ الناصرى [المعروف بكرد[3]] ، وشاد الشّراب خاناه يُونُس الآقْبَائى أمير طبلخاناه ، والخازندار قَرَاجَا الظاهرى [جقمق[3]] بإمرة طبلخاناة ، والزَرَدْكَاش لاَجِين الظاهرى [جقمق[3]] أمير عشرة ، ونائب القلعة يُونُس العلائى الناصرى ، والأمير آخور الثانى يَرْشْباى الإينالّى المؤيّدىّ ، ورأس نوبة ثانى جَانبك القَرمَانِى [الظاهرى برقوق[3]] والدوادار الثانى تَمُرْبُغا الظاهرىّ [جقمق[3]] على إمرة عشرة ، والحاجب الثانى نُوكَار [الناصرى[3]] على إمرة عشرة ضعيفة ، والزّمام

---

(١) الإضافة من (النجوم الزاهرة ٧ : ٢٣٧ ط . كاليفورنيا) .

(٢) فى النجوم الزاهرة ١٥ : ٤٥٠ ذكر أن المقام الفخرى عثمان من مقدمى الألوف .

(٣) الإضافات من (النجوم الزاهرة ٧ : ٢٣٧ ، ٢٣٨ ط . كاليفورنيا) .

والخازندار فَيْروز النَّوْرُوزِىّ ، ومقدم المماليك مَرْجَان العادلّى المحمودىّ [الحبشى(١)] ووالى القاهرة جَانِبَك اليَشْبُكِىّ أمير عشرة .

مباشرو الدولة : كاتب السّر محب الدين [محمد(١)] بن الأشقر ، وناظر الجيش والخاص الصاحب جمال الدين يوسف بن كاتب جَكَم ، والوزير الصاحب أمين(٢) الدين إبراهيم بن الهَيْصَم،والأستادار زين الدين يحيى قريب ابن أبى الفرج ونائب كاتب السرّ معُين الدين بن العجمى،وناظر الدولة فرج بن(٣) النَحّال ، وهو أيضا كاتب المماليك السلطانية ، ومحتسب القاهرة الشيخ [يَرْعَلَى](١) العجمى الخراسَانى ، وناظر الإسطبلات السّلطانية / بُرهَان الدين إبراهيم بن الدّيرى . ٢٢٩

نوّاب البلاد الشامية وغيرها : نائب الشام الأمير جُلُبَّان ، ونائب حلب الأمير قَانِى بَاى الحمزاوىّ ، ونائب طَرَابُلس يَشْبُك النَّوْرُوزىّ ، ونائب حَمَاة حاج إينَال اليَشْبُكِىّ ، ونائب صَفَد بَيْغُوت [الأعرج(١)] المؤيّدىّ الأعرج ، ونائب غَزَّة جَانِبَك التَّاجى المؤيّدىّ ، ونائب الكَرَك يَشْبُك المؤيّدىّ المعروف بطَاز ، ونائب مَلَطْيَة جَانِبك الجَكَمِىّ ، ونائِب الإسكندرية بَرْسْبَاىْ البَجَاسِىّ ، ونائِب دِمْيَاط بَيْغُوت المؤيّدى .

وباقى نوّاب القلاع يطول الشرح فى ذكرهم ، ومن ذكرناه هو المصطلح .

● المحرم : أوّله الجمعة .

فى يوم الخميس سابعه أُرجِف بموت السلطان الملك الظاهر جَقْمَق ، وفيه ورد الخبر بموت الشهابى أحمد بن أبى الفرج متولى قَطْيَا .

وفى يوم السبت تاسعه خرج السلطانُ الملك الظاهر جَقْمَق من قاعة الدِّهيشَة إلى الدّهيشة ماشيا وجلس من غير أن يستند إلى أحد ، وعلّم على عِدّة مناشير

(١) الإضافات من (النجوم الزاهرة ٧ : ٢٣٨ ط . كاليفورنيا) .

(٢) ورد فى هامش اللوحة حاشية « صوابه تغرى بردى القلاوى كما فى الأصل » . هذا وقد اتفقت عبارة (النجوم الزاهرة ٧ : ٢٣٨ ط . كاليفورنيا) . مع ما جاء فى المتن هنا .

(٣) ورد فى هامش اللوحة « هامش — كما فى الأصل : فرج بن النحال عزل عن نظر الدولة فى ذى الحجة » .

وقصص ، ثم عاد إلى القاعة ، وكان ذلك آخر خروجه إلى الدّهيشة[1] ، واستمر مُتَمَرِّضا بقاعة الدّهيشة وهو يعلّم فى بعض الأحيان وينفذ فى بعض الأمور ، ودام على ذلك إلى ماسيأتى ذكره .

وفى هذه الأيام لهج بعض الناس بأن الملك الظاهر رَسَم بتوجّه المقام الغرسى خليل ابن الملك الناصر فرج من عقبة إيلات إلى القُدْس الشريف ، ولم يكن لذلك حقيقة .

وفى يوم الأربعاء عشرينه وصل إلى القاهرة الأمير جَانِبَك النَّوْرُوزِىّ مقدّم المماليك السلطانية بمكة المشرفة بمن معه من المماليك السلطانية ، ودخل إلى الملك الظاهر جَقْمَق إلى القاعة المذكورة ، ثم خرج من عنده وقبّل يد المقام الفخرى عثمان ابن الملك الظاهر .

وفى اليوم المذكور تكلّم السلطانُ الملك الظاهر مع بعض خواصه فى خلع نفسه من المملكة وسلطنة ولده المقام الفخرى عثمان فى حياته ، فروجع فى ذلك فلم يَقْبَل ورَسَم بجمع الخليفة والقضاة من الغَد فى يوم الخميس حادى عشرينه إلى الدّهيشة وقت أذان الفجر ، وبعده ، وخلع الملك الظاهر جَقْمَق نَفْسَه وتسلطن ولدُه المقام الفخرى عثمان

(سلطنة السلطان الملك المنصور / فخر الدين أبى السعادات عثمان[2]) . ٢٣٠

أقيم فى السلطنة بعد خلع أبيه الملك الظاهر جَقْمَق فى الثانية من يوم الخميس الحادى والعشرين من المحرّم ، فكانت البَيْعَة بعد طلوع الشمس بخمسة وعشرين درجة ، وركوبه من القصر إلى الدهيشة بأبهة السلطنة على نحو الثلاثين درجة ، وكان الطالع عند بيعته بُرْج الحُوت على سبعة وعشرين درجة منه ، والغارب برج السُّنْبُلة ، والمتوسط بُرْج القَوْس ، والساعة ساعة المرّيخ ، والقمر بالوجه الثالث من العقرب .

(١) كذا بالأصل ، وفى (النجوم الزاهرة ح ٧ : ٢٤٣٩ ط . كاليفورنيا) . " خرج ... من قاعة الدهيشة إليها ماشيا على قدميه حتى جلس على مرتبته " . ويفهم مما هنا ومما جاء فى (النجوم الزاهرة ٧ : ٢٤١ ط . كاليفورنيا) . أن هناك دهيشة جوانية وأخرى برانية وعلق عليها المستشرق وليم بوبر بأن الأولى كانت معدة للنوم والثانية للاستقبال .

(٢) فى ت « سلطنة المقام الفخرى السلطان الملك المنصور فخر الدين أبو السعادات عثمان » .

وتوجّه الأمراء ، والخليفة القائم بأمر الله حمزة ، والقضاة الأربعة بين يديه مشاة ماعدا الخليفة ، وجلس على تخت المُلك وقَبَّل الأمراءُ الأرض بين يديه،وحملَ الأميرُ الكبير إينال العلائى الناصرىّ القُبةَ والطير على رأسه إلى أن جلس بالقصر المذكور ، وخلع على الخليفة وعلى الأمير الكبير كل منهما أطلسين مُتَمَّراً ، وقَيّد لكلّ واحد منهما فرسًا بسرج ذهب وكُنْبُوش زركش ، وأنعم على الخليفة بألف دينار وإقطاع زائد على مابيده ، واستمرّ الملك المنصور بالقصر إلى أن نزل الخليفة والأمراء إلى منازلهم،فخرج هو أيضا من بعدهم وتوجّه من داخل القصر إلى منزله بالحوش السلطانى من القلعة ، وهذا بخلاف العادة فإن عادة الملوك يجلسون بالقصر ثلاثة أيّام ، فلم يفعل الملك المنصور ذلك بل توجّه إلى منزله حسبما ذكرناه .

ولم يدخل الدهيشة أيضاءوإنما فعل ذلك مراعاة لوالده فإنه متمرض فى قاعة الدهيشة . انتهى .

وفى يوم الجمعة ثانى عشرينه وصل الأمير دُولاَتْ بَاى المحمودىّ المؤيّدىّ الدوادار أمير حاج المحمل بالمحمل إلى بركة الحاج ، ووصل أيضا صحبته المقامُ الغرسى خليلُ ابن الملك الناصر فرج بن بَرْقُوق ، وكان الركب الأوّل قد سبقه إلى بركة الحاج بيوم ، وكان أمير الركب الأوّل السيفى تَمُرْ بَاى الدَّوَادار الثانى بخدمة دُولاَتْ بَاىْ المذكور .

وفى يوم السبت ثالث عشرينه جلس السلطانُ الملك المنصور عثمان على الدكة الملاصقة لباب البحرة من الحوش السّلطانى ، وأخذ وأعطى ، وحكم بين الرعية ، وخلع على الأمير دُولاَتْ بَاى وعلى وَلَدَيْه كل منهما كامِلِيَّة بفرو سمّور ، ثم خلع على الأمير عيسى بن عمر الهوارِىّ أمير / العُربَان بالوجه القبلى،وعلى جماعة أخر من مشايخ العُرْبَان باستمرارهم على عادتهم . ٢٣١

وفى يوم الأحد رابع عشرينه طلع المقامُ الغرسى خليل ابن الملك الناصر فرج من تربة جدّة الملك الظاهر بَرقُوق إلى القلعة وسلَّم على السلطان الملك المنصور عثمان ، فأخلع عليه كاملية صوف بنفسجى بمقلب سمّور ، ثم خرج المقام الغرسى من عند

الملك المنصور وتوجّه إلى الملك الظاهر جَقْمَق فدخل إليه وسلّم عليه كما فعل الأمير دُولاَتْ بَاىْ بالأمس ، ثم نزل وقد رَسَم له أن يُسَافر إلى ثغر دِمْيَاط من يومه ، وكان أوّلاً مقامُ الغرسى خليل بالإسكندرية فاختار هو دِمْيَاط ، فأنعم له بذلك ، وسافر من يومه .

وفى يوم الاثنين خامس عشرينه أنعم السلطانُ الملك المنصور بإقطاعه الذى كان بيده فى أيّام والده الملك الظاهر جَقْمَق على الأمير تَنَم من عبد الرزّاق المؤيّدىّ أمير مجلس ، وأنعم بإقطاع الأمير تَنَم المذكور على الأمير يُونُس الآقْبَائِى شاد الشراب خاناة ، وصار الأمير يُونُس المذكور أمير مائة ومقدّم ألف ، وأنعم بإقطاع يُونُس المذكور وهى إمرة طبلخاناة على الأمير جَانِبَك القَرمانى الظاهرىّ بَرْقُوق أحد أمراء الطبلخاناة ورأس نَوْبَة ثان ، وأنعم بإقطاع جَانِبَك المذكور على الأمير يَشْبُك النَّاصِرِى أحد أمراء العشرات ورأس نَوْبَة ، وأنعم بإقطاع الأمير يَشْبُك المذكور على الأمير كُزُل السُّودُونِىّ المعلّم ، وكان لِكُزُل المذكور مدة سنين بطالا .

وفى يوم الثلاثاء سادس عشرينه حضر السلطان الملك المنصور عثمان خدمة القصر على العادة قديما ؛ فإن والده الملك الظاهر جَقْمَق كان قد أبطل خِدْمَة السبت والثلاثاء من القصر، حسبما ذكرناه فى السنين الماضية فى هذا الكتاب ، ثم خرج الملك المنصور من القصر ودخل إلى البحرة من الحوش السلطانى بعد ماخلع على الأمير لاَجِين[1] الزَّرَدْكَاش باستقراره شادّ الشراب خاناه عوضا عن الأمير يُونُس بحكم انتقاله إلى تقدمة ألف ، وخلع على الأمير جَانِبَك الظاهرىّ جَقْمَق رأس نَوْبَة باستقراره زَرَدْكَاشًا عوضا عن لاَجِين المذكور .

ولما جلس الملك المنصور بالبَحْرة أرسل طلب إلى عنده مباشرى الدولة ، / وحضر الأمير قَانِى بَاىْ الجاركسى أمير آخور ، والأمير فَيْروز النَّوروزِىّ الزّمام والخازندار ، وكلمهم فى أمر النفقة ، وطال جلوسهم عند السلطان إلى قريب الزّوال ، ثم انفضّ المجلس على أن الصاحب جمال الدين يوسف ناظر الجيش ٢٣٢

(١) وقد كان لاجين هذا لالاة السلطان الملك المنصور عثمان (النجوم الزاهرة ٧ : ٣٨٢ ط . كاليفورنيا) .

والخاص، يقوم من ماله بمائة ألف دينار للخزانة الشريفة برسم نفقة المماليك السلطانية ، والتزم يحيى الأستادار بحمل ثلاثين ألف دينار بعد أمور ، ووقع الاتفاق على صرف النفقة فى أوّل شهر ربيع الأوّل ، وذلك لعجز بيت المال عن القيام بنفقة المماليك السلطانية ، فإن الملك الظاهر جَقْمَق لم يَدَع فى الخزانة شيئا ولا الدرهم الفَرد ، كل ذلك والملك الظاهر جَقْمَق فى قَيْدِ الحياة غير أنه على خطة .

وفى يوم الخميس ثامن عشرينه أَخْلَعَ السلطانُ الملك المنصور عثمان على الأمير جَانِبَك الظاهرىّ جَقْمَق بشدّ بندر جُدّة على عادته فى السنين الماضية .

وفيه أيضا خلع السلطان على عِدة من الخاصّكيّة وندبهم للتوجه إلى البلاد الشامية وعلى يدهم تقاليد النّواب باستمرارهم ، وهم : السَّيْفى جَانَم البَهْلَوَان الأشرفى إلى نائب الشام الأمير جُلُبَّان ، والسيفى طُوخ الخاصّكىّ النَّوْروزِىّ إلى نائب حَلَب الأمير قَانِى بَاى الحمزاوىّ ، والسيفى بَرْسْبَاى الأشرفى الأمير آخور — كان — إلى نائب طَرَابُلُس الأمير يَشْبُك النَّوْروزِىّ ، والسيفى قَايِتْبَاى الأشرفَى إلى نائب حماة الأمير حاجّ إينال اليَشْبُكِىّ ، والسيفى دُولَاتْ بَاى إلى نائب صَفَد الأمير بَيْغُوت الأعرج المؤيَّدىّ ، والسيفى سُودُون يُكْرُكْ — أعنى مجرى باللغة التركية — إلى نائب غزّة جَانِبَك التاجى المؤيّدىّ ، وخُشْقَدَم السَّيفى قَراجا إلى نائب الكَرَك والقُدْس ، والسيفى إينال الظَّاهرى جَقْمَق إلى نائب الإسكندرية الأمير بَرْسْبَاى البجاسىّ ، والسيفى تَمر الأشرفى الخاصّكى إلى نائب قلعة دِمَشْق وقضاتها وأرباب وظائفها .

وفى يوم السبت سلخه[١] قبض السلطان الملك المنصور عثمان على الأمير زين الدين يحيى قريب ابن أبى الفرج الأستادار ، ورسم بالحوطة على جميع موجوده وحواشيه ، واستقر الأمير جَانِبَك الظاهرى شاد بندر[٢] جدّة فى الأستادارية عوضه ، وخلع عليه لوقته ؛ وسبب نكبة زين الدين / الأستادار المذكور عدم القيام بما التزمه ٢٣٣ لأجل نفقة المماليك ولأمر غير ذلك ذكرناه فى ترجمته فى تاريخنا المسمى بـ

(١) ورد فى هامش اللوحة " حاشية : وفيه أى يوم السبت ثامن عشرين صفر من سلخه .... عزل السلطان قاضى القضاة الشافعية يحيى المناوى ، وولى قاضى القضاة علم الدين صالح البلقينى ، بمبلغ يقال إنه ثلاثة آلاف دينار " .

(٢) هذا اللفظ من ت .

« المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى » وسُرّ الناس بالقبض على زين الدين المذكور سُرُورًا زائدًا ؛ لأنه كان فى أيّام ولايته ظَلَمَ وعسف وطَال واستطالَ ، واستولَى على عِدّة إقطاعات للجُند والأمراء ، وعلى عدة جهات كالرِّزَق الموقوفة على المساجد والرُبُط ، واخترع مظالم ، وأحدث أمورا لم يفعلها أحدٌ من قبله من الأستادراية ، فلذلك كثر ماله وعمر العمائِر الهائلة المشهورة به ، وبنى الجوامع والرُّبُط والسُّبُل من ذلك المال الخبيث ، فإنه كان قبل ولايته الأستادارية فقيرا مملقا لايملك إلا مايتجمل به بين الناس لاغير ، فعلم من ذلك أن جميع هذه العمائِر من هذا المال الذى هو من دماء المسلمين ، فلله درّ القائِل حيث يقول : [الطويل] .

بنى جامعاً لله من غير ماله فكان بحمد الله غير مُوّفَقِ

كمُطْعِمَةِ الأيتام من كدِّ فرجها لكِ الوَيْلُ لاتَزْنِى ولاتتصدقى

وفيه أنعم الملك المنصور على الأمير بُرْدْ بَك [الظاهرى جَقمق] [١] البَجْمَقْدَار أحد أمراء العشرات ورأس نوبة بإقطاع من الذخيرة ، وأنعم بإقطاع بُرْدْ بَك المذكور على السّيفى سُودُون من سلطان الخاصّكِّى الظاهرىّ جَقْمَق رأس نَوْبَة الجَمَدَارِيّة ، وصار من جملة الأمراء ، وأنعم السلطان أيضا على السيفى جَانِبَك القَجْمَاسىّ الأشرفى المعروف بدَوَادَار سيّدى بإمرة عشرة أيضا مما كان فى الذخيرة .

وفيه استقرّ الأمير قَانِى بَاىِ المؤيَدىّ أحد أمراء العشرات من جملة رءوس النُّوب ، وكذلك الأمير جَانِى بَك من أمير الأشرفى ليستقرّ من جملة رءوس النُّوب .

وفى آخر هذا اليوم تسلم الأميرُ جَانِبَك الظاهرىُّ زينَ الدين الأستادار من القلعة ونزل به إلى داره على أنه يعاقبه ويقوم بنفقة المماليك بما يأخذه منه فى مصادرته ، وتسلم أيضا صهرَه تاج الدين بن المقسىّ وطواشيهوأخذهم الجميع إلى داره ، وأصبح الأمير جَانِبَك من الغد أخبر السلطان أن زين الدين الأستادار أقرَّأنَّ فى حاصله مائة ألف دينار ، وأنه وجد منها أربعةً وأربعين ألف دينار ، وأنه فى طلب الباقى .

---

(١) الإضافة من (النجوم الزاهرة ٧ : ٣٨٥ ط . كاليفورنيا) .

● صفر : أوّله الأحد .

٢٣٤ فى يوم / الاثنين ثانيه أخلع الملك المنصور على الأمير الطواشى فَيْروز النَّوْروزىّ الزّمام والخَازِنْدَار بعود الذخيرة إليه . وفيه وُجِدَ لزين الدين الأستادار فى قاعته بدرب شمس الدَّوْلة[١] من القاهرة سبعةٌ وأربعون ألف دينار ، فصار الجملة نيفا وتسعين ألف دينار .

وفيه أخلع السلطانُ على الأمير قَشْتَم المحمودى الناصرى بنيابة البُحَيْرَة على عادته أوَّلاً .

وفيه أنعم السلطان على السّيفى قَانْصُوَه المحمدىّ الأشرفى بإمرة عشرة مما كان أيضا متوافراً .

وفى يوم الاثنين هذا تُوُفِّى الملكُ الظاهر أبو سَعِيد جَقْمَق العلائى الظاهرىّ بَرْقُوق بين المغرب والعشاء ، فبات تلك الليلة والعزاء حوله إلى أن جُهِّز من الغد وصُلِّىَ عليه بمصلاة باب القُلَّة بالقلعة ، وحضر ولده السلطان الملك المنصور عثمان الصلاة عليه،وصلَّى عليه الخليفة القائم بأمر الله أبو البقاء حمزة ، فكان يوما مشهوداً لم نر لملك جنازةً كجنازته لعدم الغوغاء وكثرة الناس والخفر الذى حصل على جنازته بخلاف جنائِز الملوك ، كل ذلك لكون ولده تسلطن فى حياته ، ودُفِن بتربة الأمير[٢] قَانِى بَاى الجاركسىّ الأمير آخُور التى جدَّدها وأنشأها عند دار الضِّيَافة بالقُرْب من قلعة الجبل ، ومات وسنُّهُ نيف على التسعين سنة — رحمه الله .

وفيه استقر القاضى أبو الفضل بن [الحكيم][٣] كاتب السَّعْدِىّ ناظر ديوان المُفْرَد .

وفى يوم الأربعاء رابعه نُودِى بالأمان والنفقة للمماليك السلطانية فى آخر الشهر أعنى صفر هذا .

وفيه نُقِلَ زيْن الدين الأستادار من بيت الأمير جَانِبَك الأستادار إلى القلعة بطبقة الأمير قَرَاجَا الخَازِنْدَار،على أنه يقوم بخمسمائة ألف دينار ، ثم استقرّ الحال فى الغد

---

(١) درب شمس الدولة : وينسب إلى الملك المعظم شمس الدولة توران شاه بن أيوب ، وكان قبل ذلك يعرف بحارة الأمراء .

(٢) فى النجوم الزاهرة ٧ : ٢٤٢ ط . كاليفورنيا « أنه دفن بتربة أخيه الأمير جاركس القاسمى المصارع التى جددهامملوكه قانى باى الجاركسى بالقرب من دار الضيافة تجاه سور القلعة » .

(٣) إضافة يقتضيها السياق ، وانظر ما يلى ص ٣٤٢ وانظر حوادث ١٠ ربيع الآخر ٨٥٩ هـ . وفى طبعة بوبر ص ٢٢٦ : كاتب الشعير .

أى يوم الخميس على ثلاثمائة ألف دينار خارجا عن المبلغ المتقدّم الذى أخذ منه قبل تاريخه ، وهو نيّف على التسعين ألف دينار ، فتكون الجملة أربعمائة ألف دينار .

وفى يوم الخميس هذا وقفَ بعضُ العوامِّ تجاه باب المُدَرَّج ــ أحد أبواب قلعة الجبل ــ إلى أن ينزل الناصرىّ محمد بن أبى الفرج نقيب الجيش[1] فرجمُوه ، وأفحشوا فى أمره كما فعلوا معه ذلك أيضا فى أمسه ، فنزل ابنُ أبى الفرج المذكور[2] إلى بيت الأمير تَمُرْبُغَا الدَّوَادَار الثانى / ثم شكا إلى السلطان ما وقع به ، فنُودِى بأنْ لايقف أحدٌ عند باب المُدَرَّج من العوامّ ، ومن وقف وقع[3] به ماهو كيت وكيت من أنواع العذاب .

٢٣٥

وفى يوم السبت سابعه خلع السلطانُ على الشيخ على المحتسب ، وعلى الأمير جَانِبَك اليَشْبُكِى وَالى القاهرة ، وعلى الناصرى محمد نقيب الجيش باستمرارهم على وظائفهم .

وفى يوم الاثنين تاسعه خلع السلطانُ الملك المنصور عثمان على الأمير قَرَاجَا العمرى المتولِّى قَبْلَ تاريخه نيابة بَعْلَبَك باستقراره كاشف الشرقية بالوجه البحرىّ من أعمال القاهرة عوضا عن عبد الله الكاشف ، وأراح الله المسلمين من عبد الله المذكور ؛ فإنه كان بئس الرجل سيرةً وفعلاً ، ظَلَمَ وعَسَف فى ولايته ، وطالت أيّامه ، وقاست أهل تلك النواحى منه شدائِد ــ ألا لعنة الله على الظالمين .

وفيه أخلع على يوسف شاه العلمى معلّم المعماريّة باستمراره على وظيفته .

وفيه عوقب زين الدين يحيى الأستادار وعُصِرَ بالمعَاصِر ، وضرب على سائر أعضائه ، وحضر الناصرى محمد بن أبى الفرج نقيبُ الجيوش المنصورة عصرَه ؛ فإن السلطان كان ألزم نقيبَ الجيش المذكور أن يتولى عقوبة زين الدين ، وقال له : ماأعرف الخمسمائة ألف دينار إلاّ مِنْكَ ، فلهذا صار نقيبُ الجيش يتولى عقوبته ،

(١) فى ت « الجيوش المنصورة » .
(٢) فى ت « المشار إليه » .
(٣) فى ت « فعل به » .

ثم عوقب زين الدين من الغد ثانيا ، واستمر فى المصادرة والعقوبة إلى ماسيأتى ذكره .

وفى يوم الثلاثاء عاشره استقرّ زينُ الدين فرج بن النَّحَّال كاتب المماليك السلطانية ناظر ديوان المُفْرد عوضا عن أبى الفضل بن الحكيم المستقر فى الوظيفة قبل تاريخه بمدّة يسيرة .

وفيه استقرّ تَنَم رصاص الخاصّكّى شادّ بندر جُدّة عوضا عن الأمير جَانِبَك الأستادار .

وفى يوم الخميس ثانى عشره قبض السلطان الملك المنصور عثمان على جماعة من الأمراء المؤيديّة ، وهم : الأمير دُولَاتْ باى المؤيّدىّ المحمودىّ الدوادار الكبير والأمير يَرْشْبَاى الإينالى المؤيدىّ الأمير آخور الثانى وأحد أمراء الطبلخاناة ، والأمير يَلَبَاى الإينالى المؤيّدىّ رأس نَوْبَة وأحد أمراء العشرينات[١] ، وكان مَسْكُ دُولَاتْ باى من قاعة الدّهيشة ويَرْشْبَاى من الإسطبل السلطانى ويَلَبَاى من سُوق الخَيْل / وقُيِّدُوا الجميع وداموا بالقلعة ، وبعد آذان الظهر أنزلوا بالقيود على البغال والأَوْجَاقِيّة[٢] خلفهم على العادة ، والمماليك الأشرفية من الخاصكية وغيرهم بالسّيوف والرِّمَاح والدّرق تمشى حولهم إلى أن أوصلوهم إلى بحر النِّيل ، ولم يكن معهم من الأمراء المقدمين سوى الأمير أَسَنْبُغَا الطيّارِىّ رأس نَوْبَة النُّوب ، والأمير خُشْقَدَمَ المؤيدىّ حاجب الحّجاب ، وسافروا من ساعتهم إلى ثغر الإسكندرية ، وحصل للمماليك الأشرفية بالقبض على هؤلاء المؤيديّة سرورٌ زائدٌ إلى الغاية .

٢٣٦

قُلْتُ : وهكذا شأن الدُّنْيَا ، فإنى رأيتُ جماعةَ المؤيديّة تَمْشِى مع الأمراء الأشرفيْة الذين قبض عليهم الملك الظاهر جَقْمَق فى سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة على هذه الهيئة بعينها ، فكما تدين تدان ، فلاشك أنهم جُوزُوا من جنس عملهم ،

---

(١) فى ت « أحد أمراء العشرات » .

(٢) الأوجاقية : جمع أوجاقى أو أوشاقى ، وهو الذى يتولى ركوب الخيل للتيسير والرياضة (القلقشندى — صبح الأعشى ٥ : ٤٥٤) .

وكان مُسَفِّر الأمير دُولاَت بَاى الأميرقراجَانِبَك الظاهرىّ جَقْمَق الزَّرْدْكَاش ، وقد استقرّ نائب الإسكندرية فى الباطن عوضا عن برسباى البجاسى بحكم عزله ، ثم حمل إليه التقليد بعد يومين ، وكان مسفر يَرْشْبَاى الأمير سودون من سلطان الظاهرىّ الذى تأمَّر عشرة من أمسه فى هذه الدولة ، وتوجه أيضا معهم من المماليك السلطانية نحو المائة مملوك .

قلت : وبمسك هؤلاء الأمراء آتَّضَع أمر المؤيّديّة وارتفعَ حالُ الأشرفية .

وفى يوم الاثنين سادس عشره أنعم السلطانُ على الأمير قَرْقَمَاس قريب الملك الأشرف [برسباى][1] بإمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية عوضا عن الأمير دُولاَتْ بَايْ المحمودىّ المؤيّدىّ الدَّوَادار ، وأنعم بإمرة قَرْقَمَاس المذكور وهى إمرة طبلخاناه على جَانِبَك النَّوْرُورِىّ رأس نَوْبَة وأحد أمراء العشرات،والقادم من مكّة المشرّفة فى موسم هذه السنة .

وفيه استقرّ الأمير تَمُرْبُغَا الدَّوَادَار الثانى فى الدَّوَاداريّة الكُبْرى عوضا عن دُولاَتْ بَاى المذكور ، وأنعم عليه زيادة على مابيده بإقطاع الأمير يَرْشْبَاىْ الأمير آخور الثانى المقبوض عليه ، والإقطاع إمرة أربعين ، وكان بيده إمرة عشرة وزيادة ، ثم أنعم عليه بالإقطاع المذكور وهو طبلخاناه فصار جميع مابيده نحو التقدمة / لكن آستُرجِع منه إمرة عشرة بعد ذلك ليَشْبُك الظاهرى ، ودقت الطبلخاناة على بابه ؛ واستقرّ الأمير أسِنْبَاى الجمالى الظاهرى أحد أمراء العشرات دَوَادَاراً ثانيا عوضا عن تَمُرْبُغَا الدّوادار المذكور على إقطاعه إمرة عشرة من غير زيادة كما كان تَمُرْبُغَا أوّلا .

٢٣٧

وفيه استقرّ سُنْقُر [العايق][2] الأمير آخُور الثالث أمير آخُور ثانيا عوضا عن يَرْشبَاى على إقطاعه إمرة عشرة من غير زيادة .

واستقّر الأمير بُرْدْ بَك الظاهرىّ أحد أمراء العشرات أمير آخور ثالثا عوضا عن سُنْقُر المذكور .

(١) الإضافة من (النجوم الزاهرة ٧ : ٣٨٨ ط . كاليفورنيا) .

(٢) الإضافة من (النجوم الزاهرة ٧ : ٣٨٩ ط . كاليفورنيا) .

وفيه استقرّ الأمير جَانِبَك اليَشْبُكّى أحد أمراء العشرات ووالى القاهرة زَرَدْكَاشاً كبيراً عوضا عن الأمير قَرَا جَانِبَك المتولّى نيابة الإسكندرية فى أمسه،مضافا إلى مابيده من ولاية القاهرة والحجوبية وشَدّ الدواوين ، وما مع ذلك .

وفى يوم الثلاثاء سابع عشرة أنعم السلطان على الأمير سَونْجُبُغَا اليُونِسىّ الناصرى ورأس نَوْبة بإقطاع الأمير يَلَباى الإينالى بحكم القبض عليه ، وأنعم بإقطاع سَونْجُبُغَا المذكور وإقطاع الأمير جَانِبَك النَّوْرُوزِىّ نائب بَعْلَبَك على جماعة من الخاصّكّية كل منهم أمير عشرة ، وهم : السّيفى قَانِبَك السّيفى يَشْبُك من أَزْدَمُر الدَّوَادار ، والسيفى قُوزِى السّاقى الظاهرى جَقْمَق ، والسيفى يَشْبُك البَجْمَقْدَار الظاهرى جَقْمَق ، واستقرّ سَنْطَبَاى الظاهرىّ سَاقِياً عوضا عن قُوزِى ، واستقر خَيرْ بَك الأشرفى دَوَادَاراً عوضا عن قَانِبَك .

وفيه عوقب زين الدين الأستادار أشد عقوبة حتى أشرف على الهلاك وهو لايتكلم غير كلامه الأوّل ، وهو يقول لاأملك إلا ماهو مكتوب فى أيديكم ، هذا والبيع مستمرٌّ فى أمتعته وأملاكه فى كل يوم فىالأسواق، وإلى الآن لم يغلق مأورده مائتى ألف دينار .

وفى هذه الأيام كثر إلحاحُ المماليك على السلطان فى طلب إقطاعات الفقهاء والمتعممين ، وكان سبب تجرئـهم على ذلك إخراج السلطان لإقطاعات زين الدين الأستادار الموقوفة عليه وعلى جوامعه ومساجده ، وكان ذلك شيئاً كثيرا حتى إنه فُرِّق على خلق كثير من المماليك السلطانية .

٢٣٨ وفيه استعفى الوزيُر الأمير تَغْرى بَرْدِى القَلاوى الظاهرى / جَقْمَق عن الوزر فأعفى على أنه يقوم بالكُلَف السلطانية فى يومه ومن الغد .

وفى يوم الأربعاء ثامن عشره وُقِّفَ [١] مماليكُ زين الدين الأستادار إلى

---

(١) كذا فى الأصل ، ويفهم من هذا التعبير أن المراد هو انتقال ملكية مماليك زين الدين الأستادار إلى السلطان ، فاستبقى من شاء منهم ووزع الباقى .

السلطان وكانوا زيادة على ثمانين مملوكا ، وهؤلاء غير الكتابية[١] الصِّغار ؛ وهذا شيء لم نعهده لمتعمم ، فأبقى السلطانُ منهم نحو الثلاثين مملوكا فى بيت السلطان على جوامكهم ، وقطع من بقى ، وأمر بصرف الجميع .

وفيه عقد مجلس بالقضاة الأربعة بين يدى السلطان بسبب أملاك زين الدين الموقوفة عليه وعلى جوامعه ومساجده ورُبُطِه على وجوه البرّ والصدقة ؛ وسبب ذلك أمرٌ ، وهو أن زينَ الدين كان قد وَعَدَ السلطانَ الملكَ الظاهر جَقْمَق بأن يَفْضُلَ له بعضُ جَوَامِك المماليك فى كل شهر أكثر من عشرة آلاف دينار أو شيء من هذا المعنى ، ثم سكت الملك الظاهرُ عنه ، وجَرَى ماجَرَى ، فبلغ الملك المنصور ذلك فندبَ القاضى شرف الدين موسى التَّتائى وكيل بيت المال بأن يدَّعِيَ على زين الدين المذكور بألف ألف دينار وتسعمائة ألف دينار وثلاثين ألف دينار على ماقيل ، فأرسل القاضى الشافعى من المجلس جماعةً من موقِّعى الحُكْم حتى يسمَعَ جوابه ، فقال زينُ الدين ماعندى إلا ألفا ألف دينار ، فشهد الموقعون عليه بذلك وعادوا بالخبر إلى السلطان والقضاة ، فقال القاضى شرف الدين يحيى المُنَاوِىّ لشيخ الإسلام قاضى القضاة سعد الدين الدّيرى الحنفى : ماتقول يامولانا شيخ الإسلام فى أملاكه وأوقافه ؟ فقال : قد ثبت عندى أوقافه وحكمتُ بها مُدَّةً طويلة ، لكنى أبقيتُ الخلاف ولم أحكم إلاَّ على مقتضى مَذْهَبِي ، فقال بعض من حضر : هذا لما وقف كانت ذمته مشغولة بأزيد من مائة ألف دينار ، فالوقف غير صحيح . ثم انفضَّ المجلس وقد ألزم قاضى القضاة ولى الدين السنباطىّ المالكى بالحُكْمِ فى حل أوقافه بهذا المقتضى ، وحكم بعد ذلك ، وأبيعت أوقافُه ، واستمرّ فى المصادرة إلى ماسيأتى ذكره .

وفى يوم الخميس تاسع عشره خلعَ السلطانُ الملك المنصور عثمان على الصاحب أمين الدين إبراهيم بن الهَيْصَم بإعادته إلى الوَزَر عوضا عن الأمير تغْرى بَرْدِى القلاوىّ الظاهرى جقْمَق ، واستقر القلاوىّ فى كشف الوجه / القبلى[٢] . ٢٣٩

(١) المماليك الكتابية : أى الذين يعدون للأعمال الكتابية فى الدواوين . (المحقق) .

(٢) ورد فى هامش اللوحة « حاشية : يعنى البهنساوية » .

وفى يوم السبت حادى عشرينه عمل السلطان الخدمةَ بالحوش السلطانى بسبب قُصَّاد الحبشة .

وفى يوم الاثنين ثالث عشرينه رَسَمَ السلطانُ الملك المنصور للأمير جَرِبَاش الكريمى الظاهرى بَرْقُوق أمير سلاح المعروف بقَاشق بأن يلزم دارَه بحكم كِبَرسِنِّه وعجزه عن الحركة ، وأنعم بإقطاعه على الأمير قَرَاجَا الظاهرىّ جَقْمَق الخَازِنْدَار ، وأنعم بإقطاع قَرَاجَاووظيفته على الأمير أُزْبُك من طَطَخ الظاهرىّ السّاقى أحد أمراء العشرات ورأس نَوْبَة ، وأنعم بإقطاع أزبك على الأمير بَتْخَاص العُثمانى الظاهرىّ بَرْقُوق .

وفيه أيضا استقّر الأمير تَنَمُ مِن عبد الرزَّاق المؤيّدىّ أمير مجلس أمير سلاح عوضا عن الأمير جرباش الكريمى المقدم ذكره .

وفيه خلع على الأمير تَمُربُغَا الدَّوَادَار الكبير خلعة الإنظار على عادة الدَّوادارية من قبله .

وفى يوم الثلاثاء رابع عشرينه استقرّ الأمير تَنِبَك البُرْدُبَكّى الظاهرىّ بَرْقُوق أمير مجلس عوضا عن الأمير تَنَم المنتقل إلى إمْرَة سلاح فى أمسه .

وفيه عزل السلطانُ جماعةً من البوابين[1] الخاصكية المؤيديّة ، وولّى عوضهم جماعةً من الخاصّكيّة من حاشيته ، وكلما وقع شىء من ذلك انحطّ قدرُ المؤيدّية فى الدولة .

وفى يوم الأربعاء خامس عشرينه وصل إلى القاهرة مملوكُ الأمير قَانِى بَاى الحمزاوىّ نائب حَلَب ، وصحبته أيضا مملوك حاجبها ونائب قلعتها ، وقَبّلُوا الأرضَ بين يدى السلطان الملك المنصور عثمان ، وأخبر مملوك نائب حَلَبَ المذكور أن مخدومه الأمير قَانِى بَاى نائب حَلَب قبَّلَ الأرضَ للسلطان ، وابتهج بسلطنتة وسرّ بذلك سروراً زائدا ، وأنه مملوكه ومملوك والده الملك الظّاهر ـــ رحمه الله ـــ فرحّب السلطانُ به وبرفيقيه ونزلوا إلى محل إقامتهم .

(١) البوابون : هم الحجاب . أو هم رجال الطشت خاناه ممن يتعاطى الغسل والصقل . وواحدهم بابا ـــ لفظ رومى ـــ ويجمع على بابية (القلقشندى ـــ صبح الأعشى ٥ : ٤٤٩ ، ٤٧٠) .

وفيه وردَ الخيرُ من حَلَب المحروسة أيضا أنه ثبت على القاضى محبّ الدين ابن الشحنه ـــ بمحضر ـــ مبلغ ستين ألف دينار مماتناوله فى أيام ولايته من رَيْع الأوقاف التى تحت نظره وغيرها بغير طريق شرعى .

وفى يوم الخميس سادس عشرينه قُرِئ تقليد السلطان الملك المنصور عثمان بالقصر الكبير السلطانى من قلعة الجبل ، فجلس السلطان على كرسىّ الملك ، وجلس الخليفة القائم بأمر الله أبى البقاء حمزة ، والقضاة الأربعة تحته ،وقرأهُ/ القاضى محب الدين بن الأشقر كاتب السرّ الشريف،إلى أن نجز من قراءته فخلع السلطانُ عليه كامليّة خضراء بمقلب سمّور ، ثم خلع على الخليفة فوقانى بطرز زركش ، وخلع على القضاة الأربعة . ٢٤٠

وفيه خلع على القاضى تقىّ الدين عبد الرحمن بن نصر الله بنظر بندرجُدَّة على عادته .

وفى يوم السبت ثامن عشرينه خلع السلطان على شيخ الإسلام علم الدين صالح البُلْقِينىّ بقضاء الشافعية بالديار المصرِية بعد عزل القاضى شرف الدين يحيى المُنَاوِىّ ، ونزل إلى داره وبين يديه وجوه الدولة ، وقد ازدحم الناس لرؤيته ، وكان يوما مشهودا .

وفيه أعيد عبد الله الكاشف لولاية الكشف بالشرقية وعزل الأمير قَرَاجَا العمرى .

وفيه استقرّ السيفى يَشْبُك القرمى والى القاهرة عوضا عن الأمير جَانِبَك اليَشْبُكِىّ بحكم رغبته عنها .

● شهر ربيع الأول : أوّله الاثنين .

فيه كان ابتداء الوقعة التى خلع فيها الملك المنصور عثمان من السلطنة ، وسبب ذلك أنه لما كان يوم الاثنين المذكور أمر السلطان الملك المنصور فيه بالنفقة على المماليك ، وبات السلطان ليلة الاثنين بالحريم ، وأبطل خدمة القصر ، وباتوا الأمراءَ فى دورهم ، فلما كان وقت السحر ركب الجميعُ وأرادوا الطلوع إلى القلعة ، فأحاط

بهم المماليك السلطانية ومنعوهم من الطلوع،ماخلا الأمير تَنَم من عبد الرزاق أمير سلاح فإنه بدَّر بالطلوع وفاتهم ، فرجع الأمير الكبير إينال العلائى إلى بيته ومعه أمراء الألوف بأجمعهم والقوم حولهم ، والمقدمون هم : الأمير تِنبَك أمير مجلس ، والأمير أسَنْبُغَا الطيّارىّ رأس نَوْبَة النُّوب ، والأمير خُشْقَدَم حاجب الحجّاب ، والأمير جَرِبَاش المحمدىّ كُرْد ، والأمير يُونُس المُشِدّ ، والأمير طُوخ من تمْرَاز ، والأمير قَرْقَمَاس الأشرفى ، والأمير الكبير إينَال المذكور . ثم بعد ساعة هينة قبضَ فرقةٌ من المماليك السلطانية أيضا على الأمير قَرَاجَا الخَازِنْدار أحد مقدّمى الألوف أيضا وأتوا به إلى بيت الأمير الكبيرِ ، فصار جملة مقدّمى الألوف تسعة إلا أن قَرَاجَا أمسِك وحُبِسَ بمكان هو والأمير تَغْرِى بَرْدِى المعزول عن الوَزَر ، والأمير بُرْدُبَك الأمير آخُور الثالث . ثم تكاثر الجمعُ عند الأمير الكبير من الأمراء الطبلخانات والعشرات والخاصّكيّة والمماليك ، ولازالوا به حتى وافقهم على الرّكُوب ولبس آلة الحرب ولبس الجميع آلة القتال وتحالفوا / على خلاف الملك المنصور عثمان وحواشيه ٢٤١ وموافقة الأمير الكبير إينَال العلائى ، وانتقل الأمير الكبير بمن معه من بيته تجاه الكبش إلى البيت المُعَدّ قديما لِسُكْنَى من يلى الإمرة الكبرى فى العادة تجاه قلعة الجبل ، أعنى بيت قَوْصُون .

وكان سبب تغيّر المماليك السلطانية أنه بلغهم أن السلطان يُرِيدُ يُفَرق النفقة على أقوام بالكامل،وعلى أقوام بحكم النِّصْف وعلى آخرين بحكم الرُّبع ، وقيل إن النفقة كانت مبلغ سبعة وعشرين ألف درهم التى كان أمر بتفريقها ، فعملَ كَمِيّةَ النصف والرّبع . فلما بلغ ذلك المماليكَ السلطانية عَظُمَ عليهم ماسمعوا وتوغَّرَت خواطِرهُم ، ثم بلغهم خبرٌ آخر وهو أنه قيل لهم إن السلطان كان اتفق مع حواشيه ومماليك أبيه الظاهرية أنه يقبض على جماعة كثيرة من الأمراء والخاصّكيّة ، فثاروا عليه بهذا المقتضى ، وقبل أن يخرج الأمير الكبير من بيته حلّف جميعَ الأمراء على طاعته ، وكانوا جَمْعاً كبيرا ، وأرسل عِدّةً من المماليك السلطانية ليحضروا الخليفة إلى عنده فحضر الخليفة ، ثم ساروا إلى البيت المذكور تجاه القلعة وشرعوا فى القتال ، واستعدّ الملك المنصور أيضا لقتالهم ، فنزل إلى المقعد بباب السّلسلة ،

وترامى الفريقان بالنبل والمكاحل ، وقتل بينهم خلقٌ كثير من الزّعر[١] والمتفرجين وغيرهم ، وهذا بعد أن أرسل الأمير الكبير إلى السلطان مع الأمير سَوِنْجْبُغَا اليُونُسِىّ ، والأمير نُوكَار الحاجب الثانى وبُرْدْبَك دَوَادَاره يطلب منه أن يُرْسِل إليه جماعةً من الأمراء وهم : الأمير تَمُرْبُغَا الدَّوَادَار الكبير ، والأمير أَسِنْبَاى الجَمَالى الدّوادار الثانى ، والأمير لاجين شاد الشراب خاناه ، فأبى السلطانُ تسليمهم ، فأعادهم مَرَّةً ثانية فأبى السلطان أيضا ، وعوَّق عنده سَوِنْجْبُغَا المذكور ونُوكَار ، وأرسل بُرْدْبَك دَوَادار الأمير الكبير وصهره ، فعند ذلك وقع القتالُ واشتدّ الحربُ ، ولمّا كان وقت الظهر من اليوم المذكور رَسَم الأميرُ الكبير بأنْ تُنْقَب مدرسة السلطان حسن ، فنقبوا نقبا من جهة حِدْرَة البقر[٢] ودخلوا منه إلى المدرسة المذكورة وعمّروا سلم السطح وتوصلوا منه إلى الموادن[٣] ورموا على القلعة ، واستفحل أمر الأمير الكبير بأخذ المدرسة المذكورة ، واستمرّ أمره فى كل يوم فى نُمُوّ ، وأَمْرُ الملك المنصور ومن معه من مماليك أبيه وغيرهم فى إدبار ، ودام القتالُ إلى ليلة الأربعاء نزل إليهم من القلعة الأمير جَنِبَك الظاهرىّ جَقْمَق الأستادار / والأمير بُرْدَبَك الظاهرىّ جَقْمق البَجْمَقْدار أحد أمراء العشرات ورأس نَوْبَة ، واستمر نزول الخاصّكيّة والمماليك فى كل يوم من عند الملك المنصور إلى عند الأمير الكبير يدخلون تحت طاعته ، فقوى بذلك جيشُ الأمير الكبير وكَثُرَ حزبه حتى تزايد عن الحَدِّ ، ولَعَلَّهُ صار بقدر من عند الملك المنصور ثلاث مِرَار ، هذا والخليفة القائم بأمر الله حمزة مقيم عند الأمير الكبير ، وقد أرسل أحضر جميع أقاربه خوفاً من أن يطلع منهم أحد إلى القلعة ، وقد أشيع بين الناس أن الخليفة خلع الملك المنصور من السلطنة .

٢٤٢

ولما كان يوم الخميس رابعه نزل مِن عند السلطان إلى الأمير الكبير: الأمير سَوِنْجبُغَا اليونسىّ رأس نَوْبَة ، والأمير نُوكَار الحاجب الثانى ، والزّيْنِى عبد الرحمن

---

(١) الزعر : هم المفسدون وقطاع الطرق واللصوص الذين يتعرضون للمارة (دكتور إبراهيم على طرخان ــ النظم الإقطاعية ٤٩٥) .

(٢) حدرة البقر : ومكانها اليوم شارع المظفر الذى يبدأ من السيوفية وينتهى بحديقة مسجد السلطان حسن (على مبارك ــ الخطط ٢ : ٤٣ ، ٤٤) .

(٣) الموادن : هو نطق العامة للفظ المآدن جمع مئذنة .

ابن الكُوَيْز ، وشهاب الدين الإخميمى الإمام ، ومشوا فى الصُّلْح ونَزَلُوا معهم بمنديل الأمان إلى الأمير الكبير ، وكان متكلّم القوم الإخميمى ، وتردَّدُوا مرّتين ، وكثر الكلام بين الفريقين ، وطلب الأمير الكبير جماعةً من السلطان ، وطلب السلطانُ جماعةً منه ، وآخر الأمر انفصل المجلسُ على غير صُلْح ، وعّوق الأمير الكبير عنده سَوِنْجْبُغَا ونُوكَار ، وأرسل الإخميمى وَحْدَه ، فعاد القتال فى الحال على العادة ، فلما وقع ذلك آلتفت الخليفةُ إلى الأمير الكبير وسأله بالسلطنة ، فامتنع آمتناعا هَيِّنا ، ثم أجاب بعد ذلك بعد أن سأل الخليفةُ الأمراءَ والمماليك عن سلطنته فقال الجميع بلسان واحد : نحن راضُون بالأمير الكبير ، وصَرَخُوا بذلك غير مَرَّة ، وقبّل بعض الخاصّكيّة الأرض بين يديه ، وقال الخليفةُ : قد خلعتُ الملكَ المنصورَ ، وكرَّر ذلك غيرَ مَرَّة بحضرة الملأ من الناس .

وأصبح يوم الجمعة خامسه حضر الصاحبُ جمال الدين ناظر الخاص والجيش ، ثم حضرت القضاة عند الأمير الكبير بالمقعد ، وشاهدوا الرَّمْى بالمدافع والنفوط والنُّشَّاب من القلعة على الخليفة والأمير الكبير، حتّى إن بعض الرَّمْى بالمكاحل وصل إلى باب السِّرّ الذى بالشارع عند حدرة البقر ، بل وعدّى البابَ ووصل إلى الدور المجاورة للباب ، ولما حضرت القضاةُ عند الخليفة والأمير الكبير تكلَّموا فى خلع الملك المنصور عثمان،وأطالوا الكلام إلى أن طلبوا بدرَ الدين بن المصريّ أحد موقعى الدَّست ، وأملاه قاضى القضاة علم الدين صالح البُلْقِينىّ ألفاظاً كتبها تتضمنّ خلعَ الملك المنصور من السلطنة ، ذكر فيها نحواً مما حكيناه فى هذه الأيّام ، ثم أمره بأن يَثبت قائما على رجليه ويقرأها بأعلى / صوته ، فنهض قائما وقرأها على العسكر ، وخلع الملك المنصور عثمان من السلطنة ، وكان ذلك الوقت فى أوائل الساعة الثالثة تقريبا من يوم الجمعة المذكورة ، فكانت مُدة سلطنتة ثلاثة وأربعين يوما ، وترشّح الأمير الكبير للسلطنة ، صرّح له الخليفة والقضاةُ بذلك لما قُرئت الورقةُ على العسكر ، فإن قاضى القضاة علم الدين صالح سأل العسكرَ عن سلطنتة ثلاث مَرَّات فصاحوا كما صاحوا أوَّلا ، ولقب بالملك الأشرف ، لكن لم يلبس شعار الملك ولاأبهة السلطنة ، وصار الناس فى مخاطبته على أقسام ، فمن الناس من يقول «أغاه» ،

٢٤٣

ومنهم من يقول«خَوَنْد»، ومنهم من يقول«الأمير الكبير» ، ومنهم من يقول يامولانا السلطان .

واستمرت القضاة عنده وطلب النّجّارين فصنعوا مِنْبراً فى الحال وأحضروا كرسياً وخطب بهم فى المقعد من البيت المذكور قاضى القضاة علم الدين صالح وصلَّى بهم الجمعة ، ثم انصرفوا بعد الصلاة إلى منازلهم ، هذا والقتال عمّال فى كل يوم ، وقتل من الفريقين خلائق .

وفى هذا اليوم وقت الضَّحْوة منه مَرِض الأمير أَسَنْبُغَا الطيّارِىّ رأس نَوْبة النُّوب ، وقام من مجلس الأمير الكبير وعليه آلة السلاح بعد أن رَمَّل على علامة الأمير الكبير التى كتبها على المراسيم ، ودخل إلى البيت وقلع آلة الحرب ولزم الفراش إلى أن مَات بعد نصف ليلة السبت ، فكأنه مرضَ يَوْماً واحدا، وغُسِّلَ فى مكانه وصَلَّى عليه الخليفةُ والقضاةُ بمقعد الأمير الكبير ، ودُفِنَ من يومه بالصحراء .

وكان من محاسن الدنيا،تأتى ترجمته إن شاء الله فى آخر هذه السنة مع من تُوُفِّى بها .

ولما أصبح يوم السبت سادسه حضَرت القضاةُ ، وناظرُ الخواص والجيش ، وكاتب السر القاضى محب الدين بن الأشقر ، وكتبوا محضرا يتضمَّنُ ما وقع فى أمسه من خلعِ الملك المنصور ، وحكوا فيه الواقعة من أَوَّلها من ركوب المماليك السلطانية وأخذهم الأمير الكبير إلى آخرها ، وشهد فى المحضر الأمير جَانِبَك الأستادار ، والأمير بُرْدْبَك البَجْمَقْدَار ، وشهادتهما:أن السلطان الملك المنصور حصل منه قِلّة أدب فى حقّ الخليفة ، ومسك قصَّاده يعنى سَونْجبْغا وتُنوكَار ، وأشياء من / هذا النَّمط ، وحكموا فيه القُضَاة ، وطلبت الأمراءُ من الأمير الكبير يلبس السّواد الخليفتى ويجلس على سرير الملك فأبى وقال:فى غير هذا الوقت ، وأخذ الأمير الكبير فى التحريض على القبض على من يَطلع إلى القلعة من العَوَامّ بالمآكل،وضرب جماعة كبيرة بالمقارع والعصىّ بسبب ذلك ، ورتب الأمراء المقدمين على المواضع والمخارج التى يطلع منها إلى القلعة،فقعد الأمير خُشْقَدَم حاجب الحّجاب بجماعة

٢٤٤

بباب[١] القَرَافة ، والأمير طُوخ من تِمْرَاز بالمسجد الذى عمّره قَانِى بَـاى الجاركسىّ والحمامين ، وقعد الأمير قَرْقَمَاس الأشرفى ببيت الأمير نَوروز الحافظى تجاه القلعة ، وجماعة كثيرة من أمراء الطبلخانات والعشرات بالمواضع مثل صَهْريج[٢] مَنْجَك ، وباب الوزير ، وقَبْو السلطان حَسن ، وسويقة منعم ، وغير ذلك ، ووقع فى اليوم المذكور قتالٌ شديد بين الفريقين مواجهةً وبالنبال ، وقتل عِدّة أناس ، هذا وخَيِرْبَك القَصْرَوِىّ الذى ولاَّه الأمير الكبير قبل تاريخه والى القاهرة يشتدّ فى طلب الزّعر ومن طلع إلى القلعة من العوام بالمآكل ، ونقيب الجيش الناصرىّ محمد بن أبى الفرج واقف بين يدى الأمير الكبير وعليه آلة الحرب وبيده عصا ينفِّذُ الأحكام ، وصارت الأمراء الألوف تخاطب الأمير الكبير وقوفا وهو لايقوم لأحد منهم إلا فى النادر .

هذا ، وعسكر الملك المنصور لايملّ ولايكلّ من القتال والرّمى بالنبال والأسهم[٣] الخطائية والمكاحل والمدافع والنفوط حتى أبادوا عسكر الأمير الكبير ، وأحْرَمُوا أحداً من عسكره أن يظهر من بيت الأمير الكبير،على أنه لم يكن عنده من المقاتلين إلاَّ جانبٌ يسير من الأمراء والجند ، وغالب من عنده من مماليك أبيه ، وعنده من الأجانب الأمير تَنَم من عبد الرزّاق المؤيّدىّ أمير سلاح ، فهذا من مقدّمى الألوف لاغير ، والأمير كُزُل السُّودُونى المُعَلّم أحد أمراء العشرات ، والأمير مُغُلْبَاى الشهابى أحد أمراء العشرات أيضا ، والأمير يُونُس العلائى نائب قلعة الجبل ، والجميع فى التّرسِيم بالحشمة ، وأما من بقى من حواشيه من الأمراء فهم:الأمير قَانِى بَاى الجاركسىّ الأمير آخور الكبير ، وهو مملوك عمّ الملك المنصور الأمير جاركس

---

(١) باب القرافة . وكان فى سور القاهرة فى نهاية شارع السيدة عائشة من الجهة القلبية من القاهرة ، ويقال له باب قانباى ، كان يمر فيه الناس إلى جبانة الامام الشافعى والجبانات الأخرى . هامش (النجوم الزاهرة ٩ : ١١١ ط . دار الكتب) . ويطلق أيضا على أحد أبواب القلعة من الحهة الشرقية المطلة على المقطم ، ويقع بين باب الحرس وباب الدرفيل ، وقد سد من قديم ، وكان عمّره، الناصر محمد بن قلاوون . هامش المرجع السابق ٩ : ١٨١ ، ١١ : ٢٧١) والمراد هو الأول لأن توريع الأجناد على الأماكن المتعددة يدل على أنهم كانوا يحيطون بالقلعة من بعد .

(٢) صهريج منجك : أنشأه الوزير سيف الدين منجك اليوسفى سنة ٧٥١ هـ داخل جامعه تحت القلعة خارج باب الوزير ، وأصبح الجامع يعرف بصهريج منجك ، ولايزال قائما مقام الشعائر حتى الآن (على مبارك ـــ الخطط ٥ : ١٣٣) .

(٣) الأسهم الخطائية : هى سهام عظام يرمى بها عن قسى عظام توتر بلولب يجربها ويرمى عنها ، فتكاد تخرق الحجر (القلقشندى ـــ صبح الأعشى ٢ : ١٤٤) ولعل نسبتها إلى أمة الخطا وهى جنس الترك الملاصقين للصين .

المصارع/القاسّمى، والأمير تَمُرْبُغَا الظاهرىّ الدَّوَادار الكبير أحد أمراء الطبلخانات ، ٢٤٥
والأمير لاَجين الظاهرىّ شاد شراب خاناه ولالاةُ السلطان ، والأمير أَسِنْبَاى الجمالى الدَّوَادار الثانى أحد أمراء العشرات ، والأمير أُزْبُك مِن طَطَخ الظاهرىّ الخازندار وأحد أمراء الطَّبْلَخَانَات وصهر السلطان زوج أختة ، والأمير سُنْقُر الظاهرىّ أستادار الصُّحبة وهو فى تَرْسِيم الحِشمَةِ أيضا ، والأمير جَانَم الظَّاهِرىّ الساقى أحد أمراء العشرات ورأس نَوْبة ، والأمير قُوزِى السّاقى أحد أمراء العشرات ، والأمير سودون الظاهرىّ أحد أمراء العشرات ورأس نَوْبَة ، والأمير جَانِبَك البَوَّاب الظاهرىّ ـــ وهؤلاء الثلاثة تأمَّرُوا فى الدولة المنصوريّة فهم كالأجناد ـــ وباقى من عنده خاصّكيّة ومماليك ، ولعلّهم أقل من ألف نفر ـــ والله أعلم .

وفى يوم الأحد سابعه رتَّبَ الأمير الكبير عِدَّةً من الأمراء على المواضع التى يتوصّل منها إلى القلعة ، واستمرّ الحال إلى قريب الظهر فظهرَ جماعةٌ من عسكر الأمير الكبير إلى جهة سبيل المؤمنى (١) ، فخرج جماعةٌ من السلطانية ورَمى عليهم أيضا جماعة من القلعة ، وتقاتلوا قتالا شديدا بالرِّمَاح والسّيوف والأَطْبَار ، وافترقوا غير مَرّة وآلتقوا غير مرّةٍ حتى أردف عسكر الأمير الكبير الأمير طُوخ من تِمْرَاز من مكانه الذى أمكَن فيه عند زاوية الأمير قَانِى بَاى الجاركسىّ وحمَّامَيْه والتحم القتالُ معهم ، وقبض السلطانية على السّيفى طَقْتَمُر البَارِزِىّ الخاصكىّ رأس نَوْبَة وقتلوه صبرا تهبيرا بالسيوف ، وقتل جماعة أخر من الطائفتين إلى أن ملك عسكرُ الأمير الكبير سبيلَ المؤمنى من عسكر المنصور الذى بالقلعة ، وأطلقوا فى البيوت التى بجواره النَّار ، فإن عسكر السلطان كان غالبه على أسطحة البيوت التى هناك ، فعملت النار فيهم حتى وصلت إلى سقف السَّبيل أيضا فأحرقته عن آخره .

هذا والقتالُ مستمر من فوق ومن أسفل ، ثم هدموا سُورَ الميدان(٢) ودخلوا منه إلى الميدان ، فعظم القتال فى هذا اليوم حتى إنه قتل فيه أكثر مما قُتِل من ابتداء

(١) سبيل المؤمنى : أنشأه الأمير سيف الدين بكتمر بن عبدالله المؤمنى المتوفى سنة ٧٧١ هـ ويقع إلى جوار مصلاه الشهيرة تحت القلعة بطرف ميدان الرميلة أول شارع السيدة عائشة حاليا . هامش (النجوم الزاهرة ١٣ : ١١٠ ، ١٢٣ ط . الهيئة العامة للتأليف) .

(٢) المراد الميدان الذى تحت القلعة والذى أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاوون وقد سبق التعريف به .

الوقعة إلى يوم تاريخه ، فكان يوما مهولا قاسى الناسُ فيه شدائد عظيمة وخطوباً وحُرُوبا .

٢٤٦ ولَمّا رأى عسكرُ السلطان دخول عَسكر الأمير الكبير / إلى الميدان انهزموا وولّوا الأدْبَار لايلوى أحدٌ منهم على أحد ، وطلع السلطان الملك المنصور عثمان من المقعد بالإصطبل إلى القصر السلطانى ، كل ذلك والأمير الكبير لايتحَرّك من مكانه ، فلما بلغه انهزامُ القوم ندبَ الأمير جَرِبَاش المحمدىّ المعروف بكُرْد أحد مقدّمى الألوف لأخذ باب السّلسلة ، فركب جَرِبَاش على الفَوْر وخَرَج إلى باب السّلسلة وتسلَّمه بعد ساعة هيّنة من غير قتال ، فعلى قَدْرِشدة عَزْمِ أهل القلعة فى هذه السبعة أيَّام كانت هزيمتهم وتسليمهم القلعة فى أسرع مايكون ، وسبب ذلك أن غالبهم شبّان لم تَمرّ بهم التجارب ولالهم خبرةٌ بالحروب ومكابدتها،فقاتلوا أشد قتال ، وأظهروا من الشجاعة مالايوصف،ولم يُحْسِنُوا الهُروبَ ولاتسليمَ القلعة ، وكان يمكنهم بعد أخذ المَيْدان حفظُ القلعة حتى تُؤخَذ منهم بالأمان،وتعمل مصالحهم فى نوع اختاروه على عادة من سلَّم القلاع قَبْلهم ، لكنهم لما رأوا أخذ الميدان منهم خَارَت طباعُهُم ، وانقطعت قلوبُهم ، وكان وقت أخذهم القلعة وقتَ العصر تقريبا ، فإننا لم نسمع الأذان فى ذلك الوقت لعظم الغوغاء لاشتغال كل واحد بما هو فيه من شِدّة القتال ، وعَظُمَ الخطبُ فى ذلك اليوم ، وتفانت الناس ، وأصيبت خيول كثيرة ، وجُرِح خلائق لاتحصى كثرةً ،وتهدَّمت دورٌ كثيرة ، ولانعلم فى سالف الأعصار فى الدولة التركية بأن قلعة الجبل حُوصِرَت سبعة أيّام إلاَّ فى هذه الوقعة ، مع علمى أن الملك الناصر فَرَج بن بَرْقُوق رَكِبَ عليه الأمير يَشْبُك الشّعْبَانِى بجماعة من الأمراء وأقاموا نحو السَّبْعَة أيّام ملبسين أيضا آلة الحرب ، لكن لم يكن القتال كالقتال ، ولا الحصار كالحصار ، فإن جماعة كثيرة من عسكرنا هذا باشروا تلكَ الوَقْعَة وكلّهم قائلون بأنهم لم يَرَوْا مثل هذه الوقعة .

وفى مُدَّة هذه الأيّام السبعة لم يبطل القتال بالرَّمى والنُّفُوط والمدافع ساعةً واحدة ، هذا والزّعر تُقْبِلُ من الطائفتين وتصيبهم السِّهَام ، وبالجملة كانت القَتْلَى من الزُّعر ومن المتفرّجين أكثر من الجند . .

ولما ملَكَ الأمير جَرِبَاش بابَ السّلسلة قبضت المماليكُ على الأمير تَنَم من عبد الرزّاق المؤيّديّ / أمير سلاح وأخذوه على فَرَسٍ وعلى رأسه طاقية خضراء من غير تخفيفة[١] ، ومضوا به إلى الأمير الكبير والضرب مستمرّ على رأسه وسائر جسده من الأمراء ، وهو يصيح : المروءة حتى أدخلوه إلى الأمير الكبير فَحُبِسَ هناك ، ثم قبضوا على الأمير كُزُل السُّودُونى المُعَلِّم وحبسوه عند تَنَم ، ثم قبضوا على عبد الله الكاشف وأنزلوه على فرس مكشوف الرأس بلا تخفيفة ، وألبسوه شيئاً كالطُّرْطُور ، والدّم يسيل على شيبته بعد أن أرادوا الفتكَ به غير مرة ، فصار بعضُهُم يحميه من ذلك ويقول : يذهب ماله ، دَعُوه حتى يأخذ الأمير الكبيرُ مالَهَ ، وأدخلوه على تلك الهيئة القبيحة إلى عند الأمير الكبير .

٢٤٧

قلتُ : ومارَبُّك بظلاَّم للعبيد ، فإن عبد الله هذا فعَلَ فى ولايته لكشف الشَّرقية مالايفعله إلاَّمَن ليس له حَظٌّ فى الإسلام،من أخذ الأموال وسَفْكِ الدِّماء ، فلم أجد ماذا يكون جَوَابُ الملك الظَّاهر عند الله تعالى بِسَبب ولايته لهذا الظالم الغاشم المراقِ الدّم .

فلم يكن بعد ذلك إلاّ نحو الخمس درجات وركب الأمير الكبير من محلّ إقامته والخليفة عن يمينه والأمير تَنِبك عن يساره ، وطلَع إلى باب السّلسلة ، والناس من البيت المذكور[٢] إلى باب السّلسلة مصطفون وُقُوفاً دَهْلِيزاً[٣] واحداً وهو يَمُرّ عليهم حتى نزل إلى الحرّاقة من باب السّلسِلة وجلس هناك ، وشرعت العساكر فى النَّهب والأخذ ، فنهبُوا شيئاً كثيراً من الأموال والخيول والمتاع ، وأخذوا فى القبض على الأمراء واحداً بعد واحد ، فقبض فى الليلة المذكورة على جماعة كثيرة من الأمراء ، وهم : الأمير تَنَم المذكور ، والأمير كُزُل المعلّم المذكور أيضا ، وعبد الله

---

(١) التخفيفة : هى العمامة ، فاذا أطلقت فهى العمامة الصغيرة ، وإذا قيل تخفيفة كبيرة فهى مايسميها العامة بالناعورة . وهى تمثل التاج ، وربما يقال تحفيفة بقرون فتعنى التاج الذى يماثل تاج الفرس (ماير — الملابس المملوكية ١٦ ترجمة الاستاذ صالح الشيتى) .

(٢) فى النجوم الزاهرة ١٦ : ٥٣ : قام الأمير الكبير عند ذلك من مقعد بيت الأمير قوصون .

(٣) الدهليز : هو الممر أو المجاز الذى يمر فيه للوصول إلى مكان مقصود ، والمعنى أنهم وقفوا له صفين يمر من بينهما إلى الجهة التى يقصدها .

الكاشف . فهؤلاء الذين ذكرناهم أوّلا ، وأما الذين قُبِضَ عليهم بعد طلوع الأمير قَانِى بَاى الجَرْكسِىّ الأمير آخور الكبير ، ومن الطبلخانات : الأمير تَمُرْبُغَا الظاهرىّ الدَّوَادارالكبير ، والأمير أُزْبُك من طَطَخ الظاهرىّ الخازندار الكبير ، ومن العشرات : الأمير لاَجِين الظاهرىّ شاد الشراب خانَاه ولالاة الملك المنصور عثمان ، والأمير سُنْقُر الظاهرىّ العايق الأمير آخور الثانى ، والأمير سُنْقُر الظاهرىّ أستادار الصحبة ، والأمير جانم الظاهرىّ السّاقى / ، والأمير سُودُون مِن سلطان الظاهرى ، والأمير جَانِبَك ، وكلاهما تأمّر فى الدولة المنصوريّة عثمان ، وتسحّب من الأمراء العشرات الذين كانوا عند الملك المنصور عثمان بالقلعة جماعةً ، وهم : الأمير أسِنْبَاى الجمالىّ الظاهرىّ الدّوادار الثانى ، والأمير قُوزِى الظاهرىّ السّاقى ، والأمير يَشْبُك الظاهرىّ البَجْمَقْدَار ، والأمير مُغُلْبَاى الشهابى ، وفى الحال نُودِىَ فى القاهرة بالأمان والاطمئنان والطلوع من الغد إلى القلعة بالكَلَفْتَاة والتَّترِيَّات البيض لسلطنة الأمير الكبير ، وقلع السلاح فى الحال ، وبات الناس فى أمن وسلامة ، وسرّ الناس بإخماد الفتنة .

٢٤٨

ذكر سلطنة السلطان الملك الأشرف سيف الدين أبى النصّر إينَال العلائى الظاهرىّ ثم الناصرىّ

لما كان صباح يوم الاثنين ثامن شهر ربيع الأوّل اجتمع أعيانُ الدولة من القضاة والأمراء وأرباب الوظائف فى الحرّاقة من الإسطبل السلطانى بحضرة الخليفة والأمير الكبير ، وبُويعَ الأمير الكبير بالسلطنة ، ولبس أبّهة السلطنة من مَبيت الحراقة من باب السّلسلة فى أوّل ساعة من اليوم المذكور، بعد طلوع الشمس بنحو ست درجات فى ساعة القمر ، والطالع الحمل ، وكان قد بُويعَ بالسلطنة غير مّرة فى أيّام الوقعة يوم الأربعاء ثالثه ، وفى يوم الجمعة خامسه ، وفى يوم السبت سادسه،وفى عصر يوم الأحد بعد طلوعه إلى باب السلسلة ، ولكن لم تحدد سلطنته إلّا بعد لبسه أبّهة السّلطنة .

ولما لبس خلعَة السلطنة خرَجَ من مَبيت الحرّاقة ومَشَى حتى رَكِبَ فرسَ النَّوْبَة ، وحمل ولدُه المقامُ الشهابى أحمد القُبَّةوالطَّير[١] على رأسه حتى طلع إلى القصر ، وجلس على تخت المُلك ، وقبَّلَت الأمراء الأرض بين يديه ، وخلع على الخليفة فوقانى أخضر وأبيض بطرز زركش ، وقيد له فرساً بسرج ذهب وكُنْبُوش زركش ، واستمرّ جلوسه بالقصر إلى يوم الخميس والأمراء وأعيان الدولة بين يديه ، وأخلع فى يومه على الأمير يُونُس العلائى النَّاصِرِىّ نائب قلعة الجبل باستقراره فى نيابةالإسكندرية،عوضا عن الأمير قَرَاجانِبَك الظاهرىّ ، وجلس فى باب القلعة عوضه الأمير قَانِبَاى الناصرىّ الأعمش .

---

(١) القبة والطير : وهى المظلة ويعبر عنها بالجتر ، وهى قبة من حرير أصفر مزركش بالذهب على أعلاه طائر من فضة مطلية بالذهب تحمل على رأس السلطان فى العيدين والمواكب الرسمية ، وهى من بقايا رسوم الدولة الفاطمية (القلقشندى ــ صبح الأعشى ٤ : ٧٢٧) .

٢٤٩ وفيه قبضَ على / الأمير مُغُلْبَاي الشهابى وعلى جماعة أخر ، وحبسوا بالرّكَبْخَاناه [١] بباب السلسلة .

وفى يوم الثلاثاء تاسعه [٢] أخلع السلطانُ الملك الأشرف إينَال على جماعة من الأمراء بعدّة وظائف ، فخلع على وَلَدِه المقام الشِّهَابىّ أحمد أتَابَك العساكر عوضا عن نفسه ، واستقرّ الأمير تَنِبَك البُرْدْبَكّى الظاهرىّ بَرْقُوق أمير سلاح عوضا عن الأمير تَنَم مِن عبد الرزَّاق المؤيّدىّ ، واستقر الأمير طُوخ من تِمراز الناصرىّ أمير مجلس عوضاً عن الأمير تَنِبَك المذْكُور ، ولبس الأمير خُشْقَدَم المؤيّدىّ خلعَة الاستمرار على حجوبية الحجاب ، واستقرّ الأميرُ جَرِبَاش المحمدى المعروف بكُرْد أمير آخور كبيراً عوضا عن الأمير قَانِى باى الجاركسىّ ، واستقر الأمير يُونُس الآقْبَائى دَوَادَاراً كبيرا عوضا عن الأمير تَمُرْبُغَا الظاهرىّ جَقْمَق ، واستقر الأميرقَرْقَمَاس الأشرفىّ رأس نَوْبَة النُّوَب عوضا عن الأمير أسَنْبُغَا الطيّارىّ بعد وفاته ، وخلع على الأمير جَانِبك الظَّاهِرىّ جَقْمَق باستمراره على وظيفة الأستادارية .

ومن غريب ما اتَّفَق فى هذه الوقعة أنّ رجلا من المماليك السلطانية أصله من عُتَقَاء الأمير جَمال الدين يوسف البِيرِىّ الأستادار يُسمَّى يَلْبُغَا المَجْنون ـــ وهو من أصحابنا ـــ صار يخرج من بيت الأمير الكبير عند شِدَّة اشتعال الحرب بلا خوذة على رأسه بل عليه قَرْقَل مُخْمل عتيق منقوش ، فيمشى إلى أن يصير فى وسط الرّميلة فى وقت لا يطيق أحد أن يخرج من بيت الأمير الكبير لِعَظم الرمى بالنشاب والنفوط ، فلما يصير فى وسط الرميلة يقف وَحْدَه هناك فَيَرْمِى عليه أهلُ القلعة رَمْياً عظيما ، ويرمى هو أيضا عليهم فلا يصيبه منهم سهم واحد ، ثم يأخذ يَلْبُغَا هذا فى السب والتَّوْبيخ لهم والرمّى عليهم ، فيجتمع عليه من أعيان رُمَاة أهل القلعة عدّة

(١) الركبخاناه : هى بيت الركائب وتشمل على عُدد الخيل من السروج واللجم ، والكنابيش ، وعبى المراكيب ، والعبى الإصطبليات ، والأجلال ، والمخالى . وفيها من السروج المغشاة بالذهب والفضة المطلية والساذجة والكنابيش المتخذة من الذهب المزركش المزهرة بالريش وغير المزهرة ، والعبى المتخذة من الحرير وصوف السهك وغير ذلك من نفائس العدد والمراكيب ، ولهذا البيت مهتار يتسلم حواصله يعبر عنه تمهتار الركاب خاناه (القلقشندى ـــ صبح الأعشى ٤ : ١٢) وكانت تقع بالاصطبل السلطانى داخل سور القلعة .

(٢) هذا اللفظ من ت .

وَيْرمُون عليه بالتَّحْرِير حتى يصير حوله من النُّشَاب مالا يُحْصَى كثرةً ، وهو لا يصيبه منهم شيء وهو مستمرّ على رميهم أيضا وسبّهم ، فكان لما يتعب يأخذ فى ضَم النُّشّاب الذى حوله ، فكان يلتقط فى اليوم من حوله المئين بل الألوف من النُّشاب ولا يستجرىء أحد أن يضم معه شيئاً إلا بعض الصِّغار ، على أنه انصابَ من الصغار جماعة كثيرة ، وكان إذا تعب من الرَّمى وضّم النُّشاب نَامَ على ظهره وَينِشُّ على وجهه ، واستمر على ذلك فى غالب أيام الوقعة ، فكان كلَّما فعل ذلك اشتدّ غضبُ السلطان الملك المنصور عليه وأمر بالرَّمى عليه ، فيرمى عليه ما شاء الله أن يرمى فلا يصيبه شيء ، فلما أعيا / الملك المنصورَ أمْرُهُ أمر بالنداءِ للزّعر والجند : من أتى بهذا الجندى – يعنى يَلْبُغا المذكور – له مائتا دينار ، وبالغ بعضُ الناس حتى قال إنه سمع المنادى يقول ألف دينار ، فلما نُودِى بذلك غرَّ بعض الزعر الطمعُ فجاءه على حين غفلة وحمله من خلفه فضربه يلبغا المذكور بخنجر كان معه على ما قيل . وقد كان مَرَّة أخرى جاءَه عِدة من الزّعر وحملوه فَنَجدَهُ بعض عسكر الأمير الكبير وخلصُوه منهم ، ثم عادوا سُرعة إلى بيت الأمير الكبير خيفةً من النُّشّاب ، واستمرّ يلْبُغَا هذا على ذلك إلى أن كان هو السبب للقتال الذى أخذ فيه باب السلسلة ، فكان أمْرُ يَلْبُغا المذكور فى هذه الوقعة غريبا ، ولا يعلم أحد ما كان من أمره ، فإنه لم يشتهر قُبيل تاريخه بصلاح ولا فساد ، وإنما كان متوسط السيرة ، وقد اختلف الناسُ فى أمرِه ، فمن الناس من يقول : كان معه هيكل منيع ، ومن الناس من يقول : كان يتحوّط بأدعية عظيمة ، ومن الناس من يقول : كان ساحِراً .

٢٥٠

وفى الجملة كان أمرهُ من الغرائب ، وقد سألته عن ذلك فقال لى : والله لم يكن معى شيء غير أننى معتقد أننى لن يصيبنى إلا ماكُتِبَ علىّ ، وهو صادق فى مقالته؛ فإنه كان قبل ذلك كثير التردّد إلىّ ولا أعلم عليه إلاّ خيرا .

وفى يوم الأربعاء عاشره أشيع فى القاهرة بإثارة فتنة بسبب النَّفَقَة ، وبلغ السلطانَ أن المماليك السلطانية تقول : ما نأخذ إلا مائتى دينار ، فنُودِىَ بالقاهرة: إن

العرض يوم السبت والنفقة يوم الاثنين ، وإن أحداً من المماليك السلطانية وغيرهم لايُعَدّى من الربيع بفرس إلى القاهرة .

وفيه أيضا حُمِلَ جماعة من المقبوض عليهم إلى ثغر الإسكندرية فى وقت الظهر على البغال فى القيود على العادة ، وهم : الأمير تَنَم أمير سلاح ، والأمير قَانِى بَاى الجاركسىّ أمير آخور ، والأمير تَمُرْبُغَا الظاهرىّ جَقْمَق الدَّوَادار ، والأمير لاَجِين الظاهرىّ جَقْمَق شاد الشراب خاناه ، والأمير أُزْبُك من طَطَخ الظاهرىّ جَقْمَق الخازندار ، والأمير سُنْقُر الظّاهرىّ جَقْمَق الأمير آخور الثانى ، والأمير جَانَم السّاقى الظاهرىّ جَقْمَق رأس نَوْبَة ، والأمير سُودُون من سُلْطَان الظاهرىّ جَقْمَق رأس نَوْبة ، والأمير جَانِبَك الظاهرىّ البوَّاب ، وكلاهما تأمّر فى الدولة المنصورية ، وسافروا من يومهم .

وفى يوم الخميس حادى عشره تغيّر ماكان قَرَّرَه السلطان الملك الأشرف إينَال من وظائف / الأمراء وهو أنه بلغه تغيّر خاطر المماليك السلطانية بسبب توليته لولده المقام الشهابى أحمد أتابَكيّة العساكر ، فأخلع على الأمير تَنِبَك المستقرّ قبل ذلك فى إمرة سلاح بأتابكيَّة العساكر عوضا عن ولده ، واستمرّ ولدُه على إقطاع إمرة مائة وتقدمة ألف على عادة أولاد الملوك الذين كانوا قبله ، وسكن بالحوش السلطانى تجاه الدهيشة فى بيت الملك المنصور عثمان ، وخلع على الأمير خُشْقَدم المؤيّدىّ حاجب الحجاب باستقراره أمير سلاح عوضا عن الأمير تَنِبك ، وأخلع على الأمير قَرَاجا الظاهرىّ جَقْمَق باستقراره فى حجوبيّة الحجّاب عوضا عن خُشْقَدَم . ٢٥١

وفيه أيضا استقرّ الأمير تِمْراز الأشرفى المعروف بالزَّرْدْكاش دَوَادَاراً ثانيا عوضا عن أسِنْبَاى ، واستقرّ الأمير جَانِبَك من قَجْمَاس الأشرفى بَرْسباى المعروف بدوادار سيّدى شاد الشراب خاناه عوضا عن الأمير لاَجِين الظاهرىّ ، واستقر الأمير خَيْرْبَك الأشقر أمير آخور ثانيا عوضا عن سُنْقُر الظاهرىّ العايق ، واستقرّ الأمير قَانِى بَاى الناصرىّ الأعمش نائب قلعة الجبل عوضا عن الأمير يُونُس العلائى المتولّى نيابة الإسكندرية قبل تاريخه .

وفيه خلع السلطان على القاضى محب الدين بن الأشقر كاتب السّر بوظيفته قَدِيماً نظر خانقاه سِرْيَاقُوس ، وعلى ولده الشهابى أحمد بمشيخة الشيوخ أيضا ، وكلاهما عوضا عن يَارْعَلِى[1] العجمى الطويل المحتسب .

وفيه أنعمَ السلطانُ على الأمير جَانِبَك القَرَمَانِى الظاهرىّ بَرْقُوق بإمْرَة مائة وتقدمة ألف ، واستقرّ عوضه رأس نوبة ثانيا الأمير يَشْبُك الناصرىّ .

وفيه أنعم السلطانُ على الأمير أَرَنْبُغَا اليُونُسِىّ الناصرىّ بإمرة مائة وتقدمة ألف أيضا .

وفيه أنعم على الأمير بَرْسباى البجاسىّ المعزول عن نيابة الإسكندرية بإمرة مائة وتقدمة ألف عوضا عن الأمير طُوخ أمير مجلس بحُكْم انتقال طُوخ إلى إقطاع الأمير تَنِبَك أمير سلاح بعد انتقال تَنِبَك إلى إقطاع الأمير تَنَم .

والتقدمتان المنعم بهما على جَانِبَك القَرَمَانى وأَرَنْبُغَا إحداهما عن قَانِى بَاى الجاركسىّ والأخرى عن أَسَنْبُغَا الطيّار .

وفيه أيضا أنعم على جماعة كثيرة بعدة إقطاعات وإمريات طبلخانات وعشرات يطول الشرح فى تسميتهم عوضا عن الأمراء المقبوض / عليهم .   ٢٥٢

وفى يوم السبتِ ثالث عشره استقرّ البَدْرِىّ حسن بن حُسين بن الطُّولُونى معلّم المعمارية عوضا عن يوسف شاه .

وفيه أُعيد عبد الله الكاشف إلى ولاية الشرقية على عادته بعد أن التزم بعمل الجراريف بالأعمال الشرقية فى هذه السنة .

وفيه أعيد أمير زاه[2] بن حُسين بَك بن سالم الدُّوكَارِىّ إلى كشف الوجه القِبْلِى على عادته أولا .

وفيه استقرّ الأمير جَانِبَك من أمير الأشرفى بَرْسباى المعروف بالظَّرِيف خازندارا كبيرا عوضا عن الأمير أُزْبُك .

---

(١) مر من قبل « يرعلى » .

(٢) فى النجوم الزاهرة ١٦ : ٦٣ « أمير زه بن حسن » .

وفيه استقرّ السيفى بُرْدُبَك دَوَادَار السلطان قديما وزَوْجُ ابنته دَوَادَاراً ثانيا ، وأنعم عليه بالإقطاع الذى كان بيد المقام الشهابى أحمد بن السلطان أيّام إمرة أبيه ، وهى إمرة عشرة .

واستقر السيفى يَشْبُك الأشقر أستادار الصحبة عوضا عن سُنْقُر الظاهرىّ جَقْمَق .

وفى يومَ الاثنين خامس عشره ابتدأ السلطانُ فى نفقة المماليك السلطانية لكلّ مملوك مائة دينار ، وسعر الدينار مائتان وثمانون درهما فلوسا ، فيكون لكلّ نَفَر ثمانية وعشرون ألف درهم فلوسا — هذه الكاملة — وأما النصف والرّبع فمعروف ، على أنه منع العطيّة من جماعة كبيرة من أولاد الناس والمماليك السلطانية والقَرانِيص ، ولم يعطهم إلا بحُكْم النصف والربع وأقل من ذلك .

وفيه خلع السلطانُ على الصاحب جمال الدين يوسف بن كاتب جَكم ناظر الجيوش المنصورة والخاصّ باستمراره على وظيفته .

وفيه خلع على إمامه الشيخ علاء الدين الغَزّىّ الحنفى باستقراره فى نظر الأوقاف عوضا عن علاء الدين على بن آقْبَرْس ، ورسم له أيضا بالتكلم فى إقطاع المقام الشهابى أحمد ابن السلطان الملك الأشرف إينَال، والتحدُّث فى الجزائر التى هى بَرَسْم الخَوَنْدات ، كل ذلك بعد استقراره إماما على عادته .

وفيه أيضا استقرّ القاضى ناصر الدين بن أصِيل موقِّعُ السلطان قديما فى نظر الزَّرَدْ خاناه، عوضا عن القاضى بدر الدين بن ظَهِير .

وبعد عصر هذا اليوم نُودِىَ بالقاهرة بأن جميعَ المماليك السلطانية تكون سواء فى / أخذ النفقة لأنه كان فى أوّل هذا اليوم نفق السلطانُ على المماليك السلطانية ٢٥٣ وعوّق جماعةً كثيرة منهم مثل أولاد الناس والقَرَانِيص وما أشبه ذلك ، وصرف عليهم بعد ذلك ، لكن منهم من أخذ بالكامل ، ومنهم أخذ بحكم النصف ، ومنهم من أخذ بأقل من النِّصف ، كل ذلك لعجز الخزانة الشريفة ؛ فإن الملك الظاهر جَقْمَق لم يَدَع فى الخزانة مالا ، وكان يفرّق جميعَ ما كان يحصل فى يده أوّلاً فأوّل قبل موته ، ولم يدع فى الحواصل إلاّ المفاتيح والخزنة فى كل جهات المملكة . فأما

خزانة الذَّهب فلم يدع فيها لا قليلا ولا كثيرا ، وأما الزَّرَدْ خَاناه والشراب خاناه والإسطبلات السلطانية فترك فيها رُبْعَ ما خلَّفت الملوكُ السالفة أو أقل ؛ على أنه لم يتجرد فى مدة سلطنته إلى البلاد الشامية ولا أرسل تجريدةً قَطّ غير مَرَّة واحدة وهى نَوْبَة [إينال][1] الجَكَمِىّ فى أوّل سلطنته ، وجميع ما أتلفه إنما هو على النِّسْوَة والتراكمين وما أشبه ذلك ، فكل ما وقع بعد موته من الفِتَن والشُّرُور واضطِراب الدّولة والمملكة على وَلَدِه وغيره إنما هو لِقِلَّة الأموال وفراغ الحواصل .

قلت : ولله الحمد والمِنّة الذى أمات هذا الرجلَ قبل أن يطرق البلاد الشاميّة أحدٌ من الخوارج ، فإنه كان لايطيق الخروج لقتاله لما ذكرناه ، فكانت البلاد تعود إلى أعظم مافعل فيها تَيْمُور لَنْك ـــ لعنه الله ـــ من النَّهْب والسَّبْى والقتل ، هذا إذا لم يتحرّك من مكانه ، فإذا أراد الخروج لمقاتلته كان هو يفعل فى الديار المصرية من المصادرات وأخذ أموال الناس ماهو أعظم من فعل الخارجىّ الذى يَرِدُ البلاد ، وتصديق ماقُلْتُه أنه من يوم وفاته إلى يومنا هذا عجزت الملوكُ عن القيام بنفقة المماليك السلطانية فى هذه المدة الطَّوِيلة بعد المصادرات والضَّرْب والعَصْر والسّلف والتوزعة على أعيان المُبَاشِرِين ؛ كل ذلك لنفقة واحدة وهى أقل من أربعمائة ألف دينار ، فكيف لو أرادوا النفقة على المماليك وقيام بَرَك السَّلطنة من الزَّرَدْ خَانَاه والخيول والخِيَم وما أشبه ذلك مما يَحْمِله معه فى الخزائن السلطانية على عادة الملوك ، فما ذَكَرْنَاه قَدْر النّفَقَة مَرَّات عديدة ، فما كان يحصل ذلك إلاَّ بعد أمور / لا حاجة فى ذكرها ، ولم أُرِدْ بذلك التعصب ولا الحطَّ على الملك الظاهر ، ولا يخفى ذلك على أدْنَى مَن له معقول ـــ انتهى . ٢٥٤

وفى يوم الثلاثاء سادس عشره أخلع السلطانُ على جماعة من الأمراء أصحاب الوظائف خِلَعَ الإنظار على العادة .

وفى يوم الأربعاء سابع عشره وصل الأمير دُولاَتْ بَاىْ المحمودىّ المؤيَّدِىّ الدَّوَادَار ـــ كان ـــ إلى القاهرة من سجن الإسكندرية ، وقبَّل الأرضَ بين يَدَى السلطان الملك الأشرف إينَال فرحب به السلطان ووعده بكل خير ، ونزل إلى داره

(١) إضافة للتوضيح .

وبين يديه وجوه الناس ، وسر الناس بإطلاقه سرورا زائدا ، وكان مدة القبض عليه وذهابه وسجنه بثغر الإسكندرية ورجوعه منها ستة وثلاثين يوما — قلت : انظر إلى قدرة الله عز وجل فيما وقع لهذا الرجل ، فإنه لما قبض عليه الملك المنصور عثمان ، وبعثه إلى حبس الإسكندرية -كما تقدم ذكره فى وقته — كان قد عزم غرماؤه على حبسه إلى الأبد إن أبقوه ، فلم يكن حبسه إلا هذه المدة اليسيرة ، وقبض عليهم الملك الأشرف إينال[1] وبعث بهم إلى الإسكندرية . وأغرب من هذا أنه لما خرج الأمير دُولاَتْ بَاى هذا من مدينة الإسكندرية عائدا إلى الديار المصرية واجه أخصامه هؤلاء الأمراء الظاهرّية خارج الإسكندرية وهم بالقيود على تلك الحالة القبيحة ، فمشى دُولاَتْ بَاى عن بعد وَوَلَّى وجْهَهُ عنهم ، ولم يُظْهِر الشَّمَاته بهم ، بل صار يَحْمَدُ الله تعالى على ماوقع له ، وبلغنى أن بعض خَدَم دُولاَتْ بَاىْ أَرَادَ أن يتكلَّم ويُسْمِعَ القومَ نَوْعاً من التَّوْبِيخ وبدأ بكلمة واحدة فمنعه دُولاَت بَاى من ذلك ، وقال : قد كفانا الله منهم .

وفى ليلة الخميس ثامن عشره تُوُفِّى الأمير جَانِبَك بن عبد الله اليَشْبُكىّ الزَّرَدْكَاش ، وكان ابتداء مَرَضِه من يوم تسلطنَ الملكُ الأشرف إينَال ، ودُفِن من الغد بتربة طَيْبُغَا الطَّوِيل بالصحراء ، ومات وهو فى أوائل الكُهُولَة ، وأُنْعِمَ بإقطاعه على الأمير يُونُس العلائى الناصرى نائب الإسكندرية ، وأُنْعِم بإقطاع يُونُس المذكور على الأمير قَانِى بَاى النَّاصِرىّ الأعمش نائب قلعة الجبل .

وفى يوم الجمعة تاسع عشره أطلق السلطانُ الملكُ الأشرفُ إينَال زَيْنَ الدين يحيى الأستادار من محبسه بالقلعة ، وخلع عليه كاملية بمقلب سمور ، وقيّد له فرساً بسرج ذهب وكُنْبُوش زركش ، فلبس الكاملية ونزل إلى داره وهولايستطيع المَشْى إلا بكلفة مِمّا به من آثار الضَّرب والعصر ، ونزوله على أنه يلبس الأستاداريّة ويقوم بمائة ألف دينار — نصفها عاجلا ونصفها آجلا — فيكون ما وزنه للملك المنصور فى أيام مصادرته وماوزنه / الآن جُملته مائتا ألف دينار وخمسون ألف دينار ، وعزل ٢٥٥

(١) من أول فرحب به السلطان — فى الصفحة السابقة — إلى هنا ساقط فى الأصل والإثبات من ت .

الأمير جَانِبَك الظاهرىّ جَقْمَق عن الأستاداريّة ، ورسم له بالتوجّه إلى بندر جُدّة على عادته .

وفى يوم السبت العشرين منه استقرّ نُوكار الحاجب الثانى زَرَدْكَاشاً بعد وفاة جَانِبَك اليَشْبُكِى ، واستقرّ عوض الأمير سُمَام الحسينى حاجبا ثانيا،وكان سُمَام قد استقرّ بالأمس من جملة رءوس النُّوَب .

وفيه استقرّ جماعةٌ ممن تأمر فى هذه الدولة رءوس نوب ، وجماعة أخر من الخاصّكِيّة أرباب وظائف،حتى وصلت عِدّة الدَّوَادَاريّة إلى عشرة نفر ، وكانوا قبل ذلك خمسة ، والسقاة الخاص إلى عشرة وكانوا قبل ذلك ستة ، والبَجْمَقْدَارِيّة كِذلك ، واْقتَحَمتْ الأنذالُ والأوْبَاش على الرئاسة ، وأخذ الإقطاعات الهائلة ، وصار الواحدُ منهم لايقنعُ إلّا بعدة إقطاعات ، وكان قبل ذلك يَوَدُّ عُشْرَ ما ناله الآن ، على عادة تَقَلبات الدُّوَل .

كل ذلك والملك الأشرف يعطى كُلاًّ منهم ما سأل ، يترضاهم بكل ما أمكن حتى تَرْسَخَ قَدَمُه فى المُلك ، ويستفحل أمرُه .

وفى يوم الأحد حادى عشرينه قَبَضَ السلطانُ الملك الأشرف على نيف وثلاثين مملوكا من المماليك الظاهريّة جقْمَق الخاصّكِيَّة ، وحَبَس الجميع بالبُرج من القلعة وكان السلطان قبل تاريخه قد نَفَى جماعةً أُخَر من الأمراء الظاهريّة والخاصّكِيّة،منهم : الأمير سُنْقُر أستادار الصُّحبة ، والأمير شاهين الفقيه وتوجَّها إلى القُدْس الشّريف فى يوم الاثنين خامس عشره ، ثم بعدهما فى يوم الثلاثاء سادس عشره توجّه سَنْطَبَاى رأس نَوْبَة الجَمَدَارِيّة ، ويَشْبُك الظاهرىّ الذى كان تأمَّر فى أمسه ، ويَشْبُك السّاقى تَوَجَّهُوا إلى طَرَابُلُس ، وبعدهم جماعة أخر ، ثم قَبَضَ على هؤلاء المذكورين .

وفى يوم الاثنين ثانى عشرينه لبس زينُ الدين الأستادار خلعة الأستاداريّة ، وأعيد إلى وظيفته بغير سَعْى منه ، وفى الظن أنه يعود إلى ماكان عليه ، فجاء بخلاف ماكان فى الظن وباشر على عادته .

وفى يوم الثلاثاء ثالث عشرينه لبس الأمير بُرْدْبَك صهر السلطان والدَّوَادَار الثالث نظرَ القرافة عوضا عن يوسف شاه العَلَمِىّ .

٢٥٦ وفيه وصل إلى القاهرة مِن ثَغْر دِمْيَاط / الأمير يَرْشْبَاى المؤيّدى الإينالى الأمير آخور الثانى ـــ كان ـــ والأمير يَلَبَاى الإينَالِى المؤيِّدِىّ أحد أمراء العشرينات ورأس نوبة ـــ كان ـــ وكانت إقامتهما بالثغر يَوْماً واحدا ، وجاءهما الطَّلَبُ من السلطان وطلعا إلى القلعة ، وقَبَّلاَ الأرض بين يدى السلطان ، فوعدهما بكلّ خير ونزلا إلى دورهما .

وفى يوم الخميس خامس عشرينه وصل إلى القاهرة من القُدْس الشريف الأمير سُودُون الإينَالِى المؤيّدِىّ المعروف بقَرَاقَاش أحد أمراء العشرات ـــ كان ـــ ورأس نَوْبة ، وكان له نحو الثلاث سنين مقيما بالقُدْس من يوم نفاه الملك الظاهر جَقْمَق فرحّبَ السلطان به أيضا ووعده بالنظر فى حاله .

وفيه استقرّ خَيرْبَك القَصْرَوِىّ والى القاهرة شاد الدَّوَاوين ، وخَيرْبَك هذا كان قبل توليته ولاية القاهرة من أصاغر المماليك السلطانية الأوباش .

وفى يوم الأحد ثامن عشرينه أُخْرِجَ الملكُ المنصورُ عثمان ابن الملك الظاهر جَقْمَق من محبسه بالقاعة الموسومة البحرة بالحوش من قلعة الجبل على فرس بُوز مُقَيَّداً من غير أن يركب أحدٌ من الأوْجاقِيّة خلفه على عادة الأمراء ، وأنزلوه من باب القرافة،ومضوا به من على المجراة من القرافة الكبرى إلى مصر القديمة إلى أن أوصلوه إلى بحرالنيل ، وأنزلوه إلى المركب ، وسافر من وقته ، ومُسَفِّره الأمير خَيرْبَك المؤيّدىّ الأشقر الأمير آخور الثانى ، وهذا شىء لم يعهد مثلهُ من أن سلطان الديار المصرية ينزل على هذه الصورة فى وسط النهار والعسكر من الأمراء والخاصّكِيّة حوله بالرماح والسّيوف وآلات الحرب ، والعامة تزدحم على الفُرْجَة عليه ، فكان فى هذه الكائنة عِبْرةٌ لمن يعتبر ؛ لأنه بالأمس كان سُلطانَ الديار المصرية والمتصرّف فى المماليك والرّعية كيف شاء ، وإليه الأمر والنهى ، والأمراء والجندُ والناسُ بأجمعهم

له طائعون ، ولأمره سامعون ، وهوالآن صار فى أيديهم كالأسير وليس له من الحُكْم لا ما قَلّ ولا ما كَثُر ، حتى ولا على نفسه .

قلتُ : لاجرم أن الله تعالى عَامَلَه من جنس فعل والده الملك الظَّاهر جَقْمَق بالملك العزيز يُوسُف ابن الملك الأشرف بَرْسْبَاى ، وقد ورَدَ فى الإسرائِيلِيَّات أن الله تعالى قال لنبيّه داوًد عليه السلام : ياداود ، أنا الرَّب الوَدُود ، أعامل الأبناء بما صنع الجُدُود ـــ انتهى .

وفى الثلاثاء سلخه ظهر الأمير أسِنْبَاى الجَمَالِى الظاهرىّ الدَّوادار الثانى ـ كان ـــ بأمان ، فتكلّم فيه بعضُ الأمراء ليتوجّه إلى القُدْس / الشريف بطَّالاً ، فرسم له بذلك على أنه يقيم بالقاهرة أيّاما ليتجهز بها ثم يسافر .

٢٥٧

● شهر ربيع الآخر : أوّله الأربعاء .

فى عصره وصل الأمير جَانَم قريبُ الملك الأشرف بَرْسْبَاى إلى تربة برسباى[١] بالصحراء خارج القاهرة ، وأصبح يوم الخميس من الغد طَلَع إلى السلطان وقبل الأرض بين يديه ، فرحَّبَ به السلطان وخلع عليه كامليّة بمقلب سمّور ، ووعده بكل خير ، وأنزله عند مملوكه وصهره الأمير بُرْدْبَك الدَّوادار الثالث ببيت الأمير مَنْجَك[٢] اليُوسُفِىّ الذى جَدَّدَه الأمير تَمُرْبُغَا الدَّوَادار الظاهرىّ جَقْمَق .

وفى ليلة الأحد خامسه سافر الأمير أَسِنْبَاى الجمالى الظاهرى الدَّوادار الثانى ـــ كان ـــ إلى القُدْس الشريف .

وفى ليلة الاثنين سادسه تُوُفِّىَ الأمير سمام الحسنى الظاهرىّ بَرْقُوق الحاجب الثانى وأحد أمراء العشرات ، ودُفِنَ من الغد ، وأنعم بإمرته على الأمير جَانِبَك الإينالِىّ

---

(١) تربة الأشرف برساى : وتقع بالصحراء التى يطل عليها الجبل الأحمر وتسمى قرافة المماليك ، وبها تربة ومدرسة السلطان إينال ، وتربة وخانقاه السلطان برقوق ، وتربة السلطان الأشرف برسباى وغيرها من مقابر المماليك.هامش المرحوم الأستاذ محمد رمزى على (النجوم الزاهرة ٧ : ٢٦٢ ط . دار الكتب) .

(٢) بيت منجك اليوسفى : وكان يقع بالقرب من جامع السلطان حسن (دكتور . عبدالرحمن زكى القاهرة ١٦٤)

الأشرفى بَرْسْبَاى القادم من طَرَابُلُس فى أمسه ، المعروف بقلقسيز — أعنى بلا أُذُن —وأنعم بوظيفة الحجوبيّة الثانية على الأمير بَتْخَاص العثمانى الظاهرىّ بَرْقُوق .

وفى يوم الاثنين المذكور تمت نفقة السلطان على المماليك السلطانية بعد أن ظهر فى تفرقتها من العجز مايُسْتَحْيا من ذكره من وجوه عديدة منها : أنها فُرِّقَت فى أيَّام كثيرة ، فكانت تُفَرَّقُ فى كل يوم موكب ثلاث طبقات لاَغَيْر ، ثم صارت تُفَرَّق فى كل يوم موكب طبقة واحدة ، ومنها أنها فُرِّقت على ضرُوب ، فأعلى من أخذ من المماليك السلطانية أخذ ثمانية وعشـرين ألف درهم ، وأدنى من أخذ أخذ ألف درهم ، فكان يقع فى كلِّ يومِ تَفْرِقَةٍ أمور شنيعة ممن تُعْطَى له النفقةُ الناقصة عن أعلى ماذكر ، فكان منهم من يستغيث ويَرْمِى بها ويُفْحِشُ فى اللَّفظ حتى يأخذ بالكامِل ، ومنهم من يتركها ويمضى حتى يترضّوه ، ومنهم من يفعل أعظم من ذلك ويأخذ بالناقص ، وبالجملة كانت هذه التَّفْرقة نوعا مَن أنواع العَجزِ الذى ظهر بالديار المصرية .

وفيه رسَمَ السلطانُ الملك الأشرفُ إينالُ بدَوَرَان المحملُ[1] فى شهر رَجَب ، ولعب الرَّماحةُ على عادة من تَقدّمه من الملوك فى السـنين الماضية ، وكان ذلك بطل من نحو العشر سنين ، وعَيّنَ معلم / المحمل الأمير جَانِبَك من أمير الأشرفى الخازندار، وذلك بعد أن عيّن السلطانُ جماعةً من أمراء الألوف ، فاعترفَ الجميعُ بعدم معرفة هذا الفَنّ ، فترشّح مُؤلفه للمعلّميّة ، ورَضِىَ كلُّ من البَاشَات بذلك ، ٢٥٨

(١) دوران المحمل : فقد جرت العادة أنه يدور فى السنة مرتين الأولى فى شهر رجب بعد النصف منه ، يحمل وينادى لأصحاب الحوانيت التى فى طريق دورانه بتزيين حوانيتهم قبل ذلك بثلاثة أيام ويكون دورانه فى يوم الاثنين أو الخميس لايتعداهما ، ويحمل المحمل على جمل وهو فى هيئة الطيفة من خركاه (بيت مربع) وعليه غشاء من حرير أطلس أصفر ، وبأعلاه قبة من فضة مطلية ويبيت فى ليلة دورانه داخل باب النصر بالقرب من باب جامع الحاكم ، ويحمل بعد الصبح على الجمل المذكور ويسير إلى تحت القلعة ، فيركب امامه الوزير والقضاة وارباب الدولة . والمماليك فى أبهى زينة ومنهم المماليك الرماحة : وهم ملبسون المصفات الحديد المغشاة بالحرير الملون ، وخيولهم ملبسة بالبركستوانات والوجوه الفولاذ كما فى القتال ، وبأيديهم الرماح عليها الشطفات السلطانية فيلعبون تحت القلعة كما فى حالة الحرب ، ومنهم جماعة صغار بيد كل منهم رمحان يديرهما فى يده وهو واقف على ظهر الفرس . ثم يذهب المحمل إلى الفسطاط فيمر فى وسطه ثم يعود إلى تحت القلعة ويفعل كما فى الأول إلا أنه أقل من ذلك ثم يحمل إلى جامع الحاكم ويوضع فى مكانة هناك إلى شوال . ثم يتكرر الدوران فى النصف الثانى من شوال ويخرج إلى الريدانية للسفر . (القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ٥٧ ، ٥٨) .

فدخل جَانِبَك المذكور وسأل فى أن يكون معلّما للمحمل فأجابه السلطان لذلك .

وقد تقدم أن السلطان يُدَارِى الجماعة بكل ما يمكنه ، فرسم له بذلك . وفى النفس من ذلك ما فيها ، وعيّن باشات أربعة وهم الأمير جَانِبَك [الإينالى[1]] الأشرفىّ المعروف بقلقسيز المقدّم ذكره فى أخذ الإمرة عن سُمَام الحسنى، والأمير قَانْصُوه المحمدّى السّاقى الأشرفى أحد أمراء العشرات ، والأمير جَانَم السّاقى أيضا ، والأمير كِسْبَاى الشِّشْمَانِىّ المؤيّدىّ أحد أمراء العشرات أيضا ، وكان لدَوَران المحمل سنين عَدِيدة لم يُعْمَل من منذ أبطله الملك الظاهر جَقْمَق ، وسُرَّ الناسُ بعمله .

وفى يوم الثلاثاء سابعه استقرّ الأمير خَيرْبَك المؤيّدىّ الأجرود أتَابَك دِمَشْق ــ كان ــ والقادم إلى القاهرة قبل تاريخه فى نيابة طَرَسُوس بعد تَمَنُّع زَائِد .

وفيه أمسك السلطان جماعة من المماليك الظّاهرية جَقْمَق وقد تداوَل قبضُه عليهم قبل تاريخه .

وفيه استقرّ الأمير تَغْرِى بَرْدِى القلاوىّ الظّاهرىّ جَقْمَق كاشف الوجه القبلى من البَهْنَسَاوِيّة بعد أن كان السلطان الملك الأشرف قد لهج بخروج إقطاعه وإمرته .

وفيه خلع على السّيفى أُزْبُك التِّمْرَازِىّ بشَدّ خَانْقَاه سِرْيَاقُوس ، وهذا شىء بخلاف العادة ، ولم يعهد إلا أن السلطان يُولِّى مشيختها ونظرها لاغير ، فتجدد ذلك ولم يتم .

وفى يوم الأربعاء ثامنه وصل مُسَفِّر الملك المنصور عثمان من الإسكندرية وهو الأمير خَيرْبَك الأشقر المؤيّدىّ الأمير آخُور الثانى .

وفيه استعفى الأمير خَيربَك المؤيدى الأجرود من نيابة طَرَسُوس فأعفى .

وفيه رسم للأمير جَانَم الأشرفىّ الأمير آخُور الكبير ــ كان ــ بنيابة طَرَابُلُس فلم يَقْبَل ، فرسم بإقامته بالقاهرة إلى أن ينحلّ له إقطاعٌ يَلِيق به بالديار المصرية .

---

(١) إضافة للتوضيح .

وفى يوم الخميس تاسعه أُعِيد إلى الصاحب جمال الدين يوسف ناظر الجيوش المنصورة والخاص التكلّم فى الذخيرة[١] على عادته .

وفى يوم الجمعة عاشره — ويوافقة خامس عشرين بَرْمُودة — لبس السلطانُ الملك الأشرف إينال القماش الأبيض المعتد للصيف على عادة / الملوك ، وفيه أطلق السلطانُ جميع المماليك الظاهريّة المقبوض عليهم قبل تاريخه إلى حال سبيلهم بعد أن حبس جماعة منهم بالبُرْج بقلعة الجبل نحو العشرين يوما .

٢٥٩

وفى يوم السبت حادى عشره استقرّ الأمير تِمْرَاز الأشرفى بَرْسْبَاى الدَّوَادار الثانى ناظر خانقاه سِرْيَاقُوس عوضا عن القاضى محبّ الدين بن الأشقر كاتب السرّ الشريف ، بعد أمور وقعت بين محب الدين المذكور وبين يَرْعلى الخُرَاسَانِى محتسب القاهرة .

وفى يوم الأحد ثانى عشره عين السلطان جماعةً كبيرة من المماليك الظاهرّية جَقْمَق لحفظ الثُّغُور ، فعَيّن منهم مائة نفر إلى حفظ ثغر رَشِيد ، وعيّن خمسين إلى ثغر دِمْيَاط ، وجعل على كل طائفة أميرًا من أمراء العشرات .

وفى يوم الثلاثاء رابع عشره استقرّ قَرَاجَا القَصْرَوىّ نائب كَخْتَا .

وفى يوم الأربعاء خامس عشره نُودِىَ بالقاهرة بخروج المماليك البطَّالة إلى الأقطار ، وتكرّر النداء بذلك وهُدِّد من تخلّف عن الخروج ، وسبب ذلك أن السلطان لَمّا وثب على المَلِك المنصور [عثمان[٢]] طلبَ المماليك البطّالة ونَدَبَهم للقتال معه ، وصار يكتب من ينضم إليه منهم ، ووعد أكثرهم بأنه يجعله من جُملة المماليك السلطانية إذا صار الأمر له ، ووعد جماعة منهم أيضا بنفقة يُنْفقُها عليهم ، فلما تسلطن أبعدهم ولم يُوفِ لهم بما وَعَدَهم ، فصارُوا يقفون له ويطلبون منه إنجاز ماوعدهم به ، وألَحُّوا فى ذلك ، فلم يجد بُدًّا من أنه ينفيهم خَوْفًا من وثوبهم ووقوع فتنة ، فاشتغلوا عند المناداة بأنفسهم وسكتوا عن الطلب ، على أنه أُرْجِفَ فى اليوم المذكور

(١) الذخيرة : أى ديوان الذخيرة .

(٢) الإضافة للتوضيح .

بوقوع فتنة ، وطلب السلطانُ الخليفةَ وأقاربه إلى عنده ، فطلع من ساعته وأقام بقلعة الجبل بالبحرة من الحوش السلطانى ، وكثر الكلام بسبب ذلك ، وترقّب الناس وقوعَ فتنة من الغد ، ولا يعلم أحدٌ مَن القائم بذلك ، فأصبح الناس فى أمن ، وانفضّ الموكب على خير وسلامة .

وفيه-أعنى يوم الخميس سادس عشره-استقرّ القاضى ناصر الدين محمد بن المُخَلِّطة أحد نوّاب الحكم المالكية وأحد أخصاء الملك الأشرف إينَال قديمًا فى نظر البِيمارسْتَان المنصوريّ عوضا عن شرف الدين موسى التَّتَائى الأنصارى .

وفيه فرّق السلطان النفقةَ على الأمراء مقدمى الألوف،فأرسل إلى الأمير الكبير تَنِبَك البُرْدُبَكّى الظاهرىّ بَرْقُوق بأربعة آلاف دينار ، ولمن دونه من أمراء الألوف بثلاثة آلاف دينار ، ولمن تجدّد / منهم بألفى دينار . ٢٦٠

وفى يوم الجمعة سابع عشره نزل الخليفة القائِم بأمر الله حمزة من القلعة إلى داره بعد أن خلع السلطان عليه كامليّة بمَقْلَب سمّور ، وبعث إليه بأربعين رأسا من السّكر المكرّر .

وفى يوم الجمعة رابع عشرينه عقد السلطانُ عقد ابنه المقام الشهابى أحمد على أبنة الأمير دُولاَت بَاى المحمودىّ المؤيدىّ الدَّوَادار الكبير — كان — بجامع القلعة .

وفى يوم السبت خامس عشرينه خلع على شرف الدين موسى التتائى الأنصارى خلعة الاستمرار بوظائف الجَوَالى ووكالة بيت المال وغيرهما .

وفى يوم الأربعاء تاسع عشرينه وسَّطَ السلطان ثلاثة أنفار بعد أن رَسَم بتسميرهم على الجمال ، منهم : بَلَبَان الزَّيْنى عبد الباسط ورفيقاه ، وسبب توسيطهم أن بَلَبَان المذكور كان يطلب المرأة الجميلة من الخواطىء إلى عنده ويفعل فيها ثم يقتلها ويأخذ ماعليها ، ويساعده على ذلك رفيقاه المذكوران ، حتى هتكهم الله تعالى ، وكشف سريرتهم ، وظفر بهم .

وفى يوم الخميس سلخه خلع السلطان على السيد[١] تاج الدين عبد الوهاب باستقراره قاضى قضاة الشافعية بحلب، عوضا عن القاضى شهاب الدين أحمد بن الزّهرىّ .

وفيه أيضا استقر القاضى نور الدين على بن مُفْلح قاضى قضاة الحنابلة بدمشق عوضا عن ابن عَمِّه بُرْهَان الدين بن مُفْلح .

وفيه أنعم السلطانُ على الأمير سُودُون الإينالىّ المؤيّدىّ المعروف بقَرَاقَاش بإقطاع عبد الله الكاشف، والإقطاع المذكور إمرة عشرة .

وفيه قَبَضَ السلطانُ على شخص من المماليك الأشرفية بَرْسْبَاى يُسمَّى قَجْمَاس وحبسه بالبُرْج على أنه يعاقبه من الغد ، وسببه أنه أراد إثارة فتنة .

● جمادى الأولى : أوّله الجمعة .

فى عصره قبض السلطان الملك الأشرف على الأمير قَرَاجَا الظاهرىّ جَقْمَق حاجب الحجّاب، وحبسه بالبَحْرة من الحُوش السلطانى بقلعة الجبل من غير ذنب ولاسبب ، وماهو إلا أن جماعة الأشرفية صارت تُوغِرُ خاطرَ السلطان على المماليك الظاهرّية وتخوِّفه منهم طَمَعًا فى أرزاقهم وإقطاعاتهم ، ولازالوا به فى حقّ قَرَاجَا هذا حتى وافقهم وقبض عليه، وحبسه بالبحرة كما ذكرنا إلى ماسيأتى ذكره من توجّهه إلى القُدْس الشريف بطّالا / وقَرَاجَا المذكور من خِيار الأمراء دينًا وعقلا وكرما وحشمة وصيانة وعفة عن القاذورات والمنكرات والفروج ، لم يكن فى أبناء جنسه مثله . ٢٦١

وفى يوم السبت ثانيه أنعم السلطانُ بإقطاع الأمير قَرَاجَا المذكور على الأمير جَانَم قريب الملك الأشرف بَرْسْبَاى ، واستقرّ الأمير جَانِبَك القَرَمَانى فى حجوبيّة الحجّاب عوضا عن الأمير قَرَاجَا المذكور .

وفيه عاقب السلطانُ قَجْمَاس المقبوض عليه قبل تاريخه ليُقِرَّ على من هو القائم بهذا الأمر ، فلم يقرّ على أحد .

---

(١) السيد : هذه أول مرة يرد فيها هذا اللقب . والمعهود« سيدى » لأولاد السلاطين فقط أو للسادة الصوفية .

وفيه قُيِّد الأمير قَرَاجَا ورُسَم بتوجُّهِهِ إلى ثغر الإسكندرية ليُسْجَن بها ، ثم تُكُلِّم فيه وفُكَّ قَيْدُه من يومه واعتذر السلطانُ بنحو ماذكرناه من أن ذلك فُعِلَ بغير إرادته ، ورسَمَ بتوجّهه إلى القُدْس الشريف بَطَّالاً ، فسافر فى يوم الاثنين رابعه .

وفى يوم الثلاثاء خامسه قُرِىء تقليد السلطان الملك الأشرف إينَال بالقصر السلطانى من القلعة ، وحضره الخليفة القائم بأمر الله أبو البقاء حمزة ، والقضاة والأعيان ، وجلس السلطان على الأرض من غير كرسى ، وإلى جنبه الأيمن الخليفة المذكور ، ثم القضاة على منازلهم ، وقرأه القاضى محب الدين بن الأشقر كاتب السّر الشريف فشكر الناس جلوس السلطانِ من غير كرسىّ ، لأن الخليفة القائِم بأمر الله المذكور يوم خلع الملك المنصور عثمان عَدَّ من ذنوبه أنه جلسَ على كرسىّ يوم قُرِىء تقليدُهُ ، وبقَىَ الخليفة تحت رجليه بجانب الكُرْسِىّ .

قلت : وكذا كان فعل والده الملك الظاهر جَقْمَق مع الخليفة المعتضد بالله أبى الفتح داود يوم قُرِىء تقليدهُ أيضا ، ولعل ذلك عادة الملوك السالفة ـــ والله أعلم ـــ فإن الظاهر جَقْمَق كان عنده تواضع مع العلماء والفقهاء ، فكيف الخلفاء !! ثم إن الملك الأشرف بعد القراءة خَلَع على الخليفة وغيره ، وانفضّ المجلس .

وفى ليلة الجمعة سابعه تُوُفِّى قاضى القضاة بدر الدين محمد ابن الشيخ ناصر الدين محمد ابن العلاّمة شرف الدين عبد المنعم البغدادىّ الحنبلىّ ، ودُفِن من الغد ، وكانت جنازته مشهودة ـــ رحمه الله ـــ وسيأتى ذكرُه فى آخر السنة إن شاء الله تعالى مع من يذكر ممن تُوُفِّى فيها .

وفى يوم الخميس المذكور رسمَ السلطان بعود الأمير قِيزْ طُوغَان العلائى الأستادار ـــ كان ـــ إلى دِمَشْق ، ورسم أيضا بعود الأمير غَرس / الدين خليل بن شاهين الشيخىّ أحد مقدّمى الألوف بدِمَشْق ، وكان جاوز قَطْيَا . ٢٦٢

وفى يوم الجمعة ثامنه عُقِد عقدُ الأمير يُونُس الآقبائى الدَّوادار الكبير على بنت السلطان الملك الأشرف إينَال بجامع القلعة بحضرة السلطان .

وفى يوم السبت تاسعه استقر الشيخ العلامة القاضى عز الدين أحمد قاضى قضاة الحنابلة بالديار المصرية بعد موت قاضى القضاة بدر الدين بن عبد المنعم-رحمه الله .

وفيه رسَمَ السلطان بأن يُحَطَّ عن البلاد بالوجه القبلى والبحرى رُبْع ماكان يُطْرَح عليهم فى الأيام الظاهرّية جَقْمَق من النَّطْرُون ، فسرّ الناس بذلك وتباشروا بإزالة المظالم .

وفى يوم الأحد سابع عشره ورَدَ الخبرُ على السلطان من الوجه القبلّى بِقَتل الأميرَين : الأمير تَغْرِى بَرْدِى القلاوِىّ الظاهرى جَقْمَق كاشف البَهْنَسَاوِيّة ، والأمير سَوِنْجْبغا اليونسى الناصرى فرج أحد أمراء الطَّبْلَخَانَات ورأس نَوْبَة ، وأمرهما من الغرائب؛ وهو أن السلطان لما ندب الأمير سَوِنْجبُغَا لمَسك الأمير تَغْرِى بَرْدِى المذكور وخرج من القاهرة حتى وصل إلى قريةِ قِمَن[١] لاقاه الأمير تَغْرِى بَرْدِى المذكور بالقُرْب منها وقد علم بما جآء سَوِنْجْبُغَا بسببه ، فأذعن بالطاعة وتقدّم وسلَّم عليه ، فلما حاذاه قبضَ عليه سَوِنجبُغَا وقال له : معى مَرْسُوم شريف بالقبض عليك ، ووضْعِ الجنزير فى عُنُقِك ، فقال تَغْرِى بَرْدِى : السّمْعَ والطاعة ولايحتاج لذلك فقال سَوِنْجبُغَا-لحظ[٢] نفس كان بينهما قديما : لابد من ذلك ، فنادى تَغْرِى بَرْدِى رُفقته:الجيرة فحملوا على سَوِنْجبُغا ورفقته ــ وكانوا فى كثرة ورفقة سَوِنْجبُغَا فى قلة ــ ووقع القتال ، فأصاب سَوِنْجبُغَا سهم فى رقبته فسقط منه عن فرسه إلى الأرض مغشيا عليه ، ثم أفاق فتكلّم كلمةً واحدة ثم قضى نحبه ، فلما رأى رفقة سَوِنْجبُغَاذلك انتدب بعضهم وضرب تَغْرِى بَرْدِى بالسّيف ضربات إلى أن طارت يَدُه ثم مات ، ووقع القتال بين الطائفتين إلى أن انهزم أعوان سَوِنْجبُغَا وأخذهم وَلَدُه وعاد نحو القاهرة ، وترك وَالِدَه سَوِنْجبُغَا ميّتًا على الأرض ، وكذلك القلاوىّ ، وقيل غير ذلك ، وقد اضطربت الرِّوَايات فى هذا الخبر لاختلاف أغراض الطائفتين،وأيضًا لضَعْف الرُّواة ، فإن غالب من كان هناك غير ثقة ، والصحيح أنهما قُتِلاَ فى ساعة / واحدة . ٢٦٣

(١) قمن بكسر ثم فتح : قرية من قرى صعيد مصر . وهى من القرى القديمة وتتبع مركز الواسطى ــ محافظة بنى سويف ، وتسمى قمن العروس (محمد رمزى ــ القاموس الجغرافى للبلاد المصرية ق ٢ ج ٣ : ١٣٢) .
(٢) كذا فى الأصلين « والمعنى كما يتبادر لتنافس كان بينهما » .

وفى يوم الاثنين استقرّ الطواشى لؤلؤ الأشرفى الرّومىّ مقدّمَ المماليك السلطانية بعد عزل الأمير مَرْجَان العادلى المحمودىّ الحبشىّ .

وفيه استقرّ الأمير جَانِبَك من أمير الأشرفى بَرْسْبَاى الخازندار أمير حاج المحمل بعد موت سَوِنْجبُغَا .

وفى يوم الثلاثاء تاسع عشره رَدَّ السلطانُ إقطاع الأمير يَلَبَاى الإينالى المؤيدىّ بعد موت سَوِنْجبُغَا لأنّ سَوِنْجبُغَا كان أخذه فى الدولة المنصورية عثمان لَمَّا قبض على يَلَبَاى المذكور وحبس بثغر الإسكندرية حسب ما تقدم .

وفى يوم الأربعاء العشرين منه وصلت رِمَّه الأمير سَوِنْجبُغَا إلى القاهرة ، ودفنت بالقرافة بالقُرب من قبر الإمام الشافعىّ ــ رضى الله عنه .

وفى يوم الخميس حادى عشرينه نُودِىَ بالقاهرة على الدِّينار الذَّهب الأشرفى بأن يكون سِعْرُه مائتين وخمسة وثمانين درهما ، وكان الدينار المذكور قد مشى بين الناس من مُدَّة أشهر وتعاطوه بثلاثمائة درهم وثلاثين درهما ، فشقّ ذلك على الناس إلى الغاية ، ونودِىَ أيضا بعدم المعاملة بالدينار المنصورىّ الذى زنته درهم واحد ، وكان هذا الدّينار قد ضَرَبه الملك المنصور عثمان فى أيّام سلطنتة ، وجعله بمائتين وتسعين درهما .

وفيه أنعم السلطانُ على الأمير يَرْشْبَاى الإينَالىّ المؤيّدى الأمير آخور الثانى ــ كان ــ بإقطاع تَغْرى بَرْدِى القلاوِىّ ، وأنعم على الأمير سُودُون الإينالىّ المؤيّدىّ المعروف بقَرَاقَاش بإقطاع عبد الله الكاشف ، وكان قد وُعِدَ به قبل تاريخه كما تقدّم ذكره ، وأنعم على الأمير تَنَم الحسنى الأشرفىّ بإقطاع بَرْسْبَاى السّاقى ، وعلى الأمير قَلَمْطَاى الإسحاقى الأشرفى بَرْسْبَاى بإقطاع يَلْبُغَا الجاركسىّ بحكم عجزه ، لكل واحد إمرة عشرة ، وكان إقطاع يَلْبُغَا هذا قد وُعِدَ به الأميرُ يَلَباى قبل تاريخه ، فلما رُدَّ إلى يَلَبَاى إقطاعه أنعم السلطانُ بإقطاع يَلْبُغَا على تَنَم وقَلَمْطَاى المذكورين .

وفى يوم الجمعة ثانى عشرينه وصلت رِمَّة الأمير تَغْرِى بَرْدِى القلاوىّ إلى القاهرة ، ودفنت أيضا بالقرافة .

وفى يوم السبت ثالث عشرينه أنعم السلطانُ على السّيفى أزْبُك المؤيّدىّ الخاصّكىّ ، وعلى السّيفىّ أُزْبُك البوّاب الأشرفى بَرْسْبَاى بإمرة عشرة لكل واحد منهما إمرة خمسة ، وكان هذا الإقطاع / أيضا من جملة مابيد سَوِنْجْبُغَا من الإقطاعات .

٢٦٤

وفيه استقرّ قَرَاجَا العُمَرِىّ أحد أمراء العشرات ورأس نوبة كاشف إقليم البَهْنَسَاوِيّة عوضا عن تَغْرِى بَرْدِى القلاوىّ .

وفيه استقرّ الأمير يَلَبَاى والأمير سُودُون قَرَاقاش كل منهما رأس نَوْبَة .

وفى يوم الثلاثاء سادس عشرينه نُودِى على الدينار الذهب بأن يكون سعرُه على عادته ثلاثمائة وعشرين درْهَمًا ، وفيه استقرّ الأمير تَنَم والأمير قَلَمْطَاى كلٌّ منهما رأس نَوْبَة من جمَلة رءوس النُّوَب .

وفيه كتب مَرْسُوم شريف بعود محب الدين بن الشِّحنة إلى حَلَب بعد أن قارب قَطْيَا أو تجاوزها على أقبح وجه .

وفى يوم الجمعة تاسع عشرينه كان الفراغ من مدرسة الرئيس سعد الدين إبراهيم بن الجيعان التى أنشأها بخط بُولاق على شاطىء النيل بين قاعة الحجازية والبرابخية، وأقيمت بها الخطبة وصلّى فيها الجمعة ، وحضر فيها جماعة من أعيان الدّولة .

● جمادى الآخرة : أوّله السبت .

فيه تُوُفِّىَ الأمير دُولاَتْ بَاى المحمودىّ المؤيّدىّ الدّوادار الكبير ـــ كان واحد مقدّمى الألوف الآن ، ودفن من يومه بالصحراء خارج القاهرة .

قلت : لامفر من الموت ، ومن لم يمت بالسّيف مات بغيره ، وهو أنه لما قبض عليه الملك المنصور عثمان وحبسه بثغر الإسكندرية وقد قصدَ حاشيةُ المنصور أخذَ روحه ، فلم يلبث فى السجن غيرواحد وثلاثين يوما وخَلَّصَهُ الله على يد الملك الأشرف إينَال ، وأنعم عليه الأشرف المذكور بإمرة مائة وتقدمة ألف بعد موت الأمير أَرَنْبُغَا اليُونُسِىّ ، فلم تطل مُدَّته ومَرِضَ وَلَزِمَ الفراش حتى تُوُفِّىَ ، فكانت مُدة أيامه

بعد الإفراج عنه تقارب مدّة أيّام حبسه ، فإنه قبض عليه يوم الخميس سابع عشر صفر ، وقدم القاهرة فى يوم الأربعاء سابع عشر شهر ربيع الأوّل ، يأتى ذلك كلّه فى هذا الكتاب مفصلا إن شاء الله تعالى .

وفى يوم الاثنين ثالثه أنعم السلطانُ بإقطاع دُولاَت بَاى الدّوادار على الأميرِ خَيرْبَك المؤيّدىّ أتَابَك دِمَشْق ـــ كان ـــ وهو إمرة مائة وتقدمة ألف بعد أن أخرج السلطان ما كان فى الإقطاع من الزيادات ، فأنعم بقرية مُنْبَابَة تجاه بولاق / على الخليفة ، وقرية أخرى بالوجه القبلى على الأمير جَانِبَك الظاهرىّ جَقْمَق شاد بندر جُدّة . ٢٦٥

وفى يوم الأربعاء خامسة ورد الخبرُ بموت الأمير قَانْصُوَه النَّوْرُوزِىّ أحد مقدّمى الألوف بدِمَشْق ، وأنعم بإمرته على الأمير قانِبَك[1] المحمودىّ المؤيّدىّ أحد الأمراء البطالة بدِمَشْق .

وفى يوم الأربعاء ثانى عشره عيّنَ السلطان تَجْرِيدَة إلى البُحَيرة نحو ثلاثمائة مملوك من المماليك السلطانية ، وعليهم الأمير طُوخ من تِمْرَاز الناصرىّ أمير مجلس .

وفيه أُخِذ قاعُ النيل فجاءت القاعدة : أعنى الماء القديم والذى أضيف إليه من زيادةِ هذه السنة ثمانية أذرع وخمسة أصابع .

وفى يوم الجمعة رابع عشره وصل إلى القاهرة القاضى محب الدين محمد ابن الشِّحْنة بعد ما كان رَسَم السلطانُ بعوده إلى حَلَب ثانيا ، فلما بلغه ذلك أرسلَ وَعَدَ السلطانَ بمالٍ كثير ، فرسَمَ له بالقُدُوم ، فقدم فى اليوم المذكور ، وحمل إلى الخزانة الشريفة نحو العشرة آلاف دينار ـــ على ماقيل . وطولب بأكثر من ذلك ، وهو الآن فى شغل بنفسه بسبب ماطُولبَ به .

قلتُ : وهذا دأب هذا الشقىّ ؛ فإنه لم يزل يُحَمِّل ذِمَّته ويَحْمِلُ إلى أرباب الدَّولة الأموال الكثيرة والتحف حتى يبلغَ مَقَاصِدَه السّيّئة فى أذى المُسلمين ، على

(١) الرسم فى (النجوم الزاهرة ٧ : ٤٣٤ ط . كاليفورنيا) « قانى بك » .

أنّه لم يزل فى ذُلٍّ وصَغَارٍ وبهدلة وتَرَاسِيم ، بل ربما أُهِينَ بالضَّرب والحَبْس فى بعض الأحيان ، وهو مع ذلك لايزداد إلا حِرْصاً فى السَّعْى والتردُّدِ إلى الأكابر ، وقد ذكرنا من حاله شيئا كثيرا مفصلا فى وقته ، على أنَّنا سَكَتْنَا عن الأكثر ؛ وذلك لما فيه من الشَّناعة من كونه متخلّق بأخلاق الفقهاء ، بل قاضى الشريعة ، ومن أعيان فُقَهَاء الحنفيّة ، ومن بيت علم وفضل .

وفى يوم الخميس سابع عشرينه سافر الأمير طُوخ بمن معه من المماليك السّلطانيّة إلى البُحَيْرة .

● شهر رجب : أوّله الأحد .

فيه رخصت الأسعار حتى أبيع الإرْدَب القمح بمائة وأربعين درهما إلى مادونها ، والفول بتسعين درهما الإردب إلى مادونها ، والشعير كذلك ، وآنحطّ سعر سائِر الحبوب ، وكذلك سائِر المأكولات من اللحوم وغيرها — ولله الحمد .

٢٦٦ وفى هذا الشهر لهجت الناس بوقوع فتنة لم يدر/أحدٌ مَن القائم بهذا الأمر بل الظاهر أن جماعة من أعيان الدَّولة نَفَّرُوا خاطر السلطان من جماعة الأشرفيّة حسداً لهم ، ووَغّرُوا خاطِرَه عليهم ، وحذَّرُوه منهم ، فآنْقادَ لهم السلطانُ قليلا فى الباطن لما عنده من إلحاح الأشرفيّة عليه فى طلب الإقطاعات والوظائف ، وإدخالهم فيما لايعنيهم ، على أنه إلى الآن يعطيهم ما سألوا ، ويظهر لهم المحبة والميل .

وفى يوم الخميس ثانى عشره نُودِىَ بزينة القاهرة لأجل دَوَرَان المحمل ، فزيّنت القاهرة أحسن زينة .

وفى يوم الجمعة ثالث عشره عقد عقد الأمير جَانِبَك الأشرفىّ الخَازِنْدَار على بنت الظاهر جَقْمَق بحضرة السّلطان الملك الأشرف إينَال .

وفى يوم الاثنين سادس عشره دَارَ المحمل بالقاهرة،ولعبت الرَّمَّاحة بالرّميلة بين يَدى السّلطان على عادة السنين الماضية ، وكان محملا بهجا إلى الغاية ، وسُرَّ الناسُ بعمله سروراً زائداً ، وتغالوا فى آكتِراء البيوت والحوانيت والأسطحة مغالات كبيرة ، ومِمَّا وَقَع فيه من اللطائف أنهم لماّ زَيَّنُوا القاهرة وشَرَعت عفاريت المحمل

تُضْحِكُ النَّاس على العادة ، وهم جماعة من الأجناد وغيرهم يُغَيِّرون صفاتهم بهيئة مُزْعجة مَهُولة إلى الغاية ، ويركبون خُيولا بالقلاقل [(١)] والأجراس والشَّراشِح ، ويعتبون [(٢)] على العوامّ ، فلَمّا كان يوم المحمل خرجَ شخصٌ من التُّجّار المشارقة يُسّمى سليمانُ على فرس له ، وقصد جهةً من الجهات ، فلماّ صار فى وسط الحلقة قصده عفريت وطعنه برُمْحِه حتى رَمَاه عن فرسه بعد أمور وقعت بينهما ، فضحك النَّاس من ذلك ، فقال فى هذا المعنى شخصٌ من الفضلاء يسمى الشيخ حسن ابن الشيخ إبراهيم التلوىّ الحِصنى بيتين ، وأنشدنيهما من لفظه . [الطويل] .

أرى كُلَّ شَىْءٍ يَسْتَحيلُ بِضِدِّه وَلَمْ أَرَ شيئاً فى الزّمان كَمَا كَانَا
سليمانُ كم أَرْمَى العَفَارِيتَ فى بلا وعِفْرِيتُ هذا الدّهر أرمى سُلَيْمانَا

وفى يوم الخميس تاسع عشره لبس محب الدين بن الشِّحنة خلعة الاستمرار بقضاء حَلَب .

وفيه ندب السلطانُ الأمير قَانَم [طاز[(٣)]] الأشرفىّ أحد أمراء العشرات ورأس نَوْبَة بنقل الأمراء المسجونين بثغر الإسكندرية منها إلى حُبُوس البلاد الشّاميّة ما خلا الأمير تَنَم أمير سلاح والأمير قَانِى بَاى الجاركسىّ أمير / آخُور[(٤)] ، وهم : الأمير تَمُرْبُغَا الدَّوَادَار ، والأمير لاَجِين شَادّ الشّراب خَانَاه ، والأمير أُزْبُك الخَازِنْدَار ، والأمير سُنْقُر الأمير آخور الثانى ، والأمير جَانَم السّاقى رأس نَوْبَة ، والأمير قَرَاجَابَك نائب الإسكندرية ، والأمير سُودُون رأس نَوْبَة ، والأمير جَانِبَك البَوَّاب ، والجميع ظاهريّة جَقْمَقِيَّة .

٢٦٧

وفى هذا اليوم استقرّ السّيفى طُوغَان شيخ الأشرفى ناظر الحَرَم بمكّة المشرّفة وما معها عوضا عن بُرْدُبَك التَّاجِىّ لكثرة الشكاة عليه .

وفى يوم السبت حادى عشرينه استقرّ القاضى الزّينى أبو بَكْر ابن القاضى

---

(١) القلاقل : هى االقراقل : جمع قرقل وقد مر التعريف به .
(٢) كذا فى الأصلين . والمراد إضحاك العوام أو اللعب معهم .
(٣) الإضافة من (النجوم الزاهرة ٧ : ٤٣٤ ط . كاليفورنيا) .
(٤) أضاف المرجع السابق ٧ : ٤٣٤ « فإنهما داما فى سجن الإسكندرية » .

بَدْر الدين محمد بن مُزْهِر فى نظر الإصطبلات عوضا عن القاضى بُرْهَان الدين بن الدّيرىّ الحنفىّ .

وفى يوم الجمعة سادس عشرينه وَرَدَ الخبرُ بقتل الأمير قَشْتَم المحمودِىّ النَّاصرِىّ فرج كاشف البُحَيرة .

وأمره:أنه لَمَّا نزل عربُ لَبِيد بالقُرْب مِن تَرُّوجة حسن إليه جماعةٌ مِن عَرَب الطَّاعة أنه يتوجّه إليهم ويُرْدِعُهم ، وكانت لَبِيدُ فى آلاف من العُرْبَان،فَتوجّهقَشْتَم المذكور إليهم وقاتلهم بمن معه من البلاّصيّة لاغير ، وعُرْبَان الطاعة ، ثم انكسر وقُتِل هو وجماعته وجماعة من العُرْبان ، ولم ينج منهم إلا القليل .

وأما أمر الأمير طُوخ أمير مجلس بمن معه من المماليك السلطانية فإنه لم يُوَافق قَشْتَم على قتال لبيد ، واعتذر أنه لم يكن معه مَرْسُوم بقتالهم ، فَسَلِمَ هو وجماعته وقُتِل قَشْتَم ــ رحمه الله ــ وكان قَشْتَم المذكور من محاسن الدّهر ، يأتى ذكره فى آخر هذه السنة ، عند تراجم من مات فيها ــ إن شاء الله تعالى .

وفى هذه الأيام أنعم السلطانُ على السّيفى جَكَم الأشرفى خال الملك العزيز الذى قَدِم قبل تاريخه من مَكّة المشرّفة بإقطاع بُرْدْبَك التَّاجى المقيم بمكّة ؛ لسوء سيرة بُرْدْبَك المذكور ، ولشكوى الناس منه ، ورُسِمَ بَنفْى بُرْدْبَك المذكور من مكّة إلى البلاد الشامّية ، والإقطاع إمْرَة عشرة .

وفى يوم الاثنين سلخه ــ ويوافقه ثالث عشر مسرى أحد شهور القبط ــ أوفى النيلُ المبارك ستة عشر ذراعا وزاد أربعة أصابع من الذّراع السابع عشر ، فندب السلطان الملك الأشرفُ إينَالُ وَلَدَه المقامَ الشهابى أحمد للنزول لفتح الخليج ، فركب فى وقته من قلعة الجبل فى وجوه / الدّولة ونزل وعدّى النيل حتى خلّق المقياس ، ٢٦٨ ثم عاد فى الحرّاقة وفتح خليج السّد على العادة ، ثم عاد إلى القلعة ، وخلع عليه والدُه فَوْقَانى بطرز زَرْكَش ، وكان يوما مشهودا ، وسُرّ الناس بوفاء النيل سروراً زائداً ــ ولله الحمد ــ وما أحسن قول سبط الملك الحافظ فى هذا المعنى[المنسرح] :

لله دَّر الخليج إنَّ له تَفَضُّلاً لا نزال نَشْكُرُهُ
حَسْبُكَ مِنْهُ بأنَّ عادَتَهُ يَجْبُرُ مَنْ لاَ يَزَال يكْسِرُهُ

وفيه استقرّ ابن حسن بَك الدُّوكَارِىّ فى كشف الوجه البحرىّ عوضا عن قَشْتَم المذكور .

● شعبان : أوّله الثلاثاء .

فيه عين السلطان تَجْرِيدة إلى البحيرة نَجْدَةً للأمير طُوخ لِقِتَال لبيد ، وهم نحو خمسمائة مملوك من المماليك السلطانية ، وجماعة من الأمراء الألوف ، والطبلخانات ، والعشرات .

فأما الألوف فرأسهم الأمير خُشْقدم المؤيّدىّ أمير سلاح ، والأمير قَرْقَمَاس الأشرفى رأس نَوْبَة النُّوَب ، والأمير بَرْسباَى البجاسىّ ، وأما الطبلخانات والعشرات فجماعة يطول الشرح فى تسميتهم ، وسافروا الجميع من الغد فى يوم الأربعاء .

وفى يوم الخميس ثالثه لبس الصاحبُ جمالُ الدين يُوسُف بن كاتب جَكَم ناظرُ الجيوش المنصورة والخاص كاملِيةً بسّمور لكونه قام بتَمام جِهَاز بنت السلطان .

وفى يوم السبت خامسه حُمِلَت بنت السلطان الملك الأشرف إينال إلى بيت زَوْجِها الأمير يُونُس الآقْبَائِىّ الدّوادار الكبير تُجاه الكَبْش [١]، وكان الجهاز المذكور يقارب جهاز أولاد السلاطين ، ولكن أين هذا من جهاز بنت الملك الظاهر جَقْمَق التى زوّجها بمملوكه الأمير أُزْبُك من طَطَخ السّاقى ؟ فإنه كان أكثر تحفا وأكثر قماشا .

وفى يوم الثلاثاء ثامنه عمل السلطان مَدَّةً [٢] بالحوش السلطانى للأمراء

(١) الكبش : هو مجموعة القصور والمناظر التى أنشئت فى عصر الصالح نجم الدين أيوب فى أعوام بضع وأربعين وستمائة على جبل يشكر بجوار الجامع الطولونى ، وكانت تشرف على بركة الفيل وبركة قارون والبساتين التى فى بر الخليج الغربى. وقد سماها الصالح نجم الدين بالكبش واستمرت من المنازل الملكية إلى أن هدمها الأشرف شعبان بن حسين فى سنة ٧٦٨ هـ . فحكرها الناس وبنوا فيها مساكن ، وتسمى حاليا قلعة الكبش وتشرف على شارع الشيخ عبد المجيد اللبان (مراسينا سابقا) هامش (النجوم الزاهرة ١٢ : ٨٢ ، ٨٣ ط . دار الكتب) .

(٢) المدّة : تعنى المائدة التى تمد للضيوف والمدعوين ، وهو اصطلاح عامى لايزال يستعمل فى ريف مصر فى الوجه البحرى (المحقق) .

وغيرهم ، وكان الأمير يونُس عمل فى أمسه يوم الاثنين مَدَّةً أيضا للأمراء بحسب الوقت والحال ، واستمر المُهِمّ[١] من يوم الاثنين إلى يوم الخميس عاشره ، ثم حُملت بنت السلطان فى مَحَّفةٍ فى آخر النهار المذكور إلى بيت زوجها يونُس ، وبنى بها فى تلك الليلة .

ووقع فى نزولها أمر قبيح إلى الغاية ، وهو أن النسوة اللائى كن فى المُهِمّ بالدور السلطانى لَمّا خرجن فى العَتَمَة اختطف بَعْضَهُنّ جماعةٌ / من المماليك السلطانية الأجلاب الذين بالأطباق ، وكثر كلام النّاس فى هذا السبب ، وتشوّش خاطرُ كل من كان حريمُه بقلعة الجبل من أن المأخوذ يكون حريمه ، فإنه لايدرى أحد من المأخوذ ، فأصبح السلطانُ يوم السبت أعرض مماليك الأطباق ، ورسم بنزول جماعةٍ منهم إلى القاهرة .

٢٦٩

وفى يوم الاثنين رابع عشره رَسَم السلطانُ بكتابة مَرسوم شريف إلى دِمَشْق المحروسة بالإفراج عن أبى الخير النَّحاس من سجن قلعة دِمَشْق ، ورَسَم له بالرّكوب والنزول والتوجّه إلى حيث شاء .

وفى يوم الخميس سابع عشره رَسَم السلطانُ بمجىء الأمراءِ الذين بالبُحيرة بمن معهم من العساكر السلطانية ، فعندما بلغهم ذلك عادوا إلى جهة القاهرة حتى وصلوها يوم الأحد سابع عشرينه ، فخلع السلطان على أمراء الألوف كل واحد فَوْقَانى بطرززَرْكَش .

● شهر رمضان : أوّله الأربعاء . ويوافقه ثامن توت أحد شهور القبط .

فيه ركبت المماليك السلطانية بالرُّمَيْلَة بغير سلاح ، وطلبوا من السلطان نفقةً ثانية ، وقالوا : تلك النفقة التى أخذناها كانت النفقة التى صَرَّها الملك المنصورُ عُثْمان ابن الملك الظّاهر جَقْمَق ، وصمّموا على ذلك ، وتردّدت الرّسل بين السلطان وبينهم وهم : الأمير جَانِبَك المُرْتدّ ، والأمير سُودُون قَرَاقَاش المؤيدىّ رأس نَوْبة ، وتكرّر

(١) المهم : يعنى الحفلات والولائم فى المناسبات المختلفة كالزواج والختان ونحوهما (دكتور — إبراهيم طرخان — النظم الإقطاعية ٥٠٩) .

تردّدهم ثلاث مرات حتى انتهى الكلامُ أنّ السلطان يُرْضِيهم بعد ثلاثة أشهر ، واعتذر لهم أنه لم يكن بالخزانة الدينار الواحد .

وفى هذا اليوم تسحّب الصاحب الوزير أمين الدين إبراهيم بن الهَيْصَم لعجزه عن القيام بالكُلَف السلطانية ، وأشيع تولية الجمالِىّ ناظر الجيش والخاص الوَزَر ، فصمّم على عَدَمِ القبول ، وآستعفى غير مَرّة .

وفى يوم السبت رابعه استقرّ زينُ الدين فرج بن ماجد بن النحال كاتب المماليك السلطانية وزيرا بعد تسحّب الصاحب أمينِ الدين إبراهيم بن الهَيْصَم .

وفى يوم الاثنين سادسه لبس فرج المذكور خلعة الوَزَر: الطرحة[١] والقُبْع الزَّرْكَش والقلادة[٢] والأخفاف على عادة الوزراء ؛ فإنه كان يوم السبت لبس كامليّة بمقلب سمّور لاغير ، وهو أن السلطانَ كان عين الكامليّة للصاحب أمين الدين المتسّحب لتكون خلعة الاستمرار ، فلَمّا تَمَّ آختفاء الصاحب أمين الدين طَلَبَ السلطانُ فَرَجَ المذكور / وألبسه إيّاها ، ثم أخلع عليه فى يوم الاثنين هذا خلعة الوزر . ٢٧٠

وفيه استقرّ شخص من القبطية يُسَمّى زين الدين عبدالرحمن من جملة كتاب المماليك فى كتابة المماليك عوضا عن فَرَج المذكور .

وفى يوم الأربعاء ثامنه وَرَد الخبرُعلى السلطان بمَوْت الأمير يَبْغُوت من صَفَر خَجَا المؤيّدىّ الأعرج نائب صَفَد ، فرَسَمَ السلطانُ بنقل الأمير إياس النّاصِرِىّ ــ فَرَج ــ الطّويل أتَابَك طَرَابُلس إلى نيابة صَفَد عوضا عن يَبْغُوت المذكور ، وحُملَ إليه التشريفُ والتقليد على يد الأمير خُشْكَلْدِى القوامىّ الناصرىّ أحد أمراء العشرات ، واستقرّ خَطَط النّاصرىّ المعزول عن نيابة غَزّة قديما ـ وهو إذذاك أحد أمراء طَرَابُلس ـ فى أتابَكيّة طَرَابُلُس عوضا عن إياس المذكور ، وأنعم بإقْطَاع خَطَط المذكور على جَانِبَك المحمودىّ المؤيّدىّ أحد البطالين بطَرَابُلُس وهى إمرة عشرين .

---

(١) الطرحة : هى الطيلسان المقور (المقريزى ــ الخطط ١ : ٤٣٩) .

(٢) القلادة : يقول المقريزى ــ الخطط ١ : ٤٣٩ « غير أنه لقصور أحوال الدولة جعل عوض العقد الجوهر الذى كان للوزير ــ ويفك بخمسة آلاف مثقال ذهبا ــ قلادة من عنبر مغشوش يقال لها العبرية ، ويتميز بها الوزير خاصة » .

وفى يوم الثلاثاء رابع عشره لبس الأمير خُشْكَلْدِى القَوَامِى خِلعَةَ السّفر .

وفى عصر يوم الجمعة سابع عشره ركب الأمير جَانِبَك من أمير الأشرفى الخَازِنْدَار أمير حاجّ المحمل للمسايرة على النجب ، ودارَ الرُّمَيْلَة ، ثم توجّه إلى جهة الصّحراء خارج القاهرة وعاد بعد عشاء الآخرة من يومه ، وكانت هذه المسايرة من المحاسن التى أبطلها الملك الظاهر جقْمق .

وفى يوم الاثنين عشرينه ـــ ويوافقه سابع عشرين توت أحد شهور القبط ـــ بلغت زيادة النيل المبارك إلى اثنين وعشرين إصبعا من الذراع التاسع عشر،وهوآخر زيادة النيل فى هذه السنة .

وفى ليلة الأربعاء تاسع عشرينه دخل رجلٌ من العامّة إلى الجامع الأزهر من القاهرة فمسكهُ المجاورون وهم الذين برِوَاق (١)الريافة ، وذكروا أنه أخذ لهم قُبْقَابا ، فتكاثروا عليه وضربوه حتى مات وألقوه على باب الجامع المذكور ، فحضر والى القاهرة خَيْربَك القَصْرَوِىّ لِدَفْنِه وهَرَب من بالجامع من الريافة(٢) أجمعين ، وطلبتهم العامّة للفتك بهم فلم يجدوا بالجامع أحدا منهم ، وتغيّر خاطر الخاص والعام عليهم ، وانطلقت الألسن بسبّهم ، وذكروا مساوئهم ومايفعلونه من القبائح ، ثم عادوا بعد أيّام بأمانٍ من السلطان ، هذا والناس فى قلق زائد من الإشاعة بركوب المماليك السلطانية على السلطان فى يوم عيد الفطر .

● شوال : أوّله الجمعة .

٢٧١ فيه حضر السلطان الملك الأشرف صلاة العيد / بجامع القلعة ، ثم خلع على الأمراء وأرباب الوظائف على العادة فى كل سنة ، وانفض الموكب ولم يحصل إلّا الخير والسّلامة ، ثم حضر السلطان من يومه صلاة الجمعة بالجامع المذكور ، وعاد إلى الدور ، ونزل كل أمير إلى بيته ، وقد كثر كلام الناس فى هاتين الخطبتين فى يوم واحد ، ولهجت الألسن بالتشاؤم بهما على الملك ـــ فسبحان علاّم الغيوب .

(١) كذا فى الاصل ، وفى ت '' رواق الرياف '' ولعله يشير بدلك إلى ما تعرفه الأن بالأرياف ،وهذا الرواق يقابل الآن رواق الصعايدة . (هريدى)

(٢) كذا فى الأصلين .

وفى يوم الاثنين حادى عشره لبس الأمير جَانِبَك الظاهرىّ جَقْمَق شدّ بندر جُدَّة على عادته فى السنين الماضية،عوضا عن بُرْدْبَك التّاجىّ ، ونُفِىَ بُرْدْبَك التاجى إلى القُدْس ، وهو يوم وصوله مِنَ الحجاز إلى الصحراء فتوجّه إلى القُدْس قبل دخوله إلى القاهرة .

وفى يوم الثلاثاء ثانى عشره ورَدَ الخبرُ بانهزام مماليك الزَّيْنى يحيى الأستادار الذين توجّهوا إلى جهة قبلى لقتال عرب قتيل الخارجة عن الطاعة،بعد أن قُتِلَ من مماليك الزينى يحيى الأستادار نحو ستة أنفار .

وفى يوم الجمعة خامس عشره وصل الخبرُ من الشريف بركات بن حسن بن عَجْلاَن أمير مكّة يتضمن خروج القُواد ذوى عمر عليه وانضمامهم على الأشراف ، ورأس الأشراف أحمد بن إبراهيم بن حسن بن عَجْلان ، وأراد الجميع نهبَ التجار الذين بمكّة والفتكَ ببركات المذكور ، وأن بركات لبس وعسكره آلة الحرب ، ونزل بين جُدَّة وحَدّة[1] ليقاتل هؤلاء المذكورين ويمنعهم من مقصودهم ، وطلب أيضا خمسين مملوكا من المماليك السلطانية زيادةً على الخمسين التى تتوجّه صحبة الحاج عَلَى العادة فى كل سنة لتتمة مائة مملوك ، فلما بلغ السلطانَ الخبرُ أصبح من الغد فى يوم السبت قَبَضَ على الشّريفين زاهر بن أبى القاسم بن حسن بن عَجْلاَن ، وابن علىّ بن حسن بن عَجْلان وحبسهما بالبُرْج من القلعة ، وكانا بالقاهرة .

وفى يوم الاثنين ثامن عشره برزَ أمير حاج المحمل الأمير جَانِبَك الخَازِنْدَار إلى بركة الحجاج ، وأمير حاج الرّكب الأوّل عبد العزيز بن محمد الصّغير أحد الأجناد الحجّاب .

وفيه تسحّب الزَّيْنىّ يحيى الأستادار ولم يعرف أين ذهب ، وبلغ السلطان الخبرُ فأرسل طلب على بن الحاجّ محمد الأهناسىّ أستادار ولد السلطان المقام الشهابى أحمد،وخلع عليه باستقراره أستاداراً عوضا عن زَيْن الدين المذكور ، وعلِىٌّ هذا كان

(١) جُدة : أى المرفأ وشاطىء البحر . وحدة مدينة فى منتصف الطريق بينها وبين مكة .

٢٧٢ بَرْدْدَاراً[١] عند زين الدين الأستادار فى أيّام مباشرته لكنه أعرف بديوان /المُفْرَد من غيره ، ونزل بالخلعة وبين يديه أعيان الدّولة ، قلت ولله دّر القائل .

بذا قضت الأيّام مابين أهلها مصائب قوم عند قوم فوائد

ثم إن السلطان بعد ولاية الأهناسِىّ الأستادارية رسَمَ من يومه بأن يُكْتَب إلى الأقطار والأعمال مراسيم شريفة تتضمن القبضَ على زَيْن الدين المذكور حيث أمكنهم ، والفحص عليه وتطلّبه فى كل مكان وجهة ، وأصبح علىّ الأهناسىّ الأستادار قبضَ على جماعة من مماليك زَيْن الدين الأستادرا وحواشيه ، وضرب دَوَادَارَه جَانِبَك ، وأمير آخُورِه فَرَج ، وألزمهما بحمل مالٍ له صورة ، وفعل ذلك بغيرهم من مباشرى الديوان فى إلْزَام المال لاغير .

وفى يوم الخميس حادى عشرينه فرّق الأستادار الجامكية على العادة .

وفى يوم السبت ثالث عشرينه وصل قاصدُ خَوَنْدكَار محمد بن مُرَاد بن عثمان متملّك برصًا وغيرها من بلاد الرّوم لتهنئة السلطان الملك الأشرف إينَال بالسلطنة ، وأيضا يبشّره بهذا الفَتْح العظيم[٢] الذى فتحه الله على مرسله محمد المذكور[٢] ، وهو أنه فتح مدينة إسْطَنْبُول عَنْوةً وأخذها من الفِرنج بعد قتال عظيم فى يوم الثلاثاء العشرين من جمادى الأولى بعد أن أقاموا فى محاصرتها من يوم الجمعة سادس عشرين ربيع الأوّل من السنة ، وقدم القاصدُ المذكورُ معه بأسيرين من عظماء أهل قُسْطَنْطينيّة ، وقسطنطينية هى كنيسة إسْطَنْبُول ، وهى قَدْرُ مدينة عظيمة ، وشقّ بهم القاهرة ، وقد زُيِّنت القاهرة بسببهم ــ ولله الحمد ــ واستمرت الزينة بالقاهرة أيَّاماً والطبلخاناة السلطانية تدّق فى صباح كل يوم ، وحصل للناس قاطبة السرور الذى لا مزيد عليه .

وفى يوم الاثنين خامس عشرينه طلع قاصدُ خَوَنْدكَار محمد بن مُرَاد بن عثمان

---

(١) البردادر : هو الذى يكون فى خدمة مباشرى الديوان أو بالجملة متحدثا على أعوانه كما فى مقدم الدولة والخاص ، وأصله « فردار » بالفاء فى أوله ، وهو مركب من لفظين فارسيين ، فرد بمعنى الستارة ، ودار بمعنى ممسك والمراد ممسك الستارة وكأنه فى أول الوضع كان يقف باب الستارة ثم نقل إلى الديوان (القلقشندى ــ صبح الأعشى ٥ : ٤٦٨ ، ٤٦٩) .

(٢ ــ ٢) مابين الرقمين وارد فى هامش اللوحة وهو وارد فى متن ت .

إلى القلعة بعد ماشَقّ القاهرة ثانية وقد زينت ، وكان قد أنزله السلطانُ بدار زين الدين يحيى الأستادار بعد هروبه تجاه مدرسته التى عند باب سعادة ، وقد احتفل السلطانُ لطلوع القاصد االمذكور ، وعمل الخدمة بالحوش السلطانى من القلعة من غير أن تحضر القضاةُ ، وتمثلوا بين يدَى السلطان ، وقدّموا مامعهم من الهديّة التى أرسلها محمد بَك المذكور ، وكانت على عِدّة أقفاص حمالين / تسعة أقفاص سَمُّور ، وتسعة وشَق ، وتسعة قَاقم ، وتسعة سِنْجَاب ، وتسعة مخمّل مذَهّب ، وتسعة مخمّل مُلَوّن بلا ذهب ، وتسعة شُقَق أطلس ، ومماليك نحو من ثلاثين مملوكا ، فقبل السلطان الهديّة ورحّب به ثم أنزله إلى محل إقامته ومعه رُفْقَتُه ، وهم يتفرّجون فى زينة القاهرة ، وكانت زينة عظيمة ، واستمرت الزينة أيّاما كثيرة ، وتغالت العوامّ فيها ، واستمرت البشائر تَدُقّ فى صباح كل يوم أيّاما . ٢٧٣

وفى يوم الثلاثاء سادس عشرينه خلع السلطانُ عَلَى الأستادار علىٍّ الإهناسىّ باستقراره ملك الأمراء بالوجه القبلى والبحرى ، وكشف الجسور بالوجه البحرىّ .

وفيه نُودِىَ بالقاهرة على زين الدين الأستادار وهُدِّد من أخفاه بالشّنق ، ووعد من أحضره بألف دينار إن كان متعمِّمًا ، وإن كان جنديا يُعْطَى إقطاعا ، ثم أصبح فى يوم الأربعاء أيضانُودِىَ بمثل ذلك فى شوارع القاهرة ، وأُضِيفَ إلى الأستادارِ الصّاحبُ أمين الدين إبراهيم بن الهَيْصَم الذى كان تسحّب قبله ، ثم نُودِى فى يوم الخميس أيضا بذلك

وفيه نودى بتقوية الزينة وماكان يُحْتَاجُ إلى هذه المناداة فإن العامة تغالوا فى ذلك ، ولم يُبْقِ أحدٌ منهم مُمْكِنًا ، ولم تكن الزينة فى الشارع الأعظم وحده بل كانت فى كل شارع من شوارع القاهرة ، ووقع فى مُدّة أيّام هذه الزينةِ مفاسدُ عظيمةٌ إلى الغاية،من فِسْقٍ وتعاطى مُنْكَرَات لطول مُكْث الزّينة فى هذه الأيّام .

وفى يوم الجمعة سلخه ـــ الموافق لسادس هاتور أحد شهور القبط ـــ لبس السلطانُ الملك الأشرف إينَال القُمَاش الصّوف الملَوّن ، وألبس الأمراء على العادة فى كل سنة .

● ذو القعدة : أوّله السبت .

ثبت سعر الذهب الأشرفى فى الصرف [على] ثلاثمائة وخمسة وثلاثين درهما، وفى المعاملة ثلاثمائة وأربعين ، والمنصورىّ بمائتين وخمسة وتسعين درهما وبثلاثمائة فى المعاملة ، وهو الدينار الذى ضربه الملك المنصور عُثْمَان بن الملك الظاهر جَقْمَق ، وزنَتُهُ دِرْهَمٌ واحدٌ ، وكانت هذه الزيادة من أواخر الشهر الماضى .

وفيه أضاف السلطانُ القاصد المذكور بالحوش من القلعةومَدَّ له مَدَّة هائلة وخلع عليه كاملية مخمل أحمر بفرو سمّور بمقلب سمّور .

٢٧٤ وفيه نُودِى بهدم زينة القاهرة / وفى يوم الاثنين ثالثه استقرّ القاضى محبّ الدين ابن الشِّحنة الحنفىّ كاتبَ السّرّ الشريف بالديار المصرية بعد عزل القاضى محبّ الدين ابن الأشقر — على مال بذله فى ذلك ، وهو مبلغ عشرة آلاف دينار .

وفى يوم الثلاثاء رابعه خلعَ السلطانُ على العلائى علىّ بن إسكندر باستقراره وَالِىَ القاهرة بعد عزل خَيْرْبَك القَصْرَوِىّ — على مال بذله أيضا ، وهو مبلغ أربعة آلاف دينار — وعَلِىٌّ هذا هو الذى كان ولى الحسبة الكبرى بالقاهرة فى الدولة الظاهرّية جَقْمَق بسفارة أبى الخير النحاس .

وفى يوم الخميس سادسة خُلع على الشيخ على المحتسب العجمىّ كاملية بمقلب سمّور خِلعَة الاستمرار على وظيفة الحِسْبَة ، وسبب ذلك أن شخصا من أوباش الناس سعى فى الحسبة بمبلغ ثلاثه آلاف دينار ، وكان السلطانُ قد مال إلى توليته ، فتكلّم بعضُ أرباب الدولة فى استمرار الشيخ علىٍّ المذكور على أن يحمل إلى الخزانة الشريفة ألفى دينار ، ويكون على حاله .

وفى يوم الاثنين عاشره خلع على يوسف ابن الأمير يَشْبُك الحمزاوىّ بنيابة قلعة الروم .

وفى يوم الثلاثاء حادى عشره خُلِعَ على الأستادار خلعة كَشْف التُّراب ، وخلع

على الوزير أيضا مثل ذلك ، وخلع على ابن الشِّحْنة خلعة الإنظار المتعلقة بكتابة السِّر .

وفيه استقرّ شخصٌ من الكتبة يُعْرَف بابن السّكّر والّليْمُون ناظرَ ديوان المُفْرد .

وفى يوم الأربعاء ثانى عشره نزل المقام الشهابى أحمد ابن السلطان الملك الأشرف إينَال من القلعة وتوجّه إلى الرماية ومعه الأمير خُشْقَدم أمير سلاح ، والأمير بَرْسْبَاى البجاسى أحد مقدّمى الألوف بالقاهرة ، وجماعة أخر من أمراء العشرات وغيرهم ، وهذا أوّل نزوله إلى الرّماية ، وعاد من الغد فى يوم الخميس .

وفى يوم السبت خامس عشره استقرّ ناصر الدين الدين محمد بن أصيل-موقّع السلطان قديما فى أيّام إمرته-فى نظر الجَوَالى بعد عَزْل شرف الدين موسى التَّتائى الأنصاريّ عنها .

وفى يوم الثلاثاء ثامن عشره خلع السلطانُ على القاضى محبّ الدين بن الأشقر باستقراره فى نظر خانقاه سِرْيَاقُوس عوضا عن تِمْرَاز الإينَالِّى الأشرفّى الدَّوَادَار الثانى بحُكْم عزله .

وفى هذا / اليوم أمر السلطان بهدم مكان مبنى على يمين محراب زيادة جامع الحَاكِم،فهُدِم بحضرة قاضى القضاة علم الدين صالح البُلْقِينّى ، والصاحب جمال الدين يوسف ناظر الجيش والخاص ، وجماعة أيضا من أعيان الدّولة حتى أتوا على قطعة جيّدة منها فلم يقعوا على قصدهم ، فكَفُّوا عن الهدم وعادوا أخبروا السلطان بما وقع ، وسبب ذلك أن شخصا من العبيد البابية[1] برحبة الأَيْدَمُرِىّ طلع إلى السلطان ، وقال له عندى مايدل على أن بالموضع الفلانى صندوق بلّور فيه أوراق تدل على خبيئة بالجامع المذكور ، فسمع له السلطان وفعل ماذكرناه بحضرة العبد المذكور ، فلم يجد إلاّ التعب والقَالَة ، وآنصرف كل أحد إلى حال سبيله ، وكثر ترداد الناس إلى موضع الهَدْم للفُرْجة أيّاما . ٢٧٥

(١) البابية : هم الخدم فى الطشت خاناه ويتولون غسل الملابس وصقلها ويقال أرذل الطوائف من الفراشين والبابية (على مبارك-الخطط ١٠ : ٨٠) .

وفى يوم الخميس عشرينه سافر الأمير يَرْشْبَاى الإينالى المؤيدىّ الأمير آخُور الثانى — كان — رسولا إلى بلاد الرّوم ، وسافر قاصدُ متملّك الرّوم بعده فى يوم السبت ثانى عشرينه .

وفى يوم الاثنين رابع عشرينه بلغ السلطانَ خروجُ الصاحب أمين الدين إبراهيم ابن الهَيْصَم من آختفائه ، وأنه متمرّضٌ عند بعض أقاربه بالمقس ، فأمنه السلطان وأمره بلزوم داره .

وفيه ورد الخبرُ من الأمير قَانِى باى الحمزاوىّ نائِب حَلَب بأخذ مدينة دَوْرَكِي وقلعتها من نائبها ابن شِهْرِىّ ، وأن نائبها المذكور هرب منها بعد أن حوصر عِدّة أيّام كثيرة ؛ وسبب ذلك أنّ ابن شِهْرِى المذكور لَمّا كان نائبا بدَوْرَكِى داخله الطّمع فآستولى على مال للسلطان وغيره فى ذلك الاضطراب فى أوائل الدّول ، وعصى بعد أخذ المال ، فقاتله أهل دَوْرَكِى أيّاما كثيرة إلى أن هرب منها ، وتسلمها جماعةٌ من جهة نائب حَلَب ، وأرسل نائب حَلَب يُعْلِمُ السلطانَ بذلك .

وفى هذا اليوم أعيد منصور بن شِهْرِى إلى نيابة كَرْكَر ، فإنه كان قدم قبل تاريخه بأيّام بعد أن عصى أخوه نائب دَوْرَكِى خوفا من الكلام .

وفى يوم الخميس سابع عشرينه مَسَكَ السلطانُ يَرْ عَلِي الخُرَاسَانِّى محتسب القاهرة،وحبسه عند الأمير فَيْرُوز النَّوْرُوزىّ الخازندار على مال طلبه منه .

٢٧٦ وفى يوم السبت / تاسع عشرينه استقر على بن شهاب الدين أحمد الكاشف المعروف أبوه بابن أم خرج فى حِسْبَة القاهرة،بعد عَزْل الشيخ علىّ الخُرَاسانى المذكور ، وذلك بمال بذله نحو الثلاثة آلاف دينار .

● ذو الحجة : أوّله الأحد .

كان هذا الشهر والذى قبله نواقص ، لأن أوّل شوال كان الجمعة ، وأوّل ذى القعدة السبت ، بل أرّخه بعضُ الناس الأحد ، فيكون ذو القعدة على حكم من أرّخه الأحد ثمانية وعشرين يوما — انتهى .

ففى يوم الاثنين ثانى ذى الحجة خَلَعَ السلطانُ على الأمير جَانِبَك النَّوْرُوزِىّ

المعروف بنائب بَعْلَبَك أحد أمراء الطَّبْلَخَانَات ورأس نَوْبة بنيابة الإسكندرية بعد عزل الأمير يُونُس العلائى الناصرىّ ، ولبس خلعة السّفر فى يوم الخميس خامسه ، وسار إلى محل نيابته .

وفى يوم الاثنين سادس عشره وصل الأمير يُونُس العلائى من الإسكندرية إلى القاهرة وهو مريض ولازم الفراش .

وفى هذه الأيام عزل السلطانُ عبدَ الله كاشف الشرقية ، وألزمه بحمل عشرين ألف دينار ، وتولّى عوضه كشف الشّرقيّة تَغْرِى بَرْدِى السيّفى يخشىبَاى الأمير آخُور الأشرفىّ .

وفى يوم الاثنين ثالث عشرينه آستقرّ الأمير خُشْكَلْدِى الزَّيْنى عبد الرحمن بن الكُوَيْز أتَابَك طَرَابُلُس،بعد موت الأمير حَطَطَ الناصرىّ بمال وَعَدَ به ، وهو مبلغ أربعة آلاف دينار ، ثم تغيّر ذلك فى الوقت ، وأنعَم السلطانُ بأتَابَكيّة طَرَابُلُس على الأمير سُودُون من سيدىبَك القَرَمَانىّ الناصرىّ أحد أمراء الألوف بَحَلب .

وفى يوم الثلاثاء رابع عشرينه ظهر الأمير زَيْنُ الدين يحيى الأستادار بأمان من السلطان فى أمسه ، وأصبح طلع إلى القلعة من الغد فى يوم الثلاثاء المذكور صحبة الصاحب جمال الدين ناظر الجيش والخاص ، وتمثل بين يدَى السلطان وعلى رأسه فَوْقَ عمامته منديلُ الأمان ، وعليه مَلُّوطَة طَرْح أو مَلُّوطة[١] بَيْضَاء ، وقبّل الأرض ، فخَاشَنَهُ السلطانُ وأغلظ له فى اللفظ ووبّخه ، وأمره أن يسكن فى بعض الدور ، ولايجتمع بأحد البتة ، ولايكاتب أحدا من أعيان الدولة ، ومتى وقع منه خلاف ذلك آذاه ، وأظهر السلطان عدم الالتفات إليه إلى الغاية ، ثم تأخر ونزل من القلعة كالمختفى / من بعض أبوابها وَحْدَه . ٢٧٧

وفى يوم الثلاثاء هذا والذى قبله والذى بعده نُودِى بالقاهرة على الذّهب الأشرفى بأنْ يكون صَرْف كل أشْرَفِيٍّ ثلاثمائة درهم وعشرين درهما ، وهدد من

(١) الملوطة : جبة من الحرير أو من نسيج آخر . والجمع ملاليط (قاموس دورى) .

زَادَ على ذلك ، وكان قد وصل إلى ثلاثمائة وخمسين درهما بل إلى يوم المناداة على ذلك السعر ، وأظنه يزيد عن ذلك أيضا .

وفى يوم الجمعة سابع عشرينه صلّى السلطانُ صلاة الجمعة ودخل إلى الحريم فحصل له توعّكٌ انقطع فيه إلى باكر يوم الأحد خرج إلى الدّهيشة .

ودقت البشائر السلطانية لذلك .

وفى هذا الشهر وردَ الخبرُ من نائب الشام بأنّ الحاجّ العراقىّ نَهَبَ وقَتَل غالبَ من فيه شخصٌ من الخوارج يُدْعى شَعْشَاع المُدَّعى أنه المهدىّ بنواحى العراق ، ولم يبلغ السلطان ذلك من مُبَشِّر الحاج المصرىّ فإنه مرض قبل وصوله إلى ألْيَنْبُوع ، وقدم بالبشارة بعض الهجّانة[١] الأعراب ، فلم يذكر شيئًا من ذلك .

● أمرُ النّيل فى هذه السنة :

كانت القاعدة أعنى الماء القديم ثمانية أذرع وخمسة أصابع ، وكان مبلغ الزّيادة ثمانية عشر ذراعا واثنان وعشرون إصبعا .

★ ★ ★

(١) الهجانة : هم الذين يركبون الإبل الهجن المعدة للسفر السريع (المحقق) .

﴿ ذكر من تُوُفِّى من[١] الأعيان فى هذه السنة ﴾

تُوُفِّىَ الشهابَى أحمد ابن الأمير فخر الدين عبد الغنى ابن الوزير تاج الدين عبد الرزّاق بن أبى الفرج[٢] والى قَطْيًا فى أوائِل المحرّم، وهو فى أوائِل الكهولة — رحمه الله تعالى وعفا عنه.

وتُوُفِّىَ السلطانُ الملك الظاهرى جَقْمَق العلائى أبو سعيد الظاهرى[٣] سلطانُ الديار المصرية، وهو الرابع والثلاثون من ملوك التّرك والعاشر من ملوك الجراكسة فى ليلة الثلاثاء ثالث صفر وصلى عليه من الغد بمصلّاة باب القُلّة من قلعة الجبل، وحضر ولدُه السلطان الملك المنصور عُثمان الصلاة عليه، وصلى عليه الخليفةُ القائِم بأمر الله أبو البقاء حمزة، ودفن بتربة الأمير قَانِى بَاى الجاركسّى الأمير آخور التى جددها بالقُرْب من دار الضيافة تجاه قلعة الجبل، ومات وسِنّه زيادة على ثمانين سنة، وكانت مُدّة ملكه إلى أن خُلِعَ بولده الملك المنصور عثمان أربع عشرة سنة وعشرة أشهر ويومين؛ لأنه ولى السلطنة بعد خلع الملك العزيز / يوسف ابن الملك الأشرف بَرْسْبَاى فى يوم الأربعاء تاسع عشر ربيع الأوّل سنة آثنتين وأربعين وثمانمائة، وخُلِعَ من السلطنة بولده الملك المنصور عثمان برغبة منه إليه لِشِدّة مرضه فى يوم الخميس حادى عشرين المحّرم سنة سبع وخمسين وثمانمائة[٤]، ومات بعد أن خُلِعَ بآثنى عشر يوما فى التاريخ المقدّم ذكره.

٢٧٨

وكان أصله جاركسىّ الجنس جَلَبَه من بلاده خَواجَا كَزْلك[٥] إلى الديار المصرية، فاشتراه أمير على ابن الأتابَك إينَال اليُوسُفىّ وربّاه، وأرسله إلى الحجاز

---

(١) هذان اللفظان سقطا فى الأصل. والإثبات من ت.

(٢) له ترجمة فى (النجوم الزاهرة ٧ : ٥٦٢ ط. كاليفورنيا).

(٣) وترجم له (السخاوى فى الضوء اللامع ٣ : ٧١ — ٧٤).

(٤) هذا اللفظ من ت.

(٥) كزلك: ضبطه المؤلف فى (النجوم الزاهرة ٧ : ٣٣ ط. كاليفورنيا) « بفتح الكاف وسكون الزال وفتح اللام وكسرها وسكون الكاف الثانية ».

صحبة والده وأعتقه ، وبقى عنده مُدَّة حتى عرفه أخوه الأمير جَارْكَس القاسِمِىّ المُصَارِع وهو إذ ذاك من أعْيَان خاصّكّية الملك الظاهر بَرْقُوق،وكلَّم الملكَ الظاهر بَرْقُوق فى طلب جَقْمَق هذا من أستاذه أمير على بن إينَال المذكور ، فطلبه الملك الظاهر من أمير على وأخذه منه ، ولم يعلم أنه أجرى عليه العِتْق ، وأعطاه لأخيه جَارْكَس أنِيًّا[1] فى طبقة الزّمام ، ثم أعتقه الملك الظاهُر بَرْقُوق بعد مُدّةٍ يسيرة ، وأنعم عليه بخيلٍ وقماش ، ثم جعله بعد أيَام خاصّكيًّا ؛ كل ذلك بسفارة أخيه جَارْكَس المُصَارِع ، واستمر على ذلك سنين إلى أن صار سَاقياً فى الدولة الناصريّة فَرَج ، ثم تأمَّرَ عشرة ، ثم قبض عليه الملك الناصُر فَرَج وحبسه بالقاهرة لمّا خرج أخوه عن الطاعة ، ثم أطلقه الملك الناصُر من الحبس ؛ وضربَ الدهر ضرباته وتسلطن الملك المؤيّد شيخ فأنعم عليه بإمرة عشرة ثم طَبْلَخَانَاه ، وجعله خَازِنْدَاراً بعد الأمير يُونُس الرّكْنى الأعور بحكم انتقال يُونُس إلى نيابة غَزَّة ، فاستمر على ذلك إلى أن صار بعد موت الملك المؤيّد شيخ أمير مائة ومقدّم ألف بالديار المصريّة ، ثم وَلِىَ حُجُوبية الحجّاب فى أوائِل الدّولة الأشرفية بَرْسْبَاى ، ثم نقله الملكُ الأشرفُ إلى الأمير آخُورِيّة الكُبْرى فى سنة ست وعشرين وثمانمائِة بعد الأمير قَصْرُوَه من تِمْرَاز بحُكْم آنتقال قَصْرُوَه المذكور إلى نيابة طَرَابُلُس بعد عزل[2] الأمير إينَال النَّوْرُوزِىّ وقُدُومِه إلى القاهرة على إقطاع قَصْرُوه المذكور ، كل ذلك حرَّرْنَاه فى ترجمته فى تاريخنا « المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى » مفصّلا باليوم والسنة ؛ فاستمر جَقْمَق المذكور أمير آخُور سنين عَدِيَدة إلى أن نُقِل إلى إمرة سلاح ، ثم صار أتَابَك

---

(١) أنى : ويجمع على أنيات ، لم تتعرض المراجع الميسرة للتعريف بهذا المصطلح . وقد ورد مفردا وجمعا فى كتاب النجوم الزاهرة للمؤلف ويفهم من مواطن وروده أنه يعنى الزميل الصغير الذى نشأ مع زملاء كبار فى خدمة سلطان أو أمير ، ويؤكد هذا ماورد فى ترجمة الأمير صندل فى (السخاوى ــ الضوء اللامع ٣ : ٣٢٢) « ونال صندل فى أيام الظاهر ــ برقوق ــ من الوجاهة والحرمة مالم ينله غيره من أبناء جنسه ، وهو لايزداد إلا دينا وصلاحا وعفة . حتى إن أنياته الذين هم من مماليك السلطان الظاهر يعتقدون فيه ويحكون عنه الكرامات » وأيضا ماورد فى (النجوم الزاهرة ج ١٣ فى صدد حصار السلطان الناصر فرج بن برقوق للامير شيخ المحمودى ــ السلطان المؤيد شيخ فيما بعد ــ وأتباعه بصرخد ، واستعطاف شيخ المحمودى والد المؤلف الأتابك تغرى بردى ، وتعليق المؤلف على ذلك بقوله « إن والده كان يميل إلى شيخ المحمودى لماكان له من الخدم بالقصر السلطانى أيام استاذهما برقوق . من تلبيسه القماش » وقول شيخ فى استعطافه « فإننا أنياتك وخشدا شيتك »(المجوم الزاهرة ١٣ : ٨٥ ، ٨٦) وهامش المحقق ص ٩ من نفس الجزء ط . الهيئة العامة للتأليف .

(٢) هذا اللفظ من ت .

العساكر بعد الأمير إينَال الجَكَمِيّ بحُكْم انتقال الجَكَمِيّ إلى نيابة حَلَب عوضا عن الأمير قَرْقَمَاس الشَعْبَانى،وقَدِم / قَرْقَمَاس المذكور إلى القاهرة أمير سلاح عوضا عن ٢٧٩ جَقْمَق هذا ، واستمرّ الملك الظاهر جَقْمَق أتَابَك العساكر إلى أن مات الملك الأشرف بَرْسْبَاى فى سنة إحدى وأربعين ، وأوصاه على ولده الملك العزيز يوسف ، فلم يمض غير أشهر حتى وَثَبَ جَقْمَق هذا على العزيز وخَلَعه من مُلكه بعد أمور حكيناها فى عِدَّة أماكن ، وتسلطن فىالتاريخ المقدم ذكره ، ووقع له فى أوائِل دولته خطوبٌ وحروبٌ ، وقاسى أهوالاً . منها : تسحب الملك العزيز يوسف ، ومنها وقعة الأتَابَك قَرْقَمَاس الشّعبانىّ ، ومنها خروج الأتَابَك إينَال الجَكَمى نائب الشّام وخُرُوج الأمير تغرى بَرْمُش نائِب حَلَب ، ووقع له أمور وحوادث ، ثم صفا له الوقت بعد ذلك ، وأخذ وأعطى ، وأمر ونهى ، وقرّب من أحَبّ وأبعد من أبغض ، وصار يخلِطُ الصالحَ بالطّالح ، والعدل بالظُّلم ، فكان تارةً يحكُم أحكاما سُرَيْجية[1] وتارة أحكاما قَرَاقُوشيّة[2] ، وأبطل أشياء كثيرة من شعار المملكة ، وأحدث أشياء كثيرة من المساوىء ، وأتلف فى سلطنته من الأموال والسلاح والخيول والقماش ما لايدخل تحت حصر كثرةً ، وحمّل ديوان السلطنة من الكُلَف مأأتعب من جاء بعده ؛ كل ذلك والأقدار تساعده والسَّعد يعاضِدُه إلى أن بَلَغَ غاية الأمنية هَجَمَت عليه المنيّة ، ومرض أشهرا ، وصار يظهر التجلّد ، ويحمل نفسه ويخرج إلى الدّهيشة ، ويصلّى المكتوبة قائماً على قدميه ، ويجلس ويعلم على المناشير والقصص ، حتى غلب عليه الضّعف وعجزَ عن نفسه وانحط ، ولزم الفراش إلى أن مات ـــ رحمه الله . وكان سلطانا دَيِّنا كثير الصلاة والعبادة ، عفيفا عن المنكرات والفروج ، طاهر الذَّيل لاتُعْرَف

---

(١) نسبة إلى أحمد بن عمر بن سريج البغدادى المولود سنة ٢٤٩هـ والمتوفى سنة ٣٠٦هـ كان فقيه الشافعية ويلقب بالباز الاشهب وله ٤٠٠ مؤلف . قيل : بعث الله عمر بن عبدالعزيز على رأس المئة فأظهر السنة وأمات البدعة ،ومن الله فى المائة الثانية بالإمام الشافعى فأحيى السنة وأخفى البدعة ، ومن بابن سريج فنصر السنن وخذل البدع ، وكان حاضر الجواب وله مناظرات مع محمد بن داود الظاهرى . (الزركلى ـــ الأعلام ١ : ١٧٨ ، ١٧٩) . وفى ت « بأحكام شرعية » .

(٢) أحكام قراقوشية : أى مسسوبة إلى الامير قراقوش الرومى الذى تولى بناء قلعة الجبل وأسوار القاهرة فى عهدصلاح الدين الأيوبى والعادل أبى بكر . ومع أنه كان من الشخصيات الجادة المهتمة بالعمارة والهندسة . فإن الأسعد بن مماتى ألف فيه كتابا بعنوان« الفاشوش فى حكم قراقوش » (مخطوط) نسب إليه فيه كثيرا من الأحكام والتصرفات الخرقاء ، واشتهرماجاء فى الكتاب وغطى على شخصية قراقوش الحقيقية . ومن هنا ردد المؤلف هذا التعبير الذى شاع ـــ ولايزال شائعا فى أيامنا هذه (المحقق) .

له صَبْوَة قديما ولاحديثا ، كثير التقشّف ، متواضعا يقوم للفقهاء والصلحاء إذا دخلوا عليه ، يحبّ من يسلم عليه بخلاف قاعدة الملوك فإنه لايسلم أحدٌ عليهم عند الدخول إليهم ، وكان له معرفه بالفقه ، وعنده استحضار لمذهبه وتعصب هيّن على عادة الملوك الحنفية ، وكان ملازما للقراءة على مشايخ القرَّاء ، وكان كريما جدا متلافا مبذِّرًا ، وكان يتصدّى للأحكام بنفسه ،وعنده: الدعوى لمن سبق،على قاعدة الأتراك ، مع حدَّة مِزَاجٍ وبَطْش وسوء خُلُق ، ولهذا حبس بسجن المَقْشَرَة جماعةً من العلماء والقضاة والأعيان ، وضرب جماعة كثيرة من الرؤساء / وفى الجملة كانت محاسنه ٢٨٠ أكثر من مساوئه ـــ رحمه الله وعفا عنه .

وقد ذكرناه فى تاريخنا « المنهل الصافى » بأطول من هذا ، وأما من أراد أن ينظر ترجمته مفصلة مع استيعاب جميع أحواله بتمامها وكمالها مُياوَمَة وما وقع فى أيّامه وما أبطل وما أحدث فلينظر فى تاريخنا المسمى « بالنجوم الزاهرة فى ذكر ملوك مصر والقاهرة(١) » وليس هذا الكتاب محل الإطناب فإنما المقصود منه ذكر الحوادث والتَّراجم من غير إسهاب .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين أسَنْبُغَا بن عبد الله الناصرىّ الطيّارىّ(٢) رأس نَوْبَة النُّوب فى ليلة السبت سادس شهر ربيع الأوّل ببيت الأمير قَوْصُون فى أيَّام الوَقْعَة وعليه آلة الحَرْب ، وكان مرضه أقل من يوم واحد ، فإنه مرض يوم الجمعة قبل الصّلاة ومات من ليلته وصلّى عليه الأتَابَك إينَالُ العلائى أعنى الملك الأشرف ، والخليفة القائم بأمر الله فى مقعد البيت المذكور ، وغالب العسكر المصرى وعليهم السلاح ، ثم حُمِلَ ودُفِنَ من يومه بالصّحراء خارج القاهرة ، ومات وهو فى عشر الثمانين ، وكان من محاسن الدّهر عقلاً وكرماً وشجاعة ومعرفةً ، وكان أصله من مماليك الوزير ناصر الدين محمد بن كَلْبَك ، ثم خدم عند الأمير سُودُون الطيّار وخطِىَ عنده ، وبه عُرِف ، ثم تنقّل فى الدّول إلى أن تأمّر فى الدولة الأشرفية بَرْسْبَاى إمْرَة عشرة ، ثم نُكِبَ وصُودِرَ وأُخْرِج إلى البلاد الشاميّة ، ثم طلبه الأشرف ثانيا وأنعم عليه بإمْرَة

(١) استغرقت ترجمة السلطان أبى سعيد جقمق وأخبارأيامه من الجزء السابع من كتاب النجوم الزاهرة طبعة كاليفورنيا (الصفحات من ٣٢ إلى ٣٨٠) .

(٢) له ترجمة فى (النجوم الزاهرة ٧ : ٥٦٣ ط . كاليفورنيا) .

طَبْلَخَانَاه وحجوبية ثانيةٍ ، فدام على ذلك إلى أن نقله الملك الظاهر جَقْمَق إلى الدَّوَادَارِيَّة الثانية مُدَّةً يسيرة ، ثم صار أمير مائة ومقدّم ألف ، وتولّى نيابة الإسكندرية . ثم عزل ، وقدم القاهرة على إقطاعه إمْرَة مائة وتقدمة ألف إلى أن استقرّ رأس نَوْبة النُّوب بعد موت الأمير تَمُرْبَاى التَّمُرْ بُغَاوِىّ في أوائِل سنة خمسين وثمانمائة ، فاستمر على ذلك إلى أن وَثَب الملكُ الأشرف إينَالُ على الملكِ المنصور عثمان ووافقه أَسَنْبُغَا المذكور مع من وافقه من الأمراء وغيرهم ، ولبس معه آلة الحرب ، ودام مع حزبه إلى أن مرض ومات رحمه الله تعالى . وخلّف ولدا كبيرا نَاجباً وآخر صغيرا ، ومات أَسَنْبُغَا هذا ولم يخلف بعده/ مثله في أبناء جنسه فيما اشتمل عليه من المحاسن من العَقْل التَّام والشجاعة والكرم والمعرفة بأنواع الفروسية ، وحسن المحاضرة والأدب الزائد والتواضع مع البشاشة وحسن الخلق .

٢٨١

وتوفى الأمير جَانِبَك بن عبد الله اليَشْبُكِي الزَّرْدْكَاش [١] في ليلة الخميس ثامن عشر شهر ربيع الأوّل ، ودُفِن من الغد ، وهو في أوائِل الكهولية ، وكان أصله من مماليك الأمير يَشْبُك الجَكَمِيّ الأمير آخوُر الكبير في الدولة الظاهريَة طَطَر ، وتَرَقَّى من بعده إلى أن صار خاصّكيًّا في الدولة الأشرفية بَرْسْبَاى ، ثم صار سَاقيًا في الدولة الظاهريّة جَقْمَق ، ثم تأمَّر عشرة بعد سنة ثمانٍ وأربعين ، وصار رأس نَوْبَة ، ثم وَلِىَ ولاية القاهرة على كُرْهٍ مِنْه والحجوبية ، ثم أضيف إليه حِسْبَة القاهرة في سنة أربع وخمسين ، ثم عزل بعد مُدَّة من الحِسْبَة ، ودام في ولاية القاهرة إلى أن نقله الملك الأشرف إينَالُ [٢] إلى الزردكَاشية بعد القبض على الأمير لاَجين الظاهرىّ ، فلم يُباشر الوظيفةَ ومَرِض ولَزِمَ الفِراش أيّاماً قليلة ومات ، وكان أميراً مشكور السّيرة في أحكامه ، وعنده ظَرْفٌ ورَشَاقَةٌ ، عارِفًا بأنواع الفروسِيّة بحسب الحال ، وله مشاركة في العلوم ، وحسن محاضرة ، وعنده ذكاءٌ ومعرفة ، وبالجملة فكان نادِرَةً في أبناء جنسه ـــ رحمه الله وعفا عنه .

---

(١) له ترجمة في (النجوم الزاهرة ٧ : ٥٦٣ ط . كاليفورنيا) .

(٢) ورد في هامش اللوحة « حاشية : صوابه الملك المنصور عثمان بعد نقل الأمير لاجين عنها إلى شادية ، وكان أخد الولاية عنه بعد انتقاله إلى الزردكاشية بعد يشبك القرمى الظاهرى جقمق » هذا ولكن كتاب النجوم الزاهرة يتفق مع ماجاء هنا في المتن (النجوم الزاهرة ٧ : ٥٦٤ ط . كاليفورنيا) .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين أَرَنْبُغَا بن عبد الله اليُونُسِىّ الناصرىّ(١) أحد مقدّمى الألوف فى الديار المصريّة فى ليلة الجمعة تاسع عشر شهر ربيع الأوّل بعد أخذه إمْرَة مائة وتقدمة ألف بثمانية أيام ، وأنعم بتقدمته على الأمير دُولاَت بَاى المحمودىّ المؤيّدىّ القادم من سجن الإسكندرية ، وكان أصل أَرَنْبُغَا هذا تركيا(٢) من مماليك الملك الناصر فَرَج ، وقاسى من بعد أستاذه خُطُوبَ الدهر ألوانا إلى أن أنعم عليه الملكُ المؤيّدُ شيخ بإقطاع هائل ، ثم تأمّر بعد موته إمرة عشرة ، وصار رأس نَوْبَة ، ودام على ذلك نحو الثلاثين سنة ، وتوجّه إلى الحجاز غير مَرّة، إلى أن أنعم عليه الملك الظاهر جَقْمَق بزيادة على إقطاعه ، وجعله من أمراء الطَّبْلَخَانَات ، واستمرّ على ذلك إلى أن كانت الوقعة / بين الملك المنصور عثمان ٢٨٢ وبين الأتَابَك إينَال العلائى انضاف المذكور إلى إينَال ، فلمّا تسلطن إينَالُ أنعم عليه بإمْرَة مائة وتقدمة ألف،عوضا عن الأمير قَانِى بَاى الجاركسى بحكم القبض عليه ، فلم يقم غير ثمانية أيام وهو متمرض ، ومات وهو فى السّبعين تقريبا ، وكان أميراً شجاعا مِقْدَاما ، غير أنه كان قليل التّجمّل فى ملبسه ومركبه ، وكان قليل الحَشَم والمماليك ، يقتنى العبيدَ الحُبُوشَ كثيرا ، وكان مُسْرِفاً على نفسه ـــ سامحه الله تعالى ، وعفا عنه .

وتُوُفِّى الأمير سُمَام الحسنى الظاهرى(٣) أحد أمراء العشرات وحاجب ثانى فى ليلة الاثنين سادس شهر ربيع الآخر ، ودُفِن من الغد ، وسنه نيف على السبعين(٤) ـــ تخمينا ، كان أصله من مماليك الظاهريّة بَرْقُوق ، وممن صار خاصّكيّا فى الدولة الناصرية فرج ، ثم انحطّ قدرُه دهرا إلى أن صار خاصّكيّا أيضا فى الدولة الظاهرية طَطَر ، ودام على ذلك سنين إلى أن أمَّرَه الملكُ الظاهر جَقْمَق أميرَ عشرة فى أوائِل دولته ، وأظنه كان نَدِمَ على ذلك مما كنتُ ألحظه منه فى حقّ سُمَام المذكور ، ولم يزل على إمرته ، وحجّ أمير الركّب الأوّل غير مَرَّة إلى

(١) له ترجمة فى (النجوم الزاهرة ٧ : ٥٦٤ ط . كاليفورنيا) .

(٢) فى النحوم الزاهرة ٧ : ٥٦٤ ط . كاليفورنيا « تترى الجنس » .

(٣) له ترجمة فى (النجوم الزاهرة ٧ : ٥٦٥ ط . كاليفورنيا) .

(٤) فى ت « الستين » .

أن جعله الملك الأشرف إينَال من جملة رءوس النُّوب ، ثُمَّ بعد أيّام صار حاجبا ثانيا عوضا عن نُوكَار، بحكم انتقال نُوكار إلى الزَّرَدْكاشية بعد موت جَانِبَك اليَشْبُكى الوالى ، فلم تطل أيّامه ومرض ومات ، كل ذلك فى دون الشَّهر ، وكان رحمه الله مُهْملا جدا لا للسّيف ولا للضيف ـــ عفا الله عنه .

وتُوُفِّى الشيخ الفاضل الواعظ المعتقد أبو السيادات يحيى ابن الشيخ المعتقد العارف الواعظ شهاب الدين أحمد ابن الإمام العارف بالله تعالى المعتقد سيدى محمد وَفا [الشاذلى المالكى(١)] فى يوم الأربعاء ثامن شهر ربيع الآخر ، ودُفِن بمشهدهم بالقرافة ، وكان قد صار يعمل ميعادا ويجلس مكان أخيه سيدى أبى الفتح ، ويعظ الناس ، وصار على ميعاده القبول ، وكثر ترداد الناس إليه ، فلم تطل مُدَّته غير سُنَيَّات قلائِل ومات. وكان حسن الصوت مجيد القراءة فى المحراب وغيره ، وله نَظْمٌ حسن على طريقة القوم ، وهو من بيت صلاح ودين وعِفَّة وخَيْر ـــ رحمه الله تعالى ـــ ونفعنا ببركته وبركة سلفه .

٢٨٣ وتُوُفِّى قَاضى القضاة بدر الدين محمد ابن / القاضى ناصر الدين محمد ابن العلاّمة شرف الدين عبد المنعم البغدادىّ(٢) الأصل المصرى المولد والمنشأ والوَفاة الحنبلىّ، قاضى قضاة الديار المصرية ورئيسها فى ليلة الخميس سابع جمادى الأولى ، ودُفِن من الغد وصَلَّى عليه الخليفةُ القائِم بأمر الله حمزة بمصلاة باب النصر فى وجوه الناس ، وكانت جنازته مشهودة ، وكثر تأسف الناس عليه ؛ لحسن سيرته وعفته عمايرمى به قضاه السوء، وكان مولده فى أوائِل القرن ـــ تخمينا ـــ بالقاهرة ، وبها نشأ وحفظ القرآن العزيز ، وتفقه بعلماء عصره ، وناب فى الحكم سنين عديدة ، وعرف بالفقه والدين والتثبُّت فى أحكامه، إلى أن تُوُفِّى شيخ الإسلام قاضى القضاة محب الدين أحمد بن نصر الله البغدادىّ الحنبلّى طلبه السلطانُ الملك الظاهر جَقْمَق

---

(١) له ترجمة فى (النجوم الزاهرة ٧ : ٥٦٥ ط . كاليفورنيا) . وقد ولد فى سنة ٧٩٨ هـ (السخاوى ـــ الضوء اللامع ١٠ : ٢٢١) والإضافة عنهما .

(٢) له ترجمة فى (النجوم الزاهرة ٧ : ٥٦٦ ط . كاليفورنيا) . وهو محمد بن محمد بن عبد المنعم بن داود بن سليمان ـــ البدر أبو المحاسن ، ولد فى جمادى الأولى سنة إحدى وثمانمائة (السخاوى ـــ الضوء اللامع ٩ : ١٣١ ـــ ١٣٤) .

وولّاه قضاء القضاة — من غير سَعْى منه فى ذلك — فى يوم الاثنين العشرين من جُمادى الأولى سنة أربع وأربعين وثمانمائة ، فباشر القضاء بعزة وعفة زائدة ، وحُمِدَت سيرتُه إلى الغاية حتى إنه نَالَ فى المنصب من الوجاهة والحُرْمَة الوافرة والعظمة الزائدة والكلمة النافذة مالم ينله قاضٍ فى عصرنا هذا من جميع المذاهب ، هذا مع علمى بتراجم من رافقه من القضاة ، ومع هذا لم يكن أحد منهم يدانيه فى معناه من التحرِّى فى أحكامه ، وإقامة حُرْمَة الشرع الشريف ، وعدم الالتفات إلى رسائِل أرباب الشوكة ، وهو مع ذلك لايزداد إلا حُرْمَة ومهابةً ، على أنه لم يكن من أعيان علماء الحنابلة غيرأنه عارف بمذهبه وبالشروط ، ويحسن صناعة القضاء ، وكان عنده تأنٍّ وتثبّت فى كلامه ، وله معرفه تامة بمعاشرة الناس ، وكان كريماً جوادا يحب الفقهاء والفقراء . ويتفقد أهل الصلاح والخير ، وكان ديِّناً خيّرا كثير العبادة والصلاة ، وله أوْرَاد هائلة ، وحج غير مَرّة ، وكان مَقْصِداً لأرباب الحوائج ، وفيه تعصّب لمن يقصده بماله وجاهه ، وكانت له خصوصيّة زائدة بالملك الظاهر جَقْمَق بحيث إن رفقته كانوا يهادون السلطانَ ، وكان هو يأخذ من السلطان الجُمَلَ من الأموال ، وطالت أيّامه فى القضاء إلى أن مرض وطال مرضُه أشهرا ، وتُوفِّى — رحمه الله تعالى-فى التاريخ المقدم ذكره . عفا الله عنه .

وقُتِلَ الأمير الوزير تَغْرِى بَرْدِى الظاهرىّ القَلاَوِىّ [١] فى واقعة كانت بينه وبين سَوِنْجُبُغَا الآتى ذكرُه لأنه قُتِلَ أيضا فى هذا اليوم : أعنى / فى يوم السبت سادس ٢٨٤ عشر جُمَادَى الأولى حسبما ذكرناه مفصّلا فى هذا الكتاب فى حوادث جُمَادَى الأولى من السنة ، وكان تَغْرِى بَرْدِى هذا من جُمْلة مماليك الملك الظاهر جَقْمَق فى أيّام إمرته ، وكان كثيرا مايرسله إلى إقطاعه قَلاَ [٢] بالوجه القبلى ، وسُمِّىَ القَلاَوِىّ ، فلما تسلطن الملكُ الظاهر ولّاه كشف الجيزيّة ، ثم نقله فى عدّة ولايات إلى أن

(١) له ترجمة فى (النجوم الزاهرة ٧ : ٥٦٦ ط . كاليفورنيا) .

(٢) قلا : هى قلة من القرى القديمة ، وردت فى قوانين ابن مماتى وفى تحفة الإرشادوفى التحفة من أعمال البهساوية (ق ٢ ج ٢ ص ١٦٢ — القاموس الجغرافى للبلاد المصرية لمحمد رمزى) .

ولّاه الوزر فى آخر دولته،عوضا عن الصاحب أمين الدين إبراهيم بن الهَيْصَم ، فلم يقم فى الوزارة إلا أشهرا وعزل أيضا بالصاحب أمين الدين المذكور، فى الدولة المنصورية عثمان،وأُعِيد إلى كَشْف البَهْنَسَاوِيّة بالوجه القبلى ، ووقع له أمور مع الملك الأشرف إينَال ، وأخذ منه جملة مستكثرةً ، ثم ولّاه البهنساوية ثانيا ، فلما خرج إليها نَدِمَ السلطانُ على ذلك وأرسل إليه الأمير سَوِنْجبُغَا رأس نَوْبَة ، فخرج إليه سَوِنْجبُغَا وقبض عليه بيده وتجاذبا حتى قُتِل تَغْرِى بَرْدِى المذكور ، ثم قُتِلَ سَوِنْجبُغَا أيضا فى الحال على ماسيأتى ذكره ـ رحمه الله تعالى .

وقُتِلَ الأمير سَوِنْجبُغَا بن عبد الله اليُونُسى النَاصِرِىّ [١] أحد أمراء الطَّبْلَخَانَات ورأس نَوْبَة ، وأخو الأمير أُرَنْبُغَا المقدم ذكره شقيقه،كان أيضا من مماليك الملك الناصر فرج ، وممن تأمَّر فى أوائِل دولة المَلك الظّاهر جَقْمَق لأن كلاهما : أعنى الملك الظّاهر وسَوِنْجبُغَا كان متزوجا ببنت القاضى ناصر الدين البَارِزِىّ ، وعظم فى الدّولة بحسب الحال ، وحَجّ أمير حاج المحمل غير مرّة ، ودام على ذلك سنين إلى أن أنعم عليه الملك المنصور بإقطاع الأمير يَلَبَاى الإينَالِىّ المؤيّدىّ أحد أمراء الطبلخانات بعد القبض عليه ، ودام على ذلك إلى أن تسلطن الملكُ الأشرف إينَالُ زَادَهُ على هذه الطبلخاناة إمْرَة عشرة التى كانت بيده قديما فى الدولة الظاهرية جَقْمَق ، ثم تُوُفِّىَ أخوه الأمير أَرَنْبُغَا المتقدم ذكره ، وكان أَرَنْبُغَا هو الأسنّ ، فورث مالاً جزيلا ، فلم يتهنَّ بالإقطاع ولا بالمال ، وتوجّه إلى تَغْرِى بَرْدى القلاوِىّ ووقع بينهما ماحكيناه ، وقتِلَ فى يوم السبت سادس عشر جمادى الأولى ، ومات وسنّه أزيد من ستين ــ تخمينا ــ وكان متوسّط السّيرة ، بخيلا عفيفا عن المنكرات والفروج فى آخر عمره ــ عفا الله تعالى عنه .

وتوفى عز الدين محمد بن محمد الكتبىّ المعروف بالتَّكْرورِىّ [٢] أحد الطلبة فى يوم الأربعاء سابع عشرين جمادى الأولى ، وكان يتّجرُ فى الكُتُب / وله حانوت ٢٨٥

(١) له ترجمة فى (النجوم الزاهرة ٧ : ٥٦٧ ط . كاليفورنيا) .
(٢) له ترجمة فى (النجوم الزاهرة ٧ : ٥٦٧ ط . كاليفورنيا) .

بسوق الكُتُبيين ، وكان له وجاهة عند الأكابر ، وله فضل ومشاركة ، وله نظم بحسب الحال ــ رحمه الله تعالى .

وتوفى الأمير دُولات بَاى المحموديّ المؤيّديّ(١) أحد مقدّمى الألوف بالديار المصرية والدوادار الكبير ــ كان ــ فى يوم السبت أوّل جمادى الآخرة ، ودفن من يومه بالصحراء خارج القاهرة . كان جاركسى الجنس جَلَبَه خَوَاجَا محمود إلى الإسكندرية ، فاشتراه منه نائبها الأمير آقْبَرْدِى المنقار المؤيّديّ ، فأقام عنده أيّاما ، وبلغ الملك المؤيّد ذلك فطلبه منه ، فأرسله إليه ، فأخذه الملك المؤيّد منه وأعتقه ، وأخرج له خيلا ، ثم جعله خاصّكيّا ، ثم خَازِنْدَارا ، ثم صار سَاقِياً إلى أن أخرجه الملك الأشرف [برسباى](٢) من السقاية ، واستمر خاصّكيّا دَهْراً طويلا إلى أن صاهر الأميرَ جَانَم [الأشرفى](٢) قريبَ الملك الأشرف [برسباى](٢) صار أمير عشرة ورأس نَوْبَة بسفارته ، واستمر على ذلك إلى أن جعله الملك الظاهر جَقْمَق أمير طبلخاناة وأمير آخور ثانيا ، ثم نقله بعد أشهر إلى الدَّوَادَارية الثانية، بعد الأمير أَسَنْبُغَا الطيارىّ بحكم انتقاله إلى تقدمة ألف بالديار المصريّة ، كل ذلك فى سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة ، فباشر الدَّوَادَارِيّة الثانية بحُرْمَة وافرة ، وكلمة نافذة ، وتردّدَت الناسُ إلى بابه لقضاء حوائجهم ، ونالته السعادة ، وأثْرَى وعمَّر الأملاك الكثيرة، واقتنى الخيول المسوّمة الخاص ، والتحف ، وكان متجمِّلاً فى ملبسه ومركبه ومماليكه إلا أنه كان بخيلا مِسِّيكاً ؛ فلذلك كثر ماله ، وعظم فى الدولة .

واستمرّ على ذلك إلى أن نقله السلطان إلى تقدمة ألف بعد موت الأمير تِمْراز القَرْمَشِيّ فى سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة ، وتولى الدَّوَادَارِيّة الثانية عوضه الأمير تَمُرْبُغَا الظاهريّ ، فأقام دُولاَتْ باى هذا فى التقدمة أقلّ من عشرين(٣) يوما ، ونقل إلى الدَّوَادَارِيّة الكُبْرى ــ بمال وَعَدَ به ــ عوضا عن الأمير قَانِى بَاى الجاركسّى

(١) له ترجمة فى (المرجع السابق ٧ : ٥٦٧ ــ ٥٦٩ ط . كاليفورنيا) .
(٢) الإضافة من (المرجع السابق ٧ : ٥٦٧) .
(٣) ورد فى هامش اللوحة« بل ولا عشرة ، بل من موكب اثنين أو خميس إلى مثله » .

بحكم انتقال قَانِى بَاى المذكور إلى الأمير آخُوريّة الكُبْرَى بعد موت الأمير قَرَاقَجَا الحسنىّ الظاهرىّ ، ولمّا وَلى دُولاَتْ باى الدَّوَادَارِيَّة الكُبْرى انحطّ قَدْرُه فى أعين الناس لكونه سَعَى فى ذلك بالرّشوة ، وانحل بَرْمُه ، وهانَ فى أعين الناس لاسيما لماّ راج أمر تَمُرْبُغَا فى الدَّوَادَارِيّة الثانية لقربه من السلطان ؛ لكونه مملوكه ومن خواصّه شاع ماقلناه ، وصار السلطانُ فى كل قليل يرشّحُه لنيابة حَلَب ، ودُولاَتْ بَاى هذا يستعفى من ذلك ، واستمر كذلك إلى أن ولاّه أميرَ حاج المحمل / فى سنة ست وخمسين ، فوليها المذكور وحجّ بالنّاس من غير أن يتناول من السلطان معلومَ أُمَراء الحج ، وكان دُولاَتْ بَاى قَدْ وَلِىَ إمْرَة حاج المحمل أيضا فى سنة تسع وأربعين ، وأخذ من السلطان مبلغ عشرة آلاف دينار فى تلك السنة ، وبينما حج دُولاَتْ باى وعاد إلى القاهرة ؛ فكان يوم نزوله إلى بِرْكة الحـاج يوم خلع الملك الظاهر نفسه من السلطنة ، وتولّى السلطنة ولده الملك المنصور عثمان ، فقدم هو من الغد إلى القاهرة واستمرّ على وظيفته إلى يوم الخميس ثانى عشر صفر قبض عليه الملك المنصور وعلى الأمير بَرْسْبَاى الأمير آخُور الثانى ، وعلى الأمير يَلَبَاى ، وأرسل الثلاثة إلى ثغر الإسكندرية ، فاستمر دُولاَتْ باىْ هذا محبوسا إلى أن أطلقه الملكُ الأشرف إينَالُ فى عاشر شهر ربيع الأول ، وقدم القاهرة فى يوم الأربعاء سابع عشر شهر ربيع الأول بإمرة مائـة وتقدمة ألف بعد موت الأمير أَرَنْبُغَا الناصرىّ ، فلم تطل مدته غير أيام قليلة ومرض أيّاما ومات فى التاريخ المذكور — رحمه الله — وكان أميرا جليلا معظّما فى الدّول ، مُهَابا وقورا ، حسن الشكل طويل القامة ، رشيقا عارفا بأنواع الفروسية ومغالبة الملوك ، جَمَّاعاً للأموال والخيول والتحف ، كثير الأدب والحشمة ، عظيم الحُرْمة على مماليكه وحواشيه ، وكان عاقلا جيّد الرأى والتدبير ، وعنده بِرٌّ وصدقات للفقراء ، وكان يعتقد(١) الصلحاء والفقهاء ويبرهم كثيرا ويعظمهم ، وعَظُمَ فى آخره وضخم ، وتحدثت الناسُ بسلطنته كثيرا ، حتى إنه كان ثقل على الملك الظاهر جَقْمَق ، ثم على ولده الملك المنصور عثمان ، قلتُ: ونَدِمَ أيضا الملكُ الأشرفُ إينَال على إطلاقه من سجن الإسكندرية فى الباطن ، وخافه كثيرا

٢٨٦

(١) كذا فى الأصل و ت ، ولعلها « يتفقد » .

فعاجلته المنيّة ، فأراح واستراح ؛ لأنه كان غير شجاع ، أعْرِفُ منه ذلك ، ولو كان عنده شجاعة أوقوّة قَلْبٍ لكان هو أحقّ بأن يَثِبَ [على الملك] [١] من أوّل قدومه من الحج إلى القاهرة ، لأنه كان هو عظيم المماليك المؤيّدية وغيرها ، وكلّمه بعضهُم فى ذلك فلاح له بعض ماقلته — رحمه الله — وبالجملة فكان به تجمّل فى الزمان — عفا الله عنه .

وتُوُفِّىَ الأمير سيفُ الدين قَانْصُوَه بنُ عبد الله النَّوْرُوزِىّ [٢] أحد مقدّمى الألوف بدِمَشْق — بها — فى أواخر / جُمَادَى الأولى . وسنّه نحو الستين سنة — ٢٨٧ تخمينا — وكان أصله من مماليك الأمير نَورُوز الحافظىّ نائب دِمَشْق ، ثم صار خاصّكيًّا فى الدولة المؤيّديّة شيخ، إلى أن أنعم عليه الملك الظاهرى طَطَر بإمْرَة عشرة ، ثم طَبْلَخَاناة ، فدام على ذلك سنين إلى أن قبض عليه الملكُ الأشرفُ بَرْسْبَاى وحبسه مدة يسيرة ، ثم أطلقه على إمرة طبلخاناة ، فدام على ذلك سنين إلى أن أخرجه الملك الأشرف بَرْسْبَاى إلى نيابة طَرَسُوس ، فتوجه إليها وأقام بها مُدَّة إلى أن نقله إلى حجوبيّة الحجّاب بحَلَب ، ثم تقدمة ألف بدِمَشْق ، فدام فى دِمَشْق إلى أن خَرَج الأمير إينَال الجَكَمِىّ نائب الشّام على الملك الظاهر جَقْمَق فوافقه قانْصُوَه المذكور ، وامتحن بسبب ذلك وآختفى مُدّة ، ثم خرج بأمان وقدم القاهرة ، وتولّى نيابة مَلَطْيَة أيَّاماً إلى أن عُزِل عنها ، وعاد إلى دِمَشْق أمير ثمانين ، فاستمر على ذلك سنين إلى أن أنعم عليه الملك الأشرف إينَال بتقدمة ألف بدِمَشْق ، فمات بعد ذلك بدون الشّهْر ، وكان أميرا شجاعا مليح الشّكْلِ معتدل القدّ رأسا فى رَمْى النُّشّاب ، إلا أنه كان قليل السّعادة خاملا ، لم يزل فقيرا منذ عرفتُهُ قديما وحديثا ، قليل الحظ من الملوك ؛ مَبْعُوداً عنهم — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّىَ [٣] الأمير سيف الدين قَشْتَم بن عبد الله المحمودى الناصرى [٤] نائب

(١) إضافة يقتضيها السياق .

(٢) له ترجمة فى (النجوم الزاهرة ٧ : ٥٦٩ ، ٥٧٠ ط . كاليفورنيا) .

(٣) فى ت « وقتل » .

(٤) له ترجمة فى (النجوم الزاهرة ٧ : ٥٧٠ ط . كاليفورنيا) .

البُحَيْرة،فى وقعة كانت بينه وبين عَرب لَبِيد فى أواخر شهر رجب حسب مادكرناه فى حوادث شهر رجب من هذه السنة ، ومات وسنّه يناهز الستين سنة ، وكان أميرا عاقلا شجاعا ، كريما متواضعا جوادا ، مليح الشكل بشوشا ، محببا للناس مشكور السيرة فى ولايته ، عارفا مقداما ، وأصله من مماليك الملك الناصر فَرَج — رحمه الله .

وتُوُفِّى الأمير يَبْغُوت بن عبد الله من صَفَر خَجَا المؤيدىّ[1] الأعرج نائب صَفَد — بها — فى أواخر شعبان ، وكان أصلُه من مماليك الملك المؤيّد شيخ [أيام إمرته][2] ، ممن صار[3] خاصّكيًّا بعد موته ، إلى أن نفاه الملك الأشرف بَرْسْبَاى إلى البلاد الشّامية ، ثم أمَّرَه بها إمْرَة طبلخاناه ، فاستمر على ذلك إلى أن ولاه الملك الظاهر جَقْمَق نيابة حِمْص بعد الأمير سُنْقُر العزىّ فى سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة ، ثم نقله إلى نيابة صَفَد بعد الأمير قَانِى بَاى البهلوان ، بحكم انتقال البَهْلَوَان إلى نيابة حَمَاة فدام فى صَفَد سنين ، ثم نُقِلَ / إلى نيابة حَمَاة بعد الأمير تَنَم المؤيّدىّ ، فأقام بحماة سنين إلى أن شكاه هو وولدَه بعضُ أهل حماة ، فأرسل الملكُ الظاهر يطلب وَلَدَه إبراهيم المذكور وابن العُجَيْل على أقبح وجه ، فأرسل يَبْغُوتُ هذا وَلَدَه فى الحَديد ، فحبسه السلطانُ بالبُرْج من قلعة الجَبل ، ثم أرسل يطلب يَبْغُوتَ المذكور إلى دِمَشْق ليُحْبَس بقلعتها ففطن يَبْغُوت بذلك ، فخرج من حماة عاصيا حتى لَحِقَ بالأمير جَهَان كير بن على بَك بن قَرايلُك صاحب آمد ، وانضم إليه واتفقا على العِصْيَان على الملك الظاهر جَقْمَق ، فبينماهم فى ذلك طرقهم بعضُ أمراء جَهَان شاه بن قَرَا يُوسُف صاحب تِبْريز وقبضَ على يَبْغُوت المذكور ، وأخذ جميع مامعه ، وأرسلَ أخبرَ السلطانَ الملك الظّاهر بذلك ، ثم حبسه بقلعة الرُّهَا ، فدام بها إلى أن استولى عليها الشيخُ حسن بن على بَك بن قَرَايُلُك ، وأطلق يَبْغُوتَ هذا ، وخَيَّرهُ أين يذهب ، فاختارَ الرّجُوع إلى طاعة الملك الظّاهر ، وركب حتى وصل إلى ألبيرة ، ثم إلى حَلَب ،

٢٨٨

(١) له ترجمة فى (المرجع السابق ٧ :٥٧٠ ، ٥٧١) .

(٢) الإضافة من (المرجع السابق ٧ : ٥٧٠) ..

(٣) فى ت « وعمل خاصكيا » .

فأرسل نواب البلاد الشامية إلى الملك الظاهر بالشّفاعة فى بَيْغُوت المذكور ، فقبل الملك الظاهر شفاعتهم ، ورسم له بالقدوم إلى القاهرة ، فقدمها فى سنة خمس وخمسين ، وأقام بها أياما ، ثم رسم له بالتوجّه إلى دِمَشْق ، ورتّب له مايكفيه إلى أن ينحلّ له إقطاعٌ ، فلم يقم بدِمَشْق إلا مُدَّة يسيرةً ومات الأميرُ بُرْدُبَك العجمىّ أحد أمراء الألوف بدِمَشْق ، فأنعمَ السلطانُ عليه بإقطاع بُرْدُبَك المذكور ، فلم تطل مُدَّته غير أشهر قليلة ومات الأمير يَشْبُك الحمزاوى نائِب صَفَد فى رمضان من السنة ، فنقلهُ السلطان إلى نيابة صَفَد عوضا عن يَشْبُك المذكور ، وحُمِل تَقليده وتشريفه على يد الأمير يَشْبُك الفقيه المؤيّدىّ أحد أمراء العشرات ورأس نَوْبَة ، فدام فى نيابة صَفَد إلى أن تُوُفِّى بها حسبما ذكرناه ، وكان ـــ عفا الله عنه ـــ شجاعا مقداما ، عاقلا عفيفا عن المنكرات والفروج ، دينا خيرا ، معظما فى الدُّوَل ، ومات وسنُّهُ أزيدُ من ستين سنة ـــ رحمه الله تعالى ـــ وتولّى نيابة صَفَد من بعده الأميرُ إيَاس الطَّويل الناصرىّ أتابَك طَرَابُلُس .

وتُوُفِّى الأميرُ جَغْنُوس الناصرىّ [١] المعزول قبل تاريخه عن نيابة بَيْرُوت فى أوائِل العشر الأخير من شهر رمضان ، ولم يكن / جَغْنُوس المذكور من ذوى الرياسات لتشكر أفعاله أو تذم .

٢٨٩

وتُوُفِّى الشيخ الصالح المعتقد درويش ، ويقال محمد ، ويقال غَيْبِى [٢] بظاهر خانْقَاه سريَاقُوس فى يوم الاثنين ثالث ذى القعدة ، ودُفِنَ شرقىّ الخانقاه المذكورة ، وقبره هناك يُقْصَد للزيارة ، وكان أصله من آقْصَراى [٣] وكان رجلا صالحا دينا خيرّا مُعْتَقَدا ، أفنى عمره فى السِّياحة والحج فى كل سنة ماشيا ، وكان مجردا لا يلتفت إلى مافى أيدى الناس ، ولايدخر شيئا من المال بل ولا من المأكل ولا من المشرب حتى إنه كان إذا سافر إلى الحج أو إلى غيره لم يصحب معه قصعةً ولا زَنْبيلا ، ولم يكن عليه غير مايستر عورته ، وكان لايطلب من أحد شيئا، وإن

(١) له ترجمة فى (السخاوى ـــ الضوء اللامع ٣ : ٧) .

(٢) له ترجمة فى (النجوم الزاهرة ٧ : ٥٧١ ط . كاليفورنيا) .

(٣) آقصراى : مدينة ببلاد الروم بناها السلطان قليج أرسلان سنة ٥٦٦ هـ (لسترنج ـــ بلدان الخلافة الشرقية فى ١٨٢) .

أتاه من أحد شيء أكل منه ما يشبع بطنه ، ثم ترك مابقى ، فكان هذا شأنه ، وكان عارفا عاقلا فصيحا باللغة التركية،يفهم القليل من اللغة العربية ، وكان منوّر الشيبة ، حسن الشكل ، للطول أقرب ، له شَعرٌ برأسه أبيض لايغطى رأسه إلا نادرا ، اجتمعتُ عليه مِرَاراً ، وكان لى فيه اعتقادٌ ومحبّة ـــ رحمه الله تعالى .

وتوفى الأمير حَطَط الناصرى[1] أتابك طرابلس ـــ فى أوائل ذى الحجة ، وكان أصله من مماليك الناصر فرج ، وتنقّل من بعده حتى ولى نيابة حلب فى الدولة الأشرفية بَرْسْبَاى ، وطالت أيامه إلى أن عزله السلطان الملك الظاهر جقمق وصادره فى سنة سبع وأربعين ، ثم ولاه بعد مدّة طويلة نيابة غزّة ، فلم تطل مُدَّته بها وعُزِل أيضا عنها ، وأُنعِمَ عليه بعد حين بإمرة عشرين بطرابلس ، فدام على ذلك سنين إلى أن نقله الملك الأشرف إينال إلى أتابكيّة طرابلس ، بعد انتقال الأمير إياس الطويل إلى نيابة صَفَد بعد موت الأمير بَيْغُوت المؤيدى ، فأقام حَطَط بعد هذا دون الشهر ومات ـــ رحمه الله .

وتُوُفِّى الأميرُ على باى من طَرَابَاى العجمى المؤيدىّ[2] أتَابَك العساكر بَحَلَب فى أواخر ذى الحجة ـــ بها ـــ كان أصلُه من مماليك الملك المؤيّد شيخ ، قدم من بلاد الجاركس صغيرا ، ثم حضر بعدَهُ أَبَوَاه وإخوته ، وكانوا نحو ستة نفر ذكورا وإناثا ، ثم أعتقه الملكُ المؤيّد وجعله خاصّكيا ، واستمرّ من بعده على ذلك سنين إلى أن أنعم عليه الملك الظاهر جَقْمَق بإمرة عشرة ، وجعله رَأْس نَوْبَة ، وحظى عنده ، وأَمَرَ ونهى ، وطَغَى وتجبّر ، واستمرّ على ذلك إلى بعد سنة ثمان وأربعين نُفِىَ إلى البلاد الشاميّة / ثم أنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف بَحَلَب ، ثم جعله أتابَكَهَا بعد الأمير سُودُون الأبُوبَكْرِىّ المؤيّدِىّ بحُكْم انتقاله إلى نيابة حماة ، فدام عَلِيّ باى عَلَى ذلك إلى أن تُوُفِّى ـــ كما ذكرنا ـــ وسنّه أزيد من خمسين سنة ، ونسبته بالعجمىّ ٢٩٠

(١) له ترجمة فى (النجوم الزاهرة ٧ : ٥٧١ ، ٥٧٢ ط . كاليفورنيا) .

(٢) له ترجمة فى (النجوم الزاهرة ٧ : ٥٧٢ ط . كاليفورنيا) .

إلى خاله بُرْدُبَك العجمىّ الجَكَمِىّ نائب حَماة ــ كان ــ وكان على باى هذا أميراً جليلا متجمّلا فى مركبه وملبسه ، عارفا بأنواع الفروسية إلا أنه كان كثير الكذب والدّهاء ، مُسْرِفًا على نفسه وماله ــ عفا الله تعالى عنا وعنه .

ومضت هذه السنة والأسعار رَخِيّةٌ إلى الغاية ماعدا اللّحوم والأجبان فإنها قليل وسعرُها زائد ، وأما الحبوب ففى غاية الرّخص ، فالقمح بمائة وأربعين درهما الأردب إلى مادونها ، والفول بثمانين درهما الأردب إلى مادونها ، والشعير من ستين إلى سبعين ، والذهب ، قد نُودِىَ على الدينار الأشرفى بثلاثمائة وعشرين درهما ، وكان قد وصل سعرُه قبل تاريخه . بل وإلى الآن بعد المناداة فى الباطن ــ إلى ثلاثمائة وخمسين درهما فى المعاملة ، وهو فى نموٍّ وزيادة ، والناس فى أمْن ، غير أن السلطان الملك الأشرف إينال كان قد توعّك فى يومى الجمعة والسبت ، ثم عُوفِى ودقّت الكوسات السلطانية وغيرها لذلك ثلاثة أيّام ، وفرح بعافيته الناسُ ، وشقّ ذلك على آخرين من الذين فى قلوبهم مرض .

انتهت حوادث هذه السنة[١] .

★ ★ ★

(١) انتهت هذه السنة فى نسخة ت بعد أسطر من الورقة ١١٠ = (٥١ ظهر) .

﴿ سنة ثمان وخمسين وثمانمائة ﴾

استهلت هذه السنة وسلطان الديار المصرية والبلاد الشامية والأقطار الحجازية الملك الأشرف أبو النصر إينال العلائى الظاهرى ثم الناصرى ، والخليفة القائم بأمر الله أبو البقاء حمزة ، والقضاة : الشافعى قاضى القضاة علم الدين صالح البُلْقِينى ، والحنفى قاضى القضاة سعد الدين سعد بن الدّيرى ، والمالكى قاضى القضاة ولّى الدين محمد السُّنباطى ، والحنبلىّ قاضى القضاة عز الدين أحمد بن إبراهيم بن العسقلانى

والأمراء : أتَابَك العساكر الأمير تَنِبَك الظاهرىّ ، وأمير سلاح الأمير خُشْقَدَم المؤيّدىّ ، وأمير مجلس الأمير طُوخ مِن تِمْرَاز الناصرى ، والأمير آخور الكبير جَرِبَاش المحمدى الناصرى المعروف بكُرْد ، ورأس نَوْبَة النُّوَبَ الأمير قَرْقَمَاس الأشرفى [1] وحاجب الحجاب جَانِبَك القرمانى ، والدَّوَادار الكبير / يُونُس السَّيْفى ٢٩١ آقْبَاى ، وأعظم مقدّمى الألوف المقام الشهابى أحمد بن السلطان رأس ميسرة ، وباقى مقدمى الألوف : الأمير جَانَم قريب الملك الأشرف بَرْسْبَاى الأمير آخور ـــ كان [2] ، والأمير خَيربَك المؤيّدى ، وقد ولاه السلطانُ كَشْفَ إقليم البَهْنَسا ، والأمير بَرْسْبَاى البَجَاسِىّ .

وباقى أرباب الوظائف من أمراء الطبلخانات وغيرهم : الخازندار الكبير جَانِبَك من أمير الأشرفى بَرْسْبَاى ، وقد سار إلى الحجاز أمير حاج المحمل ، وشاد الشراب خاناه جانِبَك القَجْمَاسِى الأشْرفى بَرْسْبَاى ، والزَرَدْكَاش نُوكَار الناصرى أمير عشرة ، ونائب القلعة قَانِى بَاى الناصرى المعروف بالأعمش ، والأمير آخور الثانى خَيْربَك المؤيّدى الأشقر ، ورأس نَوْبة ثانى يَشْبُك الناصرى ، والحاجب الثانى بَتْخاص العثمانى الظاهرى بَرْقُوق أمير عشرة ، والدَّوادار الثانى تِمْرَاز الإينالى الأشرفى بَرْسْبَاى أمير

---

(١) ورد فى هامش اللوحة مقابل هذا « حاشية : المعروف بالجلب قريب الأشرف برسباى » .

(٢) كان : من مصطلحات هذا العصر للدلالة على أن الوظيفة كانت مسندة إلى المذكور سابقا .

عشرين ، والخازندار والزّمام فَيْرُوز النَّوْرُوزى الطَوَاشى الرّومى ، ومقدّم المماليك لؤلؤ الباسطى ثم الأشرفى الطواشى الرومى أمير عشرة ، ونائبه عَنْبر الهندى .

المباشرون : كاتب السِّر القاضى محب الدين محمد بن الشحنة ، وناظر الجيش والخاص عظيم الدَّولة الصاحب جمال الدين يوسف بن كاتِب جَكَم ، والوزير فَرَج بن النَّحّال ، والأستادار علاء الدين على الأهناسّى ومُحْتَسب القاهرة على بن الشهاب ابن أم خُرج ؛ شخص من أصاغر الناس ، ونائب كاتب السّر معين الدين عبد اللطيف بن العجمى ، وناظر الدولة التاج الخطير ، وناظر [ديوان] [1] المفرد فخر الدين الأصفر ، وناظر الإصطبلات السلطانية زين الدين أبو بكر بن مُزْهِر ، وكاتب المماليك شخصٌ وضيع من الأقباط يسمى عبد الرحمن من أقارب فرج الوزير ، ووالى القاهرة على بن إسكندر .

نواب البلاد الشامية وغيرها : نائب الشام الأمير جُلُبَّان الأمير آخور ، ونائب حَلَب قانى بَاى الحَمْزاوِى ، ونائب طَرابلُس يَشْبُك النّوروزِى،ونائب حماة حاج إينال اليَشْبُكِّى ، ونائب صفد إياس الطَّويل الناصرىّ ، ونائب غزّة جَانِبَك التَّاجى المؤيدى ، ونائب الكَرَك يَشْبُك طاز المؤيدىّ / ونائب مَلَطْيَة جَانِبَك الحَكَمِىّ ، ونائب الإسكندرية جَانبَك النَّوْروزىّ . ٢٩٢

● المحرّم : أوَّله الثلاثاء .

ففى يوم الأربعاء ثانيه استقر القاضى قطب الدين أبو الخير محمد الخَيْضَرِىّ كاتبَ سِرّ دِمِشْق بعد عزل القاضى صلاح الدين محمد بن السابق الحموى .

وفى يوم الأحد سادسه ورد الخبر من حَلَب بموت الأمير على باى من طَرَاباى المؤيّدى العجمى أتَابَك حَلَب بها ، وأنعم السلطان بإقطاعه ووظيفته على الأمير آقْبَردى السّاقى الظاهرِى جَقمْق نائب قلعة حلب ، واستقرّ فى نيابة قلعة حلب الزَّيْنى قاسم بن جمعة القساسى [2] المنعم عليه قبل تاريخه بمدة يسيرة بتقدمة ألف بحلب

(١) إضافة للتوضيح .

(٢) فى الأصول القشاشى — بشيين — وما هنا من (النجوم الزاهرة ١٦ : ٧٨ ، الضوء اللامع ٦ : ١٨٠) وقد توفى فى رمضان سنة ٨٦٣هـ .

عوضا عن الأمير سُودُون القَرَمَانى المنتقل إلى أتابكية طَرَابُلس ، فلما استقر ابن جمعة المذكور فى نيابة قلعة حلب أنعم السلطان بالتقدمة المذكورة على مملوكه يَشْبُك البَجَاسى دوادار السلطان بدمشق وأحد أمراء الطبلخانات بها ، وأنعم بإقطاعه ووظيفته على السّيفى خُشْكَلْدى الزَّيْنى عبد الرحمن بن الكُوَيز ، وخُشْكَلْدِى المذكور وقاسم ابن جمعة كانا كلاهما بالقاهرة ، ووليابمال وَعَدَا به ، ولبسا خلعتيهما فى يوم الاثنين سابعة .

وفى يوم الخميس عاشره استقرّ الزينى أبو بكر بن مالك الحلبى فى نيابة طَرَسُوس[1] على عادته أولا ، وعُزِل آقْبَاى السَّيفى جَارْقُطْلو .

وفى يوم الاثنين رابع عشره نزل من القلعة طواشى ومعه امرأتان ، وذكر أن السلطان رَسَمَ لهما أن يأخذا من كل دُكّان بالشارع درهمَ فلوسٍ جُدد لِدَيْن أصابهما ، ودار بهما الطواشى شوارع القاهرة كل واحدة على حمار مكارى وجبى من الدكاكين وهو يقول : حسب المرسوم الشريف ، فكانت هذه الواقعة من أغْرَب الأشياء وأقبحها ، وكثر فى هذا اليوم ترحّم الناس على السلطان الملك الظاهر جَقْمَق وبأسَفهم عليه ، حتى كلم السلطان فى ذلك بعضُ خواصّه فقال السلطان : لم أشعر بشىء من ذلك ولارسمتُ به ، ثم أمر بإحضار النِّسْوة والطواشى من الغد وضربهم ضربا مبرحا ، ورسم بإشهارهم فى شوارع القاهرة ، فأنزلوا / ونُودِىَ عليهم هذا جزاء من يكذب على الملوك . ٢٩٣

وفى يوم الاثنين حادى عشرينه قدمت تقدمة الأمير قانى بَاى الحمزاوىّ نائب حَلَب ، وكانت تشتمل على مماليك ثلاثة ، وخيول مائة فرس لاغير ، ولم تكن هذه عادة تقدمة نائب حلب ، وإنما الظاهر أنه استعجل بإرسال ذلك ليعلم كل أحد أنه فى طاعة السلطان،وينقطع عنه كلام كل أحد ممن يشنّ الغارات ويثير الفتن .

وفيه وصل إلى القاهرة أمير حاج الرّكب الأوّل عبد العزيز بن المعلم محمد

(١) طرسوس : مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب .

الصغير ، وأصبح من الغد حضر أمير حاج المحمل الأمير جَانِبَك من أمير الأشرفى بَرْسْبَاى الخازِنْدَار .

وفى يوم السبت سادس عشرينه استقرّ الشيخ الإمام العالم العلامة محيى الدين محمد الكَافْيَجِىّ الحنفى فى مشيخة شيوخ خانقاه شيخون عوضا عن الشيخ الإمام العالم العلاّمة كمال الدين محمد بن الهُمام بحكم مجاورته بالمدينة الشّريفة ورغبته عن المشيخة المذكورة .

وفى يوم الاثنين ثامن عشرينه رسَمَ السلطانُ بإخراج زين الدين يحيى الأستادار ـــ كان ـــ إلى القدس الشريف ، ومُسفِّره على جُك البَريدى ـــ وعلى جُك تصغير على باللغة التركية ـــ فلما أصبح من الغد فى يوم الثلاثاء رَجَمت المماليكُ الجُلْبَان الأستادار على الإهناسى بسبب أنه جعل الجامكية تفرّق فى خمسة أيام من المواكب ، وكانت العادة أنها تُفرّق فى ثلاثة أيّام ، كل ذلك لعجز الأستادار عن القيام بالجامكية ، فلما وقع ذلك لهجت الناس بتولية زين الدين المذكور للأستادارية فلم يصح ذلك ، ورَسَمَ السلطان بسفر زين الدين فى يوم الخميس على مايأتى ذكره إن شاء الله تعالى .

● صفر : أوّله الأربعاء .

ففى يوم الخميس ثانيه خرج زين الدين يحيى الأستادار متوجِّها إلى القُدْس الشريف ، فلما وصل إلى سبيل ابن قَيْماز خارج القاهرة أحيط به وطُلِبَ إلى القلعة ، وقبض عليه السلطان وحبسه عند الطواشى فَيْرُوز النَّوْروزِىّ ، وسبب ذلك أن زين الدين المذكور لما خرج إلى القدس أوسع فى بَرَكِهِ[1] وخَدَمِهِ على غير عادة المنفيين بل على هيئة من هو خارج إلى نيابة من / النيابات ، فوشى عليه بعضُ الناس ٢٩٤ عند السلطان أنه صحب معه فى حموله مالاً عظيماً ، فَفتشت حُمُوله فلم يُوجَد فيها غيرُ ثُلاثمائه دينار ودينار واحد ، وقليل من الفضة ، وثياب بدنه وبعض كتب مجلدات ، فلما كان يوم السبت رابعه طلبه السلطان إلى الدهيشة بحضرة أرباب

(١) البرك : المتاع ومايحتاجة الإنسان .

الدّولة من المباشرين وغيرهم وطلب منه مالاً ، وكثر الكلام حتى وقع من زين الدين المذكور كلام فى حق على بن الأهناسى الأستادار ، ومحصول كلام زين الدين أنه قال : فى جهة ابن الأهناسى نحو السبعين ألف دينار ، وعَلَىَّ محاققةُ ذلك ، وانفض المجلس على الحساب من الغد .

وفى اليوم المذكور سّلم السلطان القاضى مُعين الدين بن الطرابلسى أحد نوّاب الحكم الحنفية وشهاب الدين بن الأوْجَاقى إلى نقيب الجيش ليستخرج منهما مالا ، وكانا قد خرجا لوداع زين الدين المذكور فقبض عليهما معه .

ثم أصبح من الغد فى يوم الأحد حضر جماعةٌ من مباشرى ديوان المفرد وغيرهم لعمل الحساب ، ثم انفض المجلس بعد أمور وقعت ، وآل الأمر إلى حبس زين الدين بالبحرة[١] من الحُوش السلطانى ، وإلى استمرار ابن الأهناسى فى الأستادارية ، وخلع عليه من الغد فى يوم الاثنين سادسه ورسم بالإفراج عن ابن الطَرَابُلسى وابن الأوجاقى ، واستمرّ زين الدين بالبَحْرة فى الترسيم إلى يوم الخميس تاسعه عُوقب بالمعاصير وأنواع العقوبة ، فلم يقرّ بمال بل قال : أنا أبيع أوقاف مدارسى وغيرها وأرضى السلطان ، كلّ ذلك والصاحب جمال الدين ناظر الجيش والخاص قائم فى أمره ومساعدته أشد قيام ، ويوافقه على ذلك الأمير يونس الأقبائى الدّوادار الكبير ، والأمير تِمْرَاز الإينالى الأشرفى الدّوادار الثانى .

واستمرّ الصاحب جمال الدين يسعى فى أمره حتى انبرم أمره مع السلطان وحواشيه ، وطلب السلطانُ زين الدين المذكور فى بكرة يوم الأحد ثانى عشره إلى الدهيشة فحَضر محمولا فى مقعد إلى بين يدى السلطان بين أربعة أنفس ، فقعد وهو لايطيق الجلوس إلابشدةٍ من عِظَمِ ماحصل عليه من العقوبة التى أُجريت عليه ، فلما رآه السلطان على / هذه الحالة كلّمه بكلام لَيِّن وطيّب خاطره وأعاده إلى وظيفة الأستادارية وألبسه كامليّة[٢] بمقلب سَمّور ، وعزل ابن الأهناسى ، وألزم بعمل الحساب ، فصار الطالب مطلوبا .

٢٩٥

(١) البحرة : قبة على قاعة بناها السلطان الملك المؤيد شيخ .

(٢) كاملية بمقلب سمور : ثوب ضيق الأكمام مفتوح من منتصف الظهر إلى أسفل الذيل ويلبس فوق القباء كالمعطف .

فقلت : وهكذا شأن الدهر ، الخفض والرَّفع .

ونودى فى اليوم المذكور بزينة القاهرة لأجل ولاية زين الدين المذكور الأستادارية ، وأما ابن الأهناسى فإنه لما ولى زين الدين وطلب منه الحساب نزل من وقته إلى بيت الصاحب جمال الدين ناظر الجيش والخاص ، فلما وصل إلى البيت المذكور طُلِبَ ثانيا إلى القلعة ، ورسم عليه بها إلى أن أطلق فى يوم الاثنين ونزل إلى داره ، واستمر زين الدين بقلعة الجبل إلى يوم الثلاثاء رابع عشره خلع عليه خلعة الأستادارية ونزل إلى داره ، وابتهج الناسُ بولايته ، وكان يوما مشهوداً .

وفى يوم الأربعاء خامس عشره استقرّ عبدُ العزيز بن محمد الصغير محتسبَ القاهرة بعد عزل على بن شهاب الدين الكاشف .

وفى يوم الاثنين عشرينه أعيد خَيْرَبَك القَصْرَوِىّ إلى ولاية القاهرة بعد عزل على بن إسكندر على مالٍ بذله فى ذلك .

وفى يوم السبت خامس عشرينه أخلع السلطانُ على زين الدين يحيى الأستادار باستقراره كاشف الكُشّاف ، وباستقراره فى أستادارية ولده المقام الشهابى أحمد عوضا عن على بن الأهناسى بحكم عزله .

وفى يوم الثلاثاء ثامن عشرينه وردَ على السلطانِ مطالعةُ الأمير قانى باى الحمزاوى نائب حَلَب تتضمن أن قاضى قضاة الحنابلة بحلب وهو مجد الدين سالم قَتَلَ رجلاً من الفقهاء بيده بعد أن حكم عليه بالكُفْر ، وأمْرُهُ أنه آدُّعِىَ عليه بالكفر ، وأقيمت البينةُ عليه ، وكُتِبَ بذلك محضرٌ فحكم القاضى المذكور بكفره وإراقة دمه ، فأخذ المقتول يقول : أنا بينى وبين القاضى سالم خصومة ، وطعن فى الشهود ، وطلب عقد مجلس بالقضاة الأربعة فى مجلس النائب ، فلما رأى القاضى ذلك خشى أنه متى أصبح دافع عن نفسه ، فطلبه فى الحال ووضع فى رقبته حبلا وخنقه ، ثم جعله من الغد فى تابوت ونادى عليه بالكُفْر ، فعَظُمَ ذلك على الناس وعلى نائب حَلَب ، وأرسل كاتب السلطان بذلك ، وأرسل القاضى / مجد الدين سالم المحضر المكتتبَ على المقتول ، وفيه ألفاظ قبيحة لاتذكر ، وفيه مصورة الدَّعْوى ، فغضب ٢٩٦

السلطان لذلك غضبا شديدا،ورسم من الغد بعقد مجلس بالقضاة الأربعة ، فعقد المجلس وقرئ المحضرُ،فلم يلتفت القضاة إلى المحضر ، وانطلقت الألسن فى حق القاضى سالم المذكور حتى قال قاضى القضاة الإمام سعد الدين بن الديرى الحنفى : لم يُسْمَع بمثل هذه الحادثة فى الإسلام ، ورسم السلطان لنائب حلب بالقبض على القاضى مجد الدين سالم وحبسه بقلعة حَلَب هو والمدّعِي والشهود إلى أن يرد عليه مايعتمده .

وفى هذا الشهر رسم السلطان بإطلاق أبى الخير النحاس من سجن المَرْقَب إلى حال سبيله .

● شهر ربيع الأول : أوّله الجمعة .

فى يوم السبت ثانيه استقرّ السيفى ألماس الأشرفى بَرْسْبَاى أحد أمراء دمشق دوادارَ السلطان بحلب .

وفيه استقر الشّرفى حمزةُ بن البشيرى ناظرَ الدولة بحكم عزل التاج الخطير ، ثم عُزِل بعد ثلاثة أيام .

وفيه خلع السلطان على الأمير ناصر الدين محمد بن أبى الفرج خلعة الاستمرار على وظيفته نقابة الجيش .

وفى يوم الأحد عاشره عمل السلطان المولد النبوىّ بالحوش من القلعة على العادة .

وفى يوم الأحد سابع عشره وصل إلى القاهره ابنُ الأمير يَشْبُك النَّوْروُزِى نائب طَرَابُلس وقبّل الأرضَ بين يدى السلطان ، وأصبح من الغد يوم الاثنين قدّم تقدمةَ والده يَشْبُك إلى السلطان ، وكانت تقدمة هائلة تشتمل على ثمانين رأسا من الخيل ، وعدة أثواب مخمل مذهب ، ومخمل منقوش ، وشقق حرير ، وعدة حمالين من الوَبَر كالسَّمُور والوَشْق والسِّنْجَاب وقرضيّات كثيرة ، وبعلبكى نحو المائة وخمسين ثوبا ، وأشياء غير ذلك ، ومبلغ كبير له جِرْم على ماقيل .

وفى يوم الثلاثاء سادس عشرينه ركب السلطان من قلعة الجبل بغير قماش[١] الخِدْمَة ، ونزل سيرا إلى جهة قُبَّة النَّصْر[٢] خارج القاهرة ، وعاد من باب النصر ، وشقّ القاهرة وخرج من باب زويلة حتى طلع إلى القلعة ، وهذا أوّل ركوبه منذ تسلطن .

٢٩٧ وفى هذا الشهر كثر الطاعون ببلاد / الصَّعيد وفنى به خلائق كثيرة .

● شهر ربيع الآخر : أوله الأحد .

ففى يوم الخميس خامسه سافر الأمير جَانِبَك الظاهرى جَقْمَق لشدّ بَندر جدّة .

وفى يوم الاثنين تاسعه ثار المماليك السلطانية الجُلْبان وغيرهم على الفقهاء والمتعممين ،وضربوا منهم خلائق وأخَذُوا خيولهم من تحتهم ، وفعلوا ذلك بجماعة كثيرة من القضاة والأعيان بسوق[٣] الخيل وغيره ، ونهبوا بعض حوانيت القاهرة ، وادعوا أن السلطان أمرهم بأخذ الخيول من الفقهاء والمتعممين ، وأظن ذلك حقيقة ، لأنهم لما أخذوا خيولَ الناس طلعوا بها إلى الأمير آخور الكبير جَرِبَاش المحمدىّ المعروف بكُرْد ، وقالوا له : اضرب دَاغ[٤] السلطان عليها ، فامتنع من ذلك ، وأمرهم بردّها على أربابها ، وأصبحوا على ماهم عليه ، وأفحشوا فى ذلك ، حتى إنه لم يبق فى القاهرة أحدٌ من المتعممين إلاَّ وقد ركب بغلا أوحمارا — كل أحد بحسب مقامه — وانقطع غالبُ الناس فى بيوتهم ، ورسم السلطانُ بالمناداة فنودِىَ بالأمان والاطمئنان ، ولم يذكر المنادى فى مقالته بأن يركب المتعممون على عادتهم ، بل صار ينادى — بالأمان والاطمئنان لاغير ، فدام الناس على ركوب البغال والحمير أياماً كثيرة ، ثم عادوا إلى ركوب الخيل على عادتهم ، لمَّا وقع[٥] بين المماليك الأشرفية بَرْسْبَاى والمماليك الظاهرّية جَقْمَق على ماسيأتى إن شاء الله تعالى .

---

(١) قماش الخدمة : هو الملابس الرسمية للمواكب . وانظر (ماير الملابس المملوكية ترجمة صالح الشيتى ص ١٣٣ .

(٢) قبة النصر : كانت زاوية يسكنها الفقراء العجم فى الصحراء تحت الجبل الأحمر .حددها السلطان الناصر محمد بن قلاوون . وكانت تقع شرقى خانقاه الناصر برقوق (النجوم الزاهرة ١٤ : ٨٨ هامش) .

(٣) سوق الخيل : وكان تحت قلعة الجبل ويفتح عليه باب السر . وانظر (الخطط للمقريزى ٢ : ٢١٢) .

(٤) داغ السلطان : هو شارته أو رنكه ويكون بختم الخيل باللون أو بالكى .

(٥) أى واستمر ذلك حتى وقع الخلاف والتنافس بين الأشرفية والظاهرية .

وفى يوم الاثنين سادس عشره ثارت المماليك الظاهرية جَقْمَق على المماليك الأشرفية بَرْسْبَاى وضربوا منهم السّيفىَّ بَرْسْبَاى أمير آخور وسُنْقُرَ قَرق شَبَق ضربا مبرحا ، وكثر الكلام فى اليوم المذكور ، وبلغ السلطان ذلك ، وتَيَقَّن كلُّ أحد بوقوع فتنة بين الطائفتين ، وأصبح من الغد فى يوم الثلاثاء كل من الطائفتين بُسوق الخيل فى جَمْعٍ كبير ، وكثر الكلام بسبب ذلك ، لكن لم يتفاوضوا بالكلام مواجهة ، ثم افترق الجمع بعد وقوف طويل ، وقد انحطَّ قدرُ الأشرفية فى الدولة لكون السلطان لم ينتصر لهم ، ولم ينهر أحداً من الظاهرية بل قالَ : الكل مماليكى ، وهم عندى سواءٌ. فعلم كل أحد بانحطاط قدر الأشرفية .

ثم بعد أيَّام رسم السلطان بنزول المماليك الأشرفية من / الطِّبَاق ، فتحقق الناسُ انحطاطَ قدرهم بهذه الواقعة ، ثم بعزل لؤلؤ مقدّم المماليك ، ثم بقضية تِمْرَاز الدَّوَادار الثانى على ماسيأتى ذلك كله فى وقته . ٢٩٨

وفى يوم الجمعة عشرينه ــ الموافق لرابع عشرين برمودة أحد شهور القبط ــ لبس السلطان القماش الأبيض البعلبكى قماش الصيف .

وفى يوم الاثنين ثالث عشرينه عزل السلطانُ الطواشى لؤلؤ الأشرفى الرومى عن تقدمة المماليك السلطانية ، وأعاد الأمير مَرْجَان العادلى المحمودىّ الحبشى إلى تقدمة المماليك على عادته أوّلا .

● جمادى الأولى : أوّله الثلاثاء .

فى هذا الشهر ظهر بُعَيْضُ طاعون بالقاهرة ، ومات به ناسٌ قليلة جدا ممن لايؤبه إليه .

وفى يوم الثلاثاء المذكور استقرّ القاضى جلالُ الدين عبد الرحمن ابن القاضى نور الدين على ابن العلامة شيخ الإسلام سراج الدين عمر بن الملقن الشافعى فى نظر البيمَارَسْتَان[1] عوضا عن القاضى ناصر الدين محمد بن المخلِّطة المالكى

(١) البيمارستان : المراد بيمارستان المنصور قلاوون .

بحكم وفاته ، واستمر القاضى بدر الدين بن المخلّطة فى نيابة النظر عن القاضى جلال الدين كما كان نائبا عن أبيه أوّلا .

وفى يوم الأحد سادسه عُزِل الأمير تمراز الإينالى الأشرفى عن الدوادارية الثانية ، وذلك لسوء خلقه ومجاوبته للسلطان بقلّة أدب ، وقد تقدّم من تمراز المذكور عَزْلُ نفسه غير مرّة والسلطان يسأله فى العَوْدِ إلى أن وقع بين بعض مماليكه وبعض مماليك السلطان قتالٌ بالدبابيس ، ووقع بسبب ذلك كلام كثيرٌ .

وكان قبل ذلك بمدّة يسيرة أوْفِى أمْس تَارِيخه وقع بين تِمْراز المذكور وبين الأمير يُونس الدَّوادار الكبير كلامٌ بسبب محاكمة حَكَمَ فيها يونسُ المذكور فأغلظ تِمْرَاز على يُونُس فى اللفظ ، ثم بعد ذلك كلّه دخل تِمْرازُ إلى السلطان وتكلَّم معه بقلّة أدب كالمشتكى على يُونُس وعلى المماليك السلطانية الذين تقاتلوا مع مماليكه ، ولم يزل يتكلّم مع السلطان إلى أن قال له السلطان : انزل استرح فى بَيْتك ، فنزل من وقته ونزل إلى داره إلى ماسيأتى ذكره إن شاء الله .

وفى يوم السبت ثانى عشره خرج المقام الشهابى أحمد ولدُ السلطان إلَى خانْقَاه سِرْيَاقُوس وصحبته الأمير خُشْقَدم أمير سلاح ، ويُونُس الدوادار الكبير ، والقاضى ناظر الجيش ، وجميع مقدّمى الألوف / ماعدا الأمير الكبير تَنِبَك ، والأمير طُوخ أمير مجلس لمرضٍ به ، والأمير آخور الكبير إلى ملاقاة الأمير جُلُبَّان نائب الشَّام بعد أن أرسل السلطان إلى جُلُبَّان المذكور بعدّة خيول بسروج ذهب وكَنَابِيش زركش وأشياء غير واحدة . ٢٩٩

وفى يوم الأربعاء سادس عشره أخلع السلطانُ على زين الدين يحيى الأستادار فَوْقَانى بطرز ذهب لعافيته من مرضه .

وفى يوم الخميس سابع عشره وصل الأمير جُلُبَّان نائب الشام إلى القاهرة بعد أن احتفل الأمراءُ وأرباب الدولة إلى ملاقاته ، وطلع إلى القلعة ، ودخل إلى السلطان

بالقصر الأبلق المطلّ على الرّميلة المعروف بالخرجة ، فلما رآه السلطانُ ، قام إليه واعتنقه بعد أن قبّل جُلُبَّان المذكورُ الأرضَ بين يديه ، ثم أجلسه السلطانُ على ميسرته فوق ولده المقام الشهابى أحمد ، ولم يطل جلوسه حتى طلب السلطان خلعته وخلع عليه خلعة الاستمرار بنيابة دِمَشق على عادته فى مكان جلوسه بالخرجة المذكورة ، ولم يقع ذلك لأحد من النوّاب ؛ لأن العادة لايخلع السلطان على من يخلع عليه إلابالقصر الأبلق من داخل الخَرْجَة.ثم قام السلطان وخرج إلى القصر ولم يدع جُلُبَّان المذكور يقف بل أمره أن يتوجّه إلى حيث أنزله السلطانُ ، فنزل محمولا لضعف به وكبر سِنّه أيضا ، ونزل غالبُ أكابر الأمراء وأرباب الدولة بين يديه إلى أن أوصلوه إلى الميدان الكبير[1] بطريق بُولاَق تجاه بركة الناصرى ومَدَّ له مَدَّةً هائلة ، وتردّدت الناسُ إليه نهارَه كلَّه ، واستمر إلى يوم الأحد عشرينه فقدَّم للسلطان تقدمة ، وكانت تقدمةً هائلة تشتمل على عشرة مماليك ومائتى فرس منها اثنان بقماش ذهب والباقى على العادة ، وعدة حمالين منها ستون حَمالا عليها قِسِىّ كل حمال خمسة أقواس ، ومنها مائة وعشرون حمالا بعلبكى على كل حمال خمسة أثواب النصف منها عال موصلى ، وستون حمالا عليها أبدان سِنْجَاب ، وعشرة حمالين عليها فَرْو سَمُّور ، وعشرة عليها وَشْق ، وعِدّة حمالين فَروقاقم ، وستون حمالا عليها قَرضيات كثيرة ، وعِدة حمالين عليها أثواب صوف ملوّن ، وعدة حمالين عليها شُقَق حرير وأثواب مُخْمَل تزيد على مائة حمال ، وطبق مغطىً فيه ذهبٌ مبلغ عشرة آلاف دينار — على ماقيل — فقبل السلطانُ ذلك ، وأخلع على أرباب وظائف جُلُبَّان المذكور خلعاً سنية ، وفرق / السلطانُ من الخيول على أمراء الألوف جميعهم على قدر مراتبهم . ٣٠٠

وفى هذا اليوم أيضا رسَم السلطانُ لنقيب الجيش أن يخرج الأمير تِمْرَاز الإينالى الأشرفى الدوادار الثانى إلى القُدْس بطالا ، فنزل وتوجّه به من يومه إلى خانقاه سرياقوس .

(١) الميدان الكبير : ويسمى الميدان الناصرى والميدان السلطانى . وقد استحدثه السلطان الناصرمحمدبن قلاوون على النيل وأعده للسباق والركوب ، ومكانه اليوم منطقة القصر العالى بجاردن سيتى (النجوم الزاهرة ٩ : ٩٧ ت ٢ ط . دار الكتب) .

قلت : [السريع]

مايفعل الأعداء فى جاهل مايفعل الجاهل فى نفسه

فإن تِمْراز هذا كان فى الدّولة الظاهرية ــ جَقْمق ــ من جُملة أمراء العشرات ، وكان ممن لا يؤبه إليه . حتى مات الظاهر وثار مع الملك الأشرف إينال لما وثبَ على المَلِك المنصور عثمان مع من انضم إليه من المماليك الأشرفية والمؤيدية والناصرية وغيرهم ، فلما تسلطن الأشراف قَرَّبَ تِمْراز هذا وجعله دوادارا ثانيا وأنعم عليه بإمرة طلبخاناه وصار له كلمة فى الدولة ، وحرمة وافرة، وهابته الناس لشراسة خلقه وحِدّة مزاجه، وباشر الدوادارية أقبح مباشرة من الظلم والعسف والإخراق بالناس والبطش بحواشيه وأرباب وظائفه ومماليكه حتى تجاوز الحدّ ، وما كفاه ذلك حتى صار يخاطبُ السلطانَ بما يكره ، وبقى فى كل قليل يغضبُ ويعزلُ نفسه ، ووقع له ذلك غير مرّة ، فلما زاد وخرج عن الحدِّ عزله السلطانُ ، ولزم داره أيّاما ثم أُخرج إلى القدس حسبما تقدم ذكره ، وأراح الله المسلمين منه ، وما ربك بظلاّم للعبيد ، وأنعم السلطان بإقطاع تِمْرَاز المذكور على الأمير كُزُل السُّودُونى المُعَلِّم ، وعلى الأمير قَلَمْطَاى الإسْحاقى الأشرفى نِصْفَيْن بالسَّوِيَّة .

وفى يوم الاثنين حادى عشرينه أُعيد الصاحب أمين الدين إبراهيم بن الهَيْصَم إلى الوزارة بعد عزل فرج بن النَّحّال كاتب المماليك عنها ، وسُرَّ الناس بولاية أمين الدين هذا سروراً عظيماً ؛ لحسن سيرة أمين الدين المذكور ، ولقبح سيرة فرج ؛ فإنه باشرَ الوَزَرَ على طريقة أشرار القبط(١) ، وأَخْذِ مَا لَا يستحقه ، وقطع فى وزارته[أرزاقا(٢)] للناس ، هذا مع الوضاعة والحَرْفَشة ، والبهدلة الزائدة والعجز عن القيام بالكُلَف السلطانية ، فكان فى أيام التفرقة يركب فرسه ويدور على الناس يقترض منهم النزر اليسير الذى لاقيمة له ، وبالجملة فلم نعهد فى زماننا وزيراً أقبح

(١) فى الأصول « القبطة » .
(٢) إضافة يقتضيها السياق .

سيرة ولا أسوأ حالا منه ، ومما وقع له من البهدلة أنه لبس يوم عيد الفطر خلعة مع
جملةأرباب الدولة ، ونزلوا الجميع من الشارع ، فبينما هم فى الطريق وقفوا الجميع ٣٠١
من عظم ازدحام الناس ، فنظر إليه شخصٌ من أصحابنا الأشراف وقال له : أنت
غِلِس ، ولو لبست حُلَّةً من الجنة . فقال له فرج المذكور : أضْرِبُكَ ياشريف — فقال
له الشريف : تكذب ، ولا الملك مايقدر على ذلك . فضحك الناسُ من ذلك
واستمرّوا يضحكون من ذلك أيّاما كثيرة .

وفى هذا اليوم أيضا استقر الأمير بُرْدْبَك صهر السلطان دوادارا ثانيا عوضا عن
تِمْراز الإينالى الأشرفى المذكور آنفا .

وفى يوم الثلاثاء ثانى عشرينه أضاف السلطانُ الأمير جُلُبَّان نائب الشام .

وفى يوم الخميس رابع عشرينه استقرّ الأمير جاَنِبَك من أمير الأشرفى الخازندار
أمير حاج المحمل على عادته فى السنة الماضية .

وفيه قدم الأمير خَيْرْبَك المؤيدى أحد مقدّمى الألوف كاشف
البهنسة[١] وألبسه السلطانُ كاملية بمقلب سَمُّور .

وفى يوم الاثنين عشرينه أخلع السلطان على الأمير حُدَيْثة بن عذرا بن عِجْل
ابن نُعَير بإمرة عَرَب الشام بعد عزل ابن عمه عَسّاف بسفارة الأمير جُلُبَّان نائب الشام
من غير رضى نائب حَلَب .

- جمادى الآخرة : أوّله الأربعاء .

ففى يوم الخميس ثانيه لبس قاضى القضاة علم الدين صالح البُلقينى الشافعى
خلعة الاستمرار ؛ فإنه كان أشيع بعزله بالسِّراج الحِمْصِى أويحيى المُناوِى .

وفيه سافر الأمير جُلُبَّان نائب دمشق إلى محل كفالته .

وفيه نودى على الذهب بالقاهرة وأعمالها بأن يكون صرف كل دينار بثلاثمائة

(١) البهنسة : وترسم البهنسا ويقال البهنساوية . وهى ولاية بصعيد مصر .

وعشرين درهما،بعد أن كانت المعاملة به قبل تاريخه قد وصلت إلى ثلاثمائة وخمسين درهما .

وفيه رسم السلطان بنقل الأمير قَانِى بَاى الموساوى السيفى تَمُرْبُغَا المشطوب نائب أَلْبِيَرة إلى نيابة مَلَطْية بعد عزل الأمير جانِبَك الجَكمِى عنها ، واستقرّ فى نيابة ألبيرة ناصر الدين محمد والى الحُجَر ـــ كان ـــ بقلعة حَلَب عوضا عن قَانِى بَاى المذكور .

وفى يوم الجمعة ثالثه وصلت رِمَّة سيدى خليل ابن الملك الناصر فرج بن بَرْقُوق من ثغر دمياط ، وصُلِّىَ عليه بتربة جَدَّه الملكِ الظاهرِ بَرْقُوق ، ودفن بها أيضا بعد أن أقاموا العزاء عليه نحو العشرة أيَّام ، وأمعنوا فى ذلك وأفحشوا فيه إلى الغاية بحيث إن آمرأة ماتت من عظم اللَّطْم على وجهها وصدرها فى العزاء المذكور ، وهذا شىء لم / نعهد مثلَه .

٣٠٢

وفى يوم الخميس تاسعه نُودِىَ على الذهب أيضا بالسعر الذى نُودِىَ به فى ثانى الشهر المذكور . قلت : وهذا شىء لا يتم ، وأظنه ينمو إلى أزيد من ثلاثمائة وخمسين درهما ، والله أعلم .

وفى يوم الأربعاء خامس عشره استقرّ القاضى تاج الدين بن المَقْسِى فى كتابة المماليك السلطانية،عوضا عن فرج بن النحال القِبْطىّ المعزول عن الوَزَر ، وكان المباشر للوظيفة فى مُدَّة ولاية فرج الوزير شخصاً من أصاغر الأقباط يسمى زين الدين عبد الرحمن .

وفى يوم الخميس ثالث عشرينه-الموافق لسادس عشرين بؤونة-أُخِذ قاعُ النيل المبارك فجاءت القاعدة ـــ أعنى الماء القديم وما أضيف إليه من الماء الجديد ـــ سبعة أذرع وخمسة عشر إصبعا .

وفيه خرجت تجريدةٌ إلى البُحَيرة ؛ بسبب نزول عَرَب[1] لبيد ، نحو

---

(١) عرب لبيد : انظر بالتعريف بهم « معجم قبائل العرب ـــ لعمر رضا كحالة ٣ : ١٠٠٩ »

ستمائة نفرٍ مَن المماليك السلطانية ومقدّمهم الأمير جَانَم الأشرفى أحد مقدّمى الألوف بالديار المصرية أيضا وعدة أمراء من أمراء الطبلخانات والعشرات .

وفى هذا الشهر كان الفراغ من مدرسة الأمير بُرْدبَك الدَّوَادار التى أنشأها بخط قناطر السِّبَاع[١] وأقيم بها الخطبة .

● شهر رجب ، أوّله الجمعة .

فيه أعيدت المعاملة بالدينار الذهب الأشرفى إلى ثلاثمائة وخمسين درهما من غير مناداة السلطان .

وفى يوم الثلاثاء خامسه أعيد القاضى محب الدين محمد بن الأشقر إلى وظيفة كتابة السّر الشريف بالديار المصرية بعد عزل محب الدين محمد بن الشِّحْنَة عنها ، وسّر الناس بولاية محب الدين بن الأشقر سرورا زائدا .

وفى يوم الاثنين حادى عشره دار المحمِلُ بالقاهرة ، ولعبت الرّمَّاحة بالقاهرة بالرُّمَيْلة كما فعلوا فى العام الماضى .

وفى يوم الأحد سابع عشره عرض القاضى جمال الدين ناظر الجيش والخاص الكسوةَ التى عملها لمقامِ سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام ، وخلع عليه من الغد فى يوم الاثنين كاملية مخمل أحمر بفَرْو سَمُّور بمقلب سَمُّور ، وقيّد له فرسٌ بسرج ذهب وكَنْبُوش زركش .

فلما وصل إلى داره لَبَّسَ الخلعة المذكورةَ للأمير بُرْدْبَك الدّوادار الثانى وأركبه أيضا الفرس المذكور بسرجه وقماشه ، ثم أصبح السلطان أخلع على القاضى ناظر الخاص المذكور أيضا / مثل خلعته بالأمس ، وأركبه فرسا مثل فرسه بالأمس ، ٣٠٣ قلت : لايستكثر عليه إذا لبس فى كل يوم خلعةً مثل ذلك ، فإن القاضى ناظر الخاص المذكور هو عظيم المملكة الآن والمشار إليه فى حَلِّهَا وعَقْدِها ، وهو أهل لما هو أكثر من ذلك .

(١) خط قناطر السباع : وينسب إلى قناطر السباع التى أنشأها الملك الظاهر بيبرس ، ونصب عليها شارتهوهى سباع من الحجارة (خطط المقريزى ٢ : ١٤٦)ومكانها اليوم ميدان السيدة زينب .

وفى يوم الثلاثاء المذكور خلع السلطانُ على الشريف مخدم بن عُقَيل بإمرة مدينة ألينْبُع بعد موت عمه مَعْزًا .

وفى يوم الخميس حادى عشرينه وصل شاهين التَّاجى دوادار الأمير جَانَم الأشرفى من البُحَيْرة ومعه قائد من قُوَّاد عرب لَبيد يَذْكُر أنَّ عرب لبيد طائعة للسلطنة ، وأنهم يريدُون رِضى السلطان عليهم ، فرحّب به السلطانُ .

وفى يوم الجمعة ثانى عشرينه سافر الأمير بُرْدْبَك الدَّوَادار الثانى وصِهْر السلطان إلى القُدْس الشريف وعلى يده كُسْوةٌ برسم مَقَام الخليل عليه الصلاة والسلام ، وسافر مع بُرْدْبَك المذكور القاضى شرف الدين التتائى الأنصارى ، والطواشى شاهين السّاقى الظاهرى ، وخرج بُرْدْبَك المذكور من القاهرة بتجمّل زائد ، وبين يديه أكابر الدَّوْلة وأعيانها .

وفى يوم الأحد رابع عشرينه استقرّ يَرْ عَلِى العَجَمِىّ الخُرَاسَانى الطويل فى حِسْبَة القاهرة بعد عزل عبد العزيز بن محمد الصغير عنها ، وقد تقدم ولاية الشيخ على هذا لحسبة القاهرة غير مَرّة كما تقدم ذكره .

● شعبان : أوّله السبت .

ففى يوم الخميس سادسه وصل الأمير يَرْشْبَاى الإينالى المؤيدىّ الأمير آخور الثانى ـــ كان ـــ من بلاد الرّوم إلى القاهرة المحروسة وعليه خلعة خوندكار محمد ابن مُرَاد بَك بن عثمان متملك بُرْصَا وغيرها من بلاد الرّوم إلى القاهرة .

ولبسُهم غيرُ لبس المصريين ، فَقَدِمَ يَرْشْبَاى المذكور بتلك الهيئة على عادة من يتوجّه إليهم ، وطلع إلى القلعة وقبل الأرضَ ، وعَرَّفَ السلطانَ أن محمد بَك المذكور أحسن إليه غاية الإحسان ، ثم نزل إلى داره .

وفى يوم الأحد تاسعه أُحْضِرَ إلى بين يدى السلطان البدوىُّ المعروف بالفضل الذى كان قبل تاريخه يقطع الطريق ويخيف السبيل ومعه ابن عمه ، فأمر السلطانُ بضربهما بالمقارع ، فضربا بين يديه ، ثم سُمِّرَا على جملين ثم سُلِخاَ وجُعِل جلدُهما

بَوًّا[١] ، وأرسلا إلى الشرقية ؛ وسبب ذلك أن الفضل المذكور كان خارجا عن الطاعة قاطعا للطريق مخيفا للسبيل ، ودام على ذلك / مُدَّة سنين ، وشُهِرَ بالشجاعة ، ٣٠٤ وتطلبته الولاةُ والكُشَّاف فلم يقدروا على تحصيله ، فكان يأتى البلدَ نهارا ويقيم على بعد منها ، ثم يرسل قاصِدَه إلى أهل تلك البلد يقول : قد قررعليكم الفضلُ كيتَ وكيت ، فيقوم أهل البلد المذكور يجبون له ماطلبه بسرعة ويأتونه به من غير تهاون ، وإن لم يفعلوا ذلك غضب عليهم وغاب عنهم أياما قلائل ثم يطرقهم ليلا ويأخذ ماشاء ، وأقام على ذلك مُدَّة وأعْيَا الحُكَّام أمْره ، إلى أن قدم إلى السلطان طائعا ، فأمنه السلطانُ وتاب عن ذلك ، ونزل إلى القاهرة وشَقَّ بها ، وأقام بها أيَاما وصار إذا مشى بالقاهرة تَعْدُو العَوَامُّ خلفه للفرجه عليه ، وهو يضحك من ذلك ، ثم توجّه بعد ذلك إلى بلاده وأقام أشهرا ، فبلغ السلطان من الأستادار زين الدين أنَّ الفضل صار يفعل كما كان يفعل أولا ويقطع الطريق فى الباطن ، فلا زال به رين الدين الأستادار حتى استقدمه بالأمان ، وطلع به إلى السلطان ، وكان ذلك آخر العهد به .

وفى يوم الأربعاء ثانى عشره — الموافق الرابع عشر مسرى — اوفى النيل المبارك ستة عشر ذراعا وزاد سبعة أصابع من الذراع السابع عشر ، ونزل المقام الشهابى أحمد ابن السلطان الملك الأشرف إينال من القلعة وعدّى النيل حتى خلّق المِقْيَاس ، وعاد وفتح خليج السدّ على العادة ، وكان يوما مشهودا ، ولله درُّ القائل فى ذلك [الخفيف] :

حَزِنَ الخزّانُ لما أن رأى ... نيلنا قد عمَّ سهلا وجبل
ورَأى الزرعَ عُرُوقا أخرجت ... سُنْبُلاتٍ ذَات حَبٍّ فاختبل
وبكى إذ رمدت مقلته ... زاده الله عروقا وسَبَل

وفى يوم الخميس العشرين منه ورد الخبرُ على السلطان من البُحَيرة بأن الأمير جَانَم أحد مقدّمى الألوف ركب بمن معه من المماليك السلطانية من منزله وطرق عَرَب لبيد وحصَلَ بين الفريقين قتالٌ عظيم ، وانتصر جَانَم المذكور على عرب لبيد ،

(١) البو : أصله حلد ولد الناقة يحشى تبنا . ويقرب من أم الفصيل فتحدع وتعطف عليه فتدر .. ومه المثل« فلان أحدع منّ البو » والمراد هنا أن حلدهما حشى تبنا على صورة مايحشى حلد ولد الناقه .

وقتل منهم خلقا كثيرا ، وأسر جماعة أخر ، وغنم عسكرُه شيئاً كثيرا ، ولم يُقْتَل من عسكره غير أناس قليلة ، من المماليك السلطانية اثنان ومن مماليك الأمرآء واحدٌ ، فسرّ السلطان بذلك وخلع على شاهين دوادار الأمير جَانَم / وشكر له ذلك ، ورسم باستمرار العسكر هناك إلى أن يرسم السلطان بعودهم .

٣٠٥

وفى هذه الأيام كلّم زين الدين الأستادار السلطانَ فى قطع جَوَامِك أوْلاد الناس المستجدة ، فمال السلطان إلى كلامه وعَرَضَهم فى يوم الأحد ثالث عشرينه بالحوش السلطانى ، وقطع جَوَامك جماعة كثيرة منهم ، فعظم ذلك على الناس ، وانطلقت الألسن فى حق زين الدين الأستادار وغيره ، ودام هذا الأمر إلى أن حضر الأمير بُرْدْبَك صهر السلطان والدوادار الثانى من القُدْس الشريف وصحبته القاضى شرف الدين موسى التتائى الأنصارى ، والطواشى شاهين السّاقى الظاهرى ، وخلع السلطانُ عليهم ونزلوا إلى دُورهم ، ثم طلع بُرْدْبَك المذكور بعد ذلك إلى السلطان وعرّفه أن فيما فعله من قطع جَوَامِك أوْلاد الناس دمارا عليه وعلى مملكته ، فرجع السلطانُ إلى كلامه على ما سيأتى ذكره .

ولما عرض السلطان أولاد الناس فى اليوم المذكور وقطع من قطع منهم وعَظُم ذلك على الناس استأنف السلطان من العرض ثانيا ؛ فإنه لم يعرض فى ذلك اليوم غير ستة أطباق ، ورسم لزين الدين الأستادار أن يتحدث فى ذلك وينظر من يكون إقطاعه كبيرا يقطع جامكيته ، ومن يكون إقطاعه دون ذلك يبقيه ؛ فحينئذ وصل زين الدين إلى مُرَادِه وفتك فى الخلق ، فلما رأى الوزير الصاحب أمين الدين إبراهيم ذلك تحرَّك أيضا وشكى إلى السلطان كثرة الرَّوَاتب ، فرسم السلطانُ بقطع من يكون له زيادة على زبدية من اللحم الرَّاتب — فقطع شىء كثير — والزبدية عبارة عن رِطْلَين ونصف وربع رطل ، وإن كان صاحب وظيفة يكون له خمسة أرطال لاغير ، وكان قبل ذلك يأخذ صاحب الوظيفة ثمانية أرطال ، وبعضهم يأخذ عشرة ، وهذا الأمر ليس هو بالتخصيص فى حق أولاد الناس بل المماليك السلطانية جميعهم قاطبة ، فعند ذلك كثر هرج الناس وماج العسكرُ ، فتكلم بُرْدْبَك مع السلطان فى ترك ذلك جميعه ، وأن يكون كل أحد على حاله ، فرسم له بذلك .

● شهر رمضان : أوله الاثنين .

فلما كان يوم الأربعاء ثالثه نُودِى بالقاهرة مِنْ قِبَلِ السلطان بأن كل أحد مستمرّ على حاله ، ومن قطع له شيء يعود إليه كما كان أولا ، من أولاد الناس وغيرهم ، وكذلك فى رواتب/اللحم وغيره ، فسرّ الناس بذلك . ٣٠٦

وفى يوم الخميس رابعه وصل الأمير جَانِبَك الظاهرى جَقْمَق أحد أمراء الطبلخانات وشاد بندر جدّة من الحجاز الشريف إلى القاهرة ، وطلع إلى السلطان ، وقبّل الأرض ، وخلع عليه وعلى رفيقه القاضى تقى الدين نصر الله .

وفى يوم الخميس ثامن عشره قدم من البحيرة إلى القاهرة قُوزِى القَرْدَمِى الخاصكى وأخبر بأن عرب لبيد رَحَلَت من البحيرة إلى نحو بلادهم .

وفى يوم الثلاثاء ثالث عشرينه قبض زين الدين يحيى الأستادار عَلَى عَلِىّ بن الأهناسى المعزول عن الأستادارية قبل تاريخِهِ من بيت بعض الأقباط الكتبة ، وأخذه هو ووالده على أقبح وجه إلى داره ، فأقام عنده ثلاثة أيام ثم تسلّمه منه المقر الجمالى ناظر الجيش والخاص ؛ وسبب قبض زين الدين عليه بحساب كان بينهما متعلق بديوان ابن السلطان ، وأيضا لما فى النفوس ، وكان على بن الأهناسى قبل تاريخه بمدة يسيرة وقع بينه وبين زوجته أمور وشكاوٍ عند القضاة ، ورافعت فيه زوجتهُ المذكورة عند السلطان وغيره ، وأفحشت فى ذلك إلى الغاية . قلت : وهذا تصديق قول من قال كن من الخَيِّرات منهن على حذر ولو طالت المدة .

وفى يوم الخميس خامس عشرينه وصل الأمير جَانَم بمن معه من الأمراء والعساكر من البحيرة ، وخلع السلطان عليه وعلى رفقته .

● شوال : أوّله الثلاثاء ـــ ويوافقه سابع عشرين توت .

فيه نُوْدِىَ على النيل المبارك بزيادة أحد عشر إصبعا من عشرين ذراعا ، وهذا انتهاء زيادته فى هذه السنة .

وفى يوم الخميس ثالثه خلع السلطانُ على جماعة من مشايخ البُحَيرة بعد أن

ضمنوا أمر عرب لبيد،وأن لبيدا يقيمون بالبحيرة للبيع والشراء حتى ينتهى أمرهم ثم يعودون إلى بلادهم ، فرسم لهم السلطان بذلك .

وفى ليلة الجمعة رابعه ــ ويوافقه الثلاثون من توت ــ أمطرت القاهرة مطرا عظيما مع رعد وبرق حتى غرقت ، هذا والبحر فى عشرين ذراعا حسبما تقدم ذكره ، لكنه من يومه أخذ فى النقص ، فسبحان من يتصرف فى ملكه كيف يشاء .

٣٠٧ وفى يوم الخميس عاشره / قدم من طَرابُلُس فياض بنُ ناصر الدين بَك بن دُلْغَادر ليسعى فى نيابة أُبُلُسْتَين بعد وفاة أخيه سليمان بن ناصر الدين بَك بن دُلْغَادر ، وقد راج أمر ولاية ابن أخيه رَسْلاَن بن سُلَيْمَان فى نيابة أُبُلُسْتَين ، ولم يبق إلا سفر من يتوجّه إليه بالتقليد والتَّشْرِيف فلم ينتج أمر فيّاض المذكور وسافر يَشْبُك الخاصِّكِي الأشرفى وعلى يديه تقليد رَسْلاَن المذكور بنيابة أُبُلُسْتَين ، واستمر فيّاض هذا على إمرته بطَرابُلُس وهى إمرة طبلخاناه .

وفى يوم السبت ثانى عشره قدم إلى القاهرة ركبُ المغاربة وصحبتهم تقدمة هائلة من صاحب الغرب للسلطان ، فأنزلهم السلطانُ بالميدان من تحت قلعة الجبل ، وكانوا جمعا كبيرا إلى الغاية ، ومعهم أشياء كثيرة من أنواع المتجر كالرقيق والخيول والأقمشة وغيرذلك ، ونفق سوقهم على المصريين ، وباعوا أحسن بيع .

وفى يوم السبت تاسع عشره برز أمير حاج المحمل الأمير جَانِبَك مِن أمير الأشرفى بَرْسْبَاى الخازندار بالمحمل إلى بركة الحجاج ، وأمير الركب الأول فى هذه السنة الأمير خَيرْبَك الأشرفى بَرْسْبَاى أيضا أحد الدوادارية الأجناد ، واستقل الركب الأوّل بالمسير من بركة الحجاج في صبيحة يوم الاثنين ، وسافر المحمل من الغد فى يوم الثلاثاء ومعهما خلائق لاتُحْصَى من الحجاج من أجناس مختلفة كالمغاربة والتكرور والتركمان وغيرهم . فالله تعالى يعاملهم بلطفه بمنه وكرمه .

وفيه وصل قاصدُ الأمير قَانِى بَاى الحمزاوى نائب حَلَب إلى القاهرة وعلى يده مطالعة مرسلة تتضمن طلب حضور نائب حَلَب المذكور إلى القاهرة ، فشكر له السلطانُ ذلك ولم يأذن له فى المجىء ، وأرسل إليه فرساً بسرج ذهب وكُنْبُوش زركش ، وكثر الكلام فى طلب نائب حلب المجىء ؛ فإنه كان قد أشيع بعصيانه من أوّل دولة السلطان ، بل من أواخر الدَّولة الظاهريّة جَقْمَق ، وإنه لايُعْلِنُ بالعصيان ولا إذا طُلِبَ للحضور إلى الديار المصرية يحضر ، واستمرّ على ذلك ، فلما طلب الآن الحضورَ . فمن الناس من قال : إن هذا الطلب مكيدة وأنه أرسل ليستفهم لينظر مايفعله السلطان ، ومن الناس من قال . غير ذلك ـــ والله أعلم . قلت : والذى فعله السلطانُ هو الصواب ؛ لأنه إن كان عاصيا كانت / الفتنة تثور ويصير الأمر إلى أمور ، ٣٠٨ وإن كان طائعا فلا يضرّه عدم مجيئه .

وفى يوم الخميس رابع عشرينه وصلت إلى القاهرة من نابُلُس رأس محمد بن عبد القادر المعزول عن مشيخة نابلس بابن عمه قبل تاريخه ، وطيف بها على رُمح فى شوارع القاهرة ، ثم علقت أياما ؛ وسبب قطع رأسه أنه كان لما عزله الملك الظاهر جَقْمَق رحمه الله حبسه بسجن الإسكندرية ، فاستمر فى السجن إلى هذه السنة تحيّل أن لبس زى النسْوة وخرج من السجن ، ولازال حتى توصّل إلى نَابُلُس ، وانضم إليه جماعةٌ من أعوانه وأصحابه ، وطرق ابنَ عمه المتولى وتقاتلا ، فانكسر محمد هذا وقتل ، وقتل معه جماعة من أصحابه وأرسل ابن عمه رأسه إلى السلطان ، فسرّ السلطانُ بذلك وأرسل إلى ابن عمه باستمراره .

وفى العشر الأخير من هذا الشهر حضر إلى القاهرة الأمير سوُدُون الأبوبَكْرِى المؤيدى المعزول عن نيابة حماة قبل تاريخه فى الدولة الظاهرية ، والمستقر على تقدمة ألف بدمشق ، وسبب قدومه أنه كان قد مَرِضَ فى العام الماضى مرضا شديدافأخرج الملك الأشرف إينال تقدمته للناصرى محمد بن مُبارك ، فلما عُوفىَ حضَر لطلب رِزْق فأنعم السلطانُ عليه بتقدمة ألف بَطرابُلُس إلى أن ينحلّ له إقطاع .

وفى هذه الأيام أيضا هرب محمد بن على بن إينال ولم يعلم أحدٌ أين توجّه ؛

وسبب تسحّبه شكوى خَوَنْد بنت الملك المؤيّد عليه بسبب هدمه لمنظرة « الخمس وجوه » المعروفة « بالتاج وسبع وجوه » وأخذه أنقاضه ، ومحمد هذا كان من مساوىء الملك الظاهر جَقْمَق ؛ ربَّاه صغيرا لأن الظاهر [جقمق] كان [١] قبل أن يتصل إلى الملك الظاهر بَرْقُوق كان مملوكا لأمير على والد محمد المذكور ، فلأجل ذلك أخذه ورَبَّاه ، ثم جعله من جملة مماليكه لما كبر ، واستمر على ذلك سنين ، ثم بَدَا له أن يترك زى الجند ويلبس بالفقيرى ، ففعل ذلك . وتفقَّر وسأل الناس ، وتخومل ، ودام على ذلك دهرا إلى أن تسلطن الملك الظاهر جَقْمَق طلبه وأَمَرَه أن يلبس كعادته أوّلا، فامتنع ولم يفعل ، واستمر على حاله ، وكان أخوه أحمد أيضا ٣٠٩ بخدمة الملك الظاهر جَقْمَق ، وأحمد هو الأسنُّ ، / وهُم غيْر أشقاء ، فأنعم الملك الظاهر جقمق على أخيه أحمد بإمرة عشرة ، فلما رأى محمد هذا ما وقع لأخيه أحمد داخله الحسد ، وبقى لايمكنه العَوْد إلى الجندية ، ففتح بابا آخر من السؤال والطلب والبلص[٢] ، وصار لايقنعه مافى بيت المال [٣] من الملك الظاهر جَقْمَق ، وبقى يركب حمارا ويطلع إلى القلعة : ويتردّد إلى الأكابر ويسألهم طيبة وغصبا ، وأظهر من قبيح الخصال وعظم الطمع ماسيذكر عنه إلى يوم القيامة ، ثم بعد مدّة ركب فرساً ثم صار أمير شــكـــار ، ثم أنعم عليه أيضا بإمرة عشرة وذلك بعد أن أخذ عدة إقطاعات حلقة[٤] ، ولم يكفه هذا كله حتى أنهى إلى الملك الظاهر أن التَّاج المذكور يقع فيه ــ من المتفرجين ــ فواحش وأمور عظيمة ، وأن هدمه من أكبر المصالح ، ولم يكن لكلامه صحة وإنما كان هذا المكان من أحسن أبنية مصر وأنزهها ، وأما الشيخ حيدر الذى كان ساكنا به فكان من خيار الناس دِيناً وصلاحاً وعفّة ، وكان ممن يُلْتَمَسُ منه الدعاء ، وكان قد عمل فيه مِحْرَابا وأعلاما من أعلام

---

(١) الإضافة للتوضيح .

(٢) البلص : أخذ المال ظلماودون وجه مشروع . والآخذ له يسمى « بلاصى » وجمعوه على بلاصية ــ المحقق .

(٣) أى ماقرره له الملك الظاهر جقمق من بيت المال .

(٤) إقطاعات حلقة : الاقطاع هو مايقطع من الأرض الحراجية إلى الأمراء أو الجند . والمراد هنا ما يقطع من الأرض لجندى فى الحلقة .

الرِّفاعية[١] ، وصار لايُسَمَّى التاجَ هذا إلا الزاوية ، وبالجملة لقد كان التاج من محاسن الدنيا ، وهو من البناء القديم بالقرب من كوم الريش[٢] خارج القاهرة ، وتشعَّث بنيانهُ وتهدَّم ، فجدده الملك المؤيد شيخ رحمه الله ، وغرم عليه نحو العشرين ألف دينار ، ونزل إليه من القلعة غير مَرّة . وأقام به و عمل فيه الخدمة ، وأراد أن يعمرّ ما حوله فأدركته المنية ، فلما تسلطن الملك الأشرف بَرْسْباى أسكن به الشيخ محمد حَيْدَر الرِّفاعى هذا وإخوانه وأنعم عليه برِزْقَةٍ بالقرب منه ، فدام به حِيْدَر المذكور نحو الثلاثين سنة ، وكان بينى وبينه صحبة أكيدة ، وكان من الأفراد فى معناه ، ديِّناً خيِّراً عفيفا عما يُرْمى به أوباش العجم – رحمه الله تعالى .

فلما سمع الملك الظاهر كلام محمد هذا صدّقه وأمر بهدمه ، فتولّى محمد هذا هَدْمَه ، واستولى على جميع أنقاضه ، وباع منه بجمل مستكثرة من أحجار وأخشاب وشبابيك حديد وأشياء غير ذلك لاتدخل تحت حصر ، وصار التاج المذكور خرابا قفرا ، وما كفاه هَدْمُ التاج حتى عَمَّر ببعض أنقاضه موضعا على كُوم القنطرة الجديدة سموه العوام المخلوعة ، فصار يأويه / بعض الحشّاشين والفسقة ، ٣١٠ فعظم على الناس قاطبة هدم التاج المذكور إلى الغاية .

وهيئة محمد هذا أنه رجل طوال كبير اللحية والشوارب أهوج فى كلامه ، وأما لبسه فيلبس ثيابا بأكمام كبار كهيئة عرب البحيرة ، ويركب بسرج بداوى مُدوَّر كهيئة الأعراب أيضاً ، ثم حمل بعض الأحيان على يده طَيْراً من الطيور الجوراح ، ويمشى على هذه الهيئة بالشوراع فإذا نظر إليه من لايعرفه يتحير فى أمره واختلاف ملبسه ، فكانت هيئته مهولة مضحكة ، وكل ذلك من الجنون وخفة العقل ، والجنون فنون . واستمر على ذلك إلى أن تسلطن الملك الأشرف إينال أخرج

(١) الرفاعية : طائفة صوفية تنسب إلى مؤسسها الأول أبى العباس أحمد بن على الرفاعى المتوفى ٢٢ حمادى الأولى سنة ٥٧٨ هـ فى قرية أم عبيدة من أرض واسط . وانظر دائرة المعارف الإسلامية ٨ . ١٤٧ ، ودائرة معارف فريد وحدى ٤ : ٢٦٦ .

(٢) كوم الريش : بلدة فيما بين أرض البعل ومنية السيرج . كانت على النيل يمربها من غربها بعد مروره بغربى أرض البعل . وكان « التاج والخمس وجوه » قصرا من قصور الخلفاء بناه الافضل بن أمير الجيوش . وجدده السلطان شيخ المحمودى . وكان من أجل متنزهات القاهرة وانظر (خطط على مبارك ١٥ : ١٣ ، ٢ : ٤) .

إمرته عنه ومنعه من الأمير شكارية وأخذ أمره فى انحطاط إلى أن شكت منه علية بنت المؤيد ، وطلبت منه ثمن ما باعه من أنقاض التاج . فأقام فى الترسيم أياما ووزن بعض ذهب أقل من ألف دينار ، ثم هرب فلم يعرف آين ذهب – إلى حيث ألقت – ثم ظهر بعد أيام ولزم داره .

● ذو القعدة : أوّله الأربعاء .

ففى يوم الثلاثاء سادسه عين السلطان تجريدة إلى البحيرة بسبب عود عرب لبيد،ومقدّم العسكر الأمير الكبير تَنِبَك الظاهرى ، فاستعفى تَنِبَك المذكور فعيّن عوضه الأمير خَير بك المؤيدى أحد مقدمى الألوف ، وعين معه عدة أمراء طبلخانات وعشرات .

وفى يوم الجمعة عاشره ــ ويوافقه خامس هاتور ــ لبس السلطان القماش الصوف الملوّن ، وألبس الأمراء على العادة .

وفى يوم السبت حادى عشره عرض السلطان المماليك السلطانية وكتب منهم جماعة كثيرة إلى البحيرة ، ثم عرض فى يوم الأحد من الغد أيضا وكتب جماعة أخر ، ثم عرض فى يوم الأربعاء خامس عشره ، ثم سكن الحال ، وورد بعد ذلك الخبر بردود عرب لبيد .

وفى يوم السبت حادى عشره أيضا هرب الوزير الصاحب أمين الدين إبراهيم ابن الهيصم واختفى ، فتغير السلطان على جماعة المباشرين .

ثم فى يوم الاثنين قبض السلطان على زين الدين يحيى بن الأشقر وعوّقة بقلعة الجبل ، وخلع على الأمير ناصر الدين محمد بن أبى الفرج نقيب الجيوش المنصورة فى يوم الثلاثاء رابع عشره بالأستدارية عوضا عن زين الدين المذكور ، وخلع أيضا على فرج كاتب المماليك بعوده إلى الوَزَر عوضا عن الصاحب أمين الدين إبراهيم ابن الهيصم وكان فى أمسه قد خلع علَى فرج المذكور بعوده إلى كتابة المماليك عوضا عن القاضى تاج الدين عبد الله بن المقسى ، وكان القاضى تاج الدين المذكور قد باشر كتابه المماليك أحسن مباشرة ، وسلك فيها أجمل طريقة ، وحسنت فى ذلك وأحبته الناس . / ٣١١

وفى يوم الأربعاء ضرب السلطانُ زين الدين الأستادار وألزمه بحمل جملة كبيرة من المال ، وأخذ زين الدين فى بيع قماش بدنه وأوانيه وغيرذلك .

وفى يوم الاثنين العشرين منه أخلع على القاضى حسام الدين بُرَيْطع باستقراره قاضى قضاة الحنفية بدمشق عوضا عن القاضى حميد الدين بحكم عزله وإخراجه إلى حلب .

وفى يوم الخميس أُخْرِج القاضى محب الدين بن الشِّحنَةِ إلى القدس بطالا .

وفى يوم السبت خامس عشرينه أطلق زين الدين يحيى الأستادار من محبسه بالقلعة ، ونزل إلى بيت القاضى ناظر الجيش والخاص على أنه يفى مابقى عليه ثم يتوجّه إلى القدس ويقيم به بطالا .

وفيه استقرّ عبد العزيز بن محمد الصغير فى نقابة الجيش عوضا عن الأمير ناصر الدين محمد بن أبى الفرج بحكم استقراره فى الأستادارية عوضا عن الأمير زين الدين يحيى الأشقر .

وفى يوم الأربعاء تاسع عشرينه رسَمَ السلطانُ أن يطلع المهندسون إلى مدرسة السلطان حسن لكشف مئذنتها القبلية فإنه قيل للسلطان إنها أشرفت على السقوط ، فطلع إليها جميع مهندسى القاهرة فلم يجدوا بها شيئا مما قيل ، بل من كثرة الرّمى عليها بالمكاحل فى أيام الحروب تخرق بعض رصاص القبة وانعوج هلال القبة ، فأخرج الهلال وبقيت القبة بلا هلال . قلت : وهذا أمرلاسهل بالهلال ولا بالمئذنة ؛ فإن هذه المدرسة ومئذنتها وقبتها من عجائب الدنيا ، وهى أحسن بنيان بنى فى الإسلام ، وقد استكملت هذه المدرسة من يوم الابتداء فى عملها إلى سنتنا هذه مائة سنة ؛ فإن الملك الناصر حسن شرع فى بنائها سنة ثمان وخمسين وسبعمائة ، وقتل فى سنة اثنتين وستين وسبعمائة . رحمه الله تعالى ، وكان بناؤه لهذه المدرسة وعمارته لها على هذه الهيئة ممّا يدلّ على علو همته ـــ رحمه الله تعالى .

● ذو الحجة : أوّله الخميس .

٣١٢ ففى يوم الجمعة ثانيه سافر زين الدين / الأستادار إلى القُدْس بطالا .

وفى يوم الاثنين خامسه خلع السلطان على شخص من الأسالمة يسمى شمس الدين نصر الله بن النجار باستقراره فى نظر الدولة ، وكان لهذه الوظيفة مدة أشهر شاغرة . قلت : ما أحلى هذا القران ، ما لهذا الوزير[1] إلا هذا الناظر للدولة ، ولو ولى التاج الخطير استيفاء الدولة لكان يَكمل الدست به .

وفى يوم السبت عاشره صلّى السلطان صلاة عيد الأضحى ثم خرج إلى الإيوان ليضحى ، وجلس حتى يقوم للذبيحة وإذا بالمماليك الجُلْبان قد هجموا على الإيوان فردّهم من حضر من رءوس النُّوَب،فتقهقروا قليلا ثم حطموا حطمة كبيرة ، وأكثروا من الرَّجم حتى أصيب بعض الأمراء ، ثم اقتتلوا فيما بينهم وعظمت الغوغاء ، فقام السلطان من وقته ولم يذبح شيئاً بالجملة ، وتوجّه إلى الحوش وذبح به ، فكانت هذه القضية من أقبح الأمور .

وفى يوم الثلاثاء العشرين منه وصل إلى القاهرة الأمير آقبردى الساقى الظاهرى أتَابَك حَلَب ، وقبّل الأرض بين يدى السلطان ، وأخلع عليه كاملية بمقلب سَمّور .

وفى يوم الاثنين سادس عشرينه نزلت المماليك الجُلْبان الذين بالأطباق وقصدوا بيت الأستادار ابن أبى الفرج ، ونهبوا جميع ماكان فيه من قماش وذهب ومتاع وأوان وسلاح ، وقيل كان شيئاً كثيرا إلى الغاية ، قيل إن قيمة ماأخذ من بيته فى هذه النهبة خمسة وعشرون ألف دينار ، هذا بعد هتك حُرَمه والرُّعب الذى حصل لهن، وكان سبب ذلك تعويق الجامكية ، ولما وقع ذلك شاعت الأخبار وانتشرت بالبلاد والقرى وكثر قطع الطريق وإخافة السبيل ، كل هذا والسلطان لايكترث بما وقع ولا يلتفت إلى إصلاح شأنه ، فسبحان المدبّر .

---

(١) يقصد الوزير فرج بن النحال القبطى المصرى ، الذى ولى الوزارة فى رابع عشر ذى القعدة من هذا العام انظر ص ٤٣٣ .

وفى يوم الأربعاء مسك السلطانُ عبد الرحمن كاتب المماليك وضربه علقة هائلة وحبسه بالقلعة إلى أن تُكُلّمَ فيه فأطلقه من الغد على أنه يقوم بخمسة آلاف دينار ، ثم آل أمره إلى حمل ألف دينار .

وفى يوم الخميس المذكور أخلع على الأستادار ابن أبى الفرج المذكور خلعة الاستمرار بعد أن ٱستعفى من الوظيفة ، وذكر أنه لايملك صفراء ولا بيضاء .

وفرغت هذه السنة والأسعار رَخِيّة غير أن البلاد غير مطمئنة ، والفتن واقعة فى البحيرة بين العرب الطائعة والعاصية ، والسبل مُخاَفة وذلك لعدم اكتراث الملك لذلك ولِلِينِه / ، وفيها كان الفراغ من مدرسة الأمير بُرْدُبَك الدوادار الثانى بخط قناطر السّباع خارج القاهرة ، ومبشر الحاج فى هذه السنة شخصٌ من النجّابة وقدْ عُوِّق عن الحضور أياما ثم قدم فى أواخر العشر الأخير من ذى الحجة . ٣١٣

● أمر النيل فى هذه السنة :

كان الماء القديم سبعة أذرع وخمسة عشر إصبعا ، مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعا وأحد عشر إصبعا ، وكان ذلك فى مستهل شوّال الموافق لسابع عشرين توت أحد شهور القبط . والله الموفق .

★ ★ ★

﴿ ذكر من مات من الأعيان فى هذه السنة ﴾

توفى الأمير يَلْبُغَا الجَارْكَسِّى[١] أحدأمراء الطبلخانات فى يوم السبت رابع شهر ربيع الآخر بعد مرض طويل ، كان تركى الجنس ، أصله من مماليك الأمير جاركس القاسمى المصارع ، ثم صار خاصِّكيّاً بعد موت الملك المؤيد شيخ ، وأقام على ذلك سنين عديدة إلى أن تسلطن الملك الظاهر جَقْمَق فقرّب يَلْبُغَا المذكور لكونه من جملة مماليك أخيه جاركس المصارع ، وأنعم عليه بإمرة عشرة ، وجعله من جملة رءوس النوب ، ثم ولاه رأس نَوْبة ولده المقام الناصرى محمد مدة ثُمَّ عُزل واستقرّ على إمرته ووظيفته رأس نَوْبَة السلطان،إلى أن ولاَّه الملك الظاهر بعد سنين نيابة دِمْيَاط ، وجعله من جملة أمراء الطبلخانات ، وطالت مدته بدِمْيَاط إلى أن عزله الملك الظاهر قبل موته بمدة يسيرة ، وقدم إلى القاهرة ودام بها ، ثم مرض وطال مرضه إلى أن أخرج الملك الأشرف إينال إقطاعه وأنعم به على الأميرين تَنَم الحَسَنِىّ الساقى الأشرفى وقَلَمْطَاى الإسحاقى الأشرفى ، واستمر يَلْبُغَا مريضا بطالا إلى أن مات فى التاريخ المذكور ، وسنه نيف على السبعين ، وكان مسرفا على نفسه لم يشتهر بدين ولا شجاعة ولا كرم . عفا الله عنه .

وتوفى القاضى ناصر الدين محمد [بن محد بن يحيى بن محمد][٢] ابن قاضى القضاة فخر الدين أحمد بن عبد الله ، الشهير بابن المخلِّطة أحد نّواب الحكم المالكية وناظر البيمارَسْتَان المنصورى ، فى يوم الأحد تاسع عشرين شهر ربيع الآخر ومولده[قريبا من تسعين وسبعمائة][٢] وكان فقيها عارفا بمذهبه ، وعنده دُرْبَة بالشروط والأحكام،وولى الحكم سنة سبع عشرة وثمانمائة / وحمدت سيرته ، ٣١٤ وصحب الملك الأشرف إينال قديما قبل سلطنته ، فلما تسلطن ولاَّه نظر البيمارَسْتَان

(١) ترجم له المؤلف فى (النجوم الزاهرة ١٦ : ١٧ ط . الهيئة العامة للكتاب) .

(٢) بياض بالأصل . والإثبات عن (السخاوى ـــ الضوء اللامع ١٠ : ٢٧) وقد ترجم له المؤلف فى (النجوم الزاهرة ١٦ : ١٧٠ ط . الهيئة العامة للكتاب) .

من غير سعى بعد عزل شرف الدين موسى التتائى الأنصارى عنها ، فلم تطل مدته ومات رحمه الله فى التاريخ المذكور .

وكان رحمه الله من بيت علم وفضل ورياسة وأصل عريق ، وكان جده قاضى القضاة فخر الدين أحمد من أعيان فقهاء المالكية فى زمانه . ذكره العلامة الحافظ برهان الدين بن فَرْحُون[1] فى كتابه المسمّى بـ « الديباج المُذهب فى معرفة أعيان علماء المَذْهَب » فيمن اسمه أحمد من الطبقة الأخيرة من أصحاب مالك فقال : كان فاضلا فى مذهب مالك إماما فى الأصول والعربيّة ، رحل إلى الشام ، وسمع من الحافظ أبى الحجاج المِزِّى وشمس الدين الذّهبى ، وغيرهما ، وقرأ الأصول على شيخ الفن شمس الدين الأصفهانى ، والعربية على القاضى عماد الدين أبى الحسين الكِنْدِى ، وعلى أثير الدين أبى حَيَّان ، وتفقّه بالإمام أبى جعفر عمر بن فراج ، وتفقه بقاضى القضاة فخرالدين المذكور جماعة منهم:العلاّمة شهاب الدين أحمد بن عمر ابن على بن هلال الرّبعى وغيره ، وتوفى القاضى ناصر الدين المذكور فى التاريخ المذكور ، ولم يخلف بعده مثله ضخامةً وعلما ومعرفة ودينا وعِفَّة . رحمه الله تعالى . والمُخَلِّطَة بالخاء المعجمة واللاّم المشددة المكسورة والطاء المهملة ، كذا ضبطه الحافظُ بُرْهَانُ الدين بن فَرْحُون فى ترجمة جده قاضى القضاة فخر الدين رحمه الله تعالى وعفا عنا وعنه .

وتُوُفِّى المقامُ الغَرْسى خليل ابن السلطان الملك الناصر فرج ابن السلطان الملك الظاهر بَرْقُوق[2] ابن آنص الجاركسىّ الأصل المصرى المولد الإسكندرانى المنشأ الدِّمّياطى الوفاة ، فى يوم الثلاثاء ثانى عشر جمادى الأولى بثغر دِمْيَاط ، ودفن به ، ومولده فى سنة أربع عشرة وثمانمائة ، وبقى بقلعة الجبل إلى أن أخرجه الملكُ المؤيد شيخ مع أخيه محمد إلى ثغرالإسكندرية فحبسا بها مدة سنين إلى أن سألت عمتُهما

---

(١) هو إبراهيم بن على بن محمد بن فرحون — برهان الدين اليعمرى ، ولد ونشأ ومات بالمدينة ، وهو مغربى الأصل . وينسب إلى يعمر بن مالك بن عدنان وتوفى عن سبعين عاما تقريبا سنة ٧٩٩ هـ وله الديباج المذهب فى تراجم أعيان المذهب — المالكى — وهو مطبوع الزركلى — الأعلام ١ : ٤٧ .

(١) ترجم له المؤلف فى « النجوم الزاهرة ١٦ : ١٧١ ط . الهيئة العامة للكتاب » وذكر أن أمه أم ولد تسمى «لا أفلح من ظلم » .

خَوَنْدزينب زوجَها الملك المؤيّد شيخاً فى حضورهما ، فأحضرهما إلى قلعة الجبل فحبسا بها ، واستمرا بقلعة الجبل إلى أن أخرجهما الملك الظاهر طَطَر ثانيا إلى الإسكندرية فى أواخر سنة أربع[1]/ وعشرين وثمانمائة ، فداما بها إلى أن تُوُفِّى أخوه محمد بالطاعون فى سنة ثلاث وثلاثين ، وبعد مدة أطلق خليل هذا من الحبس ، ورسم له الملك الأشرف بَرْسْبَاى بالسكنى بالإسكندرية من غير أن يركب إلاّ إلى صلاة الجمعة فيركب فرس نائبها ويصلى الجمعة ثم يعود إلى داره ، واستمرّ على ذلك إلى أن رسم له الملك الظاهر جقْمَق بالركوب ، وبعث إليه بفرس عليه قماش ذهب ، ثم منع من ذلك مدة طويلة ، ثم رسم له ثانيا بذلك ، وأذن له فى الحج فتهيأ للحج فى سنة ست وخمسين ، وقدم إلى القاهرة بعد نصف شوّال ، ونزل بيت صهره زوج أخته خوند شقراء بحدْرَة البَقر ، وطلع إلى السلطان بعد مجيئه بيومين ، فلما رآه السلطانُ بالغ فى تعظيمه حسبما ذكرناه فى وقته فى هذا الكتاب حتى إنه جلس بين يديه وخلع عليه كاملية مخمل بمقلب سمّور ، ونزل إلى بيت أخته إلى أن توجّه إلى الحج صحبة الحجاج . وعاد ، ففى يوم عوده إلى بركة الحاج خلع الملك الظاهرُ نفسه وسلطنَ ولَدَه عثمان ، فقدم خليلُ هذا من بركة الحاج ونزل بتربة جَدّه الظاهر بَرْقُوق حتى أصبح من الغد وطلع إلى القلعة وسلّم على الملك المنصور عثمان ، ثم خرج من عنده وخرج ليعود الملك الظاهر فى مرضه ، ثم نزل بعد أن ألبسه الملكُ المنصور كاملية بمقلب سَمّور ، وفى حال نزوله رَسَمَ الملكُ المنصور بتوجهه إلى ثغر دِمْيَاط فى يومه ، فنزل بتربة جدّه وسافر من ليلته فى بحر النيل إلى دمياط ، وكان ذلك فى ليلة خامس عشرين المحرم ، فدام بدمياط إلى أن مرض بالبطن ، ومات بدمياط ، ودفن بها أيّاماً ، ثم أُخرج فى سحلية[2] وحضرت رمته إلى القاهرة فى

---

(١) فى الأصل « ثلاث وعشرين » وقد ورد بهامش اللوحة « صوابه أربع وعشرين »وهو يتفق مع ماجاء (بالنجوم الزاهرة ١٦ : ١٧١ ، جـ ١٤ : ١٨٥) .

(٢) السحلية : صندوق من الخشب المحكم الصنع مبطن بالزنك أو الرصاص ، توضع فيه الجثة ويغلق بإحكام ثم يوضع فى القبر

يوم الجمعة ثالث جمادى الآخرة من السنة ، ودفن بتربة جدّه بالصحراء ، وصلّى عليه القضاة ثانيا قبل نزوله إلى القبر .

وكان صفته أخضر اللون ، للطول أقرب ، نحيف البدن ، أسود اللحية ، وعنده تمعقل ودهاء مع كِبْرٍ وجَبَرُوت كانا فيه ، مع إسراف على نفسه وانهماك فى اللذات ، وهو زوج كريمتى[١] ، ومات عنها وخلف منهابنتا فى السادسة من العمر ، وخلّف جارية حاملا فولدت من بعده ولدًا ذكرا سُمِّى خليلا باسم أبيه ــ رحمه الله تعالى وعفا عنا وعنه .

٣١٦ وتوفى القاضى شمس الدين محمد بن عامر[٢] قاضى / قضاة المالكية بصفد ، وبها مات فى أوائل جمادى الآخرة ، وكان معدودا من فقهاء المالكية ، وناب فى الحكم بالقاهرة سنين عديدة ، وولى فى بعض الأحيان قضاء المالكية بالإسكندرية غير مَرّة . رحمه الله تعالى وعفا عنه .

وتُوُفِّى الشريفُ مَعزا[٣] أمير مدينة اليَنْبُع بها ، وتولّى عوضه إمرة الينبع ابن أخيه مقبل . رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّى الأمير جانِبَك الزَّينى عبد الباسط[٤] بالقاهرة فى يوم الأربعاء لعشرٍ بَقَيْن فى شهر رجب ، وكان قد ولى الأستادارية فى الدولة الأشرفية بَرْسْبَاى فى أيام أستاذه عبد الباسط ، وسببه أن الأشرف كان قَصْدُه تولية عبد الباسط المذكور الأستادارية ، فلما ألحّ عليه ورأى منه الجد قال : يلبسها مملوكى وأنا أتكفَّل بأمرها ، فقال الملك الأشرف : القصدُ سدّ راتب بيت السلطان . فوليها جانِبَك المذكور حِسًّا والمعنى عبد الباسط ، فدام فيها إلى أن قبض الملك الظاهر جقْمَق على أستاذه عبد الباسط ، وصادره وقبض على جَانِبَك هذا أيضا مع من قبض عليه من حواشيه ، وتولى الأستادارية من بعده دَوَادَاره محمد بن أبى الفرج. فلما أفرج عن عبد الباسط ، ورسم

---

(١) يقول المؤلف في ترجمته فى النجوم الزاهرة ١٦ : ١٧٢ « وأنا أعرف بحاله من غيرى ــ عيرأننى لاأشكرولا أذم » .

(٢) ترجم له المؤلف فى « النجوم الزاهرة ١٦ : ١٧٢ ط . الهيئة العامة للكتاب » .

(٣) هو الشريف معزا بن هجار بن وبير ــ ترجم له السخاوى فى « الضوء اللامع ١٠ : ١٦٢ »

(٤) ترجم له المؤلف فى « النجوم الزاهرة ١٦ : ١٧٢ ط . الهيئة العامة للكتاب » .

له بالحج حجّ صحبته جَانِبَك المذكور ، وتوجها إلى الشام ، فدام جَانِبَك بدمشق إلى أن قدم أيام الملك الأشرف إينال ، وأقام بالقاهرة مُدَّةً ، ومات ودفن بتربة أستاذه بالصحراء خارج باب النصر ، ولم يكن جَانِبَك من أعيان الدَّوْلة لتشكر أفعاله أو تُذَمّ رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّى قاضى قضاة الحنابلة بحَلَب مجد الدين سالم بن سلامة الحَمَوىّ الحَنْبَلى[1] خَنْقاً بقلعة حَلَب بحكم الشرع ، بسبب قتله لابن قاضى عَيْنتاب فى حوادث هذه السّنة فى صفر فلتراجع هناك ، وكان مجد الدين هذا له مشاركة ويذاكر بالشعر ، وعنده معرفة بالأحكام بحسب الحال إلا أنه كان متهوراً وعنده حِدَّة مزاج ومحبة للمنصب ـــ عفا الله عنه .

وتُوُفِّى الأمير سليمان ابن ناصر الدين بك محمد بن دُلْغَادِر[2] نائب أَبُلُسْتَيْن وأمير التركمان بها فى يوم الأربعاء ثالث شهر رمضان ، وحضر سيفُهُ إلى القاهرة ، وأخبر القاصد أنه عهِدَ لابنه ملك أصلان بنيابة أَبُلُسْتَيْن ، فأَقَرَّه السلطان عليها ، وأرسل إليه خِلْعَةَ النيابة على يد يَشْبُك الخاصّكِى الأشرفى ، وكان / سليمانُ المذكور أميراً جليلا إلا أنه كان قد صار لايطيق الركوب من فرط السّمن ـــ رحمه الله تعالى .

٣١٧

وتُوُفِّى الأمير سُودُون بن عبد الله الجَكَمِىّ بطالا بالقاهرة ، وهو أخو الأمير إينال الجكمى نائب الشام لأمه وأبيه ، وكانوا جماعة أخوة أصغرُهم سُودُون هذا ، وهو ممن تأمَّر فى الدولة الظاهرية جَقْمَق ، ووجَّهَهُ الملك الظاهر جَقْمَق لأخيه إينال الجَكمِىّ بخِلْعة الاستمرار ، وعاد إلى القاهرة ، وأقام بها مدة يسيرة ، وعصى أخوه إينال ، فاتَّهَمَهُ الملكُ الظاهر جَقْمَق بأنه يتآلف الجندَ والأمراءَ على أخيه إينال ـــ وليس ذلك ببعيد ـــ فقبض عليه وحبسه أكثر من عشرسنين ، ثم أطلقه وأنعم عليه بإقطاع هيّن بدمشق ، فاستمر بها إلى أن تسلطن الملك الأشرف إينال فقدم سودُون هذا مع من قدم من المنفيّين ، فلم تتحرك ريحُه ولا أقبل عليه السلطان ، فدام بطالا إلى

(١) ترجم له السخاوى فى « الضوء اللامع ٣ : ٢٤٢ » كما ترجم له المؤلف فى « النجوم الزاهرة ١٦ : ١٧٢ ط . الهيئة العامة للكتاب » .

(٢) ترجم له المؤلف فى المرجع السابق فى نفس الجزء والصفحة .

أن مات يوم السبت رابع ذى القعدة فقيرا ، فأرسل إليه السلطان بعشرة دنانير حتى جُهِّزَ بها وأخرج ، وكان لَنَا بِهِ صحبة قديمة ــ رحمه الله .

وتُوُفِّى قاضى قضاة الحنفية بدمَشْق قَوَام الدين محمد بن قَوَام[١] الدمشقى المولد والمنشأ والوفاة ، الحنفى ، مولدُه بها قبل سنة ثمانمائة تخمينا، لثمانٍ خَلَوْن من ذى القعدة ، ومات وهو غير قاضٍ ،، وكان فقيهاً فاضلا ديِّنا خيراً ، مشكور السِّيرة فى أحكامه ، نشأ بدمشق وتفقّه بها على القاضى ركن الدين دخان . وأخذ النحو عن الشيخ علاء الدين العائذى الحنفى ، وقرأ الأصول على العلّامة أوحد زمانه الشيخ علاء الدين محمد البخارى الحنفى ، وفَضُل وأفتى ودَرَّس ، وَوَلِّى قضاء دمشق استقلالا مَرَّتين من غيرسَعْى ولاَ بذْلِ مال ، ثم صُرِف ولَزِمَ داره إلى أن مات فى التاريخ المذكور ، وكان عنده قُوّة وهمّة عالية ورُحلة ــ رحمه الله .

وتُوُفِّى ناصرُ الدين محمد المعروف بمحمد الصغير[٢] [القازانى] فى ليلة الجمعة ثالث عشرين ذى الحجة ، ودفن من الغد ، وقد زاد سنه على ثمانين سنة ، وكان يحسن رَمْىَ النُّشَّاب إلى الغاية ، ولذلك سُمِّى بالمعلم لتعليمه الرَّمى ، وكان يجيد هذه الصناعة علما وعملا ، ومات ولم يخلف بعده مثله فى ذلك ، وكانت له مشاركة / وعنده محاضرة حسنة ، ويجيد قراءة المحراب ، وكان فى صوته طَرب ولقراءته رونق ، وصحب الملك الظاهر جَقْمَق فى أيّام إمرته ، فلما تسلطن قَربه وجعله نديمه ، وولّاه فى أوائِل دولته نيابة دِمْيَاط ، ثم عزله وأهانه قليلا ، ثم أعاده إلى رتبته وجعله من جملة الحجّاب ، فدام على ذلك إلى أن مات الملك الظاهر جَقْمَق فلزم داره حتى مات ، وورثه ابنُه عبد العزيز بن محمد الصغير ، فردّ فيه الرّمْىُ بموت أبيه وعود إقطاعه إليه ؛ فإنه كان فى بحبوحة من الفقر والدُّيُون التى يستحى من ذكرها كثرة ، وكان له سنين ينتظر ذلك ، ولا أعرف والدَ محمد الصغير هذا غير أن أصله من القازانية[٣] لم يمسهم رِقٌّ ــ رحمه الله تعالى وعفا عنا وعنه .

٣١٨

(١) ترجم له المؤلف فى« النجوم الزاهرة ١٦ : ١٧٣ ط . الهيئة العامة للكتاب » .

(٢) ترجم له المؤلف فى « النجوم الزاهرة ١٦ : ١٧٣ ط . الهيئة العامة للكتاب » والإضافة منه .

(٣) القازانية : نسبة إلى قازان ملك التتار أو نسبة إلى مدينة قازان التى تقع على نهر الفولجا فى الاتحاد السوفيتى ، وقد زارها ابن بطوطة (المنجد ــ اعلام الشرق والغرب ٤٠٢) .

﴿ سنة تسع وخمسين وثمانمائة ﴾

استهلت هذه السنة وسلطان الديار المصرية الملك الأشرف إينَال ، والخليفة القائِم بأمر الله حمزة أبو البقاء ، والقضاة والأمراء ونُوَّاب البلاد الشامية وغيرهم من أرباب الوظائف على حالهم كما هو مذكور فى السنة الماضية

● المحرم : أوّله السبت .

فى يوم الأحد ثانيه عزل السلطان الملك الأشرف إينال ناصر الدين محمد بن أبى الفرج عن الأستادارية بالزينى قاسم الكاشف ، وكان قاسم هذا صبيا من الحوشة ، ثم عمل غُلاماً مُدّة سنين إلى أن اتّصل بخدمة الصّاحب كريم الدين عبد الكريم بن كاتب المناخ،فرأى فيه النَّجابة فرقاه إلى أن ولى كَشْف الوجه الغربى ، وباشر ذلك سنين ، وأثرى وتموّل ، وترشّح إلى الأستادارية ووليها .

وفى يوم الاثنين عاشره لبس الأمير آقْبَرْدِى السّاقى الظاهرىّ جَقْمَق أتَابَك حَلَب خِلْعَة السّفر ، وقُيِّد له فرسٌ بسرج ذَهَب وكُنْبُوش زركش ، ورسم له بالسفر فى يوم الجمعة إلى محل إقامته بحلب ، فسافر هو يوم الخميس لكلام بلغه ، وأشيع بالقاهرة أن المماليك الظاهريّة خجداشيته يريدون الوثوب على السلطان ، فسافر هو واستراح وأراح ، ثم بعد خروج آقْبَرْدى أيضا أشيع بالقاهرة بوقوع فتنة ، وشاع ذلك عند الناس حتى علم السلطان ، وتحدّث به مع الأمراء ، وأوصاهم بأمور ، ونقلت الأعيان أموالهم وأقمشتهم إلى الحواصل .

٣١٩ وفى يوم الثلاثاء / حادى عشره نودى بالقاهرة بألايتكلمْ أحد فيما لايعنيه ، ولايحمل أحدٌ سلاحا بعد العشاء ويمشى به فى الطرقات ، وأشياء من هذا النمط .

وفى يوم الاثنين سابع عشره ورد إلى القاهرة قاصدُ السلطان إبراهيم بن قَرَمَان وعلى يده كتاب مُرْسِلِه يتضمّن الشّكْوَى من محمد بن مُرَاد بَك بن عثمان متملك الرّوم،فلم يلتفت السلطانُ إلى كلامه وأجابه بجواب هيّن .

وفى يوم الثلاثاء ثامن عشره نُودِى بالقاهرة بخروج المماليك البَطَّالة من القاهرة وهُدِّد من تخلّف منهم بعد ثلاثة أيّام ، فلم يخرج منهم أحدٌ ، وبعد نصف هذا الشهر تغيّر لونُ نيل مصر وغلبت عليه الحُمْرَة حتى صار يُرَى ذلك من بعد ، وصار الشخص إذا أخذ منه فى إناء ينظره كفضلات ماء المطر الماكثة فى البرك من شدة تَغَيُّرِه ، واخْتُلِفَ فى ذلك فقيل إن هذا من سيل دفق فيه فى أوائل مجراه ، فكيف يكون قدر هذا السيل الذى غير لون النيل مع بعد المسافة ؟ ! واستمر على ذلك أياما .

وفى يوم السبت ثانى عشرينه وصل الركب الأوّل من الحاج وأميره خَير بَك الدَّوَادَار الأشرفى أحد الخاصّكِيّة ، ووصل من الغد أمير حاج المحمل بالمحمل بعد ما قاسى الحج فى هذه السنة شدائِد من كثرة السيْل ، وموت الجمال ، وقطع الطريق . وأُخِذَ فى هذه السنة من الحاج خلائِق لاتُحْصَى حتى إنه أخذ الركب التكرورى[1] بكماله ، ولم يرجع من التكاررة ولا الرجل الواحد ، وكانوا فى كثرة إلى الغاية ، وأما المغاربة فتقاتلوا مع العَرَب قتالا عظيما ، وأخذوا من العرب وأخذت العربُ منهم . بخلاف الركب التكرورى فإنه أخذ جميعُه، فإنهم كانوا افترقوا وأخذوا على حين غفلة ، فأُسِر الجميعُ وقتل منهم من قتل . فلاقوة إلا بالله — وهذا شىء لم يسمع بمثله فى هذه الأيام ، وكل ذلك لعدم اكتراث السلطان بأمر الحاج ، وأيضا لضعف من يلى إمْرَة الحاج ؛ فإن أمير الركب الأوّل كان فى هذه السنة خَير بَك المقدّم ذكره ، وهو من جملة الأجناد ، وأمير الحاج كان جَانِبَك الخازندار الأشرفى من جملة أمراء الطبلخانات ، غير أنه حَدَث السِّن ، وفيه طيش وخِفَّة مع عدم معرفة بالحروب والأمور،على تيهٍ فيه وشمم ، وفى أواخر هذا الشهر مات جماعة من مماليك الأمير بُرْدْ بَك صهر السلطان الدَّوَادَار الثانى بالطاعون ، ولم نسمع بذلك إلا عنده فقط .

وفى هذه الأيام زاد سعر الذهب إلى أن بلغ الأشرفى فى المعاملة /ثلاثمائة درهم وسبعون درهما ، وهو الأشرفى الذى زنته درهم وقيراطان . ٣٢٠

(١) التكرور : بلاد تنسب إلى قبيل من السودان فى أقصى جنوب المغرب وأهلها أشبه الناس بالزنوج (معجم البلدان)

● صفر : أوّله الاثنين .

ففى يوم الأحد رابع عشره ثارت المماليك الجُلْبان الذين بالأطباق من قلعة الجبل ، وأرادوا النزول إلى الرُّمَيْلَه فمنعهم نائب القلعة الأمير قَانِى بَاى الناصرى الأعمش من النزول ، ورَدَّ باب القلعة ، فأوسعوه سَبًّا بل ضربه بعضُهم ، وطلبوا من السلطان زيادة الجامكية ، وقالوا : ماناْخذ إلّا كل واحد سبعة أشرفية حسابا عن ألفى درهم بسعر ماكان الذهب أولا بمائتين وثمانين درهما الدينار ، فأجابهم السلطان بأن السعر كان فى تلك الأيام بشىء واليوم بخلافه ، فلم يلتفتوا إلى كلامه وأغلظوا فى الجواب،وامتنعوا يوم الاثنين من أخذ الجامكية ، وترددت الرسل أيضا بينهم وبين السلطان ، والسلطان لايسمح بالزيادة وهم مصرّون على الزيادة ، وأرادوا الفتك بجماعة من مباشرى الدولة ، فامتنعوا من النزول ، وأقاموا بالدهيشة بعد أن كانوا خرجوا إلى قرب الباب ، فتقدّم بعضهم إلى عظيم الدولة الجمالى ناظر الجيوش والخاص وضَرَبَه ورَمَى بعمامته عن رأسه ، فعاد هو ومن رافقه من وقتهم وأقاموا بالدّهيشة ، ثم نزلوا على دفعات من باب الميدان وغيره ، ونزل الجمالى ناظر الخاص إلى بيته بين الظهر والعصر ، وانقطع فى داره أيّاما ، ولما نزل من القلعة نزل معه جماعةٌ من الأمراء والخاصّكِيّة إلى أن أوصلوه إلى داره بسُوَيقة الصـاحب ، ومضى يوم الاثنين والحال على ماهو عليه ، وماج الناس بسبب ذلك ، وخشى الناس أن يكون وثوب الجُلْبان ووقوفهم فى هذا الأمر باتّفاق من المماليك الظاهرية . قلت : ولايبعد ذلك ، فإن فى النفس من ذلك شىء ، وكثر الكلام فى ذلك ، هذا مع أن البلاد فى غير طائِل من الحُكّام ، والسّبل مخيفة ، وقطع الطريق فاشٍ بظواهر القاهرة بل وفيها ، والآراءُ مفلولة .

ولما أصبح يوم الثلاثاء جلس السلطان بالحوش فاجتمع عليه الأشرفية . وأظهروا له النُّصْحَ ، فقوِىَ قلبُه بهم ، فأرسل أغلظ فى الجواب للمماليك الجُلْبان واستعان بمن حوله من الأمراء والخاصكية ، فلما سمعوا كلامه تكلّم بعضُهم مع بعض ثم أذعنوا وقبضوا جوامكهم ، ومشى / الحال . ٣٢١

وفى يوم الأربعاء رابع عشرينه وصل مملوك الأمير جَانِبَك التَّاجى نائب غَزَّة إلى القاهرة وأخبر بموت الأمير جُلُبَّان نائب الشام قبل أن يصل سيف جُلُبَّان المذكور ، ثم وصل بعد ذلك على يد يَشْبُك المؤيّدىّ الحاجب الثانى بدمشق .

وفى يوم الخميس خامس عشرينه رسَمَ السلطان أن يكتب بانتقال الأمير قَانِى بَاى الحمزاوىّ نائب حَلَب إلى نيابة الشام عوضا عن الأمير جُلُبَّان بحكم وفاته ، ورسم للأمير يُونُس العلائى الناصرى المعزول عن نيابة الإسكندرية قبل تاريخه أن يحمل إليه التقليد والتشريف بنيابة الشام ، ثم أخلع على الأمير جَانم أحد مقدّمى الألوف بالديار المصرية وقريب الملك الأشرف بَرْسْبَاى بنيابة حَلَب عوضا عن الأمير قَانِى بَاى الحمزاوىّ المذكور على كُرْهٍ منه وامتناع كثير ، ثم لبس ونزل إلى داره وهو يكثر من الإقالة ويستعفى ويتعلل بالضعف والفقر إلى أن أرسل إليه السلطان بألفى دينار تقويةً ، ووعده بكل جميل .

وفى يوم السبت سابع عشرينه أنعم السلطانُ على الأمير يُونُس العلائى المذكور بتقدمة ألف عوضا عن الأمير جَانَم المتولى نيابة حَلَب ، وأنعم بإقطاع يُونُس المذكور على مملوكه وصهره الأمير بُرْدْبَك الدوادار الثانى ، ورسم له بأن يتوجّه مُسَفِّراً للأمير جَانَم ، وأن يضبط موجود الأمير جُلُبَّان نائب الشام ، وأنعم بإمرة بُرْدْ بَك . وهى إمرة عشرة — على السيفى تَنِبَك الأشرفى وعلى السيفى أَرْغُون شاه الأشرفى نصفين بالسّوِيَّة ، وهما من مماليك الأشرف بَرْسْبَاى .

وفى يوم الاثنين تاسع عشرينه استقرّ شمس الدين نصر الله الأسلمى القبطى ناظر الدَّولة المعروف بابن النَّجَّار وزيراً بالديار المصرية عوضا عن فرج بن النحال بحكم عجزه ، فلم تَرَعَيْنِى فيمارأت من لبس خلعة الوزارة أغلس ولا أقذر ولاأقلّ حُرْمَة من فرج بن النحال المعزول .

وفيه أنعم السلطان على الأمير سُودن الإينالى المؤيدى المعروف بقَرَاقَاش بإمرة طبلخاناه ، وأخلع عليه باستقراره رأس نَوْبَة ثانيا ، وكلاهما عوضا عن الأمير يَشْبُك النَّاصِرى بحُكْم وفاته ، وأنعم بإمرة سُودون المذكور — وهى إمرة عشرة — على

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٣٢٢ الأمير مُغُلْبَاى المؤيدى / المعروف بطَاز ، وأنعم بإمرة مُغُلْبَاى المذكور على السيفى طُوخ النَّوْرُوزِى رأس نَوْبَة الجَمَدَارِيّة ، لَمَّا انتقل عنها مُغُلْبَاى ، والذى أخذه كلاهما إمرَة عشرة ، « لِكَن شىء أحسن منلاشِىء » .

وفيه أيضا لبس الأمير يُونُس خلعة السّفر لتقليد قانى باى الحمزاوىّ .

وفيه أيضا لبس الأمير بُرْدْبَك خلعة السّفر للتوجّه إلى الشام بسبب موجود جُلُبَّان ، وكان قد بلغنا أنَ شَادبَك دَوَادَار جُلُبَّان وابن جُلُبَّان الأكبر وصلا إلى قَطْيَا قاصدين إلى الدِّيَار المصريَة بسبب المصالحة عن موجود الأمير جُلُبَّان ، فَرُسِمَ بعودهما فعادوا ، وسبب ذلك أن السلطان بلغه أن جُلُبَّان المذكور لم يخلف موجودا عَيْناً بل اعترف أنّ عليه نحواً من ثلاثين ألف دينار دَيْناً ، وثبتت الوصيّة على قاضى الشام جمال الدين البَاعُونى ، وهذا بخلاف مافى خواطر الناس ، والقياس على موجود جُلُبَّان مئين ألوف من الذّهب ، فلما بلغ السلطان هذا الخبر حنق على الباعونى وعزله بالقاضى سراج الدين عمر الحِمْصِيّ الشافعى ، وندب بُرْدْبَك للتوجّه إلى الشام والفحص عن أموال الأمير جُلُبَّان .

● شهر ربيع الأوّل : أوّله الثلاثاء .

فيه ظهر بعض طاعون بالقاهرة غير فاش .

وفى يوم الخميس ثالثه استقّر الأمير بُرْدْبَك البَجْمَقْدار الظاهرىّ جَقْمَق أحد أمراء الطبلخانات ورأس نَوْبَة أمير حاج المحمل .

وفيه رُسِمَ لسيدى محمد بن الأمير جَرِبَاش المحمدى الأمير آخور الكبير بأن يكون أمير الركب الأوّل وسنه دون العشرين بكثير ، وسبب ذلك أن والدته خَوَنْد شقراء بنت الملك الناصر فرج كانت عزمت فى هذه السنة الحج فى ركب هائـل ، ولابد من سفر ابنها معها ، فولّاه السلطان إمرة الركب الأوّل بهذا المقتضى .

وفى يوم الجمعة رابعه سافر الأمير بُرْدْبَك إلى الشام .

وفى يوم الاثنين سابعه سافر الأمير يُونُس إلى حلب بتقليد قَانِى بَاى الحمزاوىّ

وتشريفه ، وفى هذه الأيام رَسَمَ السلطان بتوجّه أبى الخير النحاس من دِمَشْق إلى طَرَابُلس على حاله بطالا من غير إكرام ولا احترام ، فوصل إلى طَرَابُلس فى أواخر الشهر المذكور .

وفى يوم الأربعاء تاسعه أحضر السلطان القضاة الأربعة بالحوش السلطانى وتكلّم معهم فى سعْر الذّهب وزيادته ، فقالت القضاة : الأمرُ للسلطان ، فأمر السلطانُ من وقته أن يُنَادَى بالقاهرة وشوارعها : بأن كل دينار بثلاثمائةٍ ، وهو الذى / وَزْنُه ٣٢٣ درهمٌ وقيراطان ، وكان قد بلغ سِعْرُه إلى ثلاثمائة وسبعين درهما الدينار ، فشق ذلك على الناس ، وهُدِّد من خالف المرسوم بأنواع العذاب ، وكتب بذلك إلى الأقطار من البلاد الشامية وغيرها ، وأضرّ ذلك بحال الناس كثيرا لاسيما الفقير الذى كان قد قبض فى بعض مبيعاته الذَّهب بذلك السعر ، وأصبح اليوم بهذا السعر .

وفى يوم الأحد ثالث عشره عمل المولدَ السلطانُ على العادة .

وفى يوم الثلاثاء خامس عشره قدمت إلى السلطان هدية الأمير ملك أصلان ابن سليمان بن ناصر الدين بك بن دُلْغَادِر نائب أُبُلُسْتَيْن وهى مائة إكْدِيش وخمسون بغلا وخمسون جملا بُخْتِيًّا وغير ذلك .

وفى يوم الأربعاء سادس عشره نُودِىَ أيضا بالقاهرة على الذهب بالسِّعر المذكور ، وهُدِّد من خالف ذلك .

وفيه كانت بالقاهرة وضواحيها زلزلة خفيفة تحركت الأرض منها غير مَرَّة ، ثم بعد أيّام عادت فى الليل أخفّ من الأوّل .

وفى يوم السبت سادس عشرينه أحضر السلطان شمسَ الدين نصر الله الوزير ووبّخه وأغلظ عليه فى الخطاب ، وأخشن عليه فى اللفظ ؛ لكونه لم يقم باللحم الراتب للمماليك السلطانية من ثلاثة أيام ، وكان قد تخلّف عن الطلوع إلى القلعة فى هذه المدة ، وقال له السلطان مامعناه : وكم باشرت حتى عجزت ، ثم هَدَّده بالضرب بالمقارع ، فقال ابن النجار : أنا ياмولانا السلطان أعجز عن مباشرة أصاغر

الأمراء فكيف الوَزَر ، وأشياء من هذه المقولة ، فلم يلتفت السلطانُ ورَسَم عليه ، فاستمر ابنُ النجار فى الترسيم إلى يوم الاثنين ثامن عشرينه لبس خلعة الاستمرار على كُرْهٍ منه لمعرفته من نفسه بعدم الأهلية لذلك . وقد صرّح هو بهذا اللفظ غير مَرّة .

وفى عشر هذه الأيام استقرّ أبو الفضل بن كاتب السَّعْدى[1] فى نظر الدولة ، وسعد الدين محمد بن عبد القادر بن أبى بكر البُلْبَيسِى — تصغير بُلْبيس — الحنبلى كاتب العَليق فى كتابة المماليك السلطانية مضافا لكتابة العَلِيق عوضا عن عبد الرحمن بن عم فرج المعزول عن الوزر ، وسعد الدين هذا لابأس به ؛ فإنه من أولاد الفقهاء المسلمين .

● شهر ربيع الآخر : أوّله الخميس .

فيه وقع حادثة طريفة وهو أن السلطان كان فى ليلة الخميس المذكورة بلغه أيضا عجز ابن النجّار عن القيام بالكُلَف السلطانية ، فأمر بإحضار ابن النجار المذكور من الغد ، وبإحضار الصاحب أمين الدينَ إبراهيم بن الهَيْصَم ، وبإحضار فرج بن ٣٢٤ / النحال ليستقر من يختاره منهم فى الوَزَر ، فأصبح من الغد فى يوم الخميس المذكور طَلَبَ شمس الدين النجار فَقِيلَ له هرب ، فَطَلب ابن الهَيْصَم فقيل له مات فى هذه الليلة ، فَطَلب فرجَ بن النحال فحضر ، وهو الذى فضل من الثلاثة على قاعدة المثل السائِر ، فكلّمه فى استقراره فى الوزر ، فامتنع واعتذر بقلة محصول الدَّولة ، وأن بلاد الوزر غالبها خَرِبٌ ؛ وأن راتب اللحم خاصة للمماليك السلطانية وغيرهم فى كل يوم ثمانية عشر ألف رطل خلا تفرقة الصُّرر ومايلحق الدولة من الكُلَف ، وكان هذا الكلام من فرج المذكور لبعض أعيان الدَّولة فى مجلس السلطان ليكلموا السلطان فى ذلك ، فسمع بعض الكلام من فرج فلم يستتم كلامه حتى أمر به السلطان وأُنزل إلى الأرض وتناولته رءوس النُّوَب ، فضرب نحو ثلاثمائة عصاة حتى أشرف على الهلاك ، ثم أقيم ورُسِم عليه عند فَيْروز النَّوْرُوزِىّ الزّمام الخازندار إلى أن عُمِلَت مصلحته وأعيد إلى الوزر على ماسيأتى ذكره إن شاء الله .

وفى يوم الخميس ثامنه برز الأمير جَانَم الأشرفى نائِب حَلَب من القاهرة إلى ظاهرها قاصداً محل ولايته .

(١) فى طبعة بوبر ص ٢٢٦ : ابن كاتب الشعير .

وفى ليلة السبت عاشره نزلت زوجة السلطان الملك الأشرف خَوَند زينب بنت علاء الدين على بن خَصْبَك من قلعة الجَبَل فى محفّة إلى البيت المعروف بابن قطينة بساحل بُولاَق وهو ملك لهم لمرض تمادى بها .

وفى يوم السبت صبيحته سافر الأمير جَانَم نحو حلب من الرَّيْدَانية .

وفيه أعيد الوزير فرج بن النحال إلى الوزر ، وخلع عليه ونزل إلى داره ، وكان بالقلعة من يوم ضرب إلى يوم تاريخه على أن السلطان يساعده فى كل شهر بأربعة آلاف دينار وستمائة رأس من الغنم الضأن؛ لعجز بلاد الدَّوْلة ومتحصلها عن القيام بالكلف .

وفيه أيضا استقرّ شرف الدين حمزة بن البشيرى ناظر الدولة وعُزِل أبو الفضل .

وفى يوم الثلاثاء العشرين منه ورَدَ الخبرُ على السلطان بدخول الأمير قَانِى بَاى الحمزاوى إلى دمشق على نيابتها ، وكان قد كثر الكلام فى شأنه من مُدّة سنين من أيام الدولة الظاهرية جَقْمَق ، ولهج الناس بعصيانه وأنه لايدخل دِمَشق ولايفارق حَلَب ، فوقع بخلاف ماخطر ببال الناس — قلت / والأقوى عندى أنه لايظاهر بعصيان ولايدوس بساط السلطان ، وهو فى الطاعة مالم يُطْلَب إلى القاهرة ، وهذا على ما أظن — والله أعلم . ٣٢٥

وفى يوم الأربعاء حادى عشرينه قبض السلطان على علاء الدين على بن الأهناسى المعزول عن الأستادارية قديما ، ورسم عليه عند فَيْرُوز الخازندار، لكونه سعى فى الأستادارية والوزر معا على ماقيل ، وكان لما ولى الأستادارية حصل منه تَشَكٍّ ، ثم أصلح أمره على أنه يقوم للخزانة الشريفة بثلاثة آلاف دينار وأطلق إلى حال سبيله .

وفى العشر الأخير من هذا الشهر عوفيت خَوَنْد زينب زوجة السلطان ، ودخلت الحمام حمام دارها ببولاق ، وتردّد إليها أعيان الدولة من الأمراء والقضاة والأكابر فى هذه الأيام ، وأما ولدها المقام الشهابى أحمد وأخواته زوجة الأمير يُونُس الدوادار الكبير ، وزَوْجة الأمير بُرْدُبَك الدَّوادار الثانى فإنهم عندها من يوم نزلت من القلعة ،

وبقى المقام الشهابى يتوجّه يحضر الخدمة السلطانية بقلعة الجبل ثم يعود إلى عندها ، ولما صحّ مزاجها وَرَدَتْ عليها التهانى من الطُّبول والزُّمور وغير ذلك ، وعظم سرور حواشيها بعافيتها وازداد تَرْدَادُ الناس إلى بابها، لاسيما لما عمل لها مرامى النفط من المزهرات والصواريخ وغير ذلك فى ليلة الأربعاء ثامن عشرينه ، وتسامع الناس بذلك وقصدوا التفرج على النَّفْط المذكور من الأماكن البعيدة ، واندفعوا إلى ساحل بُولاَق من كل فَجٍّ حتى ضاقت عليهم شوارع بُولاَق وسواحلها مع سعتها، وازدحم الناس فى الطرقات ، وصار كأيام دوران المحمل أو بعض ليالى وفاء النيل، بل أعظم حتى جاءته جماعة من أعيان الأمراء وأرباب الدولة ، وأما النسوة فكن كأضعاف الرجال ، ودام ذلك من أوّل النهار إلى بعد عشاء الآخرة ، ووقع فى تلك الليلة من القبائح والمفاسد والأمور الشنعة مالا مزيد عليه ، وأُعيب عليهم ذلك فلم يلتفت أحدٌ إلى ماقيل ، وأنشد لسان الحال :

من راقب الناس مات غمًّا وفـاز باللـذة الـجَسُورُ

ولم يكن النفط المذكور بِذاكَ ، وندم غالب الناس على مجيئه إليه .

وفى يوم / الخميس تاسع عشرينه أنعم السلطان على الأمير قَانَم من صَفَر خَجَا المؤيدى المعروف بالتاجر بإمرة مائة وتقدمة ألف بعد موت الأمير خَيِرْبَك المؤيّدى الأجرود ، وأنعم بإقطاع قَانَم المذكور على الدولة مساعدةً لما عليها من الكُلَف . ٣٢٦

وفيه أيضا استقرّ الأمير تَمُرْبَاى الحسنى الناصرى أحد أمراء العشرات مُعَلِّم تجار المماليك وغيرها عوضا عن قَانَم المذكور .

وفيه أيضا استقرّ آقْبَاى السيفى جَارْقُطْلو نائبَ سِيس ، وخُشْكَلْدِى الزَّيْنِى عبد الرحمن بن الكُوَيْز دوادار السلطان بدمشق ، كلاهما على مال بذلاه .

وفرغ هذا الشهر والطاعون موجودٌ بالقاهرة غير أنه قليلٌ جدا ، على حالة ابتدائه من غير تزايد ، ومن يموت به الصغار والرقيق .

● جمادى الأولى : أوله السبت .

فى ليلة الأحد ثانيه بين المغرب والعشاء طلعت خَوَنْد زينب بنت علاء الدين على بن خصبك زوجة السلطان الملك الأشرف إينال من دارها بساحل بولاق إلى القلعة بعد أن نَصَلت من مرضها ، وسار ولدها المقام الشهابى أحمد وزوج بنتها الأمير يُونُس الدوادار الكبير والزّمّام الخازندار فَيْرُوز النَوْرُوزِى أمام محفّتها بحواشيها ، وجماعة أخر من الطواشية والخدم والمماليك ، وبين يدى المحفّة المشاعل والشموع والفوانيس ، وخلف المحفة من الحريم عددٌ كثير من الخوندات ونساء الأمراء ، وسارت فى أبهة عظيمة إلى أن شقّت صَلِيبة ابن طولون وطلعت إلى قلعة الجبل بعد عشاء الآخرة ، فكان لطلوعها وقت مشهود ، ولعل الذى وقع لها لم يقع لغيرها من نساءِ الملوك من نفوذ الكلمة ووفور الحُرْمة فى الدولة ، وعدم مخالفة السلطان لها فيما تأمره به ، وكونه أيضا منذ تزوّج بها من حدود سنة خمس وعشرين إلى يومنا هذا لم يتزوج بغيرها حتى ولاتَسَرّى أبدا ـــ أميراً ولاسلطانا ـــ وهذا شىء لم نعهد مثله فى سالف الأعصار ، فإن عادة الملوك الزَّوَاج بأربع نسوة ، وأما الحظِيَّات فكثير ، فمنهم من وصل إلى أربعمائة وأكثر وأقل ، وقد حُكِىَ عن المعتصم بن الرَشيد هارون أنه اقتنى ثمانية آلاف جارية موطوءة وغير موطوءة ـــ انتهى .

وفى يوم الثلاثاء رابعه سافر الأمير جَانِبَك الظَّاهرى إلى الحجاز لشَدِّ / بندرجدة على عادته فى كل سنة ، ورفيقه فى النظر بالبندر القاضى تقى الدين عبد الرحمن ابن عبد الوهاب بن نصر الله . ٣٢٧

وفى أوائل هذا الشهر شكى بعض المماليك السلطانية إلى السلطان من غلو سعر البَعْلَبَكّى والزُّمُوط[1] ، فكلم السلطان الشيخ على العجمى المحتسب فى ذلك وأغلظ عليه ، فنزل الشيخ على المذكور وأباد التجار ، وكلمهم فى بيع أثواب البعلبكى بالرِّطل ، وهذا أيضا شىء لم نسمع بمثله ، فقفلت التجار حوانيتهم أياما ،

(١) الزموط : جمع زمط وهو غطاء أحمر للرأس على شكل الشربوش « الطربوش » (ماير ـــ الملابس المملوكية ترجمة صالح الشيتى ص ٦٠) .

ثم استقر الحال على أن المحتسب كتب على التجار قسائم أنهم لايشترون البعلبكى من تجار الشام بالجريدة — يعنى الآجل — فأضرّ ذلك بحال التجار قاطبة .

وفى يوم الجمعة سابعه — الموافق لآخر برمودة أحد شهور القبط — لبس السلطان القماش الأبيض الصيفى على العادة فى كل سنة .

وفى يوم الخميس العشرين منه وصل الأمير يُونُس العلائى الناصرى أحد مقدمى الألوف إلى الديار المصرية من دمشق المحروسة بعد أن قلّد نائبها الأمير قَانِى بَاى الحَمْزاوِىّ ، وعاد يُونُس المذكور وهو راضٍ عن قَانِى بَاى المذكور ، فإنه أعطاه اثنى عشر ألف دينار غير القماش والخيل والجمال على ماقيل .

وفى يوم الاثنين رابع عشرينه خلع السلطان على الشيخ شرف االدين يحيى المُنَاوى باستقراره فى تدريس المدرسة الصلاحية[١] المجاورة لقبة الإمام الشافعى — رضى الله عنه — عوضا عن السراج الحِمْصِى بحكم توجهه إلى قضاء دِمَشق قبل تاريخه .

وفى هذا الشهر خفّ الطاعون من القاهرة ، وكان قليلا جدا بحيث أنى لم أر أحداً ممن طُعِنَ ، غير أنى سمعت أنه مات به جماعة من الخدم .

وفى هذا الشهر أيضا انحطّت الأسعار بعد أن سَعَّر السلطان والمحتسب غالبَ المأكولات ماعدا الشعير فإنه غلى وعَزّ وجوده ، وسببه قلّة حاصل الشعير فى شونة السلطان ، وأخذ زين الدين قاسم أسْتَادَار السلطان فى شراء الشعير من الأعيان وغيرهم ، إلى أن اشترى من مباشرى الأمير بُرْدْبَك صِهْر السلطان والدوادار الثانى ألفا وخمسمائة إردب شعير ، وأقبض ثمنها ، وأراد أخذها فى الليل من حاصل بُرْدْبَك المذكور حتى يصبح / يُفَرِّقُها فى يوم السبت ثانى عشرينه على المماليك السلطانية ، ٣٢٨ فتسامعت المماليك الجُلْبَان بذلك ، فنزل منهم جماعةٌ كبيرة ليلا ونهبوا شونة بُرْدْبَك

---

(١) المدرسة الصلاحية : بناها صلاح الدين الأيوبى بجوار قبر الإمام الشافعى رضى الله عنه وجعل بها مدرسا وطلبة وزاد فيها الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب منبرا وخطبة وصليت بها الجمعة فى سنة سبع وستمائة (المقريزى — الخطط ٢ : ٢٩٥) .

المذكور وهو مسافر فى الشام ، وعادوا من الغد بعد أن لم يَدَعُوا فيها شيئاً من الشعير وغيره على ماقيل ، ولم تنتطح فى ذلك عنزان ، فعز وجود الشعير حتى أبيع بمائة وأربعين درهما الإردبُّ بعد أن كان بمابين الستين إلى الثمانين لاغير ، ثم نادى قاسم الأستادار بأن لايشترى الشعير أحدٌ من العلافين وهَدَّد من اشتراه ، فعُدم بالكلية .

وأما الأمراء فإنهم لماسمعوا بما وقع فى شونة بُرْدْبَك من النّهب فتحوا شُوَنَهم وفرَّق كلٌّ واحد على مَماليكهِ عليقَ عدة شهور احتياطا من أن يطرقهم ما طرق بُرْدْبَك من النهب .

وفى يوم الأحد سلخه نزل من القلعة جماعةٌ من المماليك الجُلْبَان من الأطباق وساقوا بشوارع القاهرة ، وحصل منهم غاية التشويش فى حق الناس من أخذ العمائم والقماش ، وفعلوا ذلك مع جماعة من أعيان الناس ، وأنزلوهم عن خيولهم وأخذوا منهم حتى لُجم خيولهم ، وفعلوا ذلك بأزقة القاهرة وبولاق ، وكان ذلك فى ضحى النهار ، فتأثر الناس لذلك غاية التأثير وتهيَّأ بعضُ العامة للإيقاع بهم ، وبلغ السلطان ذلك فأصبح من الغد كلّم الأمير مَرْجَان العادلى المحمودى مقدم المماليك السلطانية فى أمرهم ، وأمر المنادى أن ينادى فيهم : من عاد إلى مثل ذلك كان جزاؤه العقوبة ، ثم شرع السلطان فى تهديدهم مع لين جانب وميل ظاهر إليهم .

● جمادى الآخرة : أوله الأحد .

ففى يوم الخميس تاسع عشره خلع السلطان على الزينى قاسم كاملية بمقلب سمور خلعة استمراره على وظيفته الأستادارية ، وأنعم عليه بعشرة آلاف إردب شعير ، وكان الناس قد تحدّثوا بعزله لعجزه عن القيام بالكُلَف السلطانية ، إلى أن عمل السلطان مصلحته فى مبلغ يساعده به .

وفى يوم الاثنين سادس عشره استقر عبد العزيز بن محمد الصغير نقيبُ الجيوش المنصورة فى حسبة القاهرة بعد عزل يار على الخُراسانى مضافا إلى نقابة الجيش ، وذلك على مال بذله فى ذلك .

وفى يوم السبت ثامن عشرينه / ضرب السلطانُ الملكُ الأشرفُ فخرَ الدين ٣٢٩

المعروف بابن السُّكَّر واللَّيْمُون ناظرَ ديوان المُفْرد علقةً كبيرة بسبب تعويق بعض جامكية المماليك السلطانية .

وفى يوم الاثنين سلخه كانت الوقعة بين السلطان الملك الأشرف إينال وبين مماليكه الجُلْبَان ومن انضافَ إليهم من المماليك الظاهرية ، ولذلك أسباب منها : أن السلطان كان قبل تاريخه عيّن تجريدة إلى البُحيرة نحو خمسمائة مملوك وعليهم الأمير خُشْقَدَم المؤيدى أمير سلاح ، والأمير قَرْقَمَاس الأشرفى رأس نَوْبَة النُّوَب ، وعدة من أمراء الطبلخانات والعشرات ، ورسم لهم السلطان بالسفر فى يوم الاثنين هذا ، ولم يفرق على المماليك السلطانية المعينين للسفر جمالاً على العادة ، فَعَظُم ذلك على المماليك وامتنعوا من السفر إلا أن يأخذوا الجمال ، فسافر الأمير خُشْقَدَم فى فجر يوم الاثنين المذكور وتبعه الأمير قَرْقَماس فى عصر يومه إلى مُخَيَّمه ببرِّ مُنْبَابة ، ولم يتبعهما أحدٌ من المماليك السلطانية ، بل وقف غالبهم بسوق الخيل بالرميلة ينتظر تفرقة الجمال ، وجلس السلطان باكر يوم الاثنين المذكور بالقصر على العادة للخدمة إلى أن انفض الموكبُ ونزل الأمراء إلى دورهم ، فلما صار الأمير يُونُس الآقبائى الدوادار تجاه باب السّلسلة أحاطت به المماليك السلطانية وهو بقماش الموكب ، وكذلك مماليكه ، وداروا حوله حلقة كبيرة ، وهم فى كثرة إلى الغاية تزيد عدتهم عن خمسمائة نفر أو أكثر ، وأرادوا الكلام معه بسبب جوامكهم وأنه يُكَلِّم السلطان فى أمرهم ، فتبين لمماليكه الغدر منهم له فتحلقوا عليه ومنعوهم من الوصول إليه ، فصار يونس فى حلقة من مماليكه ومماليكه فى حلقة من المماليك السلطانية الجُلبان لاغير ، وطال الأمر بينهم ويُونُس لايطيق الخروج ، فلما تحقق يونس أنهم يريدون الفتك به أمر مماليكه بإشهار السيوف والرّد عنه ، فشهرت مماليكه سيوفهم ودافعوا عنه أشد مدافعة ، فتكاثرت المماليك السلطانية / فوضعوا فيهم السيف ، فجرح من المماليك السلطانية جماعة وقُطِعَت أصابع واحد ، وشُقَّ بطن واحد فمات على ماقيل ، وانفرج ليونُس فرجة خرج منها غارة فى مماليكة إلى داره ، وقلع ماعليه من الكَلَفْتَاة والقماش ولبس تخفيفته وطلع من على الكبش إلى السلطان وأعلمه الخبر ،

٣٣٠

وقامت قيامة المماليك السلطانية عند إشهار السيوف وقالوا : نحن ضربناهم بالدبابيس فضربونا هُم بالسيوف ، وعظَّمَ عليهم الأمرَ جماعةٌ من المماليك القرانيص ، لما فى نفوسهم من أمور أحدها عدم تفرقة الجمال ، ولما أن فات المماليك يُونُس الدوادار ، وبلغهم طلوعه إلى القلعة عظم عليهم ذلك ، فاجتمعوا ووقفوا تحت القلعة وأفحشوا فى حق السلطان وهدّدوه إن لم يسلم إليهم يُونُس الدوادار ، فأرسل إليهم السلطان الأمير جَانِبَك الناصرى المعروف بالمُرْتَدّ أحد أمراء الطبلخانات ورأس نَوْبة ، والأمير مَرْجَان مقدّم المماليك السلطانية ، فسألاهم عن وقوفهم ومارضاهم ؟

فقالوا كلهم عن لسان واحد : نريد غريمنا الأمير يونس الدوادار، بعد أن خشنوا على جَانِبَك المذكور القولَ ، فعاد جَانِبَك والمقدم إلى السلطان بالجواب ، فبعث إليهم الأمير نُوكَار الزرَدْكَاش فأعادوا عليه القول من طلب يُونُس الدوادار ، وأغلظوا عليه فى الكلام ، ثم ساقوا غارةً إلى بيت الأمير يُونس المذكور تجاه الكبش على بركة الفيل ، وأرادوا نهبه ، فحماه مماليكُ يونس المذكور ومنعوهم من الدخول ، فتوجّه أحدهم وأتى بنار ليحرق الباب فلم يصل إلى ذلك وعادوا إلى سوق الخيل ، فوافوا المنادى من قبل السلطان ينادى بالأمان للمماليك السلطانية ، فمالوا على المنادى بالدَّبابيس فسكت لوقته ، وطلعت أمراء الألوف من كل ناحية إلى القلعة عند السلطان من ضحوة النهار ، وتكلم السلطان مع بعض المماليك بأنه يعطى لكل واحد ممن جُرح مـائة دينار ، ويعطى للذى قطعت أصابعه إقطاع حلقة ومائة دينار أخرى ، فَرَضُّوا المجروحين، فنهاهم خشدا شيتهم عن الصلح ، فلم يقع الصلح وانفضّ الأمر على غير طائل ، وحمى الحرُّ لأن الوقت فى حادى عشرين بئونة أحد شهور القبط ، وتوجّه كل واحد إلى إسطبله ، ونزلت الأمراء من القلعة إلى دورهم بين الظهر والعصر ماخلا الأمير يونس الدوادار / فلما كان من الغد وهو يوم الثلاثاء أول شهر رجب ٣٣١ ضرب السلطان الكرة بالحوش مع الأمراء إلى أن انتهى اللعب وانفض الموكب ، وأراد الأمراء النزول إلى دورهم فبلغهم أن المماليك وقوف فى انتظارهم بسوق الخيل من كل جهة ، فانتهى عزمهم عن النزول وعادوا إلى القلعة ، وكانت المماليك لما أصبحوا فى يوم الثلاثاء ركبوا بغير سلاح كما كانوا بالأمس، على أنه فى أمسه لبس

بعضهم السلاح ثم قلعه بسرعة ، ووقفوا على خيولهم من غير سلاح ولا سيوف فى انتظار الأمراء ، وكنت أنا حاضرا فلم يتكلم أحد منهم كلمة فى حقّ السلطان ولاغيره ، غير أنهم فى أمر مهم فى الباطن ، واستمروا على ذلك إلى أن تضحى النهار أرسل إليهم السلطان أربعةً من الأمراء وهم : الأمير يُونُس العلائى الناصرى أحد مقدمى الألوف ، والأمير سودون الإينالى المؤيدى المعروف بقراقَاش الرأس نَوْبَة الثانى وأحد أمراء الطبلخانات ، والأمير بَلَبَاى الإينالى المؤيدى أحد أمراء الطبلخانات أيضا ورأس نوبة ، والأمير بُرْدَبَك البَجْمَقْدَار الظاهرى جَقْمَق أحد أمراء الطبلخانات أيضا ورأس نَوْبَة ، وأمرهم بالكلام مع المماليك الجلبان على قدر خاطر السلطان ، فلما رأى المماليك الأمراء المذكورين توجّهوا نحوهم وداروا عليهم حلقة ووقفوا تجاه باب السلسلة ، وطال الكلام بينهم وكثر الغوغاء ، ثم بعد ساعة هجموا على الأمراء المذكورين وأخذوهم وتوجهوا بهم إلى حيث قصدهم ، فتمنّع منهم الأمير يُونُس وساروا هم حوله وهم يريدون ضربه إن لم يرجع معهم إلى قرب صليبة ابن طولون عادوابه غصبا، وأوقفوا الأمراء الأربعة معهم فى الترسيم حتى فتحوا بيت الأمير خُشْقَدَم أمير سلاح الذى هو بيت قَوْصُون تجاه قلعة الجبل بجوار مدرسة السلطان حسن وأدخلوهم إلى البيت المذكور ، ورسموا عليهم جماعة ، كل ذلك والمماليك الظاهرّية وغيرهم وقوف على بعد ، فلما رأوا ذلك تحققوا مخالفتهم على السلطان ، فانتهزوا الفرصة لكمين كان فى قلوبهم ـــ وانضافوا إلى المماليك الجُلْبَان وعرّفوهم بأن الأمر لايتم إلابحضور الخليفة وبلبس السلاح، فساق جماعةٌ منهم إلى الخليفة القائم بأمر الله حمزة وأحضروه فى الوقت حتى كأنه كان / فى انتظارهم ولم يمتنع عن الحضور ، بل حضر سرعة وحرض على القتال على ماقيل ، وتوجّه فى الحال كل واحد منهم ولبس سلاحه فى أسرع مايكون ، وحضروا بالسلاح وقد صاروا جمعا عظيما إلى الغاية والجميع بالسلاح ، وخرجوا من القول إلى الفعل ، فلم يشك كل أحدٌ فى زوال مُلْك السلطان من كثرة ماانضاف إلى هؤلاء المماليك من الناس ممن يُريدُ شَنَّ الغارات ، وبلغ السلطان ذلك فركب من وقته فى أمرائه من المماليك الأشرفية وغيرهم وخاصكيته حتى نزل إلى الإسطبل السلطانى ، وتناوش القوم بالنّشّاب ، وعندما أرادوا المصادمة تشتتوا ، وطلع إلى السلطان جماعةٌ كبيرة ممن

٣٣٢

كان أسفل ، فوقع عليهم من الله الخذلان وانكسروا من غير قتال فى أسرع وقت ، فلما رأى جَمْعُ السلطان آراءهم المفلولة حملوا عليهم ودخلوا بيت الأمير خُشْقَدم ، وأخذوا الأمراء والخليفة وطلعوا بهم إلى السلطان بعد أن جرح جماعة بالنشّاب ، ولم يمت أحد فيما نعلم ، وانفض جمعهم ، وساق كل واحد إلى إسطبله متنكرا بعد ماكاد أمرهم أن يتم ، وكل ماوقع لهؤلاء المماليك من عدم رئيس يُدَبِّر أمرهم من الأمراء ، ولوكان كذلك لكان لهم شأن ، فإن عسكر السلطان صار خلفهم . مثل السلطان والطبلخانات تضرب ، هؤلاء أقوام مجمعة بغير رأس ولا طبلخانات ولاصنجق [1] ، غير أن جمعهم كان جمعا هائلا إلى الغاية ، وكان وقوفهم ولبسهم السلاح ومسكهم الأمراء وقتالهم ، كل ذلك من باكر النهار إلى قبل الظهر من يوم الثلاثاء المذكور ، ولما تَبدّد جمعهم ركب السلطانُ وطلع إلى الدّهيشة وأمر بالخليفة فحبس بقاعة البحرة من الحوش السلطانى ، ورسم عليه ، ونودى فى القاهرة بالأمان والاطمئنان والبيع والشراء ، ودقت البشائر بطبلخانات السلطان ، وبأبواب الأمير ثلاثة أيام ، وأصبح السلطان من الغد فى يوم الأربعاء وهو ثانى الشهر المذكور جلس على الدكة بالحوش من القلعة ، وطلع إليه الأمير خُشْقَدم أمير سلاح بعد ماعدّى النيل من مخيمه ببرِّ مُنْبَابة ومعه الأمير قَرْقَمَاس رأس نَوْبَة النُّوب وهنَّأ كل منهما السلطانَ بالنصر ، وافتتح السلطان الكلام مع / الأمراء فى حق الخليفة ، ولهج بخلعه من الخلافة ، واستشار الجمالى ناظر الجيش والخاص فيمن يجعله خليفته ، ومن هو من إخوته أهل للخلافة ، فلم يتكلّم الجمالى بشىء ، ثم كلم السلطان الأمير خُشْقَدم فى ذلك ، فأعاد عليه خُشْقَدم الجواب : بأن الخاطر خاطر مولانا السلطان ، فقال الأمير يُونُس الدوادار : يامولانا السلطان أخو الخليفة سيدى يُوسُف هو فيه أهلية كذلك ، ثم انطلقت أَلْسِنَة الأشرفية فى الوقيعة فى المماليك الظاهريّة وحرّضوا السلطان عليهم بكل أمر ، وعرّفوه عاقبة العفو عنهم ، وحذّروه من ذلك ، فمن جملة ماقال له بعضهم : يامولانا السلطان إن كانت روح

٣٣٣

(١) الصنجق: هو علم السلطان . وعليه شارات الملك (النجوم الزاهرة ١٦ : ٣٧٣ ط . الهيئة العامة للكتاب) .

السلطان عنده هيّنة فنحن أرواحنا ليست علينا هينة ومتى[١] ظفروا بنا هؤلاء الظاهرية وضعوا فينا السيف ، وأمعنوا فى ذلك إلى أن انحرف السلطان على الظاهرية ومال إلى كلامهم ، ثم تكلم مع الأمير يُونُس الدوادار وناظر الخاص وكاتب السرّ كلاما طويلا بسبب الظاهرية سرا ، فعلم كل أحد بميل السلطان إلى الأشرفية وانحرافه على الظاهرية ، ونزل الأمير خُشْقَدَم وقَرْقَمَاس كل منهما إلى داره ومخيّمه مضروب ببرمُنْبابة ، وقد رسم السلطان بتفرقة الجمال على المماليك السلطانية المعينين إلى تجريدة البُحيْرة صحبة الأمير خُشْقَدم ، ففرقت ، ثم نزل الأمير يونس الدوادار إلى بيته وبين يديه وجوه الأمراء والخاصكية .

وأما ما كان من أمر المماليك الجُلْبان فإنهم صاروا فرقتين فرقة تقاتل أخرى وتمنعهم من الطلوع من الأطباق ، والتى تقاتل هم مشتروات السلطان فى أيام سلطنته ، والذين يقاتلونم هم الذين اشتراهم من كتابية الملك الظاهر جَقْمَق والملك المنصور عثمان ولازالوا بهم حتى منعوهم من الطلوع إلى الأطباق ، وقالوا لهم: سودتم وجوهنا عند أستاذنا بقبح فعالكم ، وأعجب السلطان ذلك لما بلغه ، ثم سأل الأمراءُ الأشرفية السلطانَ فى إطلاق الأمير تِمْرَاز الدوادار الثانى الأشرفى من سجن المَرْقَب ، فأجابهم إلى ذلك بشرط / أن يتوجّه إلى غزّة يعمل مايحتاجه ويسافر إلى الحجاز ، ٣٣٤ ثم سألوا السلطان ثانيا فى الطواشى لؤلؤ الأشرفى المعزول عن تقدمة المماليك قبل تاريخه فى الرضى عنه ، وأنه يطلع إلى الخدمة ، فأجابهم بأن يركب وينزل حيث شاء ولايطلع إلى الخدمة .

وفى يوم الخميس ثالثه كان عزل الخليفة القائم بأمر الله حمزة بسبب مجيئه مع المماليك السلطانية إلى بيت قَوْصُون تجاه القلعة،ومطاوعته لهم حسب ماتقدم ذكره ، فلما كان يوم الخميس جمع السلطان القضاة الأربعة بالقصر السلطانى من قلعة الجبل ، وأحْضِر الجمالى يوسُف بن المتوكل على الله محمد أخو الخليفة القائم

(١) فى الأصل « ومتوا ظفروا بنا » وهذا التعبير يعطى صورة عن لغة العصر التى لم يستطع المؤلف أن يتحرر منها ولعلها من عمديات الناسخ بدليل أن مثل هذا التعبير لم يستعمله المؤلف فى كتابه النجوم الزاهرة وانظر ج ١٦ : ٩٠ — ٩٢ ط . الهيئة العامة للكتاب » .

بأمر الله حمزة المذكور ، وجلس الجمالى يوسف المذكور عن يسار السلطان الملك الأشرف فوق قاضى القضاة الحنفى ، وحضر جميع أعيان الأمراء ومباشرى الدولة ، ولم يحضر المجلس أحد من الفقهاء غير القضاة الأربعة وجماعة من موقعى الحكم ليشهدوا على السلطان بمايفعله من خلع الخليفة حمزة وولاية أخيه يوسف ، فلما تم المجلس وقف القاضى محب الدين بن الأشقر كاتب السرّ بين يدى السلطان وقال : نشهد عليك يامولانا السلطان أنك خلعت أمير المؤمنين القائم بأمر الله حمزة ووليت أخاه المتوكلَ على الله يوسف ، فقال السلطان : نعم فشهد عليه الموقعون بذلك ، وقام الجمالى يوسف من وقته ولبس خلعة الخلافة على العادة ، وعاد إلى السلطان وسلّم عليه ، وانفض المجلس ، ولم يتكلم القضاة فى شيء من ولايته ولاخلع أخيه ، بل قيل إن القاضى الشافعى علم الدين صالح البُلْقِينى ذكر عن علماء مذهبه : أنّ للسلطان أن يعزل الخليفة ويولى غيره ، ومأأدرى ماحجة من قال هذا القول مع ماورد أن النبى ﷺ قال « إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما » أخرجه مسلم فى صحيحه ، ولقب بالمتوكل على الله على لقب أبيه ، ثم غير بعد أيام بالمستنجد ، ونزل إلى داره وبين يديه القضاة وجماعة من أعيان الفقهاء ، ولم ينزل أحدٌ من الأمراء ولامباشرى الدولة لشغلهم مع السلطان فى أمر المماليك الظاهرية وغيرهم ، ولم يقع فى عزل القائم شيء غير ماذكرنا ، لأنه لما أخذ من بيت قَوْصُون وطُلِعَ به / إلى القلعة وافاه السلطان عند الرديني وقال : أف عليك ، وكررها ثلاث مرار ، ولم يتكلم الخليفة القائم بأمر الله لمسكة فى لسانه تمنعه من سرعة الجواب إلا بعد ساعة حتى قال : قالوا لى كلِّم السلطان ، فظننت ذلك عن حقيقة ، وقمت معهم ، فقال له السلطان : هل جاءك أحد من حجَّاب السلطان أو من أمراء السلطان ؟ تسمع كلام الصغار ، ثم افترقا واستمر القائم بالبَحْرة من الحوش السلطانى محتفظا به إلى ماسيأتى ذكره إن شاء الله تعالى .

٣٣٥

قلت : وفى خلع القائم هذا على هذه الصورة من الملك الأشرف عبرة لمن اعتبر ، فإنه كان لما وَثَب الملك الأشرف إينال على الملك المنصور عثمان وافقه القائم المذكور على ذلك،وصارهو المتكلّم فى خلع الملك المنصور من المُلْكِ

والمحرِّض على قتاله ، وبه قويت شوكةُ الملك الأشرف إينال ، فأخلع على القائم وأنعم عليه بزيادات على إقطاعه ، وعظم أمره حتى تجاوز الحدّ ، ونال من الحرمة مالم ينله أحد من إخوته ولاأجداده من خلفاء مصر فيما قبله ، حتى كان من أمره ماكان ، فعومل من جنس فعله مع المنصور عثمان ، والجزاء من جنس العمل ، ولانعلم خليفة اسمه حمزة غير القائم هذا ، ولانعلم خامس أخ ولى الخلافة بعد إخوته غير يوسف المستنجد هذا المتولى ، فإن أول من ولى من إخوته المستعين بالله العباس الذى تسلطن بعد قتل الملك الناصر فرج،ثم خلع فى سنة خمس عشرة وثمانمائة من السلطنة ، ودام فى الخلافة محتفظا به بقلعة الجبل إلى أن خلع منها فى سنة ست عشرة وثمانمائة بأخيه المعتضد داود ، وكان خلع المستعين أيضا بصورة ملفقة وحيلة ، فكان المستعين يزعم أنه باق على خلافته إلى أن مات بسجن الإسكندرية فى سنة ثلاث وثلاثين ، وعهد لابنه يحيى بالخلافة ، فلم يُلْتَفَت إلى ذلك ، ولما مات المعتضد بالله داود عهد إلى أخيه شقيقه المستكفى بالله سليمان ، وولى الخلافة بعد المعتضد فى شهر ربيع الآخر سنة خمس وأربعين بعد أن نازعه ابن أخيه يحيى بعهد أبيه / المستعين بالله إليه وبالمال ، فلم يلتفت إليه الملك الظاهر جَقْمق ، ولم ينتج أمره ، فكان المستكفى هو الثالث ، ودام فى الخلافة إلى أن مات فى يوم الجمعة ثانى المحرم سنة خمس وخمسين ، ولم يعهد لأحد من إخوته ، فوقع اختيار الملك الظاهر جَقْمَق بواسطة قانى باى الجاركسى أمير آخْور بيبرْس على تولية القائم بأمر الله حمزة ، فولى الخلافة ، فكان هو الرابع من أولاد المتوكل،ودام فى الخلافة حتى خلع بأخيه يوسف هذا ، فكان يوسف الخامس من أولاد المتوكل ، ولم يقع ذلك لأحد من الخلفاء ، فهو من النوادر ، ولاوقع لأحد من خلفاء بنى العباس أن أربعة إخوة وَلُوا الخلافة ، وإنما وقع ذلك لبنى أمية ، فإن عبد الملك بن مروان رأى فى نومه أنه بال فى محراب النبى ﷺ أربع بَوْلات فأَوَّلُوه له المعبرون بأنه يلى الخلافة من ولده لصلبه أربعة ، فكان كذلك ، وهم : الوليد وسليمان ويزيد وهشام بنوعبد الملك المذكور ، ولم يعرف أن أربعة إخوة وُلُّوا الخلافة غيرهم ، وأما ثلاثة إخوة : فالأمين والمأمون والمعتصم بنو الرشيد ، والمنتصر والمعتز والمعتمد بنو المتوكل ، والمكتفى والمقتدر والقاهر بنو المعتضد ، والراضى والمتقى والمطيع بنو المقتدر ،

٣٣٦

وأكثر الخلفاء ولداً عبد الرحمن بن الحكم ، كان له خمسون ذكرا وخمسون أنثى ، وأطولهم عمرا القادر ، بلغ ثلاثا وتسعين سنة ، ولم يصح عن خليفة غيره أنه تجاوز السبعين،وأقصرهم عمرا معاوية بن يزيد لم يجاوز العشرين سنة ، وكانت ولايته أربعين يوما .

ومن نوادر الخلفاء أيضا أن المستنجد ابن المقتفى رأى فى حياة والده كأن ملكا نزل من السماء كتب فى كفه أربع خاءات معجمات فلما استيقظ عبّرها له بعضُ العلماء بأنه يلى الخلافة سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، فكان كذلك — انتهى .

وأما السلطان الملك الأشرف إينال فإنه استمر فى هذا اليوم جالساً بالقصر السلطانى إلى قريب الظهر بغير العادة ، ورسم للأمراء بقلع الكلفتاه ولبس قماش الجلوس ، ثم نزل كل أمير إلى بيته قبل الظهر من اليوم المذكور،بعد أن قبض السلطان بحضرتهم على جماعة كثيرة من المماليك الظاهرية وحبسوا بالبرج من القلعة .

وفيه رجعت المماليك المجرّدون إلى البحيرة من برّمنبابة إلى القاهرة بسبب حركة الوقعة،لعود الأمير خُشْقَدَم أمير سلاح وقَرْقَمَاس رأس نوبة النوب إلى القاهرة بسبب حركة الوقعة،على أن خيامهم دامت ببرّمنبابة حتى يعودوا إلى سفرهم بعد خمود الفتنة .

وفى يوم الجمعة رابعه نودى بشوارع القاهرة بتهديد من أخفى من المماليك الظاهرية أحدا ، وتوالى قبض السلطان على المماليك الظاهرية .

وفى هذا اليوم أيضا بشر بزيادة النيل بعد أن أخذ القاع فجاءت/القاعدة سبعة أذرع وخمسة أصابع . ٣٣٧

ولم يمسك السلطان بعد يوم الخميس أحدا من المماليك ، وسكن الحال ، على أن جماعة من أكابرهم اختفوا مدة أيام ، ثم ظهروا بعد ذلك .

وفى يوم الاثنين سابعه أُنزل أمير المؤمنين القائم بأمر الله حمزة — المخلوع عن الخلافة بأخيه يوسف — من قلعة الجبل على فرس من غير أن يركب معه عليه

أحد من الأوجاقية على عـادة الأمراء المقبوض عليهم ، وهو بقماش جلوسه ومعه حاجب الحجاب ووالى القاهرة لاغير، إلى أن أوصلاه إلى جزيرة أروى المعروفة بالجزيرة الوسطانية ، وأنزلوه من تجاه بولاق التكرور إلى حراقة أعدت له ، وسافر إلى الإسكندرية من وقته ، وكان وقت نزوله إلى الحراقة بين الظهر والعصر ، وكثر أسف الناس عليه وبكوا عليه كثيرا رأفة له .

وفيه أيضا قبض السلطان على سودون أمير آخور الظاهرى أحد الأمراء آخورية الصغار .

وفى يوم الجمعة حادى عشره وصل الأمير بُرْدُبَك الدوادار الثانى وصهر السلطان من البلاد الشامية إلى القاهرة،وصحبته ولدُه ابن بنت السلطان بعد أن قلَّد الأمير جَانَم الأشرفى نائِب حَلب ، وصَالَحَ عَلَى موجود الأمير جُلُبَّان نائب الشام ، وجمع لنفسه من الأموال والهدايا مايُستَحى من ذكر كثرته ؛ لما فى نفسه من الشَّره والطمع فى جمع الأموال ، بحيث إنه كان الشخص هناك يأتيه بالهدية الهائلة فيقبلها ثم يقول لمهديها هذه الهدية لى أم لابن بنت السلطان يعنى ولده ، فيستحى الرجل ويجعلها لأحدهما ثم يأخذ فى تجهيز هدية أخرى للآخر ، وعلى هذا المنوال سلك من حين خروجه من الديار المصرية إلى أن وصل إلى حلب،وإلى أن عاد إلى الديار المصرية أيضا ، هذا مع علم الناس بمكانته عند أستاذه الملك الأشرف وصهارته منه وانقياده إليه ، فلذلك لم / يتأخر أحدٌ عن خدمته من أرباب ٣٣٨ الحوائج وغيرهم ، ووصل معه الأمير زين الدين يحيى الأستادار بطلب من السلطان ، وطلع معه إلى القلعة أيضا فى اليوم المذكور ، وقبَّل الأرض وأخلع عليه السلطان فوقانى مخمل أحمر بوجه أخضر بطرز زركش يَلْبُغَاوِى ، وقُيِّد له فرسٌ بسرج ذهب وكُنْبُوش زركش ، واستقر به أستادارا على عادته أولا ، وعزل قاسم الكاشف عن الأستادارية ، ونزل زين الدين من القلعة إلى داره التى كان باعها فى أيَّام مصادرته لبعض التجار بمبلغ له جرم ، وتصرّف التاجر فى الدار المذكورة

وهدم المقعد الذى بها وجعله قاعة ، فلما وصل زين الدين فى هذه المرّة إلى القاهرة واستقرّ على عادته أستادارا أنزل إلى داره على قماش التاجر ومتاعه ، واستولى على ذلك بطريق غصبى ، وألزم التاجر بإعادة المقعد المذكور على ما كان عليه أولا بعد أن قاسى هذا التاجر من الذل والإخراق والبهدلة من حاشية الأمير زين الدين ما لعلّه يتذكره إلى أن يموت ويبعث .

وفى يوم الاثنين رابع عشره أدير المحمل بالقاهرة ، ولعبت الرَّمَّاحة على العادة فى كل سنة ، وكان الناس فى وجل بسبب دورانه وأيام زينة القاهرة من أجل المماليك الأجلاب ، فلم يقع شئٌ مما ظنوه ، وسببه أنهم كانوا قبل تاريخه أثاروا تلك الفتنة مع الأمير يونس الدوادار حسبما قدمناه آنفا،حتى عظم الأمر وخرج عن الحَدِّ وصار الهزل جَدًّا ، وأمسك السلطان فيها جماعة من المماليك الظاهرية وغيرهم ثم أنزل السلطان من مماليكه جماعة كثيرة من الأطباق من قلعة الجبل ممن كان اشتراهم من تركة الملك الظاهر جَقْمَق لميلهم إلى المماليك الظاهرية ، ولِمَا بلغه عن بعضهم أنه يقول:نحن عتقاء الملك الظاهر وتربيته ولا أصيرُ عَتِيقَ الملك الأشرف إينال بقطعة وَرَق . يعنون بذلك عتاقة الملك الأشرف لهم ، فنزلت هذه الطائفة منهم إلى إسطبلاتهم وانضموا على الظاهريّة ، وأوقع السلطان بجماعة من أعيان المماليك الظاهرية فتخوفت الجُلْبان / من السلطان ، فانكفوا عن الفُحْش والتعرّض للعامة ، ولله الحمد .

٣٣٩

وفى يوم الثلاثاء خامس عشره خرج الأمير خُشْقَدَم أمير سلاح ورفيقه الأمير قَرْقَمَاس رأس نَوْبَة النُّوَب بمن انضاف إليهم من المماليك السلطانية والأمراء إلى بَرِّمُنْبَابة ، وسافروا يوم الجمعة إلى جهة البُحَيرة ، وكانت خيامهم مضروبة ببرّ منبابة من سلخ جمادى الآخرة حسبما تقدم ذكره .

وفى يوم الخميس سابع عشره أفرج الأمير زين الدين الأستادار عن الناصرى محمد بن أبى الفرج المعزول عن الأستادارية قبل تاريخه،بعد أن ألزمه بحمل ثلاثة آلاف دينار ، وذلك بعد أن أقام عنده فى الترسيم أياماً،وبعد معاتبات خشنة وتهاديد وأمور، ومَنْ أساء لايستوحش.مع أن الأمير زين الدين لو عامل ابن أبى الفرج هذا

بما يستحقه منه لأهلكه، لكنه صفح عنه صفحا جميلا، وعامله بطباعات الرؤساء .

وفى اليوم المذكور كتب السلطان بالأمان لأربعة من المماليك الظاهرية المختفين بعد الوقعة ، ورسم لهم بالخروج إلى البلاد الشامية على إقطاع هيّن ، وهم : يَشْبُك القَرْمى ، وقانِى بَاى المشطوب ، وسودون البَجْمَقْدار ، وشخص آخر ، فخرجت الثلاثة ولم يظهر سُودُون ، وسافروا الثلاثة واستمر سودون مختفيا .

وفى هذه الأيام أخلع بكشف الجيزية على الزَّيْنى قاسم المعزول عن الأستادارية بزين الدين .

وفى يوم الثلاثاء ثانى عشرينه عزل قطب الدين الخَيْضَرِىّ عن كتابة سرّ دمشق بالقاضى نور الدين على ابن القاضى صلاح الدين محمد بن السّابق .

● شعبان : أوله الخميس .

ففى يوم الخميس ثامنه رسم السلطان بإخراج مَنْ فى سجن القلعة بالبُرْج من المماليك الظاهرية ، وهم : الأمير قُوزِى السّاقى الظاهرى ، ونحو عشرين نفرا ، ورسم بتوجههم إلى البلاد الشامية ، فسافروا من الغد فى يوم الجمعة تاسعه .

وفى يوم السبت سابع عشره — الموافق لتاسع مسرى — أوفى النيل المبارك ستة عشر ذراعا ، وزاد ستة أصابع من الذراع السابع عشر ، ونزل المقام الشهابى أحمد ابن السلطان الملك الأشرف إينال من القلعة ، وبين يديه وجوه الدولة حتى خلّق المقياس ، وفتح خليج السّد/ على العادة فى كل سنة ، وفى هذا المعنى يَقُول الشيخ بدر الدين بن الصاحب : [الكامل] ٣٤٠

النيل أُلبِس حلة حمراء فى تخليقِهِ
وله أصابع زينت وتختَّمَت بعَقِيقِه

وفى يوم الأربعاء حادى عشرينه وصل نَجّاب من طَرَابُلُس يخبر بالقبض على نائبها الأمير يَشْبُك النَّوروزىّ ، وكان السيفى إينال الجُلُبَّانى القُجَقِى الخاصّكى توجّه قبل تاريخه إلى طرابُلُس، وعلى يديه مثالات فى الباطن لأمراء طَرَابُلُس بالقبض عليه ،

فقبض عليه من دار السعادة ، وأخرج ماشيا مع الحاجب والأمراء إلى بيت الأمير مُغُلْبَاى البَجَاسِى حاجب حجاب طَرَابُلُس بعد أن امتنعت مماليكه من تسليمه حتى نهرهم أستاذهم المذكور ؛ لعلمه أن ذلك لا فائدة فيه . وقُيِّد وحمل إلى سجن المَرْقَب .

ثم فى يوم الخميس ثانى عشرينه رُسِمَ بنقل الأمير حاج إينال اليَشْبُكى نائب حماة إلى نيابة طَرَابُلُس عوضا عن يَشْبُك المذكور ، وحمل إليه التقليد والتشريف على يد الأمير يَشْبُك مِن سُليمان شاه الفقيه المؤيَّدِىّ أحد أمراء العشرات ورأس نَوْبَة ، ونقل نائب صفد الأمير إياس النَّاصرى الطويل إلى نيابة حماة عوضا عن حَاج إينال المذكور ، ومُسَفِّرُهُ الأمير قَانْصُوَه المحمدى الساقى الأشرفى أحد أمراء العشرات ، ونقل الأمير جَانِبَك التَّاجِى المؤيدى نائب غزة إلى نيابة حماة عوضا عن إياس ، ومُسَفِّرُه الأمير تَمُرْبَاى الحسنى الناصرى أحد أمراء العشرات ، وهو أحد من بقى من أمراء الأتراك فى زماننا هذا لاغير ، ورسم بإعادة خَيِربَك النَّوْروزِى أحد أمراء صفد إلى نيابة غزّة كما كان فى الدولة الظاهرية ، ومُسَفِّرُه سُنْقُر الخاصِّكِى الدوادار الأشرفى المعروف بَقَرَق شَبَق .

وكل ما ذكرناه من انتقال هؤلاء بالبذل ، من إينال إلى خَيرْبَك . وأخلع على هؤلاء المتوجهين بالتقاليد المذكورة فى هذا اليوم جملة واحدة ، وصولح الجميع ما خلا يَشْبُك الفقيه فإنه سافر إلى حاج إينال .

فصولح قَانْصُوَه بأربعة آلاف دينار ، وتَمُرْبَاى بنحو ذلك ، وسُنْقُر قَرَق شَبَق بألفى دينار ، وكثر الكلام بالقاهرة فى قبض يَشْبُك النَّوروزِى هذا ، واختلفت الأقاويل ، ولهج الناس بأن عزله بسبب ممالأته فى الباطن إلى الأمير قَانِى باى الحمزاوى نائب / الشام ، وترقّب الناس خروج قَانِى بَاى المذكور عن الطاعة ، فلم يقع شىء من ذلك ، واستقر الحال على أن السلطان لايطلب قَانِى بَاى المذكور إلى الديار المصرية ، وقَانِى بَاى مالم يطلبه السلطان هو قَانع بنيابة دمشق ، وبما هو فيه من الانهماك بلذاته ، ولا يطلب زيادة على ذلك ، وكل منهما يغالط الآخر ؛

٣٤١

فالسلطان مطمئن بأن قَانِى بَاى فى طاعته ويمتثل مراسيمه ، وهو الواقع ، وقَانِى بَاى فى طاعة السلطان ومتى طلبه حضر، وفى الباطن بخلاف ذلك .

ثم رسم السلطان فى هذه الأيام بانتقال يَشْبُك السَّيفى قَانِى بَاى البَهْلَوَان من نيابة المَرْقَب إلى حجوبية الحجاب بَطَرَابُلُس،عوضا عن مُغُلْبَاى البَجَاسِى بحكم انتقال مُغُلْبَاى إلى أتابكية طَرَابُلُس،عوضا عن سودون مِن سيِّدى بَك الناصرى المعروف بالقَرَمَانى،بحكم انتقاله إلى أتابكية حَلَب بعد ولاية الأمير آقْبَرْدِى الساقى الظاهرى نيابة مَلَطْيَة،بعد عزل الأمير قَانِى بَاى الناصرى .

وفى يوم الثلاثاء سابع عشرينه انقطع جسْرُ بحر [1] مُنَجًّا وغرق ما تحتها من البلاد ، ثم عظمت المصيبة بأن الماء لما سار على الأراضى استند على سدِّ جيبين القصر فلم يثبت سُدّ جيبين أيضا وطغى الماءُ حتى غرَّق الأراضى وضَرَّ سدَّ جيبين أن بحر مُنَجًّا انفتح قبل ميعاده بنحو ستة عشر يوما ، فلم يلبثوا إلا والماء قد أتاهم طوفان ، فغرقهم وغرّق للناس من الزرع والغلال مالا يحصى ، ويئس الناس من عود النيل إلى ما كان ، وخرج الأمير زين الدين يحيى الأستادار والمقطعون بجيبين القصر وغيرهم،وأقاموا على سد جيبين أياما حتى سَدُّوا من قناطر جيبين البعض ، وأما منجا فلا سبيل إلى تقويته ، وراح على من راح وما انتطحت فى ذلك شاتان ، فسبحان الحليم على عباده .ونقص البحر نقصا فاحشا ، وتحرك سعر الغلال ، وأخذ الناس فى شراء الغلال ، ونفق سوقها بعد الكساد ، وخزنت الخزانون شيئا كثيرا ، ومع ذلك لم يزد سعر الإردب القمح على مائة وخمسة وسبعين درهما وما دونها ، والفول بمائة وعشرة وما دونها ، والشعير بمائة وثلاثين وما دونها ، ثم عن قليل تراجع البحر بإذن الله تعالى إلى زيادته كأحسن ما يكون ، وانحط سعر كل صنف من الغلة ، حتى أبيع القمح بمائة وأربعين وما دونها / ، والفول بتسعين وما دونها ، والشعير بمائه وخمسة وما دونها ، ولله الحمد . ٣٤٢

● شهر رمضان : أوله الجمعة .

---

(١) بحر مسجا : هو بحر أبى المسجا ، وهو خليج حفره الأفضل بن أبى الجيوش فى سنة ٥٠٦ هـ وكان على حفره أبو المنجا بن شعيا اليهودى فعرف به (المقريزى ـــ الخطط ١ : ٧٠ ـــ ٧١) .

ففى يوم السبت ثانيه ـــ الموافق لثالث عشرين مسرى ـــ نُودِىَ على البحر بزيادة أربعة أصابع من النقص ، فسكن حينئذ روع الناس قليلا ، ولم ينحط سعر الغلال إذ ذاك .

وفى يوم الأحد ثالثه استقر شخص من أصاغر الكتبة، يعرف بابن وجيه، فى نظر جيش حلب،عوضا عن سراج الدين عمرو بن السفّاح .

ثم فى يوم الاثنين رابعه [١] نُودِىَ على النيل أيضا بزيادة إصبعين ؛ وذلك لتتمة سبعة أصابع من الذراع [٢] السابع عشر،وهذا هو القدر الذى كان نقصه البحر بعد قطع بحرمُنَجَّا ، وأخلع السلطان على منادىْ البحر .

وفيه قدم الأمير زين الدين يحيى الأستادار من ترميم سد جيبين القصر ، وأخلع عليه السلطان .

وفيه أيضا أُخرج سَنْطَبَاى الظاهرى جَقْمَق الخاصكى رأس نوبة الجَمَدَارِيّة ـــ كان ـــ فى دولة أستاذه إلى طَرَابُلُس منفياً ، وهذه نفيته الثانية بعد موت أستاذه الظاهر جَقْمَق .

وفى يوم الأحد عاشره قدم الخبر على السلطان بموت الشريف بَرَكَات بن حسن بن عَجْلان أمير مكّة ، وتولى بعده ابنه محمد عَلَى ما يأتى ذكره فى وفيات هذه السنة .

وفيه رسم بنفى الناصرى محمد بن أبى الفرج المعزول عن الأستادارية ، فتسحَّبَ واختفى مخافة من الأمير زين الدين يحيى الأستادار .

وفى يوم السبت سادس عشر ـــ الموافق ليوم النوروز أول توت ـــ نودى على النيل بزيادة ثلاثة أصابع من الذراع التاسع عشر .

---

(١) ورد فى هامش اللوحة « يوم الأحد ثالثه » .

(٢) ورد فى هامش اللوحة « الذراع الثامن عشر » .

وفيه وصل الأمير جَانِبَك الظاهرى المتكلم على بندر جدّة منها إلى القاهرة ، وأخلع عليه وعلى رفقته على العادة ، واستقر مُسَفّر الشريف محمد ابن الشريف بركات باستقراره فى إمرة مَكَّة،وأمر بنقل التقليد والتشريف بعد ذلك مع أحد مماليكه ولم يسافر هو ، وكانت ولاية الشريف محمد إمرة مكة على مال بذله نحو خمسين ألف دينار ، وسألت الأمير جَانِبَك المتكلم على بندر جدّة ـــ وهو الساعى للشريف محمد هذا ـــ عن ذلك فقال : نعم،لكن يحمل فى هذه السنة عشرين ألف دينار ، ثم مابقى على نقدات متفرقة ، ولخوند وولدها خمسة آلاف دينار ، وليونس الدوادار ثلاثة آلاف دينار . قلت : فماذا يحمل لعظيم الدولة ـــ أعنى ناظر الخواص ـــ ولبردبك ؟ قال : مهما أرادا ، / . ٣٤٣

وفى يوم السبت ثالث عشرينه وصل إلى القاهرة الأمراء المجردون إلى البحيرة بمن معهم من المماليك السلطانية ، وهم : الأمير خُشْقَدَم الناصرى المؤيدى أمير سلاح ، والأمير قَرْقَمَاس الأشرفى الجَلَب رأس نَوْبَة النُّوب ، وعدة من أمراء العشرات .

وفى يوم الأربعاء سابع عشرينه استقر الناصرى محمد بن أبى الفرج المعزول عن الأستادارية قبل تاريخه فى ولاية قَطْيَا ، بسعى فى ذلك . قلت : وهذه عادته يرتفع إلى السُّها ثم ينزل إلى البهموت(١) ، فتوجّه إليها وباشرها .

وفيه أيضا كتب بعزل قاضى القضاة جلال الدين أبى السعادات الشافعى عن قضاء مَكَّة ، وكتب باستقرار قاضى القضاة محب الدين محمد الطبرى إمام مقام إبراهيم بالحرم الشريف،فى قضاء الشافعية عوضا عن أبى السعادات المذكور ، وكتب أيضا باستقرار الشيخ برهان الدين إبراهيم بن نور الدين على بن ظهيرة، فى نظر الحرم الشريف، بعد استعفاء طُوغَان شيخ الأشرفى من ذلك .

● شوال : أوّله الأحد .

وفى يوم الثلاثاء عاشره كان انتهاء الكسوة التى أمر السلطان للمقر الجمالى ناظر الجيوش والخواص بعملها برسم القبر الشريف النبوى محمد صلى الله عليه

---

(١) البهموت : أى الحضيض .

وسلم ، وحملت على رءوس عدة كبيرة من الحمالين إلى القلعة فى أبهج زى وأحسن منظر، حتى عرضت على السلطان ، وخلع على الصاحب جمال الدين المذكور كاملية خضراء بمقلب سمّور ، وقيد له فرس بسرج ذهب وكُنْبُوش زركش ، ونزل إلى داره وبين يديه وجوه الدولة .

وفى يوم الجمعة ثالث عشره — الموافق لسابع عشرين توت — نودى على النيل بزيادة إصبع واحد لتتمة أربعة عشر إصبعا من عشرين ذراعا، وهذا منتهى زيادة النيل فى هذه السنة ، وأخذ فى النقص كما زاد، وتماسك إلى أواخر بابة .

فى يوم الأحد خامس عشره أمر السلطان بعبد العزيز بن محمد الصغير نقيب الجيوش ومحتسب القاهرة فضرب بين يدى السلطان ضربا مبرحا، تجاوز فيه عن الحد، حتى أشفى على الهلاك ، وسبب ذلك أنه كان — قبل تاريخه فى يوم فتنة المماليك الظاهرية مع الأمير يُونُس الدوادار المتقدم ذكرها — قد نَقَلَ للسلطان أنه دخل متنكرا إلى بيت يُونُس الدوادار المذكور فوجده قد تهيَّأ / للركوب على السلطان فلم يلتفت السلطان إلى كلامه لعلمه بجنه [1] وخفة دماغه وكذبه ، وأمره بكتم ذلك، ثم أخذ فى الفحص عن يُونُس المذكور ظاهرا وباطنا فلم يجد لما قاله عبد العزيز المذكور صحة ، ثم وقع من عبد العزيز أيضا ما أوجب غضب السلطان عليه، حتى كان من أمره ما كان ، ثم رسم بنفيه إلى دمياط على أقبح وجه، وأشيع موته لعظم ما به من الضرب والنكال . قلت : وما هذه بأوّل واقعة وقعت له لأنه مخمول الحركات من مبدإ أمره إلى منتهاه ، وقد حبس بالبرج بقلعة الجبل فى أوائل دولة الظاهر ، ثم أمر بنفيه مع أبيه غير مرّة ، وأما ما وقع له من السب والبهدلة من أرباب الديوان والنقباء فلا يعد ولا يحصى، أضربنا عن ذلك لكونه لم يكن من أعيان الناس لتشكر أفعاله أو تذم ، وإنما والده المعروف بمحمد الصغير كان من أولاد الناس القازانية . وكان فى مبادىء أمره يركب حماراً إلى أن عرف بحسن رَمْى النشّاب فترقّى ، وركب فرساً ، وصار كآحاد أجناد الحلقة ، وتربّى عبد العزيز هذا فى الأزقة ، وكان على وجهه قبول لجماله ، حتى تسلطن الملك الظاهر جَقْمَق وقَرب أباه ونادمه ، فصار

٣٤٤

(١) بجنه : أى بجنونه .

عبد العزيز هذا يسعى فى الخدم والوظائف ويبذل فيها الأموال ، ويتحمل من الديون ماشاء الله، إلا أنه يأخذ بغير رضى والده ، حتى كان من أمره ما حكيناه .

وفى يوم الثلاثاء سابع عشره برز أمير حاج المحمل الأمير بُرْدُبَك البَجْمَقْدَار الظاهرى جَقْمَق أحد أمراء الطبلخانات ورأس نَوْبَة بالمحمل إلى بركة الحاج ، وأمير الركب الأول الناصرى محمد ابن الأمير جَرِبَاش المحمدى الناصرى الأمير آخور الكبير ، المعروف بكُرْت ، والناصرى محمد هذا سِبْط الملك الناصر فرج بن بَرْقُوق ، وحجت والدته خوند شقراء بنت الملك الناصر فرج صحبة ولدها بتجمّل زائد إلى الغاية ، وسافر أيضا الأمير بيبَرْس الأشرفى أحد أمراء الطبلخانات ورأس نَوْبَة ، وخال الملك العزيز يوسف ابن الملك الأشرف بَرْسْبَاى إلى الحجاز مُقَدّم المماليك السلطانية المقيمين بمكة المشرفة .

٣٤٥ وفى يوم الثلاثاء هذا أخلع / على الشيخ على بن نصر الله الخراسانى الطويل بإعادته إلى حِسْبَةِ القاهرة ، واستقر السيفى خُشّكَلْدى السيفى قَجْقَار جَغْتَاى الزَّرَدْكَاش نقيب الجيوش المنصورة، كلاهما عوضا عن عبد العزيز بن محمد الصغير بعد نفيه إلى دمياط حسبما تقدم .

وفى يوم الجمعة العشرين منه رحل الأمير بِيبرس بالمماليك من بركة الحاج ، ثم رحل أمير الركب الأول فى يوم السبت ، وأمير الحاج فى يوم الأحد .

وفى أواخر هذا الشهر ورد الخبر بأن الملك خَلَف ابن السلطان محمد ابن السلطان الملك العادل سليمان الأيوبى (١) مَلَكَ قلعة حصن كَيْفَا ومدينتها من ابن أخيه الملك الكامل أحمد ابن الملك الكامل صلاح الدين خليل ابن الملك العادل سليمان الذى قتل ابن عمه الملك حسن ابن السلطان عثمان ابن الملك العادل سليمان ، وهرب الملك الكامل أحمد إلى حال سبيله ، وتلقب الملك خلف بالملك العادل .

(١) وسيأتى أن خلفا هذا سيقتل بيد أحد أقاربه وبموته ينتهى ملك بنى أيوب فى حصن كيفا سنة ٨٦٦ هـ — وانظر النجوم الزاهرة ١٦ : ٢٧٣ .

● ذو القعدة : أوله الاثنين .

فيه نودى على الذهب بالقاهرة أن لا يتعامل به أحد بأكثر من ثلاثمائة درهم الدينار ، وهدد من زاد على ذلك بأنواع الضرب والنكال .

وفى أوائل هذا الشهر برز المرسوم الشريف باستقرار القاضى جمال الدين يوسف الباعونى الشافعى فى قضاء دمشق،بعد عزل القاضى سراج الدين عمر الحِمْصِىّ وتوجهه إلى حمص بطّالا ، وولاية الباعونى هذا على مال كبير بذله فى ذلك .

وفى هذا الشهر رسم السلطان بهدم الإيوان القبلى من تربته التى بناها بالصحراء فى أيام إمرته خارج باب النصر بالقرب من تربة كوكاى ، وأمر أن تعمَّر مدرسته بأربعة أواوين ويجعلها خانقاه ، وخلع على الصاحب جمال الدين يوسف ناظر الجيش والخاص باستقراره فى نظر عمارتها .

وفى يوم الجمعة سادس عشرينه ــ الموافق لعاشر هتور ــ لبس السلطان القماش الصوف الملون ، وألبس الأمراء على العادة فى كل سنة .

● ذو الحِجَّة : أوله الثلاثاء .

ففى يوم الخميس ثالثه استقر على بن إسكندر فى نقابة الجيوش المنصورة بعد عزل خُشْكَلْدِى السيفى قَجْقَار جغتاى الزَّرَدْكَاش ، وعلى بن إسكندر هذا يعرف بابن الفيسى ، لكون والده / كان ابن أخت زوجة كمشبغا الفيسى .

٣٤٦

وفى يوم الخميس عاشره،وهو يوم عيد الأضحية،صلى السلطان الملك الأشرف إينال بجامع القلعة الناصرى صلاة العيد ، وخرج عائدا إلى الحوش السلطانى من قلعة الجبل ، ونحر ضحاياه به خوفا من المماليك الجُلْبَان الذين بالأطباق؛لما وقع منهم فى العام الماضى من الإخراق وكسر الحرمة ، وكانت العادة أن السلطان إذا خرج من الجامع جلس بالإيوان وبين يديه الأمراء ، وينحر به ضحاياه ثم يتوجه إلى باب الستارة وينحر به أيضا ، ثم يدخل بعد ذلك إلى الحوش وينحر به ، وكلما نحر بمكان من هذه المواضع تفرقت على الخدام والمماليك ومن له عادة بالأخذ ، فبطل ذلك كله، ونحر السلطان دفعة واحدة بالحوش ، وهذا شىء لم يعهد مثله فيما مضى ، وأظن ذلك صار عادة إلى الأبد .

وفى يوم الأحد العشرين منه نُودِى بالقاهرة وشوارعها : من ظُلِم،مَن قُهِر،فعليه بالأبواب الشريفة ، وقد شرع السلطان ينزل فى يومى السبت والثلاثاء إلى الإسطبل السلطانى للحكم بين الناس .

وفى يوم الجمعة خامس عشرينه وصل مبشر الحاج سُنْقُر الأشرفى أحد الدَّوَادارية المعروف بقَرَق شَبَق وأخبر بالأمن والسلامة ، وأخبر أيضا بأن الناس وقفوا بعرفات يوم الخميس ، ووقف أمير الركب الأول الأربعاء والخميس احتياطا ، ووقف أمير المحمل الأمير بُرْدُبَك الظاهرى الخميس لاغير ، قلت : فهذا يدل على أن هلال ذى الحجة أُرِّخ بمكة ليلة الأربعاء، بخلاف الديار المصرية فإنه أرِّخ بها الثلاثاء على اختلاف المطالع ، لكن وقوف أمير الركب الأوّل مرتين يدل على اضطراب الناس فى رؤيته بمكة ، وورد الخبر أيضا بموت العلامة محب الدين الأقصرائى الحنفى فى يوم الجمعة ثالث ذى الحجة على حسب تاريخ مكة ، ورابع ذى الحجة على حسب ماأرّخ بديار مصر ، وصلى عليه بالحرم الشريف ، وكانت جنازته مشهودة . ومات رحمه الله مُحرِما بعد السَّعى وطواف القدوم ، وكثر أسف الناس عليه بالديار المصرية ، لأنه كان من محاسن الدنيا دينا وعلما ، وفضلا وعبادة — رحمه الله .

وفى هذه السنة وقع بدمشق حريق عظيم فى عدة أماكن منها ، احترق فيها دور كثيرة ، وحوانيت وأملاك ، وتداول ذلك شيئاً / بعد شيئ، ولم يعلم أحد من هو فاعل ذلك ، واختلف الناس فيه فمنهم من قال : إنهم النصارى الذين أُمِرَ بهدم كنائسهم ، ومنهم من قال : الغرباء الذين نودى بدمشق بخروجهم منها ، ومنهم من قال غير ذلك ، وبعد قليل أخبرنى بعض الناس أنه مُسِكَ منهم جماعة ونُكّل بهم غاية النكال .

٣٤٧

وفرغت هذه السنة وقد عزّ وُجود الحَطَب جداًحتى إنه أبيع الحمل منه بنحو المائة وعشرين درهما ، وهو الحطب الطرفاء ، وأما الكارمى فلم يوجد أصلا من أواخر رمضان إلى الآن ، وقد أضرَّ ذلك بحال الناس كثيرا ، وقد صارت المماليك

تفتح الشُّوَن ومخازن الحَطب وتهجم بيوت الناس ببولاق ومصر وتأخذه من غير رضى أصحابه ـ أميرا كان صاحبه أو فقيرا ـ بثمن وغير ثمن ، وهذا أيضا من الأشياء التى لم يعهد مثلها من قلة وجود الحطب بالديار المصرية .

● أمْرُ النيل فى هذه السنة :

كان الماء القديم سبعة أذرع وخمسة أصابع ، مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعاً وأربعة عشر أصبعا ـــ والله تعالى أعلم .



ذكر من تُوُفِّىَ من الأعيان فى هذه السنة ممن تقدم ذكرهم رحمة الله تعالى عليهم

تُوُفِّىَ الأميرُ سيف الدين مُغُلْبَاى بن عبد الله الشهابى الناصرى،أحد أمراء العشرات بديار مصر بطالا فى يوم الخميس فى ليلة عاشر المحرم[1]، وكان أصله من مماليك الشهابى أحمد بن جمال الدين يوسف البيرى الأستادار ، ثم أخذه الملك الناصر فرج وجعله من جملة مماليكه ، فاستمر من جملة المماليك السلطانية إلى أن صار خاصكيا بعد موت الملك المؤيد شيخ ، ثم صار رأس نَوْبَة الجَمَدَارِيَّة فى دولة الملك الظاهر جَقْمَق ، ودام على ذلك إلى أن أنعم عليه الملك الظاهر بإمرة عشرة فى سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة ، فدام على ذلك إلى أن كانت الوقعة بين الملك المنصور وبين الأمير الكبيرإينال العلائى، صار مُغُلْبَاى هذا عند المنصور ، فلما تملك الملك الأشرف إينال أخرج إقطاعه ، فدام بطالا حتى مات فى التاريخ المذكور من غير مرض ، لكن شِبْه الفجاءة ـــ رحمه الله تعالى ، وعفا عنه .

وتُوُفِّىَ الشهابى أحمد ابن الشيخ شمس الدين محمد بن أحمد البيرى ، أحد الحجاب بالقاهرة ، المعروف بابن أخى جمال الدين الأستادار ، فى صبيحة يوم الاثنين / ثانى عشرين صفر ، وله سبعون سنة تخمينا ، ودفن بتربة عمه جمال الدين الأستادار بالصحراء خارج القاهرة ـــ رحمه الله . ٣٤٨

وتُوُفِّىَ الأمير سيف الدين جُلُبَّان بن عبد الله[2]نائب الشام بها فى يوم الثلاثاء سادس عشر صفر ، وله نحو ثمانين سنة تخمينا ، وكان يعرف بالأمير آخور ، وفى معتقه أقوال ، أحدها : أنه من مماليك الأمير تَنِبَك الأمير آخور الظاهرى المتوفى

---

(١) عبارة النجوم الزاهرة ١٦ : ١٧٤ « فى ليلة الخميس عاشر المحرم » حيث ترحم له المؤلف هناك .

(٢) ترحم له المؤلف فى النجوم الزاهرة ١٦ : ١٧٤ ط الهيئة العامة للكتاب .

فى سنة تسع وتسعين وسبعمائة ، واشتراه بعده سُودُون طَاز الظاهرى الأميرآخور وأعتقه ، وتنقل فى الخدم حتى صار بخدمة الأمير جَارْكَس القَاسِمى المصارع ، ثم اتصل بخدمة الملك المؤيد أيام إمرته،فجعله من جملة أمير آخوريته ، وهذا القول أحسن الأقوال وأصحها فى معتقه ، ودام جُلُبَّان بخدمة الملك المؤيد شيخ إلى أن تسلطن،جعله من جملة الأمير آخورية ، ثم أنعم عليه بإمرة عشرة ، ثم جعله أمير آخور ثانيا ، ولهذا كان لايعرف إلا بالأمير آخور ، ثم نقله الملك المؤيد إلى تقدمة ألف فى حدود سنة عشرين وثمانمائة ، واستقر بعده فى الأمير آخورية الثانية الأمير آقْبُغَا التِّمْرَازِى ، ودام جُلُبَّان على تقدمة ألف إلى أن أخرج الملك المؤيد عسكرا إلى الشام فى سنة ثلاث وعشرين،وجعل مقدَّم العسكر الأتابكَ أَلْطُنْبُغَا القَرْمَشِى الظَّاهرى ، وأضاف إليه عدة من مقدّمى الألوف ، فكان جُلُبَّان هذا ممن انضاف إليه ، وساروا إلى البلاد الشامية ، ومات الملك المؤيد فى محرم سنة أربع وعشرين ، وهم بتلك البلاد ولازالوا بها حتى توجّه الأمير طَطَرَ بالملك المظفّر أحمد إلى الشام،وقبض على القَرْمَشِى ورُفْقَتِهِ ، فكان جُلُبَّان هذا ممن قبض عليه ، وحمل إلى قلعة صفد فحبس بها إلى أن أطلقه إينال نائب صفد،لما خرج عن طاعة الملك الأشرف بَرْسْبَاى . فهرب جُلُبَّان المذكور من إينال وقَدِمَ دمشق داخلا فى طاعة الملك الأشرف ، فرسم الملك الأشرف بالقبض عليه ثانيا وحبسه ، فوقع ذلك ، إلى أن أطلقه الملك الأشرف أيضا بعد مدة يسيرة ، وأنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف بدمشق ، ثم نقله إلى نيابة حماة بعد الأمير جَارْ قُطْلُو فِى يوم الخميس العشرين من شهر رجب سنة ست وعشرين ، وانتقل جَارْ قُطْلُو إلى نيابة حلب بحكم انتقال تَنِبَك البَجَاسِى إلى نيابة الشام بعد موت الأمير تَنِبَك / ميق العلائى الظاهرى ، فدام جُلُبَّان فى نيابة حماة سنين ٣٤٩ إلى أن نقله الملك الأشرف إلى نيابة طَرَابُلُس ، بعد موت الأتابك طَرَبَاى فى العشر الأوسط من شعبان سنة ثمان وثمانمائة ، وتولى بعده نيابة حماة الأمير قَانِى بَاى الحمزاوي أحد مقدمى الألوف بديار مصر ، فاستمر فى نيابة طَرَابُلُس إلى أن نقله الملك الظاهر جَقْمَق إلى نيابة حلب ، بعد عصيان حُسَين بن أحمد المدعو تَغْرى بَرْمُش التركمانى فى سلخ شهر رمضان من اثنتين وأربعين ، فلم تطل مدته فى نيابة حلب ونقل

إلى نيابة دمشق،بعد موت الأمير أَقْبُغَا التِّمْرازِى فى شهر ربيع الآخر [سنة ثلاث وأربعين][1] وحمل إليه التقليد والتشريف دُولاَت بَاى المحمودى المؤيدى ، وعاد منه بأموال كثيرة إلى الغاية ، فدام جُلُبَّان فى نيابة الشام من يومئذ ، وتردَّد إلى القاهرة غير مرة ، واستمر فى نيابته إلى أن مات فى التاريخ المذكور ، وكان أميرا جليلا عاقلا سيوساً ، عارفاً بمداراة الملوك ، وباشر وقائع،وحضر حروبا،وقاسى خطوبَ الدهر ألوانا فى خدمته للملك المؤيد شيخ أيام إمرته ، وكان متجملا فى مركبه ومماليكه وحشمه ، غير أنه كان قصيراً جداً ، ومع هذا وقع له مالم يقع لغيره من أبناء جنسه ، منها : أنه أقام أميرا بمصر والشام نحوا من ثلاث وأربعين سنة ، وهذا لم يقع لغيره إلا نادراً جدا ، ومنها أنه طالت مدة ولايته بالبلاد الشامية منتقلا من بلد إلى أعظم منها نحواً من ثلاث وثلاثين سنة ، وهذا أيضا لم يقع لغيره ، ومنها أنه أقام نائبا بدمشق نحو خمس عشرة سنة ، وهذا شيء لم يقع لغيره أيضا من أيام تَنْكِز النَّاصرى ، ومنها أنه لم ينتقل من بلد إلى غيرها إلا والأمير قَانِى بَاى الحمزاوى يلى تلك البلد التى خرج منها عوضه،حتى إن قَانِى بَاى المذكور ولى نيابة الشام أيضا بعد موته ، وهذا أيضا من الاتفاقات الغريبة ، ومنها أنه باشر نيابة دمشق فى ثلاث دُوَل ، وهذا أيضا لم يقع لغيره . وبالجملة إنه كان من بقية الأمراء . وممن رأى تلك الأعصار ـــ رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين يَشْبُك الناصرى[2] أحد أمراء الطبلخانات ورأس نَوْبَة ثانى بعد مرض طويل،فى يوم الأحد ثامن عشر صفر وقد ناهز السبعين تخمينا ، وكان أصله من مماليك الملك الناصر فرج ، ثم انحط قدره ، وخدم فى بيوت الأمراء مدة طويلة،إلى أن ردّه الملك الظاهر طَطَر إلى بيت السلطان ، وجعله من جملة الخاصكية،فدام على ذلك دهرا طويلا إلى أن / أنعم عليه الملك الظاهر جَقْمَق فى أوائل أمره بإمرة عشرة ، وجعله من جملة رءوس النوب ، واستمر على ذلك إلى ٣٥٠

(١) الإضافة من النجوم الزاهرة ١٦ : ١٧٥ ط . الهيئة العامة للكتاب .

(٢) ترجم له المؤلف فى النجوم الزاهرة ١٦ : ١٧٦ ط . الهيئة العامة للكتاب .

أن أنعم عليه الملك المنصور عثمان بإمرة طبلخاناه عوضا عن جَانِبَك القَرَمَانى، بحكم انتقال جَانِبَك القَرَمَانى إلى طبلخاناه يُونُس المشدّ، بحكم انتقال يُونُس إلى تقدمة ألف بديار مصر ، ثم صار رأس نَوْبَة ثانيا فى دولة الملك الأشرف إينال، إلى أن مرض ومات فى التاريخ المذكور ، وكان مهملاً مسرفاً على نفسه ، لم يعرف بشجاعة ولا كرم ولا دين ـــ عفا الله تعالى عنه .

وتُوُفِّى الوزير الصاحب أمين الدين إبراهيم ابن الرئيس مجد الدين عبد الغنى ابن الهَيْصَم[1] وزير الديار المصرية ورئيسها بطالا فى ليلة الخميس مستهل شهر ربيع الآخر ، وكان مولده فى أوائل القرن تخمينا بالديار المصرية ، نشأ فى الرياسة تحت كنف والده ، ثم عمه الصاحب تاج الدين عبد الرّزّاق بن الهَيْصَم إلى أن كبر وعرف الحساب ، وكتب الخط المنسوب ، وباشر فى عدة جهات إلى أن نقل إلى نظر الدّولة بعد القاضى كريم الدين عبد الكريم بن كاتب جكم، بحكم انتقاله إلى نظر الخاص بعد الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله- فى يوم الاثنين ثانى عشر جمادى الأولى سنة ثمان وعشرين ، ودام فى وظيفة نظر الدولة إلى سنة سبع وثلاثين أخلع عليه باستقراره وزيرا بعد عزل الصاحب كريم الدين بن كاتب المناخ ، واستقل بوظيفة الأستادارية ، فباشر الصاحب أمين الدين هذا الوزرَ مدة أشهر ، فلم ينتج أمره وتسحّب واختفى أشهرا ، ثم ظهر بشفاعة الأمير إينال الأبو بكرى الخازندار فيه ، ثم ولى بعد ذلك نظر [الديوان] المفرد[2] ، ثم أعيد إلى نظر الدولة ثانيا ، ودام فيها أيضا سنين إلى يوم الاثنين ثامن جمادى الآخرة سنة إحدى وخمسين وثمانمائة أخلع عليه الملك الظاهر جَقْمَق باستقراره وزيرا عوضا عن الصاحب كريم الدين بحكم تعلله ولزومه الفراش ، وهذه ولايته الثانية ، فباشر الوزَرَ فى هذه المّرة مباشرة جيدة لاسيما لَمَّا وَقَع الشراقى والغلاء بديار مصر فى سنة أربع وخمسين وسنة خمس وخمسين ، ودام فى الوزر إلى أن عجَزَ واستعفى فأعفى ، واستقر عوضه تَغْرِى بَرْدى القلاوى

---

(١) له ترجمة فى النجوم الزاهرة ١٦ : ١٧٥ ط . الهيئة العامة للكتاب .

(٢) الاضافة للتوضيح .

فى يوم الخميس رابع شوال سنة ست وخمسين ، فدام معزولا إلى أن استعفى القلاوى
٣٥١ وأعيد الصاحب أمين الدين إلى الوزَر / من قبل الملك المنصور عثمان فى يوم الخميس
تاسع عشر صفر سنة سبع وخمسين ، فدام فى الوزر إلى أن عجز واختفى فى يوم
الأربعاء أول شهر رمضان من سنة سبع وخمسين وثمانمائة ، واستقر عوضه فى الوزر
فرج بن النحال كاتب المماليك السلطانية ، فدام الصاحب أمين الدين فى اختفائه مُدَّةً
ثم ظهر بأمان ، وأعيد إلى الوزر بعد عزل فرج بن النحال المذكور فى يوم الاثنين حادى
عشرين جمادى الأولى سنة ثمان وخمسين ، فلم تطل مدته أيضا فى الوزر ، وأظهر العجز
واستعفى فلم يُعْفَ ، فاختفى فى يوم السبت حادى عشر ذى القعدة من سنة ثمان
وخمسين ، وأعيد فرج بن النحال فى الوزر من بعده . فدام فى اختفائه مدة إلى أن مَرِض
ومات ، وكان بمعزل عن الأقباط ، وتزوّج من المسلمين ، وكان يحب الفقراء
والصالحين ، وله فيهم اعتقاد عظيم ، وحج ، وفى الجملة : إنه كان أصلح الموجودين من
أبناء جنسه الأقباط ، وأخفهم ظلما ، وأكثرهم تجملا فى ملبسه ومركبه ، وكان ترِفًا
إلى الغاية ـــ رحمه الله تعالى وعفا عنه .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين خَيِرْبَك بن عبد الله المؤيدى[1] ، أحد مقدمى
الألوف بديار مصر ، فى يوم الخميس تاسع عشر من شهر ربيع الآخر بداره التى
تجاه مُصَلاَّة المؤمنى ، ولم يحضر السلطان الصلاة عليه ولا ولده المقام الشهابى
أحمد ، ومات وهو فى حدود الستين سنة ، وأصله من مماليك الملك المؤيد شيخ ،
وصار خاصكيا من بعده مدة طويلة،إلى أن وقع بينه وبين جَانِبَك اليَشْبكى المعروف
جُحاَ ـــ بتقديم الجيم ـــ فتنة وشكاه جَانِبَك المذكور إلى الملك الأشرف بَرْسْبَاى
فنفاه الأشرف إلى الشام ، ثم أنعم عليه بعد ذلك بإمرةٍ ، فدام خَيِرْبَك المذكور من
جملة أمراء دمشق سنين،إلى أن جعله الملك الظاهر جَقْمَق أمير مائة ومقدّم ألف
بدمشق ، ثم نقله بعد سنين إلى الأتابكية بها بعد موت إينال الشِّشْمَاني فى حدود
سنة خمسين وثمانمائة ، فدام أتابكا إلى سنة ست وخمسين رسم الملك الظاهر جَقْمَق

(١) له ترجمة فى النجوم الزاهرة ١٦ : ١٧٦ .

بمسكه وحبسه لأمر اقتضى ذلك ، وصار الأمير يَشْبُك مِن جَانِبَك المؤيدى المعروف بالصُّوفى أتابكا عوضه / ، فاستمر خَيِرْبَك هذا محبوساً إلى أن أطلقه الملك الأشرف ٣٥٢ إينال فى أوائل سلطنته ، واستقدمه إلى الديار المصرية فى شهر ربيع الآخر سنة سبع وخمسين ، وبعد أيام أخلع عليه بنيابة طَرَسُوس ، فلبس الخلعة على كُرْهٍ ، ثم استعفى فأعفى وأقام بطالا أياما، إلى أن مات الأمير دُولاَت باى المؤيدى الدوادار — كان — فأنعم بتقدمته على خَيِرْبَك هذا ، قلت : بئس البديل ، والفرق بينهما واضح ؛ هما طرفا نقيض فى الشكل والفعل ، فدام خَيِرْبَك هذا من جملة أمراء الألوف بالقاهرة إلى أن مرض ، وطال مرضه ، وأراد أن يتعافى غصبا غير مَرّة فلم يقدر على ذلك ؛ فإنه لما طال مرضه بلغه أن السلطان أنعم بإقطاعه على الأمير قَانَم التَّاجر المؤيدى ، فلما سمع ذلك لبس قماشه وركب وطلع القلعة بعد العصر فى بعض ليالى الخدم وهو يتجلد لما به من شدة المرض ، فحال جلوسِه تقيأ وأغمى عليه ، فحمل وأنزل إلى داره ، ومكث أياما وترجح قليلا وأشيع أيضا ما ذكرناه من خروج إقطاعه ، فلبس ثيابه وركب فرسه وسَيّر بِحوشِيهِ فأغمى عليه ، وأنزل من على فرسه على أقبح حال ، ولزم الفراش أياما أخر ، ووجد فى نفسه خفة ، وبلغه القول أيضا فلبس ثيابه وركب فرسه وخرج من داره وبين يديه مماليكه على خيولهم ، وسيّر حتى وصل إلى ساحل بولاق، وعلى رأسه تخفيفة كبيرة وعليه سلارى وَشْق ، ورأيته ذلك اليوم بالجزيرة الوسطى وسلمت عليه ، فلم أرَ فيه أثر ضعف ، لأن وجهه كان قديما أصفر وهو أجرود ، وفى حنكه شعيرات قليلة ، قلت : هذا هو على حاله ، ثم عاد إلى بيته ولم أدر ما وقع له، غير أنى ركبت بعد أيام قليلة إلى سوق الخيل فقال لى شخص : خَيِرْبَك مات ، فظننته يستفهم منى حاله ، فقلت : لا بل طيّب ورأيته طاب وركب الفرس وسيّر ، فبينما أنا أحادثه قبل تمام الكلام تحرّك جماعة من الأمراء الوقوف بسوق الخيل ، فالتفتُّ فإذا بنعشه قد خرج من باب داره ، فسرت نحوه مُسْرعاً حتى وافيت نعشه وقد وصل إلى مصلاّة المؤمنى ، فصلى عليه ودفن بالصحراء من يومه ، ومات قهرا على رغم أنفه ، واستراح وأراح ؛ لأنه كان لا ذات ولا أدوات ، ولا دين / ٣٥٣ ولا دنيا ، وأنعم بإقطاعه على الأمير قَانَم التاجر .

وتُوفّى الشيخ الإمام الأديب الفقيه شمس الدين محمد بن حسن بن على النّوَاجى الشافعى الشاعر المشهور[1] ، فى يوم الأربعاء سادس عشرين جمادى الأول بداره بالقاهرة ، ومولده بقرية نواج بالغربية بالوجه البحرى من أعمال القاهرة،سنة ثمان وثمانين وسبعمائة ، ونشأ بالقاهرة ، واشتغل وقرأ ودأب وسمع الحديث الكثير حتى برع فى العربية والأدب،وقال الشعر الفائق الرائق ، ومدح الأكابر ، وكتب الكثير بخطه ، وقرأ بنفسه ، واستجاز وأجاز ، واستجزته أنا فى استدعاءٍ ، فكتب إلّى بعد أن عدّد مسموعاته وأسماء مشايخه يقول :[الوافر]

لك الله المهيمن كم أبانت خلال اليوسفية عن معالِ
وسُقْتَ حديث وصْلِكَ عَنْ يَراعٍ تسلسل عنه أخبار العَوَالى

قلت : وأنشدنى الشيخ شمس الدين المذكور كثيرا من شعره لطول تردداه إلّى فى مدة السنين ، فمن ذلك قوله : [الوافر] .

طلبت وصاله فدنا لحربى يُهزُّ من القوامِ اللّدن رُمْحا
وسلَّ من اللواحظ مَشْرَفياً ليضرب قلت : لا ، بالله صفحا

ومن ذلك قصيدة يمدح النبى صلى الله عليه وسلم منها : [السريع] .

لله كم فى حىٍّ ليلى فتاهْ شَاهَدَها المُضْنَى عيانا فتاهْ
غزالة الحسن ولكنها تَقْنِص باللحظ أسُودَ الشراه
لو برزت للشمس فى صحوها لَفَّت حياء وجهها فى مُلاه
وما رنت للبدر إلا لكى تبصر منه وجهها فى مِرَاه
قد حيّر النُّظَّامَ مِن ثغرها درٌّ أجاد الجوْهَرِى مُنتقاه
وزَانَ طُرْسَ الخدِّ صدغان وقد زاده حسنا عندما رقَّماه[2]

---

(١) ترجم له المؤلف فى النجوم الزاهرة ١٦ : ١٧٧) وترجم له السخاوى ــ فى الضوء اللامع ٧ : ٢٢٩ ــ ٢٣٢)

(٢) ورد فى هامش اللوحة « رق ماه » والمقصود أنه يمكن فك اللفظ على هذه الصورة ويصير المعنى : عندما رق ماؤه .

يامن لصبٍ فى مبادى الصِّبا قد بلغ العشقُ به منتهاه
شبَّ هواه إذْ مضى عُمْرُه وشابَ وَجْداً رأسه فى صباه
كالقّلم الممشوق وهنا فما زال به السُّقم إلى أن بَراه / ٣٥٤
مُضْنًى مُعَنًّى القلب ماقصده إلا لَمَى ثَغْرِ حبيب وفاه
أو شفَة تشفى جَوَاه عسى تروى أحاديث هواه شِفاه
حاشاه يصحو من هوًى بعدما قد ملأ الوجدُ شجونا حشاه
ياكعبة الحسن البديع التى لنحوها تسجد غُرّ الجباه
ياربة الخِدْرِ وَمَن سِتْرُها أَسْبَلَ فوق الخلقِ طُرَّاغِطاه
ويلاه إن مُتُّ غَراما وَمَا رَشَفْتُ من رِيقك ماءَ الحياه
وكيف يخشى الموتَ مَنْ موتُه فى حب من يهواه أقصى مناه
مستسلماً لله مستشفعا بالـ مصطفى الهادى رسول الإله
صفوة بارى الخلق كهف النهى عصمة دين الحق ذخر العُصَاه
غيث ندى الأفضال بحر العطا معدن در الجود كنز العُفَاه
من خصّه الله بقرآنِه فضلا وبالسبع المثانى حَباهُ
أُرْسِلَ للخلق شفيعا فَعَمَّ الإنسَ والجنَّ جميعا دُعاهْ
وفَاه بالحق فلله مَن حَقَّق معنى قَوْلِه واقتفاهْ[1]
فَشُدَّ أزر الدين واستوسَق الشرعُ وزُرَّت بعد فَصم عُراهْ
وانجاب غَيْمُ الشَّكِ عن غَيْهَبِ الشِّرْكِ وَجَلَّى بهُدَاهُ دُجاه
لله ما أولاه للبرّ من بَرٍّ يفوق البحر جُودًا عطاهْ
أغرُّ وضاحُ جبينٍ كريمُ الأصل سهلٌ حَسنٌ ملتقاهْ

وهى أطول من هذا حَذفنا أكثرها خشية الإطالة والملل ،ومن نظمه اكتفاء بحرف مع بديع التورية : — [الطويل]

خليلى : هذا ربع عَزَّة فاسعَيَا إليه وإن سالت به أدمعى طوفان
فجَفْنِى جَفَا طيبَ المنام وجَفْنُها جفانى ، فيالله مِن شَرَك الأجفان

(١) ورد فى هامش اللوحة « وقت فاه » أى وقت تفوّه .

ومن نظمه أيضا قوله : ــ [الوافر] .

لئن أفرطت فى حسن ابتدائى ورمت تخلصى يوم الزحام
فبالمختار أرجو عفوَ ربى ليرشدنى إلى حسن الختام

واستوعبنا كثيرا من شعره فى ترجمته فى تاريخنا المسمى بالمنهل الصافى ، فمن أراد ذلك فليراجعه ، لأن التاريخ المذكور جدير بالتطويل؛ لأنه بصدد ذكر التراجم / خاصة بخلاف هذا الكتاب فإنه محل ذكر الحوادث ، وهو جدير بالاختصار على العادة ، والله الموفق بمنه وكرمه . ٣٥٥

وتُوُفِّى الشيخ المعتقد محمد المغربى المجذُوبُ[1] فى صبيحة يوم الجمعة خامس جمادى الآخرة ، ودفن من يومه قبل صلاة الجمعة ، وصلى عليه بمصلاة باب النصر أحد أبواب القاهرة ، ورسم السطان الملك الأشرف إينال أن يدفن الشيخ محمد هذا فى تربته التى أنشأها بالصحراء خارج باب النصر بجوار تربة كُوكَاى ، فدفن بها ، وكان الشيخ محمد مقيما على قاعة البَغادِدَة تحت السَّاباط تجاه الربع المعروف قديما بدار[2] الجاولى بالقرب من جامع الحاكم داخل باب النصر، وأقام فى الموضع المذكور سنين طويلة ، ومن عمرى أعرفه هناك لايتحرك صيفاً ولا شتاءً ليلا ولا نهاراً ، وهو جالسٌ على مكان عالٍ ، وتحته حجارة مرصوصة ، والناس تأتيه بالمأكل والمشرب ، وله أناس تخدمه ، وللناس فيه اعتقاد كبير ، وكنت أزوره على بعد ؛ لدناسة مكانه وثيابه ، فإن حاله كان حال المجاذيب ، وذكر بعض الناس أنه ظهر له بعض ما يدل على الصلاح ، غير أننى بلغنى أنه وُجِدَ بعد موته مكانَ جلوسه جملة كبيرة من الفضة والذهب ، نحو خمسة وعشرين ألف درهم ، فهذا من العجائب ؛ لكونه كان من المجاذيب المستغرقة ، ويعرف تحصيل الدراهم ، قلت : لعله كان يحب الجمع بالطبع على قاعدة المغاربة ، والله أعلم .

---

(١) له ترجمة فى « السخاوى ــ الضوء اللامع ١٠ : ١٢٥ » وترحم له المؤلف فى النجوم الزاهرة ١٦ : ١٧٧

(٢) دار الحاولى :أنشأها علم الدين سحر الجاولى وجعلها وقفا على مدرستة بحط الكبش بجوار الجامع الطولونى . وعرفت فى رمان المقريزى بقاعة البغاددة لسكنى عبد الصمد الجوهرى البعدادى بها هو وأولاده فى سنة ٧٤٧ هـ إلى بعد سنة ٨١٦ هـ . وهى من الدور الجليلة (المقريزى ــ الخطط ٢ : ٦٤) .

وتُوُفّى القاضى الرئيس صلاح الدين محمد المعروف بابن السابق[١] الحموى الشافعى ، كاتب سرّ دمشق بها بطالا بعد مرض طويل ، فى يوم الأحد ثامن عشرين جمادى الآخرة ، عن أربع وثمانين سنة ، ومولده بحماة ، وبها نشأ فى الرياسة إلى أن ولى فى أوائل الدولة الظاهرية جَقْمَق كتابة سرّ حلب ، ثم نقل إلى كتابة سرّ دمشق ، فباشر سنين عديدةً ، وشُكِرَتْ سيرتُه وحمدت طريقته ، إلى أن عزل بقطب الدين محمد الخَيْضَرى فى سنة سبع وخمسين ، فلزم المذكور داره مُكِبًّا على العبادة والانقطاع عن الناس ، إلى أن تُوُفِّى بدمشق فى التاريخ المذكور ، وكان من محاسن الدنيا ؛ لما اشتمل عليه من الحشمة والرياسة والتواضع والبشاشة والدين ، مع حسن الشكل — رحمه الله - وخلف ولدا نجيبا .

وتُوُفِّى محب الدين محمد ابن الشيخ العلامة / زين الدين أبى بكر بن عمر ابن عرفات القِمَنِّى[٢] الشافعى ، فى يوم الاثنين رابع عشر رجب — رحمه الله تعالى . ٣٥٦

وتُوُفِّيت خوندشاه زاده بنت الأمير أرخن بك بن محمد كرشجى بن يلدرم بايزيد بن عثمان[٣] ، الرومية الأصل والمولد ، المصرية الدار والمنشأ والوفاة ، فى أواخر شهر رجب ، وكانت قدمت مع أخيها سليمان من بلاد الروم إلى الديار المصرية ، فأكرمها الملك الأشرف بَرْسْبَاى وأنزلها بقلعة الجبل فى الدور السلطانى سنين إلى أن حسّنَ بعض الأروام لمتولى تربيتها الهرب بهما إلى بلاد الروم ، واستعدوا لذلك ، وحضر شينى[٤] إلى ثغر رشيد مشحون بالزاد والمقاتلة لأخذهم فى الباطن ، وفى الظاهر فى زى التجار ، ولازال اللّلالاَ يترقَّب الفرص حتى أمكنه ذلك ، وأخذهما من وسط القلعة وذهب بهما إلى الثغر المذكور ، ولم يبق إلا نزولهما فى

---

(١) ترجم له المؤلف فى (النجوم الزاهرة ١٦ : ١٧٨ ط . الهيئة العامة للكتاب) .

(٢) ترجم له المؤلف فى (النجوم الزاهرة ١٦ : ١٧٨) كما ترجم له السخاوى فى (الضوء اللامع ٧ : ١٨٧ — ١٨٨) .

(٣) لها ترجمة فى (النجوم الزاهرة ١٦ : ١٧٨ ط . الهيئة العامة للكتاب) .

(٤) الشينى : من أقدم أنواع السفن الحربية . وتمثل أهم قطعة فى الأسطول الرومانى . ويقال إنها المركب الطويل . وقد صارت من أهم قطع الأساطيل الإسلامية وأكثرها استعمالا فى حمل المقاتلة . وانظر (دكتورة سعاد ماهر — البحرية فى مصر الإسلامية ص ٣٥٢) .

الشيِّنى وسفرهما ، وكان عند نزولهما بلغ السلطان الملك الأشرف ذلك ، فعظم عليه هروبهما على هذا الوجه ، فإن مُرَاد بَك بن عثمان متملك بلاد الروم أرسل إلى الأشرف يطلبهما غير مَرّة فامتنع الأشرف من إرسالهما لئلا يقتل سليمان هذا خوفا على مملكته على جارى عادتهم من قتل إخوتهم وأقاربهم ، وكان ابن عتمان يخاف من سليمان هذا يأخذه[1] أعداؤه ويقاتلونه به ، فوقع ذلك من غير رضى الأشرف ، وصار الأشرف متحيِّرا ؛ هل الذى أخذهما من أعداء ابن عثمان أم مكيدة من ابن عثمان حتى يظفر بسليمان هذا وأخته شاه زاده المذكورة ؟ فندب الأشرف فى الحال عسكرا من خاصكيته فى إثر القوم إلى أن أدركوهم بثغر رشيد وقد مُنِعُوا من السفر لعدم الريح ، فوقع بين الطائفتين قتالٌ عظيم انتصر فيه عسكر السلطان ، وأخَذَت الأروامَ وسليمان وأخته شاه زادة المذكورة ، وعادوا بالجميع إلى الديار المصرية ، فأبْدَع الملك الأشرف فى الأروام ، وقتل منهم جماعة ، وقطع أيدى جماعة كبيرة ، وأعاد سليمان وأخته هذه إلى مكانهما إلى أن مات سليمان بالطاعون فى سنة إحدى وأربعين ، وأما شاه زادة هذه فإنها لما كبرت أراد تزويجها ببعض أكابر الأمراء لكونها من أولاد الملوك ، ثم تزوجَّها هو ، ودامت عنده من جملة الخوندات مدة يسيرة ، ومات الأشرف / فتزوجها بعده الملك الظاهر جَقْمَق ، ٣٥٧ واستولدها عدة أولاد ، ثم طلقها بعد سنة ثلاث وخمسين ، ونزلت دارها بالجُودَرِيَّة[2] إلى أن تزوجها الأمير بَرْسْبَاى البَجَاسِى أحد مقدمى الألوف بالقاهرة ، فدامت عنده إلى أن مرضت وطال مرضها حتى ماتت فى التاريخ المذكور وسنها نيّف على ثلاثين سنة ، وخلفت مالا كثيرا من أنواع الأقمشة ، من جملة ذلك : شدُّجبينٍ مرصع قيمتُه خمسة عشر ألف دينار مصرية ، وقس على هذا ، وخلفت من الورثة والدتها وزوجها لاغير ، مع ابن عمها محمد بك بن عثمان متملك بلاد الروم ـــ رحمها الله تعالى .

---

(١) أى يخاف أن يأخذه أعداؤه مكيدة فى ابن عثمان .

(٢) الجودرية : هى المنطقة التى يخترقها شارع الجودرية وحارة الجودرية الكبيرة والصغيرة وعطفة الجودرية . قرب باب الخلق ـــ وانظر(النجوم الزاهرة ٤ ٠ ٥١ ط . دار الكتب) .

وتُوُفِّى السيد الشريف بَرَكَات بن حسن بن عَجْلان بن رُمَيْثَة ، واسم رُمَيْثَة محمد بن أبى نُمَى محمد بن أبى سعد حسن بن على بن أبى عزيز قتادة بن إدريس ابن مُطَاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن على بن عبد الله بن محمد ابن موسى بن عبد الله المحض بن موسى بن الحسن بن على بن أبى طالب المكى الحسنى زين الدين أبو زهير[١]، أمير مكة المشرفة وابن أميرها بدر الدين حسن ، فى بطن[٢] مَرّ ، خارج مكة ، فى يوم الاثنين تاسع شعبان ، فحمل إلى مكة ليلا وغسِّل وكفِّن وأخرج إلى الحرم الشريف فى نعشه فى يوم الثلاثاء ، وطيف به أسبوعا ، وصُلِّى عليه عند باب الكعبة ، ثم دفن [بالمعلاة] [٣]وكان له مشهد عظيم إلى الغاية ، ومولده بمكة فى سنة إحدى وثمانمائة ، وأمه أم كامل بنت النصيح من ذوى عمر ، ولى إمرة مكة شريكا لوالده ولأخيه أحمد سنة عشر[٤]وثمانمائة ، ثم استقل بها فى سنة تسع وعشرين وثمانمائة من قبل الملك الأشرف بَرْسْبَاى سلطان الديار المصرية بعد وفاة والده بديار مصر ، فدام بركات المذكور فى إمرة مكة إلى سنة خمس وأربعين عزله الملك الظاهر جَقْمَق بأخيه على ابن حسن ، فخرج بركات من مكة وتسلَّمَها علىٌّ من غير قتال ، ثم وقع بينهما بعد ذلك أمور ووقائع ، وعزل الشريف علىّ بأخيه أبى القاسم بن حسن ، ودام بركات نازحا عن مكة إلى أن طلبَ بركاتُ الأمانَ من السلطان الملك الظاهرى جقمق مع ولده محمد فأرسل إليه السلطان الأمان ، فأخذه الشريف / بركات وتوجّه قادماً إلى القاهرة حتى وصل إليها فى شهر رجب من سنة خمسين،ونزل السلطان إلى لقائِه وأكرمه غاية الإكرام ، حتى إنه قام له ومشى إليه خطوات كثيرة ، وجلس معه من غير مرتبة مراعاة لسلفه الطاهر ، ثم أخلع عليه بإمرة مكة ، ودام بركات بالقاهرة مقيما والرواتب السنية تصل إليه إلى أن سافر يوم عاشر شعبان إلى مكة المشرفة ،

٣٥٨

(١) ترجم له المؤلف فى (النجوم الزاهرة ١٦ : ١٧٨ — ١٧٩ ط . الهيئة العامة للكتاب) .

(٢) بطن مر : ويقال مر الظهران ويقع على مرحلة من مكة (القاموس المحيط) .

(٣) مابين الحاصرتين بياض بالأصل . والإضافة من (النجوم الزاهرة ١٦ : ١٧٩ —/ والمعلاة . أشهر مقابر مكة

(٤) كذا فى الأصول وأيضا فى النجوم الزاهرة ٦ : ١٧٩ . ولعلها سنة عشرين إذ ان سن بركات المذكور حينئذ يكون تسع عشرة سنة وهى سن معقولة له لمن يشارك فى الحكم .

فدام بها إلى أن مات فى التاريخ المذكور ، وتولّى بعده إمرة مكة ولدُه محمد، على أنه يحمل إلى الخزانة الشريفة خمسين ألف دينار على نقدات متفرقة ، على طَوْلٍ ، وكان الشريف بركات رجلا طوالا حسن الشّكل ، عادِلاً فى أحكامه ، مُدَبِّرا سيوساً ، شجاعاً مِقداماً ، وفيه سكينة وعليه حشمة ووقار ، وخلّف شيئا كثيرا من المواشى والسلاح ، فكان ماخلفه من النقد نحو ثلاثين ألف دينار ، ومن النِّيَاق الخاص نحو عشرة آلاف ناقة ، ومن الخيل نحو ستمائة فرس ، ومن السلاح والخيم والأغنام والقماش شيئا كثيرا ، ومات وهو أرْأَس بنى عجلان بلامدافعة ـــ عفا الله عنه .

وتُوُفِّى الأميرَ سيف الدين جَانِبَك بن عبد الله الشمسى المؤيدى (١) أحد أمراء الطبلخانات بدمشق ، فى أواخر ذى القعدة أو فى أوائِل ذى الحجة بدمشق ، وكان أصله من مماليك الملك المؤيد شيخ ،واشتراه فى أيّام أتابكيته ، وترقّى من بعده حتى صار من أمراء طَرَابُلس ، ثم ولى حجوبية حجّاب حَلب ، ثم عُزِل وتوجّه إلى دمشق ، وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه بها إلى أن مات فى التاريخ المذكور ، وكان قد قدم إلى الديار المصرية غير مرة ، ولم يكن من أعيان الأمراء لتعرف أحواله ، وأنعم بإقطاعه على ألماَس الأشرفى أحد أمراء حلب ودوادار السلطان بها .

وتُوُفِّى الشيخ الإمام العالم العلامة محب الدين محمد ابن الشيخ الإمام العالم العلامة زاده أحمد بن أبى يزيد بن محمد السيرامى (٢) الحنفى المصرى المولد والمنشأ ، المكى الوفاة ، المعروف بابن مولانا زاده ، مولده بالديار المصرية فى شهور سنة إحدى وتسعين وسبعمائة ، ونشأ بالقاهرة ، وحفظ القرآن العزيز وعدة مختصرات ، وتفقه بمشايخ عصره كالعلامة عز الدين محمد بن جماعة ، وقاضى القضاة شمس الدين البساطى وغيرهما من علماء عصره ، إلى أن برع فى الفقه ، والأصلين والعربية ، والمعانى ، والبيان ، وعلم الحديث ، وتصدر للتدريس ، وتولى عدة وظائف جليلة من التصديرات وغيرها / كتدريس الصَّرْغَتْمُشِيّة ، ٣٥٩

(١) له ترجمة فى (النجوم الزاهرة ١٦ : ١٧٩) .

(٢) له ترجمة فى (النجوم الزاهرة ١٦ : ١٧٩) .

والجَانْبَكِيّة[١] ، والأيْتَمُشيّة[٢] ، والمَارْدَانى[٣] ، وتدريس الحديث بالمُؤيدية[٤] ، وانتفع به الطلبة كثيرا ، إلى أن طلبه الملك الأشرف بَرْسْبَاى فى حدود سنة ثلاثين وولّاه إمامته ، ونالته بذلك السعادة والشهامة ، وباشر ذلك إلى صَدْرٍ مِن دولة الملك الظاهر جَقْمَق ، ثم استعفى وأكبّ على العبادة والأشغال والتدريس ، ثم طلبه الملك الأشرف إينال فى أوائِل دولته ، واستقر به إماما على ماكان ، فباشر مدة يسيرة امتثالاً للمرسوم ثم استعفى ، ولزم داره على الحالة الأولى من الإقراء والتدزيس والعبادة ، إلى أن حَجَّ، [و] تجهز للحج فى هذه السنة، وهى غير جحة الفرض لأنه حج قبلها غير مرة ، فمرض بالبطن فى أثناء الطريق بالقرب من مَكَّةَ ، وطلب من أمير الحاج أن يرسله فى أناس ليسرع إلى دخول مكة ففعل ، واجتهد إلى أن وصل إلى مكة المشرفة قبل الحاج بأيام ، فطاف طواف القدوم وسعى ، ودام محرما إلى أن مات فى يوم الجمعة ثالث ذى الحجة الحرام على حسب ماأرخوا بمكة ، ورابع ذى الحجة على حسب ماأرخوا بديار مصر ، وكان ــ رحمه الله ــ فقيها إماما ، عالما بارعاً ، مفننا ذكيا ، ديِّنا خيِّرا ، من بيت علم وفضل ورياسة ، وهو ابن أخت العلامة أمين الدين يحيى الأقصرائى، والشيخ بدر الدين الأقصرائى ، وكان بينى وبينه محبة أكيدة ومودة وصداقة قديمة ، وبالجملة كان من محاسن الدنيا عفّة ومروءة ، وهمة عالية ، وعصبية وشهامة ــ رحمه الله تعالى وعفا عنه .

وتوفى الأمير سيف الدين أقبردى بن عبد الله السّاقى الظاهرى[٥] نائب مَلَطْيَة بها يوم الخميس خامس عشرين ذى الحجة ، وحمل من مَلَطْيَة إلى حلب فدفن بتربته التى عمرها بها ، ومات وسنه نحو ثلاثين سنة تخمينا ، وأصله من مماليك

---

(١) الجانبكية : أى مدرسة حانك الأشرفى الدوادار التى أنشأها بخط القربيين خارج باب رويلة على الشارع . وانظر النجوم الزاهرة ١٥ : ١٤٨ .

(٢) الأيتمشية : مدرسة بناها الأمير أيتمش بن عبد الله البجاسى الجرجاوى ثم الظاهرى بالقرب من باب الصوة وخصصها للحنفية وانظر النجوم الزاهرة ١٤ : ١١٦ .

(٣) الماردانى : انظر جامع الطنبغا الماردانى.

(٤) المؤيدية : هى مدرسة وجامع المؤيد شيخ المحمودى بباب زويلة وانظر النجوم الزاهرة ١٤ : ٣٠ .

(٥) له ترجمة فى (النحوم الزاهرة ١٦ : ١٨٠ ط . الهيئة العامة للكتاب) .

الملك الظاهر جَقْمَق ، اشتراه فى سلطنته وجعله فى الأطباق على المماليك الجُلْبان إنِّيًّا لقَانِى بَاى الجَارْكَسِى ، حتى جعله خاصِّكيًّا ، ثم ساقيا ، كل ذلك فى مُدَّة يسيرة من السنين ، ثم ندبه إلى إمرة بحلب تتعلق بالسلطنة ، فلما وصلها بعث إليه خِلْعَةً بنيابة قلعة حلب دفعةً واحدة ، وهو ما طَرَّشارِبُه ، فدام فى نيابة قلعة حلب سنين إلى أن نقله الملك الأشرف إينال إلى أتابكية حَلَب فى سنة ثمانٍ وخمسين بعد الأمير سُودُون القَرَمَانى ، بحكم توجّه سودون المذكور إلى أتابكية طَرَابُلس ، ثم قدم أقبردى إلى القاهرة فى السنة المذكورة وأقام بها مُدَّةً ، ثم خلع عليه وتوجَّه إلى حلب وأقام بها إلى أن نُقل فى سنة تسع وخمسين إلى نيابة مَلَطْيَة ، فَتَوجَّه إليها ودام بها إلى أن مرض فى أثناء السنة ، ومات بها فى التاريخ المذكور ، وكان عفيفا عاقلا ساكنا بالنسبة إلى أبناء جنسه — رحمه الله تعالى .

﴿ سنة ستين وثمانمائة ﴾

استهلت هذه السنةُ وسلطان الديار المصرية الملك الأشرف سيف الدين أبو النصر إينال العلائى الظاهرى ثم الناصرى ، والخليفة المستنجد بالله أبو المحاسن يوسف ، والقاضى الشافعى قاضى القضاة علم الدين صالح البُلْقِينى ، والحنفى قاضى القضاة سعد الدين بن الدِّيرى ، والمالكى قاضى القضاة وَلِىّ الدين محمد السُّنْبَاطى ، والحنبلى قاضى القضاة عز الدين أحمد الكنانى .

والأمير الكبير تَنِبَك البُرْدْبَكِّى الظاهرى بَرْقُوق ، وأمير سلاح خُشْقَدَم بن ناصر الدين المؤيدى ، وأمير مجلس طوخ من تمرَاز النّاصِرِى ، والأمير / آخور الكبير جَرِبَاش المحمدى المعروف بكُرْد ، والدَّوَادَار الكبير يُونُس السيفى آقباى المؤيدى نائب الشام ، وحاجب الحجاب جَانِبَك القَرَمَانى الظاهرى بَرْقُوق ، ورأس نَوْبَة النُّوَب قَرْقَمَاس الأشرفى المعروف بالجَلَب وبقريب الملك الأشرف بَرْسْبَاى . ٣٦٠

وبقية مقدمى الألوف المقام الشهابى أحمد ولد المقام الشريف ، وهو رأس ميسرة ، وبَرْسْبَاى السيفى تَنِبَك البجاسِى ، ويُونُس العلائى الناصرى ، وقَانَم من صَفَر خَجَا المؤيدى المعروف بالتاجر .

ومباشرو الدولة : كاتب السّر القاضى محب الدين محمد بن الأشقر ، وناظر الجيش والخاص جمال الدين يوسف بن كاتب جكم وإليه أمر المملكة وتدبيرها ، والوزير فرج بن النحال القبطى ، والأستادار الأمير زين الدين يحيى بن الأشقر قريب ابن أبى الفرج .

ونواب البلاد الشامية : نائِب الشام قَانِى بَاى السيفى سُودُون الحمزاوى الظاهرى ، ونائِب حلب جَانَم الأمير آخور قريب الملك الأشرف بَرْسْبَاى ، ونائِب طَرَابُلُس حاج إينال السيفى يَشْبُك الجَكَمِى الأمير آخور ، ونائب حماة إياس الطويل الناصرى ، ونائب صَفَد جَانِبَك التَّاجى المؤيدى ، ونائب غَزَّة خَيْرْبَك السيفى نَوْرُوز

الحافظى ، ونائب الكَرَك يَشْبُك طاز المؤيدى ، ونائب مَلَطْيَة الأمير أَقْبَرْدى السّاقى الظاهرى جَقْمَق ، ونائب أُبُلُسْتَين ملك أصلان بن حمزة بَك بن ناصر الدين بك ابن دُلْغَادِر .

وبقية نواب القلاع بالبلاد الشامية والسّواحل والقُدْس والرّملة فكثير ، والعمدة على ماذكرناه .

ونائب الإسكندرية جَانِبَك النَّوْرُوزى المعروف بنائِب بعلبك .

وأمير مَكَّة المشرفة الشريف محمد بن بَركَات الحسنى ، وأمير المدينة النبويّة الشريف زُبَيْرى بن قيس الحسينى ، وأمير أَلْيَنْبُع الشريف هجَّان بن محمد .

وملوك الشرق التّتار هم خانات ثلاثة: محمد خان الكبير ، ومحمد خان الصغير ، وأبو الخير .

وممالك العجم والعراقين.فملوك ماوراء النهر والعجم أولاد بَاى سُنْقُر بن شاه رُخّ بن تَيْمُور ، وهم بابور صاحب سَمَرْقَند ، وعلاء الدولة . وأعظمهم بَابُور . وصاحب العراقين:عراق العرب وعراق العجم وأذربيجان وغيرها جهان شاه بن قرا يوسف بن قرا محمد ، وقد اتسعت ممالكه من حدود أَرْزَن[١] إلى شِيْراز[٢] .

٣٦١ وأماديار بكر ففيها عدة ملوك كثيرة ، أشهرهم / وأجلهم الملك العادل خلف الأيوبى صاحب حصن كَيْفا . وقد ملكها فى العام الماضى ، وجَهَان كير بن على بك بن قَرَايُلُك صاحب مَارِدِين ، وأخوه الشيخ حسن بن على بَك صاحب آمد وغيرها ، وعدة ملوك أخر كل واحد منهم مستقل بِعدة قلاع .

وبلاد الروم بها ملوك ثلاثة أعظمهم وأجلهم خَوَنْد كار محمد بك بن مُرَاد بك بن عثمان صاحب بُرْصَا وأدِرْنَا بُولى وما والاهما إلى إسطنبول ،

(١) أرزن : هى أرزن الروم وهى بلدة بأرمينية شمال شرقى حلاط . سماها العرب قاليقلا أيام الفتوح الإسلامية الأولى وسميت أرزن الروم سنة ٤٤١ هـ وأصل الاسم الأول (السلوك ١ : ٢٠٤ حاشية ٢) .

(٢) شيراز : هى عاصمة إقليم فارس وهى فى وسط البلاد يقال إنها على ستين فرسخ من الحدود فى كل جهة .

وإسماعيل بن إسبفديار متملك طرف من بلاد الروم إلى البحر الغربى . وسلطان إبراهيم ابن محمد بن قَرَمَان صاحب قُونية [١] ولاَرِنْدَة [٢] وغيرهما .

وملوك الغرب كثير فالمشهور منهم السلطان عثمان بن أبى عبد الله بن أبى فارس بتُونُس ، والسلطان عبد الحقّ بن أبى سعيد المَرِينى بِفَاس [٣] ، والسلطان أحمد بن أبى حموبتِلِمْسَان [٤] .

● المحرم: أوّله الخميس .

فى يوم الاثنين خامسه نزلت المماليك السلطانية الجُلْبَان من أطباقهم بالقلعة إلى بيت الوزير فرج بن النحال ونهبوا مافيه ، وكأنَّهُ كَانَ قد حسّ بالأمر فلم يجدوا إلاشيئا يسيرا ، فخرجوا من داره ونهبوا جماعة كبيرة من جيرانه ، فأضر ذلك بحال المذكورين إلى الغاية ، وكل ذلك لعجزه عن القيام بالكُلَف السلطانية .

وفى يوم الأربعاء حادى عشرينه ورد الخبر بموت الأمير أَقْبَرْدِى السّاقى الظاهرى نائب مَلَطْيَة ، واستقر عوضه فى نيابة مَلَطْيَة الأمير جَانِبَك الجكمى نائب طَرَسُوس ، وكان وليها قبل ذلك ، واستقر فى نيابة طَرَسُوس أَقْبَاى السيفى جَارْ قُطْلُو أحد أمراء دِمَشْق ، وكان أَقْبَاى أيضا وَلى نيابة طَرَسُوس قبل ذلك .

وفى يوم الخميس ثانى عشرينه وصل الناصرى محمد بن جَربَاش المحمدى الأمير آخور الكبير المعروف بكُرْد أمير حاج الأوّل بالركب الأوّل من الحاج ، وأخلع

---

(١) قونية : من أعظم مدن الإسلام فى بلاد الروم ، وبها وبآقصراى سكن ملوك السلاحقة (ياقوت ـ معجم البلدان ، القلقشندى ـ صبح الأعشى ٥ : ٣٥٢) .

(٢) لارندة : هى قاعدة إمارة أولاد قرمان من بلاد الروم ، وإلى جنوبها مدينة أرمناك (لسترنج ـ بلدان الخلافة الشرقية ١٨٠) .

(٣) فاس : مدينة كبيرة بلغت أوج ازدهارها مع سلاطين المرينيين فى القرنين ١٣ ، ١٤ م وأصبحت عاصمة البلاد المغربية فى القرن ١٧ م (معجم البلدان ـ المنجد ـ أعلام الشرق ٣٨٠) وحاليا بالمملكة المغربية .

(٤) تلمسان : مدينة بالمغرب وأصلها مدينتان متجاورتان إحداهما قديمة والأخرى اختطها الملثمون ملوك المغرب (معجم البلدان) وتقع حاليا فى الجزائر (المنجد ـ أعلام الشرق والغرب ١١٣) .

عليه السلطان على العادة ، وقدم من الغد أمير الحاج بالمحمل،وهو بُرْدُبَك البَجْمَقْدَار الظاهرى جَقْمَق أحد أمراء الطبلخانات ورأس نَوْبَة ، وأخلع عليه أيضا ولم تحمد سيرة بُرْدُبَك المذكور فى الحاج ، ولم يَحُجّ أحدٌ فى هذه السنة من المغاربة والتَّكَارِرَة لما وقع بهم فى العام الماضى من النَّهب والأسر من قُطَّاع الطريق حسبما ذكرناه فى السنة الماضية فى محله ، وأيضا لم يحج أحدٌ من العراق فى هذه / السنة ولا ٣٦٢ الماضية خوفا من الأعرابى المسمى بالشَّعْشَاع ، وشَعْشَاع هذا له أزْيد من عشرين سنة يدعو للقيام معه ويزعم أنه شريف ، وأنه المهدى ، واجتمع عليه خلائـِق كثيرة ، وعجز عنه مُلُوك الشَّرْق ، وهو أنه متى قصدوه بالعساكر هَرَب فى مراكب واختفى ، بالجزائِر،وليس له دأبٌ إلا هذا مع قطع الطريق ، وإخافة السبيل،وقَتْلِ من ظفر به من أهل السُّنة ، وهو شيخ كبير رافضىّ خبيث ، بل كافر لايقتدى بدين ، وقيل إنه مات والقائـِم بهذا الأمر بعده يأتى تحرير ذلك فى أول سنة إحدى وستين وثمانمائـة .

وكان أمير حاج دمشق فى هذه السنة الأمير عَلاَّن المؤيدى المعروف بجلّق أحد مقدمى الألوف بدمشق ، وأمير حاج حلب الأمير يَشْبُك البَجَاسِى الأشرفى إينال أحد مقدمى الألوف بحَلَب .

● صفر : أوله الجمعة .

وفى يوم الأربعاء ثالث عشره أخرق المماليك الجُلْبَان بعظيم الدولة الصاحب جمال الدين يوسف بن كاتب جَكَم ناظر الجيش والخاص . وأخذوا عمامته من على رأسه حتى نَجَدَهَ مقدّم المماليك مَرْجَان ونائِبه عَنْبر الطَّنْبُدِى فأخرقوا بالمذكورين أيضا ، واشتغلوا بهم ، فهرب ناظر الجيش المذكـور ، وسبب هذا الأمر أن شخصا من الدَّوَادَارية الصِّغار يسمّى سُنْقُر قَرق شَبَق ضرب بعض إنِّيَاتِه الذين بالأطباق . فاجتمع عليه بقية إنيَّاتِه عصبة للمضروب وأرادوا قتله ، فهرب منهم واشتكاهم إلى السلطان ، فأحضر السلطان منهم جماعةً وضربهم ضربا مبرحا ، فنزلت أصحابهم من الأطباق ووقفوا عند باب القلعة فصادف ذلك خروج ناظر الجيش المذكور من الخدمة فأوقعوا به من غير سبب ، ثم أصبح فى يوم الخميس رابع عشره هرب الوزير

فرج بن النحال ، ولم يحمل فى ذلك اليوم أحدٌ رواتب اللحم المقرّرة للمماليك السلطانية القَرَانيص ، أعنى غير الجُلْبَان ، وطلع غلام كل واحد أوعبده لأخذ راتب أستاذه من اللحم فلم يجد شيئا ، وبلغهم أن المماليك الذين بالأطباق حضر رواتبهم ، فعزّ ذلك على الغلمان والعبيد ونزلوا من فورهم من القلعة وعاثوا بشوارع القاهرة ونهبوا عدة حوانيت، حتى وصلوا إلى سوق أمير الجيوش بقرب باب الفتوح ، ولم يمنعهم مانع ، ثم عادوا بعد أن خطفوا عدة عمائم وشدود وغير ذلك ، فكان ذلك أقبح من / فعل المماليك بكثير ، ولم نعهد مثل هذه الحادثة فى سائر الأعصار ، فطلع الوزير فرج من اختفائه فى يوم الأحد سابع عشره ، وأخلع عليه كاملية سمُّور خلعة الاستمرار على الوزر بعد أن عمِلَ له دائِرة على جماعة من الأعيان حَصَّلَ فيها جملة كبيرة ، وزاده السلطان من الذخيرة ، حتى صار له فى كل يوم أربعون ألف درهم يأخذها من الذخيرة ، كل ذلك وهو يظهر العَجْز ، هذا مع ما للدَّوْلة من الإقطاعات والمكُوس ، وأيضا مع الظُّلْم وقُبْح السِّيرة وعدم التجمل فى أموره وحواشيه ، حتى إنه يسير فى الوزر كَسَيْرِ أولاد الأقباط ، وما أظن ذلك كله إلا كذبا وبهتانا ٣٦٣

وفى يوم الخميس حادى عشرينه أمر السلطان الأمير يُونُس العلائى أحد مقدمى الألوف أن يخرج إلى المنصورية بالجيزة، لحفظ خيول السلطان والعساكر من عَرَب البُحَيْرة الخارجة عن الطَّاعة ، فخرج من يومه إلى المنصوريّة ، وأقام بها، وألزم السلطان أيضا جماعةَ الأمير آخورية بالتوجّه إلى بَرِّ الجيزيّة والإقامة بها لهذا المعنى .

● شهر ربيع الأول : أوّله الأحد، ويوافقه ثالث عشر أمشير .

فى أوائِل هذا الشهر ارتفع سعر الغلال حتى أبيع القمح بمائتين وسبعين درهما الإردب ، بعد أن كان بمائة وعشرين الإردب ، وعز وجوده بساحل مصر وبولاق ، وأُبيع الشعير والفول بمائة وسبعين درهما وما دونها ، وليس لهذه الزيادة فى سعر المغل سبب ؛ فإن الزروع كثيرة والأراضى مغلقة بالزرع ، وهى فى نتاج ، وقد قرب أوان الحصاد، غير أن البلاد الشامِيَّة ، وأيضا جزائِر الفرنج كان بها فى السنة الماضية

وأيضا فى هذه السنة غلاءٌ وقحط،حتى شمل ذلك جميع البلاد الشامية من العريش إلى الفرات ، فحمل الناس من غلال مصر إلى الجهات المذكورة شيئا كثيرا فى البر والبحر بسبب التجارة ، وأمعنوا فى ذلك حتى إنهم حملوا من مُغَلِّ دِيار مصر إلى هذه البلاد مئين ألوف من الأرادب ، فضّر ذلك بحال الناس ؛ فهذا هو كبير الأسباب ، وأيضا تداول الهوى[١] المريسى فى هذه السنة.أخبرنى من أثق بقوله إنه حدثه شخصٌ من رؤساء المراكب ببحر النيل ويسمى محمدا الصلف ، وسنه نيف على ثمانين سنة:أن له فى رياسة البحر فوق ستين سنة / ما رأى الريح المريسى تداول هبوبُه أكثر من ستين يوما فى غير هذه السنة . فلهذا قـلَّ الواصل من المراكب بساحل مصر وبولاق .

٣٦٤

وفى يوم الأحد ثامنه عمل السلطان المولد النبوىّ بالحوش من قلعة الجبل على العادة . وفيه أمطرت القاهرة وغالب قُرَاها كالمطر المعتاد فى كل سنة ، وسّر الناس بذلك ، فلما كان من الغد ورد الخبر بأنها أمطرت حصىً على عدة بلاد من القليوبية من ضواحى القاهرة،زنة الواحدة خمسون درهما بالمصرى ومادونها ، فأهلكت زرعهم عن آخره ، وكان ذلك ببـلاد يسيـرة مثـل نوَى[٢] وسِنْدِيُـون[٣] ، ونَامول[٤] وغيرها وأما باقى بلاد القليوبية وغيرها فإنهم انتفعوا بالمطر كما هى العادة ، وبلغنى أيضا أن هذا المطر الحصى وهى البردُ الذى أمطر على الناس المقدم ذكره قتل جماعةً من الناس بالقرى المذكورة،لكننى لم أثق بقول القائل ولا أستبعد ذلك .

وفى يوم الأربعاء حادى عشره غُيِّبَ الوزير فرج بن النحال ، وأصبح من الغد فى يوم الخميس طلع العبيد موالى أرباب الرواتب لأخذ اللحم،فلم يجدوا الوزير ذبح

---

(١) الهواء المريس : ويقال : الريح المريسى وهى ريح الجنوب التى تأتى من قبل مريس ــ بلدة بأعلى بلاد النوبة التى تلى أرض السودان (لسان العرب) .

(٢) نوى : إحدى القرى القديمة وتتبع مركز شبين القناطر محافظة القليوبية محمد رمزى ــ القاموس الجغرافى للبلاد المصرية جـ ١ ص ٣٨ .

(٣) سنديون : إحدى قرى مركز قليوب بمحافظة القليوبية . وهى من القرى القديمة المرجع السابق جـ ١ ٥٦

(٤) نامول : إحدى قرى مركز طوخ بمحافظة القليوبية . وكانت تسمى قديما نامون السدر وانظر القاموس الجغرافى للبلاد المصرية القديمة ١ : ٤٥١ .

شيئا ولاطلّع فى اليوم المذكور رطلا من اللحم لجميع المماليك الجُلْبان والقَرانيض ، فنزلوا العبيد والغلمان إلى شوارع القاهرة وفعلوا بها أضعاف مافعلوه فى تلك المرّة ، وأخذوا عمائم الناس من على رءوسهم وشُدودهم من على أكتافهم ، وأفحشوا غاية الإفحاش ، وأصبحوا يوم الجمعة الحال بالحال لم يطلع إلى القلعة من رواتب اللحم شىء ولم تأكل المماليك إلافول حار[1]، فاستغاثت المماليك وأرادوا الوثوب والنزول مع العبيد فمنعوهم بغلق باب القلعة ، ونزلت العبيد على عادتهم وعاثوا بالشوارع حتى وصلوا إلى باب اللوق ، فقاموا عليهم أهل باب اللوق وقاتلوهم حتى هزموهم أقبح هزيمة وضربوهم وعرّوهم ، فعادوا على أقبح وجه ، ثم ظهر الوزير فرج فى آخر يوم الجمعة المذكورة،وطلع إلى القلعة يوم السبت رابع عشره،فخلع عليه السلطان كاملية بسمّور خلعة الاستمرار فى الوزر،بعد أن أضاف السلطان إليه جميع المسامِيح التى للأمراء وغيرهم،الذين/ كان لهم المكوس والمذابح والإقطاعات ، ومتحصل ذلك شيىء كثير،حتى صار بهذا الذى أضيف إليه يُحْمَل إليه فى اليوم خمسة وسبعون ألف درهم تفصيلها : من الذخيرة أربعون ألف درهم الذى كان يأخذها قبل ذلك ، ومن هذا الوجه الذى ذكرناه من المسامِيح خمسة وثلاثون ألف درهم ، هذا غير إقطاعات الدَّوْلة وحماياتها والهوائيات من المواريث والمكوس وغير ذلك، وهو مع هذا كله يتَشَكَّى ويقول : أحمل فى كل يوم ثمانية عشر ألف رطل لحم غير الصُّرَر والكُلَف السلطانية من الأسمطة والإسطبلات السلطانية وغير ذلك ، وهو يكذب فى شكواه ودعواه ، غير أنه كما قال الله عز وجل﴿ **فَاسْتَخَفَّ قَوْمَه فَأَطَاعُوه** ﴾[2]ثم إن السلطان لما أضاف له ذلك هدَّدَه إن هرب أو عجز بعد ذلك بالتوسيط ، قلت : اللهم ثَبِّتْ مولانا السلطان على قوله ، فإن فرج المذكور يعجز عن قريب ويطلب الزيادة ، فإنه بُورِكَ له فى الشكوى ، وتكون القاضية عليه إن شاء الله تعالى .

٣٦٥

وفى يوم الخميس تاسع عشره أخلع السلطان على شادبَك دَوَادَار جُلُبَّان نائب الشام-كان-باستقراره فى دَوَادَارِيّة السلطان بِدمَشْق،عوضا عن خُشْكَلْدِى الزينى عبد

(١) فى نشرة بوبر ص ٢٥٣ : الفول المصلوق .

(٢) آيه ٥٤ سورة الزخرف .

الرحمن بن الكُوَيز بحكم انتقال خُشكَلْدِى إلى دَوَادَارِيّة السلطان بحلب بعد موت محمد والى الحُجَر قبل مباشرته دوادارية حَلَب ، وشادبَك هذا هو الذى صودر بعد موت أستاذه وأخذوا منه جملا كثيرة ، فلما عرف شادبك المذكور أنّ القوم تحققوا كثرة ماله، وعلم أنه لايُدَّله من وزن المال فى كل قليل بمندوحة سَعَى فى الدوادارية وبذل فيها حتى وليها، واستراح من الطمعة فيه وفى ماله . انتهى .

وفى يوم الثلاثاء رابع عشرينه أخلع السلطان على فخر الدين المعروف بابن السُّكَّر والّلَيْمُون، المعزول عن نظر ديوان المفرد قبل تاريخه باستقراره ناظر الدولة ، وكانت وظيفة نظر الدولة شاغرة من مدّة أشهر .

● شهر ربيع الآخر : أوَّله الاثنين .

فيه رخص سعر سائِر الغلال حتى أبيع القمح بمائتى درهم الإردب وما دونها ، وأبيع الفول والشعير بمائة وخمسين درهما الإردب وما دونها ، ولله الحمد .

٣٦٦ وفى العشر الأول من / هذا الشهر عين السلطان جماعة من الأمراء وصحبتها جماعة كبيرة من المماليك السلطانية للسفر إلى الجون[١] فى البحر [المالح] بسبب مجيبة[٢] الأخشاب وغزو الفرنج إن صَدَفُوهم فى طريقهم .

وفى أوائل هذا الشهر أخذ السلطان الرَّبْعَين والحوانيت التى بسوق الدّجّاجين[٣] بالقاهرة من عند حَمَّام البَيْسرِى[٤] إلى تجاه جامع الوزير أبى عبد الله ابن البطائحى الملقب بالمأمون ، وزير الآمر بأحكام الله العُبَيْدى ، المعروف بجامع[٥] الأقْمَر ، الذى على يُسْرَة الخارج من القاهرة إلى باب الفتوح ، استبدل

(١) الجون : لعل المراد به خليج القسطنطينية .

(٢) مجيبة : كذا بالأصل . والمعنى جلب الأخشاب

(٣) سوق الدجاجين ، وكان يقع بشارع الأمشاطية قرب الجامع الأقمر بجوار سوق الشماعين الشهير فى العصر الفاطمى . (على مبارك ــ الخطط ٢ : ١٣) .

(٤) حمام البيسرى : ويقع بأول شارع سوق السمك ، وهو من الحمامات القديمة أنشأه الأمير بيسرى الصالحى النجمى أحد المماليك البحرية للصالح نجم الدين ايوب . وقد توفى فى ١٩ شوال سنة ٦٩٨ (على مبارك ــ الخطط ٦ : ٦٦) .

(٥) جامع الأقمر . يذكر المؤلف انه من أنشاء الوزير ، ولكن المراجع تذكر أن منشئه هو الآمر بأحكام الله سابع الخلفاء الفاطميين فى مصر عام ٥١٩ هـ (١١٢٥ م) . وجدد فى عهد الظاهر برقوق سنة ٧٩٩ هـ (١٣٩٦ م) ــ « سبية قراءة ــ مساجد ودول ص ١٢٠ » و (د/ عبد الرحمن زكى ــ القاهرة . تاريخها وآثارها ص ٥٦) ويقع هذا المسجد بالنحاسين .

السلطان جميع هذه الحوانيت والرَّبْعَين بمبلغ مُعَيَّن ، وأذن له بعض القضاة أن يصرف المبلغ المذكور فى عمارة رُبع ماسيكون من العمارة التى ينشئها مكان الرَّبْعَين والحوانيت المذكورة ، وحاصل الأمر أن السلطان آشترى هذه الأماكن المذكورة على أن يهدمها ويعمِّرها لنفسه ثانيا ، ويكون لأربابها قديما الرُّبع فى البناء الجديد ، ووجد تاريخ بناء هذه الحوانيت والأرباع التى هُدِمت من سنة سبع وعشرين وستمائة أعنى فى سلطنة الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبى بكر بن أيّوب ، ووقع الهدمُ فى هذه الأماكن المذكورة فى أوائل هذا الشهر .

وفى يوم الأربعاء رابع عشرينه عرض السلطان جماعة من المماليك السلطانية ، وعين منهم ثمانين نفرا إلى الجهاد ، أعنى مضافا لمن عيِّن من الأمراء قبل تاريخه لسفر الجون ، ووعد أنه يكملهم ثلاثمائة مملوك فى عرض آخر .

ثم فى يوم الأحد ثامن عشرينه عرض السلطان أيضا المماليك السلطانية ، وعيَّن منهم جماعة أخر مضافا لمن تقدم ذكره .

وفيه عين جماعة من أمراء العشرات مع هؤلاء المذكورين أيضا .

● جُمادَى الأولى : أوّله الأربعاء .

فى يوم الخميس ثانيه أبطل السلطان العرضَ وسفر الأمراء والمماليك المعينة قبل تاريخه لسفر الجُون ، وسببه أن المماليك والأمراء تكلَّموا بأن هذا السَّفر ليس هو بسبب الجهاد،وإنما هو لمصالح الصاحب جمال الدين ناظر الجيش والخاص لإحضار الأخشاب من الجَوْن ، واحتجُّوا أيضا بأن المراكب المعيّنة للسفر قديمة قد عتقت ، ويخاف الركوب فيها من الغرق ، وكثر الكلام فى ذلك وأشباهه ، فحسم السلطان المادة وأبطل السلطان الجهاد بالكلية ، فكان هذا أعظم / وهنٍ وقع فى الدولة من إشاعة الغَزْو ثم إبطاله . ٣٦٧

وفى يوم الجمعة عاشره ــ الموافق الحادى عشرين برموده أحد شهور القبط ــ لبس السلطان القماش الأبيض البعلبكى المُعَدّ لأيام الصيف على العادة فى كل سنة . .

وفى يوم الاثنين ثالث عشره نُودِىَ بأمر السلطان ألايتوجّه أحدٌ من المماليك السلطانية فى يوم السبت والثلاثاء إلى تفرقة العليق السلطانى ، ومن كانت نوبته فى أخذ العليق يُرْسِل غلامه لأخذ راتبه ، وكانوا قبل ذلك يتوجّهون إلى بولاق إلى جهة الشُّوَن السلطانية من الليل ، ويحصل بتوجههم بعض فساد منهم ومن غلمانهم فى حق الناس والبَيعة .

وفى يوم السبت وصل إلى القاهرة المحروسة الخواجا جمال الدين عبد الله ابن القابونى ، قاصد السلطان محمد بن مُرادبَك بن عثمان متملك بلاد الرّوم بعد ما احتفل أهل الدولة لملاقاته ، ونزل بدار الأمير قَرَاجَا الظّاهرى ، بالقرب من الجامع الأزهر .

وفى يوم الثلاثاء حادى عشرينه طلع القاصد المذكور إلى القلعة وتمثل بين يدى السلطان ، وقبل الأرض ، وأوصل إلى السلطان كتاب مُرْسِله وهديته ، وكانت الهدية تشتمل على ثلاثين مملوكا أو نحوها ، وعدة كبيرة من الفراء والسَمُّور والوَشْق والحرير والصوف على رءوس الحّمالين من كل صنف تسعة من الحمالين على قاعدة ملوك الشرق ، فإن العادة عندهم العدة تسعة تسعة،ونَصُّ كتابِ ابن عثمان المذكور: بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد الله الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحقِّ لِيُظْهِرَه عَلَى الدِّين كُلِّه وَلَوْ كره المشركون،واشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون،والصلاة على مَنْ سَنَّ فى سنائن الشرائع بسننه سَنَناً سنيًّا ، ورفع بيت الإسلام بدعائم الفطرة الخمس مكانا عليًّا ، والسلام عليه يوم وُلد ويوم يموت ويوم يبعث حَيًّا ، وعلى أصحابه الذين هم كالنجوم بأيِّهم ٱقْتَدَيْتُم ٱهْتَدَيتم صراطا سويًّا ، صلاةً منتظمةً بغُرَر دُرَرِ الدَّوَام ، فى قلائد مغاور الليالى والأيام ، .ماطلع نجم فى الخضراء ، ونجم طلع فى الغبراء ، زين الله سماء الجلال بكواكب مواكب إقبال ، المعينى المغيثى ، المثاغرى ، المجاهدى ، / فلكى الهمم ، ٣٦٨ ملكى الشيم ، سيف الله القاطع بزمان الله القاطع [البسيط] :

يامن يراه ملوك الأرض فوقهم كَمَا يَرَوْن على أبراجها الشُّهُبَا [١]

وَ.كَادَ يحكيه صَوْبُ الغَيْث مُنْسَكباً لوكان طَلْقَ المحيَّا يمطر الذَّهَبَا

والدَّهْر لَوْلَمْ يخُن والشَّمس لو نَطقت : واللَّيْثُ لو لم يصُل والبحر لو عَذُبَا

اتضحت بطبعه رِقائق النَّعْمَان ، وافتضحت بأزمان لطفه شقائق النُّعْمَان .

كالبدر من حيثُ التَفَتَّ رأيته يُهدى إلى عينيك نورا ثاقبا .

كالبحر [٣] يقذف للقريب جواهراً جوداً ، ويبعث للبعيد. سَحَائباً

كالشمس فى كبد السماء وضوؤها يَغْشَى البلاَدَ مشارقا ومغاربا

ناشر ألوية وِلاَية السلام ، محيى عظام الملوك العظام ، باسط بساط جناح النجاح بأمن فى الأمان ، المثلى بمصداق [٤] إنّ الله يأمُر بالعدل والإحسان ، **قاضّ** قُصُر القياصرة ، كاسرُ جماجم الأكاسرة ، إمام الثَّقَلَيْن ، سلطان**الحَرَمين، قَهْرَمَان** الماءِ والطين ، ظلُّ الله تعالى فى الأرضين ، جعل الله خيامَ مجده المؤيد مضروبةً على سمك السِّماك ، وأعلام عزه الأمثل منصوبة فوق الأفلاك ، مادارت مدارات القباب الدَّوَّارة ، وسارت ثَواقب الكواكب السيارة ، وأشرق شوارق مطَالبه بازغة مسفرة ، وأسفر مسافر مآربه ضاحكة مستبشرة ، مَامُسِّكَ حَرَمُ القرطَاس بغَالية الأقلام ، وطُرِّز رداء نهاره بطراز الظلام ، ولازال مصر الإقبال [٥] ممرعة الرياض بِنَيْلِ شَامِل أفضاله ، ووصل نيّة الآمال مترعة الحياض [٦] بِنَيْلِ وابل نَوَاله ، ماتغازل نسيم الأسحار مع أغصان الأشجار ، وركْن السَّعادة ركيناً بأركان دولته ، ومتن السيادة متيناً بأعوان شوكته ، مالمع آل [٧] ، ومَلَعَ [٨] رال [٩] ، بعد إيصالِ تحفِ تحياتٍ

---

(١) الأبيات الثلاثة من قصيدة المتنبى التى يمدح بها على بن منصور الحاجب ومطلعها :
بأبى الشموس الجانحات غواربا اللابسات من الحرير جلاببا .

(٢) فى الديوان « يكاد يحكيك ..... » . (٣) سقط فى الأصول .

(٤) فى الأصول « المثلى بمنطاء ، ولعل الصواب ماأثبته ،

(٥) كذا فى الأصول وفى طبعة بوبر ، ولعل فى العبارة سقطا ، وتمامها « ولا زالت مصره دائمة الإقبال » .

(٦) كذا فى الأصول وطبعة بوبر ، ولعل العبارة « وتقبل منه الآمال مترعة الحياض » .

(٧) الآل : النجم .

(٨) ملع : اختفى وذهب .

(٩) رال : تخفيف رأل : وهو ولد النعام ، أو المسرع الذهاب .

تقرِّرُها مصَاقِعُ الأنفس القدسية ، وتصيخ لها الأرواح العلوية ، ويتهلل بها وجه الابتهاج ، وينشرح صدر السرور ، وَتتلألأ خلال الولاءِ كأنها : [البسيط]

تحَيـة بشمـوم الـودِّ فائحـة كأن أذيالـها حمالـة العطـر

وغِبَّ إرسال هدايا تسليمات يَقْصُر العَدَد عن إحصائها ، ويضيق نطاق الطاقة عن استقصائها ، وتصبح أطيب من حديقة ضاحكة الخزامى[1] والبهار ، مفتوحة الأكمام والأزهار ، بنسائم مَهَبّها من جنات تجرى من تحتها الأنهار [الوافر]

٣٦٩ سلام /ارتدى برداء شوق يُحاكِى عَرفهُ نفثَات مِسْك

وإثر دعواتٍ خالصة أُفرغت فى قالب الإخلاص ، وألبسَت من الصدق حُلّة الاختصاص ، مرشحة بمحيا الفلج[2] ، موشحة برداء الفَرَج ، ترمى ظَلامَ الخَطْب بالضياءِ بمصداق نِعْمَ السلام الدعاء ،ينـهـى إلى المقام الشريف ، والموقف المنيف أنه إن استكشف المولى الكريم ، بلطفه العميم ــ مازال موفقا بمناه ، فوق مايتمناه ــ عن أحوال محبة المخلص وحبه المتخصص ، وعن أوضاع المجاهدين لارتفاع راية الدين ، واتساع ساحة اليقين ، فإننا من إبَّان أمْرنا ، وريعان ريعان عمرنا ، نحفد بالأحفاد الجياد ، على الصافنات الجياد ، الى إراء زناد الجهاد ، على دَيَادِن آبائنا الكرام،وشَنَاشِن أسلافنا العظام ، رغبة فيما نطق به الكتاب الحكيم ، والقرآن الكريم **﴿ ياأيّهَا الّذين آمنوُا هَلْ أدُلُّكُمْ عَلَى تِجارة تُنْجيكُم مِّن عَذَابٍ أليم • تُؤْمِنُون بالله وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فى سبيل الله بأمْوَالكُمْ وَأنْفُسِكُم ذلِكُمْ خَيْرٌلَكُمْ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُون ﴾**[3] وفيما حَرَّض النبُّى صلوات الله عليه وسلامه حين قيل:يَارَسولَ الله أىُّ النّاس أفضل ؟ قال « مُؤْمِنٌ مُجَاهِدٌ فى سبيل الله بنفسه وماله»، وقال عليه الصلاة والسلام « مثل المجاهد فى سبيل الله ــ وهو أعلم بمن يجاهد فى سبيله-كمثل الصائم

(١) الخزامى : عشبة طويلة العيدان حمراء الزهرة طيبة الريح فيها نور كنور البنفسج . وليس فى الزهر ماهو أطيب ريحا منه (المعجم الوسيط ٢ : ٢٣٢) .

(٢) الفلج : الظفر والفوز . والمراد مهيأة لحياة النصر .

(٣) الآيتان ١٠ ، ١١ من سورة الصف .

القائم ، وتَكَفَّلَ الله تعالى للمجاهد بأن يتوفَّاه وأن يدخله الجنة ، أويرجعه سالما مع أجر وغنيمة » ومن الأحوال الواقعة فى حولنا هذا وما قبلها أن متملك مملكة لان[١] المسمى بتُورْكِى مافتىء يتصالح معنا ويتبصبص لنا ، ويظهر الصداقة ، ويؤكد مع شيطانه العلاقة ، ويجهرُ أبطالُ مكرهم بكيد الاتفاق ، ينبذ العروة الوثقى ويستمسك بسلسلة النفاق ، بل بجلّ صناعته ، وكل بضاعته أراه أضعف أعدائنا قَرْيا ، وأجبن أضدادنا جريا ، فلما عايناه سداً يَسُدُّ منهج السَّداد ، وشد الحِجَر صوب صواب الجهاد ، على بنى الأصفر ، عليهم الموت الأحمر ، فأنسناه / أنتن من ريح ٣٧٠ الجورب ، وأضل من تراب فى مهبب ، وأذنا أنه لاتقبل الحمرُ الأدب ، ولايثمر الشوكُ العنب ، لاجرم نبذناه ، مراعيا مصالح دين الله ، الذى من توكّل عليه كفاه ، ومن وثق به أغناه ، وعزمنا على الانطلاق ، وعقدنا للرحيل حُبُكَ النطاق ، وتوجهنا تلقاء مدائنهم ، لتصطاد ليوثُنا فى عرائنهم ، ونزلنا دارهم ، وسرنا على قراهم ببؤس عظيم ، وهوش[٢] بريم ، كرياح مشتدة الهبوب ، ونيران مشتطة الألهوب ، يشرح ألسنة ألسَنتهم فى جدالة المجادلة مثوى الطحون ، وتفتح أيدى سيوفهم من عيون الدروع دماء كالعيون ، تفرقوا ثلاث فرق ، راكبين طبقا على طبق ، هربت فرقة من بينهم ، إلى أقصى بلاد إبليسهم ، كأنهم حُمر مستنفرة ، فرت من قسورة ، ورضيت فرقة بأن يعطوا الجزية ، وتشبَّثت فرقة بأذيال شامخات بقاع ، لاتلين لواحد عريكتها ، وتحصنت بقلل راسخات قلاع ، لاتنقاد لقاصد قرونتها ، ومن جملتها القلعة المسماة بنوبردى التى هى أحصن القلاع ، وأصعب البقاع ، فهجمنا عليها كَقِطَعِ الليل ، ودفع السيل ، وأمطرنا عليهم حجارة ، وأخذناهم بغتة بالنهب والإغارة ، ففتحناها فى ثلاثة أيَّام ، ونصبنا عليها أعلام الإسلام [الكامل] .

قدجاء نصرُ الله والفتحُ الذى تزهى بكتبة وصفه الأقـلامُ
بأجَلِّ أحـوالٍ وأيمـن مقـدمٍ وأتـم إقبـال يليـه دَوَامُ

(١) مملكة لان : ولاية فى أرمينية وتؤلف مع ولاية أبخاز مايسمى ببلاد الخزر (بلدان الخلافة الشرقية — لسترنج ٢١٢) .

(٢) الهوش : الجمع الكثير من الناس أو العدد الكثير منهم .

وارتحلنا منها إلى القلعة المسماة بتربجة ذات سُور، زلت على موازاتها أجنحة النسور ، علت ببنيان مرصوص على قُنَن الأخاشب ، حتى عرجت عن عروج بروجها عوارم السحائب ، التى لم يسكنها غير كافر ، ولم يطأها للإسلام خفٌّ ولاحافر ، ونزلنا بساحتهم وقت الصباح ﴿ **فساءَ صَبَاحُ المنذرين** ﴾ [1] وفتحناها قبل طلوع الشمس بعناية رَبِّ العالمين ، وجعلنا عاليها سافلها ﴿ **فَأصْبحوا فى دَارِهم جَاثمين** ﴾ [2] .

تجرى الجيادُ من القتلى على جبل   ومن دمائهمُ يدحضن فى وَحَل
ومن جماجمهم يصعدن فى نشزٍ   ومن ذوائبهم يقمُصْن فى شكل

٣٧١ أحرز المجاهدون فى سبيل الله المتعال نفائس الخزائن وكرائم الأموال، / يسبون الأسارى أفواجا ، ويتموجون بذخائر أموالهم أمواجا ، يخربون بيوتهم وضياعهم ، ويكسرون أعلامهم وأصنامهم ، بحيث لم يبق عام ولاشام ، ولم يترك أنيس ولاسام .

ومن القلاع التى فتحناها قلعة أُمول[3]، وسفريجة حصار ، وبيهور ، وبرزدين[4]، استقبل بعض أهاليها بمفاتيح صاحبها ، وبعضهم أحرقوا أوطانهم بأيديهم وتفرقوا، وبالجملة مابقى من الفرقة الثالثة أحدً قطعا إلادخل تحت حكمنا كرها وطوعا﴿ **فقُطعَ دَابر القَوْمِ الذين ظَلَمُوا والحمد لله رَبِّ العالمين** ﴾[5] فلما نشر الله علينا ــ بيمن همتك العلية-أعلام الحسنات ، وأقرّ عيون آمالنا بأنوار المكرمات ، خطر فى خاطرنا تذييل حلة فرض الجهاد بسنة الختان ، الذى قرّره نبينا على سنة خليل الرحمن ، عليهما السلام ، من دَار السلام ، والرحمة والرضوان ، للبدرين الأزهرين فى درجة الوفا ، والدُّرّتين الأنورين فى برج الصفا ، بايزيد ومصطفى ، متّع الله المسلمين بطول بقائهما ، فأردنا تحلية مسامعكم الكريمة ، بدرربشارة الغزوة الكبرى ، وتجلية صفاة

---

(١) آية ١٧٧ من سورة الصافات .
(٢) آية ٧٨ من سورة الأعراف .
(٣) فى هامش نشرة بوبر : أهول .
(٤) برزدين : وترسم بـرزد كما فى « مسجم العمران ــ ٢ ٠ ١٢٩ » ــ وهى ولاية ولواء ومدينة من تركيا فى أوربا ــ والمدينة قصبة الولاية وهى على سفح جبل شارطاغ على نهر درة . وانظر أيضا ــ معجم البلدان فقد ورد رسمها . فيه برزند .
(٥) آيه ٤٥ من سورة الأنعام

صُبح منيرة الوليمة ، بشموس همتكم العليا ، فبُعث لهذا المرام العظيم ، رسول كريم صدر المحافل ، بدر الأفاضل ، المعروف بالأمانة ، المحفوف بالديانة ، المخصوص بعناية ربِّ العالمين ، الأمير جمال الدين القابونى ضاعف الله أجره ، ويسَّر أمره ، بهدية : يُسَرَة من الأسارى والغلمان ، والأقمشة وغيرها ، ذكرها فى تفصيلها ، والمرجو من أكرم الكرام ، حسن القبول والاهتمام ، والدعاء معاد ، والله الموفق للرشاد .

محررا فى ثانى ذى الحجة سنة تسع وخمسين وثمانمائة .

انتهى كتاب ابن عثمان بنصه ، وأظن منشيه غير كاتبه، لأنه ارتُجّ عليه فى كثير من السجع، فكتبه غير محرر فتعبَ وأتعب .

جواب كتاب ابن عثمان المذكور من إنشاء القاضى معين الدين عبد اللطيف ابن العجمى ،نائب كاتب السّر الشريف بالديار المصرية ، قال بعد البسملة .

أعَزَّ الله تعالى أنصار المقرِّ الكريم العالى الكبيرى العالمى العادلى المؤيدى العونى الغياثى الممهّدى المشيّدى الظهيرى الناصرى ، عز الإسلام والمسلمين ، ناصر الغزاة والمجاهدين ، ملجأ الفقراء والمساكين،زعيم / جيوش الموحدين ،ممهِّد الدّول ومشيد الممالك،عون الأمة غياث المِلّة،ظهير الملوك والسلاطين ، عضد أمير المؤمنين ، ولازالت بشائر غزواته المبرورة تسرى إلينا وتسُّر بأطيب الخبر ، وعزماته المؤيدة مقرونة من فضل الله بالنصر والظفر ، وفتوحاته بحمد الله قد زادت الإسلام قُوَّة وتمكينا ، ولسان الحال يتلو عليه ﴿ إِنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً ﴾ [1] .

٣٧٢

فتوحاتـه مشهـودة بـملائك   له كم بنصر الله فيها مشاهد

ولابرحت سيوف جهاده راكعة فى محاريب الأضلع بنصره ، وأقلام النعم ساجدة فى صدور الطروس لأمره ، وعساكره المؤيدة قائمة بفرض الجهاد تحت لوائه ، على السنن القويم ، تالية ﴿ وَمَا النَّصْرُ إلاَّ مِنْ عِنْدِ الله العَزِيزِ الحَكِيم ﴾ [2]

(١) آية ١ من سورة الفتح .
(٢) آيه ١٢٦ من سورة آل عمران .

ولافتئت أعداء الدين لأسُود أسنة رماحه فرائس ،ومعابدهم بعد الشرك بفتكات سيوفه لابسة شعار الإسلام ، فتصبح البِيَعُ مساجد ، والصوامعُ موادن ، والكنائس مدارس ، فإنه بحمد الله قد طهّر ديار الإسلام من الأدناس ، وتلا قَوْله تعالى ﴿ **ذَلكَ مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَيْنَا وعَلَى النّاسِ** ﴾[1] [الطويل] .

له عزمات فى الجهاد صوادع عداها ومن فوق النجوم صواعد

أصدرنا هذه المفاوضة إلى المقر الكريم ، وشاهد مودتنا قد وضع رسم شهادته وكتب ، وأثبت مقدمات إخلاصنا فحكم له قاضى المحبة بالموجب ، تصفُ مانحن منطوون عليه من الابتهاج بما جدّده الله لكم من إنباء أنباء المسار ، وتعدد هذه الفتوحات التى صار الشفق مُخَلَّقا بخبرها السار ، وتهدى إليه سلاماً يُعطر الأكوان نشرُه ، ويسفر فى وجوه المحامد بشْرُه ، وتكمل صلات المودة بتحياته ، ويعترفُ له المسك بالعبودية ، إذا كاتبه فى النسيم برسالة من نفحاته ، وتبدِى لعلمه الكريم ورود مكاتبته التى ملأت الدنيا عَرفا أرجا ، والعيوْن منظرا بَهِجا ، على يد المجلس السامى الأمير الكبيرى المؤيدى المؤتمنى المقربى الجمالى يوسف القابونى الناصرى ، أحسن الله وِفَادته ، ويسَّر بخير إلى مقركم الكريم إعادته ، فشممنا من ظاهرها نَشْرَولائها العاطر ، ولاح لنا من عنوانها وجه معناها الذى هو عن صدق المحبة سافر ، وتحققنا أنها بَحْرُ وَفَاء لَمَّا اطلعنا على ألفاظها الجواهر ، وشاهدنا منها الجنة التى أزْلفت ، والرياض / التى زينت بالأزهار وزخرفت ، والفضائل التى فرقت فصائلها ٣٧٣ على المحاسن التى تألّفت ، فَسَرَّحنا النظر فى زهر الخمائل من تلك السطور ، وشرحنا الخواطر فيما حوته من بديع الترصيع والتوشيح الذى أزرى بالدُّرِّ فى المنظوم والمنثور ، وأمعنا التأمُّل فى ذلك الأفق فإذا الشهب وأضواؤها ، والسحب وأنواؤُها ، والبروق وقد خفق على رءوس ملوك الكلام لواؤها ، وقالت فصاحتها وتلك البلاغة التى جاءت بسحر البيان : هل يفتى لنا بصدق المحبة ؟ فقال لهما القلب﴿ **قُضِيَ الأمْرُ الذى فيه تستفتيان** ﴾[2] ، ووجدنا ما أشرتم إليه من تجريد عزماتكم المؤيدة

(١) آيه ٣٨ من سورة يوسف

(٢) آيه ٤١ من سورة يوسف .

بالله بَرًّا وبحرا ، ونثر ما اجتمع من شملهم قتلا وأسرا ، فزلزلتم — بعون الله — أقدامهم ، وأزلتم إقْدامهم ، وقَدَحْتُمْ عليهم من بيض صفاحكم وسُمر رماحكم نارا ، وتلا لسانُ نصركم ﴿ رَب لاَتَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِيـن دَيَّاراً ﴾[١] وسلكتم فى ذلك سنن أسلافكم الكرام المجاهدين ، الذين أصبحوا فى درج المتقين مرتقين ، سقى الله عهدهم صوب الرحمة والرضوان ، وأسكنهم أعلى غرف الجنان ، فقد فاز المقر الكريم وجيوشه الموحدون ، بقوله تعالى ﴿ الذين آمَنُوا وَهَاجَروا وجَاهَدُوا فى سبيل الله بأمْوَالهم وأنْفُسهم أعْظَمُ دَرَجَة عِنْدَ الله وَأولئك هُمُ الفَائزون ﴾[٢] وبما يحصل به غاية السعادة يوم العرض ، بقوله عليه الصلاة والسلام « إن فى الجنة مائة درجة أعدّها الله للمجاهدين فى سبيل الله مابين الدرجتين كما بين السماء والأرض » وانتهينا إلى ماأشار إليه من أن اللعين متملك لأن سَوّلت له نفسه وشيطانه ، سلوكَ سبيل الغَدْر فخاب به مكرُه وخربت أوطانه، ، وأنه كان يظهر لكم الصداقة ويبطن مع أعداء الدين الاتفاق ، وتمسّك بسلسلة النفاق ، وأن المقر الكريم توجّه تلقاء مدائنهم بعزم لايفتر عن المسير ، وجيش أقسم النصر ألا يفارقه وأنه يصير معه حيث يصير/ وصار بين عساكره أعز الله أنصاره كالبدر بين النجوم ، والملائكة الكرام تحمى جيوشه المؤيدة بإذن الله والنصر عليها يحوم ، وتلا ﴿ رَبَّنَا أفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أقْدَامَنَا وانْصُرْنَا عَلَـى القَـوْم الكافرين ﴾[٣] واحذل عدوّنا فقد بايعناك على المصابرة[٤] والله مع الصابرين ، وابتهل إلى الله فى طلب التأييد ، وتضرّع إليه فى ذلك الموقف الذى مارآه إلا من هو فى الأخرى شهيد،وفى الدينا سعيد ، هذا والسيوف قد فارقت الأغماد ، والأسنة أقسمت أنها لاتخطر إلا فى فؤاد ، فلا ترى إلا بحرا من حديد ، ولاتشاهد إلالَمْعَ أسنة أوبروق سيوف تصيب الصيِّد ، وهو — أدام الله تأييده — قد أرهف ظباه ليسعر بها فى قلوب العدى جمرا،وآلى أنه لايورد سيوفه فى نحور المشركين بيضا إلاّ ويصدرها حُمرا ، ٣٧٤

(١) آية ٢٦ من سورة نوح .

(٢) آية ٢٠ من سورة التوبة .

(٣) آية ٢٥٠ من سورة البقرة .

(٤) فى الأصل : المضاربة .

فَضُرِبت عليهم الذِّلة ، وصار بحمد الله جمعُهُم جَمْعَ قلة ، وأصبح من كان يحميهم يتحاماهم ، وقيل لسيوفه الناصرية دونَكِ وإياهم ، وأقامت عساكره تقتل فيهم وتأسر ، وتكشف عنهم ستر النجاة وتحسر ، وتفتك وتنهب ، وتذهب فى استرقاقهم كل مذهب، إلى أن نصر الله دينه ، وأذلَّ الشرك وشياطينه ، فمنهم من تحصَّن بتلك الجبال ، وولى الأدبار ، ومنهم من هال عليه الأمراء فعاجل بالفرار ، ومنهم من قيل فيه [الطويل] .

شرى نفسه منه وَقَرَّر جِزْيــة عليه ، بها قد عاد وهو معاهَدُ

ثم لما أمكنته من قلاع المشركين الفرصة أخذها بعون الله بالعزيمة دون الرخصة ، وسار عليها بجيوشه الموحدة كالسيل إذا طما ، والسحاب إذا هَمَى، والليل ونجومه ، والليث وهجومه ، فتسلمتها سيوفه التى هى لما استعصى من الحصون مفاتح ، ولما استسلم إليه أقفال﴿ **وَرَدَّ الله الذين كَفرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالوا خَيْراً وكَفَى الله المُؤْمنين القتال** ﴾(١) وأمَّاما عزمتم عليه من ختان النجلين الكريمين الأصيلين العريقين ، فَرْعَى الأصول الملوكية ، طِرَازى العصابة الإسلامية ، أقَرَّ الله بهما العيون ، وبلّغ فيهما أجمل الظنون ، اتباعاً للسنة ورغبة فى الأجور الحسان ، وعملا بقوله ﷺ « الفطرة خمس وبدأ بالختان » فقد علمنا ذلك وقابلنا ماأشرتم إليه من البشارة بالشكر لله الذى أيَّدكم ونصركم ، وملككم رقاب المشركين وظفركم ﴿ **وَجَعَلَ كَلِمة** / ٣٧٥ **الذين كَفَروا السُّفْلَى وَكَلمة الله هِىَ العُلْيَا** ﴾(٢)/ونجوم الضلال آفِلَةٌ ، ومواطن الكفر بالإسلام آهلة ، وأصوات جيوشكم بالتكبير والتهليل بها عالية ، فالحمد لله ثم الحمد لله الذى منحكم بهذا النصر الجديد ، والفتح الذى هو فى كل وقت للأعداء مبيد والغزوات التى صارت فى جيد الدهر كالعقد النظيم ، ﴿ **ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم** ﴾(٣) فقد أيَّدتم هذا الدين المحمدى بعزمات لاتَفتر طرفة عين ولاسِنَة ، وفزتُم بقوله عليه أفضل الصلاة والسلام « مقام الرجل فى الصّفّ فى سبيل الله أفضل عند الله من عبادة رجل ستين سنة » ، وقد أنشد شاعر حضرتنا مهنئا لمقركم الكريم ، ومادحاً لما منحتم به من هذا الفتح العظيم : [الطويل]

(١) آية ٢٥ من سورة الأحزاب .
(٢) آية ٤٠ من سورة التوبة .
(٣) الآيه ٢١ من سورة الحديد ، أيضا آية ٤ من سورة الجمعة .

هنيئاً بما خُوِّلْتَ من عاجل النصر ... هى النعمة العظمى تجلُّ عن الحصرِ
فيامـلك الإسلام بُشْراك هــذه ... فتوحٌ توالت مثل منتظم الدُّرِ
فقد جاءك النصرُ العزيز كما تشا ... وأصبح مَنْ عَادَاك فى قبضة الأسرِ
ولوأنهـم كالبحـر حَالَـةَ مَــدِّهِ ... لقابلتهم من حد سيفك بالجَزْر
وكل الورى يدعو ويسأل رَبَّه ... لك النصر والتأييد والبسط فى العمر
فلازلْتَ يانَجْلَ الملوك مؤيداً ... سعيداً شهيدا رأيه دائم النصر

وأما أنواع الهدية التى أتحف بإرسالها قد وصلت وشكرنا محبة مهديها ، وأثنينا على حسن موالاته التى لم يزل يبديها ، وقد أعدنا المجلس السامى الجمالى قاصدكم المشار إليه،بعد أن عاملناه بمزيد الإكرام ، ووافر الإحسان والإنعام،وجهزنا صحبته المجلس السَّامى الأميرى الكبيرى الأعزى الأخَصِّى الأكملى المقرّبى السيفى قَانِي بَاى المِهْمَنْدار الأشرفى أدام الله سعادته ، وكتب سلامته ، ليشافه عنا المقرَّ الكريم بالتهنئة بختان النجلين السعيدين والبدرين النيِّرين ، أطلعهما الله نباتَ الكمال ، وبلَّغَهُما غاية الجمال ، وجعله ختانا مُبارَكاً مَوْصُولا بسرور الأبد ، ونمو العدد ، وتوالى الخيرات ، وتضاعف المسَّرات ، وتواصل السعادات ، وشدَّبهما عَضُد الإسلام والمسلمين / وجعلهما من عباده الصالحين . ٣٧٦

وقد جهزنا هذا الجواب الشريف على يد الأمير قَانِيَ بَاى المِهْمندار وصحبته هدية تؤكد أسباب الوِدَاد ، وتوثِّق عمد الاتحاد ، وَحملْناه وَهِىَ من السلام مايبتسم ثغرالزّهر عند أدائه ، ويسفر وجه البشر عند إبدائة ، والله تعالى يؤيده بملائكته وجنده ، وينصره وَمَاالنَّصْرُ إلاَّ مِنْ عنده .

تَمَّ الجواب وتسلمه قَانى باى اليُوسُفِى المِهْمَنْدار المذكور أعلاه ليتوجه به رسولا إلى ابن عثمان المذكور ، وتهيأ للسفر ، وقبل خروجه بيوم أو يومين ورد الخبرُ من الإسكندرية بموت السلطان محمد المذكور،وقاصد ابن عثمان جمال الدين القابونى أيضا بديار مصر ، وقد نجز أمره وتهيأ للخروج من مصر - فلما وصل هذا الخبر أبطل السلطان سفر قَانِى بَاى المِهْمَنْدار ، وجمال الدين القَابُونى إلى أن يتحقّق

من أمر ابن عثمان حسبما يأتى ذكر ذلك فى محله من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

وفى هذا الشهر طلع فى السماء نجم ذو ذؤابة شمالى المشرق بمقدار علو الشمس فى الساعة الثالثة من النهار ، وكان طلوعه فى الثلث الأخير من الليل وأقام على ذلك إلى العشر الأوسط من شهر رجب، انتقل وصار يطلع بعد المغرب من شمالى المغرب بمقدار علو الشمس، فيما بين العصر والمغرب ، ثم يغرب بعد العشاء بساعة ، واستمر على ذلك إلى ماسيأتى ذكره ، وكثر الكلام فى طلوع هذا النجم ، واختلفوا فى أمره على أقوال كثيرة : وقد سألت عنه بعض أهل التقويم فقالوا : ليس هذا نجم معروف وإنما هو منعقد من شعاع الشمس فى فلك النار ، وكتب إلى أيضا بعض علماء هذا الفن ماصورته : ابتداء ظهور الكوكب ذو الذؤابة كان عند طلوعه فى أواخر برج الثور فى العشر الآخر من شهر جمادى الأولى سنة ستين وثمانمائة ، ثم انتقل إلى برج الجوزاء فأقام بها أيّاما قليلة ، ثم اختفى من جهة المشرق وظهر بجهة المغرب فى برج السرطان ، وهو عن قليل ينتقل إلى الأسد ، ونسأل الله تعالى أن يكفينا شرّه — انتهى .

قلت : وكان صورة هذا الكوكب أنه كهيئة النجوم ، وله ذنب طويل إلى فوق طول رمح وأكثر ، وليس / الذنب رقيقا، وإنما هو صفة جريان الصارخ من النفط عند إنفلاته إلى جهة السماء على هيئته وعرضه ، وفى الذنب مَيْلة إلى جهة الشمال فى أوّل طلوعه من الشرق ، ثم لما طلع من شمالى الغرب صارت ميلته إلى جهة المغرب ، وكان له ضوء ونور بحيث يراهُ من قصد رؤيته ومن لم يقصدها ٣٧٧

- جمادى الآخرة : أوّله الخميس .

فى يوم السبت ثالثه أضاف السلطان قصّاد ابن عُثْمان بقلعة الجبل فى حضرته.
وفى ليلة الاثنين خامسه ركب الأمير يُونس الدّوادار من بيته تُجاه الكبش إلى قاعة قطينة المطلة على بحر النيل ببولاق ، والقاعة المذكورة على ملك أمّ زوجته خوند

(١) فى الأصول الآخر . وما أثبته الصواب حيث سيأتى جمادى الآخرة بعد .

زينب بنت ابن خصبك زوجة السلطان الملك الأشرف إينال ، وتوجه يُونس إلى القاعة المذكورة للنزهة بها من مرض تمادى به ، وتردّد إليه بها أعيانُ المملكة من المقام الشهابى أحمد وَلَد السلطان إلى مَنْ دونه .

وفى ليلة الخميس ثامنه سافر الأمير جَانِبَك الظاهرى أحد أمراء الطبلخانات والمتكلم على بندر جدة إليها على عادته كل سنة .

وفى يوم الخميس خامس عشره تعوقت فيه جوامِك المماليك السلطانية ولم يُنْفَق لأحد منهم شيء، فعند طلوع الأستادار زين الدين يحيى إلى القلعة تشغبت عليه المماليك السلطانية ففاتهم ، فلما دخل إلى السلطان عرَّفه بذلك وأظهر العجزَ عن حمل الجامكية ، فاشتاط السلطان غيظا وأمربه فى الحال فضُرِبَ نحو العشرين عصاة ، فلما أقيم أمره السلطانُ أن يستمرَّ على وظيفته فلم يَبشّ لذلك ، فأمربه السلطان ثانيا فَحُطَّ إلى الأرض لكنه لم يضرب شيئاً وجعل فى عنقه جنزير وحبس بالقلعة عند الأمير فَيْروز الخازندار ، وكل ذلك كان بقاعة الدّهيشة .

وفى الحال رسم السلطان للوزير زين الدين فرج بن النحال باستقراره أستاداراً عوضا عن زين الدين المذكور ، ولعلاء الدين على بن الأهناسى المعزول قبل تاريخه عن الأستادارية باستقراره وزيرا عوضا عن فرج المذكور ، وخلع على كل منهما كاملية بمقلب سَمُّور، ووعدهما بأنه يخلع / عليهما فى يوم السبت كل واحد بخلعة وظيفته المعتادة . ٣٧٨

وأما المماليك السلطانية فإنهم لما تعوّق جوامكهم نزلوا من وقتهم إلى بيت زين الدين المذكور لينهبوه، فأغلقت مماليكه الدروب ورموا عليهم ومنعوهم من الدخول إلى جهة بيت زين الدين ومدرسته ، فلما عجز المماليك عن الدخول إلى بيت زين الدين المذكور وحارته ، نهبوا بيوت الناس من جوانب بين زين الدين إلى قنْطَرة[1]

(١) قنطرة أمير حسين : وكانت تقع على الخليج الكبير الناصرى ، ويتوصل منها إلى بر الخليج الغربى . أنشأها الأمير سيف الدين حسين بن أبى بكر بن إسماعيل بن حيدر الرومى ليصل من فوقها إلى مسجده الذى بناه فى حكر جوهر النوبى ، وكانت تقع بين قنطرة باب الخرق وقنطرة عز الدين موسك (المقريزى ــ الخطط ٢ : ١٤٦) ومازال هناك شارع يحمل اسم الأمير حسين يصل مابين شارع القلعة وشارع بورسعيد فى المسافة بين دار الكتب وشارع الازهر ويطلق على نهايته قنطرة الأمير حسين .

أمير حسين وغيرها،حتى مدرسة فخر الدين بن أبى الفرج ، فإنهم دخلوها ونهبوا ما فيها من تعلقات المدرسة وقماش الصوفية وغيرهم ، فما عَفُّوا ولا كفُّو ، ثم إنهم ظفروا ببيت زين الدين المذكور لما كثر جمعهم وفعلوا فى داره ومدرسته ورباطه ودُور جيرانه مالا تفعله الكفرة فى المسلمين ، وأخذوا للناس من الأقمشة والمتاع والأوانى وغير ذلك جملا مستكثرة لاتدخل تحت حصر ، واستمروا فى النَّهْب من باكر النهار إلى قريب العصر ، ولم يستجرىء أحدٌ أن يُمدّ يده إليهم بسوء، بل صاروا يأخذون ماقدروا على أخذه،ويحملونه على الخيول والبغال والحمير ويسخّرون الناس فى حمله ، وعيون أربابها تنظر إليهم فى الملأ من الناس ، ولم يرسل السلطانُ لكفِّهم عن ذلك أحداً من الأمراء ولاغيرهم ، فكانت هذه الحادثة من أقبح الأمور وأبشعها ، ولم ينتطح فى ذلك عنزان .

وفى يوم السبت سابع عشره أخلع السلطان على زين الدين فرج المذكور خلعة الأستادار عوضا عن زين الدين المقبوض عليه قبل تاريخه ، وعلى علاء الدين على ابن الأهناسى خلعة الوزر عوضا عن فرج المذكور .

وفى يوم السبت هذا ورد الخبر بموت شهاب الدين أحمد المحلى الشافعى قاضى الإسكندرية بقرية إدكُو من المزاحميين متوجها إلى الإسكندرية ، وولى ابنه بعده قضاء الإسكندرية ببذل مال كثير وهو شاب حدث السِّن جاهل ، يأتى ذكر والده فى وفيات هذه السنة ، والتعريف بحاله فى هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

وفى يوم الأربعاء حادى عشرينه حدث بالقاهرة واقعة عجيبة مضحكة،وهى أن الناس بقوا من يوم نهب بيت زين الدين الأستادار وجيرانه فى رجيف عظيم من جهة المماليك ، واتفق فى هذا اليوم خروج جهاز بنت المرحوم ناصر الدين محمد ابن الثلاج الأمير آخور إلى / بيت زوجها الأمير جَانِبَك قرا الأشرفى على رءوس الحمالين والبغال على العادة ، فجفل فرسُ جندى من الأجناد من الحمالين المذكورين فحنق الجندى على فرسه وساقه ، فرآه بعض العامة فلم يشك أن المماليك نزلت لنهب القاهرة ، فأشاع ذلك فأغلقت القاهرة بتمامها ، وانزعجت الناس غاية

٣٧٩

الانزعاج ، وتعطلت المعايش من غلق حوانيت القاهرة ، فكانت هذه الواقعة من غريب ما وقع بديار مصر .

وفى يوم الخميس ثانى عشرينه رسم السلطان بعمل مَدَّةٍ وقراءة ختمة شريفة بمدرسته التى أنشأها بالصحراء لفراغ عمارتها ، وحضر فيها أعيان الدولة من القضاة والأمراء وغيرهم ، وكان السلطان أَوْعد أنه ينزل لرؤيتها فلم يتهيأ له ذلك لأمر من الأمور ، وكان السلطان قد أنشأ هذه المدرسة أوَّلاً تربةً فى أيام أتابكيته ، فلما تسلطن بدا له أن يخرب ماعمّره قديما وأن يجعلها مدرسة ففعل ذلك ، وباشر عمارتها عظيمُ الدولة الصاحب جمال الدين يوسف ناظر الجيوش المنصورة والخاص الشريف إلى أن كملت .

وفى يوم الأحد خامس عشرينه ركب الأمير يُونُس الدَّوادار من قاعة ابن قُطَيْنة بساحل بولاق بعد أن أقام بها مدة أيّام لتوعك كان به،وتوجّه إلى بيته تجاه الكبش على بركة الفيل ، وزينت بولاق لركوبه وتَخَلَّق حواشيه بالزَّعْفَرَان .

وفى يوم الاثنين سادس عشرينه استقرّ قاسم الكاشف المعزول قبل تاريخه عن الأستادارية فى كشف الغربية من الوجه البحرى من أعمال القاهرة على عادته قديما ، واستقر عوضه فى كشف الجيزية يوسف شاه العلمى .

وفى يوم الثلاثاء سابع عشرينه طلع الأمير يونس الدوادار إلى القلعة ، وأخلع السلطان عليه كاملية بمقلب سّمور خلعة العّافية ، واحتفل أهل الصليبة إلى نزوله بالزينة الهائلة والطبول والزمور والتهانى .

● شهر رجب : أوّله السبت .

فى يوم الاثنين ثالثه أطلق السلطان الأستادار زين الدين يحيى من محبسه بقلعة الجبل ، ونزل إلى دار عظيم الدَّولة الجمالى ناظر الجيوش والخاص الشريف على أنه يغلِّق مابقى عليه مما ألزمة السلطان / بحمله إلى الخزانة الشريفة وهو مبلغ عشرة آلاف دينار ، ثم يُنْفَى بعد تغليقها إلى حيث يُرْسَم من البلاد . ٣٨٠

وفى يوم الاثنين عاشره أدير المحل ولعبت الرّمّاحة على العادة فى كل سنة ، وشاهده قاصد خَوَنْدكار بن عثمان الأمير جمال الدين عبد الله القابونى، وتخوّف الناس من المماليك السلطانية الجُلْبان فلم يقع منهم مايكره .

وفى يوم الخميس ثالث عشره نزل السلطان من قلعة الجبل بقماش الموكب إلى الصحراء ونزل بمدرسته التى أنشأها ، وأقام بها ساعة ثم ركب من المدرسة المذكورة ودخل من باب النصر، وشقّ القاهرة وخرج من بابى زويلة ، وطلع إلى القلعة فى موكبه والصَّنْجق على رأسه .

وفيه توفيت ملكباى الأشرفية أم محمد ولد الملك الأشرف بَرْسْبَاى زوجة الأمير قرقماس رأس نَوبة النُّوَب ، ولهجت العامة بتوجّه ولدها محمد ابن الملك الأشرف إلى عند أخيه الملك العزيز يوسف بثغر الإسكندرية .

وفى يوم الأحد سادس عشره-الموافق لسادس عشرين بئونة-أخذ قاع النيل فجاءت القاعدة أعنى الماء القديم سبعة أذرع وستة عشر إصبعا .

وفى يوم الجمعة حادى عشرينه فيه ورد الخبر بموت السلطان محمد بن عثمان متملك بلاد الرُّوم بالطاعون ، وبلغ ذلك قاصده جمال الدين عبد الله القابونى وهو بالقاهرة وقد تهيأ إلى السفر، وعين السلطان صحبته قَانِى بَاى اليوسفى المِهْمَنْدار رسولا إلى ابن عثمان المذكور .

● شعبان : أوّله الاثنين .

فيه سافر زينُ الدين يحيى الأستادار من سبيل ابن قايماز إلى الحجاز من طريق الطُّور فى البحر المالح منفيا من مصر، ومأمورا بالتوجّه إلى المدينة الشريفة للإقامة بها .

وفى أوائل هذا الشهر ترادفت الأخبار بعدم موت السلطان محمد بن عثمان متملّك الرّوم، ودقت البشائر لذلك بقلعة الجبل ثلاثة أيّام ، وفى هذه الأيام وردت

عدة مطالعات من الأمير قَانِى باى الحَمْزَاوِى نائب الشام وغيره بأن الفرنج فى استعداد كبير للتوجه إلى سواحل البلاد الشامية .

وفى هذه الأيام أيضا غاب النجم ذو الذنب/ المقدم ذكره . ٣٨١

وفى يوم الجمعة خامسه سافر الأمير جمال الدين عبد الله القابونى قاصد السلطان محمد بن عثمان إلى جهة مرسله،وصحبته قَانِى بَاى اليوسفى المِهْمَنْدار قاصِداً برد جوابه من قبل السلطان .

وفيه ورد الخبر على السلطان بأن الصارمى إبراهيم بن قَرَمَان متملك لاَرَنْدة وغيرها من بلاد الروم طرق معاملة السلطان واستولىعلى مدينه طَرَسَوس وأذنَه[1] وكُولَك[2] فأمر السلطانُ بخروج تجريدة إلى قتاله ، وعّين أربعة أمراء من مقدمى الألوف وعدة طبلخانات وعشرات،مع مايضاف إليهم من المماليك السلطانية ، وأمرهم بالإسراع فى السفر ، والذين عينهم السلطان من مقدمى الألوف هم:الأمير خُشْقَدَم المؤيدى أمير سلاح ، وجَانِبَك القَرَمَانى الظاهرى بَرْقُوق حاجب الحجاب ، وقرقماس الأشْرَفِى بَرْسْبَاى رأس نَوْبَة النُّوب ، ويُونُس العلائى الناصرى ، ودام هذا الأمر إلى يوم الأحد سادس عشره أبطل السلطان التجريدة المذكورة،وأخّر السفر إلى بعد الربيع خوفاً من هجوم الشتاء ، فإن الوقت آخر أبيب أحد شهور القبط .

وفى يوم الجمعه سادس عشرينه الموافق لسادس مسرى أوفى النيل ستة عشر ذراعا وخمسة أصابع من الذراع السابع عشر ، ونزل المقام الشهابى أحمد ابن السلطان الملك الأشرف إينال فى وجوه أمراء الدولة حتى عدّى النيل وخلّق المقياس ، ثم عاد وفتح الخليج على العادة ، ثم طلع إلى القلعة وخلع عليه السلطان.وفى معنى النيل يقول الشيخ صلاح الدين الصفدى : [البسيط]

قالوا عَلاَنيلُ مِصْرٍ فى زيادته   حتى لقد بلغ الأهرام حين طما
فقلت : هذا عجيب فى بلادكم   أنَّ ابن ستة عشر يبلغ الهرما

---

(١) أذنة : مدينة ببلاد الأرمن ، وهى من بناء الرشيد ، بينها وبين طرسوس ثمانية عشر ميلا (القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ١٣٤) .

(٢) كولك : قلعة مدورة على قمة جبل فى الشمال من طرسوس (القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ١٣٥) .

وفى هذا الشهر وصل إلى الديار المصرية مملوك الأمير جَانَم الأشرفى نائب حلب ، وأخبر السلطان أن جماعة من عوام حلب وثبوا عليه وأخذوا من مباشريه ثلاثة نفر ذبحوهم بأيدي العادية ثم أحرقوهم ، وأنه منتظر مايرد عليه من الجواب الشريف فى أمرهم ، وذكر أشياء محصولها : إن السلطان إذا لم / ينصفه ممن فعل ذلك وإلاليس له حاجة بنيابة حلب ، فلما سمع السلطان ذلك طيَّب خاطر المملوك ورسم أن يجهز على يده خلعة لأستاذه الأمير جَانَم المذكور باستمراره على نيابة حلب ، ورسم بأن تكتب مراسيم شريفة لحكام حلب بتحصيل الغرماء المذكورين وحبسهم بقلعة حلب ، حتى يرد عليهم مايعتمدونه من أمر هؤلاء . وسبب هذه الفتنة أن جماعة من الحلبيين تقرّبوا إلى الأمير جَانَم المذكور وباشروا ببابه وساءت سيرتهم ، وهم : ابن الرقيق ، وولده وابن الحصونى ، فشكى أهلُ حلب من هؤلاء ومن كثرة ظلمهم وأفعالهم القبيحة ، فحبس الأمير جَانَم أحد الثلاثة المشكو عليهم ، فلم يقنع الحلبيين[1] ذلك لما فى نفوسهم منهم ، ومضوا فى الحال إلى واحد منهم فى بيته فهرب الرجل من بيته واستجار برجل من الحلبيين مشهور بالصلاح والدين ، فحماه الرجل المذكور ، فألح الحلبيون عليه فى أخذه منه ، فقال الرجل الصالح : قد تاب عن المباشرة ، فقالوا يخرج ويحلف لنا على ذلك بحضرتك ، فلما خرج إليهم أخذوه من يد الرجل وذبحوه ثم أحرقوه ، ثم توجهوا فى الحال إلى الذى فى الحبس فأخرجوه من الحبس وفعلوا به كذلك هو وولده ، وبلغ النائب ذلك فلم يحرِّك ساكنا وكتب يعرِّف السلطان بما وقع ، والذين أحرقوهم ابن الرقيق وابن الحصُونى وولد واحد منهما انتهى .

وكان هذا الخبر زيادة فى النكاية على السلطان لما كان بلغه من استيلاء ابن قَرَمان على طَرَسُوس وغيرها حسبما تقدّم ذكره .

وفى يوم الاثنين تاسع عشرينه طلع إلى القلعة قاصد الأمير بيربضع بن جهان شاه بن قرا يوسف متملّك بغداد والعراق من قبل أبيه جهان شاه المذكور ، وتمثل

(١) مكان هذه الكلمة بياض بالأصول وماأثبته يتفق مع السياق .

بين يدى السلطان وأدّى رسالة مُرْسِله وقرئ كتابُه،ولم يتضمن كتابه كبيرا من غير التودّد والسلام .

● شهر رمضان : أوّله الثلاثاء .

فى يوم الجمعة رابعه وصل السيفى خُشْقدم دوادار الأمير قَانِى بَاى الحمزاوى نائب الشام إلى القاهرة وهو مريض ، فأحضر السلطان/ الكتب الواصلة على يده من قبل أستاذه وأمر بقراءتها ، فإذا هى تتضمن أمر ابن قرمان وأخذه لطَرَسُوس وغيرها ، ثم سأل السلطان فى عدم إخراج تجريدة من الديار المصرية إلى البلاد الحلبية بسبب ابن قَرمان المذكور ، وأنه يتوجّه بعد الربيع هو وجماعة النُّواب بالبلاد الشامية إلى جهة ابن قَرمان المذكور ، ويكفى السلطان أمره ، ويسترجع منه ما أخذه من البلاد الحلبية،فسرّ السلطان بذلك وتزايد شكره على نائب الشام لهذه المقالة . ٣٨٣

وفى يوم الأحد عشرينه وصل الأمير سُودُون الإينالى المؤيدى المعروف بقَرَاقاش ثانى رأس نوبة النُّوب،هو ومن معه من المماليك السلطانية من إقليم البحيرة بعد أن أقام بها نحو الشهر ونصف لأمر اقتضى ذلك ، وأخلع عليه السلطان فى يوم الخميس رابع عشرينه خلعة السفر .

وفى يوم الأربعاء ثالث عشرينه نُودِىَ بالقاهرة من قبل السلطان بعدم تعرّض المماليك الجُلْبَان إلى الناس والتجار والبَيَعة ، فلم يلتفتوا إلى مناداته ، واستمروا على ماهم عليه من أخذ بضائع الناس وبأبخس الأثمان ، وأفعالهم القبيحة ، وقد تغيّر غالب خاطر الرعية على السلطان بسببهم ، فإنه زاد بسبب ذلك أسعار أشياء كثيرة من المأكولات والعلوفات والغلال ، فإنهم صاروا يخرجون إلى ظاهر القاهرة ويأخذون مالقوا من الشعير والدريس والتبن بأقل ثمن إن سمحوا بذلك ، ومنهم من لايزن شيئا ، ثم شرعوا فى نهب حواصل البطّيخ وغيره ، وعز وجود أشياء كثيرة بسبب ذلك حتى أبيع الشعير بمائة وأربعين درهما الإردب-بعد أن كان بثمانين درهما الإردب،وأما التبن فإنه عزّ وجوده بالكلية ، وزاد سعر البطيخ الصيفى أضعاف ما كان ، هذا مع ماياخذونه من التجار والسوقة والبيعة من سائر الأصناف بأرخص ثمن ، فضر ذلك

بحال الناس قاطبة، والسلطان مع ذلك لايزداد فى مماليكه المذكورين إلا محبة، والقيام بنصرتهم بما تصل قدرته إليه ، فلاقوة إلا بالله .

٣٨٤ وفى يوم الأحد سابع عشرينه / وصل إلى القاهرة الأمير جانبك الظاهرى أحد أمراء الطبلخانات نائب بندر جدَّة وأخلع السلطان عليه ، ونزل إلى داره فى وجوه الناس .

وفى يوم الأحد هذا — الموافق له من أشهر القبط أوَّل توت ، وهو يوم النوروز — نودى على النيل فيه بزيادة إصبعين من عشرين ذراعا ، وفرغ هذا الشهر وسعر الذهب الدينار الأشرفى ثلاثمائة وستين درهما فى المعاملة وثلاثمائة وخمسون فى الصرف ، وهو فى زيادة ، وسعر القمح الإردب بمائة وستين درهما إلى مادونها والفول والشعير بمائة وعشرين درهما الإردب إلى مادونها، والجميع فى انحطاط لكثرة الغلات بالساحل وعظم زيادة النيل .

- شوال :أوّله الخميس .

فى يوم الجمعة ثانيه-الموافق لسادس توت-انتهى زيادة النيل إلى اثنى عشر إصبعا من عشرين ذراعا، وأخذ فى النقص والزيادة والثبات إلى آخر توت .

وفى يوم الثلاثاء ثالث عشره أمر السلطان بتوسيط عشرة نفرْ من الزعماء بين عبيد وأحرار ، وكان الوالى قد قَبَضَ عليهم فى شهر رمضان وحبسهم بأمر السلطان ، فداموا فى السجن إلى هذا اليوم ، فطلبهم السلطان وأمر بتوسيطهم ، فوسِّطُوا عن آخرهم ببركة الكلاب خارج سور القاهرة، بالقرب من باب المحروق، ثبت على أحدهم قتل نفس فى الظاهر .

وفى يوم الاثنين تاسع عشره برز أمير حاج المحمل بالمحمل من القاهرة إلى بركة الحاج ، وهوالأمير قَانَم مِنْ صَفَر خَجَا المؤيدى أحد مقدمى الألوف بالديار المصرية ، المعروف بقانَم التَّاجر ، وأمير الركب الأوّل عبد العزيز ابن المعلم محمد الصغير، أحد أجناد الحلقة وعليه من الديون جمل مستكثرة .

وفى يوم السبت رابع عشرينه ضرب السلطان خَيِرْبَك القَصْرَوى والى القاهرة أزيد من مائتى عصاة، لشكوى الأمير قَرْقَماس الأشرفى الجَلَب رأس نَوْبَة النُّوَب عليه أنه أخذ من بابه بعض الشكاة .

وفى يوم الثلاثاء سابع عشرينه ركب الصاحب جمال الدين يوسف ناظر الجيوش المنصورة والخاص الشريف من داره وطلع إلى القلعة وقبل / الأرض، وأخلع ٣٨٥ عليه السلطان كاملية مخمل أخضر بمقلب سمّور خلعة العافية ، فإنه كان انقطع عن الخدمة ملازما للفراش من العشر الأوّل من شهر رمضان إلى هذا اليوم ، واشتد مرضه حتى خيف عليه ، وكان الذى اعتراه الذرب ، ونزل إلى داره فى وجوه الناس، بعد أن احتفل الناس لنزوله خارجا عن الحد احتفالا زائداً ، وزيّنت شوارع القاهرة حيث مَمَرُّه بأفخر الزينة ، ووقدت الشموع بين يديه بالحوانيت ، وعلقت فيها القناديل الموقودة ، وعظم فرح الناس بعافيته ، وتخلّقوا بالزعفران ، وأكثروا من الابتهاج والسرور والتهانى من الطبول والزمور وغيرهما ، وازدحم الناس لرؤيته ، فكان هذا النهار من الأيام المشهودة التى قل أن يقع مثلها .

● ذو القعدة : أوّله السبت .

فى أوائل هذا الشهر رسم السلطان بردّ قاصد الصارمى إبراهيم بن قرمان، فَرُدَّ مِن قَرِيب مدينة قَطْيا «٥» ، وكان قدوم القاصد المذكور ليترضى خاطر السلطان على مُرْسِله ابن قَرَمَان المذكور ، وسبب ردّ هذا القاصد أنه بلغ السلطان أن ابن قرمان أرسل يسأل السلطان فى القلاع التى استولى عليها قبل تاريخه ـ باليد العادية أن يكون فيها نائبا عن السلطان ، فلم يرض السلطان ذلك ، وأمر بعوده ، وأوعد بخروج تجريدة إلى قتاله فى أوائل فصل الربيع .

وفى يوم الخميس سادسه فعلت المماليك الجُلْبَان بالناس والأعيان تلك الأفعال القبيحة، من خطف العمائم وأخذ الخيول من تحت الفقهاء ، وأفحشوا وأمعنوا فى ذلك إلى الغاية حتى كثر الكلام فى ذلك ، وترامى الناس على القضاة والفقهاء فى

أن يتكلموا مع السلطان ، فلم يجبهم إلاَّ جماعةٌ من أعيان الحنفية وكلَّمُوه فى كفِّهم عن الناس وخَشَّن له بعضُهم فى القول ، فتأثر السلطان لذلك ، وأصبح من الغد جلس على الدكة من الحوش السلطانى ، وضرب منهم جماعةً ووَبَّخ الأمير مرجان العادلى مقدم المماليك ، وخشن له فى القول بسبب أفعال هؤلاء المماليك ، ثم طلب السلطان منهم جماعة وأوسعهم سبًّا / وأكثر لهم من الوعيد ، وحبس بعضهم بالبرج من القلعة .

٣٨٦

ثم فى يوم الأربعاء ثانى عشره طلب السلطان شخصاً خارجا عن الحد، وأمر بنفيه إلى طَرَسُوس ، ثم فعل ذلك مع جماعة أخر من المماليك البطالة وغيرهم ، فارتدع القومُ وانكفُّوا عن المساوىء والقبائح ، فشكر الناس علماءَ الحنفية وأكثروا من الثناء عليهم .

وفى يوم الأحد سادس عشره نُودِىَ بمصر والقاهرة بخروج المماليك البطَّالة من الديار المصرية ، وهدّد من أقام بعد ذلك ثلاثة أيام بها .

وفى يوم الخميس سابع عشرينه تُوُفِّى الأمير قَانِى باى الناصرى نائب قلعة الجبل حسبما يأتى ذكره فى وفيات هذه السنة ، وأنعم السلطان بإمرته وهى إمرة عشرة على ولده الصغير ، وأخلع على الأمير سُودُون النَّوْروزى المعروف بالسلاح دار أحد أمراء الطبلخانات ورأس نَوْبة باستقراره فى نيابة قلعة الجبل، عوضا عن قَانِى باى المذكور .

وفى العشر الأخير من هذا الشهر كان عرس ابن الأمير بُرْدُبَك الأشرفى الدوادار الثانى على بنت الأمير دُولاَت بَاى الدوادار ، وقام بمهمّ العُرْس المذكور جدّه الملك الأشرف إينَال ، وعمل السلطان السماط للأمراء بالحوش السلطانى أيَّاما ، وكان المهمّ أيضا عند جدَّته خَوَنْد زينب بنت خَصْبَك فى الدور السلطانية ، ولم يقع بالمهم المذكور مايتحاكاه الناس من كثرة المأكل والأشربة والفواكه ، وإنما كان المهم المذكور مثل أفراح الأمراء والأعيان ، غير أن البوزا كانت كثيرة من دون المشارب لاغير .

● ذو الحجة : أوّله الأحد .

فى يوم الجمعة سادسه الموافق لتاسع هاتور لبس السلطان القماش الصوف برسم الشتاء ، وألبس أمراء الألوف على العادة .

وفى يوم الاثنين تاسعه أخلع السلطان على الزينى أبى بكر بن مُزْهِر ناظر الاسطبل السلطانى باستقراره فى نظر الجوالى بعد عزل محمد بن أصيل مضافا إلى نظر الإسطبل .

وفى هذه الأيام ورد الخبر بموت الأمير جَانِبَك المحمودى المؤيدى أحد أمراء الطبلخانات بطرابلس وأنعم السلطان بإقطاعه على الأمير تِمْراز الإينالى الأشرفى الدَّوادار الثانى-كان — وهو يومئذ أحد الأمراء البطالين بالقدس الشريف ، وقد توجَّعْتُ لفَلاَّحِى هَذَا الإقطاع / لوقوعهم فى يد جانبك المتوفى قبل تاريخه ، ثم ماحل بهم من قدوم تِمرَاز هذا عليهم ، فإنهما : أعنى جَانبك المتوفى وتمراز هذا من أقبح الناس سيرةً وأسوئهم سريرة لما اشتملا عليه من المساوىء ، وقد ذكرنا أمر تمرَازَ هذا عند مانفاه السلطانُ فى سنة ثمانٍ وخمسين إلى القدس نبذةً ويعرف منها حاله ، ويأتى ذكر جَانِبك فى وفيات هذه السنة مفصلا كما هى عادة هذا الكتاب . ٣٨٧

وفى يوم الخميس تاسع عشره فيه طلع قاصدُ جهان شاه بن قرا يوسف متملك غالب بلاد الشرق العراقين وغيرهما ، وقبل الأرض بين يدى السلطان ، وأدى رسالة مُرْسِله بعد السلام ، فكان مايتضمنه كتابه وسؤاله أن جهان شاه يسأل صدقات السلطان فى إرسال الأمير حسن بك بن سالم الدُّوكَارِى نائب عَجْلُون[1] إليه ، ومنها مامعناه أن عنده بعض عتب كون السلطان من يوم تسلطن لم يكاتبه ، ومنها أن الشيخ حسن بن على بك بن قرايُلُك صاحب آمِد يقع منه أمور قبيحة فى حقّ جهان شاه وعماله من ضرب أطراف بلاده ، وأن الشيخ حسن المذكور قد انتمى إلى السلطان ، فأجابه السلطان بما معناه : أما إرسال حسن بك بن سالم الدُّوكَارى

(١) عجلون : قرية فى فلسطين نقربها القلعة التى بناها أسامة بن منقذ أحد قواد صلاح الدين (المنجد — اعلام ٣٤٥) .

إليه فإنه يُرْسِل إلينا عَرَبْشَاه أحد أمرائه،ونحن نرسل إليه حسن بك ، وأما عدم مكاتبتنا له فإننا جلسنا على تخت الملك، وكان الأولى أنه هو يبدأ بالمكاتبة والتهنئة،وأما شكواه من الشيخ حسن صاحب آمد فما كان يحتاج أن يكلمنا فى أمره ، ولو كاتب بعض نوّابنا بالبلاد الشامية لكان كفاه أمره ، وأشياء أخر من هذه المقولة ، والذى ذكرناه معنى مقالة السلطان ، واللفظ لنا — انتهى .

وفى يوم الاثنين ثالث عشرينه نزل السلطان الملك الأشرف إينال من قلعة الجبل بقماش الخدمة ، وتوجّه إلى مطعم الطير بقبّة النصر خارج القاهرة ، ونزل على المصطبة ، وطُعِمَتْ طيور الصيد بحضرته على العادة ، ومد السماط فأكل الناس ، وركب وعاد إلى القلعة بعد ماشقّ القاهرة،ودخل من باب النصر وخرج من باب زويلة فى موكب هائل ، ولما كان بالمصطبة وافاه مبشِّر الحاج السيفى / جَانِبَك الظاهرى المعروف بالأَبْلَق وأخبر بسلامة الحاج .

٣٨٨

● أمر النيل فى هذه السنة :

الماءُ القديم سبعة أذرع وستة عشر إصبعا ، مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعا واثنى عشر إصبعا .

ذكر من توفى من الأعيان فى هذه السنة

وفيها توفى القاضى شهاب الدين أحمد المحلى[١] الشافعى قاضى قضاة الإسكندرية فى قرية إدكو بالمزاحميتين ، فى ليلة الثلاثاء ثالث عشر جمادى الآخرة ، ودفن بَرشِيد ، وهو فى عشر السبعين تخمينا ، وشهاب الدين هذا أحد من وَلى قضاء الإسكندرية من الشافعية بالسعى وبذل المال ، وكانت بضاعته مزجاة من العلم ، كثيرة من المال ، ومولده ومنشؤه بالمحلة الغربية بالوجه البحرى من أعمال القاهرة ، ثم تنقَّل حتى وَلى قضاء الإسكندرية بعد سنة أربعين وثمانمائة ، ودام على ذلك إلى هذه السنة عزم على الحج لأجل المتجر ، فقدم القاهرة وأقام بها مدة ، ثم عاد إلى الإسكندرية لإصلاح شأنه ، فتوجه وأقام بها مدة ثم عاد إلى القاهرة فمرض بها بالبطن مدة طويلة إلى أن عوفى ودخل الحمام ، وثنى عزمه عن سفر الحجاز وعاد إلى الإسكندرية، فمات فى طريقه بإدكو حسبما تقدم ذكره ، ولم يكن من أعيان الدولة لتحمد سيرته أوتُذَم ، وكان به صمم غير فاحش — انتهى .

وفيها تُوُفِّىَ القاضى ظهير الدين محمد ابن قاضى القضاة أمين الدين عبد الوهاب ابن قاضى القضاة شمس الدين محمد بن أبى بكر الطَرابُلُسى الأصل المِصرى المولد والوفاة ، الحنفى المعروف بابن الطَّرَابُلُسِى[٢] ، أحد نواب الحكم الحنفية ، فى يوم الجمعة سادس عشرين شعبان ، ودفن من الغد بتربة الصوفية خارج باب النصر — رحمه الله — ومولده فى أوائِل القرن تخميناً ، ونشأ بالقاهرة تحت كنف والده ، وقرأ بعض متونٍ فى مذهبه، إلى أن تولّى والده فى سنة تسع عشرة وثمانمائة نَاب

---

(١) هو احمد بن محمد بن على بن هارون بن على — الشهاب المحلى . ولد قبل القرن بيسير بالمحلة من أعمال الغربية (السخاوى — الضوء اللامع ٢ : ١٥٢ — ١٥٣) وترحم له المؤلف فى (النجوم الزاهرة ١٦ : ١٨١ ط . الهيئة المصرية العامة للكتاب) .

(٢) ترجم له المؤلف فى (النجوم الزاهرة ١٦ : ١٨١) كما ترحم له (السخاوى فى الضوء اللامع ٨ : ١٣٥ — ١٣٦ — ويقول إنه ولد سنة ٧٩٧ هـ)

بعد ذلك فى نيابة الحكم عن قضاة الحنفية عدة سنين ، وكان لابأس به فى أحكامه ، على أنه كان قليل العلم ، ثم ترك الحكم فى أواخر عمره واعترته أمراض دامت به مُدّةً طويلة إلى أن مات فى التاريخ المذكور ــ رحمه الله تعالى ــ وكان من أعيان الناس ، وعنده رياسة وحشمة ــ عفا الله تعالى عنه .

٣٨٩ وفيها تُوُفِّىَ الأمير أَسِنْبَاى بن عبد الله الجمالى / الظاهرى المعروف بالسَّاقى فى شعبان بالقُدْس الشريف ــ بطالا ــ وسنُّه دون الأربعين سنة ، وأصله من مماليك الملك الظاهر جَقْمَق ، اشتراه فى أوائِل سلطنته وأعتقه ، ثم جعله خاصِّكيا ، ثم سلاح داراً ، ثم ساقيا ، فدام على ذلك سنين إلى أن أنعم عليه بإمرة عشرة فى سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة بعد موت إينال أخى قَشْتَم ، فاستمرّ على ذلك إلى أن تُوُفِّىَ الملك الظاهر جَقْمَق ، وأمسك الملك المنصور الأمير دُولاَت بَاى المحمودىّ الدوادار مع من أمْسك ، ونقل الأمير تَمُرْبُغَا الظَّاهرى الدوادار الثانى إلى الدَّوَادَارِية الكُبْرَى عوضا عن دُولاَتْ بَاى المذكور ، واستقر أَسِنْبَاى هذا دوادارا ثانيا عوضا عن تَمُرْبُغَا ؛ وذلك فى صفر سنة سبع وخمسين وثمانمائة ، فلم تطل أيامه فى الدوادارية الثانية ، ووقعت الفتنة بين الملك المنصور والأتابك إينال العلائى فى يوم الاثنين أوّل شهر ربيع الأوّل من السنة ، فكان أسِنْبَاى هذا ممن انضم على ابن أستاذه الملك المنصور عثمان ، ودام عنده بقلعة الجبل إلى أن انكسر فى يوم الأحد سابع ربيع الأول المذكور ، وتفرق عنه أصحابه، اختفى أسِنْبَاى هذا ونزل من القلعة ، ودام فى اختفائه أياما إلى أن أصلح الأمير جَانِبَك القَجْمَاسِى المشدّ أمْرَه مع السلطان ، وظهر فرسَمَ له بالتوجّه إلى القُدْس بطالا ، فسار إليه بعد أيّام ، ودام به إلى أن مات فى التاريخ المذكور ، وكان شابا طوالا عاقلا وفيه سكينة ووقار ، وعفة عن المنكرات ، مع لين وعدم شهرة بالشجاعة ، وكان من أخصَّاء الملك الظاهر جَقْمَق ، ولم تطل أيّامه فى السعادة لتشكر أفعاله أو تذم ــ رحمه الله تعالى .

فيها تُوُفِّىَ الأمير سيف الدين قَانِى بَاى الناصرى المعروف بالأعمش [1] ، أحد أمراء

---

(١) ترجم له المؤلف فى النجوم الزاهرة ١٦ : ١٨١ .

العشرات ونائِب قلعة الجبل ، فى ليلة الخميس سابع عشرين ذى القعدة من السنة ، ودُفِن فى بكرة يوم الخميس ، وأصل قانِى بَاى هذا من مماليك الملك الناصر فرج وترقَّى فى دولة الملك الأشرف بَرْسْبَاى ، وصار من جملة / الخاصّكية ، ثم تأمر عشرة فى دولة الملك الظاهر جَقْمَق ، وصار من جملة رءوس النوب دهرا طويلا إلى أن أخلع عليه الملك الأشرف إينال فى أوائِل سلطنته بنيابة قلعة الجبل عوضا عن يُونُس العلائى، بحكم انتقاله إلى نيابة الإسكندرية بعد قَرَا جَانِبَك الظاهرى ، فاستمر قَانِى بَاى هذا مُدَّةً يسيرةً وأنعم عليه السلطان بإقطاع يونس المذكور بحكم انتقال يُونُس إلى إقطاع جَانِبَك اليِشْبُكى والى القاهرة بحكم وفاته ، والإقطاع الذى أنعم به على قَانِى بَاى المذكور إمرة عشرة ، وكذلك الذى خرج عنه، لكن شىء أحسن من شىء وكل ماوقع — استقرار قانى باى فى نيابة القلعة وتغييرُ الإقطاع — فى شهر واحد وهو شهر ربيع الأول من سنة سبع وخمسين ، ودام قَانِى بَاى على إقطاعه ووظيفته إلى أن مات فى التاريخ المذكور ، وسنه نيف على السبعين سنة ، وكان مهملا فى الدَّوْلة ، وماوقع له من الترقِّى فهو بواسطة الجنسية ، وكونه من الحزقة [١] .

٣٩٠

وفيها تُوُفِّىَ الأمير سيف الدين جَانِبَك بن عبد الله المحمودى المؤيدى [٢] أحد أمراء الطبلخانات بَطَرابُلُس ، فى أواخر ذى القعدة بها ، وقد ناهز الستين سنة من العمر تخمينا ، وأصل جَانِبَك من مماليك المؤيد شيخ ، اشتراه هو وأخاه الأمير قَانِبَك المحودى وأعتقهما وجعلهما من جملة المماليك السلطانية ، قلت : وقَانِبَك المذكور هو الأسنُّ فيما أظن ، وهو الآن أحد مقدمى الألوف بِدمَشْق ، وهو وارث جَانِبَك هذا — انتهى — واستمر جَانِبَك المذكور من جملة المماليك السلطانية إلى أن صار خاصّكيًّا بعد موت أستاذه الملك المؤيد ، ودام على ذلك دهْرًا طويلا لايُؤْبه إليه، إلى أن تسلطن الملك الظاهر جَقْمَق بعد خلع الملك العزيز يوسف، فى سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة أنعم عليه الملك الظاهر جَقْمَق بإمرة

---

(١) الحزقة : جمع حازق .

(٢) ترجم له المؤلف فى النجوم الزاهرة ١٦ : ١٨٢ .

عشرة وجعله من جملة رءوس النوب ؛ لكونه كان ممن ثار معه على الملك العزيز وحرّض على القيام مع الملك الظاهرى جَقْمَق وخوّفهم عاقبة المماليك الأشرفية إن دام ابن أستاذهم الملك العزيز المذكور فى السلطنة حتى تمّ له ذلك ؛ فلهذا أمّره الملك الظاهر وقربه وأدناه ، وصار له كلمة فى الدولة / مع طيش وخفة وعدم ٣٩١ احتشام ، فأخذ فى القبض على الأشرفية وتتبعهم من الأماكن ، وبالغ فى أذاهم ، ووجد المجال فجال ، والسلطان مطاوع له ولخشداشيته كما هى عادة أوائِل الدول ، ثم لما هرب الملك العزيز يوسف من سجنه بقلعة الجبل واختفى بالقاهرة أخذ جَانِبَك هذا فى الفحص عليه، وهجم بيوت الناس هو وجماعة من خشداشيته ، وأفحش أيضا وبالغ فى أذى الناس ، وتسبب عند السلطان فى عقوبة جماعة كثيرة من الأشرفية وغيرهم ، وحرض السلطان على طُوغَان الأشرفى الزَّرَدْكَاش وخَايِرْبَك الأشرفى حتى وسَّطَهُما بعد عقوبات مَهُولة ، ثم لما عصى الأمير إينال الجكمى نائِب الشَّام والأمير حُسين بن أحمد بن المصرى البهسنى ، المدعو تغرى بَرْمَش نائِب حلب سافر إلى البلاد الشامية ليقلّد بعض نوابها وعاد ، ثم سافر إلى خرجة[1] التجريدة لقتال إينال الجَكَمِى ولقتال حسين بن أحمد نائِب حلب المقدم ذكرهما ، وانتصر عسكرُ السلطان عليهما وقُتِلا، وعاد العسكرُ إلى ديار مصر وجَانِبَك هذا صحبته أو قبله بمدة يسيرة ، واستمر على إمرته ووظيفته فركضت ريحُه لسكون الفتنة ، وصار من جملة الأمراء، ليس يتكلم إلا فيما يتعلق به ، وهو مع ذلك يتقرب من السلطان ويتكلّم معه فيما لا يعنيه ، وقد ظهر على السلطان المَلل منه فى الباطن غير أنه لم يسعْه [إلا][2] الاحتمال ، وكان يقال « من حَبّك لشيء مَلَّكَ عند انقضاه » واستمر بعد ذلك إلى سنة سبع وأربعين وثمانمائة قبض عليه السلطان وسجنه بالبُرْج من قلعة الجبل، بعد أن تحقّق إعراض المؤيدية عنه لقبضه على جَانِبَك المذكور ، وربما يثير بعضُهُم فتنة بسببه ، فلم ينتطح فى ذلك شاتان ، وقبض عليه وحبسه ، وأنعم بإقطاعه على السيفى خَيربك المؤيدى الأشقر أحد الدَّوَادَارِية الصغار . قلت : وحساب الملك

(١) أى سافر مع التجريدة التى خرجت لقتال إينال الخ .

(٢) إضافة يقتضيها السياق .

الظاهر فى ذلك على قَدْرِ شهامته ورجولته، فحسبَ أن فى السُّويداء رجالا ، والقوم أجانب عن ذلك. ثم نقل جانبك من البرج إلى الإسكندرية ، ثم نقل إلى البلاد الشامية وبعد مدة / أنعم عليه السلطان بإمرة مائة ، وتقدمة ألف بحلب ، فعند ماتوجّه جَانِبَك المذكور إلى حَلبَ وأقام بها مدةً يسيرة أثار فتنة عظيمة ، ووثب على الأمير قَانِي بَاى الحمزاوى النائب، ولبس السلاح فلم ينتج له أمرٌ ، وقبض عليه وسجنه بالبلاد الشامية من يوم تاريخه فى عدة سجون إلى أن أفرج عنه المُلْك الأشرف إينال فى أوائِل سلطنته أو الملك الظاهر فى أواخر عُمْره ، ثم أنعم عليه الملك الأشرف بإمرة طبلخاناه بعد انتقال الأمير خَطَطْ عنها إلى أتابكية طَرَابُلُس ، فدام جَانِبَك هذا على الإقطاع نحو سنتين ، ومات فى التاريخ المذكور ، وكان جَانَبَك هذا مَرْبُوع القامة أصفر الوجه ، صغير اللحية عبوساً عديم البشاشه سيىء الخلق حادّ المزاج ، سريع الحركة، كثير الشر قديما وحديثا ، كان أوّلاً فى أيام قِصَرِ يده يتخاصم مع شركائِه فى الإقطاعات ، فلايزال يتحاكم معهم عند الحكام ، فقل أن يَجِدَه الشخصُ فى بيته للراحة ، وإنما كان شأنه الركوب والدوران لشرور الناس ، فلما طالت يَدهُ ماعفَّ ولاكفَّ، حتى قُبضَ ووقع له ماذكرناه ، فاستراح وأراح ، وأنعم بإقطاعه على تِمْرَاز الأشرفى الدوادار ـــ كان أحد البطالين بالقُدْس ، ولله درّ أبى الطيب أحمد ابن الحسن المتنبى حيث يقول :

بذا قضت الأيام مابين أهلها   مصائِب قوم عند قوم فوائِد

وفى هذه السنة كان الفراغ من المدرسة التى أنشأها الملك الأشرف إينال بالصحراء

وفى هذه السنة زالت دولة بنى رسول من ممالك اليمن بعد أن ملكوها نحوا من مائتين وثلاثين سنة حسبما يأتى بيانه ، وآخر ملوكهم الملك المسعود، اختلف عليه فى أوائِل هذه السنة عساكرُه وعبيدُه، فضعُفَ أمرُه وتسحّب من بلاده ونزل عند جماعة من المشايخ والصلحاء ، وهو إلى الآن مقيمٌ عندهم ، وملك بلاد اليمن رحلٌ عربىٌّ من العرب يقال له طاهر ، وهو من القرشية ، وهو يدعى بالجودة والصلاح ،

وملك البلاد بالمال ، وسكن عَدَن، وبلاد القرشية [١] تَزْرَعُ الفوه [٢] التى يزرع بها انتهى .

وأوّل من ملك اليمن من بنى رسول الملك المنصور نور الدين أبو الفتوح عمر بن على بن رسُول، وقيل اسم رسول محمد بن / هارون بن أبى الفتح بن رستم التركمانى الغسّانى من ذرية جَبَلَة بن الأيهم ، قيل إن جَدّه محمدا المعروف برسول كان انضم لبعض الخلفاء العباسية فاختصه بالرسالة إلى الشام وغيرها ، فعرف بالرسول وغلب عليه ذلك، ثم انتقل من العراق إلى الشام ثم إلى مصر ، وانضمّ هارون هو وأولاده لبعض بنى أيّوب لما ملكوا مصر ، وهو مع ذلك له حاشية وحفدة إلى أن أرسل السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أخاه الملك المعظم تُورَان شاه إلى اليمن أرسل الملك المنصور عمر هذا معه كالوزير ، واستحلفه على المناصحة لبنى أيّوب ، فسار معه إلى اليمن ، فلما ملك الملك المسعود ابن الملك الكامل ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب بعد تُورَان شاه اليمَن قَرَّب عمَرهذا وزاد فى تعظيمه وولّاه الحصون الوصابية [٣] ، ثم ولاه مَكَّة المشرفة ورتَّب معه فيها ثلاثمائة فارس ، وحصل بين المنصور هذا وبين حسن بن قتادة أمير مكة وقعةٌ انكسرَ الشريفُ حسن المذكور فيها ورجع ، ودخل المنصور مكة واستولى عليها ، وعمّر فى ولايته مكة المسجدَ الذى اعتمرت منه عائشة أم المؤمنين — رضى الله عنها — وذلك فى سنة تسع عشرة وستمائة ، وعمر أيضا فى ولايته مكة الدّار التى يقال لها دار سيدنا أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه فى الزقاق المعروف بزقاق الحجر ، وذلك فى سنة ثلاث وعشرين وستمائة ، ثم استناب الملكُ المسعودُ نورَ الدين هذا على بلاد اليمن لما توجّه منها إلى الديارالمصرية ، واستناب بصنعاء بدرَ الدين حسن بن على بن رسول أخا نور الدين المذكور ، ولما عاد الملك المسعود إلى اليمن قبض على نور الدين هذا وعلى

٣٩٣

---

(١) بلاد القرشية باليمن : فى تهائم اليمن قرب زبيد ويسكنها العرب هامش (غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى ٢ : ٦٤٦) .

(٢) الفوه : تعالج بها الطيب كما أن التوابل ماتعالج بها الأطعمة . وقيل الفوه عروق يصبغ بها . ويقال الأفواه جمع فوه وهى ألوان النور وضروبه . وربما تكون من البقول (اللسان ١٨ : ٤٢٧) .

(٣) الحصون الوصابية باليمن : وتقع على جبل يحاذى زبيد(ياقوت — معجم البلدان.)

أخيه بدر الدين حسن المذكور، وعلى أخيه الآخر فخر الدين أبى بكر ، وعلى شرف الدين مُوسى، تخوفاً منهم لما ظهر من نجابتهم فى غيبته ، وأرسلهم إلى الديار المصرية محتفظا بهم ماخلا نور الدين صاحب الترجمة فإنه أطلقه من يومه، لأنه كان يأنس إليه ، ثم استحلفه وجعله أتابَك عساكره ، فلما عزم الملك المسعودُ إلى التوجّه إلى مصر ثانيا استنابه أيضا على جميع بلاد اليمن ، وقال له: إن مت فأنت أوْلى بالمُلْك من إخوتى لخدْمتك لى ، وإن عشت / فأنت على حالك ، وإياك أن تترك أحدا من أهلى يدخل اليمن ، ولو جاءك المُلْك الكامل - ثم سار الملك المسعودُ إلى مكة فمات بها قبل دخوله مصر ، فلما بلغ نور الدين هذا خبر موته أضمر الاستقلال بمملكة اليمن ، وأظهر غير ذلك ، واستوثق أمره واستولى على غالب بلاد اليمن وحصونها ، فعند ذلك دعا لنفسه بالملك[1] ، وذلك بعد موت الملك المسعود فى سنة تسع وعشرين وستمائة ، ثم أرسل إلى الخليفة المستنصر بالله العباسى البغدادى فى خلعة وتقليد ، فأجيب بعد مُدّة واستمرّ فى الملك ، ولم تزل ممالكه تتسع حتى ملك من عدن إلى عَيْذاب ، وجرى بينه وبين الملك الكامل والد الملك المسعود حروبٌ ، ثم مات الملك الكامل وتسلطن ولدهُ الملك الصالح بالديار المصرية ، وجرى بينهما أيضا حروب وخطوب يطول شرحها بسبب مكّة المشرفة ، وصار تارة يتولى أمر مكة الملك المنصورُ هذا ، وتارة الملكُ الصالحُ صاحبُ مصر ، واستمر ذلك سنين ، وقدم مكة مِرَاراً ، ثم قوى أمر المنصور هذا واشترى قلعة يَنْبُع من صاحبها أبى سعدٍ ، وأمر بخرابها حتى لايبقى قرار للمصريين فيها ، واستولى على مكّة وأبطل منها سائِر المكوس والمظالم ، ولم يزل مستوليا عليها إلى أن قُتِل فى ليلة السبت تاسع ذى القعدة سنة سبع وأربعين وستمائة ، قتله مماليكُه باتفاق مع ابن أخيه أسد الدين محمد بن بدر الدين حسن ، وملك بعده ابنُه الملك المظفّر يوسف ، فحكم بلاد اليمن ستا وأربعين سنة ، ومات فى يوم الثلاثاء ثالث عشرين شهر رمَضان ، وملك بعده ابنُه الملك الأشرف نجم الدين عمر ، ومات بعد سنة ،

٣٩٤

---

(١) هنا بياض فى الأصول بمقدار كلمة .

وملك بعده أخوه الملك المؤيَّد هزبر الدين داود ابن الملك المظفر يوسف فى محرم سنة ست وتسعين وستمائـة ، وملك نَيفاً وعشرين سنة إلى أن مات فى ذى الحجة سنة إحدى وعشرين وسبعمائـة ، وملك بعده ابنُه الملك المجاهد ، واضطربت مملكة اليمن مدةً ، ووقع له أمور إلى أن مات فى يوم السبت خامس عشرين جمادى الأولى سنة أربع وستين وسبعمائـة بعَدَن ، وملك بعده ابنُه الملك الأفْضَل عباس فى جمادى الأولى سنة / أربع وستين إلى أن مات فى شعبان سنة ثمان وسبعين وسبعمائـة ، وملك بعده ابنُه الملك الأشرفُ إسماعيل إلى أن مات فى ليلة السبت ثامن عشر شهر ربيع الأوّل سنة ثلاث وثمانمائـة بمدينة تَعِز ، وملك بعده ابنُه الملك الناصرى أحمد إلى أن مات فى سادس عشر جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين وثمانمائـة من صاعقة سَقَطت على حِصْنِه قَوَاوِير [1] خارج مدينة زَبِيد ، فارتاع من سقوطها وأقام أيّاماً مريضاً إلى أن مات ، وملك بعده ابنُه الملك المنصور عبد الله إلى أن مات فى جمادى الأولى سنة ثلاثين وثمانمائِة ، وملك بعده أخوه الملك الأشرف إسماعيل فلم يتمّ أمرُه وخلع بعد مدة يسيرة ، وأقيم بعده الملك الظاهر هِزَبْر الدين يحيى ابن الملك الأشرف إسماعيل فى ثالث شهر رجب من السنة إلى أن مات فى يوم الخميس سلخ رجب سنة اثنتين وأربعين وثمانمائـة ، وضعفت ممالك اليمن فى أيّامه لقلة تجَابى أموالها ، واستيلاءالعُرْبان على أعمالها ، وأقيم بعده ابنُه الملك الأشرف إسماعيل وله من العمر نحو العشرين سنة ، فأكثرَ من سفك الدّماء وأخذ الأموال وغير ذلك من أنواع الفساد ، وقتل الأمير بَرْقُوق القائـم بدولتهم فى عِدّة أخر من الأتراك ، ووقع له أمورٌ فى أيّامه ، وتلاشت اليمن من بعده ، وملكها جماعةٌ اختلف فى ولاياتهم لقصر مُدَّتهم ولاضطراب دولتهم ، ولازال أمرهم فى إدبار من هذه السنة وهى سنة اثنتين وأربعين وثمانمائـة ، إلى أن زال ملكهم من ممالك اليمن فى هذه السنة وهى سنة ستين وثمانمائـة فى أيّام الملك المسعود ، وقد تقدّم أن الملك المسعود هذا ترك ممالك اليمن لمّا ضَعُفَ أمرُه وخرج هاربا إلى الصالحين،وأقام عندهم إلى يومنا هذا ، وملك اليمن بعده رجلٌ من الأعراب القرشية يُسمَّى طَاهرا .

(١) حصن قواوير : أحد حصون زبيد ياقوت (معجم البلدان .)

قلت : نادرة ، كان ابتداءُ ملك بنى رسول لبلاد اليمن على يد الملك المسعود ابن الملك الكامل ابن الملك العادل بن أيوب ، وكان زوال ملكهم من بلاد اليمن على يد الملك المسعود هذا ، فكان إقبال سعدهم من مسعود وإدبار / سعدهم من مسعود ــ انتهى ــ والله أعلم ، والحمد لله وحده . ٣٩٦

تم الجزء الأوّل المسمى بحوادث الدُّهُور فى مدَى الأيّام والشهور على يد تلميذ مؤلفه ونَشْو صدقاته ، وعبد إحسانه، العبد الفقير إلى الله تعالى ، الحقير الراجى عفو ربه الكريم، وشفاعة نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم: محمد بن أحمد بن محمد الطندتائى الشافعى ، غفر الله له ولوالديه ولمن قرأ فيه أو نظر فيه ، ودعاله بالتوبة والمغفرة وللمسلمين أجمعين آمين ، ثم وكان الفراغ من كتابته فى يوم الخميس المبارك حادى عشرين شهر ربيع الآخر سنة إحدى وستين وثمانمائة ، ونقلت من ثانى نسخة كتبت من خط المؤلف فى حياته ، حفظه الله تعالى ورحم سلفه الكريم بمحمد وآله ، وذلك تأليف الجناب الكريم العالى المولوى الأمير الكبير العالمى الفاضلى الرئيسى العريقى الجمالى أبو المحاسن سيدى يوسف ، ولد المقر المرحوم السيفى الأتابكى أتابك العساكر بالديار المصرية ، وكافل المملكتين الشامية والحلبية ــ كان ــ عظّم الله شأنه ورحم سلفه الكريم بمحمد وآله وصحبه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا ، ورضى الله عن أصحاب رسول الله أجمعين ، والحمد لله رب العالمين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

كَتَبَ هذا الجزء المبارك لنفسه ولمن شاءَ الله تعالى من بعده العبد الفقير الحقير المعترف بالذنب والتقصير، الراجى عفو ربه العفو القدير: محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد ابن محمد بن عبد الوهاب البهاء بن على بن شافع الإخميمى الأنصارى الخزرجى الحنفى عامله الله تعالى والمسلمين بلطفه الجلى والخفىّ ، ورحم والديه وأولاده وإخوته وأخواته وأقاربه والمسلمين بمنه وكرمه آمين ، وكان الفراغُ منه فى يوم الأحد الرابع والعشرين من شهر شعبان المكرم سنة ثمان وتسعين وثمانمائة، حامدا الله تعالى ومصليا على رسوله المصطفى ، ومسلماً ومحسبلا ومحوقلا ومهللا .



فهرست المحتويات

صفحة

صفحة

صفحة

- شهر جمادى الأولى :

- شهر جمادى الآخرة :

صفحة

صفحة

ـ شهر شوال :

ـ شهر ذى القعدة :

ـ شهر ذى الحجة :

ـ شهر ذى القعدة :

ـ شهر ذى الحجة :

صفحة

– شهر شعبان :

صفحة

- شهر ذى الحجة :

وفيات سنة ٨٥٤ هـ

حوادث سنة ٨٥٥ هـ

حوادث سنة ٨٥٦ هـ

- شهر المحرم

- شهــر صفــر

- شهر ربيع الأول

- شهر ربيع الآخر :

- شهر ذى الحجة :

حوادث أخرى فى السنة :

وفيات سنة ٨٥٦ ﻫ

صفحة

حوادث سنة ٨٥٧ هـ

ـ شهر المحرم :

صفحة

- **شهر ربيع الآخر :**

ـ شهر شعبان :

شهر رمضان :

ـ شهر شوال :

حوادث سنة ٨٥٨هـ .

- شهر المحرم :

- شهر صفر :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ شهر ذى القعدة :

ـ شهر ذى الحجة :

صفحة

ـ شهر رمضان :

ـ شهر شوال :

ـ شهر ذى القعدة :

ـ شهر ذى الحجة :

وفيات سنة ٨٦٠ هـ :

تابع حوادث سنة ٨٦٠ هـ :

رقم الأيداع
١٩٩٠/٨٠٧٤

مطابع الأهرام التجارية ـ قليوب ـ مصر







